(كتاب)

الفتوحات الوهبيه

بشرح الاربعين حديثا

النوويه تأليف العالم العلامة

الحبر البحر الفهامة الشيخ

ابراهيم بن مرعي بن عطية

الشبرخيتي المالكي

نفعنا الله به

آمين

وبهامشه كتاب الجالس السنيه فى الكلام على الاربعين النوويه للشيخ الامام العالم العلامة والبحر الفهامه سيدنا ومولانا الشيخ أحمد ابن الشيخ حجازى الفشنى تغمدهما الله بالرحمة والرضوان آمين

(محل مبيعه)

بالمكتبة الازهريه ادارة راجى عفو ربه القادر

(حضرة مصطفى بك شاكر وأخيه)

(الطبعة الثانية)

(بالمطبعة الازهرية المصرية)

(سنة ١٣٢٩ هجرية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى وفقنا لادآء
أفضل العبادات * وأوقفنا
على كيفية اكتساب
أكمل السعادات
* وأشهد أن لا اله الا الله
وحده لاشريك له رب
الارضين والسموات
* وأشهد أن سيدنا محمدا
عبده ورسوله المؤيد
بافضل الآيات والمعجزات
* صلى الله عليه وعلى
آله وأصحابه بحسب
تعاقب الاوقات والساعات
(وبعد) فيقول العبد
الفقير الى رحمة ربه الغنى
أحمد بن حجازى الفشنى
غفر الله تعالى له ذنوبه
وستر فى الدارين عيوبه
هذه مجالس سنيه فى
الكلام على الاربعين
النوويه وضعتها لتكون
تذكرة لنفسى وللقاصرين
مثلى من أبنآء جنسى
ضامنا اليها من الفوائد
الظريفة والمواعظ
الشريفة والنكت
اللطيفة والنوادر
والحكايات ما تقر به
أعين أولى الرغبات طالبا
لما يحتاج اليه
قارئ الميعاد وتشتاق
اليه العين وبشة فى اليه
الفؤاد من مجلس يتعلق
بالختام ليكون كفايه

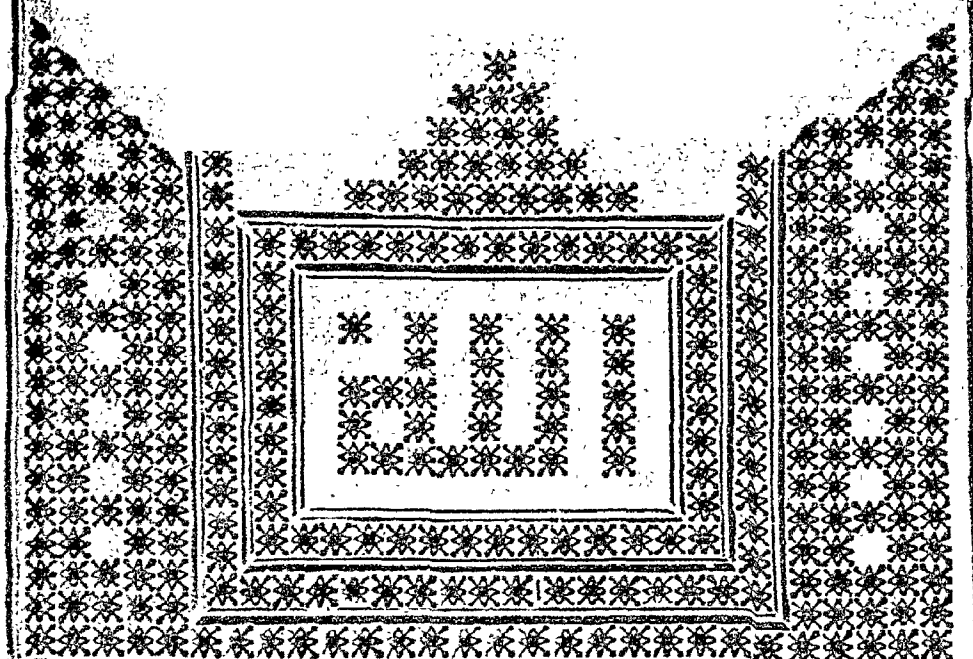

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى وفق لحمل الحديث من اصطفاه من الانام وهدى من ارتضاه لفهم ما فيه من الاحكام وأشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له الملك العلام وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى أوتى جوامع الكلام وبدائع الحكم العظام صلى الله عليه وعلى آله وصحابته الكرام صلاة متضاعفة مترادفة على مر الشهور والاعوام وسلم تسليما * (وبعد) * فيقول العبد الفقير الضعيف الملتجئ الى مولاه القوى اللطيف ابراهيم بن مرعى بن عطية الشبرخيتى المالكى ستر الله عيوبه وغفر ذنوبه وبلغه فى الدارين مطلوبه ان أولى ما أنفقت فيه نفائس الاعمار وصرفت اليه جواهر الافكار واستعملت فيه الاسماع والابصار حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الاربعون التى الفها ولى الله العلامة محيى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الدين النواوى من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم لاشتماله على أبلغ المعانى وأحكم المبانى حتى وصف أكثرها بان عليه مدار الاسلام وابتناء الاحكام فلذا عن لى أن أكتب عليها شرحا مبينا لا بقول القائل

أسير خلف ركاب النجب ذا عرج * مؤملا جبر ما لاقيت من عوج
فان لحقت بهم من بعد ما سبقوا * فكم لرب السما فى الناس من فرج
وان ظللت بقفر الارض منقطعا * فما على عرج فى ذاك من حرج

جعله الله خالصا لوجهه الكريم محصلا لما فوز بجنات النعيم ونفع به فى الحياة وبعد الممات انه قريب مجيب الدعوات * (وسميته) * الفتوحات الوهبيه بشرح الاربعين النوويه ثم انه ينبغى أن ينبه على المصنف بالتعريف بذكر نسبه وبعض ما آثره على وجه لطيف لانه كان علما بين أقرانه فريدا فى عصره وأوانه فنقول هو يحيى بن شرف الدين بن مرى بضم الميم وكسر الراء كما وجد

المواعظ في الرقائق والمواعظ وأرجو من الله تعالى ان يكون خالصا لوجهه الكريم وسببا للفوز بالنعيم الابدي المقيم فانه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير آمين * (المجلس الاول في الحديث الاول) * الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت الرقيب على كل جارحة بما اجترحت المطلع على ضمائر القلوب اذا هجست الحسيب على الخواطر اذا اختلجت الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات والارض تحركت أو سكنت المحاسب على النقير والقطمير والقليل ٣ والكثير من الافعال وان خفيت المتفضل بقبول طاعات العباد وان صغرت المتطول بالعفو عن معاصيهم وان كثرت وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له اله لا تحيط به الجهات ولا تكتنفه الارضون والسموات وهو الى العبيد أقرب من حبل الوريد وهو على كل شئ شهيد وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي رفع رتبته في سماء نبوته وأسرعت الخوارق الى جنابه حين دعاها لاظهار معجزته ودعا الناس الى الله سبحانه وتعالى فاستجابت الخلائق لدعوته وتوافقت القلوب على صدق محبته والتذ الخلق بسماع حديثه واخباره الواردة عنه في غيبته شوقا الى رؤيته صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاما دائمين بدوام ملته آمين (وبعد) فان أحسن الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى

مضبوط الخطه ابن حسين بن حسين بن محمد بن جمعة بن حزام بكسر الحاء المهملة وبالزاي المعجمة الحزامي النواوي ثم الدمشقي والنووي نسبة لنوى والنسبة اليها بحذف الالف على الاصل ويجوز كتبها بالالف على العادة وقد أقام الشيخ بدمشق نحوا من ثمانية وعشرين سنة واستدل ابن المبارك بقول من قال من أقام ببلد أربع سنين نسب اليها ولد في العشر الاول من المحرم سنة احدى وثلاثين وستمائة وقيل في العشر الاوسط منه سنة ثلاثين وستمائة وهذا هو المعتمد ونوى قرية من قرى دمشق ونشأ بها وتربى بها القرآن ولله در القائل حيث قال

لقيت خيرا بنوى * ووقيت من ألم النوى * فالقد نشأ بك عالم
لله أخلص مانوى * وقد الاعلاه وفضله * فضل المحبوب على النوى

فلما بلغ سبع سنين وكانت ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان نام جنب والده فانتبه نحو نصف الليل وأيقظه وقال يا أبت ما هذا النور الذي قد ملأ الدار فاستيقظ أهله جميعا فلم يروا شيأ فعرف والده أنها ليلة القدر فلما بلغ عشر سنين وكان بنوى الشيخ يس بن يوسف المراكشي من أولياء الله تعالى فرأى الصبيان يكرهونه على اللعب معهم وهو يهرب منهم ويبكي لاكراههم ويقرأ القرآن في تلك الحال قال فوقع في قلبي محبته وجعله أبوه في دكان يشتغل بالبيع والشراء عن القرآن قال الشيخ يس فقلت لذي يقرئه القرآن فوصيته به وقلت له هذا الصبي يرجى أن يكون أعلم أهل زمانه وأزهدهم وينتفع الناس به فقال أمنجم أنت فقلت لا وانما أنطقني الله الذي أنطق كل شئ بذلك فذكر ذلك لوالده فحرص عليه الى أن ختم القرآن وقد ناهز الاحتلام قال الشيخ فلما كان عمري تسع عشرة سنة قدم بي والدي الى دمشق سنة تسع وأربعين يعني وستمائة فسكنت المدرسة الرواحية وبقيت نحو سنتين لم أضع جنبي الى الارض وكان قوتي بها اجراية المدرسة لا غير قال بعضهم وكان يتصدق منها أيضا ومن قوة يقينه ملازمته لعبة عظيمة في بيته بالرواحية ويراها كل ليلة تخرج اليه ويقدم لها بابا بابا كله حتى ان بعضهم رآه في غفلة وهو يطعمها اللباب فقال له يا سيدي ما هذه وحاف فقال له هذه خلق من خلق الله لا نضر ولا ننفع أسألك بالله أن تكتم ما رأيت ولا تحدث أحدا قال وحفظت التنبيه في أربعة أشهر ونصف وبقية المهذب في باقي السنة قال فلما كانت سنة احدى وخمسين حججت مع والدي وكانت الوقفة بالجمعة وكانت رحلتنا من أول رحمت فاقمت بمدينة النبي صلى الله عليه وسلم نحوا من شهر ونصف قال والده ولما توجهنا للرحيل من نوى أخذته الحمى الى يوم عرفة ولم يتأوه قط فلما هدنا الى نوى ونزل لي دمشق صب عليه العلم صبا قال الشيخ ومرضت بالمدرسة الرواحية فبينا أنا في بعض الليالي في الصفة الشرقية منها وأبو الدي واخوتي وجماعة من أقاربي نائمون الى جنبي اذ نشطني الله تعالى وعافاني من ألمي فاشتاقت نفسي الى الذكر فجعلت أسبح فبينما أنا كذلك بين السر والجهر اذا بشيخ حسن الصورة جميل المنظر يتوضأ على حافة البركة وقت نصف الليل أو قريب منه فلما فرغ من وضوئه أتاني وقال لي يا ولدي لا تذكر الله تشوش علي والدك واخوانك ومن في هذه المدرسة فقلت له يا شيخ من أنت فقال

محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار (قوله بسم الله الرحمن الرحيم) عن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما الاعمال بالنية وفي رواية بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته لى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها وفي رواية ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه رواه امام المحدثين أبو عبد الله محمد بن اسمعيل بن ابراهيم

ابن المغيرة بن بردزبه البخاري الجعفي وأبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري في صحيحيهما اللذين هما أصح الكتب المصنفة * اعلموا اخواني وفقني الله واياكم لطاعته أن بسم الله الرحمن الرحيم كلمة من تحقق بها فاز بجزيل النوال ومن ذكرها بلغ نهاية الآمال ومن لازمها خلعت عليه خلع الاقبال أدبس قلبه حلل الاتصال وأفرد روحه بشهود الجمال واستخلص سره بكشف الجلال فهي كلمة توسل بها نوح ع عليه السلام في الزمن القديم وعادت بركتها على الهدهد فكفى تاجا من السميع العليم وقالت بلقيس يا أيها الملأ اني ألقي الي كتاب كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ولم يقرأها سليمان الا خضم له كل شئ وأمره الله عز وجل يوم أنزلت عليه أن ينادي في أسباط بني اسرائيل ألا من أحب منكم أن يحضر أمان الله فليحضر الى سليمان في محراب داود فانه يريد أن يقوم خطيبا فلم يبق محبوس في العبادة ولا سائح حتى هرول اليه حتى اجتمعت عليه الاحبار والعباد والزهاد والاسباط كلهم عنده فقام فوق منبر ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم ثم تلا عليه أمانة الامان بسم الله الرحمن الرحيم (قال النسفي) رحمه الله في تفسيره قيل ان الكتب المنزلة من السماء الى الارض مائة وأربعة صحف شيث ستون وصحف ابراهيم ثلاثون وصحف موسى قبل التوراة عشرة والتوراة والانجيل والزبور والفرقان ومعاني كل الكتب مجموعة في القرآن ومعاني القرآن مجموعة في الفاتحة ومعاني الفاتحة مجموعة في البسملة ومعاني البسملة مجموعة في بائها ومعنى ما كان وما يكون وما يكون زاد بعضهم ومعاني الباء في نقطتها أي في ذلك اشارة الى الوحدة وهي عدم التعدد فهو الواحد الذي لا نظير له وعدد حروف البسملة الرسمية تسعة عشر حرفا وعدد خزنة النار تسعة عشر خازنا كما قال الله تعالى عليها تسعة عشر (قال) ابن مسعود فمن أراد أن يتجرأ

أنا أصبح للشارد عني فوقع في نفسي انه ابليس فقلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ورفعت صوتي بالتسبيح فاعرض عني ومشى الى ناحية باب المدرسة فتبعته فوجدته متغفلا وفتشتها فلم أجد فيها أحدا غيره من كان فيها فقال والدي ما خبرك فأخبرته فجعلوا يتعجبون وقعدنا نسبح ونذكر * قال ابن العطار وأخبرني الشيخ القدوة ولي الدين أبو الحسين قال مرضت فعادني الشيخ محيي الدين فلما جلس عندي جعل يتكلم في الصبر فلما تكلم جعل الالم يذهب قليلا قليلا حتى زال فعرفت انه ببركته وكان شديد الورع والزهد صابرا على خشونة العيش حتى أن رجلا من أصحابنا قشر خيارة ليطعمها اياها فامتنع من أكلها وقال اخشى أن تورث جشعي وتجلب النوم وكان لا يدخل الحمام وقلع ثوبه نقلاه بعض الطلبة وكان فيه قمل فنهاه وقال دعه وكان تاركا لجميع ملاذ الدنيا ولم يتزوج ولا يأكل في اليوم والليلة الا أكلة واحدة بعد العشاء مما يؤتى به من عند أبويه ولا يشرب الا شربة واحدة عند السحر ولا يشرب المبرد أي الملتي فيه الثلج وكان لا يجمع بين أدمين ولا يأكل اللحم الا عند ما يتوجه الى نوى وكان يلبس ثوب قطن وعمامة صنجابية ولم يتناول نواله دمشق لشبهة فيها قال ابن العطار فسألته عن ذلك فقال دمشق كثيرة الاوقاف وأملاكها من هو تحت الحجر والتصرف وهي لا تجوز الا على وجه الغبطة والناس لا يفعلونها وقال الشيخ تقي الدين السبكي ما اجتمع بعد النابعين بالمجموع الذي اجتمع في النووي ووجد في مجموع بخط الشيخ شمس الدين النووي ان بواب الرواحية حكى وقال ذهب الشيخ في الليل فتبعته فانفتح الباب بغير مفتاح فخرج ومشيت معه خطوات فاذا نحن بمكة فاحرم الشيخ وطاف وسعى ثم طاف وسعى ثم طاف الى أثناء الليل ورجع فشيت خلفه فاذا نحن بالرواحية قال الذهبي وتولى مشيخة دار الحديث الاشرفية بعد موت أبي شامة سنة خمس وستين وفي البلد من هو أسن منه وأعلى سندا فلم يأخذ من معلومها شيأ الى أن مات ولما مرض مرض الموت اشتهى التفاح فجيء له به فشم بأكله فلما مات رآه بعض أهله فقال ما فعل الله بك فقال أكرم نزلي وتقبل عملي وأول اقرائي جاءني التفاح وتوفي في يوم الاربعاء رابع عشري رجب سنة ست وسبعين وستمائة ودفن ببلده طيب الله مضجعه روي انه أنشد أبياتا عند الوفاة منها هذان البيتان وزيد بعدهما

تبا لشرقلبي في قدومي عليهم * وبالسير روحي يوم نسري اليهم
وفي رحلتي يصفو مقامي وجيدا * مقام به حط الرحال لديهم
ولازادني الا يقيني بانهم * لهم كرم يغني الوفود عليهم

واشتهر ان الخضر عليه السلام كان يجتمع به قال بعض الاخيار انه رأى فيما يرى النائم ثوبا كثيرة قال وسمعت ثوبه تضرب فعجبت من ذلك فقلت ما هذا فقيل لي الليلة قطب محيي النووي فاستيقظت من منامي ولم أكن أعرف الشيخ ولا سمعت به قبل ذلك واتفق أني دخلت المدينة يعني في حاجة فذكرت ذلك لشخص فقال الشيخ في دار الحديث في الاشرفية وهو الآن جالس فيها للاسعاد فاستدللت عليها ودخلتها فوجدته جالسا فيها وحوله جماعة فوقع بصره علي فنهض قائما الى جهتي وترك الجماعة ومشى

الله تعالى من الزبانية فليقل اللهم اجعل الله بكل حرف جنة أي وقاية من كل واحد منهم فيحاسبهم بها استظلوا (وقال) أبو بكر الوراق رحمه الله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم روضة من رياض الجنة لكل حرف منها نفسير على حدته (وروى) الطبراني انه لا يدخل أحد الجنة الا يحمل ورقة بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله تعالى لفلان بن فلان أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية (وروى) أنه اذا دخل أهل الجنة الجنة يقولون بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين واذا دخل أهل النار النار يقولون بسم الله الرحمن الرحيم وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم (وفي الاخبار) عن النبي المختار أنه صلى الله عليه وسلم قال ليلة أسري بي الى السماء عرض علي جميع الجنان فرأيت فيها أربعة أنهار نهر من ماء غير آسن ونهر من لبن لم يتغير طعمه ونهر من خمر لذة للشاربين ونهر من عسل مصفى كما قال الله تعالى في القرآن فيها أنهار من ماء الآية فقلت لجبريل من أين تجيء والى أين تذهب قال تذهب الى حوض الكوثر ولا أدري من أين تجيء فاسأل من الله أن يريك ذلك فدعا ربه فجاءه ملك فسلم عليه ثم قال يا محمد غمض عينيك قال فغمضت عيني ثم قال لي افتح عينيك ففتحت عيني فاذا أنا عند شجرة ورأيت قبة من درة بيضاء ولها باب من ذهب أحمر وقيل من زمرذ أخضر ولو أن جميع ما في الدنيا من الجن والانس وقفوا على تلك القبة لكانوا مثل طائر جالس على جبل أو كورة ألقيت في البحر فرأيت هذه الانهار الاربعة تجري من تحت هذه القبة فلما أردت ان ارجع قال لي الملك ألم تدخل القبة فقلت كيف أدخلها وعلى بابها قفل من ذهب وكيف أفتحه قال لي في يدك مفتاحه فقلت أين مفتاحه فقال مفتاحه بسم الله الرحمن الرحيم فلما دنوت من القفل قلت بسم الله الرحمن الرحيم فانفتح القفل فدخلت القبة فرأيت هذه الانهار

ومشى الى طرف ابوانها ولم يتركني اكلمه وقال اكتم ما معك ولا تحدث به احدا ثم رجع الى موضعه ولم اكن رأيته قبلها ولم اجتمع به بعدها وحكى اليافعي في آخر الحكاية الثانية والثلاثين من روض الرياحين فيما بينه ان الشيخ خطف سارق حمامته وهرب فتبعه الشيخ يقفو خطاه ويقول ملكتك اياها قبلت والسارق ما عنده خبر من ذلك وقد افتتح رحمه الله كتابه بقوله * (بسم الله الرحمن الرحيم) * اقتداء بالكتاب العزيز وعملا بقوله صلى الله عليه وسلم كل امر ذي بال أي شأن يهتم به شرعا لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو ابتر وفي رواية اقطع وفي رواية اجذم بالجيم والذال المعجمة وفي بعض الروايات بحمد الله وهو من التشبيه البليغ في العيب المنفر ومعنى الجميع انه ناقص وقليل البركة أو مقطوع عما اوان تم وكمل حسا فلا يرد ما قيل انا نرى كثيرا من الامور التي يبدأ فيها ببسم الله لم تتم ونرى أمورا بالعكس وخرج بذي البال المحرم والمكروه وفي وصف الامر بذي البال فائدتان الاولى رعاية اسم الله حيث يبتدأ به في الامور التي لها بال وشأن وخطر والثانية التيسير على الناس في عدم طلبها في محقرات الامور وأوردان البسملة أمر ذو بال فتحتاج الى بسملة اخرى وتسلسل وأجيب بان المراد الامر الذي يقصد لذاته بحيث لا يكون وسيلة لغيره وأورد عليه طلبها في الوضوء مع انه غير مقصود لذاته دون الصلاة مع كونها مقصودة لذاتها والاولى ان يقال انها كالمحصل البركة لغيرها يحصل مثل ذلك لنفسها أيضا كالشاة من اربعين تزكي نفسها وغيرها والباء للاستعانة متعلقة بمضمر يحتمل أن يكون اسما وان يكون فعلا عاما أو خاصا مقدما أو مؤخرا والاولى ان يكون فعلا وان يكون خاصا وان يكون مؤخرا لما أولوية الفعلية فلان العمل للافعال بالاصالة واما أولوية كونه خاصا فلان التالي لها في كل مخل بعين العامل المحذوف ولذا يضمر كل فاعل ما تحمل التسمية مبدأ له قال الشيخ سعد الدين لا خفاء ان العامل المضمر هو الفعل النحوي والتسمية انما جعلت مبدأ للفعل الحسي ففي الكلام حذف مضاف أي لفظ ما جعلت التسمية مبدأ له اه أي فيضمر المسافر أسافر والآكل آكل واما أولوية التأخير فلان المقصود الاهم البداءة باسمه تعالى ردا على الكفار في ابتدائهم باسماء آلهتهم ولانه أدل على الاختصاص وأورد على أن التقديم للاختصاص قوله تعالى اقرأ باسم ربك فانه لو كان التقديم مفيدا لذلك لوجب أن يؤخر الفعل ويقدم باسم ربك لان كلام الله تعالى أحق برعاية ما تحب رعايته وأجيب بان الاهم فيه القراءة لانها أول ما نزل الى ما لم يعلم فكان الامر بالقراءة أهم باعتبار هذا العارض وان كان ذكر الله أهم في نفسه وبان باسم ربك متعلق باقرأ الثاني ومعنى اقرأ الاول أوجد القراءة من غير اعتبار تعديته الى مقروء كما في فلان يعطي والجواب الاول للزمخشري والثاني للسكاكي قال ابن عادل وفي الثاني نظر لان الظاهر على هذا الجواب أن يكون اقرأ الثاني توكيدا للاول فيكون قد فصل بمعمول المؤكد بينه وبين ما أكده مع الفصل بكلام طويل اه وأجيب عن ذلك بانه لا يمتنع الفصل بين المؤكد والمؤكد ولو بأجنبي ألا ترى ان قوله كلهن توكيد للنون في قوله ولا يحزن مع الفصل بقوله ويرضين بما آتيتهن ويبحث في هذا الجواب بان التأكيد هنا معنوي وما نحن فيه لفظي وربما يجوز

تخرج من أربعة أركان القبة فلما أردت الخروج من القبة قال لي ذلك الملك هل رأيت ما رأيت قال فنظرت ثانيا فلما نظرت رأيت مكتوبا على أربعة أركان القبة بسم الله الرحمن الرحيم ورأيت نهر الماء يجري من ميم بسم الله ونهر اللبن يجري من هاء الله ونهر الخمر يجري من ميم الرحمن ونهر العسل يجري من ميم الرحيم فعلمت ان أصل هذه الانهار الاربعة من البسملة فقال الله تعالى ياأحمد من ذكرني بهذه الاسماء من أمتك ٦ وقال بقلب خالص بسم الله الرحمن الرحيم سقيته من هذه الانهار الاربعة هو ومن قرأتها

انها أربع كلمات والذنوب أربعة ذنوب بالليل وذنوب بالنهار وذنوب بالسر وذنوب بالعلانية فمن ذكرها على الاخلاص والصفاء غفر الله تعالى له الذنوب والجفاء وفضائلها كثيرة أفردتها بمجلس مستقل في كتاب تحفة الاخوان وفي هذا القدر كفاية (قال بعضهم) مدار الاسلام على حديث انما الاعمال بالنيات وحديث الحلال بين والحرام بين وحديث من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد وحديث من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه فكل واحد منها ربع الاسلام (وقال بعضهم) لو صنفت مائة كتاب لبدأت في أول كل كتاب بهذا الحديث أي انما الاعمال بالنيات وهو حديث عظيم كان السلف الصالح يجعلون افتتاح مصنفاتهم به تنبيها للطالب على حسن النية واهتمامه بذلك ولانها من أجل أعمال القلوب والطاعة المتعلقة بها وعليها مدارها (وقال أبو عبيدة) ليس شئ من

في الاول الفصل دون الثاني لانه لما كان التأكيد في اللفظ موافقا للاول في لفظه ومعناه فالفصل بينهما كالفصل بين أجزاء الكلمة ولا كذلك المعنوي وبان الثاني لا يصلح أن يكون توكيدا لان الاول عام والثاني خاص اذ الاول أمر بايجاد القراءة مطلقا والثاني بقراءة مقيدة ونظيره الذي خلق خلق الانسان من علق وكسرت الباء ومن حق الحروف المفردة أن تفتح قال البيضاوي لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر اه قال بعضهم مبينا للتعليل المذكور لاختصاصها من بين حروف الجر بمجموع أمرين كونها لازمة للحرفية وكونها لازمة للجر لا توجد بدونه وفي كل منهما مناسبة للكسر أما الجر فلموافقة حركتها اليها وأما الحرفية فلاقتضائها السكون الذي هو عدم الحركة وكون الكسر بمنزلة العدم لقلته حيث لا يوجد في الافعل ولا في غير المنصرف من الاسماء ولا في الحروف الا نادرا كجير وانما جعلنا المقتضي للعدول الى الكسر اختصاصها بمجموع الامرين ولم يجعل كل واحد منهما مقتضيا على حدته لئلا ينتقض لزوم الحرفية بواو العطف وفائه فانهما لازمان للحرفية ولزوم الجر بكاف التشبيه اذ هي لازمة وان انفكت عن الحرفية فان قيل فكل من واو القسم وتائه لازم للحرفية والجر معا وليس مبنيا على الكسر فلينقض بهما أجيب بان هذه ليست علة الحقيقية وانما هي مناسبات وحكم لا يلزم اطرادها ولا انعكاسها وقال بعضهم ان عملها لم يكن بطريق الاصالة بل بطريق النيابة عن الباء لمجيئها عليها وحذفت الالف من بسم الله لكثرة الاستعمال ولذا لم تحذف من اقرأ باسم ربك وغيره وطولت الباء عوضا عنها ولانهم أرادوا أن لا يقع كلام الله تعالى الا بحرف معظم مطول ولاسم عند البصريين أصله سمو ضم أوله أو بكسره فهو من الاسماء التي حذفت أواخرها لكثرة الاستعمال وبنيت أوائلها على السكون وأدخل عليها مبتدأ بها همزة الوصل لان من دأبهم أن يبتدؤا بالمتحرك ويقفوا على الساكن واشتقاقه من السمو أي بضم السين وكسرها وهو العلو وأما عند الكوفيين فاصله وسم بفتح الواو حذفت الواو وعوض عنها همزة الوصل واشتقاقه عندهم من السمة وهي العلامة وأيد مذهب البصريين بان الحذف من الاواخر أولى قال أبو العباس بن عطاء الباء بره لارواح أنبيائه بالهام الرسالة والنبوة والسين سره مع أهل المعرفة بالهام القدرة والانس والميم منته على المؤمنين بدوام النظر اليهم بعين الشفقة والرحمة وقال أبو بكر بن طاهر الباء بره للعارفين والسين سلامه عليهم والميم محبته لهم وقال جعفر بن محمد الباء بهاؤه والسين سناؤه والميم ملكه واضافته لاجلالة من اضافة العام للخاص والله علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد وأصله عند البصريين اله فدخلت عليه أل فاجتمع همزتان بينهما ساكن غير حصين وهو اللام فصار كأنه اجتمع همزتان فحذفت الثانية ونقلت حركتها للام الساكنة قبلها فاجتمع لامان متحركان فاسكنت الاولى لانه حقها وأدغمت في الثانية وفخم وانما لم تحذف الهمزة لاولى لانها بحالة لسكون اللام وعند الكوفيين لاه فأدخل عليها الالف واللام وأدغم ففخم وأصل لاه لوه تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا وهو أعرف المعارف وحكى ابن جني أن شيبويه رؤي بعد موته في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال خيرا وذكر كرامة عظيمة فقيل له بم فقال

من العراق وقيل سماه بذلك المغيرة بن شعبة وقيل انه رضي الله تعالى عنه قال للناس أنتم المؤمنون وأنا أميركم فسمي بأمير المؤمنين وكان قبل ذلك يقال له يا خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فعدلوا عن تلك العبارة لطولها وكناه النبي صلى الله عليه وسلم بأبي حفص والحفص الاسد وكان سبب ذلك ما رآه فيه من الشدة كما رواه زيد بن أسلم عن أبيه انه قال رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يمسك أذن فرسه باحدى يديه ويمسك الاخرى اذنه ثم يثب حتى يقعد عليه وكان مولده رضي الله عنه بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة وعاش ثلاثا وستين سنة (قال) عبد الله بن مسعود ما كنا نقدر على أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر بن الخطاب فلما أسلم قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه وكان سبب اسلامه ان أخته بنت الخطاب رضي الله عنها زوجة سعيد ابن زيد احد العشرة كانت قد أسلمت هي وزوجها فسمع عمر بذلك فقصدهما ليعاقبهما فقرأت عليه القرآن فاوقع الله في قلبه الاسلام فلما ثم جاء لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار عند الصفا فاظهر اسلامه فكبر المسلمون فرحا باسلامه ثم خرج الى مجامع قريش فنادى باسلامه (قال) عبد الله ابن مسعود كان اسلام عمر فتحا وهجرته نصرا وامارته رحمة للمسلمين ولقب بالفاروق أيضا لقول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه

فقال يقولي ن اسم الله تعالى أعرف المعارف وبه يقيد قول النحاة أعرف المعارف الضمير والمختار انه ليس بمشتق وروى الخليل بن أحمد بعد موته فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لي بقولي في اسمه انه غير مشتق وقيل انه مشتق من أله يأله كعلم يعلم اذا تعبد وقيل اذ تحير لان العقول تتحير في معرفته وفي عظمته وقيل غير ذلك قال بعضهم وحيث ذكر الاشتقاق في أسماء الله فالمراد به ان المعنى ملحوظ في ذلك الاسم والافشرط المشتق أن يكون مسبوقا بالمشتق منه واسماء الله تعالى قديمة لانها من كلامه على ان لا خلاف المذكور انما هو في لفظة الله لا في الجلالة والرحمن الرحيم صفتان مشبهتان بنيتا للمبالغة وفعله رحم بالكسر كغضبان من غضب وهو متعد كرحمك الله والصفة المشبهة انما تبنى من اللازم كظريف وشريف من ظرف وشرف لتنزيل رحم المتعدي منزلة اللازم أو بجعله لازما بنقله الى فعل بالضم والفرق بين ما تنزل منزلة اللازم وما جعل لازما ان الاول متعد للمفعول لكن بقطع النظر عن مفعوله لفظا وتقديرا كما في فلان يعطي ومنه قوله تعالى واذا رأيت ثم رأيت نعيما فرأيت الاول لازم أي أوجدت الرؤية بخلاف ما جعل لازما فانه يعتبر غير متعد ولا مفعول له أصلا والرحمة في اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضل والاحسان وهذا المعنى محال في حقه تعالى فهي في حقه بمعنى الانعام أو ارادته فهي صفة فعل على الاول وصفة ذات على الثاني والرحمن أبلغ من الرحيم لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى كما في قطع وقطع بتخفيف أحدهما وتشديد الآخر وذلك انما يؤخذ تارة باعتبار الكمية أي الافراد وأخرى باعتبار الكيفية أي الصفات فعلى الاول قيل يا رحمن الدنيا لانه يعم المؤمن والكافر ورحيم الآخرة لانه يخص المؤمن وعلى الثاني قيل يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا لان النعم الاخروية كلها جسام واما النعم الدنيوية فجليلة ودقيقة ونقض كون زيادة البناء دالة على زيادة المعنى بحذرفانه ابلغ من حاذر وأجيب بان ذلك أكثري لا كلي وبأن ذلك عند اتحاد نوع المشتقات قال الزمخشري ومما طعن على اذني انهم يسمون مركبا من مراكبهم بالشقدف وهو مركب خفيف ليس فيه ثقل فجاء أهل العراق نقلت في طريق الطائف لرجل منهم ما اسم هذا المحمل اردت المحمل العراقي فقال أليس اسمه الشقدف قلت بلى قال فهذا اسمه الشقدف فزاد في بناء الاسم لزيادة المسمى وانما قدم الرحمن والقياس يقتضي الترقي لتقدم رحمة الدنيا لانه صار كالعلم فلا يوصف به غيره تعالى بل قيل انه علم واما قول الشاعر * وانت غيث الورى لازلت رحمانا * فأجاب عنه الزمخشري بأن ذلك من شدة تعنتهم في كفرهم قال التاج السبكي وهو غير سديد لانه لا يفيد جوابا بل ذكر السبب الحامل لهم على الاطلاق والجواب السديد ان المختص به تعالى هو المعرف باللام دون غيره * (تنبيهان) * الاول قال أبو بكر بن عبد الله المزني الرحمن بنعم الدنيا من المال والاهل والولد والرحيم بنعم الدين من المعرفة والايمان والشهادة وقال جعفر بن محمد الصادق الرحمن للمريدين والرحيم للمريدين وقيل الرحمن بنعمه الباطنة والرحيم بنعمه الظاهرة وقيل الرحمن بالدفع والرحيم بالنفع الثاني نقل الدماميني في حاشية البخاري عن بعض المتأخرين انه قال صفات الله تعالى التي على صيغة المبالغة كرحيم وغفور كلها مجاز اذ هي

وهو الفاروق فرق بين الحق والباطل وكان من أشراف قريش في الجاهلية والاسلام وبه أعز الله الاسلام لقول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم أعز الاسلام بأحب الرجلين اليك عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام يعني أبا جهل وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها وكان شديدا على الكافرين والمنافقين وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الخلفاء الراشدين وأحد اصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد كبراء علماء الصحابة روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة وتسعة وثلاثون حديثا واجمعوا

قلى كثرة علمه وتورعه وفهمه وزهده وتواضعه ورفقه بالمسلمين وانصافه ووقوفه مع الحق وتعظيمه آثار رسول الله صلى
عليه وسلم ومنبره ومتابعته له واهتمامه بصالح المسلمين واكرامه أهل الفضل والخير ومناقبه كثيرة منها قصة سارية الجبل ا
* ومنها ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال أتت زلزلة عظيمة فى زمن عمر حتى كادت الجبال أن تقع على وجه الارض
وذلك عقب الفصل الذى يسمونه ٨ فصل عموا س فضرب عمر الارض بدرته وقال لها اسكنى أما عدل ان لم أكن انا

عدلا فويل لعمر فسكنت
ولم تبت بعدها مثلها
* ومنها ما كتب لنيسل
مصر لما كتب اليه
عمرو بن العاص ان
النيسل لا يزيد زيادته
المعتادة لا ان تاتى فيه
امرأة بكر فامره ان ياتى
فيه كتابه بدل المرأة ومن
جملته وهو مكتوب فيه
انك ان كنت تطلع من
عند الله فاطلع وان
كنت تطلع من عند
نفسك فلا حاجة لنا بك
فطلع ولم تاتى فيه بعد
ذلك امرأة * ومنها ما قاله
ابن عباس رضى الله عنهما
أيضا كانت تاتى نار كل
عام الى المدينة الشريفة
فشكى المسلمون ذلك
لسيدنا عمر فقال لغلامه
خذ هذا الرداء فاذا جاءت
النار فافرده فى وجهها
وقل يا نار هذا رداء عمر
ابن الخطاب فهى ترجع
لوقتها فلما جاءت النار
ضجت المسلمون فاخذ
الغلام الرداء وخرج به
الى ظاهر المدينة وفرده
على وجهه كما أمره سيده
وقال يا نار ارجعى هذا رداء عمر بن الخطاب فرجعت فى الحال ولم تعد ومناقبه لا تحصى وفضائله
لا تستقصى رضى الله عنه (قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول) أى سمعت كلامه لان ذات لا تسمع (انما الاعمال
بالنيات) قال جماهير العلماء لفظة انما موضوعة للحصر تثبت المذكور وتنفى ماسواه فتقدير الحديث ان الاعمال انما تحسب اذا
كانت بنية ولا تحسب اذا كانت بغير نية فلا عمل الا بالنية فقوله انما الاعمال أى الشرعية البدنية أو القولية وافعالها الصادرة من

مرضوعة للمبالغة ولا مبالغة فيها لان المبالغة هى ان تثبت للشئ أكثر مما له وانما يكون ذلك فيما يقبل
الزيادة والنقص وصفاته تعالى منزهة عن ذلك قال وهى فائدة حسنة اهـ ولا شك ان هذا انما يتاتى تعريفا
على ان هذه الاسماء صفات فان قلنا انها اعلام لا يرد ذلك لان العلم لا يقصد مدلوله الاصلى من مبالغة
ولا غيرها الثالث الرحمن الرحيم فيهما سبعة أوجه جائزة رفعهما ونصبهما وخفضهما ورفع الاول مع
نصب الثانى وعكسه وخفض الاول مع رفع الثانى أو نصبه ووجهان ممتنعان رفع الاول أو نصبه مع
خفض الثانى لامتناع الاتباع بعد القطع (فائدة) روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لمن قال اعوذ
الشيطان لا تقل ذلك فانه يتعاظم عنده ولكن قل بسم الله الرحمن الرحيم فانه يصغر حتى يصير أقل من
الذباب وروى ان موسى عليه الصلاة والسلام مرض واشتد وجع بطنه فشكا الى الله تعالى فدله على
عشب فى المفازة فاكله فعوفى باذن الله ثم عاوده ذلك المرض فى وقت آخر فاكل ذلك العشب فازداد
مرضه فكلم ربه فقال يا رب أكلته أولا فانتفعت به وأكلته ثانيا فضرنى فقال له لانك فى المرة الاولى
ذهبت منى الى الكلا فحصل لك الشفاء وفى المرة الثانية ذهبت منك الى الكلا أما علمت ان الدنيا سم
قاتل وترياقها اسمى (الحمد لله) مصدر حمد وهو لغة الوصف بالجميل على الفعل الجميل الاختيارى على
وجه التعظيم سواء كان فى مقابلة نعمة أولا وسواء تعلق بالفضائل أى الصفات التى لا يتعدى أثرها للغير
كالحسن واللطافة أم بالفواضل أى الصفات المتعدى أثرها اليه كالانعام والتعظيم والشجاعة وعلم من
قولنا الوصف انه لا يكون الا بالكلام لان الوصف قول الواصف فورد أى مجيء خاص ومتعلقه أى
السبب الباعث اليه عام ولا حاجة لزيادة على وجه التعظيم لان من أثنيت عليه بجميل صفاته فقد
عظمته ولا حاجة فى قوله تعالى ذق انك أنت العزيز الكريم لخروج ذلك بالجميل اذ لم يكن صفة الكافر
اذ ذاك العز والكرم بل ضدهما وهو الذل والاهانة وأورد على قيد الاختيار وصفه تعالى بصفاته الذاتية
كالعلم والقدرة والارادة لان تلك الصفات ليست بافعال ولا يوصف ثبوتها بالاختيار وأجيب بانها
لما كانت مبدأ لافعال اختيارية كان الحمد عليها باعتبار تلك الافعال وانما الحمد عرفا هو فعل ينبئ عن
تعظيم المنعم بسبب كونه منعما سواء كان ذلك الفعل قولا باللسان بان يثنى عليه به أو اعتقادا بالقلب
بان يعتقد اتصافه بصفات الكمال أو عملا وخدمة بالاركان والجوارح بان يجهد نفسه فى طاعته فورد
عام وهو اللسان وغيره ومتعلقه خاص وهو النعمة وهذا هو الشكر لغة وأما اصطلاحا فهو صرف العبد
جميع ما أنعم الله به عليه من السمع والبصر وغيرهما الى ما خلق لاجله من الطاعات كان يصرف البصر
الى الاطلاع على ما فى مصنوعاته من دقائق الصنع العجيب والحكمة الانيقة ويصرف القلب الى
التفكر فيها والاستدلال بها على وجود الصانع وصفاته بان يستدل بوجود الاثر على وجود المؤثر وبانتفاء
الاثر واحكامه على عدم المؤثر وقدرته وكان يصرف السمع الى تلقى ما ينبئ عن مرضاته عن الاوامر
والنواهى وقس على ذلك سائر النعم الظاهرة والباطنة ولعز هذا المقام قال تعالى وقليل من عبادى
الشكور وأل فى الحمد للاستغراق وقيل للجنس * وحكى عن الشيخ أبى العباس المرسى نفعنا الله به انه

المؤمنين بالنيات جمعت النية وان كانت مصدرا لقصد التنويع اذ المصدر لا يجمع الا باعتبار الانواع وهنا لما قابلت الاعمال وكان كل عمل له نية جمعت باعتبار عمل العاملين ومقاصد الناوين ومعناها اللغة القصد وشرعا قصد الشئ مقترنا بفعله فان تراخى عنه سمى عزما والكلام على أحكامها مبسوط فى كتب الفقه ثم اعلم أن الحصر فيما ذكر أكثرى لا كلى اذ قد يصح العمل بلا نية كالاذان والقراءة كما يصح ترك العمل بدونها كترك الزنا وان افتقر حصول الثواب ٩ فيه الى النية بان يقصد بترك الزنا امتثال الشرع وازالة النجاسة من قبيل الترك وللعلماء فى هذا المحل كلام طويل وانما غرضنا الفائدة والتقريب للافهام (قوله صلى الله عليه وسلم وانما لكل امرئ ما نوى) أى جزاؤه ان خيرا فخير وان شرا فشر فنية المؤمن خير من عمله واخلاص النية لله تعالى لم يزل شرعا عاما لمن قبلنا ثم لنا ومن بعدهم قال الله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا قال أبو العالية وصاهم بالاخلاص لله تعالى وعبادته لا شريك له وينبغى لمن أراد فعل شئ من الطاعات أن يستحضر النية فينوى به وجه الله تعالى فالنية رأس الاعمال كلها وهى الاساس وعلى الاساس قواعد البنيان فمن فتح على نفسه باب حسنة فتح الله عليه سبعين بابا الى التوفيق ومن فتح على نفسه باب سيئة فتح الله عليه سبعين بابا الى

قال قلت لابن النحاس النحوى ما تقول فى الالف واللام من الحمد لله أجنسية هى أم عهدية فقال ياسيدى قالوا انها جنسية فقلت له الذى أقول انها عهدية وذلك ان الله تعالى لما علم عجز خلقه عن كنه حمده حمد نفسه بنفسه من الازل نيابة عن خلقه قبل أن يحمدوه ثم أمرهم أن يحمدوه بذلك الحمد فقال ياسيدى أشهد أنها عهدية وهو معنى حسن وقدم الحمد على الجلالة لاقتضاء المقام مزيد اهتمام به وان كان ذكر الله أهم فى نفسه كما مر فى اقرأ باسم ربك واختار المصنف الجملة الاسمية لانها مفتتح الكتاب العزيز ولانها تدل على الدوام والثبوت فان قيل حمد العباد حادث والله تعالى قديم ولا يجوز قيام الحادث بالقديم فما معنى حمد العباد له تعالى فالجواب ان المراد به تعلق الحمد ولا يلزم من التعلق القيام كتعلق العلم بالمعلوم وجمع بين الابتداء بالبسملة والحمدلة عملا بالروايتين السابقتين واشارة الى انه لا تعارض بينهما اذ الابتداء حقيقى واضافى فالحقيقى حصل بالبسملة والاضافى بالحمدلة وقدم البسملة عملا بالكتاب والاجماع * (تنبيهات) * الاول اختلف فى الفاضل من الحمد فقيل الحمد لله بجميع محامده كلها ما علمت منها وما لم أعلم على جميع نعمه كلها ما علمت منها وما لم أعلم زاد بعضهم عدد خلقه كلهم ما علمت منهم وما لم أعلم وقيل اللهم لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وقيل الحمد لله حمدا يوافى نعمه ويكافئ مزيده وفى رواية الحمد لله رب العالمين حمدا يوافى الخ وقيل ليس كمثله شئ وينبنى على ذلك فرع وهو ما اذا حلف المكلف ليحمدن الله بافضل المحامد ومن أراد أن يخرج من الخلاف فليحمدن الله بجميعها وسيأتى فى الحديث الثالث والعشرين شئ من هذا أيضا ولو حلف ليثنين على الله عز وجل أحسن الثناء يقول لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وزاد بعضهم ذلك الحمد حتى ترضى الثانى قال ابن ناجى الحمد لله ثمانية أحرف وأبواب الجنة ثمانية فمن قالها فتحت له أبواب الجنة الثمانية الثالث قال ابن عطية اختلف العلماء هل الافضل قول العبد الحمد لله رب العالمين أو قوله لا اله الا الله فذهبت طائفة الى الاول لان فى ضمنه التوحيد ففى قوله الحمد لله توحيد وحمد وفى قوله لا اله الا الله توحيد فقط واحتجوا بما روى من حديث أبى هريرة وأبى سعيد رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله كتب له عشرون حسنة وحط عنه عشرون سيئة ومن قال الحمد لله رب العالمين كتب له ثلاثون حسنة وحط عنه ثلاثون سيئة وذهبت طائفة الى الثانى لانها تنفى الكفر وعليها يقاتل الخلق واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم مفتاح الجنة لا اله الا الله قال ابن عطية بعد أن اختار هذا والحاكم بذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم افضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى لا اله الا الله وحده لا شريك له (رب) يحتمل معانى ثلاثة الاول كونه اسم فاعل وأصله رابب ادغمت احدى الباءين فى الاخرى وحذفت ألفه لكثرة الاستعمال ورد بانه خلاف الاصل الثانى صفة مشبهة وأصله ربب على وزن فعل الثالث كونه مصدرا بمعنى أصل التربية وهى تبليغ الشئ شيئا فشيئا الى الحد الذى أراده المربى ثم سمى به السيد المطاع ومنه قوله تعالى أذكرنى عند ربك أى عند سيدك والمعبود ومنه رب الله والمالك ومنه قوله تعالى رب

الحد الان فباب الحسنة من حسن النية وباب السيئة من سوء النية فاذا نوى العبد خيرا أثيب عليه وان لم يفعله كما فى مسند أبى يعلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى للحفظة يوم القيامة اكتبوا لعبدى كذا وكذا من الاجر فيقولون يا رب لم نحفظ ذلك ولا هو فى صحيفته فيقول الله تعالى انه نواه (وحكى) عن أخوين كان أحدهما عابدا والآخر مسرفا على نفسه وكان العابد ينهى أخاه عن ما هو فيه فكان لا ينتهى يوما بعد يوم فظهر له ابليس يوما وقال له وأسفاه عليك ضيعت عمرك أربعين سنة فى قبح

يغسلك وأثياب بدنك وقد بقي في عمرك مثل ما مضى فاطلق نفسك في شهواتها فقال العابد في نفسه لعلي أنزل الى أخي في أسفل الدار وأوافقه على الاكل والشرب واللذات عشرين سنة ثم أتوب وأعبد الله في العشرين التي تبقى من عمري فنزل على نية ذلك وأما أخوه المسرف فانه استيقظ من سكره فوجد نفسه في حالة رديئة قد مال على ثيابه وهو مطروح على التراب وفي الظلام فقال في نفسه قد أفنيت عمري في المعاصي وأخي بلذاذ ١٠ بطاعة الله تعالى ومناجاته فيدخل الجنة بطاعة ربه وأنا بالمعاصي أدخل النار ثم عقد التوبة ونوى الخير والعبادة وطلع يوافق أخاه على عبادة الله تعالى فطلع على نية الطاعة ونزل أخوه على نية المعصية فزلت رجله فسقط على أخيه فوقعا ميتين فحشر العابد على نية المعصية وحشر العاصي على نية التوبة والطاعة فينبغي للعبد أن يحسن نيته (وقد حكي) أيضا ان العبد يؤتى به يوم القيامة ومعه حسنات كأمثال الجبال فينادي منادٍ من كان له عند فلان حق فليأت له وليأخذ حقه منه فيأتي الناس فيأخذون حسناته حتى لم يبق له حسنة فيصير حيران فيقول الله تعالى له عبدي ان لك عندي كنوزا لم يطلع عليه أحد من خلقي فيقول يارب وما هو فيقول نيتك التي كنت تنوي بها الخير كتبتها لك عندي سبعين ضعفا (وحكي) أيضا انه يؤتى بالعبد يوم القيامة فيدفع له كتاب فيأخذه بيمينه فيجد فيه حجا وجهادا وصدقة ما فعلها فيقول يارب ليس هذا كتابي وهو فاني ما فعلت شيا من ذلك فيقول الله تعالى هذا كتابك لانك عشت عمرا طويلا وأنت تقول لو كان لي مال حججت منه لو كان لي مال تصدقت منه فعرفت ذلك من صدق نيتك وأعطيت ثواب ذلك كله فيا اخواني من نوى شيا حصل له فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم نية المؤمن خير من عمله يقال انه ورد في سبب وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم وعد بثواب على حفر بئر فنوى عثمان رضي

السموات والارض وقوله صلى الله عليه وسلم لرجل أرب ابل أنت أم رب غنم فقال من كل آتاني الله فاكثر وأطيب وقول صفوان لاني سفيان لان يربني رجل من قريش أحب الي من أن يربني رجل من هوازن والمعبود ومنه قول الشاعر

أرب يبول الثعلبان برأسه * لقد ذل من بالت عليه الثعالب

والثابت ومنه قولهم رب بالمكان وأرب به أي اقام والمربي ومنهم الربانيون سموا بذلك لتمسكهم بالرب أولانهم يربون المتعلمين بصغار العلم قبل كباره أي بالتدريج ولما مات ابن عباس قال محمد بن الحنفية مات رباني هذه الامة والمصلح ومنه الحديث ألك نعمة تربها أي تصلحها وقيل سمي الربانيون بذلك لقيامهم بالكتب واصلاحهم لها وبصح اطلاقه بالمعاني الخمسة على الله تعالى الا أنه بالثلاثة الاول من صفات الذات وبالباقي من صفات الفعل ويطلق على الصاحب ومنه قوله تعالى حكاية عن سيدنا يوسف انه ربي أحسن مثواي وذكر الحسن بن الفضل ان في الرب قولا شاذا وهو ان الرب بمعنى الثابت من قولهم رب المكان وأرب به وألب به وفي الحديث أنه كان يتعوذ بالله من فقر رب أو ملب قال * رب بارض ماتخطاها غنم * واعلم ان وجوه تربيته تعالى لخلقه لا يحيط بها غير سبحانه وتعالى فمنها تربيته النطفة اذا وقعت في الرحم حتى تصير علقة ثم تصير مضغة ثم يصير منها عظاما وعضافير ورباطات وأوتارا وأوردة وشرايين ثم يتصل بعضها ببعض ثم يصير في كل قوة خاصة كالبصر والسمع والنطق كذا في ابن حجر وقوله عضافير بالضاد المعجمة جمع عضفور وهو الاين من العظم وأصلب من غيره أي سائر الاعضاء ومنفعته ايصال العظام بالاعضاء اللينة اذ لا يتأتى اللين بمجاورة الصلب بلا واسطة ويلية العصب وهو جسم أبيض لدن اين صعب الانفصال للدنه سهل الانعطاف للينه ومنفعته اتمام الحس والحركة للاعضاء والرباطات جمع رباط وهو جسم يشبه العصب لا حس له والاوتار جمع وتر وهو جسم ينبت من أطراف اللحم شبه المفصل وعباوة القانون شبه العصب يصل بين العظام اذ لا يمكن اتصالها بالعصب للطفه وصلابتها ولا بمع الرباط لعدم زيادة حجمه بزيادة تبلغ ذلك والاوردة جمع وريد وهي العروق غير الضوارب ونباتها من الكبد ومنفعتها توزيع الدم على الاعضاء والشرايين جمع شريان بكسر المعجمة وسكون الراء وتحتية ونباتها من القلب ومنفعتها ترويح القلب ونفض البخار عنه وهي العروق الضوارب اه ملخصا من شرح النقاية للجلال السيوطي ويختص المحلى بال دون المضاف بالله تعالى وقول الجاهلية للملك من الناس الرب من كفرهم قال القرطبي في تفسير سورة الفاتحة متى دخلت الالف واللام على رب اختص بالله تعالى لانها للعهد وان حذفتا صار مشتركا بين الله تعالى وبين عباده اه وهو مخالف لقول البيضاوي ولا يطلق على غيره لا مقيدا كقوله ارجع الى ربك فان قضية الاول ان الممنوع منه انما هو المعرف فقط وأما المنكر فلا منع منه وان لم يكن مقيدا وقضية الثاني منع المنكر أيضا حيث لم يقيد وهو الذي يصار اليه قال بعضهم وفي لفظ رب خصوصية لا توجد في غيره من أسمائه تعالى وهي انك اذا قرأته طردا كان من أسماء الله تعالى واذا قلبته كان من أسماء الله تعالى وهو

الله عنه أن يحفر هافسبق اليها كافر فحفرها فقال النبي صلى الله عليه وسلم نية المؤمن يعني عثمان خير من عمله يعني الكافر ويقال ان النية المجردة من المؤمن خير من عمله المجرد عن النية (وذكر بعضهم) ان العمل بالنية تحته فردان عمل ونية فالقصد وقع لاحد الفردين لان في كل منهما أجرا وأجر النية أكثر من أجر العمل الواقع بلا نية (وقال بعضهم) ان نية المؤمن تبلغ الى حيث لا يبلغ العمل لان نيته أن يعبد الله تعالى ولو عاش ألف سنة وعمله لا يبلغ ذلك وهذا الحديث ١١ رواه الطبراني في المعجم (قوله

صلى الله عليه وسلم فمن كانت هجرته الى الله ورسوله) أي نية وقصدا (فهجرته الى الله ورسوله) حكما وشرعا (قوله ومن كانت هجرته الى دنيا) بضم الدال وبالقصر بلا تنوين هي هذه الدار التي نحن فيها سميت بذلك لدنائها وسبقها الآخرة وهي دار الهموم والاحزان والاكدار والتعب والنصب ترفع الجاهل وتضع العالم كما قال بعضهم

عتبت على الدنيا لرفعة جاهل
وخفض لذي علم فقالت خذ العذرا
بنو الجهل أبنائي لهذا رفعتهم
وأهل التقى أبناء ضرتي الاخرى
أأترك أولادي يموتون ضيعة
وأرضع أولادا لضرتي الاخرى

وفي حقيقة الدنيا قولان للمتكلمين أحدهما اما على وجه الارض من الهواء والجو وثانيهما كل المخلوقات من الجواهر والاعراض الموجودة قبل الدار الآخرة (قوله يصيبها) أي يحصلها اشبه تحصيل الدنيا اصابة الغرض بالسهم بجامع حصول المقصود وقوله (أو امرأة ينكحها) أي يتزوجها كما في رواية وخصت بالذكر مع دخولها في دنيا لانها فتنة عظيمة ففي الحديث ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء ولان سبب ورود هذا الحديث ان رجلا هاجر الى المدينة بنية أن يتزوج بامرأة يقال لها أم قيس فسمي مهاجر أم قيس وقد خرج في الظاهر للهجرة وفي الباطن لاجل المرأة فالهجرة الباطن خلاف

فما ظهر استحق العتاب واللوم ويقاس به من فعل مثله وقوله (فهجرته الى ما هاجر اليه) جواب لقوله من والمهجرة نعلة من الهجر وهو لغة الترك والمراد هنا ترك الوطن الى غيره لان المقصود الهجرة من مكة الى المدينة وبالجملة فحكم الهجرة من دار الكفر الى دار الاسلام مستمر على التفصيل المذكور في كتب الفقه وقد تعاطى الهجرة على هجرة ما نهى الله عنه فقد نبت في الحديث المجاهد من جاهد نفسه والمهاجر من هجر ١٢ ما نهى الله عنه فيهجر الانسان الارض التي يغلب على أهلها أكل الحرام ويهجر البلد التي يسب فيها العلماء والصلحاء وأما هجر المسلم أخاه فوق ثلاثة أيام بغير ام الا من عذر وله زوجه هجرزوجته في مضجعها اذا تحقق نشوزها فانظر يا أخي ما اشتمل عليه هذا الحديث من المحاسن وقد رواه اماما المحدثين أبو عبد الله محمد بن اسمعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه بباء مفتوحة وراء ساكنة ودال مهملة مكسورة وزاي ساكنة وباء مفتوحة وهاء البخاري ومسلم رضي الله تعالى عنهما في صحيحيهما اللذين هما أصح الكتب المصنفة مناقبهما كثيرة شهيرة لا تطيل بها وفي كلام البخاري شعرا اغتنم في الفراغ فضل ركوع فعسى أن يكون موتك بغته كم صحيح رأيت من غير سقم ذهبت نفسه الصحيحة فلته

(خاتمة المجلس) اخواني من كان عاقلا ويعلم انه ميت فانه يرضى في الدنيا بالقوت فيها يناسب أي ذلك ويشتغل بعمل الآخرة فان الآخرة هي دار القرار والدنيا دار الفناء قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قد ارتحلت الدنيا مدبرة والآخرة مقبلة فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فان اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل (وروى) ان النبي صلى الله عليه وسلم كان جالسا في المسجد اذ دخل عليه رجل أبيض اللون حسن الشعر عليه ثياب بيض فسلم على النبي صلى

السموات والارضين بقيامهما وموجدهما وحافظهما وقال عبد القاهر ان أخذنا القيوم من معنى القيام على النفوس بارزاقها وآجالها والجزاء لها على اكتسابها كما قال عز وجل أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت كان من أوصافه المشتقة من أفعاله ولم يكن من صفاته الازلية وان أخذناه من معنى الدائم لقوله عز وجل الا ما دمت عليه قائما أي مواظبا مديما القيام كان من صفاته الذاتية لانه يكون من معنى الباقي وبقاؤه صفة أزلية اه وفيه أربع لغات قيوم بتشديد الياء وقيوم بالهمزة وقيم وقيام وبهما قرئ شاذا * (السموات) * جمع سماء وهي الجرم المعهود وتطلق على كل مرتفع وقدمها الشرفها وعلو مكانها وجمعها لتباين أجناسها قال الاستاذ القشيري الاولى موج مكفوف والثانية من النحاس والثالثة من الفضة والرابعة من الذهب والخامسة من الياقوت والسادسة من الزمرد والسابعة من النور والعرش من جوهرة خضراء والكرسي من النور وقال الربيع بن أنس السماء الدنيا موج مكفوف والثانية مرمرة بيضاء والثالثة من حديد والرابعة من نحاس والخامسة من فضة والسادسة من ذهب والسابعة من ياقوتة حمراء وجاء عن سلمان الفارسي لكن اسندوه السماء الدنيا من زمردة خضراء والثانية من فضة والثالثة من ياقوتة حمراء والرابعة من درة بيضاء والخامسة من ذهب والسادسة من ياقوتة خضراء والسابعة من نور * (والارضين) * بفتح الراء وقد تسكن جمع أرض مؤنثة وكان حق الواحد منها أرضة لكن لم يقولوه وجمعها بالياء والنون شاذ قيل واذا اجتمعت جمع العقلاء جبر النقص بعدم ظهور علامة التأنيث فيها وهي مشتقة من أرضت القرحة اذا انبعث فسميت أرض الانسان بها ولا عبرة بقول من قال سميت أرضا لانها ترض بالاقدام لان الرض مكرر والضاد ولا همزة فيه وجمعها وان كان خلاف ما في الآيات لرعاية الفواصل والا شعار بان الاصح انهن سبع لقوله تعالى ومن الارض مثلهن أي في العدد لا في الهيئة والشكل فقط فهي سبع طباق بين كل طبقتين كما بين السماء والارض خلافا للضحاك الذي زعم انه لا فتق فيها وبدل لكونها اتسع طباق الحديث المتفق عليه من ظلم قيد بكسر القاف أي قدر شبر من أرض طوقه من سبع أرضين وزعم ان المراد من سبع أقاليم خروج عن الظاهر لغير دليل ولا وجه لتحمل شبر لم يأخذه ظلما بخلاف طباق الارض فانها تابعة ملكا وغصبا وفي حديث البيهقي اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الارضين السبع وما اقللن وانما افردت في القرآن لاتحاد جنسها وهو التراب وذكر بعضهم أن الحكمة في افرادها في القرآن ثقل جمعها اللفظا وخص السموات والارضين بالذكر لان المقرو المنكر يعترف بهما لقوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فان قلت ما الحكمة في خلق السماء بغير عمد ومع الحكمة في خلقها قبل الارض فالجواب كما قال النسابوري خلقها قبل الارض ليعلم ان فعله خلاف أفعال الخلق لانه خلق أولا السقف ثم الاساس ورفعها على غير عمد ليدل على قدرته وجعل لها سبعة أبواب باب المطر وباب الرزق وباب التدبير وباب تنزل منه الملائكة والروح وباب صعود الاعمال وباب تنزل منه الملائكة بالبشارة كما قال تعالى تتنزل عليهم الملائكة وباب الرحمة فان قيل لم جعلها خضراء ومن

الله عليه وسلم فرد عليه السلام ثم سأله عن الدنيا فقال الدنيا كحلم النائم وأهلها مجازون ومعاقبون فقال فما الآخرة فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم الآية فريق في الجنة وفريق في السعير فقال يا رسول الله ما الجنة فقال أن تترك الدنيا طالب نعيمها أبدا قال فما خير هذه الأمة قال الذي يعمل بطاعة الله قال فكيف يكون فيها الرجل قال مشمرا كطالب القافلة قال فكم القرار فيها قال كالمتخلف عن القافلة قال فكم بين الدنيا والآخرة قال غمضة عين قال فذهب الرجل فلم يره أحد ١٣ فقال الرسول صلى الله عليه وسلم هذا جبريل أتاكم يزهدكم في الدنيا (قال ابن عباس) رضي الله عنهما يؤتى بالدنيا يوم القيامة على صورة عجوز شمطاء زرقاء أنيابها بارزة لا يراها أحد الا كرهه رؤيتها فيقال لهم هل تعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من هذه فيقال لهم هذه الدنيا التي تفاخرتم بها وتقاتلتم عليها

(وفي كتاب المنبهات) لا تحبوا الدنيا فانها ليست بدار المؤمنين ولا تصاحبوا الشيطان فانه ليس برفيق المؤمنين ولا تؤذوا أحدا فليس ذلك بحرفة المؤمنين فيما من بين يديه أهوال الحساب والصراط فاقلل الوفاء يا كثير الغدر والانبساط يا متكاسلا في طاعة مولاه وفي لذات هواه في نشاط يا مبارزا مولاه بالمعاصي أسرفت في الافراط يا ضعيفا عن حمل أثوابه كيف تقوى على حمل السياط فارفع يديك معي وقل الهي بحق كرمك استعملنا في جميع الطاعات ووفقنا لما تحب وترضى في جميع الاوقات واغفر لنا بجودك يا ذا الجود جميع الزلات وأيقظنا بحياة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم من سنة الغفلات وارزقنا التيقظ فيما بقي والتذكر لما قد فات وسلمنا في الدارين من جميع الآفات آمين آمين آمين والحمد لله رب العالمين * (المجلس الثاني في الحديث الثاني) * الحمد لله الذي بعث نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للانام واختصه بشريعة سمحة مشتملة على الحكم والاحكام وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك القدوس السلام

أي شئ خضرتها قيل انما جعلها خضراء لتكون أوفق للبصر لان الاطباء يأمرون بادمان النظر الى الخضرة ليكون قوة للبصر قال الغزالي رحمه الله تعالى وفي النظر الى السماء عشرة فوائد منها انه يعرف ويذهب السوداوي يقوى البصر وزينة للناظرين وعندك من الانشراح بقدر ما في بيتك من السماء وأما خضرتها فقيل من جبل ق لانه من زمرد أخضر وهو خلف مغيب الشمس بسنة وخضرة السماء منه وقيل خضرتها من الصخرة التي تحت الارض السفلى تحت النون المشار له بقوله تعالى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الارض يأت بها الله وجعل الله الشمس طباخة للثمار والفواكه ولولا الشمس ما نبت زرع ولا خرجت فواكه وجعلها تطبخ من فوق والناس يطبخون بالنار من تحت وجعل القمر طباخا لسائر أنواع الفواكه وجعل الله في الشمس من الخواص انها تذبل الورد وتجفف القصب والورق وتجمد الملح وترطب بدن الانسان اذا نام في الشمس وتجعل الماء حارا والبطيخ باردا وتبيض الثياب وتسود وجوه القصارين * (تنبيه) * الارض العليا أفضل مما تحتها لاستقرار ذرية آدم فيها ولانتفاعنا بها ودفن الانبياء بها وهي مهبط الوحي وغيره من الملائكة قاله في كشف الاسرار ونقل عن بعضهم ان السماء الدنيا أفضل مما سواها لقوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح قال الجلال السيوطي قلت ورد الاثر بخلافه أخرج عثمان بن سعيد الدارمي في كتاب الرد على الجهمية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال سيد السموات السماء التي فيها العرش وسيد الارضين التي نحن عليها وقد رقم للعلامة السيوطي رحمه الله تعالى سؤال صورته

يا عالم العصر لازالت أنامله ... تهمي وجودكم نام مدا الزمن
فقد سمعت خصاما بين طائفة ... من الافاضل أهل العلم واللسن
في الارض قد خلقت قبل السماء وهل ... بالعكس جاء أثر يا نزهة الزمن
فمنهم قال ان الارض منشأة ... بالخلق قبل السما قد جاء في السنن
ومنهم من أتى بالعكس مستندا ... الى كلام امام ماهر فطن
أوضح لنا ما خفي من مشكل وأبن ... نجاك ربك من وزر ومن محن
ثم الصلاة على المختار من مضر ... ماحي الضلالة هادي الخلق للسنن

(فأجاب رحمه الله تعالى بما صورته)

الحمد لله ذي الافضال والمنن ... ثم الصلاة على المبعوث بالسنن
الارض قد خلقت قبل السماء كما ... قد قصه الله في حم فاستبن
ولا ينافيه ما في النازعات أتى ... قد حوها غير ذاك الخلق للفطن
فالخبر أغنى ابن عباس أجاب بذا ... لما أتاه به قوم ذوو السنن
وابن السيوطي قد خط الجواب لكي ... يعجو من النار والآثام والفتن

قال القاضي عياض وليس في غلظ الارض وطبقاتها وما بينهما حديث ثابت ثم ان الارض وردت في

وأشهد أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله أفضل الأنام ومصباح الظلام ورسول الملك العلام صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه السادة الكرام وسلم تسليما كثيرا دائما الى يوم الدين آمين * (عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس الى النبي صلى الله ١٤ عليه وسلم فأسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرني عن الاسلام

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام ان تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا قال صدقت فعجبنا منه يسأله ويصدقه قال فأخبرني عن الايمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت قال فأخبرني عن الاحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال فأخبرني عن الساعة قال ما المسؤل عنها بأعلم من السائل قال فأخبرني عن أمارتها قال ان تلد الامة ربتها وأن ترى الحفاة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان ثم انطلق فلبث مليا ثم قال يا عمر أتدري من السائل قلت الله ورسوله أعلم قال فانه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم رواه مسلم) * اعلموا اخواني وفقني الله وايا كم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم رواه الامام مسلم بهذا اللفظ والبخاري عن أبي هريرة بمعناه وهو عظيم الموقع والجلالة وقد اشتمل على جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة (قوله قال بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد) يستفاد من مطلوعه على تلك الوقفة الحسنة استحباب التجمل لطالب العلم وللمقدوم على الغير وهو

القرآن لمعان الاول أرض الجنة كقوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الارض يعني أرض الجنة والثاني الارض المقدسة بالشام كقوله تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها يعني الارض المقدسة الثالث أرض المدينة خاصة كقوله تعالى في العنكبوت يا عبادي الذين آمنوا ان أرضي واسعة فاياي فاعبدون يعني أرض المدينة الرابع أرض مكة خاصة كقوله تعالى في الرعد أولم يروا انا نأتي الارض ننقصها من أطرافها قال بعضهم يعني ذهاب العلماء الخامس أرض مصر كقوله تعالى في يوسف اجعلني على خزائن الارض وكذا قوله وكذلك مكنا ليوسف في الارض يعني أرض مصر السادس أرض العرب كقوله تعالى في المائدة أو ينفوا من الارض وكقوله تعالى في الكهف ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض يعني أرض العرب السابع جميع الارضين كلها كقوله تعالى في هود وما من دابة في الارض الا على الله رزقها * (مدبر) * أمور (الخلائق) جمع خليقة بمعنى مخلوقة وترد بمعنى الخلق والطبيعة ومنه * وان تك قد ساءتك مني خليقة * البيت وبمعنى الجدير قال الشاعر * خليقته بكل مدح خليقة * أي طبيعته بكل مدح جدير والمراد الاول أي مصرف أمور الخلق بقدرته على وفق مشيئته من ايجاد واعدام واعطاء ومنع وغير ذلك على ما تقتضيه حكمته البالغة ولا يحسن ان يقال مدبر الخلائق على حسب ما تقتضيه المصلحة لان في الخلق من عاقبتهم النار وهم الكفار الا أن يراد تدبير الخلائق في الدنيا فيصح لان عموم رحمته تعالى اقتضت افاضة المصالح الدنيوية على المؤمن والكافر وأما جعل الخلائق على انه جمع خليقة بمعنى الخلق والطبيعة فهو خلاف الظاهر والتدبير في صفات البشر التفكر في عواقب الامور قال الله عز وجل أفلا يتدبرون القرآن ومعناه أفلا يتفكرون في معانيه يقال تدبرت الامور اذا تفكرت في عواقبها ولا يوصف الاله سبحانه وتعالى بالتفكر في الامور فانه لم يزل عالما بها قبل وقوعها واختلفوا في تأويل قوله عز وجل في صفة الملائكة فالمدبرات أمرا فمنهم من قال معناه انها تأتي بالتدبير من عند الله عز وجل ومنهم من قال معناه انهم يحدثون بالوحي عن الله عز وجل قال أبو عبيد يقال دبرت الحديث أي حدثت به عن غيري فالمدبرات أمرا المحدثون عن الله عز وجل بأمره ونهيه واخباره وفي الحديث أما سمعت غن معاذ بن جبل تدبره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما جمع الخلائق ليعلم ان التدبير اليه في العالم العلوي والسفلي من أعلى العرش الى ما تحت الثرى لا يشغله شأن عن شأن قال الله عز وجل يدبر الامر من السماء الى الارض فان قيل اذا كان تدبير الاله نافذا في السماء والارض وما بينهما فلم انتهى التدبير الى الارض في الذكر فالجواب ان الى بمعنى مع كما في قوله تعالى الى المرافق وفي قوله من أنصاري الى الله فهو من باب دخول الحد في المحدود فهو المدبر للارض والسماء وما بينهما * (أجمعين) * تأكيد ناص على شمول تدبيره سبحانه وتعالى لكل مخلوق أو أتى به للتسجيع (باعث) أي مرسل لطفا منه وفضلا منه تعالى لا وجوبا خلافا للمعتزلة مشتق من البعث وهو الارسال كما في قوله تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا وقوله ثم بعثناهم من بعده رسلا ويطلق بمعنى النشر والاحياء بعد الموت ومنه قوله عز وجل فاماته الله مائة عام ثم بعثه وقوله ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون

كذلك قال أبو العالية كان المسلمون اذا تزاوروا يتجملوا وقال النبي صلى الله عليه وسلم أحسن ما زرتم به الله في قبوركم ومساجدكم البياض وقال ابن عبد السلام لا بأس بلباس شعار العلماء ليغر فوا بذلك فيسئلوا فاني كنت محرما فانكرت على جماعة محرمين لا يعرفونني ما أخلوا به من آداب الطواف فلم يقبلوا فلما لبست ثياب الفقهاء وأنكرت عليهم ذلك سمعوا وأطاعوا فاذا لبسه المثل ذلك كان فيه أجر لانه سبب لامتثال أمر الله والانتهاء عما نهى الله عنه قال العلماء ١٥ ويكره لبس الثياب الخشنة لغير غرض شرعي قيل ان الحسن جذب فروقا فأخذ بكسائه وقال له يا فرقد يا فريقد يا ابن أم قريقد ان البر ليس في لبس هذا الكساء انما البر ما وقر في الصدور وصدقه العمل (قوله حتى جلس) أي جاء حتى جلس قريبا منه وقوله (الى النبي صلى الله عليه وسلم) لم يقل بين يديه قيل لان حاله يدل على انه لم يجئ متعلما وانما جاء معاما وقوله (فاسند ركبتيه الى ركبتيه) ظاهره انه جلس بين يديه وهو كذلك اذ لو جلس الى جانبه لما أمكنه الاسناد ركبة واحدة وهو غير جلوس المتعلم بين يدي شيخه للتعلم وانما فعل ذلك جبريل عليه السلام للتنبيه على ما ينبغي للسائل من قوة النفس وعدم الاستحياء عند السؤال وان كان المسؤل ممن يحترمه وينبغي له وعلى ما ينبغي للمسؤل من التواضع والصفح عن السائل وان تعدى ما ينبغي من الاحترام للمسؤل والادب معه (قوله ووضع كفيه على فخذيه) أي وضع الرجل كفيه على فخذيه صلى الله عليه وسلم وفعل ذلك للاستئناف باعتبار ما بينهما من الانس في الاصل حين يأتيه بالوحي وقد جاء مصرحا بهذا في رواية النسائي من حديث أبي هريرة وأبي ذر حيث قالا حتى وضع يديه على ركبتي النبي صلى الله عليه وسلم (قوله وقال يا محمد) ناداه باسمه كما تنادي الاعراب مع انه حرام لان حاله يدل على انه لم يجئ متعلما وانما جاء معاما كما قدمناه أو قبل العلم بتحريمه قال بعضهم وبما تقرر علم ان

تشكر ورؤوكذلك البعث من النوم أي الايقاظ ومنه قوله عز وجل في أصحاب الكهف وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم ويطلق بمعنى الاثارة والانهاض يقال منه بعث فلان بعيره فانبعث أي أثاره فثار ونهض *(الرسل)* جمع رسول وهو من البشر انسان حر ذكر أكمل معاصريه غير الانبياء عقلا وفطنة وقوة رأي وخلقا بالفتح وعقدة وموسى عليه الصلاة والسلام ازيلت بدعوته عند الارسال كما في الآية معصوم ولو من صغيرة سهوا ولو قبل النبوة على الاصح سليم من دناءة أب وخنا أم وان علينا ومن منفر كعمى وبرص وجذام ولا يرد بلاء أيوب ومحمي يعقوب بناء على انه حقيقي لطروه بعد الانباء والكلام فيما قارنه والفرق ان هذا منفر بخلافه فيمن استقرت نبوته ومن قلة مروءة كأكل بطريق ومن دناءة صنعة كحجامة أوحي اليه بشرع وأمر بتبليغه وان لم يكن له كتاب ولا نسخ كيوشع فان لم يؤمر فنبي فقط فبينهما عموم وخصوص مطلق وهو أفضل من النبي اجماعا تميز بالرسالة التي على الاصح هي أفضل من النبوة خلافا لابن عبد السلام ووجه تفضيل الرسالة على النبوة كما قال القرافي ان الرسالة تشمل هداية الامة والنبوة قاصرة على النبي فنسبتها الى النبوة كنسبة العالم الى العابد ثم ان محل الخلاف فيهما مع اتحاد محلهما وقيامهما معا بشخص واحد أما مع تعدد المحل فلا خلاف في افضلية الرسالة على النبوة فقط ضرورة رجوع الرسالة لها مع زيادة ولما كانت الصلاة على الانبياء مطلوبة اذا ذكروا قوله صلى الله عليه وسلم صلوا على النبيين اذا ذكر تموهم فانهم بعثوا كما بعثت رواه ابن عساكر قال *(صلاته)* أي رحمته المقرونة بتعظيم وخص لفظها بهم تعظيما لهم وتمييز الرتبتهم على غيرهم وتنظير بعض الشراح في تغييرهم لها بالرحمة لانها عطفت عليها في اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ولانها مستحيلة في حقه تعالى وتعقبه انها المغفرة غير سديد لانها اخص من مطلق الرحمة وعطف العام على الخاص صحيح مفيد ولان المراد بها كما مر في حقه تعالى غايتها كسائر الصفات المستحيل ظاهرها عليه تعالى كذا في شرح الهيتمي نعم يرد ان الرحمة فعلها متعد والصلاة فعلها قاصر ولا يحسن تفسير القاصر بالمتعدي كذا قيل وفيه بحث وفي بعض النسخ صلواته بالجمع (وسلامه) اسم مصدر بمعنى تسليمه أي تحيته أو تسليمه اياهم من كل آفة ونقيصة (عليهم) كلمة على هنا مجردة عن المضرة كما في قوله تعالى فتوكل على الله فلا يرد ان الصلاة بمعنى الدعاء واذا استعمل الدعاء مع كلمة على يكون للمضرة مع انه يمكن الفرق بين صلى عليه ودعا عليه *(الى)* *متعلق بباعث* *(المكلفين)* جمع مكلف وهو البالغ العاقل من الانس وكذا من الجن بالنسبة لنبينا صلى الله عليه وسلم اذ هو مرسل اليهم اجماعا خلافا لمن وهم فيه كما بينه السبكي في فتاويه وأما بقية الرسل فلم يرسل احد منهم اليهم كما قاله الكلبي وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما وأما حكم سليمان فيهم واطاعتهم له فليس من جهة رسالته بل لكونه ولي عليهم فكان له عليهم تسلط بالملك وايمانهم بالتوراة كما دل عليه قوله تعالى يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى لا يدل على انهم كانوا مكلفين به لجواز ايمانهم به تبرعا منهم وليس منهم رسول عن الله تعالى عند جماهير العلماء وأما قوله تعالى ألم يأتكم رسل منكم فالمراد به من أحدكم وهو الاكثر على حد قوله يخرج منهما اللؤلؤ

بذلك غيره ممن يستحق التوقير باسمه غير حرام وانما هو خلاف الاولى الا ان يتأذى به فيه فحينئذ يحرم (قوله أخبرني عن الاسلام) أي عن حقيقته (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) مجيبا له (الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله) أي تعلم أن لا اله معبود بحق في الوجود الا الله الواجب الوجود (وأن محمدا رسول الله) أي وان تشهد أن محمدا رسول الله وتصدق بذلك (قوله وتقيم الصلاة) أي بان تأتي بها بأركانها وشروطها وتواظب عليها في أوقاتها (وتؤتي الزكاة) أي تؤديها على وجهها الشرعي (وتصوم رمضان)

والمرجان وجعل القمر فيهن نورا وكذا الملائكة بالنسبة لنبينا أيضا لانه مرسل اليهم على الاصح عند جمع من المحققين كما يدل عليه خبر مسلم وأرسلت الى الخلق كافة زاد السبكي انه مرسل الى جميع الانبياء والامم السابقة وان قوله بعثت الى الناس كافة شامل لهم من لدن آدم الى قيام الساعة بل أخذ بعض المحققين بعمومه حتى للجمادات واستدل له بشهادة الحجر والشجر له صلى الله عليه وسلم قال الحافظ السيوطي وأزيد من ذلك انه مرسل الى نفسه وقول الرازي في تفسيره ليكون للعالمين نذيرا الشامل لهم أجمعنا على ان المراد الانس والجن دون الملائكة مردود اوه ؤول بان مراده اجماعا بخصمين اذ أجمعنا انما يقال لذلك غالبا لا الاجماع كل الامة على ان هذا لا يؤخذ من مثل الرازي بل من مثل ابن المنذر وابن جرير وأما غير نبينا فغير مرسل اليهم قطعا ومعنى ارساله للملائكة وهم معصومون انهم كافوا بتعظيمه والايمان به واشتهار ذكره والجمادات انه ركب فيها ادراكات لتؤمن به ولتخضع له وان من شيء الا يسبح بحمده أي حقيقة بلسان المقال كما قاله الحافظ ابن عبد البر والقاضي عياض والسهيلي في الروض الانف في غزوة أحد وابن المنير والسيوطي في حاشية الموطا وغيرهم وهو المعول عليه لا بلسان الحال خلافا للبيضاوي في سورة الاسراء اذا تقرر هذا فاطلاق المصنف بعث الرسل الى المكلفين ليس المراد به عمومه كما عرفت فان قلت تكليف الملائكة من أصله مختلف فيه فالجواب كما قال الشارح المحقق ابن حجر الهيتمي ان الحق تكليفهم بالطاعات العملية قال الله تعالى لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون بخلاف نحو الايمان لانه ضروري فيهم فالتكليف به تحصيل الحاصل وهو محال * (تنبيهات) * الاول ذكر ابن جماعة ان المكلفين ثلاثة أقسام قسم مكلف من أول الفطرة قطعا وهم الملائكة وآدم وحواء وقسم لم يكلف من أول الفطرة قطعا وهم أولاد آدم وقسم فيه نزاع والظاهر انهم مكلفون من أول الفطرة وهم الجن الثاني قال في شرح الترغيب والترهيب ما نصه سئل النووي هل يأجوج ومأجوج من ولد حواء عليها السلام وكم ثبت انه يعيش كل واحد منهم فاجاب هم ولد حواء وآدم عليهما السلام عند أكثر العلماء وقيل انهم من ولد آدم من غير حواء فيكونون اخوانا من الاب أي انهم خلقوا من منى خرج من آدم في غير حال الجماع ووقع في الارض وخلقوا منه ولم يثبت في قدر أعمارهم شيء ونقل ابن عبد البر الاجماع على انهم من ولد يافث بن نوح وان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن يأجوج ومأجوج هل بلغتهم دعوتك يا رسول الله فقال جزت ليلة أسري بي فدعوتهم فلم يجيبوا فهم من أهل النار وصرح بان الصحيح انه لم يرسل اليهم وانهم من ذرية آدم بدليل حديث ان الله تعالى يقول يوم القيامة يا آدم اخرج بعث النار الحديث وروى الطبراني انه صلى الله عليه وسلم قال يأجوج لها أربعمائة أمير وكذلك مأجوج لا يموت أحدهم حتى ينظر الى ألف فارس من ولده انتهى المراد منه وانظر على هذا الصحيح من انه لم يبعث اليهم لم عذبوا وقد قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ودعوى انه أرسل اليهم غير خلاف ما يظهر من كلام الجماعة وكيف يدعوهم مع انه لم يرسل اليهم * (هداية لهم) * مصدر مضاف للفاعل أو المفعول أي لاجل ارشادهم ودلالتهم اياهم على سلوك سبيل الهدى وتجنب طريق الردى

يوم خمس مرات ثم الزكاة لانها قرينة الصلاة في أكثر المواضع ولوجوبها في مال المكلف وغيره عند أكثر العلماء ثم صوم رمضان لتكرره في كل سنة وكثرة افراد فاعليه بخلاف الحج ثم الحج للتغليظ الواردة فيه من نحو قوله تعالى ومن كفر فان الله غني عن العالمين ونحو قوله صلى الله عليه وسلم فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا وسنذكر ان شاء الله تعالى في الخاتمة الآتي بعد هذا بأبيات

على ما هنا (قوله قال) يعني السائل للنبي صلى الله عليه وسلم (صدقت) أي فيما أجبت به قال عمر رضي الله عنه (فعجبنا منه يسأله ويصدقه) أي لان تصديقه يقتضي ان له علما بهذه الاشياء وهو لا يعلم الا من قبله صلى الله عليه وسلم وليس هو بمعروف السماع منه أو من حيث ان سؤاله مؤذن بعدم علمه بما سأل عنه وتصديقه فيه مؤذن بانه عالم به فظاهر حاله أنه عالم به غير عالم به ثم زال عجبهم بقوله بعد هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم فظهر أنه كان عالما في صورة متعلم ١٧ تعليما لهم وتنبيها (قوله قال فاخبرني

الردى قال المولى سعد الدين التفتازاني في شرح العقائد والمشهور ان الهداية عند المعتزلة هي الدلالة الموصلة الى المطلوب وعندنا الدلالة على طريق توصل الى المطلوب سواء حصل الوصول والاهتداء أو لم يحصل اه وكل من القولين منقوض أما الاول فمنقوض بقوله تعالى وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى وأما الثاني فمنقوض بقوله تعالى انك لا تهدي من أحببت واحتمال التجوز مشترك والهداية من كل شئ أوله وما يتقدم منه ولهذا قيل أقبلت هوادي الخيل اذا مدت أعناقها وأما الذي روي عنه انه عليه السلام خرج في مرضه يهادى بين اثنين فمعناه انه يميل بينهما ويعتمد عليهما من ضعفه وكل من فعل ذلك باحد فهو يهاديه وتهادت المرأة في مشيتها اذا تمايلت وفي أمثال العرب في معنى الهداية قولهم أهدى من الانسان الى فيه وأهدى من يد الى فم وأهدى من قطاة وأهدى من حمامة لان القطا والحمامة يسيران من وكريهما ومنهليهما مسافة أيام كثيرة ثم يهتديان اليهما واللام في كلام المصنف لبيان حكمة الارسال وغايته لا للعلة الباعثة عليه لان أفعاله تعالى لا تعلل بالاغراض لما يلزم على ذلك الذي ذهب اليه المعتزلة قبحهم الله مما هو مقرر في محله والهدى يتعدى بنفسه وبحرف الجر يقال هداه الطريق والى الطريق دله عليه (وبيان) البيان والتبيين عبارة عن الظهور بعد الخفاء وذلك لانهما مشتقان من البينونة والابانة وهي عبارة عن التفريق بين أمرين متصلين فاذا حصل في القلب اشياء صورة بصورة ثم انفصلت احداهما عن الاخرى فقد حصلت البينونة فلهذا سمي بيانا وتبيينا (شرائع) جمع شريعة فعيلة بمعنى مفعولة وهي لغة مشرعة الماء أي موردة الذي للشارب واصطلاحا ما شرعه الله لعباده من الاحكام من شرع بمعنى بين وبمعنى سن ومنه قوله تعالى شرع لكم من الدين أي سن (الدين) هو لغة يطلق على أمور منها الطاعة ومنه قول زهير

لئن حللت بوادي بني أسد * في دين عمرو وحالت بيننا فدك

أراد في طاعة عمرو والجزاء ومنه قوله تعالى يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق أي جزاءهم الحق الذي وعدوا به وقوله تعالى ان الدين لواقع أي الجزاء لواقع يوم التلبية والحساب ومنه قوله تعالى ذلك الدين القيم أي الحساب الصحيح وقوله تعالى انا لمدينون أي لمجزيون وقال لبيد

حصادك يوما ما زرعت وانما * يدان الفتى يوما كما هو دائن

ومن كلام العرب كما تدين تدان أي كما تجازي تجازى والتوحيد ومنه قوله تعالى ألا لله الدين الخالص أي التوحيد وبمعنى الملة ومنه قوله تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا ويعبر به عن دأب من أدواء القلب ومنه قول الشاعر * يادين قابك من سلمى وقد وجعا * والعادة والعمل ومنه قوله

اذا أدرتها وضينى * فهذا دينه أبدا ودينى

والوضين الهودج بمنزلة البطان للقتب والحزام للسرج والسياسة ومنه قول ذي الاصبع

* ولا أنت ديانى فتخزيني * والحال ومنه قول النضر بن شميل سألت اعرابيا عن شئ فقال لو لقيتني على دين غير هذا لاخبرتك أي على حال غير هذا والقهر والخضوع ومنه قول العرب دنته فدان أي

فاخبرني عن الايمان قال أن تؤمن بالله) أي ان تؤمن بوجوده وصفاته التي لا تتم الالوهية الا بها قال العلماء رضي الله تعالى عنهم الايمان بالله جل جلاله يتضمن معنيين الاول الايمان بذاته والثاني الايمان بوحدانيته فاما الايمان بذاته الكريمة فهو أن تعلم أن ذاته تعالى لا تشبه الذوات كما أن صفاته لا تشبه الصفات وكل ما تصورته في ذهنك أو توهمته في وهمك فالله تعالى بخلافه لانك مخلوق وكل ما تصورته أو توهمته فهو مخلوق مثلك لان الله جل جلاله تقدس وتنزه عن أن يحل في مخلوق أو يحل فيه مخلوق وأنت جسم وجوهر وعرض والله تعالى بخلاف ذلك ولك جنس ونوع والله تعالى لا جنس ولا نوع له (فائدة) قال أبو اسحق الاسفرايني جمع أهل الحق جميع ما قيل في التوحيد في

كلمتين احداهما ان كل ما تصور في الافهام فالله تعالى بخلافه الثانية اعتقاد أن ذاته ليست مشبهة بذات ولا معطلة عن الصفات وقد أكد ذلك سبحانه وتعالى بقوله ولم يكن له كفوا أحد وهذا في غاية الجودة والايجاز ويرحم الله القائل كل ما ترتقي اليه بوهم * من جلال وقدرة وسناء فالذي أبدع البرية أعلى * منه سبحان مبدع الاشياء (وحكي) عن امامنا الشافعي رضي الله عنه انه قال من انتهض لطلب مدبره فانتهى الى وجود ينتهي اليه فكره فهو مشبه وان اطمأن الى

العدم المحرف فهو معطل أو لي وجود واعترف بالعجز عن ادراكه فهو موحد فالعجز عن درك الادراك ادراك كما قاله الصديق الاكبر رضي الله تبارك وتعالى عنه وقال بعض العارفين سبحان من رضي في معرفته بالعجز عن معرفته وقال الجنيد ولله ما عرف الله الا الله وأما الايمان بوحدانيته تبارك وتعالى فهو أن تعلم انه منفرد بالملك والتدبير واحد في ذاته واحد في صفاته واحد في أفعاله واحد في أقواله سبحانه وتعالى ١٨ (قوله صلى الله عليه وسلم وملائكته) جمع ملك وهم أجسام علوية مشكلة بأشكال لمن

قهرته فخضع واصطلاحا وضع الهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود الى ما هو خير لهم بالذات فخرج بقوله الهي الاوضاع الصناعية وبقوله سائق الوضع الالهي غير السائق كانبات الارض وأمطار السماء وقوله لذوي العقول لحيوانات المختصة بالاختيار وبقوله باختيارهم الاوضاع السائقة لا بالاختيار كالوحدانيات وبقوله المحمود الكفر وقوله بالذات متعلق بسائق أي ان الوضع الالهي بذاته سائق لانه ما وضع الا كذلك ويمكن تعلقه بالخير ومعناه ان ذلك الخير وهو ما وضعه الكريم بذاته خير والاضافة في شرائع الدين بيانية لان ما شرعه الله تعالى لعباده من الاحكام هو الدين ويصح أن تكون على معنى اللام بان يراد بالشرائع الاحكام وبالدين الملة والاسلام وفي اثبات الشرائع للدين استعارة تخييلية ويصح أن تكون من اضافة المشبه به الى المشبه فيكون تشبيها مؤكدا أي وبيان الدين الذي هو لعذوبته كالشريعة كما قال الشاعر

والريح تلعب بالغصون وقد جرى * ذهب الاصيل على لجين الماء

(بالدلائل) متعلق ببيان جمع دلالة بمثلثة الدال بمعنى الدليل قال ابن قاسم في الآيات البينات الدليل بزنة فعيل وفعيل جمعه على فعائل غير مقيس وأجيب بأنه يحتمل أن يراد بالدلائل جمع دلالة والدلالة تصدق على الدليل كما قال المحلي وجمعه على دلائل حينئذ مقيس والدليل في اللغة المرشد الى المطلوب وفي اصطلاح أهل الميزان ما لم يلزم من العلم به العلم بشئ آخر وفي اصطلاح أهل الاصول ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه الى علم أو ظن فالاول كالنصوص المثبتة للبعث والحساب والثاني كخبر انما الاعمال بالنيات وذهب أكثر المتكلمين الى انه لا يستعمل الدليل الا فيما يؤدي الى العلم وأما ما يؤدي الى الظن فليس بدليل ثم هو كما قال الزركشي في البحر ثلاثة أقسام سمعي وعقلي ووضعي فالسمعي كالكتاب والسنة والاجماع والعقلي ما دل بنفسه كدلالة الحدوث على المحدث والوضعي ما دل باستناده كالعبارة الدالة على المعاني ووصفها بقوله (القطعية) وهي الادلة المؤدية للعلم ليخرج الدلائل الظنية ووصفت المؤدية للعلم بالقطعية لانها تقطع معارضة الخصم أو للقطع بمقدماتها نحو كل انسان جسم وكل جسم مركب فكل انسان مركب قال الشارح لم يتعرض فان قلت أكثر أدلة الشريعة ظنية لان مقدماتها كذلك نحو الطمأنينة ركن في الصلاة وكل ركن واجب والوضوء عبادة وكل عبادة يشترط لها النية فكان ينبغي له حذف القطعية قلت انما صارت ظنية بالنسبة الينا لخلافها المنسوبة من النبي صلى الله عليه وسلم فانها بالنسبة اليه قطعية والكلام انما هو في بيان الرسل للشرائع وذلك جميعه قطعي ويصح أن يراد بدلائلهم معجزاتهم الدالة على صدقهم وكلها قطعية لاستفادتها من دليل مؤلف من مقدمتين قطعيتين نحو الرسل جاءوا بالمعجزات وكل من جاء بالمعجزات صادق فالرسل صادقون أما الصغرى فضرورية حسية والكبرى ضرورية عقلية اذ المعجزة خارقة للعادة وخرقها لا يقدر عليه الا الله سبحانه وتعالى وهو لا يؤيد بذلك كاذبا وقد أيدهم بها فلم يكونوا كاذبين بل صادقين (واضحات البراهين) هو من اضافة الصفة للموصوف أي البراهين الواضحة التي لا اشكال فيها جمع

الاشكال ومعنى الايمان بهم التصديق بوجودهم وبأنهم كما وصفهم الله تعالى بقوله عباد مكرمون * واعلم أن الملائكة الرحمن عليهم السلام خلقهم الله جل جلاله وعز سلطانه من النور بقوله كن ولا يحصى عددهم الا الله سبحانه وتعالى وهم أنواع متفرقة ذكر ان من أعجب ما خلق الله فيهم ملكا نصفه من نار ونصفه من ثلج فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفئ النار وهو يسبح الله تعالى ويقدسه ويمجده ويوحده ويقول في كلامه اللهم يا من ألف بين الثلج والنار ألف بين قلوب عبادك المؤمنين وهو أكثر الملائكة نفعا لاهل الارض (نكتة) قسم الله تعالى الخلائق ثلاثة أقسام قسم خلقوا بعقل بغير شهوة وهم الملائكة وقسم خلقوا بشهوة بغير عقل وهم الدواب وقسم خلقوا بعقل وشهوة وهم بنو آدم فمن غلب عقله على شهوته كان مع الملائكة ومن غلب شهوته على عقله كان مع الدواب (قوله وكتبه) معنى الايمان بالكتب التصديق بانها كلام الله المنزل على رسله عليهم الصلاة والسلام وكل ما تضمنته فهو حق * (فائدة) * عدد ما أنزل الله على رسله مائة صحيفة وأربعة كتب واختار من الجميع أربعة كتب واختار من الاربعة القرآن واختار من القرآن سورة الفاتحة فهي خيار من خيار من خيار وهي الفاتحة والشافية والكافية والوافية والكنز

برهان

والاناس ولها ثلاثون اسما وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى (قوله ورسله) معنى الايمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام التصديق بما جاؤا به عن الله تعالى وقد مت الملائكة على الرسل اتباعا لترتيب الوجود ى فان الملائكة مقدمة فى الخلق أو للترتيب الواقع فى تحقيق معنى الرسالة فان الله تعالى أرسل الملائكة الى الرسل * واعلموا ان أنبياء الله ورسله خير الخلق اصطفاهم واختارهم وعصمهم وارتضاهم وجعلهم أمناء على دينه وتوحيده وجعلهم بركة وأمناء لخلقه فى أرضه ١٩ وجعلهم شفعاء مرضيين مقبولى الشفاعة وهم الرحمة وبهم ترحم أهل الارض صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وعددهم مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي وورد غير ذلك أولهم آدم وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم وأولوا العزم منهم خمسة نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وقد نظم أسماءهم بعض الفضلاء على ترتيبهم فى الفضل فقال

محمد ابراهيم موسى كليمه
فعيسى فنوح هم أولو العزم فاعلم

(قوله واليوم الآخر) هو يوم القيامة ومعنى الايمان به التصديق بوجوده وبجميع ما اشتمل عليه وسمى آخرا لانه آخر أيام الدنيا وآخر الازمنة المحدودة وسيأتى الكلام عليه ان شاء الله تعالى فى الختام (قوله وتؤمن بالقدر خيره وشره) ومعنى الايمان به أن

برهان ودلالة الحجة وايضاحها من البرهنة وهى البيضاء من الجوارى واصطلاحا ما تركب من تصديقين متى سلما لزمهما لذاتهما قول ثالث كالعالم متغير وكل متغير حادث ينتج العالم حادث وعطفه على ما قبله من عطف المغاير لان البرهان لا يكون الا مركبا والدليل بخلافه (أحده) أى أصفه بجميع صفاته الجميلة وذكر المحمدتين للجمع بين نوعيه الواقع فى مقابلة صفاته تعالى والواقع فى مقابلة نعمه وخص الاول بالجملة الاسمية الدالة على الثبوت والاستمرار والثانى بالجملة الفعلية الدالة على التجدد والتعاقب لقدم الصفات واستمرارها وتجدد النعم وتعاقبها (على جميع نعمه) جمع نعمة بكسر النون بمعنى المنعم به واما بفتح النون فهى التنعم قال تعالى ونعمة كانوا فيها فاكهين وبضمها السرور وجعل بعض المحققين النعمة فى كلام المصنف بمعنى الانعام لا بمعنى المنعم به لان الاول وصف قائم بذاته تعالى دائم مستمر والثانى أثر وانما الحمد على الانعام الذى هو من أوصاف المنعم أبلغ منه على أثره الواصل الينا وفى الحديث ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده واختلف الناس فى ذلك فذهب الصوفية أثر النعمة فى الاعضاء للخلق وان عرى هو وجاع ومذهب الفقهاء حسن اللبس والنعمة هى المنفعة الخالية من الضرر ولذا اختلف هل لله نعمة على كافر فى الدنيا فقيل نعم وعليه القاضى الباقلانى وصوبه الرازى لقوله تعالى يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وذكر آيات كثيرة فيها دلالة لذلك وقيل لا وعزى الاشعرى لانه وان وصل اليه نعم لكنها قليلة حقيرة لاعتداده بها بالنسبة الى الضرر الدائم فى الآخرة ومن ثم قال الله تعالى ولا تحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما الآية قال بعض المحققين والخلاف لفظى اذ لا خلاف فى وصول نعم اليه وانما النزاع فى انها اذا حصل عقبها ذلك الضرر الابدى هل تسمى حينئذ فى العرف نعما أو لا فهو نزاع فى مجرد التسمية واستبعده بعضهم وقد اختلف أيضا هل هو منعم عليه فى الآخرة أو لا فذهب الى الاول المعتزلة زاعمين ان ما من عذاب الا وفى قدرة الله ما هو أشد منه لكن لا يقال انه فى نعمة وذهب غيرهم الى الثانى قال بعضهم وأول نعمة أنعم الله بها على العبد المؤمن من النعم الدنيوية الحياة التى توصل بها الى ادراك اللذة التى لا يعقبها ضرر لاجلها خلافا للمعتزلة فى أن أولها الحياة فى الجملة ويلزمهم ان أصحاب النار المقيمين فيها منعمون والاجماع على خلافه وأعظم النعم الدنيوية الايمان خلافا للمعتزلة فى انه ليس من النعم البتة لانه سبب للخلود فى الجنة دون سائر الاعمال فوجب كونه أعظمها وأعظم النعم الاخروية مشاهدة الذات العلية فى جنة عالية قطوفها دانية (واسأله) من السؤال وهو كما قال الراغب استدعاء معرفة أو ما يؤدى الى معرفة واستدعاء مال أو ما يؤدى الى مال فاستدعاء المعرفة جوابه على اللسان واليد خليفة له بالكتابة والاشارة واستدعاء المال جوابه على اليد واللسان خليفة لها أما بوعد أو برد والسؤال اذا كان للتعريف تعدى للمفعول الثانى تارة بنفسه وتارة بالجار نحو سألته كذا وسألته عن كذا وبعن أكثر نحو يسألونك عن الروح واذا كان السؤال لاستدعاء مال فانه يتعدى بنفسه أو بمن نحو واذا سألتموهن متاعا واسألوا الله من فضله اهـ والسؤال من الادنى للاعلى دعاء وعكسه أمر ومن المساوى

تعتقد أن الله تعالى قدر الخير والشر قبل خلق الخلق وان جميع الكائنات بقضاء الله تعالى وقدره وهو مريدها ويكفى اعتقاد جازم بذلك من غير نصب برهان (نكتة) كان السلف الصالح رضى الله عنهم يجيبون من سألهم عن القضاء والقدر بان يقولوا أن تعلم ان ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك وقد سأل سائل الامام علياً رضى الله عنه عن القضاء والقدر فاعرض عنه ثم سأله فاعرض عنه الى أن سأله الرابعة فاقبل عليه فقال لما خلق الله تعالى خلقك خلقك كيف يشاء أم كيف تشاء فقال بل كيف يشاء

قال فيحييك كيف يشاء أم كيف تشاء قال بل كيف يشاء قال فيميتك كيف يشاء أم كيف تشاء قال بل كيف يشاء قال فيبعثك يوم القيامة كيف يشاء أم كيف تشاء قال بل كيف يشاء قال فيحاسبك كيف يشاء أم كيف تشاء قال بل كيف يشاء قال اذهب فليس لك من الامر شئ ومعنى خير القدر وشره ان الايمان والطاعة وجميع الاعمال الصالحة من خير القدر وان الكفر والمعصية والخفة وجميع أفعال المعاصي من شر القدر ٢٠ وفي رواية حلوه ومره فخلق القدر مالايم الطبع ووافق النفس كالنعم واللذة بجميع الملاذ كالعافية والمأكل والمشرب والمنكح ومر القدر جميع ما تنفر الطبع وخالفه كالآلام والاسقام والامراض والاوجاع والجوع والعطش والخوف فكل ماذكر يجب الايمان به (تنبيه) جاء في رواية الترمذي تقديم السؤال عن الايمان على السؤال عن الاسلام قال بعضهم وهو أولى مما هنا اذ السنة مبينة لكتاب الله عز وجل فالاولى بالتقديم الايمان لموافقته لكتاب الله عز وجل بدليل قوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون قدم فيها الايمان على الاسلام وغير ذلك من الآيات كقوله عز وجل فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات اذ فيه تقديم التوحيد الذي هو من قبيل الايمان على الاستغفار الذي هو من قبيل الاسلام (قوله قال صدقت) تقدم الكلام عليها (قوله قال فاخبرني عن الاحسان) يعني به الاخلاص لانه فسره بما سنذكره ذلك ويجوز أن يعني به اجادة العمل من أحسن في كذا اذا أجاد فعله وهذا التفسير أخص من الاول وهو السؤال عن الحقيقة كالذي قبله ليعلمه الحاضرون (قوله قال أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك) هذا من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم لانه شمل مقام المشاهدة ومقام المراقبة وبيان ذلك وايضاحه ان التعبد في عبادته تعالى

التماس وقال بعضهم السؤال والدعاء مترادفان وليس بينهما وبين الامر والالتماس فرق من جهة الصيغة التي تدل على طلب الفعل دلالة وضعية وانما يحصل الفرق بالمقارن وذلك لانها ان قارنت الاستعلاء فهي أمر وان قارنت التساوي فهي التماس وان قارنت الخضوع فهي سؤال ودعاء فالسؤال مادل على طلب الفعل دلالة وضعية مقارنة للخضوع وهكذا (المزيد) اللام عوض عن المضاف اليه أي مزيد النعم (من فضله) هو لغة ضد النقص واصطلاحا العطاء عن اختيار لا عن ايجاب كما تقول الحكماء ولا عن وجوب كما تقول المعتزلة اه ومعنى لا عن ايجاب انه تعالى تصدر عنه أفعاله باختيار لا بغيره كما تقول الحكماء فانهم يجعلونه علة وطبيعة تحصل آثارها من غير اختيار كالعلة ومعلولها والطبيعة ومطبوعها ومعنى قولهم ولا عن وجوب انه لا يجب عليه تعالى ذلك خلافا للمعتزلة القائلين بانه يجب عليه فعل الصلاح والاصلح وزيادة انه لو وجب عليه لما وقعت محنة دنيا ولا أخرى ولا تكليف بامر أو نهي وعلى هذا فمن للتعدية وتصح كونها للتعليل أي من أجل اتصافه بالفضل وسائر صفات الكمال اذ لا يسئل حقيقة الا من هو كذلك (وكرمه) فيه الوجهان المذكوران وهو بذل أي عطاء الكثير لغير علة أي دنيوية أو أخروية وضده اللؤم ويطلق الكرم بمعنى ايثار الصفح عن الجاني ومن عجيب ما يقال كل عيب يغطيه الكرم الا عيب الدين وحكي اليافعي في روض الرياحين أن شخصا أنشد ليحيى بن خالد هذين البيتين فاعطاه بكل حرف من الحروف ألف درهم وهما

سألت الذي هل أنت حر فقال لا * ولكنني عبد ليحيى بن خالد
فقلت شراه قال لا بل وراثة * توارثني من والد بعد والد

(وأشهد) أي أعلم وأتحقق وأذعن فلا يكفي العلم من غير اذعان كما هو شأن كثير من أهل الكتاب الذين كانوا في زمنه صلى الله عليه وسلم (أن لا اله) أي لا معبود بحق موجود أي في الوجود (الا الله) بالرفع على البدلية من الضمير المستتر في الخبر المقدر العائد على اسم لا على المختار عند أبي حيان وهو الاشهر وقيل على البدلية من لا اله لان محل لا مع اسمها رفع بالابتداء ويجوز نصبه على الاستثناء لا على البدل من اسمها لان لا انما تعمل في نكرة منفية ولفظ الله معرفة مثبتة وأتى بالشهادة لما رواه أبو داود وغيره عنه صلى الله عليه وسلم انه قال كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء * (الواحد) * في ذاته فلا يتبعض ولا يتجزأ وصفاته وأفعاله بمعنى عدم مشاركة غيره له فيها فهو الغني على الاطلاق الذي لا يحتاج الى غيره قال بعض المحققين فان قلت نطق القرآن بالواحد والاحد فقال تعالى والهكم اله واحد وقال تعالى قل هو الله أحد فهل بينهما فرق من جهة المعنى قلت من الناس من يفرق بينهما بمعنى وهو الحق ومنهم من قال الوحدة راجعة الى الذات والاحدية راجعة الى الصفات أي واحد في ذاته واحد في صفاته ومنهم من عكس ومنهم من قال الوحدة راجعة الى نفي المثل والاحدية الى نفي الجزء ومنهم من عكس كذا في شرح الرسالة القشيرية لشيخ الاسلام الانصاري * (القهار) * من القهر لانه تام من موجود الا وهو مقهور تحت قدرته ومسخر بقضائه أو الذي قهر الجبابرة في الدنيا بالدمار وقهر جميع

مقامات الاول أن يفعلها على الوجه الذى يسعى معه الطالب بان تكون مستوفية للشروط والاركان الثانى ان يفعلها كذلك وقد استغرق فى بحار المكاشفة حتى كانه يرى الله تعالى وهذا مقام نبينا صلى الله عليه وسلم كما قال وجعلت قرة عينى فى الصلاة الثالث ان يفعلها كذلك وقد غلب عليه ان الله تعالى يشاهده وهذا هو مقام المراقبة فقوله فان لم تكن تراه نزول عن مقام المكاشفة الى مقام المراقبة أى ان لم تعبده وأنت من أهل الرؤية فاعبده وأنت بحيث تعتقد أنه يراك فكل ٢١ من المقامات الثلاثة احسان لان

أعدائه فى الآخرة بالبوار (الكريم) المنعم المتفضل الذى يعطى من غير مسئلة ولا وسيلة أو المتجاوز الذى يقيل العثرات ويضاعف الاجر على الحسنات أو الذى يعطى ولا يكدر عطاءه بالمن والاذى أو السيد الذى يمتنع عن ان ينال بامتهان من قولهم أكرم نفسك عن الهوان وقد سمى الله عز وجل القرآن كريما لامتناعه عن أن يعارض بمثله والكريم يطلق على الله تعالى بخلاف السخى لعدم وروده ولاشعاره بجواز الشح *(الغفار)* من الغفر وهو ستر الشئ وتغطيته أى ستار القبائح والذنوب باسبال الستر عليها فى الدنيا وترك المؤاخذة بها فى العقبى ويقال لجنة الرأس مغفر لانه يغفر الرأس أى يغطيه والعرب تقول اصبغ ثوبك فانه أغفر للوسخ واعلم أن الغفور أبلغ من الغافر لان فعولا موضوع للمبالغة والغفار أبلغ من غفور لانه للتكثير بغير حصر فاذا ستر الله على عبده مرة فهو غافر له وان ستر عليه مرارا فهو غفور وان أدام الستر عليه فهو الغفار له فاذا ستر على عبده فى الدنيا وعفا عن عقوبته فى الآخرة ولم يفضحه بذنبه فهو غفار له وقيل من غفر له بعض ذنوبه فى الآخرة وعاقبه على الباقى فهو غافر له وان غفر له أكثر ذنوبه وعاقبه على القليل فهو غفور له وان غفر له جميع ذنوبه فهو غفار له وبين الغفار والقهار طباق معنوى لاشعار الاول بالقهر واستحضاره يبعث على الخوف والثانى بالرحمة واستحضارها يبعث على الرجاء *(وأشهد أن محمدا)* علم منقول لامرتجل من اسم مفعول المضعف مشتق من الحمد الذى هو ضد الذم سماه به جده عبد المطلب بالهام من الله ليكون على وفق تسمية الله تعالى له به قبل الخلق بالفى عام على ما ورد عند أبى نعيم وليطابق اسمه صفته الكثيرة خصاله المحمودة ورجاء أن يحمده أهل السموات والارض وقد حقق الله رجاءه ومحمد أبلغ من محمود باعتبار فعليهما وان تساوى الاسمان فى عدد الحروف اذ الاول من الثلاثى المضعف والثانى من الثلاثى المجرد وذكر المصنف هذا الاسم دون غيره لانه أشهر أسمائه ولذكره فى القرآن منكرا دون غيره واشرفه اذ هو مشتق من اسمه تعالى كما قال حسان رضى الله عنه

وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد

روى ابن عساكر عن كعب الاحبار أن آدم رآه مكتوبا على ساق العرش وفى السموات وعلى كل قصر وغرفة فى الجنة وعلى نحور الحور العين وعلى ورق شجرة طوبى وسدرة المنتهى وأطراف الحجب وبين أعين الملائكة ولم يسم به أحد قبله لكن لما قرب زمنه صلى الله عليه وسلم ونشر أهل الكتاب نعته وشاع قبل ظهوره لوجود الخبر بأن نبيا يبعث اسمه محمد سمى قليل من العرب أولادهم به رجاء النبوة لهم والله أعلم حيث يجعل رسالته ومنع الله كلا منهم أن يدعى النبوة أو يدعيها له أحد او يظهر عليه بسبب اشكال أحدا فى أمره وعدتهم اما خمسة أو ستة أو أربعة عشرة أو خمسة عشر او سبعة عشر والذى اقتصر عليه الشارح الهيتمى انهم خمسة عشر كما بينه بعض المحققين قال شيخ الاسلام واما أحمد فلم يتسم به أحد قبله فيما علم (عبده) قدمه امتثالا لما فى الحديث الصحيح ولكن قولوا عبد الله ورسوله وللرد على اليهود والنصارى حيث زعمت الاولى ان عزيرا ابن الله والثانية المسيح ابن الله تعالى الله

الاحسان الذى هو شرط فى صحة العبادة انما هو الاول لان الاحسان فى الاخيرين من صفة الخواص ويعذر من كثير * وهنا نكتة لطيفة (حكى) عن بعض أهل الطريق أنه ذكر هذا الحديث يوما فقال اعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه ثم وقف وهى اشارة صوفية أى انك ان أفنيت نفسك ولم ترها شيأ شاهدت ربك لانها حجاب دونه فاذا ألقيت الحجاب شاهدت الجناب وهذا يشبه ما حكى عن بعضهم أنه قال رأيت رب العزة فى المنام فقلت يارب كيف الطريق اليك قال خل نفسك وتعالى * قيل وأوحى الله تعالى الى بعض الصديقين ما دنفسك فليس فى المملكة من ينازعنى غيرها (قوله قال فاخبرنى عن الساعة) أى عن وقت القيامة وسميت بذلك لسرعة قيامها أو لانها عند الله تعالى

كساعة وليس السؤال عن وقت مجيئها ليعلمه الحاضرون كالمسؤل عنه فى الاسئلة السابقة اذ هو مقطوع بانه تعالى مخصوص به بل لينزجروا عن السؤال عنها فانهم أكثروا منه كما قال الله تعالى يسألونك عن الساعة أيان مرساها فلما وقع الجواب بانه لا يعلمها الا الله تعالى كفوا عن ذلك (قوله قال ما المسؤل عنها) أى عن وقتها بأعلم من السائل أى أنت لا تعلمها وأنا لا أعلمها فالمراد التساوى فى نفى العلم بوقتها لا التساوى فى العلم بوقتها (قوله قال فاخبرنى عن أماراتها) بفتح الهمزة أى علاماتها وروى أماراتها بالجمع وأما

الامارة بالكسر فالولاية والمراد علامتها السابقة عليها ومقدماتها الملازمة للاضاءة لها كطلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة فاذا قال (أن تلد الامة ربتها) وفي رواية ربها واختلف في معناه على أقوال أصحها انه اخبار عن كثرة السراري وأولادهن وان ولدها من سيدها يصير سيدها لان مال الانسان صائر الى ولده وقد يتصرف فيه في الحال تصرف المالكين اما بالاذن أو بقرينة الحال أو تصرف الاستعمال وعبر بعضهم ٢٢ بان يستولي المسلمون على بلاد الكفار فتكثر السراري فيكون ولد الامة من سيدها

عما يقول الظالمون علوا كبيرا وانظر الى أول مقتل المسيح لما طالبت منه أمه اجابة القوم عنها وهي اني عبد الله ولان العبودية أشرف أوصافه عليه الصلاة والسلام ولذلك وصف بها في أشرف المقامات فذكره في نزال القرآن عليه في مما نزلنا على عبدنا انزل على عبده الكتاب نزل الفرقان على عبده وفي مقام الدعوة عليه وانه لما قام عبد الله يدعوه وفي مقام الاسراء والوحي في اسرى بعبده فأوحى الى عبده ما أوحى فلو كان له وصف أشرف منه لذكره به في تلك المقامات العلية وليس للمؤمن صفة أتم ولا أشرف من العبودية ولقد أحسن القاضي عياض حيث قال

ومما زادني شرفا وتيها * وكدت باخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي * وأن صيرت أحمد لي نبيا

وعن أحمد أخي الغزالي ان القارئ قرأ عنده يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم فقال شرفهم بهذه الاضافة الى نفسه بقوله يا عبادي ثم أنشد

وهان على اليوم في جنب حبها * وقول الاعادي انه لخليع
أصم اذا نوديت باسمي وانني * اذا قيل لي يا عبدها لسميع

وقد خيره الله تعالى بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاختار الثاني ومن ثم لم يقل لشيء فعله لخادمه أف قط ولا ضرب عبدا ولا أمة وهذا شيء لا يسعه الطوق البشري الا بتأييد الهي (ورسوله) الواو فيه للعطف فعول بمعنى مفعول وهو لغة المرسل واصطلاحا مر تفسيره كالنبي وآثر ذكره اشارة الى رد ما عليه ابن عبد السلام من تفضيل النبوة على الرسالة وقد سلف رده اه والاضافة فيه وفيما قبله للتشريف (وحبيبه) فعيل بمعنى الفاعل وحبيب يأتي بمعنى محب كأليم بمعنى مؤلم قال الشاعر

اني تودكم نفسي وأصحكم * حي ورب حبيب غير محبوب

وقيل بمعنى المفعول أي محبوبه الاعظم مأخوذ من الحبة وهي خالص كل شيء وقيل من حبب الاسنان وهو صفاء بياضها ونضارتها فهي صفاء المودة وقيل من الحباب وعليه فهي غليان القلب ونوراته عند التعطش الى لقاء المحبوب * (وخليله الاعظم) * فعيل بمعنى مفاعل وهو الذي يخالك أي يوافقك في خلالك أي خصالك أو يسايرك في طريقك والخل الطريق في الرمل أو يسد خلالك أو يدخلك خلال منزله أو الذي تخلل المحب شفاف قلبه من الخلة بالفتح وهي الحاجة لانقطاعه الى ربه وتصرف حاجته عليه ولذا وصف بها ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما قصر حاجته على ربه حين جاءه جبريل عليهما الصلاة والسلام وهو في المنجنيق بفتح الميم وكسرها ليرمى به في النار فقال له ألك حاجة فقال أما اليك فلا أو من الخلة بالضم وهي صفاء المودة وتخللها في القلب فلا تدع فيه محلا الا ملأته وهي توجب الاختصاص بالاسرار قال أبو العلاء المعري

والخل كالماء يبدي لي ضمائره * مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

أو من الخلة بالكسر وهي نبت تستحليه الابل ومن أسمائهم الخلة خبز الابل والحمص فاكهتها والثاني

عما نزلت سيدها الشرف بابيه ثانيها أن معناه أن الاماء تلد الملوك فتكون أمه من جملة رعيته اذ هو سيدها ثالثها ان معناه ان تفشو أحوال الناس فيكثر بيع أمهات الاولاد في آخر الزمان فيكثر تردادها في أيدي المشترين حتى يشتريها ابنها من غير علم انها أمه ومن ذلك ان يكثر العقوق في الاولاد فيعامل الولد أمه بما يعامل السيد أمته من الاهانة والسب ويشهد لذلك حديث أبي هريرة المرأة مكان الامة وحديث لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا وقيل هو كناية عن رفع الاسافل لان الامة اذا ولدت من سيدها ارتفعت منزلتها ويشهد لهذا المعنى حديث لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع وقيل غير ذلك (قوله وان ترى الحفاة) بالهاء جمع حاف وهو من لا نعل في رجله (قوله العراة) جمع عار وهو من لا شيء على جسده (قوله العالة) بفتح الام المخففة جمع عائل وهو الفقير والعيلة الفقر (قوله رعاء الشاء) بكسر الراء والمد جمع راع وأصل الرعي الحفظ والشاء الغنم وخصهم بالذكر لانهم أهل البادية (قوله يتطاولون في البنيان) أي يتباهون في ارتفاعه والقصد من الحديث الاخبار عن تبدل الحال وتغيره بان يستولي أهل البادية والفاقة لذين هذه صفاتهم على أهل الحاضرة ويتملكون بالقهر والغلبة فتكثر اموالهم ويتسع في الحطام أمالهم فتنصرف هممهم

الى تشييد البنيان وقد جاء فى الحديث لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا الكع بن لكع كما مر وجاء اذا وسد الامر الى غير أهله فانتظروا الساعة وهذا مشاهد فى زماننا وفيه دلالة على كراهية ما لا تدعو الحاجة اليه من تطويل البناء وتشييده وجاء فى الحديث يؤجر ابن آدم على كل شئ الا ما يضعه فى هذا التراب ومات النبى صلى الله عليه وسلم ولم يضع حجرا على حجر ولا لبنة على لبنة (قوله ثم انطلق) أى الرجل السائل عما ذكر (فلبث النبى صلى الله عليه وسلم)

هو المختار كما قال الواحدى لان الله تعالى خليل محمد ومحمد خليل الله ولا يجوز أن يقال الله تعالى خليل محمد من الخلة بالفتح التى هى الحاجة واختلف هل درجة المحبة أرفع أو الخلة أقوال ثالثها هما سواء واحتج للاول بخبر البيهقى انه تعالى قال ليلة الاسراء يا محمد سل تعطه فقال يا رب انك اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما فقال له ألم أعطك خيرا من هذا الى قوله واتخذتك حبيبا أو ما فى معناه وبان الحبيب وصل بلا واسطة بخلاف الخليل قال الله تعالى فى حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فكان قاب قوسين أو أدنى وقال فى حق ابراهيم عليه السلام وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض والخليل قال ولا تخزنى والحبيب قيل له يوم لا يخزى الله النبى والخليل قال فى المحنة حسبى الله والحبيب قيل له يا أيها النبى حسبك الله والخليل قال واجعل لى لسان صدق فى الآخرين والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك أعطى بالسؤال والخليل قال واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام والحبيب قيل له انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ورجح الزركشى تبعا لابن القيم وغيره الثانى لان المصطفى صلى الله عليه وسلم اخبر ان الله اتخذه خليلا ونفى ان يكون له خليل غيره مع اخباره بمحبته لعائشة وأبيها وفاطمة وبنيها ولعمر بن الخطاب وكثير من الصحابة وأهل بيته قال ابن القيم وظن ان المحبة أرفع وان ابراهيم خليل ومحمد حبيب غلط وجهل واما ما احتج به الاولون مما مر فانه يقتضى تفضيل ذات محمد على ذات ابراهيم عليهما الصلاة والسلام مع قطع النظر عن وصف المحبة والخلة وهذا النزاع فيه انما النزاع فى الافضلية المستندة الى احد الوصفين والذى قامت عليه الادلة استنادها الى وصف الخلة الموجودة فى كل من الخليلين فخلة كل منهما أفضل من محبته واختصابها التوفر معناها السابق فيهما اكثر من بقية الانبياء ولكون هذا التوفر فى نبينا أكثر منه فى ابراهيم كانت خلته أرفع من خلة ابراهيم صلى الله عليهما وسلم اه وفيه دلالة على ثبوت وصف الخلة والمحبة لكل منهما لقوله خليلة كل منهما أفضل من محبته * (أفضل المخلوقين) * كلهم من الجن والانس والملائكة حتى أمين الوحى لخبر أنا أكرم الاولين والآخرين على الله ولا فخر وفى رواية أنا أكرمكم على ربى وقوله أنا سيد الناس يوم القيامة وقوله أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدى لواء الحمد ولا فخر وما من نبى آدم فمن سواه الا تحت لوائى ومن آخر هذا وصريح الاولين علمت أفضليته على آدم وقوله أنا سيد ولد آدم اما للتأدب مع آدم أو انه علم فضل بعض بنيه عليه كابراهيم فاذا فضل نبينا الافضل من آدم فقد فضل آدم بالاولى ولفظ ولد فى الحديث يطلق على الواحد والجماعة فيهم كما قال التلمسانى فاندفع ما قيل انه لا يقتضى العموم الا لو قال أولاد واما التفضيل بين باقى الانبياء والملائكة ففيه طرق سيأتى ذكرها ولا ينافى التفضيل بين الانبياء عليهم الصلاة والسلام قوله تعالى لا نفرق بين احد منهم ولا قوله صلى الله عليه وسلم لا تفضلونى وفى رواية لا تخيرونى على الانبياء ولا قوله أيضا لا تفضلوا بين الانبياء ولا قوله لا تخيرونى على موسى ولا قوله ما ينبغى لعبد ان يقول أنا خير من يونس بن متى فقد كذب وذلك لان عدم التفرقة بينهم انما هو فى الايمان بهم وبما جاؤا به واما النهى فانما هو عن تفضيل فى نفس النبوة أو الرسالة فان الانبياء كلهم مشتركون

هذه القضية (مليا) بتشديد الياء أى زمانا كثيرا وجاء فى رواية فلبثت بقاء مضمومة فيكون عمر هو المخبر عن ذلك بنفسه وكان ذلك لزمن بعد ثلاث كما جاء فى رواية أبى داود والترمذى وغيرهما (قوله ثم قال يا عمر أتدرى من السائل قلت الله ورسوله اعلم قال فانه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم) أى قواعد دينكم ففيه اشارة الى أن الدين اسم للثلاثة الاسلام والايمان والاحسان وفهم منه انه يستحب للعالم تنبيه تلامذته والرئيس تنبيه أتباعه على قواعد العلم وغرائب الوقائع طلبا لنفعهم وفائدتهم (تنبيه) ظاهر هذا الحديث مخالف لحديث أبى هريرة رضى الله عنه فادبر الرجل فقال عليه الصلاة والسلام ردوه على فاخذوا يردونه فلم يروا شيأ فقال النبى صلى الله عليه وسلم هذا جبريل

فيحمل على ان عمر رضى الله عنه لم يحضر قوله هذا بل كان قام عن المجلس فاخبر به بعد ثلاثة أيام (خاتمة المجلس) اعلم ان جبريل عليه السلام ملك متوسط بين الله ورسله وهذا الاسم سريانى ومعناه عبد الله والخبر دال على ان الله تعالى شكل الملائكة بما شاؤا من الصور كما مر وقد كان جبريل يتمثل لنبينا صلى الله عليه وسلم فى صورة دحية الكلبى وفى رواية ما جاءنى جبريل فى صورة لم أعرفه فيها الا فى هذه المرة قال ابن عادل رحمه الله يروى أن جبريل عليه السلام نزل على آدم عليه السلام اثنى عشرة مرة وعلى ادريس أربع

مرات وعلى نوح خمس مرات وعلى ابراهيم اثنتين وأربعين مرة وعلى موسى أربعمائة مرة وعلى عيسى عشر مرات وعلى محمد صلى الله عليه وسلم أربعة وعشرين ألف مرة وقد وصف الله سبحانه وتعالى جبريل عليه السلام بالقوة فقال علمه شديد القوى وكان من قوته انه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الاسود وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وكان من قوته ان صاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين خامدين وكان هبوطه من السماء على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وصعوده اليها في أسرع من طرفة عين ويقال

له الناموس كما في البخاري ومسلم (ولقد حكى) بعض العلماء في تصنيف له ان الله تبارك وتعالى أوحى الى جبريل عليه السلام أن اهبط الى البلاد الفلانية فاقلب عاليها سافلها فانه قد اشتد غضبي عليهم في هذه الليلة فقال جبريل سبحانك يارب وأي ذنب فعلوا قال انه قد ركب فيهم في هذه الليلة سبعون ألف ذكر سبعون ألف فرج زنا قال فذهب الى تلك القرى وكانت سبعة مدائن فرفعها على حافية من جناحه حتى وصل بها الى عنان السماء وأراد أن يقلبها وكان لاحرة منهم عجين فقامت اليه ولها طفل نائم في المهد فلما أن وضعت يدها في العجين استيقظ الطفل من مهده وصاح فخارت المرأة في أمرها وماذا تفعل ويدها في العجين وولدها بصيح فقالت من عظم حرقتها تخاطب ولدها ياولدي

في ذلك من غير تفاوت أو عن تفضيل يؤدي الى تنقيص المفضول أو يؤدي الى الخصومة والفتنة أو قاله صلى الله عليه وسلم تواضعا واحتراما لاخوانه الانبياء أو قاله قبل ان يعلمه الله تعالى بتفضيله عليهم وان استبعد بأنه رواه أبو هريرة وما أسلم الا متأخرا فيبعد انه لم يعلمه الله بتفضيله عليهم الا بعد هذا واجاب جمع كمالك وامام الحرمين عن خبر يونس بما حاصله نفي توهم التفاوت بينهما في القرب لاختلاف محليهما الصوري برفع نبينا صلى الله عليه وسلم الى قاب قوسين ونزول يونس الى قعر البحر أي لا تتوهموا من هذا التفاوت تفاوتا في القرب والبعد من الله تعالى بل نسبة كل اليه واحدة وان تفاوت مكانهما النازليه عن الجهة والمكان وحكى السهيلي عن شيخه القاضي أبي بكر بن العربي عن شيخه أبي المعالي ان سائلا من العوام سأل أبا المعالي في مجلسه عن الدليل على ان الله تعالى لا يوصف بجهة ولا يحد ودها فقال نعم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني عن يونس بن متى فقال الرجل انا اريد ان اعرف وجه الدليل فقال ضاقني الليلة ضيف له علي ألف دينار وقد شغلت بالي فلو قضيت عني قلته فقام رجلان من التجار فقالا في ذمتنا فقال أبو المعالي لو كان رجل واحد ضمنها لكان أحب الي فقال احد الرجلين أو غيرهما هي في ذمتي فقال نعم ان الله سبحانه وتعالى أسرى بعبده الى فوق سبع سموات حتى سمع صرير الاقلام فلم يكن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في علو مكانه بأقرب الى الله من يونس في بعد مكانه فان الله تعالى لا يتقرب اليه بالاجرام والاجسام وانما يتقرب اليه بأحسن الاعمال (المكرم) على غيره من سائر الرسل (بالقرآن) العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو الكلام المنزل عليه صلى الله عليه وسلم للاعجاز بسورة منه المتعبد بتلاوته مصدر قرأ اذا جمع جمعه السور المختلفة وعلوم الاولين والآخرين والمقراة الحوض اذا جمع فيه الماء وسميت القرية قرية لجمعها أهلها وقيل مصدر قرأ اذا ألف لحسن نظمه وتأليفه (العزيز) من عز الشيء يعز بكسر العين في المضارع اذا لم يكن له نظير فهو البالغ من العزة والعظمة الغاية التي لا ترتقى أو بمعنى الغلب من قولهم عز فلان يعز بضم العين اذا غلب ومنه قوله تعالى وعزني في الخطاب أي غلبني وفي المثل من عز بز أي من غلب سلب لانه غلب فصحاء العرب وبلغاءهم وأعجزهم أو بمعنى المنيع والعزة المنعة ومنه قوله تعالى يبتغون عندهم العزة أي المنعة لامتناعه لوصفه بمبانيه وصحة معانيه من الطعن فيه (المعجزة) اسم فاعل ماخوذ من العجز المقابل للقدرة وهي من حيث هي كما قال الرازي امر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة قال السعد انما قال أمر ليتناول الفعل كانفجار الماء من بين الاصابع الشريفة وعدمه كعدم احراق النار ابراهيم عليه الصلاة والسلام ومن اقتصر على الفعل جعل المعجزة ههنا كون النار بردا وسلاما وبقاء الجسم على مكانه من غير احتراق واحترز بقوله المقرون بالتحدي عن الخارق الواقع من غير تحد فيسمى كرامة والخارق المتقدم على التحدي كتسليم الحجر عليه صلى الله عليه وسلم وكظلل الغمام له فانه لم يقع له صلى الله عليه وسلم الا قبل النبوة خلافا لمن وهم فيه فيسمى ارهاصا أي تاسيسا للنبوة من ارهصت الحائط اذا أسسته والمتاخر عنه نحو

ان ربي سبحانه وتعالى من كرمه حليم لا يعجل بالعقوبة على من عصاه قال فلما تكلمت المرأة بذلك سكن غضب الله عز وجل وقال لجبريل ضع القرى مكانها فانه قد سكن غضبي بمناجاة هذه المرأة لولدها فاني حليم لا أعجل بالعقوبة على من عصاني فكان الطفل سببا للشفاعة فيمن استحقوا العذاب وهم لا يعلمون اللهم ارض عنا ولا تغضب علينا آمين آمين يا ارحم الراحمين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ﴿(المجلس الثالث في الحديث الثالث)﴾

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تكون سببا للنعيم المؤبد وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله النبي المفضل المشرف المؤيد فهو حامد ومحمود وأحمد ومحمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه ما ركع راكع وسجد آمين (عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بني الاسلام على خمس ٢٥ شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان رواه البخاري ومسلم) اعلموا اخواني وفقني الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم رواه الامام البخاري في الايمان والتفسير والامام مسلم في الايمان والحج وقد اشتمل على أركان الاسلام فهو من قواعد الدين العظيمة (قوله صلى الله عليه وسلم بني الاسلام) أي أسس وأصل البناء أن يكون في المحسوسات دون المعاني فاستعماله في المعاني من باب المجاز وقد جاء في غاية الحسن والبلاغة اذ جعل للاسلام قواعد وأركانا محسوسة وجعل الاسلام مبنيا عليها (قوله على خمس) أي خمس دعائم أي قواعد هي حاصل ما سيذكر (قوله شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله) هذا هو الركن الاول من أركان

ما روي بعد وفاته من نطق بعض الموتى بالشهادتين وشبهه مما تواترت به الاخبار فيسمى كرامة والتحدي دعوى الرسالة وقيل طلب المعارضة لشاهد الدعوى والراجح الاول ولا يشترط في صدق الدعوى تعيين الخارق بل لو قال أنا آتي بخارق لا يقدر عليه غيري كفى والمتبادر من السياق ان ذلك الخارق موافق للدعوى فيخرج الخارق الكذب لمتحدي به كما وقع لمسيلمة الكذاب انه تفل في بئر ليكثر ماؤها فغار ودعا لشخص أعور فعميت عينه الصحيحة فيسمى استدراجا واذلالا واهانة ويخرج به أيضا ما اذا قال معجزتي نطق هذا الحجر فنطق بانه مفتر كذاب بخلاف ما اذا قال احياء هذا الميت فنطق بانه كاذب لان المعجزة في احيائه وهو بعده مختار قدم الكفر على الايمان وقد يظهر الخارق على يد عامي تخليصا له من فتنة ويسمى معونة واحترز بقيد عدم المعارضة عن السحر والشعبذة فانه يمكن معارضتهما بتعليم مثلهما ان قيد التحدي لا بد منه لكن يشترط عند كل معجزة لان أكثر معجزاته صلى الله عليه وسلم صدر من غير تحد بل قيل لم يتحد بغير القرآن وتمني الموت وانما الشرط وقوعها أي المعجزة ممن سبق منه دعوى التحدي فتأمل ذلك لتدفع به ما أطال به النقاش في تفسيره من ابطال اشتراط ذلك وتزييفه ولا يرد ما سيقع على يد الرجال من الخوارق العجيبة لانه مدع للربوبية لا الرسالة وقد دلت القواطع على كذبه وان ظهور ذلك على يديه لمحض الفتنة لا غير وقد علم مما سبق اشتمال التعريف بالعناية على القيود السبعة التي اعتبرها المحققون في المعجزة أولها ان تكون فعلا لله تعالى أو ما يقوم مقامه كالترك ليتصور كونه تصديقا منه تعالى للاتي به وثانيها أن تكون خارقا للعادة اذ لا اعجاز دونه وثالثها أن يكون ظهوره على يد مدعي النبوة ليعلم انه تصديق له ورابعها أن يكون مقارنا للدعوى حقيقة أو حكما بان تراخى المتحدى عن زمان الخارق تراخيا يسيرا بحيث لا يعده العرف منفصلا منه وخامسها أن يكون موافقا للدعوى اذ المخالف لا يعد تصديقا نعم قد يقبل عند دعوى مدعي الرسالة ان معجزته فلق البحر حيث عين الخارق وسادسها ان لا يكون مكذبا له ان كان ممن يعتبر تكذيبه كقوله معجزتي نطق هذا الجماد فنطق بانه مفتر كذاب فانه يدل على كذبه بخلاف ما اذا قال معجزتي نطق هذا الانسان الميت أو احياؤه لحي وشهد انه مفتر كذاب لانه لا يدل على كذبه لان المعجزة انما هي نطقه أو احياؤه وبعد ذلك هو مكلف مختار فربما اختار الكفر على الايمان كما سلف وسابعها ان تتعذر معارضته الا من نبي مثله فان هذا هو حقيقة الاعجاز زاد بعضهم ثامنا وهو أن لا يكون الخارق واقعا في زمان نقض العادات فما يقع عند قيام الساعة وفيها لا يعد معجزة ثم ان هذه الشروط جميعها موجودة في القرآن فكان معجزة لانه صلى الله عليه وسلم دعاهم الى معارضته بالاتيان بمثله فعجزوا ثم بعشر سور فعجزوا ثم بالاتيان بمثل أقصر سورة منه فعجزوا ثم نادى بذلك على جميع البلغاء والفصحاء من العرب العرباء مع كثرتهم كثرة ومال الدهناء وحصى البطحاء وشهرتهم بانهم فرسان الفصاحة وشجعان البلاغة وافراطهم في العصبية وحمية الجاهلية فعجزوا حتى أنهم آثروا مقارعة السيوف على معارضة الالفاظ والحروف ووجه اعجازه كما قال الجمهور كونه في الطبقة العليا من الفصاحة والدرجة القصوى من البلاغة على ما يعرفه فصحاء العرب

(٤ - شبرخيتي) الاسلام ولما كان الايمان هو تصديق القلب بكل ما علم بالضرورة أنه من دين محمد صلى الله عليه وسلم وكان تصديق القلب أمرا باطنا لا اطلاع لنا عليه جعله الشارع منوطا بالشهادتين قال تعالى قولوا آمنا بالله وقال عليه الصلاة والسلام أمرت ان أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله رواه الشيخان وسيأتي ان شاء الله تعالى الكلام على معنى ذلك وعلى شيء من فضل لا اله الا الله في محله * (تنبيه) * هل النطق بالشهادتين شرط لاجراء أحكام المؤمنين في الدنيا

من الصلاة عليه والتوارث والمناكحة وغيرها فيرد داخل في مسمى الايمان أو يرد داخل في مسماه قولان ذهب به والحقق الى أولهما وعليه من صدق بقلبه ولم يقر بلسانه مع تمكنه من الاقرار فهو مؤمن عند الله وهذا أو في باللغة والعرف وذهب كثير من الفقهاء الى ثانيهما والزمهم الاولون بان من صدق بقلبه فاخترمته المنية قبل اتساع وقت الاقرار بل انه يكون كافرا وهو خلاف الاجماع على ما نقله الامام الرازي ٢٦ وغيره لكن يعارض دعوى الاجماع قول الثقاة الصحيح انه مؤمن مستوجب

الجنة حيث أثبت فيه خلافا (قوله واقام الصلاة) هذا هو الركن الثاني من أركان الاسلام والصلاة لغة الدعاء بخير وشرعا اقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم بشرائط مخصوصة وهي خمس في كل يوم وليلة معلومة من الدين بالضرورة والاصل فيها قبل الاجماع آيات كقوله تعالى وأقيموا الصلاة أي حافظوا عليها دائما باكمال واجبائها وسننها وقوله تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا أي محتمة مؤقتة وأخبار كقوله صلى الله عليه وسلم فرض الله على أمتي ليلة الاسراء خمسين صلاة فلم أزل أراجعه وأسأله التخفيف حتى جعلها خمسا في كل يوم وليلة وقوله للاعرابي حين قال على غيرها قال لا الا أن تطوع وقوله لمعاذ لما بعثه الى اليمن أخبرهم ان الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة وأما وجوب قيام الليل فنسخ في حقنا وهل نسخ في حقه صلى الله عليه وسلم أكثر الاصحاب لا والصحيح نعم واختلف في اشتقاق اسم الصلاة فقيل من الدعاء كما مر وقيل سميت بذلك من الرحمة وقيل من الاستقامة لقولهم صلى الجيش العود على النار اذا قومه فالصلاة تقيم العبد على طاعة الله تعالى وتحمله وتنهاه عن خلافه وقيل لانها أصل بين العبد وبين ربه وقيل غير ذلك قال الرافعي في شرح المسند ان الصبح كانت صلاة آدم والظهر كانت صلاة داود والعصر كانت

تشبه

قال بسليقتهم وعلماء العرب بمهارتهم في فن البيان واحاطتهم بأسالب الكلام هذا مع اشتماله على الاخبار عن المغيبات الماضية والآتية وعلى دقائق العلوم الالهية وأحوال المبدأ والمعاد ومكارم الاخلاق والارشاد الى فنون الحكمة العلمية والعملية والمصالح الدينية والدنيوية على ما يظهر للمتدبرين ويتجلى على قلوب المتفكرين ومما يدل على ان فصحاء العرب اقتفوا عجزوا عنه وعجزوا في فصاحته وبلاغته عن طاقتهم انهم كانوا اذا سمعوه تعجبوا من حسن نظمه وبلاغته وفصاحته وسلامته وجزالته ويرقصون رؤسهم عند سماعه حتى ان اعرابيا سجد عند سماع قوله تعالى فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام وقالت جارية لجاهلية أو سداسية من فصحاء العرب الاصمعي لما رأته تعجب من فصاحة حديثها أو بعد هذا أفصاحة بعد قوله تعالى وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه الآية فقد جمع فيها بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين وقال بعض بظارقة الروم بعد اسلامه لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ان آية من القرآن جمعت كل ما أنزل على عيسى من أحوال الدنيا والآخرة وهي ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه الآية وستأتي هذه بأتم من هذا في شرح قوله بجوامع الكلم * (المستمرة) * أي الدائمة وفي بعض النسخ المستمر وصفاله باعتبار لفظه * (على تعاقب) * أي توالي * (السنين) * تشهد بصدق دعواه فيما جاء به وترشد الى الايمان به في كل زمان وأمام من قبله من الانبياء خصه الله تعالى من المعجزات بما ثبتت به دعواه بحسب زمانه فاذا انقضى زمانه انقطعت معجزته كقلب العصا حية واخراج اليد بيضاء في زمن موسى لان الغلبة فيه كانت بالسحر فأتاهم بما فوق ذلك وفي زمن سليمان بالملك فأتاهم بملك لم ينله غيره وفي زمن عيسى بالطب فأتاهم بما هو أبهر منه أعني احياء الموتى وفي حديث البخاري ما من نبي الا أعطى ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله تعالى الي وفي معناه قولان غير متنافيين يرجع خاصها منهما الى أن معجزات الانبياء انقرضت بانقراض اعصارهم مع كونها حسية تشاهد بالابصار كعصي موسى وناقة صالح فلم يشاهدها الا من حضرها ومعجزة القرآن تشاهد بالبصيرة فيشاهدها كل من جاء بعد الاول وانما كانت أكثر معجزات الامم السابقة حسية لبلادتهم وأكثر معجزات هذه الامة عقلية لفرط ذكائهم * (والمكرم بالسنن) * جمع سنة فعلة بمعنى مفعولة وهي لغة الطريق القويمة يقال فلان على السنة أي على طريق الاستواء لا يميل الى شيء من الاهواء واصطلاحا أقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وأحواله والمراد بها هنا ما سنه أو شرعه صلى الله عليه وسلم من الاحكام فرضا كان أو نفلا من سن الماء يسنه ذا ولى صبه فكان اجراءه على نهج واحد أو من سننت النصل اذا أحددته أو من سن الابل اذا أحسن رعيها وتطلق السنن أيضا على الامم قال بعضهم

ما عاين الناس من فضل كفضلهم * ولا رأوا مثلهم في سالف السنن

ونازع الزجاج في ذلك وقال في المغني أهل السنن بحذف المضاف * (المستنيرة) * أي ذات النور المكنى به عما تضمنته واشتملت عليه هداية العالمين وايقاظ الغافلين بخلاف غير المستنيرة كالبدع فانها

صلاة سليمان والمغرب كانت صلاة يعقوب والعشاء كانت صلاة يونس وأورد في ذلك خبرا فجمع الله سبحانه وتعالى جميع ذلك لنبينا عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام ولأمته تعظيما له والكثرة الاجور له ولامته وقد قال عليه الصلاة والسلام خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن فلم يضيع منهن شيأ استخفافا بحقهن كان له عهد عند الله ان يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء أدخله الجنة وقال صلى الله عليه وسلم علم الايمان ٢٧ الصلاة وقال صلى الله عليه وسلم انما

مثل الصلاة كمثل نهر عذب غمر بباب أحدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون هل يبقى ذلك من دونه شيأ قالوا لا قال فان الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن وقال عليه الصلاة والسلام ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات اسباغ الوضوء عند المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط وقال صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة مر أهلك بالصلاة فان الله يأتيك بالرزق من حيث لا تحتسب وأشد

ألا في الصلاة الخير والفضل أجمع
لان بها الارقاب لله تخضع
وأول فرض في شريعة ديننا
وآخر ما يبقى اذا الدين يرفع
فمن قام للتكبير لاقته رحمة
وكان كمبد باب مولاه يقرع

تشبيه بالظلمات لما يتخيل فيها من سواد وظلام أو هو للايضاح تشبيه لها الوضوحها واهتداء الناس بها وظهورا حكامها بذات النور لما يتخيل فيها من بياض واشراق ثم ان استنارتها وان ظهرت لكل أحد الا أنها لا تتضح كمال الاتضاح الا * (للمسترشدين) * جمع مسترشد وهو طالب الرشاد ضد الغي * (الخصوص) * من الله تعالى عن سائر الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام * (بجوامع الكلم) * من اضافة الصفة للموصوف أي الكلم الجوامع كما في خبر مسلم أوتيت جوامع الكلم وفي خبر الصحيحين بعثت بجوامع الكلم وفي خبر أحمد أوتيت فواتح الكلم وخواتمه وجوامعه وتخصيص الهروي جوامع الكلم بالقرآن مردود وجوامع واحدها جامعة والمراد انه يجمع القليل من كلامه ما يغني عن الكثير من كلام غيره كقوله فيما سيأتي انما الاعمال بالنيات وقوله أن تعبد الله كأنك تراه وقوله لمن سأله الوصية لا تغضب وقوله اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وقوله كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وقوله ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه وقوله الناس كأسنان المشط والمرء كثير باخيه والمرء مع من أحب ولا خير في صحبة من لا يرى لك مثل ما يرى لنفسه الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ما هلك امرؤ عرف قدره رحم الله عبدا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم جبلت القلوب على حب من أحسن اليها الخلق السيئ يفسد العمل كما يفسد الخل العسل ليس الخبر كالمعاينة اليد العليا خير من اليد السفلى ما قل وكفى خير مما كثر وألهى البلاء موكل بالمنطق وزعم ابن الجوزي وضعه مردود جمال الرجل فصاحة لسانه الحيا من خير كله الدال على الخير كفاعله كل معروف صدقة حبك للشيء يعمي ويصم وليس بموضوع بل حسن خلافا لمن وهم فيه ما جمع شيء الى شيء أحسن من حلم الى علم زر غبا تزدد حبا القناعة مال لا ينفد والتزلا يفني الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة والتودد الى الناس نصف العقل وحسن السؤال نصف العلم النساء حبائل الشيطان الظلم ظلمات يوم القيامة وجوز ابن حبيب أن يكون المراد بجوامع الكلم ما جاء انه صلى الله عليه وسلم كان يكلم كل قبيلة بلسانها وان لم يكن رآها قبل وجنح ابن العربي الى غير ذلك فقال اعلم ان آدم عليه الصلاة والسلام حامل للاسماء ومحمد صلى الله عليه وسلم حامل لمعاني تلك الاسماء التي حملها آدم وهي المراد بحديث أوتيت جوامع الكلم ثم قال فعلم ان من حصل الذوات فالاسماء تحت حكمه وليس كل من حصل الاسماء يكون المسمى محصلا عنده ولذلك فضلت الصحابة علينا لانهم حصلوا الذات وحصلنا نحن الاسم ولما راعينا الاسم مراعاة الذات ضوعف لنا الاجر والمشهور الاول ومن القرآن قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي زاد الحسن لم تترك هذه الآية خيرا الا أمرت به ولا شرا الا نهت عنه وذكر ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه بينما هو نائم في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فاذا رجل من بطارقة الروم عند رأسه وهو يقول أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقال له عمر ما شانك قال أسلمت لله قال هل لذلك سبب قال نعم اني قرأت التوراة والانجيل والزبور وكثيرا من كتب الانبياء فسمعت أسير أقرأ آية من القرآن جمع فيها كل ما في

وكان لرب العرش حين صلاته * نجيا فطوبى له حين يخشع قالت عائشة رضي الله تعالى عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلاة قام كأنه لم يعرفنا ولم نعرفه فيا أيها الطامع في ثواب الجنان الخاطب من ربه الحور الحسان حافظ على صلواتك وحفها بالنوافل تنل في غدك أعلى المراتب والمنازل فقد قال عليه الصلاة والسلام ما من مسلم يسجد لله تعالى سجدة الا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة * وروى ابن حبان في صحيحه من حديث عبد الله بن عمير مرفوعا ان العبد اذا قام

يصلي أتى بذنوب مفوضت على رأسه أو على عاتقه فكلما ركع أو سجد نثرت حتى لا يبقى منها شئ ان شاء الله تعالى والاحاديث
منه في فضل الصلاة أكثر من أن تحصى وسيأتي ان شاء الله تعالى في اخر المس الآتية زيادات على ما يذكر هنا * قيل كانت الصلاة
المفروضة تصلى في اليوم والليلة ألف ركعة وتقول ما أريد بها أثوابا ولكن ليسر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول للانبياء انظروا الى
امرأة من أمتي هذا تعجلها في اليوم ٢٨ والليلة (قوله وايتاء الزكاة) هذا هو الركن الثالث من أركان الاسلام والزكاة

الكتب المتقدمة فعلمت انه من عند الله فأسلمت قال فأخذ الآية قال قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله
ويخش الله ويتقه الآية قال عمر رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم أوتيت جوامع الكلام
ولبعضهم وجوامع الكلم التي فتحت له * سجدت لها البلغاء والاقلام أي خضعت
ه (وسماحة الدين) * لقوله صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السمحاء أي السهلة المخلوطة عن
التكاليف الشاقة التي كانت على اليهود كتعين القصاص في القتل عمدا كان أو خطأ ولا تجزي الدية
وقطع الاعضاء الخاطئة وفقء العين في النظر الى ما لا يحل وقتل النفس في التوبة وقرض موضع
النجاسة من الجلد والثوب وربع المال في الزكاة واستراق السارق للسم وفي منه وتحريم الغنائم
ومجالسة الحائض ومؤاكلتها ومضاجعتها والاشتغال يوم السبت واذا أذنب أحدهم حرم عليه أكل
الطيب بتشديد المثناة التحتية من الطعام وأصبح ذنبه مكتوبا على بابه فيحد وخلوه عن التفريط
المفرط المفوت لمحاسن الآداب الذي كان في النصرانية من نحو مخامرة النجاسة وجماع الحائض وتعيين
العفو عن القود والمراد بالحنيفية الملة الابراهيمية مقتبسا من قوله تعالى ملة ابراهيم حنيفا والحنيف
عند العرب من كان على ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام ثم سمي وامن اختتن وحج البيت حنيفا
والحنيف المائل عن الباطل الى الحق سمي ابراهيم عليه السلام حنيفا لانه مال عن عبادة الاوثان
والسمحاء في الحديث صفة الحنيفية ومعناها السهلة والملة السمحاء هي الملة التي لا حرج فيها ولا تضييق
على الناس وهي ملة الاسلام وجمع كونها حنيفية وكونها سمحة فهي حنيفية في التوحيد سهلة في
العمل ولما صلى وسلم على جميع الرسل عموما أعادهما عليه صلى الله عليه وسلم خصوصا منهم على الانبياء
والرسل عموما فقال (صلوات الله وسلامه عليه) اظهار العظمته وأداء لبعض ما يجب له صلى الله عليه
وسلم اذ هو الواسطة بين الله وبين العباد وجميع النعم الواصلة اليهم التي أعظمها الهداية للاسلام
انما هي بمكتبه صلى الله عليه وسلم وعلى يديه وامتثالا لقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه
وسلموا تسليما واعتناما لثواب الوارد في قوله صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل
الملائكة تستغفر له وفي رواية تصلي عليه مادام اسمي في ذلك الكتاب قال الشيخ أحمد زروق يحتمل ان
يكون المراد كتب وهو أظهر أو قرأ الصلاة المكتوبة وهو أوسع وأرجى اه وذكر بعض شيوخنا
ان صوره أربع وان الفضل المذكور يحصل لمن كتب ذلك أو قرأه ان كان مكتوبا وأما من صلى عليه
باللفظ في كتاب ولم يكتبه ولم يكن مكتوبا فيه فانه لا يحصل له الفضل المذكور وهو ظاهر ويدل له قوله
مادام اسمي الخ اذ هو في هذه الحالة لم يدم اسمه في ذلك الكتاب فتأمله ويفهم مما ذكر انه لو جمع بين
الكتابة والصلاة لفظا يحصل له الفضل المذكور بالاولى فان قيل لم أكد سلموا وأتوا بصلوا في قوله تعالى
يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قيل لتأكيدهما بان والتقدم ذكر الصلاة من الله والملائكة
أولا ولان الصلاة من الله رحمة ومن الملائكة استغفار وذلك واقع منهم بلا تردد وأما البشر فلما
صدر من بعضهم ما صدر من أذيتهم وتنقيصهم أمر وا مع الصلاة بالتسليم من النقائص والانقياد

في اللغة هي النمو والبركة وزيادة الخير وفي الشرع اسم لقدر مخصوص من مال مخصوص يصرف لاصناف مخصوصة بشرائط مخصوصة وسميت بذلك لان المال ينمو ببركة اخراجها ودعاء الآخذ ولانها تطهر مخرجها من الاثم وتمدحه حتى تشهد له بصحة الايمان والاصل في وجوبها قبل الاجماع قوله تعالى وآتوا الزكاة وقوله تعالى خذ من أموالهم صدقة وأخبار كثيرة منها هذا الخبر فيكفر جاحدها وان أتى بها في الزكاة المجمع عليها دون المختلف فيها كالركاز ويقاتل الممتنع من أدائها وتؤخذ منه قهرا عليه كما فعل الصديق رضي الله تعالى عنه وفرضت في السنة الثانية من الهجرة بعد زكاة الفطر ويجب في ثمانية أصناف من المال الابل والبقر والغنم والذهب والفضة والزروع والنخل والكرم ونصابها معروف في كتب الفقه ولهذا وجبت لثمانية أصناف من طبقات الناس وهم الذين وأكد ذكرهم الله تعالى بقوله انما الصدقات للفقراء والمساكين الآية وجاء في الزكاة أخبار وآثار كثيرة سيأتي بعضها في غير هذا المجلس
(قوله وحج البيت) هذا هو الركن الرابع والحج في اللغة القصد وفي الشرع قصد الكعبة للنسك وهو فرض على المستطيع لقوله
تعالى ولله على الناس حج البيت الآية ولهذا الخبر ولقوله صلى الله عليه وسلم حجوا قبل أن لا تحجوا قالوا كيف نحج قبل أن لا نحج

قال أن تعمد العرب على بطون الاودية تعون الناس السبيل وهو معلوم من الذين بالضرورة يكفر جاحده الا أن يكون قريب عهد بالاسلام أو نشأ ببادية بعيدة عن العلماء وهو من الشرائع القديمة * روى ان آدم عليه السلام لما حج قال له جبريل ان الملائكة كانوا يطوفون بالبيت قبلك بسبعة آلاف عام وقال صاحب التعجيز ان أول من حج آدم عليه السلام وانه حج أربعين حجة من الهند ماشيا وقيل ماء من نبي الا حجه وقال أبو اسحق لم يبعث الله نبيا بعد ابراهيم الا وقد حج البيت ٢٩ وادعى بعض من ألف في المناسك

وأكد لوقوع الانكار والصلاة عليه صلى الله عليه وسلم واجبة في العمر مرة كالشهادتين والذي يظهر ان حكم السلام في الوجوب في العمر مرة حكم الصلاة كما قاله أبو عبد الله محمد الرصاع * (تنبيه) * قال ابن الجوزي في مفتاح الحصن وأما الجمع بين الصلاة والسلام فهو الاولى والاكمل والافضل لقوله تعالى صلوا عليه وسلموا تسليما ولو اقتصر على أحدهما جاز من غير كراهة فقد جرى عليه جمع منهم مسلم في صحيحه وهلم جرا حتى الامام الشاطبي في قصيدته اللامية والرائية قال وقول النووي وقد نص العلماء على كراهة الاقتصار على الصلاة عليه من غير تسليم اه لا أعلم أحدا نص على ذلك من العلماء ولا من غيرهم وذكر شيخنا أبو الفضل بن الخطيب ان الشافعي اقتصر على الصلاة دون التسليم في خطبة الرسالة وكذا الشيخ أبو اسحق الشيرازي في تنبيهه وكذا النووي في خطبة عقيدته اه من أذكار الشامي وقال الحطاب في شرح خطبة المختصر شاع في كلام كثير من العلماء كراهة افراد الصلاة عن السلام وعكسه وممن صرح بالكراهية المؤلف قال السخاوي في القول البديع وتوقف شيخنا يعني الحافظ ابن حجر في اطلاق الكراهة وقال فيه نظر نعم يكره أن يفرد الصلاة ولا يسلم أصلا أو الصلى في وقت وسلم في وقت فانه ممتثل اه وبينا كذلك في خطبة مسلم والتنبيه وغيرهما من مصنفات أئمة السنة من الاقتصار على الصلاة فقط وقال قبله استدل بحديث كعب وغيره على ان افراد الصلاة عن السلام لا يكره وكذا العكس لان تعليم السلام تقدم قبل تعليم الصلاة اه المراد منه وقال بعض شيوخنا وقع في كتب أهل المذهب للمتقدمين وقوعا شائعا ذكر السلام دون الصلاة عليه حتى أخبرني من يوثق به أنه رأى نسخة من المنتقى بخط الباجي لم يذكر فيها سوى السلام في كل محل ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدل على عدم كراهة افراد السلام عن الصلاة خطا واذا كان لا يكره افراد السلام فافراد الصلاة أولى لان الصلاة واجبة قطعا وجرى خلاف في وجوب السلام وتقدم في كلام السخاوي ان اقتصار مسلم وصاحب التنبيه وغيرهما على كتابة الصلاة فقط يدل على عدم كراهة الافراد (وعلى سائر) بمعنى باقي كما قاله الازهري والحريري والقاضي عبد الوهاب والشيخ تقي الدين بن دقيق العيد وابن الصلاح من السؤر وهو بقية نحو الماء وهو المشهور فيها الذي عليه الاكثر واختلفوا هل هو الباقي مطلقا قل أو كثر أو الباقي الاقل والاول هو الصحيح وبمعنى الجميع كما قاله الجوهري والجواليقي وابن بري من سور المدينة وهو حائط محيط بها وعليه قول القائل

ألزم العالمون جهلك طرا * فهو فرض في سائر الاديان

(النبيين) جمع نبي بالهمز من النبأ وهو الخبر لانه مخبر بفتح الباء عن الله بما يوحى اليه أو بنبوته وبكسرها على ما قاله بعضهم لانه يخبر عن نفسه بذلك ولقول بعضهم انه يجب عليه أن يخبر غيره بنبوته وان نظر فيه وبترك الهمز وهو الاكثر اما تخفيفا من الهمز وزيقلب همزته ياء واما من النبوة وهي الرفعة لان النبي مرفوع الرتبة على غيره من الخلق وبعضهم رجح هذا (والمرسلين) وأسماء الانبياء كلها أعجمية الا أربعة محمد وشعيب وهود وصالح قال التنائي في شرح الرسالة القيروانية وزاد ابن ناجي اسمعيل وفيه

انه لم يجب الاعلى هذه الامة واختلفوا هل حتى فرض تقبل قبل الهجرة حكاه في النهاية المشهور انه بعدها وعليه قيل فرض في السنة الخامسة وقيل في السادسة وقيل في السابعة وقيل في الثامنة وقيل في التاسعة * (فائدة) * في السنة العاشرة من الهجرة كانت حجة الوداع وتسمى حجة الاسلام ولم يحج صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة سواها وقد حج قبل النبوة وبعدها حجات لا يعرف عددها واعتمر بعد أن هاجر أربعا ولا يجب الحج باصل الشرع في العمر الا مرة واحدة لانه صلى الله عليه وسلم لم يحج بعد فرض الحج الا مرة واحدة وهي حجة الوداع كما ذكرناه وخبر مسلم أحجنا هذا لعامنا أم للابد قال لا بل للابد وأما حديث البيهقي الامر بالحج في كل خمسة أعوام فمحمول على الندب لقوله صلى

الله عليه وسلم من حج حجة أدى فرضه ومن حج ثانية دان ربه ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره على النار وقد يجب الحج أكثر من مرة لعارض كنذر وقضاء عن افساد التطوع والعمرة فرض في الاظهر لقوله تعالى وأتموا الحج والعمرة لله أي ائتوا بهما تامين وعن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت يا رسول الله هل على النساء جهاد قال نعم جهاد لا قتال فيه الحج والعمرة ولا تجب في العمر الا مرة واحدة فيما ذكره الخوارزمي من لم يمنعه من الحج مرض قاطع أو سلطان أو ذهاب طريق ومات ولم يحج فلا يبالي مات يهوديا أو نصرانيا وقال عمر رضي

الله تعالى عنه هممت أن أكتب الى الامصار بضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع اليه سبيلا * وعن سعيد بن ابراهيم النخعي ومجاهد ومطاوس لو علمت رجلا غنيا وجب عليه الحج ثم مات قبل أن يحج ما صليت عليه وقد فعله بعض السلف في جاريه وسراريه وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يقول من مات ولم يزك ولم يحج سأل الرجعة الى الدنيا وكان يفسر قوله تعالى رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما ٣٠ تركت كلا وكان يقول هذه الآية من أشد شيء على أهل التوحيد * وقد جاء في فضل

نظرا لذلك لفظ اسمعيل أعجمي نعم لانبياء كلهم عجم الا نحبة محمد واسمعيل وهود وصالح وشعيب والحاصل ان محمدا وهودا وصالحا وشعيبا ذواتهم عربية وكذا أسماؤهم وأما اسمعيل فذاته عربية واسمه أعجمي (وآل) أصله أهل أبدلت الهاء همزة فتوالت همزتان فقلبت الثانية ألفا وبدل له تصغيره على أهيل كذا قيل وهو غير متجه اذ يجوز أن يكون أهيل تصغير أهل لا تصغير آل وقيل أصله أول بفتح لواو وتحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا ولا يضاف الا لمن له شرف من العقلاء لذا كثر ملا يقال آل الاسكاف ولا آل مكة ولا آل فاطمة وأما قوله تعالى ادخلوا آل فرعون الآية فلشرفه الدنيوي كذا قيل والحق أن الغيود كلها أغلبية لقولهم آل الله وآل البيت وقول عبد المطلب

وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

والصحيح جواز اضافته للضمير ومنه حديث اللهم صل على محمد وعلى آله وقول عبد المطلب المتقدم (كل) أي كل واحد من النبيين بحذف المضاف اليه لدلالة السياق عليه والذي اختاره الامام مالك والازهري ورجحه النووي في شرح مسلم ان آله صلى الله عليه وسلم أتباعه وهم أمة الاجابة وهو اللائق بمقام الدعاء لكن قيده القاضي حسين وغيره بالاتقياء منهم ويؤيده قوله تعالى ان أولياؤه الا المتقون قيل فيحمل كلام من أطلق عليه وقيل يبقى على اطلاقه بأن يراد بالصلاة الرحمة المطلقة وخبر آل محمد كل تقي سنده واه جدا وروى عن جابر من قوله بسند ضعيف وجرى فيه خلاف في باب الزكاة والذي والمشهور من مذهبنا اختصاصهم فيهما بأقاربه المؤمنين من بني هاشم وزاد الشافعية والمطلب (وسائر الصالحين) وهم القائمون بحقوق الله تعالى وحقوق العباد فدخل الصحابة كلهم لثبوت وصف الصلاح والعدالة لجميعهم ودخل غيرهم ممن اتصف بذلك جعلنا الله تعالى منهم آمين كذا في الشارح الهيتمي وأيضا الصحابة داخلون في آله سواء فسرناه بمطلق أتباعه أو بالاتقياء منهم * (تتمة) * في منع الصلاة على غير الانبياء والملائكة استقلالا وكراهتها وكونها خلاف الاولى خلاف والاصح الكراهة وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى فهو من خصائصه وأما تبعا كما هنا فجائزة اتفاقا (أما بعد) أي بعد البسملة والحمدلة والشهادتين والصلاة والسلام على من تقدم وأتى بها نائبا مناب صلى الله عليه وسلم لانه كان يأتي بها في خطبه وكتبه وهي يؤتى بها للانتقال من أسلوب الى آخر وأصلها مهما يكن من شيء بعد البسملة والحمدلة وما معهما فاقول قدر ويناسب الخ فوقعت كلمة أما موقع اسم هو المبتدأ وفعل هو الشرط وتضمنت معناهما فلتضمنها معنى الشرط لزمتها الفاء اللازمة للشرط غالبا ولتضمنها معنى الابتداء لزمها الصوف الاسم اللازم للمبتدأ فضاء لحق ما كان وابقاء له بقدر الامكان قاله في المطول وقوله غالبا قيد لقوله اللازمة للشرط لانقوله لزمتها الفاء لان لزوم الفاء لأما كلي اذلا تحذف من جزائها الا في ضرورة الشعر كقوله

* فأما القتال لا قتال لديكم * وقوله لزمها الصوف الاسم يرد عليه قوله تعالى فأما ان كان من المقربين الآية والجواب ان في الكلام حذف مضاف أي فأما المتوفى ان كان الخ كما اختاره صاحب الكشاف وأما الجواب بأن الرضى وصاحب المغني جوزا وقوع الشرطية بعدها فلا يتم وأما هذه حرف شرط وتوكيد

الحج والعمرة أخبار كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته حاجا أو معتمرا ومات أجرى الله له أجر الحاج والمعتمر الى يوم القيامة ومنها قوله صلى الله عليه وسلم ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا الوقوف بعرفة * ومنها قوله صلى الله عليه وسلم أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله لم يغفر له وهو أول يوم في الدنيا * ومنها قوله صلى الله عليه وسلم ان الحجر ياقوتة من ياقوت الجنة وان الله يبعثه يوم القيامة وله عينان ولسان ينطق به ويشهد لمن استلمه بحق وصدق وقال مجاهد ان الحجاج اذا قدموا مكة لحقتهم الملائكة فسلموا على ركبان الابل وصافحوا ركبان الحمير واعتنقوا المشاة اعتناقا وفي الخبر ان الله قد وعد هذا البيت أن يحجه كل سنة ستمائة ألف فان نقصوا كملهم الله من الملائكة وان الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة فكل من حجها يتعلق بأستارها دائما ويسعون خلفها حتى تدخل الجنة فيدخلون معها ومنها قوله صلى الله عليه وسلم من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه * ومنها قوله صلى الله عليه وسلم العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة ومنها قوله صلى الله عليه وسلم عمرة في رمضان تعدل حجة (نكتة) حكي عن محمد بن المنكدر انه حج ثلاثا وثلاثين حجة فلما كان في آخر

نعيمه جمعها قال وهو بعرفات اللهم انك تعلم اني وقعت بموقفي هذا ثلاثا وثلاثين وقفة واحدة عن فرضي والثانية عن أبي والثالثة عن أمي وأشهدك يارب اني قد وهبت الثلاثين لمن وقف بموقفي هذا ولم تقبل منه فلما دفع من عرفات نودي يا ابن المنكدر أتتكرم على من خلق التكرم والجود وعزتي وجلالي اني لقد غفرت لمن وقف بعرفات قبل ان أخلق عرفات بالف عام (قوله وصوم رمضان) هذا هو الركن الخامس من أركان الاسلام وجاء في رواية تقديمه على الحج وهو رواية الاكثر ووجهه أن الصوم في كل عام ووجه ما هنا ما فيه من تنشيط النفس وارضائها بما فيه من المشقة وبذل المال والصوم في اللغة الامساك ومنه قوله تعالى حكاية عن مريم اني نذرت للرحمن صوما أي امساكا وسكوتا عن الكلام وفي الشرع امساك عن المفطر على وجه مخصوص مع النية والاصل في وجوبه قبل الاجماع قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم أي من الامم الماضية قيل ما من أمة الا أوجب الله عليهم رمضان الا انهم ضلوا عنه وأخبار كهذا الخبر وهو قوله صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس وفرض في شعبان في السنة الثانية من الهجرة وأركانه ثلاثة صائم ونية وامساك عن المفطرات ويجب صوم رمضان باحد أمرين باكمال شعبان ثلاثين يوما أو رؤية الهلال ليلة الثلاثين من شعبان ووجوبه معلوم من الدين بالضرورة فمن جحد وجوبه فهو كافر الا أن يكون قريب عهد بالاسلام أو نشأ ببعد عن العلماء ومن ترك صومه غير جاحد من غير عذر كمرض وسفر كأن قال الصوم واجب علي ولكن لا أصوم حبس ومنع الطعام والشراب نهارا ليحصل له ضرورة الصوم بذلك وقد قيل ان الصوم عموم وخصوص وخصوص الخصوص فصوم العموم هو كف البطن والفرج عن قصد الشهوة وصوم الخصوص هو كف السمع والبصر واللسان واليد

دائما وتفصيل غالبا وبعد ظرف مبني على الضم كغيره من الظروف المقطوعة عن الاضافة لمشابهة الحرف لاحتياجه الى معنى ذلك المحذوف وانما بني على حركة تنبيها على ان لها اعرابا في الاعراب وعلى الضم جبرا بأقوى الحركات لما لحقها من الوهن بحذف ما يحتاج اليه وليكمل لها جميع الحركات لانها في الاعراب كانت اما مجرورة بمن أو منصوبة على الظرفية أو لتخالف حركة بنائها حركة اعرابها واختلف في أول من تكلم بها فقيل داود عليه الصلاة والسلام وهو الاشهر وهي فصل الخطاب الذي أوتيه لانها تفصل بين المقدمات والمقاصد في الخطب والمواعظ وقيل أول من تكلم بها يعقوب وقيل أيوب وقيل سليمان وقيل قس بن ساعدة الايادي وقيل كعب بن لؤي وقيل يعرب بن قحطان وقيل سحبان بن وائل وعليها فصل الخطاب الذي أوتيه داود البينة على المدعي واليمين على من أنكر لكن القول بان أول من تكلم بها سحبان فيه نظر لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقولها في خطبه وهو قبل سحبان اجماعا اذ سحبان كان في زمن معاوية وأجيب بان المراد أول من قالها بعد النبي صلى الله عليه وسلم وصحة هذا الجواب تتوقف على أنها لم تصدر من أصحابه بعده ولا من غيرهم الى زمن سحبان والظن خلاف ذلك لما علم من كمال محافظتهم على الاقتداء به في نحو ذلك والاولى في الجواب انه أول من تكلم بها في الشعر كقوله

لقد علم القوم اليمانون انني * اذا قلت أما بعد اني خطيبها

وبعد ظرف زمان باعتبار النطق ومكان باعتبار الرقم * (فقد رو ينا) * قد للتحقيق وأتى بنون العظمة لاظهار نعمة التلمس بالعلم المتأكد تعظيم أهله امتثالا لقوله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث مع الامن من الاعجاب ونحوه والا كان مذموما وأيضا العرب تؤكد فعل الواحد فتجعله بلفظ الجمع ليكون أثبت وأوكد وقد يقال النون ليست للعظمة بل للتكلم مع غيره اشارة الى أن هذا الحديث قد تداولته الرواة الذين هو منهم طبقة بعد طبقة وانه متعارف مشهور بينهم لا تختص روايته به والرواية الاخبار عن أمر عام لا ترافع فيه الى الحكام وروينا بفتح الواو مع تخفيف الواو والمفتوحة عند الاكثرين من روى يروي اذا نقل عن غيره وقال جمع الاجود ضم الراء وكسر الواو مشددة أي من صيرونا رواة عنهم باجازتهم لنا * (عن علي) * أول من أسلم من الصبيان وله سبع سنين أو ثمان أو تسع أو عشر وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى تبوك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه في أهله فقال يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان قال أما ترضى ان تكون مني بمنزلة هرون من موسى غير أنه لا نبي بعدي وعنه انه قال انطلقت أنا والنبي صلى الله عليه وسلم حتى أتينا الكعبة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلس وصعد على منكبي فذهبت لانهض به فرأى مني ضعفا فنزل وجلس لي نبي الله صلى الله عليه وسلم وقال اصعد على منكبي قال وصعدت على منكبيه قال فنهض بي فانه يخيل الى اني لو شئت لنلت أفق السماء حتى صعدت على البيت وعليه تمثال من صفر أو نحاس فجعلت أزاوله عن يمينه وشماله وبين يديه ومن خلفه حتى اذا استمكنت منه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اقذف به فقذفت به فتكسر كما تتكسر القوارير ثم نزلت فانطلقت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم نسبق حتى توارينا بالبيوت

والرجل وسائر الجوارح عن الآثام وصوم خصوص الخصوص هو صون القلب عن الهمم الدنيئة وكفه عما سوى الله تعالى بالكلية * وقد ساق فى فضل رمضان أخبارا كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس ما فى رمضان من اليمن والبركة لتمنوا أن يكون حولا كاملا وقال صلى الله عليه وسلم من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وفى رواية وما تأخر وقال صلى الله عليه وسلم من قام رمضان ايمانا ٣٢ واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وفسر قيامه بصلاة التراويح وقال صلى الله

عليه وسلم للصائم فرحتان اذا أفطر فرح بفطره واذا لقى ربه فرح بصومه وقال الصائم لا ترد دعوته وقال بعضهم فى المعنى

ورب لو أبصرت قوما تتابعت
عزائمهم حتى لقد بلغوا الجهدا
لأبصرت قوما حاربوا النوم وارتدوا
بأردية السهاد والتزموا السهدا
وصاموا نهارا ثم لما أتى المسا
أفطروا
على بارد الأقوات واستعملوا الكدا
أولئك قوم أحسن الله فعلهم
وأبدلهم من حسن فعلهم الخلدا

وقال صلى الله عليه وسلم من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وهى فى رمضان فى العشر الاخير منه وعن ابن مسعود الغفارى انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد يصوم يوما من رمضان الا زوج زوجة من الحور العين فى خيمة من درة مجوفة مما نعت

الله حور مقصورات فى الخيام على كل امرأة منهن سبعون حلة ليس منها حلة على لون الاخرى ويعطى سبعين لونا من الطيب ليس منهن نوع لون على ريح الآخر لكل امرأة منهن سبعون سريرا من ياقوتة حمراء موشحة بالدر على كل سرير سبعون فراشا على كل فراش أريكة لكل امرأة منهن سبعون ألف وصيفة لحاجتها وسبعون ألف وصيف مع كل وصيف صحفة من ذهب فيها لون من طعام

تجد لا آخر لقمة منها لذة لم تجدها الاولى ولها ويعطى زوجها مثل ذلك على سرير من ياقوت أحمر عليه سوار ان من ذهب موشح بياقوت
لكل يوم صامه من شهر رمضان سوى ما عمل من الحسنات رواه الترمذى الحكيم * وقال وكيع فى تفسير قوله تعالى كلوا واشربوا
هنيأ بما أسلفتم فى الايام الخالية انها أيام الصوم تركوا فيها الاكل والشرب وفى صحيح النسائى اذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة
وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين وروى الزهرى ان تسبيحة واحدة فى شهر ٣٣ رمضان أفضل من ألف تسبيحة

خلقه وعنه أيضا استعيذوا بالله من خشوع النفاق قيل وما خشوع النفاق قال أن يرى الجسد خاشعا
والقلب ليس بخاشع وقيل له لم لا تقول الشعر فانه ليس رجل له بيت فى الانصار الا وقد قال شعرا قال
وأنا قد قلته فاسمعوا فقال رضى الله عنه

يريد المرء أن يعطى مناه * ويأبى الله الا ما أرادا
يقول المرء فائدتى ومالى * وتقوى الله أفضل ما استفادا

وعنه أيضا أدركت الناس وما لاشوك فيه فأصبحوا شوكا لا ورق فيه ان فقدتهم فقدوك وان تركتهم
لا يتركوك قالوا فكيف نصنع قال تقرضهم من عرضك ليوم فقرك ولما اشتكى دخل عليه أصحابه
فقالوا ما تشتكى فقال ذنوبى قالوا فما تشتهى قال الجنة قالوا فندعوا لك طبيبا قال هو الذى أضجعنى
ومات بدمشق سنة اثنين وثلاثين وقيل سنة احدى وثلاثين فى خلافة عثمان وغزواته مائة وتسعة
وعشرون (و) عبد الله (ابن عمر) بن الخطاب الرجل الصالح بشهادة المصطفى صلى الله عليه وسلم وكان
لزم الناس متابعة للنبى صلى الله عليه وسلم فى أفعاله وآدابه توفى بمكة سنة ثلاث أو أربع وسبعين
وغزواته ألفان وسبعمائة وثلاثون وسيأتى عند ذكره شئ من مآثره (و) عبد الله (ابن عباس)
حبر الامة وعالمها وترجمان القرآن ودعا له النبى صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم فقهه فى الدين وعلمه
التأويل ومات بالطائف سنة ثمان وستين وهو ابن سبعين سنة وغزواته ألف وستمائة وثمانية
وستون وسيأتى عند ذكره شئ مما يتعلق به (و) أبو حمزة (أنس ابن مالك) الانصارى مازحه النبى
صلى الله عليه وسلم بقوله يا ذا الاذنين وخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بدر وانما لم يعد فى
البدريين لانه لم يكن فى سن من يقاتل مات بالبصرة بعد ان عمر أكثر من مائة سنة وهو آخر من مات من
الصحابة بها ومات سنة احدى أو اثنين أو ثلاث وتسعين وغزواته ثمانى حديث وستة وثمانون حديثا
وسيأتى عند ذكره ايراد شئ مما يتعلق به (وأبى هريرة) عبد الرحمن بن صخر الدوسى على الاصح فى
اسمه واسم أبيه دل الشافعى أحفظ من روى الحديث فى دهره أبو هريرة وكان صاحب قيام وصيام
يسبح فى اليوم اثنى عشر ألف تسبيحة ولى أمرة المدينة ومات بها سنة سبع أو تسع وخمسين وله ثمان
وستون سنة وأحاديثه المرفوعة خمسة آلاف وثلثمائة وستون حديثا وسيأتى عند ذكره شئ من
أموره (وأبى سعيد الخدرى) بالمهملة نسبة الى خدرة قبيلة من الانصار مات سنة أربع وسبعين وله
أربع وتسعون سنة ودفن بالبقيع وغزواته ألف ومائة وسبعون وسيأتى عند ذكره التعرض لشئ مما
يتعلق به (من طرق كثيرة بروايات متنوعات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من) اسم شرط جازم
(حفظ) أى نقل وان لم يحفظ اللفظ ولا عرف المعنى اذ به يحصل الانتفاع للمسلمين بخلاف حفظ ما لم
ينقل اليهم قاله المصنف واعترض تفسيره الحفظ بما ذكر بان البحث فى زمرة الفقهاء والعلماء بستدعى
معرفة المعانى اذ لا يسمى فقيها عالما الا به وأجيب بان حفاظ الاربعين تختلف درجاتهم فمنهم مقتصر
على الرواية دون الدراية فهذا يحشر فى زمرة الفقهاء والعلماء لقوله صلى الله عليه وسلم من تشبه بقوم فهو

فى غيره (نكتة عظيمة)
عن ثابت رضى الله عنه
أنه قال كان أبى من
القوامين لله فى سواد
الليل قال رأيت ذات ليلة
فى منامى امرأة لا تشبه
النساء فقلت لها من أنت
فقالت حوراء أمة الله
فقلت لمن زوجينى نفسك
فقالت أخطبنى من عند
ربك وامهرنى فقلت
ومامهرك فقالت طول
التهجد وأنشدوا فى المعنى
يا طالب الحور راعى فى
خدرها
وطالبا ذاك على قدرها
انهض بجد لا تكن وانيا
وجاهد النفس على صبرها
وجانب الناس وارفضهم
والتزم الوحدة فى وكرها
وقم اذا الليل بدا وجهه
وصم نهارا فهو من مهرها
فلو رأت عيناك اقبالها
وقد بدت رمانتا صدرها
وهى تماشى بين أترابها
وعقدها يشرق فى نحرها
لهان فى نفسك هذا الذى
تراه فى دنياك من مهرها
* واعلم أن وجه الحصر
فى أركان الاسلام الخمسة

(٥ - شبرخيتى)

المذكورة فى الحديث ان العبادة اما قولية وهى الشهادة أو غير قولية وهى اما تركية وهو الصوم أو فعلية
وهو اما بدنى وهو الصلاة أو مالى وهو الزكاة أو مركب منهما وهو الحج فان قيل لم يذكر مع الخمس الجهاد فالجواب انه لم يكن فرض
أو كان فرضه فرض كفاية بخلاف الخمس فانها فرائض أعيان فهذه أركان الاسلام (خاتمة المجلس) جاء فى الحديث عن النبى صلى
الله عليه وسلم أنه قال اذا أراد الله بعبد خيرا سلك فى قلبه اليقين والتصديق واذا أراد به شرا سلك فى قلبه الريبة قال الله تعالى فمن

يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا وقد اتفق أهل السنة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين على ان المؤمن الذي يحكم بانه من أهل القبلة ولا يخلد في النار لا يكون الا من اعتقد بقلبه دين الاسلام اعتقادا جازما خاليا من الشك ونطق بشهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله * وحكى عن عبد الواحد بن زيد قال مررت في بعض الجبال بشيخ أعمى أصم مقطوع اليدين ٣٤ والرجلين ضربه الفالج يصرع في كل وقت والزنابير تنهش من لحمه والدود يتناثر من جنبيه وهو يقول الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيرا من خلقه قال فتقدمت اليه وقلت له يا أخي وأي شئ عافاك الله منه والله ما أجد جميع البلايا الا يحيطة بك قال فرفع طرفه الي وقال لي يا بطال البلك عني فانه عافاني اذ أطلق لي لسانا يوحده وقلبا يعرفه وفي كل لحظة يذكره وأنشد

حمدت الله ربي اذ هداني ... الى الاسلام والدين الحنيفي

فيذكره لساني كل وقت ... ويعرفه فؤادي بالطيف

اللهم اختم لنا منك بخير في غاية بلا محنة آمين والحمد لله رب العالمين

* (المجلس الرابع في الحديث الرابع) *

الحمد لله الذي أتقن المصنوعات وفطر الموجودات وأمات الاحياء وأحيا الاموات ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له رب الارضين والسموات وأشهد أن سيدنا محمدا صلى الله فقيها عليه وسلم عبده ورسوله سيد السادات ومعدن السعادات صاحب الآيات البينات والمعجزات الظاهرات الشفيع فيمن يصلي عليه يوم الحسرات صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أهل الفضل والكرامات (عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون

منهم فمن تشبه بالعلماء يكرم كما يكرم مورث وان لم يكن منهم حقيقة ومنهم من ضم الى الرواية الدراية فبان نقل الاحاديث وفهم ظواهر معانيها وفهم غيره فهذا يكتب في زمرة العلماء ويحشر مع الشهداء ومنهم من فيه أهلية التخريج واستنباط الاحكام كالبخاري ومسلم وشبههما فذا فقيه عالم حقيقة فيبعث يوم القيامة على ما مات عليه وأما جواب الشارح الهيتمي بان بعث المحافظ في زمرتهم لا يستدعي انه ما منهم بل يكفي انه منسوب لهم نسبة ما لم فهو غير ظاهر لان قوله في بعض طرق الحديث كتب في زمرة العلماء يأباه اذ الكتابة في قوم تقتضي انهم منهم ولا يعترض على المصنف بانهم فسروا الاحصاء في حديث ان لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها كلها دخل الجنة بمن حفظها مستظهرا او بمن الاستظهار بان المراد قراءتها كلمة كلمة على سبيل الترتيل أو علمها وتدبر معانيها أو القيام بحقها والعمل بمقتضاها او جعلوا الاول للعوام والثاني للعلماء والثالث للاولياء لان القصد التعبد باللفظ وهنا النفع المتعدي وهو لا يحصل بمجرد اللفظ بل بالعقل وصرح جمع منهم العلامة نجم الدين الطوفي بعدم الاكتفاء بالكتابة بل مرارا وحينئذ فمن حفظها بقلبه ولم ينقلها لم يشمله الوعد وان كتبها في عشرين كتابا ونظر فيه الهيتمي بان كتابتها نقل لها اهـ والحفظ ضبط الشئ ومنعه من الضياع والانصاف انه لا يدخل في الوعد الا من حدث بها بعين له بها رواية أو نقلها الهم عن أحد رواوين لمسلمين المعروفة المعول عليها والمرجوع لها (على أمتي) الامة في الاصل الجماعة قال الاخفش هي في اللفظ واحد وفي المعنى جمع وكل جنس من الحيوان أمة وفي الخبر لولا أن الكلاب أمة من الامم لامرت بقتلها والمراد بها هنا أمة الاجابة (أربعين حديثا) نصبه على التمييز وخص هذا العدد دون غيره لانه أقل عدد له ربع عشر صحيح وفي الحديث أدوا ربع عشر أموالكم من كل أربعين درهما درهم أي بشرط بلوغ لدراهم مائتي درهم اذ لا وجوب في أقل من ذلك فدل حديث الزكاة على تطهير ربع العشر الباقي فكذلك العمل بربع عشر الاربعين حديثا يخرج باقيها عن كونه غير معمول به ولذا قال بشر الحافي يا أهل الحديث احملوا من كل أربعين حديثا بحديث * (من) * تبعيضية * (أمر) * أي شأن * (ديني) * احترز به عن المتعلق بامر دنياها فلا يكون بهذه المثابة * (بعثه الله في زمرة) * الزمرة الجماعة من الناس (الفقهاء) العارفين بالفروع الفقهية من الفقه وهو لغة الفهم (والعلماء) هو أعم مما قبله لانه يشمل المفسرين والمحدثين والفقهاء لا من العلم وهو صفة توجب تمييزا بين المعاني لا يحتمل النقيض ومن ثم قال النسفي استنبطت أبا الحسن الكيا الطبري فيمن أوصى بثلث ماله للعلماء والفقهاء هل يدخل فيهم كتبة الحديث فكتب نعم كيف لا تدخل وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من حفظ على أمتي أربعين حديثا من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة فقيها عالما وأسند أبو الحسن القابسي الى علي بن الجعد جاء رجل لي سفيان الثوري فقال حلفت بالطلاق اني عالم فقال ان كان مستندك علم فلان وأبي فلان فقد حنثت وان كان عندك أربعون حديثا من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فانت لم تحنث ولما كان البعث في زمرة الفقهاء والعلماء لا يستلزم أن يكون منهم بين المراد بذكر الرواية الثانية بقوله (وفي رواية) ذكرها أبو نعيم في الحلية (بعثه الله

علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد فوالذي لا إله غيره ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها رواه البخاري ومسلم) اعلموا اخواني وفقني الله وإياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم خرج من بين شفتي النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم قال ابن مسعود رضي الله عنهما (حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي انشأ لنا خبرا حادثا (وهو الصادق) في خبره (المصدوق) فيه أو الذي يأتيه غيره بالصدق فهو صلى الله عليه وسلم صادق في قوله وفيما يأتيه من الوحي مصدوق اذ الله صدقه فيما وعده به (قوله ان أحدكم) بمعنى واحدكم وقوله (يجمع) بالبناء للفعول (خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة) أي يضم ويحفظ ماء خلقه وهو الماء الذي يخلق منه في ذلك الزمن (ثم يكون) بعد ان كان نطفة (علقة) وهي قطعة دم جامد (ثم يكون مضغة) وهي قطعة لحم صغيرة بقدر ما يمضغ (مثل ذلك) المذكور وفيها يصورها الله تعالى ويجعل لها قابا وسمعا وبصرا وأمعاء وغير ذلك من الاعضاء ثم اذا تمت وصار ابن مائة وعشرين يوما (يرسل الملك) بالبناء للفعول أي الموكل بالرحم كما ذكره في حديث أنس *(فائدة)* أفتى ابن يونس وغيره أنه لا يحل للمرأة أن تستعمل دواء يمنع الحبل ذكره في العجالة (قوله فينفخ فيه الروح) قال جمهور المتكلمين الروح جسم لطيف مشتبك بالبدن اشتباك الماء بالعود الاخضر وقال جمع منهم هي عرض وهي الحياة التي يصير البدن بوجودها حيا وهي باقية لا تفنى عند أهل السنة (قوله ويؤمر) بالبناء للفعول (بأربع كلمات) أي

فقيها عالما وفي رواية أبي الدرداء وكنت له يوم) اليوم الشرعي من طلوع الفجر الى الغروب وليس مرادا وانما المراد منه القطعة من الزمان ومنه قول الشاعر

فيوم علينا ويوم لنا * ويوم نساء ويوم نسر

(القيامة) مصدر قام يقوم ودخلها التأنيث للمبالغة وسميت بذلك لقيام الخلق من قبورهم وقيل غير ذلك (شافعا) من الشفاعة وهو سؤال الخير للغير والمراد هنا سؤال التجاوز عن الذنوب والجرائم (وشهيدا وفي رواية ابن مسعود قيل له ادخل من أي أبواب الجنة شئت وفي رواية ابن عمرو كتب في زمرة العلماء) هذه الرواية معايرة للرواية السابقة وهي بعثه الله في زمرة الفقهاء والعلماء (وحشر في زمرة الشهداء) جمع شهيد وهو قتيل المعركة سمي شهيدا لان الله وملائكته يشهدون له بالجنة يوم القيامة أو لشهادة ملائكة الرحمة له أو لشهادة حاله بصدق نيته أو لشهادته الحساب ولا يحاسب أو لان معه شاهدا رهو الدم لانه يبعث وجرحه ينفث دما أو لسقوطه على الشهادة وهي الارض أو لانه يستشهد يوم القيامة على الكفار وهي غير متباينة يمكن اجتماعها الا ان الشهادة لا تختص بالقتل في المعترك (واتفق الحفاظ) أي أكثرهم (على انه) أي الحديث المذكور (حديث ضعيف) قال ابن حجر وجمعت طرقه في جزء ليس فيها طريق تسلم من علة قادحة واما ذكر ابن الجوزي له في الموضوعات فهو تساهل منه والصواب انه ضعيف لا موضوع بان قلت سلمنا عدم وضعه لكنه شديد الضعف والحديث اذا اشتد ضعفه لا يعمل به ولا في الفضائل كما قاله ابن السبكي وغيره وحينئذ فكيف عمل به جمع من الائمة أتبعوا أنفسهم في تخريج الاربعينيات اعتمادا عليه قلت لا نسلم انه شديد الضعف لانه هو الذي لا يخلو طريق من طرقه من كذاب أو متهم بالكذب وهذا ليس كذلك كما دل عليه كلام الائمة ولئن سلمنا ذلك فهم لم يعتمدوا في ذلك عليه بل على ما سيذكره المصنف من الاحاديث الصحيحة وأما خبر من حفظ من أمتي حديثا واحدا كان له كاجر أحد وسبعين نبيا صديقا فهو موضوع قاله الشارح الهيتمي (وقد صنف العلماء رضي الله عنهم في هذا الباب ما لا يحصى من المصنفات) أي رلى بهم أسوة (فاول من) علمته (صنف فيه) أبو عبد الرحمن (عبد الله بن المبارك) بن واضح الحنظلي التميمي من تابعي التابعين أحد الائمة الاعلام قال ابن مهدي الائمة أربعة سفيان ومالك وحماد بن زيد وابن المبارك وقال أحمد لم يكن في زمن ابن المبارك أطلب للعلم منه وكان صاحب حديث حافظا وقال ابن معين ما رأيت من يحدث لله الا ستة منهم ابن المبارك وكان ثقة عالما مأمونا صحيح الحديث وكان كتبه التي حدث فيها عشرين ألفا ولد سنة تسع عشرة ومائة وقيل سنة ثمان وتوفي منهم رفا من الجهاد سنة احدى وثمانين ومائة وله ثلاث وستون سنة وكان أبوه مملوكا لرجل من همدان (ثم محمد بن أسلم) بن سالم بن زيد (الطوسي) بضم الطاء نسبة الى قرية من قرى بخارى (العالم الرباني) وصفه بذلك لقول ابن خزيمة هو رباني هذه الامة لم ترعيني مثله والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون للدلالة على كمال الصفة وهو شديد التمسك بدين الله وطاعته وعن المبرد انه منسوب الى ربان الذي يربي الناس بالتعليم واصلاحهم وقال الفيومي انه الكامل من

بكتبها والحق بينها صلى الله عليه وسلم بقوله (بكتب) بالباء الموحدة (رزقه) وهو ما يناوله الانسان من مأكول وملبوس وغيرهما قليلا أو كثيرا حلالا أو حراما (وأجله) وهو الزمن الذي علم الله ان الشخص يموت فيه أو مدة حياته (وعمله) من خير أو شر (وشقي) بعصيانه الله (أو سعيد) بطاعته له وهما مرفوعان على الخبرية لمبتدا محذوف اذ التقدير وهو شقي أو سعيد

* (فائدة) * الكاتب هو الله تعالى ٣٦ بمعنى انه يأمر بالكتابة الملك وقد جاء أيضا فرغ الله تعالى من أربع من الخلق والاجل والرزق والخلق بفتح الخاء اشارة الى الذكورة والانوثة ويضمها الى السعادة والشقاوة وظاهر ما تقدم من أمر الملك بالكتابة انه من قبل سؤاله فيها فقد جاء في الاحاديث الصحيحة المروية عن ابن مسعود وابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان النطفة اذا استقرت في الرحم أخذها الملك بكفه فقال أي رب ذكر أم أنثى شقي أم سعيد فما الاجل ما الاثر بأي أرض يموت فيقال له انطلق الى أم الكتاب فانك تجد قصة هذه النطفة فينطلق فيجد قصتها في أم الكتاب فتأكل رزقها وتطأ أثرها فاذا جاء أجلها قبضت فدفنت في المكان الذي قدرلها وفي رواية من حديث ابن مسعود ان الملك يقول يارب مخلقة أم غير مخلقة فان قال غير مخلقة قذفها في الارحام دما وان قال مخلقة قال أي رب ذكر أم أنثى الى آخر ما تقدم وجاء مرفوعا اذا مات الجسد دفن من حيث أخذ ذلك التراب وقال صلى الله عليه وسلم اذا قضى الله لعبد أن يموت بارض جعل له اليها حاجة أو قال بها حاجة وقيل في معناه اذا ما حمام المرء كان ببلدة دعته اليها حاجة فيطير وروى الترمذي الحكيم في نوادر الاصول عن أبي هريرة رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف فتعرض نواحي المدينة فاذا بقبر يحفر فاقبل حتى وقف عليه فقال لمن هذا قيل لرجل من الحبشة يقال له لا له الا الله

كل الوجوه في جميع المعاني وفي البخاري هو الذي يربي صغار العلم قبل كباره وقال الشارح الهيتمي هو من أفيضت عليه المعارف الالهية فعرف بها ربه وعرف الناس بعلمه له صنف المسند وجوده وكان من أئمة الحفاظ والاولياء الابدال واقدم شيخ له النضر بن شميل وكان شيبها بأحمد بن حنبل توفي في المحرم سنة اثنتين وأربعين ومائتين (ثم) حدث خراسان (الحسن) رحل البلدان وسمع وصنف وكان له كرامات كثيرة وتوفي سنة ثلاث وثلثمائة (ابن سفيان) بمثلثين السين (النسائي) بفتح النون نسبة الى نسا مدينة بخراسان صاحب المسند (وأبو بكر) محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي صاحب كتاب الشريعة والاربعين وله تصانيف كثيرة كان عالما ثقة ديناحدث ببغداد ثم انتقل الى مكة واستطابها وقال اللهم أحيني في هذه البلدة لوسنة فمرضها فقال يقول له لم سنة ولكن ثلاثين سنة فلما كملت قيل له وفيناالعهد فمات بمكة في المحرم سنة ستين وثلثمائة (الآجري) بهمزة مفتوحة ممدودة (وأبو بكر محمد بن ابراهيم) بن علي كان ثقة على من حفظه (الاصفهاني) بكسر الهمزة وفتحها وبالفاء لا بالباء كذا في الهيتمي وقال السعد بالباء والفاء مع كسر الهمزة وفتحها والفتح أفصح وقال ابن رسلان نسبة الى أصفهان بلدة من بلاد فارس توفي في صفر بها صبيحة ان سنة ست وستين وأربعمائة (و) أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي صاحب السنن والعلل والافراد وغير ذلك (الدارقطني) بفتح الراء نسبة الى دار القطن محلة كبيرة ببغداد قال الحاكم كان أوحد عصره في الحفظ والفهم والورع امام القراء والمحدثين لم يخلق على أديم الارض مثله وقال الخطيب كان فريد عصره وامام وقته وانتهى اليه علم الاثر والمعرفة بالعلل وأسماء الرجال مع الصدق والثقة وصحة الاعتقاد قال رجاء بن محمد المعدل قلت للدارقطني هل رأيت مثل نفسك فقال قال الله تعالى فلا تزكوا أنفسكم فالحجت عليه فقال لم أر أحدا جمع مثل ما جمعت وقال أبو ذر الحافظ قلت للحاكم هل رأيت مثل الدارقطني فقال هو لم ير مثل نفسه فكيف أنا وكان عبد الغني اذا رأى الدارقطني قال أستاذي وقال القاضي أبو الطيب الدارقطني أمير المؤمنين في الحديث وقال البرقاني أملى علي كتاب العلل من حفظه ولد في ذي القعدة سنة خمس أو ست وثلثمائة ومات لثمان خلون من ذي القعدة سنة خمس وثمانين فسنه سبع وسبعون سنة (و) أبو عبد الله (الحاكم) محمد بن عبد الله بن محمد بن رؤبة بن نعيم الضبي النيسابوري صاحب المستدرك والتاريخ وعلوم الحديث والمدخل والاكليل ومناقب الشافعي وغير ذلك ولد سنة احدى وعشرين وثلثمائة في ربيع الاول وكان يعرف بابن البيع رحل وسمع من نحو ألفي شيخ قال عبد الرحمن السلمي سألت الدارقطني أيهما احفظ ابن منده أو ابن البيع فقال ابن البيع أنقى حفظا وقال ابن طاهر قلت لسعد بن علي أربعة من الحفاظ تعاصروا أيهما احفظ قال من قلت الدارقطني ببغداد وعبد الغني بمصر وابن منده باصبهان والحاكم بنيسابور فسكت فألححت عليه فقال أما الدارقطني فاعلمهم بالعلل وعبد الغني بالانساب وأما ابن منده فاكثرهم حديثا مع معرفة تامة وأما الحاكم فاحسنهم تصنيفا دخل الحاكم الحمام بنيسابور ثم خرج فقال آه وقبض وهو مترو لم يلبس قميصه وذلك في صفر سنة خمس وأربعمائة (وأبو نعيم) أحمد بن عبد

عبد الله بن أحمد بن اسحق بن موسى بن مهران الاصبهاني أجاز له مشايخ الدنيا وله ست سنين قال الخطيب لم أر أحدا أطلق عليه اسم الحافظ غير أبي نعيم وأبي حازم وقال ابن مردويه لم يكن في أفق من الآفاق أحفظ منه ولما اشتد ضعف الحلية والمستدرك على البخاري والمستخرج على مسلم ودلائل النبوة ومعرفة الصحابة وتاريخ أصبهان وفضائل الصحابة وصنف في الطب وغيره ولد في رجب سنة ست أو سبع وثلاثين وثلاثمائة ومات بكرة يوم الاثنين لعشر من المحرم سنة ثلاثين وأربعمائة (وأبو عبد الرحمن محمد) بن الحسين صاحب الحقائق وطبقات الاولياء كان عدلا ثقة استاذ أبي القاسم القشيري وشيخ أبي سعيد بن الخير وأثنى عليه الشيخ عبد الله الانصاري كثيرا وقد طعن فيه ابن الجوزي كما هو دأبه في شأن الائمة (السلمي) بضم السين وفتح اللام نسبة الى سليم بن منصور قبيلة مشهورة توفي يوم الاحد ثالث شعبان سنة اثنتي عشرة وأربعمائة ودفن بنيسابور (وأبو سعيد) صوابه كما قال ابن الاثير السمعاني أبو سعد محمد بن محمد بن احمد بن عبد الله بن حمص كان ثقة متقنا صنف وحدث ورحل الى مصر فمات بها في شوال سنة اثنتي عشرة واربعمائة (المالينى) بفتح الميم وكسر اللام ثم بتحتية ثم نون نسبة الى مالين قرى مجتمعة من أعمال هراة يقال لجميعها مالين وأهل هراة يقولون مالان (وأبو عثمان) اسمعيل (الصابوني) نسبة الى عمله (وعبد الله بن محمد الانصاري) الهروي منسوب الى الانصار وهم الاوس والخزرج ولد سنة خمس وتسعين وثلثمائة وكان كثير السهر قوي البأس في نصرة الدين حدث وصنف وتوفي بهراة يوم الجمعة من ذي الحجة سنة احدى وثمانين وأربعمائة (وأبو بكر) أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (البيهقي) نسبة الى بيهق قرية من ناحية نيسابور على عشرين فرسخا منها قال امام الحرمين كل شافعي فللشافعي عليه المنة الا البيهقي فان له على الشافعي المنة ولد في شعبان سنة أربع وسبعين وقيل أربع وثمانين وثلثمائة ألف شعب الايمان ومات في جمادى الاولى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة بنيسابور ونقل في تابوت الى بيهق مسيرة يومين وأورد المصنف ألفاظهم في الاولين اعلمه بالتأخر الزماني فيهما بخلاف الباقين ولما خصص المشاهير بالذكر عمم فقال (وخلائق لا يحصون من المتقدمين والمتأخرين) ولما كانت الاستخارة مطلوبة في جميع الامور لقوله صلى الله عليه وسلم ما خاب من استخار الله ولا ندم من استشار أي من نصحه ولا عال من اقتصد أي ولا افتقر من استعمل القصد في نفقته عياله قدمها المصنف على هذا التأليف لتعود بركتها عليه فقال (وقد استخرت الله) لانه يطلب من كل قادم على أمر يجهل عاقبته أن يستخير الله تعالى في الاقدام والاحجام وقد كان صلى الله عليه وسلم يعلم الناس دعاء الاستخارة كما يعلمهم السورة من القرآن وكان يأمرهم بذلك وفي الحديث الذي رواه ابن السني عن أنس رضي الله تعالى عنه اذا هممت بأمر فاستخر ربك فيه سبع مرات ثم أنظر الى الذي يسبق الى قلبك فان الخير فيه وصفتها أن يصلي ركعتين يقرأ بعد الفاتحة في الركعة الاولى وربك يخلق ما يشاء ويختار الى قوله يعلنون وقيل قل يا أيها الكافرون الى آخرها وفي الركعة الثانية وما كان لمؤمن ولا مؤمنة الى قوله مبين وقيل قل هو الله أحد الى آخرها ثم يدعو بعد

أقصى بلاد الهند فمات به في الوقت والحال فقبض روحه وعاد ملك الموت ودخل على سليمان عليه السلام فقال له سليمان لاي سبب كنت تطيل النظر الى ذلك الرجل قال كنت أتعجب منه لاني أمرت بقبض روحه بارض الهند وهو بعيد عنها الى أن اتفق وحملته الريح الى هنالك كما قدر الله تعالى نقبضت روحه عنده * (تنبيه) * ياهذا أنظر الى قدرة مولاك كيف أنشأك وسواك وفي التوراة مكتوب يا ابن آدم جعلت لك قرارا في بطن أمك وغشيت وجهك بغشاء لئلا تفزع من الرحم وجعلت وجهك الى ظهر أمك لئلا يؤذيك رائحة الطعام وجعلت لك متكأ عن يمينك ومتكأ عن شمالك فأما الذي عن يمينك فالكبد وأما الذي عن شمالك فالطحال وعلمتك القيام والقعود في بطن أمك

فهل يقدر على ذلك أحد غيري فلما أن تمت مدتك أوحيت الى الملك الموكل بالارحام أن يخرجك فاخرجك على ريثة من جناحه لا الثدي يقطع ولا يد تبطش ولا قدم تسعى بها وانبعث لك عرقين رقيقين في صدر أمك يجريان لبنا خالصا حارا في الشتاء باردا في الصيف وألقيت محبتك في قلب أبويك فلا يشبعان حتى تشبع ولا يرقدان حتى ترقد فلما قوى ظهرك واشتد أزرك بارزتني بالمعاصي واعتمدت على المخلوقين ولم تعتمد علي وتسترت من بريتي وبارزتني بالمعاصي في خلواتك ولم تستحي مني ومع هذا إن دعوتني

أحببتك وان سألتني أعطيتك وان تبت الى قبلتك (قوله فوالذي لا اله غيره ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة) أي بامتثال الاوامر واجتناب النواهي (حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع) هذا تمثيل لشدة القرب منها (فيسبق عليه الكتاب) أي بحكمه الذي كتبه في بطن أمه أو اللوح المحفوظ مستندا الى سابق علمه القديم فيه (فيعمل بعمل أهل النار) أي من المعاصي (فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل ٣٨ أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها) بحكم القدر الجاري عليه فمن سبقت له السعادة صرف الله قلبه الى الخير بحكم الكتاب له به ومن سبقت له الشقاوة والعياذ بالله تعالى كان بعكسه وفي بعض روايات هذا الحديث وانما الاعمال بالخواتيم وفي الحديث اعملوا فكل ميسر لما خلق له أما من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فييسر لعمل أهل الشقاوة فقلوب الخلق بيد الله يصرفها كيف يشاء كما أشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله قلوب الخلق بين أصبعين من أصابع الله عز وجل يقلبها كيف يشاء فالموفق من بدئ عمله بالسعادة وختم له بها والمخذول عكسه وكذا من بدئ عمله بالخير وختم له بالشر والعياذ بالله تعالى لا عكسه (نكتة) من لطف الله تعالى ان انقلاب الناس من الخير الى الشر نادر والكثير عكسه * (تنبيه) * ماذكر في هذا الحديث مع

السلام من الركعتين بان يقول اللهم اني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم أن هذا الامر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال عاجل أمري وآجله فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه وان كنت تعلم أن هذا الامر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال عاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به اه قال ويسمي حاجته قال الشيخ خليل في منسكه ثم ليمض بعد الاستخارة لما انشرحت له نفسه قال ابن حجر ينبغي التقاط لدقيقة يغفل عنها ولم أر من نبه عليها وهي أن الواو في المتعاطفات التي بعد خير على بابها والتي بعد شر على معنى أو لان المطلوب تيسيره لابد أن يكون كل من أحواله المذكورة من الدين والدنيا والعاجل والآجل وغيرها خيرية والمطلوب صرفه يكفي فيه أن يكون بعض أحواله المذكورة شرا وفي ابقاء الواو على حالها يلزم أنه لا يطلب صرفه الا اذا كانت جميع أحواله لا بعضها شرا وليس مرادا كما هو ظاهر قال النووي والظاهر أن صلاة الاستخارة تحصل بركعتين من الرواتب وبتحية المسجد وغيرها من النوافل واعترض طلب الاستخارة هنا الا بستخار الا في الامور المهمة وأما هذه طاعة لا شك فيها والجواب أنه انما استخار في هذه مخافة من عدم اخلاص النية فيها أو لان غيرها من الطاعات قد يكون أولى منها لكونه أهم واعلم ان الاستخارة لا تكون في واجب ولا محرم ولا مكروه ولا في فعل مندوب وتركه وانما تطلب في الجائز وفي تقديم بعض المندوبات على بعض (في جميع أربعين حديثا اقتداء به ولا الائمة الاعلام) جمع علم بفتحتين وهو ما يهتدي به في الطريق ويطلق العلم على الجبل لانه يهتدي به كما قالت الخنساء

وان صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم في رأسه نار

وفي قولها وان صخرا وهو اسم أخيها الطيفة اتفاقية لمناسبة الجبل وسمي العالم علما لانه يهتدي الناس بعلمه كما يقال فلان جبل في العلم أو لعلو قدره وانتشاره (وحفاظ الاسلام) فائدة قال السيوطي روينا عن البخاري في آداب طالب الحديث أثر الطيفا أخبرني أبو الفضل الازهري وغيره سماعا ان أبا القاسم المقدسي قال أخبرتنا عائشة بنت علي ان أبا عيسى بن علاق قال أخبرتنا فاطمة بنت سعد الخير ان أبا نهير اليوناني سمع أبا محمد الحسن بن أحمد السمرقندي يقول سمعت أبا بكر محمد بن أحمد بن محمد بن صالح بن خلف يقول سمعت أبا ذر عمار بن محمد بن محمد التميمي يقول سمعت أبا المظفر محمد بن أحمد بن حامد البخاري قال لما عزل أبو العباس الوليد بن ابراهيم بن زيد الهمداني عن قضاء الري ورد بخارى فحملني معلمي أبو ابراهيم الحنبلي اليه وقال أسألك أن تحدث هذا الصبي بما سمعت من مشايخنا فقال ما لي سماع فقال وكيف أنت فقيه قال لاني لما بلغت مبلغ الرجال تاقت نفسي الى طلب الحديث فقصدت محمد بن اسمعيل البخاري أعلمه مرادي فقال لي يا بني لا تدخل في أمر الا بعد معرفة حدوده والوقوف على مقاديره واعلم أن الرجل لا يصير محدثا كاملا في حديثه الا بعد أن يكتب أربعا مع أربع كاربع مثل أربع في أربع عند أربع بأربع على أربع عن أربع لاربع وكل هذه الرباعيات لا تتم الا باربع

جامع لجميع أحوال الشخص اذ فيه بيان حال المبدأ وهي خلقه والمعاد وهي السعادة والشقاوة وما بينهما وهو الاجل وما يتصرف فيه وهو الرزق وفيه دلالة على ان التوبة هادمة لما سلف وأن جميع الامور بقضاء الله وقدره * (مهمة) * المكلفون على أربعة أقسام القسم الاول قوم خلقهم الله تعالى لخدمته ومحبته وهم الانبياء والاولياء والمؤمنون والصالحون والقسم الثاني قوم

خلقهم الله تعالى لجنته دون خدمته وهم الذين عاشوا كفارا ثم ختم لهم بالايمان أو فرطوا مدة حياتهم وانهمكوا في العصيان ثم تاب الله عليهم عند الخاتمة فماتوا على حسن الخاتمة والتوبة والاحسان كسحرة فرعون والقسم الثالث قوم خلقهم الله تعالى لا لجنته ولا لخدمته وهم الكفار الذين يموتون على الكفر حرموا في الدنيا نعيم الايمان وفي الآخرة يعذبون بالعذاب والهوان * والقسم الرابع قوم خلقهم الله تعالى لخدمته دون جنته وهم الذين كانوا عاملين بطاعة الله ثم مكر بهم فطردوا عن باب الله وماتوا على

مع أربع فان تمت له كلها هان عليه أربع وابتلي بأربع فاصبر على ذلك أكرمه الله في الدنيا بأربع وأثابه في الآخرة بأربع قلت له فسر لي رحمك الله ما ذكر من اجمال هذه الرباعيات قال نعم أما الاربع التي يحتاج الى كتبها هي أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم وشرائعه والصحابة ومقاديرهم والتابعين واحوالهم وسائر العلماء وتواريخهم مع أسماء رجالهم وكناهم وأمكنتهم وأزمنتهم كالتحميد مع الخطبة والدعاء مع التوسل والبسملة مع السور والتكبير مع الصلوات مثل المسندات والمرسلات والموقوفات والمقطوعات في صغره وفي ادراكه وفي شبابه وفي كهولته عند شغله وعند فراغه وعند فقره وعند غناه بالجبل والبحار والبلدان والبراري على الأحجار والاصداف والجلود والاكتاف الى الوقت الذي يمكنه نقلها الى الاوراق عن هو فوقه ومن هو مثله وعمن هو دونه وعن كتاب أبيه الذي يثيقن انه بخط أبيه دون غيره لوجه الله تعالى طالبا لمرضاته والعمل بما وافق كتاب الله منها ونشرها بين طالبيها والتأليف في احيائه ذكره بعده ثم لاتم هذه الاشياء الاربع هي من كسب العبد معرفة الكتاب واللغة والصرف والنحو مع أربع هي من اعطاء الله تعالى الصحة والقدرة والحرص والحفظ فان صحت له هذه الاشياء هان عليه أربع الاهل والولد والمال والوطن وابتلي بأربع شماتة الاعداء وملالة الاصدقاء وطعن الجهلة وحسد العلماء فاذا صبر على هذه المحن أكرمه الله في الدنيا بأربع بعز القناعة وبهيبة اليقين وبلذة العلم وبحسن الادب وأثابه الله في الآخرة بأربع بالشفاعة لمن أراد من اخوانه ويظل العرش حيث لا ظل الا ظله ويسقى من أراد من حوض محمد صلى الله عليه وسلم ويجاور النبيين في أعلى عليين في الجنة فقد أعلمتك يا بني بجملات جميع ما كنت سمعت من مشايخي متفرقا في هذا الباب فاقبل الآن على ما قصدتني له أودع (وقد اتفق العلماء على جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الاعمال) في ذكر الاتفاق نظر لان ابن العربي قال ان الحديث الضعيف لا يعمل به مطلقا قال المؤلف في الاذكار ذكر الفقهاء والمحدثون انه يجوز ويستحب العمل في الفضائل والترغيب والترهيب بالحديث الضعيف مالم يكن موضوعا واما الاحكام كالحلال والحرام والمعاملات فلا يعمل فيها الا بالحديث الصحيح والحسن الا أن يكون في احتياط في شيء من ذلك كما اذا ورد حديث ضعيف بكراهة بعض البيوع أو الانكحة فان المستحب ان يتنزه عن ذلك ولكن لا يجب اه ومحل كونه لا يعمل بالضعيف في الاحكام مالم يكن تلقته الناس بالقبول فان كان كذلك تعين وصار حجة يعمل به في الاحكام وغيرها كما قال الامام الشافعي ومن ذلك ما نقله الحافظ جلال الدين السيوطي في الخصائص الصغرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وطئ على صخر الا وأثر فيه وعزاه للحافظ رزين العبدري اه وقد اعتضد هذا الحديث بشواهد كثيرة قال السخاوي في كتابه القول البديع سمعت شيخنا ابن حجر رحمه الله مرارا يقول شرائط العمل بالحديث الضعيف ثلاثة الاول متفق عليه وهو أن يكون الضعف غير شديد وشديد الضعف هو الذي لا يخلو طريق من طرقه من كذاب أو متهم بالكذب والثاني أن يكون مندرجا تحت أصل عام فيخرج ما يخترع بحيث لا يكون له أصل أصلا الثالث ان لا يعتقد

الكفر نسال الله السلامة بمنه وكرمه واعلموا ان أشد ما يهيج خوف القلوب خوف السابقة والخاتمة فان العبد لا يدري هل سبقت له في علم الله السعادة أو الشقاوة والخاتمة تجري على ما جرت عليه السابقة فمن سبقت له في علم الله السعادة ختم له بخاتمة الايمان ومن سبقت له في علم الله تعالى الشقاوة ختم له بخاتمة الكفر والخذلان والعياذ بالله وأكثر ما يكر عند الموت باب البدع وأصحاب الآفات الباطنة والظلمة والمجاهرين بالمعاصي فمن كان في ظاهره الصلاح ومكر به فلا آفات باطنية * ذكر أن فتى من أصحاب الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى مات فرآه الفضيل بن عياض في المنام فسأله عن حاله فأخبره ان الله مكر به ومات يهوديا والعياذ بالله تعالى فقال لم ذلك فقال

انى كنت أظن أني أفضل من أصحابك فكنت أتكبر عليهم وكانت بي علة باطنية فوصف لي شرب الخمر فكنت أشرب قدحا في كل سنة وقال سهل بن عبد الله خوف الصديقين خوف سوء الخاتمة عند كل خطرة وكل حركة وكان سفيان الثوري كثير البكاء والجزع فقيل له يا أبا عبد الله عليك بالرجاء فان عفو الله أعظم من ذنوبك فقال أو على ذنوبي أبكي لو علمت اني أموت على التوحيد لم أبال بامتثال الجبال من الخطايا * ومرض بعض العارفين فقال لبعض اخوانه أقعد عند رأسي حتى أموت فاذا مت على الاسلام فاشتر بجميع

ما الملك لو زاوسكر او فرقه على صبيان البلد وقل هذا عرس فلان وان لم يبن كذلك فاعلم الناس حتى لا يغتر ولا يختار لي فقصد هندر آسه حتى مات على الايمان فاشترى لوزا وسكرا وفرقه على صبيان البلد هذا كان خائفا فلم ومن لم يخف من سلب الايمان فهو على خطر وكان حبيب العجمي يقول من ختم له بلا اله الا الله دخل الجنة ثم يبكي ويقول من لي بان يختم لي بلا اله الا الله وقال الحسن البصري رحمه الله دخل بعض الفقراء الى بلاد الروم فرأى جارية فاعتقتن بها فخطبها فابوا ان يزوجوها حتى ينتصر فاجابهم الى ذلك فاحضروا له القسيسين وتنصر فخرجت الجارية وبصقت في وجهه وقالت ويحك تركت دين الحق لشهوة فكيف لا اترك انا دين الباطل لنعيم الابد انا اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ولنختم مجلسنا هذا بقصة برصيصا العابد ففيها اعظم عبرة (حكي) انه كان له ستون الفا من التلامذة وكانوا يمشون في الهواء ببركته فمات كافرا نعوذ بالله من ذلك وكان يعبد الله تعالى حتى تعجبت الملائكة من عبادته فقال الله تعالى لهم لماذا تعجبون منه اني اعلم ما لا تعلمون في علمي انه يكفر ويدخل النار ابد الآبدين فسمع ذلك ابليس وعلم ان هلاكه على يده فجاء الى صومعته على شبه عابد قد لبس المسح فناداه فقال له برصيصا من انت ومن تريد فقال انا عابد اكون معك على عبادة الله تعالى فقال له برصيصا من اراد عبادة الله تعالى فان الله يكفيه صاحبا فقام ابليس لعنه الله

عند العمل به ثبوته لئلا ينسب الى النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يقله والاخيران عن ابن عبد السلام وابن دقيق العيد والاول نقل العلائي الاتفاق عليه وعن أحمد انه يعمل به اذا لم يوجد غيره وفي رواية عنه ضعف الحديث أحب الينا من رأي الرجال وذكر ابن حزم الاجماع على ان مذهب أبي حنيفة ان ضعيف الحديث أولى عنده من الرأي والقياس اذا لم يوجد في الباب غيره وقد تحصل ان في العمل بالحديث الضعيف ثلاثة مذاهب الاول لا يعمل به مطلقا الثاني يعمل به مطلقا الثالث يعمل به في الفضائل بشروطه (ومع هذا) الذي ذكرته من جواز العمل بالحديث الضعيف في الفضائل (فليس اعتمادي على هذا الحديث) وحده (بل على قوله صلى الله عليه وسلم في الاحاديث الصحيحة ليبلغ الشاهد) السامع ما أقول (منكم الغائب) عنه بالنصب على المفعولية وهذا نحو يرض على التعليم والتعلم فانه لولاه لانقطع العلم بين الناس كذا في بعض النسخ وفي بعضها تقديم حديث نضر الله امرأ على هذا الحديث (وقوله) صلى الله عليه وسلم (نضر الله) بفتح الضاد المعجمة روي مخففا ومشددا قال بعضهم أكثر الشيوخ يشددون وأهل الادب يخففون قال في البحر وهو أفصح من النضارة وهو حسن الوجه وبريقه ومعناه ألبسه الله النضرة وخلوص اللون يعني جمله الله وزينه أو معناه أوصله الى نضرة الجنة ونعيمها قال تعرف في وجوههم نضرة النعيم وجوه يومئذ ناضرة ولغاهم نضرة وسرورا وقال جرير

طرب الحمام بذكركن فشاقني * لازلت في فنن وانك ناضر

أي مورق غض ومن ثم قال سفيان بن عيينة اني لارى في وجوه أهل الحديث نضرة وجمالا لهذا الحديث يعني لانهم دعوة أجيبت وخص حامل السنة بالدعاء لانه سعى في نضرتها وتجديدها فجازاه الله في دعائه له بما يناسب حاله وذكر سيدي محمد الشاذلي في كتابه البيان ما نصه اختص أهل الحديث من دون سائر العلماء بانهم لا تزال وجوههم نضرة لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم لهم لقوله نضر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه رواه الترمذي وحسنه عن زيد بن ثابت والنضرة الحسن والرونق والمعنى خصه الله بالبهجة والسرور لانه سعى في نضارة العلم وتجويد السنة فجازاه في دعائه بما يناسب حاله في المعاملة ومن نظم الحافظ جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى في فن الحديث

من كان من أهل الحديث فانه * ذو نضرة في وجهه نور سطع
ان النبي دعا بنضرة وجهه من * أدى الحديث كما تحمل واتبع

ومن نظمه أيضا رحمه الله تعالى

أهل الحديث لهم مفاخر ظاهره * وهم نجوم في البرية زاهره
في أي عصر قد وا تلقاهم * حقا لاعداء الشريعة قاهره
بالنور قد ملئت حشاشة صدرهم * فكذا وجوههم تراها ناضره

وقيل معنى الحديث حسن الله وجهه في الناس أي جاهه وقدره فهو مثل قوله صلى الله عليه وسلم

اطلبوا

يعبد الله ثلاثة أيام لم ينم ولم يأكل ولم يشرب فقال برصيصا أنا أفطر وأنام وآكل وأشرب وأنت لا تأكل وفي عبدت الله تعالى مائتين وعشرين سنة ولا أقدر على ترك الاكل والشرب فما حيلتي حتى أصير مثلك قال اذهب فاعص الله تعالى ثم تب فانه رجي تجد حلاوة الطاعة قال كيف أعصيه بعد ان عبدته كذا وكذا سنة فقال ابليس الانسان اذا أذنب يحتاج الى المعذرة والمغفرة

فقال فاني ذنب تشير علي قال الزنا قال لا أفعل قال تقتل مؤمنا قال لا أفعل قال تشرب مسكرا فانه أهون وخصمك الله وحده قال أين أجده قال اذهب الى قرية كذا فذهب فرأى امرأة جميلة فاشترى منها الخمر فشرب وسكر وزنى بها فدخل عليه زوجها فقتله ثم ان ابليس تمثل في صورة انسان وسعى به الى السلطان فاخذه وجلده الخمر ثمانين جلدة وللزنا مائة جلدة وأمر بصلبه لاجل الدم فلما صلب جاءه اليه ابليس في تلك الصورة وقال كيف ترى حالك قال من أطاع قرين السوء فحاله ٤١ كذا فقال ابليس كنت في عبادتك

أطلبوا الحوائج الى حسان الوجوه يعني الوجوه من الناس وذوي الاقدار الا ان هذا بعيد لانه مخالف للظاهر من غير حامل عليه وليس نظير أطلبوا الحوائج الخ لذكر الوجوه فيه المحتمل لان يراد بها جمع وجه من الوجاهة وهي التقدم وعلو القدر وحكى ابن العربي عن ابن بشكوال أنه بالصاد المهملة وهو شاذ وقوله نضر الله يحتمل الخبر والدعاء وعلى كل حال فيحتمل كما قال الحافظ العراقي كونه في الدنيا وكونه في الآخرة وكونه فيهما (امرأ سمع مقالتي فوعاها وادا ها كما سمعها) أي من غير زيادة ولا نقص فمن زاد أو نقص فهو مغير لا مؤدي فيكون الدعاء مصروفا عنه وليس في قوله كما سمعها مانع لرواية الحديث بالمعنى خلافا لمن زعمه لان المراد أدى سكمها الا لفظها وقد درى بعض العلماء المصطفى صلى الله عليه وسلم في المنام فقال له أنت قلت نضر الله امرأ الخ قال نعم ووجهه يتهلل بالسرور أنا قلته وكرره ثلاثا وفي الحديث من أدى الى أمتي حديثا واحدا يقيم به سنة أو يرد به بدعة فله الجنة رواه الحاكم في الاربعين (فائدة) اختلفوا هل ثواب قارئ الحديث كثواب قارئ القرآن أم لا قال الجلال السيوطي في ألفية الحديث له وهل ثواب قارئ الاخبار * كقارئ القرآن خلف جاري

وأنظر هل ثواب مستمعه كثواب مستمع القرآن وقد عد ممن يؤتى أجره مرتين أم لا (ثم من العلماء من جمع الاربعين في أصول الدين) الاصول جمع أصل كفلوس جمع فلس وهو في اللغة الاساس وفي الاصطلاح ما يبنى عليه غيره وان شئت قلت ما يتفرع عليه غيره والمراد بها هنا الالهيات والنبوات والحشر والنشر (وبعضهم) جمعها (في الفروع) أي المسائل الفقهية (وبعضهم في) فضل (الجهاد وبعضهم في) فضل (الزهد وبعضهم في الآداب) بالمد جمع أدب كاسباب جمع سبب وهو استعمال ما يحمد قولا وفعلا أي يحسن الاحوال والاخلاق واجتماع الخصال الحميدة من بسط الوجه وحسن اللقاء وحسن التناول والاخذ وبذل المجهود وترك السفه وقال ابن عطاء الله الادب الوقوف مع المستحسنات وقيل الاخذ بمكارم الاخلاق وقيل هو تعظيم من فوقك والرفق بمن دونه وقيل غير ذلك وينقسم كما قال بعضهم الى قسمين طبعي كالكرم والشجاعة وكسبي كمعرفة النحو واللغة والشعر وأضاف بعضهم الى ذلك معرفة الكتاب والسنة وعلومهما وصوفي وهو ضبط الحواس ومراعاة الانفاس اه زاد بعضهم وشرعي وهو امتثال المأمورات واجتناب المنهيات ولبعضهم

وما كل وقت ترى مسعفا * فكن حافظا لطريق الادب
ترى الله يكشف ما قد دخى * فتحظى باجر وفيل الرتب

قال بعض المتقدمين كما أن قوة الاجساد بالاطعمة المصنوعة كذا قوة العقل بالآداب المصنوعة (وبعضهم في الخطب) جمع خطبة وهي كلام يلين القلوب القاسية ويرغب الطبائع النافرة مشتق من الخطب لانهم كانوا اذا ألم بهم خطب خطبوا له ليجتمعوا ويحتالوا في دفعه والمراد الخطب التي كان يخطب بها النبي صلى الله عليه وسلم في نحو جمعة وعيد واستسقاء وكسوف وبعرفة وعند نزول الامور المهمة وقدوم الوفود عليه ونحو ذلك وقوله في الخطب كالاربعين الودعانية وبعضهم في التصوف

عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الذين أماتوا البدع وأحيوا السنة آمين * (عن أم المؤمنين أم عبد الله عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد رواه البخاري ومسلم وفي رواية لمسلم من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) * اعلموا اخواني وفقني الله وايا كم لطاعته ان هذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الاسلام وهو من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم فانه صريح في دفع البدع والمخترعات وهو مما ينبغي أن يعتني بحفظه واستعماله في

مائتين وعشرين سنة حتى صلبتك فلو أردت أنزلتك قال أريد وأعطيك ما تريد قال اسجد لي سجدة قال كيف أسجد على الخشب قال بالايماء فأومأ برأسه ساجدا فكفر نعوذ بالله من ذلك فلما كفر قال الشيطان اني بريء منك اني أخاف الله رب العالمين اللهم اجعل الايمان لنا سراجا ولا تجعله استدراجا آمين آمين والحمد لله رب العالمين

* (المجلس الخامس في الحديث الخامس) *

الحمد لله الذي اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة بها النفوس مطمئنة وهي لنا ناثلها من النار جنة وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أفضل من رفع الفرض والسنة وشرع المعروف وسنه وصرف في طاعة ربه عمره وسنه صلى الله

(وكلها مقاصد) جمع مقصد بكسر الصاد (صالحة) لشمول الأحاديث السابقة جميعها (رضي الله عن قاصديها وقد رأيت) من الرأي (جمع أربعين أهم من هذا كله وهي أربعون حديثا مشتملة على ذلك) أي على جميع أصول الشريعة وفروعها والجهاد في سبيل الله والزهد في الدنيا والتحلي بالآداب الحسنة وغير ذلك ولا يرد على قوله وقد رأيت جمع أربعين زيادته حديثين لان مفهوم العدد لا يفيد حصرا على الصحيح أو ان ذكر القليل لا ينفي الكثير كما قيل به في رواية صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بخمس وعشرين مع رواية سبع وعشرين أو انه هنا كان عزمه على الاقتصار على الاربعين وعند فراغها عن له زيادة الحديثين الآخرين لما بينهما من المناسبة لان أحدهما فيه الوعظ والحث على الموت وثانيهما من باب الرجاء فكان ختم الكتاب بهما مناسبا (وكل حديث منها قاعدة من قواعد الدين) القاعدة من القعود بمعنى الثبات وهي لغة الاساس والعمد وخشبات تركب المودج فيها واصطلاحا علم كلي يتعرف منه أحكام جزئياته موضوعها كالامر للوجوب فانه دليل اجمالي ومن جزئياته أقيموا الصلاة والنهي للتحريم دليل اجمالي ومن جزئياته لا تقربوا الزنا وكيفية استفادة الحكم من ذلك ان يجعل الدليل التفصيلي مقدمة صغرى والدليل الاجمالي مقدمة كبرى فينتج بهما نتيجة هي الحكم كان يقال أقيموا الصلاة أمر والامر للوجوب فينتج ان الصلاة واجبة وبهذا علم ان القاعدة بهذا المعنى ليست مرادة للمصنف لان تلك الاحاديث كلها من باب الاحكام التفصيلية دون القواعد الاجمالية وانما أراد بالقاعدة العمدة والاصل الذي ترجع اليه الاحكام أو كثير منها (قد وصفه العلماء بان مدار) غالب أحكام (الاسلام عليه) كحديث ان الحلال بين والدين النصيحة قال ابن رسلان كحديث من رأى منكم منكرا فليغيره بيده لان أعمال الشريعة اما معروف يجب الامر به أو منكر يجب النهي عنه فهو نصف بهذا الاعتبار (أو هو نصف الاسلام أو ثلثه) كحديث انما الاعمال بالنيات فان أبا داود قال انه نصف الاسلام والشافعي قال انه ثلثه قال ابن رسلان لان كسب العبد بقلبه وجوارحه ولسانه والنية أحد الثلاث (أو نحو ذلك) كالربع كحديث لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه (ثم التزم في هذه الاربعين أن تكون صحيحة) ليعمل بها في الفضائل وغيرها والمراد بالصحيحة غير الضعيفة فتتناول الحسنة (ومعظمها) أي غالبها (في صحيحي) شيخ الحديث وطيب عالمه في القديم والحديث * أبو عبد الله محمد بن اسمعيل بن ابراهيم بن المغيرة الجعفي (البخاري) قال الشيخ تاج الدين السبكي في طبقاته كان البخاري امام المسلمين وقدوة المؤمنين وشيخ الموحدين والمعول عليه في أحاديث سيد المرسلين وقال ابن كثير كان امام الحديث في زمانه والمقتدى به في أوانه والمقدم على سائر أقرانه قال محمد بن عبد الرحمن كتب أهل بغداد الى محمد بن اسمعيل كتابا فيه شعر

المسلمون بخير ما بقيت لهم * وليس بعدلك خير حين تفتقد

قيل انه كان يحفظ وهو صبي سبعين ألف حديث سردا وكان اذا نظر في الكتاب مرة واحدة حفظ ما فيه وقال رضي الله عنه أحفظ مائة ألف حديث صحيح وأحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح وكان يختم في

قبل الهجرة روى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خطبها من أبي بكر قال له يا رسول الله انما أنا صغيرة لا تصلح لك ولكن أنا أرسلها اليك فان كانت تصلح لك فهي لك فعادة الكاملة فقال ان جبريل أتاني بصورتها على ورقة من الجنة وقال ان الله زوجك بها قال ثم ذهب أبو بكر الى منزله وملأ طبقا من تمر وغطاه وقال يا عائشة اذهبي بهذا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقولي له يا رسول الله هذا الذي ذكرته لابي ان كان يصلح فبارك عليك وكان سن عائشة اذ ذاك ست سنين قال فمضت عائشة بالطبق وهي تظن ان أبا بكر يعني عن التمر قالت عائشة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغته الرسالة فقال قبلنا يا عائشة قبلنا وجذب طرف ثوبي قالت فنظرت اليه فغضبت ودخلت على أبي بكر وأخبرته بما وقع فقال يا بنتي لا تظني برسول الله فان سوء ان الله قد زوجك به من فوق سبع سموات وزوجك اياه في الارض قالت عائشة رضي الله عنها فما حظي بشيء أشد من فرحي بقول أبي بكر زوجك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال ان أول حب وقع في الاسلام حب النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها فكانت أحب الناس اليه وفضائلها كثيرة * منها ان الوحي لم يأت النبي صلى الله عليه وسلم في فراش امرأة من نسائه لا هي * ومنها ان رمضان

جبريل أقرأها السلام من الله دون غيرها من صواحباتها وهي أفضل نساء النبي صلى الله عليه وسلم روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف حديث ومائتي حديث وعشرة أحاديث وفي هذا كفاية * ولنرجع الى الكلام على الحديث فنقول (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحدث) أي أتى بشيء لم يكن موجودا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهو المسمى بالبدعة (قوله في أمرنا) أي في ديننا وشرعنا ويطلق على الشأن ومنه وما أمر فرعون برشيد ٤٣ (قوله هذا) اشارة الى ما ذكر

رمضان كل يوم ختمة ويقوم بعد التراويح كل ثلاث ليال ختمة وكان يصلي وقت السحر ثلاث عشرة ركعة وقال دخلت بلخ فسألوني أن أملي لهم لكل من كتبت عنه فاماليت ألف حديث عن ألف شيخ ومن أعجب العجب ما رواه البغدادي الخطيب انه قدم بغداد فسمع به أصحاب الحديث فاجتمعوا وعمدوا الى مائة حديث نقلوا متونها وأسانيدها وجعلوا متن هذا الاسناد لاسناد آخر واسناد هذا المتن لمتن آخر ودفعوها الى عشرة أنفس فدفعوا الكل رجل عشرة أحاديث وأمروهم اذا حضروا المجلس أن يلقوا ذلك على البخاري وأخذوا الموعد للمجلس فحضر المجلس جماعة أصحاب الحديث من الغرباء من أهل خراسان وغيرهم ومن البغداديين فلما اطمأن المجلس باهله انتدب اليه رجل من العشرة فسأله عن حديث من تلك الاحاديث فقال البخاري لا أعرفه فما زال يلقى عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ من عشرته والبخاري يقول لا أعرفه فكان الفهماء يلتفت بعضهم الى بعض ويقولون فهم الرجل ومن كان فهم منهم غير ذلك يقضي على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الفهم ثم انتدب اليه رجل آخر من العشرة فسأله عن حديث من تلك الاحاديث المقلوبة فقال البخاري لا أعرفه فسأله عن آخر فقال لا أعرفه فلم يزل يلقى عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ من عشرته والبخاري يقول لا أعرفه ثم انتدب اليه الثالث والرابع الى تمام العشرة حتى فرغوا كلهم من الاحاديث المقلوبة والبخاري يقول لا أعرفه فلما علم البخاري انهم قد فرغوا التفت الى الاول منهم فقال له أما حديثك الاول فهو كذا وصوابه كذا والثاني والثالث والرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة فرد كل متن الى أصله أي الى اسناده وكل اسناد الى متنه وفعل بالآخرين كذلك حتى رد متون الاحاديث كلها الى أسانيدها وأسانيدها الى متونها فأقر الناس له بالحفظ وأذعنوا له بالفضل وهو هنا تخضع للبخاري الرقاب فما العجب من رد الحفظ الى الصواب بل العجب من حفظه للخطأ القليل الفائدة على ترتيب ما ألقوه عليه ولا عجب لانه في سرعة الحفظ طويل الباع وهو امام الحفاظ والنقاد بلا نزاع ولما خرج من بغداد لحصول المحنة فيها بمسئلة خلق القرآن وأراد الذهاب الى سمرقند فلما بلغ خرتنك بفتح الخاء المعجمة وفتح المثناة وسكون النون وهي قرية على فرسخين من سمرقند بلغه انه افتتن أهل سمرقند في دخوله فقوم يريدون دخوله وقوم يكرهون ذلك فأقام بها حتى انجلى الامر فضجر ليلة فدعا وقد فرغ من صلاة الليل اللهم قد ضاقت علي الارض بما رحبت فاقبضني اليك فمات من ذلك الشهر فان قلت كيف انه دعا بالموت وقد خرج في صحيحه لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به فالجواب ان المراد بالضر الضر الدنيوي وأما اذا نزل به ضرر ديني فانه يجوز تمنيه نعم رأيت من تطرق الخلل للدين وقال عبد الله بن حماد وهو شيخ البخاري ودت اني شعرة في صدر محمد بن اسمعيل البخاري وقال أبو يزيد المروزي وهو من كبار الشافعية وأجل من روى البخاري عن الفربري كنت نائما بين الركن والمقام فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال يا أبا يزيد الى متى تدرس في كتاب الشافعي ولا تدرس كتابي فقلت يا رسول الله وما كتابك قال جامع محمد ابن اسمعيل البخاري يعني هذا الصحيح، قال محمد بن يوسف الفربري سمعت أبا جعفر محمد بن أبي حاتم

من دين النبي صلى الله عليه وسلم وشأنه (قوله ما ليس منه) أي بأن ينافيه أو لا يستند الى شيء من أدلة الشرع (قوله فهو رد) أي مردود ومعناه انه باطل لا يعتد به (رواه البخاري ومسلم وفي رواية لمسلم من عمل عملا) أي أحدثه هو أو غيره (ليس عليه أمرنا) أي لا يرجع الى دليل شرعنا (فهو رد) أي مردود كما مر وفي هذه الرواية رد على من فعل سوأ قائلا انه لم يحدث ما فعله وان غيره سبقه به وفيه بيان انه لا فرق بين أن يكون محدثا لما فعله أو متسببا فيه اذ كل فعل لم يكن على أمر الشرع ففاعله آثم لقوله صلى الله عليه وسلم من أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله وتدخل فيما تناوله الحديث العقود الفاسدة والحكم مع الجهل والجور ونحو ذلك مما لا يوافق الشرع * (فائدة) *

قسم ابن عبد السلام الحوادث الى الاحكام الخمسة فقال البدعة فعل ما لم يعهد في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة كتعلم النحو وغريب الكتاب والسنة ونحوها مما يتوقف فهم الشريعة عليه ومحرمة كمذهب القدرية والجبرية والمجسمة ومندوبة كاحداث الربط والمدارس وبناء القناطر وكل احسان لم يعهد في العصر الاول ومكروهة كزخرفة المساجد وتزويق المصاحف ومباحة كالمصافحة عقب صلاة الصبح والعصر والتوسع في المآكل والمشارب والملابس وغير ذلك * واعلم ان في هذا الحديث الحض

على الاتباع والتحذير من الابتداع * قيل أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام لاتجالس أهل الهوى فيعذبوا فى قليل ما لم يكن وقال سهل بن عبد الله من دان بمبتدع سلبه الله حلاوة السنن وقال الدقاق من استهان بأدب من آداب الاسلام عوقب بحرمان السنة ومن ترك سنة عوقب بحرمان الفريضة ومن استهان بالفرائض قبض الله له مبتدعا يذكر عنده باط لا فيوقع فى قلبه شبهة وفى الحديث من أحب سنتى فقد أحبنى ومن أحبنى ٤٤ كان معى فى الجنة وفى تفسير قوله تعالى ويعلمهم الكتاب والحكمة

ان الحكمة هى السنة (يحكى) عن أحمد بن حنبل رضى الله عنه قال كنت يوما مع جماعة يتجردون ويدخلون الماء فاستحييت حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام الا بمئزر فلم أتجرد فرأيت تلك الليلة فى المنام قائلا يقول لى أبشر يا أحمد فان الله قد غفر لك باستعمال السنة فقلت من أنت فقال جبريل وقد جعلك الله اماما يقتدى بك (ويحكى) عن بعضهم أيضا انه قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت له يارسول الله عسى أن تشفع لى فقال لى قد شفعت لك قلت منى قال من اليوم الذى أحييت فيه سنتى وقد كانت أميتت قال ابن عباس رضى الله عنهما ما أتى على الناس عام الا أحدثوا فيه بدعة وأماتوا فيه سنة حتى تحيى البدعة وتموت السنة وفى الحديث من مشى الى صاحب بدعة فقد أعان على هدم الاسلام فيجب

الاسناد

على من من الله عليه بالاتباع ان يجتنب سبيل ذوى الابتداع وان يقف مع الكتاب والسنة والاجماع (خاتمة المجلس) حكى المالقى فى شرحه ان هرون الرشيد وجه الى أبى عبد الله محمد بن ادريس الشافعى رحمه الله فاستعطفه ليرخص له فى نكاح الجارية التى تركها أخوه موسى الهادى وكان قد اتخذها بعده فقال انه متى أفضت الخلافة اليه لا يقربها فخلف له هرون ايمانا كثيرة منها المشى الى بيت الله

الوراق يقول رأيت محمد بن اسمعيل البخارى فى النوم خلف النبى صلى الله عليه وسلم وكلما رفع النبى صلى الله عليه وسلم قدمه وضع البخارى قدمه موضعه وقال القربرى رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال لى أين تريد قلت أريد محمد بن اسمعيل البخارى فقال اقرئه منى السلام وحكى عنه انه كان يوما فى المسجد وحوله أصحابه للدرس فى العلم فرأى بعضهم على لحيته قشة فرماها عن لحيته فى المسجد فأخذها الامام البخارى رضى الله عنه وصرها فى خرقة وأخرجها ورماها لخارج المسجد وقال للذى رماها عن لحيته أنت مارضيت أن تكون هذه القشة على لحيتى وأنا عبد الله وابن آدم فكيف أرضى أن أرميها فى بيت ربى وفى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال رضى الله عنه ما وضعت فى كتابى حديثا حتى استخرت الله تعالى وتيقنت صحته وقال ما كتبت فى كتابى الصحيح حديثا الا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين بين الروضة والمنبر وقرأته على النبى صلى الله عليه وسلم ثم اضطجعت فيه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقول يارسول الله بلغنى عنك انك قلت كذا وكذا وأقر أعليه ذلك الحديث فيه قول نعم صحيح ذلك قال وأرجو أن يبارك الله فيه ما سلمين فحقق الله ظنه ورجاءه وكان اذا فرغ من التحديث أو التصنيف قام فركع وروى انه كان يحضر مجلسه أكثر من عشرين ألفا يأخذون عنه ومن كلامه رضى الله عنه

اغتنم فى الفراغ فضل ركوع * فعسى أن يكون موتك بغته
كم صحيح رأيت من غير سقم * ذهبت نفسه الصحيحة فلته

قال المؤلف اتفقوا على ان البخارى ولد بمخارى بعد صلاة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة وتوفى رحمه الله ليلة السبت عند صلاة العشاء ليلة عيد الفطر وقيل بعد الظهر بخرتنك وهى قرية من قرى سمرقند على فرسخين منها سنة ست وخمسين ومائتين وله من العمر اثنان وستون سنة الا ثلاث عشرة يوما قاله فى تهذيب الاسماء واللغات وما أحسن قول الكمال بن أبى شريف ولد فى صدق ومات فى نور ولما مات فاح من تراب قبره رائحة الغالية أطيب من المسك واشتهرت اياما كثيرة حتى تواتر عند جميع أهل البلاد وسيأتى أيضا شئ مما يتعلق به عند ذكره فى استخراج الحديث الاول (و) أبو الحسين (مسلم) بن الحجاج بن مسلم القشيرى وأذكرها محذوفة (الاسانيد) جمع اسناد وهو حكاية طريق المتن والسند الطريق الموصلة الى المتن فقولك أخبرنا فلان الخ اسناد ونفس الرجال سند وقال البدر بن جماعة الاسناد هو الاخبار عن طريق المتن والسند هو رفع الحديث الى قائله قال والمحدثون يستعملونهما فى شئ واحد وفيه نظر وأخذه اما من السند وهو ما ارتفع وعلا من سفح الجبل لان المسند يرفعه الى قائله أو من قولهم فلان سند أى معتمد سمى بذلك لاعتماد الحفاظ فى صحة الحديث وضعف عليه ولذا قال النووى السند سلاح المؤمن فاذا لم يكن معه سلاح فبم يقاتل وقال بعضهم انه كالسيف للمقاتل وقال بعضهم مشيرا اليه انه كالسلم يصعد عليه وقال ابن عيينة حدث الزهرى بحديث فقلت له هاته بلا اسناد فقال ترقى السطح بلا سلم وفى أول صحيح مسلم عن عبد الله بن المبارك

الحزام حافيا على قدميه والقصة مشهورة عند أهل التاريخ فلما مات أخوه موسى الهادي طلب هرون رخصة في نكاحها فلم يسعفه الشافعي فتوعده وهدده فانصرف عنه وقد ظاهره بعض رعب فما زال يصلي حتى غلب عليه النوم في مصلاه فرأى كأنه قائم بين يدي الله تعالى فنودي يا محمد تشبث على دين محمد وإياك أن تحيد فتضل وتضل ألست بإمام القوم لا وجل عليك منه فرأى أنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان فهم مقمحون قال فاستيقظت وأنا أقرأها ٤٥ فلما كان وقت صلاة الصبح صليت

الفريضة ثم وجدت في نفسي كسلا فقيل لي هرون الرشيد توجه عندك فلا تخف مادمت شيأ واقرأ في نفسك إذا مشيت إليه دعاء الخوف فإنك لا ترى منه الا خيرا فانتبهت وجعلت أقول اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي وإلى من تكلني إلى عدو بعيد يتجهمني أم إلى صديق قريب ملكته أمري إن لم يكن لك علي غضب فلا أبالي ولكن عافيتك أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك ويحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك قال فما كملت قراءته حتى سمعت قرع الباب فخرجت فوجدت الربيع بن وزيره فقال

الاسناد من الدين ولولا الاسناد لقال من شاء ما شاء وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه الذي يطلب الحديث بلا سند كحاطب ليل يتحمل الحطب وفيه أفاعي وهو لا يدري قال أبو علي الحيائي خص الله هذه الأمة بثلاثة أشياء لم يعطها من قبلها الأسناد والانساب والاعراب ومن أدلة ذلك ما رواه الحاكم وغيره عن مطر الوراق في قوله تعالى أو أثارة من علم فقال اسناد الحديث وأما المتن فهو ألفاظ الحديث التي تقوم بها المعاني قاله الطيبي وقال ابن جماعة هو ما ينتهي إليه غاية السند وأخذه إما من المتانة وهي المباعدة في الغاية لان المتن غاية السند أو من متنت الكبش إذا شققت جلده ببضته واستخرجتها فكأن المسند استخرج المتن بسنده أو من المتن وهو ما صلب وارتفع من الارض لان المسند يقويه بالسند ويرفعه الى قائله أو من متنت القوس أي شددتها بالعصب لان المسند يقوى الحديث بسنده (ليسهل حفظها) لقلة ألفاظها وإذا سهل حفظها كثرت حفاظها فيعم الانتفاع بها ولذا قال (ويعم الانتفاع بها ان شاء الله تعالى) لانه ولي كل شيء والقادر عليه وقد حقق الله ما أراده وأتى بالمشيئة للتبرك امتثالا لامره تعالى أشرف خلقه بالائتمار به لذلك لقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله ومن ثم سنت في الامور المستقبلة دون الماضية كما استفيد من الآية فلا يقال فعلت كذا أمس ان شاء الله والاسناد لفعل الغير كهو لفعل النفس ومفعول شاء الله محذوف أي ان شاء الله تعالى ذلك وقد قيل في تفسير قوله تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم ليس لاهل الحديث منقبة أشرف من ذلك لانه لا امام لهم غيره صلى الله عليه وسلم لان سائر العلوم الشرعية محتاجة اليه أما الفقه فواضح وأما التفسير فلان أول ما فسر به كلام الله تعالى ما ثبت عن نبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم (ثم أتبعها بباب في ضبط خفي ألفاظها) من اضافة الصفة للموصوف أي ألفاظها الخفية (وينبغي لكل راغب في) عمل أو ثواب (الآخرة أن يعرف هذه الاحاديث لما اشتملت عليه من المهمات واحتوت) من حوى اذا جمع (عليه من التنبيه) أي الايقاظ والتفهيم (على جميع الطاعات وذلك ظاهر لمن تدبره) التدبير التفكر وهو انتقال الذهن من التصديقات الحاضرة الى التصديقات المستحضرة (وعلى الله) لا على غيره كما أفاده تقديم المعمول (اعتمادي) في هذا الجمع وغيره ولا يرد على الحصر الذي أفاده تقديم المعمول ان الاعتماد كثيرا ما يقع على غيره لان المراد الاعتماد عليه في تحصيل الاسباب وتيسيرها والتحصيل والتيسير مختصان به تعالى وفيه اشارة الى محض التوحيد الذي هو أقصى مراتب العلم بالمبدأ (واليه) لا الى غيره (تفويضي) التفويض الى الله هو رد الامر كله اليه (و) اليه (استنادي) أي التجائي فيما يتعلق بتأليف العلم وغيره (وله) دون غيره (الحمد) ملكا واستحقاقا واختصاصا (والنعمة) ايجادا وايصالا الى خلقه بسائر أنواعها كما مر وغيره وان وجد له حمد أو نعمة فانما هو باعتبار الصورة دون الحقيقة (وبه) لا بغيره وفي بعض النسخ وبيده أي قدرته (التوفيق) وهو لغة جعل الامر موافقا لآخر واصطلاحا قال الاشعري خلق قدرة الطاعة في العبد واعترضه امام الحرمين بأنه يشمل الكافر والفاسق اذ كل منهما خلق فيه قدرة الطاعة فلا بد من زيادة قيد في التعريف وهو الداعية اليها ورده الدواني لان القدرة

ياسيدي الخليفة يأمرك بالوصول اليه فثبت منه فلما وصلت لقربه قام الى فرحب بي وتبسم وقال نعم المسلم أنت ونعم الامام مثلك لا تأخذه في الله لومة لائم اعلم يا فقيه اني عوتبت الليلة في عقلك فانصرف راشدا فانت الملحوظ والمحفوظ وأمر له بعشرة آلاف دينار فقرقها بين يديه وانصرف رضي الله عنه وهذا كله ببركة التمسك بسنة سيد المرسلين آمانا الله عليها آمين والحمد لله رب العالمين

(المجلس السادس في الحديث السادس) الحمد لله الملك المتعال المنزه عن الشبه كما هو الامثال الذي بين لعباده الحرام من الحلال

واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تصلح القلب واللسان من فساد الافعال واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى
ظهره الله ظاهرا وباطنا ووصفه فوق ما يقال فهو النبى المصطفى والحبيب المجتبى والهادى من الضلال صلى الله عليه وعلى
آله واصحابه بالغدو والآصال آمين (عن أبى عبد الله النعمان بن بشير رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الحلال بين وان الحرام بين ٤٦ وبينهما مشبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه

وعرضه ومن وقع فى
الشبهات وقع فى الحرام
كالراعى يرعى حول الحمى
يوشك ان يقع فيه
ألا وان لكل ملك حمى
ألا وان حمى الله محارمه
ألا وان فى الجسد مضغة
اذا صلحت صلح الجسد
كله واذا فسدت فسد
الجسد كله ألا وهى
القلب رواه البخارى
ومسلم) اعلموا اخوانى
وفقنى الله واياكم لطاعته
ان هذا الحديث حديث
عظيم وهو أحد الاحاديث
التى عليها مدار الاسلام
قال جماعة هو ثلث
الاسلام اذ الاسلام يدور
عليه وعلى حديث انما
الاعمال بالنيات وحديث
من حسن اسلام المرء
تركه مالا يعنيه وقال أبو
داود يدور على اربع
ماذكر وقوله صلى الله
عليه وسلم لا يؤمن احدكم
حتى يحب لاخيه ما يحب
لنفسه وحديث ازهد فى
الدنيا يحبك الله وازهد
فيما فى ايدى الناس
يحبك الناس وقد جمعها
بعضهم بقوله عمدة الدين عندنا كلمات * اربع من كلام خير البريه اتق الشبهات وازهد ودع ما * ليس يعنيك واعملن بنيه

عند الاشعرى هى العرض المقارن للفعل فلا توجد قدرة الايمان لامع وجوده ولا توجد قدرة الطاعة الا
مع فعلها (والعصمة) بالكسر وهى لغة المنع قال الله تعالى لا عاصم اليوم من أمر الله أى لا مانع ويقال
عصمه الطعام اذا منعه الجوع وأبو عاصم كنية السويق واصطلاحا قال الابى عدم خلق القدرة على
المعصية وهو منقوض بالصبى والميت ومن منعه من المعصية مانع والاحسن تعريفها بانها ملكة
نفسانية تمنع من الفجور والمخالفة ويجوز الدعاء بها مطلقة ومقيدة على المعتمد وأنكر بعضهم جواز
الدعاء بها مطلقة لانها الغاية للانبياء والملائكة وأجيب بانها فى حق الانبياء والملائكة واجبة وفى حق
غيرهم جائزة وسؤال الجائز جائز وان الذى اختص به الانبياء والملائكة وقوعها لهم لا طلبها (الحديث)
ومراده الخبر على الصحيح هو لغة ضد القديم وقد استعمل فى قليل الخبر وكثيره لانه يحدث شيأ فشيأ
واصطلاحا ما أضيف الى النبى صلى الله عليه وسلم قولا او فعلا أو تقريرا أو صفة حتى الحركات
والسكنات يقظة أو منامازاد بعضهم أو هما أو ايماء ويعبر عن هذا بعلم الحديث رواية ويحد بانه علم
يعرف به أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وافعاله وأحواله وموضوعه ذات رسول الله صلى الله
عليه وسلم من حيث انه رسول الله وغايته الفوز بسعادة الدارين واما علم الحديث دراية فهو
علم يعرف به حال الراوى والمروى من حيث القبول والرد وموضوعه الراوى والمروى من حيث ذلك
وغايته معرفة ما يقبل وما يرد من ذلك وقال ابن حجر فى شرح النخبة الخبر عند علماء الفن مرادف
للحديث فيطلقان على المرفوع وعلى الموقوف والمقطوع وقيل الحديث ما جاء عن النبى
صلى الله عليه وسلم والخبر ما جاء عن غيره ومن ثم قيل لمن يشتغل بالسنة محدث وبالتواريخ
ونحوها اخبارى وقيل بينهما عموم وخصوص مطلق فكل حديث خبر ولا عكس وقيل لا يطلق
الحديث على غير المرفوع الا بشرط التقييد وقد ذكر المؤلف ان المحدثين يسمون المرفوع والموقوف
بالاثر وان فقهاء خراسان يسمون الموقوف بالاثر والمرفوع بالخبر (الاول) المشهور ان أصله أوأل على
وزن أفعل فقلبت الهمزة الثانية واوا وادغمت فيها الاولى وهو اسم اما بمعنى قبل فيكون منصرفا ومنه
قولهم أولا وآخرا أو صفة أى أفعل تفضيل بمعنى أسبق فيكون غير منصرف للوزن والوصف وصدر
المنصرف بهذا الحديث كالبخارى لان السلف الصالح كانوا يستحبون تقديمه امام كل شئ يبتدأ من
أمور الدين لعموم الحاجة اليه ولتنبيه الطالب على مزيد الاعتناء والاهتمام بحسن النية والاخلاص
بالاعمال فانه روحها الذى به قوامها وبفقده تصير هباء منثورا وقد قال الحافظ عبد الرحمن بن
مهدى من أراد أن يصنف كتابا فليبدأ بهذا الحديث وقال لو صنفت كتابا لبدأت فى كل باب منه
بهذا الحديث (عن أمير المؤمنين) هو أول من لقب به على العموم أو من الخلفاء لاستئثارهم خليفة
خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقبه بذلك عدى بن حاتم ولبيد بن ربيعة حين وفدا عليه من
العراق وقيل لقبه المغيرة بن شعبة وقيل انه قال للناس أنتم المؤمنون وأنا أميركم لانه أول من لقب به
مطلقا وقد لقب به عبد الله بن جحش حين بعثه النبى صلى الله عليه وسلم فى سرية اثنى عشر رجلا
وقيل ثمانية فى أول مقدمه المدينة وكتب له كتابا وأمره ان لا ينظر اليه حتى يسير يومين ثم ينظر

فيه
ليس يعنيك واعملن بنيه (قوله ان الحلال بين) أى ظاهر منكشف قد انتفت عن ذاته الصفات المحرمة وخلا عن شائبة
ما يتطرق اليه من ذلك وهو عندنا ومنا الشافعى رحمه الله تعالى ما لم يرد دليل بتحريمه فهو ما لم يمنع منه شرعا سواء أورد بحله دليل
أو سكت عنه بدليل قوله صلى الله عليه وسلم فيما باقى فى الحديث الثلاثين وسكت أى الله عن أشياء رحمة لكم من غير نسيان فلا

يبحثوا عنها لانهم لو كانت حراما لبينها * وعن أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه ما ورد دليل بحله فهو أخص من قول الشافعي الخروج المسكوت عنه وعلينا ورد أينا بانا ولم نعلم أمضر هو أم لا وحيوانا لم تعرفه العرب فالاشبه كما قال الامام الرافعي وغيره مذهب الامام الشافعي الحل لسكوت الشارع عن تحريمه ومذهب أبي حنيفة التحريم لعدم ورود نص بحله (قوله وان الحرام) أي وهو ما منع من تعاطيه دليل على مذهب الامام الشافعي وما لم يرد دليل بحله على مذهب الامام أي أبي حنيفة (قوله بين) أي

فيه فيمضي لما أمره به ولا يستكره أحد من أصحابه فلما سار بريد بين فتح الكتاب فاذا فيه اذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل بنخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشا وتعلم لنا أخبارهم فقال عبد الله وأصحابه سمعا وطاعة وقالوا له ماندعوك فقال أنتم المؤمنون وأنا أميركم قالوا أنت اذا أمير المؤمنين ثم مضوا واقتوا عير القريش فقتلوا عمرو بن الحضرمي في أول يوم من رجب كافرا وأسروا اثنين وغنموا ما كان معهم فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام فانزل الله قوله تعالى يسألونك عن الشهر الحرام فتال فيه الآيتين وما وصفه بأمير المؤمنين لما نقله في شرح مسلم عن المطرز وابن خالويه وغيرهما ان كل من ملك المسلمين يقال له أمير المؤمنين ومن ملك الروم قيصر ومن ملك الفرس كسرى ومن ملك الترك خاقان ومن ملك القبط فرعون ومن ملك حضر العزيز ومن ملك الحبشة النجاشي ومن ملك اليمن تبع ومن ملك حمير القيل بفتح القاف ثم ان حديث النية هذا فرد غريب باعتبار أوله مشهور باعتبار آخره وليس بمتواتر خلافا لما زعمه بعضهم لان شرطه أن توجد عدة التواتر في جميع طبقاته فان الحجج انما لم يروه عن النبي صلى الله عليه وسلم الا عمر ولم يروه عن عمر الا علقمة بن وقاص الليثي ولم يروه عن علقمة الا محمد بن ابراهيم التيمي ولم يروه عن محمد الا يحيى بن سعيد الانصاري ومنه اشتهر فرواه عن يحيى بن سعيد أكثر من ثلثمائة نفس وقيل سبعمائة الا أن يحمل على التواتر المعنوي فيصح اذ طلب النية في العمل ثابت في عدة أحاديث غير ما منها خبر البيهقي لا عمل لمن لا نية له وخبر غيره ليس للمرء من عمله الا ما نواه وخبر ابن ماجه انما تبعث الناس على نياتهم (أبي حفص) الحفص الاسد وكان سبب ذلك ما كان عليه من الشدة كما رواه يزيد بن أسلم عن أبيه انه قال رأيت عمر رضي الله عنه يمسك أذن فرسه باحدى يديه ويمسك لاخرى أذنه ثم يثب حتى يركب (عمر بن الخطاب) بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بكسر الراء وفتح الياء آخر الحروف ابن عبد الله ابن قرط بضم القاف وبالطاء المهملة ابن رزاح بفتح الراء أوله ثم زاي مفتوحة أيضا ابن عدي بن كعب ابن لؤي العدوي القرشي يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في كعب الاب الثامن وأمه حنتمة بالحاء المهملة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب وكونها بنت هاشم هو الصحيح وقيل بنت هشام وعلى الاول فهي بنت عم أبي جهل وعلى الثاني فهي أخته فيكون أبو جهل خاله أسلم سنة ست من النبوة وقيل سنة خمس بعد أربعين رجلا وعشر نسوة كما قاله سعيد بن المسيب أو بعد خمسة وأربعين رجلا واحدى عشرة امرأة كما قاله عبد الله بن ثعلب أو بعد تسعة وثلاثين رجلا كما قاله غيرهما وكان ذلك بدعوة المصطفى صلى الله عليه وسلم لما قال عليه أفضل الصلاة والسلام اللهم أعز الاسلام بأحب الرجلين اليك بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام فكان أحبهما اليه عمر بن الخطاب قال أنس بن مالك خرج عمر متقلدا سيفه فلقيه رجل من بني زهرة فقال أين تعمد يا عمر فقال أريد أن أقتل محمدا فقال وكيف تأمن في بني هاشم وبني زهرة وقد قتلت محمدا فقال له عمر ما أراك الا قد صبأت وتركت دينك الذي أنت عليه قال أفلا أدلك على العجب يا عمر ان أختك وختنك سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة قد أسلما فمشى مغضبا حتى

عليه وسلم لرجلين مرا عليه ومعه زوجته صفية أسرعا في المشي على رسلكما انها صفية خوفا عليهما أن يظنا به الكافا فقالا سبحان الله فقال ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وقد خشيت أن يقذف في قلوبكما شرا * (فائدة) * اختلف العلماء في معنى الشبهة المذكورة في الحديث فمنهم من قال انها الحرام عملا بقوله فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومنهم من قال انها الحلال عملا بقوله كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه فانه دال على ان ذلك حلال وان تركه ورع وهو الصواب (قوله ومن وقع في

الشبهات) أي بان لم يترك ذلك أو فعله أو وقع في الحرام المحض أو قارب أن يقع فيه ومعناه أن من تمرن على مباشرة الشبهات صادف الحرام وان لم يتعمده وقد يأثم بذلك ان نسب الى تقصير ومعناه أن يعتاد التساهل ويجسر على شبهة ثم شبهة أغلظ منها ثم أخرى أغلظ وهكذا حتى يقع في الحرام عمدا وقد دلت الاحاديث أن المعاصي تسوق الى الكفر والعياذ بالله تعالى ومن ذلك قوله تعالى تلك حدود الله فلا تقربوها فنهى عن المقاربة تحذرا ٤٨ من المواقعة وقوله تعالى ويقتلون النبيين بغير حق ذلك بما عصوا أي تدرجوا بالمعاصي الى قتلهم وقوله صلى الله عليه وسلم لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده أي يتدرج بها الى نصاب السرقة فتقطع يده ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم نظر لما ذكره بقوله (كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه) أي كالراعي يرعى الماشية بحول الحمى أي الحمى وهو المكان من الارض المباحة الممنوع من الرعي فيه يوشك بكسر الشين أي يسرع ويقرب أن يرتع فيه معناه أكل الماشية من المرعى واقامتها به وكفى بهذا دليلا على درء المفاسد وجلب المصالح بالتباعد عما يخاف منه وان ظن السلامة في مقاربته (قوله ألا وان لكل ملك حمى) وهو ما يحجز لرعي نعمه وغيره من مصالحه ويمنع غيره منه (قوله ألا وان حمى الله محارمه) أي أن تنتهك وهذا ضرب مثل محسوس لتكون النفس متقطنة أشد تفطن فتتأدب معه تعالى كما تتأدب مع الاكابر منذ

اذ كل ملك بكسر اللام له حمى يحميه عن الناس ويمنعهم من دخوله فمن خالفه ودخله عاقبه فالرب جل جلاله حمى محارمه التي حرمها وقد حرم ابراهيم عليه السلام مكة ونبينا صلى الله عليه وسلم المدينة فاحذروا يا أخي أن تقع في محارم الله تعالى فيه اقبل (قوله ألا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) اعلم أرشدني الله وايالك ان القلب عضو

أتاهما وعندهما رجل من المهاجرين يقال له خباب فلما سمع خباب حس عمر توارى في البيت فدخل عليهما فقال ما هذه الهينمة التي سمعتها عندكم قالوا ما تريدون طه فقال ما عدا حديثا تحدثناه بيننا قال فلعلكما قد صبوتما فقال له ختنه أرأيت يا عمر ان كان الحق في غير دينك فوثب عمر على ختنه فوطئه وطأ شديدا فجاءت أخته فدفعته عن زوجها فضرب رأسها فأدماه فقالتا وهي غضبى كان ذلك على رغم أنفك أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فلما يئس عمر قال اعطوني هذا الكتاب الذي عندكم فأقرأه وكان عمر يقرأ الكتب فقالت له اختته انك رجس ولا يمسه الا المطهرون فقم فاغتسل أو توضأ فقام فتوضأ ثم أخذ الكتاب فقرأ طه حتى انتهى الى قوله انني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري فقال عمر دلوني على محمد وفي رواية أخرى انه وجد في الكتاب سورة الحديد فقرأ حتى بلغ قوله تعالى آمنوا بالله ورسوله فقال دلوني على محمد فلما سمع خباب قول عمر خرج من البيت فقال ابشر يا عمر فاني أرجو ان تكون دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لك ليلة الخميس اللهم أعز الاسلام بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام قال وأين رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الدار التي أسفل الصفا فانطلق عمر حتى أتى الدار قال وعلى الباب حمزة وطلحة وناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى حمزة وجل القوم من عمر قال حمزة نعم هذا عمر فان يرد الله بعمر خيرا يسلم ويتبع النبي صلى الله عليه وسلم وان يكن غير ذلك يكن قتله علينا هينا قال والنبي صلى الله عليه وسلم داخل يوحى اليه فخرج اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى عمر فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف وقال أما انت منتهيا عمر حتى ينزل الله بك من الخزي والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة اللهم هذا عمر بن الخطاب اللهم أعز الاسلام بعمر بن الخطاب فقال عمر أشهد أنك رسول الله ولابن عباس انه قال أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد ثم قال يا رسول الله ألسنا على الحق ان متنا وان حيينا قال بلى والذي نفسي بيده انكم على الحق ان متم وان حييتم قال ففيم الاختفاء والذي بعثك بالحق لتخرجن فخرج في صفين حمزة في أحدهما وعمر في الآخر حتى دخلوا المسجد فنظرت قريش الى حمزة والى عمر فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها فلقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ بالفاروق وفي رواية انه لما ظهر اسلامه صاروا يضربونه ويضربهم حتى أجاره خاله قال فما زلت أضرب وأضرب حتى أعز الله الاسلام وصح انه لما أسلم نزل جبريل وقال يا محمد قد استبشر أهل السماء باسلام عمر وان المشركين قالوا قد انتصف القوم اليوم منا وأنزل الله على المصطفى يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وروى شريح بن عبيد عنه أنه قال خرجت أتعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته قد سبقني الى المسجد فقمت خلفه فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أعجب من تأليف القرآن قال فقلت هذا والله شاعر كما قالت قريش قال فقرأ انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون قال قلت كاهن فقرأ ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين الى آخر السورة فوقع الاسلام في قلبي قال ابن مسعود ما زلنا أعزة

باطن في الجسد وعليه مدار حال الانسان وبه العقل وهو أشرف أعضائه وسمي قلبا لسرعة الخواطر فيه وتردادها عليه وتقلبه تأمل وما سمي الانسان لانسيه * ولا القلب الا أنه يتقلب وقد يعبر عنه بنفس العقل لقوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أي عقل وانما كان صلاح البدن وفساده تابعا لصلاح القلب وفساده لانه مبدأ الحركات البدنية والارادات النفسانية فاذا صدرت عنه ارادة صالحة لسلامته من الامراض الباطنية كالحسد والشح والغل والكبر ٤٩ أو فاسدة لعدم سلامته مما ذكر

منذ أسلم عمر وقال أيضا كان اسلامه فتحا وهجرته نصرا وامامته رحمة ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلي الى البيت حتى أسلم فقاتلهم حتى تركونا وشأننا وقال صهيب لما أسلم عمر جلسنا حول البيت وطفنا وانتصفنا من غاظ علينا وحكمه الله في العناصر الاربعة الريح والتراب والماء والنار بدليل قصة سارية فانه وجه جيشا وأمر عليهم سارية فبينما هو يخطب نادى ياسارية الجبل الجبل من سرى الذئب ظلم فاسند الجيش الى الجبل فنصرهم الله ومما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال بت زلزلة عظيمة في زمن عمر كادت الجبال ان تقع من على وجه الارض وذلك عقب الفصل الذي يسمونه فصل عواس فضرب عمر الارض بدرته وقال لها اسكني أما عدل فويل لعمر فسكنت ولم تأت بعدها مثلها وما كتبه لنيل مصر لما كتب له عمرو بن العاص ان النيل لا يزيد زيادته المعتادة الا ان ألقى فيه امرأة بكرا من بالي فيه كتابه بدل المرأة وما هو مكتوب فيه انك ان تطلع من عند الله فاطلع وان كنت تطلع من عند نفسك فلا حاجة لنا بك فلم يلق فيه بعد ذلك امرأة وما قاله ابن عباس أيضا كانت تأتي نار كل عام الى المدينة المشرفة فشكا المسلمون ذلك لعمر فقال لغلامه خذ هذا الرداء فاذا جاءت النار فافرده في وجهها وقل يا نار هذا رداء عمر بن الخطاب فهي ترجع لوقتها فلما جاءت النار ضج المسلمون فأخذ الغلام الرداء وخرج به الى ظاهر المدينة وقرده على وجهه كما أمره سيده وقال يا نار ارجعي هذا رداء عمر بن الخطاب فرجعت في الحال ولم تعد (رضي الله عنه) أي حفظه من سخطه اذا الرضا والرضوان ضد السخط (قال سمعت رسول الله) مفعول سمعت أي كلامه لان السمع لا يتعلق بالذات والسمع في الاصل مصدر يطلق على الواحد وعلى الجمع قال الله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم (صلى الله عليه وسلم يقول) جملة يقول من الفعل والفاعل محلها النصب على الحال من رسول الله أي قائلا وهي حال مبينة لا يجوز حذفها هذا ما عليه الجمهور واختار الفارسي ان ما بعد سمعت ان كان مما يسمع كسمعت القرآن تعدت الى مفعول واحد والا كما هنا تعدت الى مفعولين فجملة يقول على هذا مفعول ثان (انما) للحصر باتفاق المحققين وهو اثبات الحكم المذكور ونفيه عما عداه وانما اختلفوا في وجه الحصر فقيل بالمنطوق وقيل بالمفهوم بدليل انه يقال انما زيد قائم لا قاعد بخلاف ما زيد الا قائم لا قاعد لانه لو كان الحصر بالمنطوق لكان قوله لا قاعد اتكرارا ودعوى أن الاثبات والنفي كما زعمه الرازي وان الاثبات للمذكور والنفي لما عداه غير ظاهر لان القاعدة ان ما يلي حرف النفي منفي ولانه لو كانت ما للنفي لصدرت مع كون ان لها الصدر فيلزم اجتماع المتصدرين على صدر واحد وأيضا فيه اجتماع حرفي الاثبات والنفي بلا فاصل فيلزم اجتماع الضدين وأيضا يلزم عليه جواز نصب زيد في انما زيدا قائم لانها اذا اقترنت بما يجوز اعمالها وان كان نادرا والاولى ان تجعل ما زائدة لتأكيد الاثبات وتضاعف الاثبات يفيد الحصر (الاعمال) جمع عمل وهو حركة البدن فيشمل القول لانه عمل اللسان كما قاله ابن دقيق العيد خلافا لمن أخرجه وأورد على من سمى القول عملا بان من حلف لا يعمل عملا يقال قولا لا يحنث وأجيب بأن مرجع اليمين الى العرف والقول لا يسمى عملا في العرف وقد يتجوز بالعمل عن حركة النفس فان قلت النية أيضا

تحرك البدن بتلك الحركة فهو كالملك والجسد وأعضاؤه كالرعية ولا شك ان الرعية تصلح بصلاح الملك وتفسد بفساده وأيضا فهو كالعين والجسد كالمزرعة ان عذب ماء العين عذب الزرع أو ملح ملح وأيضا فهو كالارض وحركات الجسد كالنبات قال تعالى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا (تنبيه) قد شق عن قلبه صلى الله عليه وسلم واستخرج منه علقة سوداء وقيل هذه حظ الشيطان منك ثم طهر فطاب قلبه فصار فردا قيل وصلاح القلب في ستة أشياء قراءة القرآن بالتدبر وخلاء البطن وقيام الليل والتضرع عند السحر ومجالسة الصالحين وأكل الحلال وهو رأسها وقد قيل اذا صمت فاقطر على طعام من تنظر فان الرجل ليأكل الاكلة فتشغل

قلبه كالسم فلا ينتفع أبدا وقال بعضهم وأحسن وأجاد الطعام بذر الاعمال ان دخل حلالا خرج حلالا وان دخل حراما خرج حراما وان دخل شبهة خرج شبهة (روي) عن بعضهم انه قال استسقيت جندبا فسقاني شربة فصارت قساوتها في قلبي أربعين صباحا وأنشد وافي معنى ما قدمناه

دواء قليلك خمس عند قسوته * قدم عليها تفز بالخير والظفر

خلاء بطن وتر آر تدبره * كذا قيامك ليلا أو سحره * وأن تجالس أهل الخير والخير واعلم أن هذا

الحديث أصل في الورع أيضا وهو ترك الشبهة والعدول الى غيرها * قال الحسن البصري أدركنا قوما يتركون تسعة أبواب من الحلال
خشية الوقوع في الحرام وثبت عن الصديق رضي الله عنه انه أكل ما فيه شبهة غير عالم بها فلما علم بها أدخل يده في فيه فتقايأها وقال
أبو ذر زمام التقوى أن يتقي الله العبد حتى يترك بعض الحلال مخافة ان يكون حراما وقيل لابراهيم بن أدهم ألا تشرب من ماء زمزم فقال لو
كان لي دلو لشربت اشارة الى أن ٥٠ الدلو من مال السلطان فكان شبهة وقال زيد بن ثابت لأشيء أسهل من الورع اذا رابك

شيء فدعه وهذا سهل على من سهله الله عليه صعب على كثير من الناس أثقل من الجبال * ومن محاسن الحديث أيضا الحث على فعل الحلال واجتناب الحرام والامساك عن الشبهات والاحتياط للدين والعرض وعدم تعاطي الامور الموجبة لسوء الظن والوقوع في المحظور ومنها تعظيم القلب والسعي فيما يصلحه وأن الحواس مع العقل كالحجاب مع الملك وكالرعية له وان العقوبة من جنس الجناية وفيه ضرب الامثال للمعاني الشرعية وأن الاعمال القلبية أفضل من البدنية وانها الاصلح الا بالقلب (خاتمة المجلس) في قوله تعالى ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله الآية قال ابن مسعود رضي الله عنه عاتبنا الله بهذه الآية بعد اسلامنا بسبع سنين وروى أن بعض الناس أصابتهم فترة في قلوبهم فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال بعض أهل المعاني هذا كلام يشبه الاستبطاء عمل

ومعناه أما حان وقت الخشوع أما آن أوان الرجوع أما حق على المفرط اسبال الدموع أما هذا وقت التذلل والخضوع وفي ذكر
الايمان في أول الآية تعريف بالمنة واشارة الى استبطاء ثمرة هذا الايمان وثمرته ان تخشع قلوبكم بهذا الايمان وثمرته ان تبكوا على
ما يلغب من ذنوبكم * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله أوانى ألا وهي القلوب وأقربها الى الله فارغ وصفاؤها صلب قال أبو عبيد

عمل لانها من أعمال القلب فاذا احتاج كل عمل الى نية فالنية أيضا تحتاج الى نية وهلم جرا فالجواب
ان المراد بالعمل عمل الجوارح نحو الوضوء والصلاة وأما النية فهي خارجة عنه بقرينة العقل دفعا
للتسلسل أولان العرف لا يطلق العامل على الناوي على ان صاحب القاموس ذكر انه حركة المهنة فلا
يتناول توجه القلب وآثر ذكر الاعمال على ذكر الافعال لان لفظ العمل أخص من لفظ الفعل لان
الفعل ينسب الى البهائم والجمادات كما ينسب الى ذوي العقول بخلاف العمل لانه يعتبر فيه القصد
قال بعض الادباء قلت لفظ العمل من لفظ العلم تنبيها على انه من مقتضاه قال الراغب ولم يستعمل
العمل في الحيوان الا في قولهم البقر والابل العوامل وأما الصنع فهو أخص من العمل لانه لا يقال
الا لما كان من الانسان بقصد واختيار بعد فكر ونحو وآل فيهما الجنس أو العهد الذهني أي غير
العادية لعدم توقف صحتها على نية أو للاستغراقي وهو ما حكي عن جمهور المتقدمين ولا يرد عليه نحو
الا كل من العاديات لان من أراد الثواب عليه احتاج لنية كما يأتي لما مر لنا لحصول المقصود بوجود
صورته (بالنيات) جمع نية بتشديد الياء من نوى بمعنى قصد والاصل نوية قلبت الواو ياء وأدغمت
في الياء وتخفيفها لغة من ونى اذا أبطأ لانه يحتاج في تصحيحها الى نوع ابطاء والالف واللام
بدل من الضمير أي بنياتها فيدل على اعتبار نية العمل من الصلاة وغيرها الفرضية والنفلية
والتعيين من ظهر أو عصر وانما يجب تعيين العدد لان تعين العبادة لا ينفك عنه والنية محلها
القلب لا الدماغ وهي لغة القصد وشرعا توجه القلب نحو الفعل ابتغاء وجه الله تعالى وامتثالا لامره
وجمعت للاشارة الى انها تتنوع كما تتنوع الاعمال لان المصدر اذا اختلفت أنواعه جمع كالعلوم وفي
معظم الروايات بالنية مفردا لانها مصدر ولان محلها القلب وهو متحد فناسب أفرادها بخلاف
الاعمال فانها متعلقة بالظواهر فناسب جمعها ولان النية ترجع الى الاخلاص وهو واحد لواحد
الذي لا شريك له وأيضا هو مفرد محلى بالالف واللام فيعم وفي صحيح ابن حبان الاعمال بالنيات بحذف
انما وعند البخاري في النكاح العمل بالنية وكل من روايه ابن حبان والبخاري في النكاح
يفيد الحصر لعموم المبتدأ أو خصوص الخبر على حد صدق زيد فان قلت النيات جمع قلة كالاعمال
وهي العشرة فما وجه جمعها مع انه لا بد لكل عمل من النية سواء كان قليلا أو كثيرا فالجواب ان القلة
والكثرة انما يعتبران في نكرات الجمع اما في المعارف فلا فرق بينهما قال البيضاوي فالنية في الحديث
محمولة على المعنى اللغوي ليحسن تطبيقه على ما بعده وتقسيمه لقوله فمن كانت الخ فانه تفصيل لما أجمله
اه وفيه شيء اذ لو حمل على الشرع لكان أنسب وأولى لانه مبين للشرع ويحسن التطبيق ثانيا
اذ المعنى كل عمل شرعي فهو محسوب بالنية الشرعية وما ليس كذلك كالمجرة الى الدنيا لا يعتبر
شرعا على ان قوله فمن كانت الخ تفصيل لقوله وانما لكل امرئ ما نوى وهذا الحديث متروك الظاهر
لان الذوات غير منتفية اذ تقدير انما الاعمال بالنيات لا عمل الا بالنية والغرض ان ذات العمل الخالي
عن النية موجودة فالمراد نفي أحكامها المتعلقة بوجودها كالصحة والكمال والحمل على الصحة
أولى لانها أكثر لزوما للحقيقة وما كان ألزم للشيء كان أقرب خطورا بالبال عند اطلاق اللفظ فلا يصح

الله الترمذي الرقة خشية الله تعالى والصفاء للإخوان في الله والصلابة في دين الله ويقال شبهة القلوب بالآنية فقلب الكافر إناء مكسور مقلوب لا يدخله شيء من الخير وقلب المنافق إناء مكسور ما ألقي من أعلاه نزل من أسفله وقلب المؤمن إناء صحيح معتدل يلقى فيه الخير فيحصل ويقال قسوة القلب إنما تكون لانحرافه عن مراقبة الرب وقيل إنما تحصل القسوة من متابعة دواعي الشهوة فإن الشهوة والصفوة لا يجتمعان وأول ما يقع في القلب غفلة فإن أيقظه الله والا صارت ٥١ خطرة فإن ردها الله والا صارت فكرة فإن صرفها الله تعالى والا صارت عزمة فإن حماه الله والا وقعت المعصية فإن أنقذه الله بالتوبة والا صارت قسوة فإن ألهمه الله والا صارت طبعا ورينا قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون * قال إبراهيم ابن أدهم قلب المؤمن نقي كالمرآة فلا يأتيه الشيطان بشيء إلا أبصره فإذا أذنب ذنبا واحدا ألقى الله في قلبه نكتة سوداء فإذا تاب الله عليه محيت فإن عاد إلى المعصية ولم يتب تتابعت النكت حتى تسود القلب فما أقل ما تنفع فيه الموعظة وقال الحسن البصري الذنب على الذنب يظلم على القلب حتى يسود وقال الترمذي حياة القلوب الإيمان وموتها الكفر وصحتها الطاعة ومرضها الاصرار على المعصية ويقظتها الذكر ونومها الغفلة وفي الخبر لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسي قلوبكم فيا إخواننا البدار البدار فالعمر طيار شعر

إنما هذه الدنيا متاع * فالغرور الغرور من يصطفيها

ما مضى فات والمؤمل غيب * ولك الساعة التي أنت فيها كان بعض السلف الصالح يوقد المصباح ولا يزال يبكي إلى الصباح كلما رأى النار ذكر النار وكان بعضهم يوقد النار ويقرب يده منها كلما أحس بالحرارة يقول يا ويلك لما فعلت كذا وكذا اللهم وفقنا كما وفقتهم آمين والحمد لله رب العالمين * (المجلس السابع في الحديث السابع) * الحمد لله الذي سبقت رحمته غضبه وغلبه

عمل كالوضوء عند الثلاثة خلافا لأبي حنيفة رضي الله عنه ولا نسلم أن الماء مطهر بطبعه وكالتيمم خلافا للأوزاعي وصوم رمضان في الحضر خلافا لعطاء الا بنية وخروج بعض الأعمال عن اعتبار النية فيه أما بدليل آخر كالعتق والوقف فهو من باب تخصيص العموم أو استحالة ونحوها كالنية ومعرفة الله تعالى أما النية فلما سبق وأما معرفة الله تعالى فلأنها الوتوقفت على النية مع أن النية قصد المنوي بالقلب ولا يقصد الا ما عرف فلزم أن يكون الانسان عارفا بالله تعالى قبل معرفته له فيكون عارفا به غير عارف به في حالة واحدة وهذا يقتضي أن معرفة الله لا ثواب فيها لأن الثواب يتبع النية وقد صرح بذلك القرافي وابن جماعة في شرح بدء الأمالي وهو خلاف ما ذكره الغزالي وإنما لم تشترط النية في إزالة الخبث لأنه من قبيل التروك كالزنا فإن ترك الزنا من حيث إسقاط العقاب لا يحتاج إلى نية ومن حيث تحصيل الثواب على الترك يحتاج إليها وكذا إزالة الخبث لا يحتاج فيه إليها من حيث التطهير ويحتاج إليها من حيث الثواب على امتثال أمر الشارع وشرعت تمييز للعبادة عن العادة كالغسل يكون تنظيفا وعبادة أو لترتب العبادة بعضها عن بعض كالتيمم يكون للجنابة والحدث وصورتها واحدة والصلاة تكون فرضا ونفلا والغسل يكون فرضا وسنة ومستحبا وقد جمع بعضهم أحكامها وهي سبعة بقوله

سبع شرائط أتت في نية * تكفي لمن حار لها بلا وسن

حقيقة حكم محل وزمن * كيفية شرط ومقصود حسن

حقيقتها لغة القصد وشرعا قصد الشيء مقترنا بفعله وحكمها الوجوب ومحلها القلب وزمنها أول العبادة وكيفيتها تختلف بحسب المنوي وشرطها السلام الناوي وتمييزه وتحقق الوجوب أو ظنه وأن يكون المنوي من مكتسبات الناوي أو يكون تابعا لمكتسبه كنية فرضية الظهر أو نفلية الضحى فإن الفرضية والنفلية تابعان للأفعال التي يأتي بها الشخص والمقصود من النية تمييز العبادة عن العادة كالغسل فإنه يكون عبادة وعادة للتنظيف أو تمييز رتب العبادة بعضها عن بعض كالغسل فإنه يكون واجبا كغسل الجنابة وسنة كغسل الجمعة ومستحبا كغسل اليدين والباء للمصاحبة أو للاستعانة وقال ابن فرحون للسببية أي إنما الأعمال ثابت ثوابها بسبب النيات ثم إن هذا الحديث تواتر النقل عن الأئمة بتعظيمه وقعه وكثرة فوائده وأنه أصل عظيم من أصول الدين ومن ثم خطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في رواية البخاري فقال يا أيها الناس إنما الأعمال بالنيات وخطب به عمر رضي الله تعالى عنه على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أخرجه أيضا ولذلك قال أبو عبيد ليس في الأحاديث أجمع وأغنى وأكثر فائدة منه ومن ثم قال بعضهم إنه نصف العلم ووجهه أنه أجل أعمال القلب والطاعة المتعلقة به وعليه مدارها فهو قاعدة الدين ومن ثم كان أصلا في الإخلاص أيضا وأعمال القلب تقابل أعمال الجوارح بل تلك أجل وأفضل بل هي الأصل فكان نصف أعظم النصفين كما تقرر وقيل لأن النية عبودية القلب والعمل عبودية القالب بفتح اللام أولان الدين إما ظاهر وهو العمل أو باطن وهو النية وقال كثيرون منهم الشافعي وأحمد رضي الله تعالى

بذلك كتابه كتبته بكم على نفسه الرحمة وأسبغ على خلقه النعمة وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الذي يحب
من توجه اليه وأمه وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله نبي الرحمة وسراج الظلمة الذي نصح الامة صلى الله عليه وسلم وعلى آله
وأصحابه ومن تبعهم فانكشف عنه الغمة آمين (عن أبي رقية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
الدين النصيحة قلنا لمن يا رسول الله ٥٢ قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم رواه مسلم) اعلموا اخواني

وفقني الله وإياكم لطاعته
ان هذا الحديث عظيم
الشان وعليه مدار
الاسلام لايجاوزه لكثرة
معانيه بل قالوا ليس في
كلام العرب كلمة مفردة
يستوفى بها العبارة غير
النصيحة (قوله الدين)
هو ما سبق في حديث
جبريل من انه الاسلام
والايمان والاحسان
وعبر عنه بعضهم بقوله
ما شرعه الله تعالى
لعباده من الاحكام
(قوله النصيحة) مأخوذة
من نصح الرجل ثوبه اذا
خاطه فشبهوا فعل
الناصح فيما يتحراه من
صلاح المنصوح بما
يسده من خلل الثوب
وقيل مأخوذة من
نصحت العسل اذا صفيته
من الشمع وهي كلمة
جامعة معناها حيازة الحظ
للمنصوح له بما يقوم دينه
وعماده النصيحة فهي
كقولهم الحج عرفة
واقتصر ان يقول الدين
محصور فيها فان من
جملتها طاعة الله ورسوله
والايمان والعمل بما قالاه من كتاب وسنة وليس وراء ذلك سوى الدين كما سلف في حديث جبريل انتهى
(قوله قلنا يا رسول الله لمن قال لله) بمعنى الايمان به وطاعته بالقلب واللسان والبدن ونحو ذلك وما ذكر هو في الحقيقة راجع الى المبدين
نصح نفسه اذ هو سبحانه وتعالى غني عن ذلك (قوله ولكتابه) بمعنى تعظيمه والايمان به والعمل بما فيه وما أشبه ذلك (قوله
ولرسوله) بمعنى تصديقه فيما جاء به وطاعته على أمره به قولا وعملا واعتقادا (قوله ولائمة المسلمين) أي ولاة أمورهم بمعنى

عنهما أنه ثلث العلم لان الاحكام تدور عليه وعلى حديث من احدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد
والحلال بين والحرام بين ووجه البيهقي كونه ثلثا بان كسب العبد لما بقلبه أو بلسانه أو بجوارحه
فالنية أحدها وأرجحها لانها ما تابعان لها صحة وفسادا وثوابا وحراما ولا يتطرق اليها رياء ونحوه
بخلافهما ومن ثم ورد نية المؤمن خير من عمله أي نية بلا عمل خير من عمل بلا نية وهذا على معنى
الاتساع لان كل عمل بلا نية لا خير فيه أصلا وفي روايه أبلغ من عمله اذ هي قطب عمله ومداره لان بها
يرتفع أو يتضع على قدرها هي عليه من صحة أو سقم وهو ضعيف لا موضوع خلافا لمن زعمه وفي أخرى
زيادة وان الله ليعطي العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله قال بعضهم وانما كانت خيرا من العمل لانها
تحتمل التعدد والتكثر في العمل الواحد فيتضاعف أجر العمل بقدر النيات فيه ولا يتأتى ذلك في
العمل كما اذا جلس في المسجد بنية الاعتكاف وانتظار الصلاة والخلوة عن شواغل القلب والعزلة
والذكر وقراءة القرآن ونية حفظ السمع والبصر واللسان عما لا يعنيه وعمارة المسجد بالذكر فانه
لا يكون كمن جلس لاحدها فقط وقال بعضهم انما كانت خيرا من العمل لانه لا يتعبد الا بطاقته
ووسعه كما اذا نوى ان يعتق عبدا أو يتصدق بمال كثير وهو لا يملك شيأ في الحال وهذا على تقدير رجوع
الضمير للمؤمن كما هو ظاهر وقد قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم وعد بثواب على حفر بئر فنوى عثمان
أن يحفرها فسبق اليها كافر فحفرها فقال صلى الله عليه وسلم نية المؤمن يعني عثمان خير من عمله يعني
الكافر وفي رواية أخرى ان رجلا من الصحابة نوى بناء قنطرة في موضع هم فسبقه يهودي لبنائها
فاخبر بذلك بحضرة جماعة منهم عمر فتأسف ذلك الرجل واقتحل فقال عمر لعلية المؤمن خير
من عمله أي من عمل ذلك الكافر لكن يخدشه ما ذكره أبو زرعة في البستان من أن هذا القول صادر عن
صدر النبوة ثم صار مثلا من الامثال السائرة وقال أبو داود مدار الدين على أربعة أحاديث وقد نظمها
طاهر بن معوذ رضي الله تعالى عنه فقال

عمدة الدين عندنا كلمات * أربع من كلام خير البريه
اتق الشبهات وازهد ودع ما * ليس يعنيك واعملن بنيه

لكن المعروف عن أبي داود هذا منهم بتكم عنه فاجتنبوه الحديث بدل ازهد فيما في أيدي الناس وذكر
أبو بكر بن فراسة بدل حديث الزهد حديث لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يرضى لاخيه ما يرضى لنفسه
(والمكل) اسم موضوع لاستغراق افراد المنكر نحو كل نفس ذائقة الموت ولا استغراق لاجزاء
المعرف نحو أكلت كل الرغيف وحينئذ يقال كل بمعنى أكول ولا يقال كل الرمان أكول
(امرئ) أي رجل وفيه لغتان امرئ نحو زبرج وامرء بفتح الميم نحو فلس وحكى الاصمعي الاجمع له من
لفظه وعينه تابعة للامه في الحركات الثلاث قال الله تعالى ان امرؤ هلك ما كان أبوك امرأ سوء والكل
امرئ وفي مؤنثه أيضا لغات امرأة وامرأة وامرة لكن في حديث اطلاقه على كلا النوعين بدليل قوله بعد
فمن الدال على العموم الخ بل قال الحراني انه يشترك فيه الرجل والمرأة على انه يمكن ان يقال على الاول

انما خصه بالذكر لشرفه ولصالته وغلبة دوران الاحكام عليه (ما) اسم موصول بمعنى الذى (نوى) صلته والعائد محذوف أى ما نواه من خير او شر ويجوز أن تكون مصدرية أى جزاء نيته فان قلت ما فائدة هذه الجملة بعد قوله انما الاعمال بالنيات فالجواب من وجوه الاول ان هذه الجملة تاكيد للجملة الاولى فذكر الحكم بالاولى وأكده بالثانية تنبيها على شرف الاخلاص وتحذيرا من الرياء المانع من الاخلاص لكنه رد عليه ان الافادة خير من الاعادة الثانى قال المصنف فى شرح مسلم قال الخطابى ان الجملة الثانية افادت اشتراط تعيين المنوى فاذا كان على الانسان صلاة فائتة لا يكفيه ان ينوى الصلاة الفائتة بل يشترط ان ينوى كونها ظهرا أو عصرا أو غيرهما مما لم تنحصر الفائتة ولولا هذه الجملة الثانية لاقتضت الاولى الصحة بلا تعيين أو وهمت ذلك وكأنه استنبطه من ما الموصولة لانها من المعارف المفيدة للتعيين وفيه بحث لان اللام فى قوة الاضافة المفيدة للتعيين لانها وضعت للعهد كما اختاره صاحب المفتاح الثالث قال ابن عبد السلام ان الاولى لبيان ما يعتبر من الاعمال فى سقوط الطلب والثانية لبيان ما يترتب عليها من الثواب والعقاب وهذا فى العبادة التى لا تتميز بنفسها وأما ما يتميز بنفسه فانه ينصرف بقوله الى ما وضع له كالاذكار والاذان والتلاوة الرابع ان الثانية أفادت منع الاستنابة فى النية اذ لو نوى واحد عن غيره لصدق عليه انه عمل بنية أفادت الثانية منعه الا فى مسائل كنية الحاكم فى الزكاة اذا أخذها كرها واحرام الولى عن الصبى فى الحج ونحو ذلك مدرك يخصها الخامس قال السمعانى فى اماليه ان هذه الجملة دلت على ان الاعمال العادية التى لا تتوقف على النية قد تفيد الثواب اذا نوى بها ما فاعلها القربة كالاكل والشرب اذا نوى بهما التقوى على الطاعة والنوم اذا قصد به ترويح البدن للعبادة والوطء اذا أريد به التعفف عن الفاحشة والتطيب اذا قصد به اقامة السنة والتنظف اذا قصد به دفع الروائح المؤذية عن عباد الله لا استيفاء اللذات والتودد الى النسوان السادس ان الجملة الثانية دلت على ان من نوى شيأ يحصل له ثوابه وان لم يفعله لمانع شرعى كمريض تخلف عن الجماعة وقد ورد فى مسند أبى يعلى الموصلى مرفوعا يقول الله سبحانه وتعالى للحفظة يوم القيامة اكتبوا لعبدى كذا وكذا من الاجر فيه ولون ربما لم نحفظ ذلك منه ولا هو فى صحفنا فيقول انه نواه وفى عقد الدرر والآلى أنه حصل فى بنى اسرائيل قحط وغلا فخرج احدهم الى الصحراء فمر على كثيب رمل فقال وددت لو كان هذا ذهبا لتصدقت به أو لو كان طعاما لقسمته بين الناس فاوحى الله تعالى الى نبى زمانه ان قل لفلان انى قبلت صدقته ولم يتصدق بشئ ولكن صحت منه النية اه ومن الدقائق ما فى التحبير للقشيرى ان بعضهم رؤى فى المنام بعد موته فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لى ورفع درجاتى فقيل له بماذا فقال ههنا يعاملون بالجود لا بالركوع والسجود ويعطون بالنية لا بالخدمة ويغفر لهم بالفضل لا بالعمل وحكى عن بعض فضلاء الصوفية انه كان مريضا فدخل عليه بعض اخوانه يعوده فقال لهم لو وابنا حجا لوابنا رباطا وعددا لهم انواعا من البر فقالوا له كيف وأنت على هذه الحالة فقال ان عشنا وفينا وان متنا حصل لنا الخير النية وقيل لبعض النساك كيف الناس عندكم فقال على

وما ذلك الا لتحصيلهم على الاتيان بما أمر الله والانتهاء عما نهى الله عنه وتحفظى من هذا المال الا وهلة واليتيم والشيخ الكبير وابن السبيل يا أمير المؤمنين أخبرنى فلان عن فلان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كان يوم القيامة وجمع الله الاولين والآخرين فى صعيد واحد أحضر الملوك وغيرهم من ولاة أمور الناس فيقول لهم ألم أمكنكم من بلادى وأطعكم عبادى لاجمع الاموال وحشد الرجال بل لتجمعوهم على طاعتى وتنفذوا فيهم أمرى ونهيى وتعزروا أوليائى وتذلوا أعدائى وتتسرروا المظلومين

ولى هرون الرشيد جلس للناس مجلسا عاما فدخل عليه بهلول المجنون فقال له يا أمير المؤمنين احذر جلساء السوء واعتمد جليسا صالحا يذكرك بصالح خلقه اذا غفلت والنظر فيهم اذا ألهوت فان هذا أنفع لك وللناس وأكثر فى الاجر مما أتى به من صوم وصلاة وقراءة وحج ان الرجل كان يلقى الكلمة عند ذى السلطان فيقول بها فيملأ الارض فسادا وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقى لها بالا فيهوى بها فى النار سبعين خريفا ولا تكن يا أمير المؤمنين كمن قال الله تعالى فى حقه واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد فقال له زدنى فقال يا أمير المؤمنين ان الله تعالى قد أقال ذلك الناس وجعل أمرك فيهم مطاعا وكلمتك فيهم نافذة وأمرك فيهم ماضيا

من الظالمين ياهرون تفكر كيف يكون جوابك عما تسئل عنه من أمور العباد في ذلك الموقف اذا حضرت ويداك مغلولتان الى عنقك وجهنم بين يديك والزبانية محيطة بك تنظر ما يؤمر بك قال فبكى هرون بكاء شديدا فقال له بعض الحاضرين كدرت على أمير المؤمنين مجلسه فقال لهم هرون فانا كم الله ان المغرور من غررتموه والسعيد من بعدتم عنه ثم خرج من عنده فانظر يا أخي الى هذه النصيحة ما أعظمها * (فائدة) * ٥٤ شاردة في تفسير قوله تعالى قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم

قد رنيا تهم وحكي عن أخوين كان أحدهما عابدا والآخر مسرفا على نفسه وكان العابد يتمنى ان يرى ابليس قال فظهر له ابليس يوما فقال له وا أسفا عليك ضيعت من عمرك اربعين سنة في حصر نفسك وانعاب بدنك وقد بقي من عمرك مثل ما مضى فاطلق نفسك في شهواتها فقال العابد في نفسه لعلي انزل الى أخي في أسفل الدار وأوافقه على الاكل والشرب واللذات عشرين سنة ثم أتوب وأعبد الله في العشرين التي تبقى من عمري فنزل على نية ذلك واما أخوه المسرف فانه استيقظ من سكره فوجد نفسه في حالة رديئة قد مال على ثيابه وهو مطروح على التراب وفي الظلام فقال في نفسه قد افنيت عمري في المعاصي وأخي يتلذذ بطاعة الله تعالى ومناجاته فيدخل الجنة بطاعته ربه وانا بالمعاصي ادخل النار ثم عقد التوبة ونوى الخير والعبادة وطلع يوافق أخاه على عبادة الله تعالى فصعد على نية الطاعة ونزل أخوه على نية المعصية فزلت رجله فسقط على أخيه فوقعا ميتين فيحشر العابد على نية المعصية ويحشر العاصي على نية التوبة وصح عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال كانت قريتان صالحة وظالمة فخرج رجل من الظالمة يريد الصالحة فاتاه الموت حيث شاء الله تعالى فاختصم فيه الملك والشيطان فقال الشيطان والله ما عصاني قط وقال الملك انه خرج يريد التوبة فقضى الله بينهما ان ينظر الى أيهما أقرب فوجده أقرب الى القرية الصالحة وأخرج الشيخان انه كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن اعلم أهل الارض فدل على راهب فاتاه فقال له انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الارض فدلوه على رجل عالم فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى أرض كذا وكذا وجاء في الطبراني ان اسم الارض نهرة فان بها ناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ولا ترجع الى ارضك فانها ارض سوء فانطلق حتى اذا بلغ نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فاتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه حكما بينهم وقال قيسوا ما بين الارضين فالى أيهما أدنى كان له فقاسوا فوجدوه ادنى الى الارض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة وفي رواية لما ماتوا فكان الى القرية الصالحة أقرب بشبر فجعل من أهلها وفي أخرى لهما فاوحى الله تعالى الى هذه ان تباعدي والى هذه ان تقربي وقال قيسوا بينهما فوجدوه الى هذه أقرب بشبر فغفر الله تعالى له وللطبراني انهم وجدوه أقرب الى دار التوابين بانملة وحكي ان رجلا عبد الله سبحانه وتعالى سبعين سنة فبينما هو في معبده ذات ليلة فوقفت امرأة جميلة فسألته أن يفتح لها وكانت ليلة شاتية فلم يلتفت اليها وأقبل على عبادته فولت المرأة فنظر اليها فاعجبته وملكت قلبه وسلبت لبه فتركت العبادة وتبعها فقال الى أين فقالت الى حيث أريد فقال هيهات هيهات صار المراد مريدا والاحرار عبيدا ثم جذبها فادخلها امكانه فاقامت عنده سبعة أيام فعند ذلك تفكر فيما كان فيه من العبادة وكيف باع عبادة سبعين سنة بمعصية سبعة أيام فبكى حتى غشي عليه فلما أفاق قالت له ما هذا أنت ما عصيت الله مع غيري وأنا ما عصيت الله مع غيرك وانى أرى في وجهك اثر الصلاح فبالله عليك اذا صالحك مولاك

سليمان وجنوده وهم لا يشعرون قال ابن عطاء تكلمت النملة بكلام جمعت فيه عشرة اجناس من الكلام فنادت ونبهت وسمعت وأمرت ونصحت وحذرت وخصت وعمت وأشارت وأعذرت فاما النداء فبيا وأما التنبيه فقولها أيها وأما التسمية فقولها النمل وأما أمرت فقولها ادخلوا وأما نصحت فقولها مساكنكم وأما حذرت فقولها لا يحطمنكم وأما خصت فقولها سليمان وأما عمت فقولها وجنوده وأما أشارت فقولها وهم وأما أعذرت فقولها لا يشعرون قال ابن عطاء قضت النملة خمسة حقوق فحق الله وحقا لسليمان وحقا لها وحقا للنمل وحقا لكم فاما الحق الذي لله عز وجل فانها كانت استرعيت على النمل فانذرتهم وأما الحق الذي لسليمان فانها نبهت على حق النمل وأما الحق الذي لها فانها اسقطت حق الله تعالى عنها بنصيحتها له وأما الحق الذي للنمل فقولها ادخلوا مساكنكم فاذكرني وهي النصيحة وأما الحق الذي لكم فادت بفعلها حقا قضته وحقا لله أدته * قال ابن عطاء وذلك انه ما ضحك سليمان الا مرتين المرة التي ظفر بالضحاك فيها والمرة التي أشرف فيها على وادي النمل لما سمع النملة تقول ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فيا اخواننا كم في القرآن العظيم من آية تدل على النصيحة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصي

أصحابه وبتفقدهم وتوصاياهم بنفقتهم فمن وصاياه صلى الله عليه وسلم ما ورد عن أنس رضي الله عنه قال أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي أسبغ الوضوء يزد في عمرك وسلم على من لقيت تكثر حسناتك واذا دخلت على أهل بيتك فسلم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الأوابين قبلك وارحم الصغير ووقر الكبير تكن من رفقائي يوم القيامة ومن وصاياه صلى الله عليه وسلم لابي ذر أحكم السفينة فان البحر عميق واستكثر الزاد فان السفر طويل وخفف ظهرك فان العقبة كؤود وأخلص العمل فان الناقد بصير ومن وصاياه صلى الله عليه وسلم لبعض أهله لا تشرك بالله شيأ وان قطعت أو مزقت ولا تتركن صلاة مكتوبة متعمدا فانه من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله واياك والمعصية فبالمعصية يحل سخط الله ووصاياه ونصائحه صلى الله عليه وسلم لا تحصى (خاتمة المجلس) عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال لبعض اخوانه أوصيك بستة أشياء ان أردت أن تقع في أحد وتذمه فقدم نفسك فانك لا تعلم أحدا أكثر عيوبا منها وان أردت أن تعادي أحدا فعاد البطن فليس لك عدو أعدى منها وان أردت أن تحمد أحدا فاحمد الله فليس أحد أكثر منه منة عليك وألطف بك منه وان أردت أن تترك شيأ فاترك الدنيا فانك ان تركتها فانك محمود والا تركتك وأنت مذموم وان أردت أن تستعد لشيء فاستعد للموت فانك ان لم تستعد له حل بك الخسران والندامة وان أردت أن تطلب شيأ فاطلب الآخرة فلست تنالها الا بان تطلبها وفي المجلس كفاية ونسأل الله تعالى لنا العافية والعناية آمين والحمد لله رب العالمين * (المجلس الثامن في الحديث الثامن) * الحمد لله الذي لا ينبغي التحقق في الوجود الا اياه الكريم الذي من توكل عليه كفاه ومن آمن به هداه ومن سأله أعطاه ما تمناه * وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا ضديد له ولا ولد له

فاذ كرني تخرج هاربا على وجهه فآواه الليل الى خربة فيها عشرة عميان وكان بالقرب منهم راهب يبعث لهم في كل ليلة عشرة أرغفة فجاء غلام الراهب بالخبز على عادته فمد ذلك الرجل العاصي يده فاخذ رغيفا فبقي رجل منهم لم يأخذ شيأ فقال أين رغيفي فقال قد فرقت عليكم العشرة فقال أبيت طاويا وأنت باكي فبكى الرجل العاصي وناول الرغيف لصاحبه وقال لنفسه أنا أحق أن أبيت طاويا لاني عاص وهذا مطيع فنام واشتد به الجوع حتى أشرف على الهلاك فامر الله ملك الموت بقبض روحه فاختلفت فيه ملائكة العذاب وملائكة الرحمة فقالت ملائكة الرحمة انه قد من ذنبه وجاء تائبا وقالت ملائكة العذاب بل تم عاصيا فاوحى الله اليهم ان زنوا عبادة السبعين سنة بمعصية السبعة أيام فوزنوها فرجحت المعصية على السبعين سنة فاوحى الله اليهم ان زنوا معصية السبع ليال بالرغيف الذي آثر به على نفسه فرجح الرغيف فتوفته ملائكة الرحمة وقبل توبته وهرب به الى ربه ونقل الاستاذ أبو القاسم ان زبيدة رؤيت في المنام فقيل لها ما فعل الله بك فقالت غفر لي فقيل لها بكثرة حجاراتك الآبار والبرك والمصانع في طريق مكة وانفاقك فيها فقالت هيهات هيهات ذهب ذلك كله لا رباب ولم ينفعني منه النيات فغفر لي بها وحكي أيضا انه يؤتى بالعبد يوم القيامة فيدفع له كتاب فيأخذه بيمينه فيجد فيه حجا وجهادا وصدقة ما فعلها فيقول هذا ليس بكتابي فاني ما فعلت شيأ من ذلك فيقول الله تعالى هذا كتابك لانك عشت عمرا طويلا وأنت تقول لو كان لي مال حججت منه لو كان لي مال تصدقت منه فعرفت ذلك من صدق نيتك وأعطيتك ثواب ذلك كله (فمن كانت هجرته) الفاء رابطة للجواب وهي واقعة في جواب شرط مقدر أي واذا كان لكل امرئ ما نوى فمن الخ وهو من عطف المفصل على المجمل الا أن هذا تفصيل لما سبق والهجرة بكسر الهاء في اللغة الترك وفي الاصطلاح مفارقة دار الكفر الى دار الاسلام خوف الفتنة وطلب اقامة الدين وفي الحقيقة مفارقة ما يكرهه الله تعالى الى ما يحبه وقد وقعت في الاسلام على وجهين الاول الانتقال من دار الخوف الى دار الامن كما في هجرة الحبشة وابتداء الهجرة من مكة الى المدينة الثاني الهجرة من دار الكفر الى دار الايمان وذلك بعد ان استقر صلى الله عليه وسلم بالمدينة هاجر اليه من أمكنه ذلك من المسلمين فكانت الهجرة اليها واجبة اذ ذاك لتكثير عدد المسلمين والغرا بالدين من الفتن لي أن فتحت مكة لما رواه ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية لكن روى أبو داود والنسائي من حديث معاوية عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ووفق الخطابي بينهما بان الهجرة كانت في أول الاسلام فرضا ثم صارت بعد الفتح مندوبة على انه ورد في الحديث الآخر ما يدل على ان المراد بالهجرة الباقية هجرة السيآت (الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله) فان قلت القاعدة تغاير الشرط والجزاء لان الشرط سبب للجزاء والسبب غير المسبب فلا يقال مثلا من أطاع اطاع ومن عصى غصى وانما يقال من أطاع نجا ومن عصى عوقب وقد تخلف في هذا الحديث فالجواب ان التغاير يقع تارة باللفظ وهو الاكثر وتارة بالمعنى كما هنا فالمعنى فمن كانت نيته في الهجرة التقرب الى الله

ولا والله وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله سيد خلقه وخاتم أنبيائه المخصوص بالمقام المحمود الذي لم يقم فيه سواه صلى الله وسلم وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته صلاة وسلاما دائمين متلازمين الى يوم تلقاه آمين (عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله تعالى رواه البخاري ومسلم) اعلموا اخواني وفقني الله وايا كم لطاعته ان هذا الحديث عظيم قاعدة من قواعد الدين (قوله صلى الله عليه وسلم أمرت) ببنائه للمفعول أي أمرني ربي لانه لا آمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا هو (قوله أن أقاتل الناس) أي بان أقاتل الناس المراد بهم الانس فقط وان كان لفظ الناس قد يعم الجن بالحقيقة أو الغلبة اذ لم يردانه قاتل الجن وان أسلم على يده جن نصيبين وكانت رسالته صلى الله عليه وسلم عامة قيل والمراد من الانس عبدة الاوثان ونحوهم دون أهل الكتاب لسقوط القتال عنهم بقبول الجزية قال بعضهم يحتمل أن يكون قبولها منهم كان بعد هذا الامر المتناول لقتالهم أيضا (قوله حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله) وفي رواية حتى يقول لا اله الا الله

ورسوله فهجرته مقبولة عندها فالجزاء كناية عن قبول الهجرة وقال بعضهم الجزاء محذوف تقديره فله ثواب الهجرة الى الله ورسوله والمذكور مستلزم له دال عليه فاقيم السبب مقام المسبب وقدر أبو الفتح القشيري فمن كانت هجرته الى الله ورسوله نية وقصدا فهجرته الى الله ورسوله حكما وشرعا وقدر غيره ثوابا وأجرا بدل قوله حكما وشرعا فان قلت فائدة الاتيان بهما بالاتحاد فالجواب أن الاتحاد هنا للمبالغة في التعظيم على انه قد يقصد بجواب الشرط بيان الشهرة وعدم التغير فيتحد بفعله لفظا نحو من قصدني فقد قصدني أي فقد قصد من عرف بانجاح قاصده ويجري مثل ذلك في المبتدا والخبر كقول الشاعر

خليلي خليلي دون ريب وريبما ✻ الان امرؤ قولا فظن خليلا

وقوله ✻ أنا أبو النجم وشعري شعري ✻ أي خليلي من لا أشك في صحة خلته ولا يتغير في حضوره وغيبته وشعري على ما ثبت في النفوس من جزالته والتوصل به من المراد الى غايته وقد يقصد به التحقير نحو قوله الا آني فهجرته الى ما هاجر اليه قال الصفوي وبالحقيقة الاشكال مدفوع من أصله لان الهجرة هي الانتقال وهو أمر يقتضي ما ينتقل اليه ويسمى مهاجرا اليه وما يبعث على الاستقبال هو المهاجر له والفقرتان لبيان أن العبرة بالباعث وذلك انما يظهر اذا كانت الى في جملتي الشرط بمعنى اللام فاذا تركت في الجزاء على معناها الوضعي الحقيقي فلا اتحاد والمعنى من هاجر لله ولرسوله أي لاتباع أمرهما وابتغاء مرضاتهما فقد هاجر اليهما حقيقة وان كان ظاهرا منتقلا الى الدنيا ونعيمها ومن هاجر لغيرهما فالمهاجر اليه ذلك وان انتقل الى النبي ظاهرا وقوله الى الله ورسوله اشارة لتعظيم الهجرة والمهاجر اليه ثم ان أصل الهجرة الانتقال من محل الى محل كما تقرر لكن كثيرا ما يستعمل في الاشخاص والاعيان والمعاني وذلك في حقه تعالى اما على التشبيه البليغ أي كانه هاجر اليه أو هو على حذف مضاف أي محل رضاه وثوابه ورحمته أو يقال الانتقال الى الشيء عبارة عن الانتقال الى محل يجده فيه ووجدان كل أحد على ما يليق به فالمراد الانتقال الى محل قربه المعنوي وما يليق به الا ترى الى ما اشتهر على ألسنة القوم من السير الى الله تعالى ونحو ذلك أو يقال ان ذكر الله للتعظيم والتبرك ومثله غير عزير الا ترى الى ما قرروه في ان الذين يبايعونك الآية ان المعاملة مع حبيب الله كالمعاملة مع الله فيده يده وبيعته بيعته والهجرة اليه هجرة اليه وأمثال هذه المسامحات في كلام الشارع كثيرة وأينما تولوا فثم وجه الله والحاصل انه أريد بالهجرة هنا مطلق الانتقال والتجاوز من شيء الى شيء صوريا أو معنويا وانما قال الى الله ورسوله ولم يقل اليهما مع ان المحل للاضمار تبركا وتلذذا بذكر الله ورسوله ولئلا يجمع بينهما في ضمير واحد ولذا قال للخطيب حين قال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى بئس خطيب القوم أنت قل ومن يعص الله ورسوله فان قيل قد ورد في حديث ابن مسعود انه صلى الله عليه وسلم جمع بينهما في الضمير حيث قال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فانه لا يضر الا نفسه ولا يضر الله شيئا فالجواب انه انما كان انكاره على الخطيب لانه لم يكن عنده من المعرفة بتعظيم الله وجلاله والوقوف على دقائق الكلام ما كان بعلمه عليه الصلاة والسلام من عظمته وجلاله (ومن كانت هجرته لدنيا) أي اكتفاء بها عن آخرتها مع ارادتها أي حتى يؤمنوا بان الله واحد لا شريك له وأن محمدا رسوله (قوله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة) أي بشروطها وأركانها كما مر وايذكر وا في هذا الحديث الصوم والحج اما لكونهما لم يفرضا اذ ذاك واما لكونهما لم يقاتل على تركهما من حيث ان تارك الصوم يحابس ويمنع الطعام والشراب كما قدمناه وان الحج على التراخي ولهذا لم يذكره المعاذين بعثه الى اليمن (قوله فاذا فعلوا ذلك) أي ما تقدم (فقد عصموا) أي منعوا وحقنوا

مني دماءهم وأموالهم) وهي الاعيان من المواشي والنقد وغيرهما (قوله الا بحق الاسلام) أي كالقتل بالقصاص والزنا لكن القتل والزاني لا يباح مالهما بخلاف الكافر فكأنه جاء على طريق التغليب (قوله وحسابهم على الله تعالى) أي أمر شرائرهم اليه وأما نحن فنعاملهم بمقتضى ظاهر أقوالهم وأفعالهم فرب خاص في الظاهر مطيع في الباطن فيصادف عند الله خيرا وعكسه وقدمنا الكلام في حكم التلفظ بالشهادتين في غير هذا المسجد فليراجع *(تنبيه)* ٥٧ قال الشيخ الاسلام العسقلاني

بضم الدال على الاشهر على وزن فعلى مقصورة غير منونة اذهي غير منصرفة للوصفية ولزوم ألف التأنيث وحكى ابن قتيبة وغيره كسر الدال من الدنو وهو القرب لسبقها الآخرة أو لدنوها الى الزوال أو من الدناءة أي الخسة قال الشاعر

أعاذل دنيا تسمين من دناءتها * دنيا والاخرى مكروهها الداني

واللام فيها للتعليل أو بمعنى الى لمقابلته له بقوله فهجرته الى ما هاجر اليه قال بعضهم والاول أشبه وحقيقتها جميع المخلوقات الموجودة قبل الآخرة وقيل الارض مع الهواء والجو قال النووي والاول أظهر واستشكل اسنعمالها منكرة لانها في الاصل مؤنث أدنى وأدنى افعل تفضيل فحقها أن تستعمل باللام نحو الكبرى والحسنى وأجيب بأن دنيا خلعت عن الوصفية وأجريت مجرى ما لم يكن وصفا مما وزنه فعلى اسما كرجعى وبهمى ومن ورودها منكرة مؤنثة قول الفرزدق

لا تعجبنك دنيا أنت تاركها * كما لها من أناس ثم قد ذهبوا

(يصيبها) حال مقدرة أي مقدرا اصابتها أي تحصيلها (فائدة) أكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق منها ودعوتهم الى الآخرة بل هذا هو المقصود بالذات من بيان الشرائع كيف وهي هدوة الله لقطعها طريق الوصلة اليه ولذلك لم ينظر اليها منذ خلقها وعدوة لاوليائه لانها تزينت لهم بزينتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها وعدوة لاعدائه لانها استدرجتهم بمكرها واقتنصتهم بشبكتها حتى وثقوا بها فاخذتهم أحوج ما كانوا اليها وروى جماعة في قصة ثعلبة بن أبي حاطب الذي أنزل الله فيه ومنهم من عاهد الله الآيات أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو له بان الله يرزقه مالا فقال له قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فاعاد السؤال فقال صلى الله عليه وسلم أما لك في اسوة أما ترضى أن تكون مثل نبي الله والذي نفسي بيده لو شئت ان تسير الجبال معي ذهبا وفضة لسارت لكن هذا غير صحيح كما قال أهل التفسير وقال الضحاك ان الآية نزلت في رجال من المنافقين الا أن قوله فاعقبهم نفاقا في قلوبهم يدل على ان الذي عاهد لم يكن منافقا الا أن يكون المعنى زادهم نفاقا ثبتوا عليه الى الممات وهو قوله تعالى الى يوم يلقونه وصح انه صلى الله عليه وسلم رأى شاة ميتة فقال والذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وفي الخبر الحسن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله تعالى وما والاه وعالم أو متعلم وصح ان أبا بكر رضي الله عنه دعا بشراب فاتي بماء وعسل فبكى حتى أبكى أصحابه ثم بكى ثم مسح عينه فسألوه فقال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته يدفع عن نفسه شيئا ولم أر معه أحدا فقلت يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك فقال هذه الدنيا ممثلة لي فقلت لها اليك عني ثم رجعت فقالت انك ان أفلتني أنت منى لم يفلت مني من بعدك وصح من جملة الحديث المشهور فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تسلط عليكم الدنيا كما سلطت على من قبلكم فتنافسوا فيها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم (قال بعضهم نظما)

وردت الاحاديث في ذلك زائدا بعضها على بعض ففي حديث أبي هريرة الاقتصار على قوله لا اله الا الله وفي حديث من وجه آخر حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وفي حديث ابن عمر زيادة اقام الصلاة وايتاء الزكاة وفي حديث أنس فاذا صلوا واستقبلوا وأكلوا ذبيحتنا قال القرطبي وغيره أما الاول فقاله في حالة قتاله لاهل الاوثان الذين لا يقرون بالتوحيد وأما الثاني فقاله في حالة قتاله لاهل الكتاب الذين يقرون بالتوحيد ويجحدون نبوته عموما وخصوصا وأما الثالث ففيه اشارة الى أن من دخل في الاسلام وشهد بالتوحيد والنبوة ولم يعمل بالطاعات حكمهم أن يقاتلوا حتى يذعنوا الى ذلك فاقتصر في الاول على قوله لا اله الا الله ولم يذكر الرسالة وهي مرادة كما تقول قرأت

الحمد لله وتريد السورة كلها وقيل غير ذلك *(فصل في الكلام على لا اله الا الله وبعض فضائلها)* اعلم ان الله سبحانه وتعالى أمر عباده أن يعتقدوها ويقولوها فقال سبحانه فاعلم انه لا اله الا الله وذم مشركي العرب بقوله انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون وقال صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب قل لا اله الا الله أشهد لك بها يوم القيامة فقال لولا أن تعيرني قريش لاقررت بها عينك فلا اله الا الله كلمة التقوى كما فسرها صلى الله عليه وسلم وفي حديث عثمان رضي الله عنه قال سمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقا من قلبه الا حرمه الله تعالى على النار فقال عمر رضي الله عنه أنا أحدثكم ما هي هي كلمة الاخلاص التي ألزمها محمد وأصحابه قال عمر بل الشهرى ليس لقوله لا اله الا الله ثواب الا النظر في وجه الله عز وجل والجنة ثواب الاعمال وقيل ان كلمة التوحيد اذا قالها الكافر تنفي عنه ظلمة الكفر وتثبت في قلبه نور التوحيد واذا قالها المؤمن في كل يوم ألف مرة قبل كل مرة ٥٨ تنفي منه شيأ لم تنفه المرة الاولى وهي أفضل لذكر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم

أرى طالب الدنيا وان طال عمره * ونال من الدنيا سرورا وانعما
كباني بنى بنيانه فاقامه * فلما استوى ما قد بناه تهدما

(وقال آخر)

ان لله عبادا فطنا * طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا * انها ليست لحي وطنا
جعلوها لجة واتخذوا * صالح الاعمال فيها سفنا

(أو امرأة) وفي رواية أو الى امرأة (ينكحها) أي يتزوجها كما جاء في رواية البخاري فان قيل لم ذم الدنيا والتزوج وهما مباحان لا ذم فيهما وجواب انه لم يخرج في الظاهر لطلب الدنيا ولا للتزوج بل خرج في صورة طالب الهجرة فباطن خلاف ما ظهر فلذلك ذم فان قيل فما فائدة التنصيص على المرأة مع كونها داخلة في مسمى الدنيا فالجواب له صلى الله عليه وسلم انما الدنيا متاع وليس من متاع الدنيا شيء أفضل من المرأة الصالحة فالجواب من وجوه الاول ان دنيا نكرة في سياق الاثبات فلا تعم فلا يلزم دخولها فيه ورد ذلك بانها واقعة في سياق الشرط فتعم الثاني أنه للتنبيه على زيادة الخير فيكون من باب ذكر الخاص بعد العام كما في قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوله من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال الآية لكن يعكر عليه قول ابن مالك في شرح العمدة ان عطف الخاص على العام يختص بالواو ونحوه للشيخ خالد وأجيب بان الدماميني أشار الى جواز عطف الخاص على العام وعكسه بأو وذهب بعضهم الى أن الاجود جعل أو للتقسيم وجعلها قسما مقابلا للدنيا ايذانا بشدة فتنتها وكذلك روى أسامة بن زيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما تركت في الناس بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء وقال بعض العارفين ما أيس الشيطان من انسان قط الا وأتاه من قبل النساء وقال سفيان قال ابليس سهمي الذي اذا رميت به لم أخط النساء وكذا في خبر أحد النظر الى محاسن المرأة من سهام ابليس ومن ثم جعلن في القرآن عين الشهوات قال تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه أيها الناس لا تطيعوا النساء أمرا ولا تدعوهن يدبرن امر عيش فانهن ان تركن ما يردن افسدن الملك وعصين المالك وجدناهن لا دين لهن في خلواتهن ولا ورع لهن عند شهوتهن البلاء بهن يسيرة والخيرة بهن كثيرة فاما صواحبكم فقاجرات واما طواحبكم فعاهرات وأما المعصومات فهن المعدومات فيهن ثلاث من خصال اليهود يتظلمن وهن ظالمات ويتمنعن وهن راغبات ويحلفن وهن كاذبات فاستعيذوا بالله من شرارهن وكونوا على حذر من خيارهن والسلام الثالث أن الحديث ورد على بعير هو انه لما أمر بالهجرة من مكة الى المدينة تخلف جماعة عنها فذمهم الله تعالى بقوله الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم الآية ولم يهاجر جماعة لفقد استطاعتهم فعذرهم واستثناهم بقوله الا المستضعفين من الرجال الآية وهاجر جماعة فمدحهم الله في غير موضع من كتابه وكان في المهاجرين رجل أراد أن يتزوج امرأة يقال لها أم قيس واسمها آمنة وقيل جذامة وقال بن دحية قيلة بفتح القاف وسكون المثناة التحتية فابت أن

تتزوجه

لاهل لا اله الا الله وناصرة لمن قال لا اله الا الله ومحبة لمن قال لا اله الا الله والجنة مباحة لمن قال لا اله الا الله والنار محرمة على من قال لا اله الا الله والمغفرة من كل ذنب لاهل لا اله الا الله الرحمة والمغفرة غير محجوبة عن أهل لا اله الا الله وقال بعضهم الحكمة في قوله تعالى اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت أن يوم القيامة يتجلى نور كلمة لا اله الا الله فيضمحل في ذلك نور الشمس والقمر لان أنوار تلك أنوار مجازية ونور لا اله الا الله نور حقيقي ذاتي واجب الوجود لذاته تعالى والمجاز يبطل في مقابلة

الحقيقة وجاء في الآثار ان العبد اذا قال لا اله الا الله أعطاه الله من الثواب بعدد كل كافر وكافرة قيل والسبب انه لما قال هذه الكلمة فكأنه قدر على كل كافر وكافرة فلا جرم يستحق الثواب بعددهم وسئل بعض العلماء عن معنى قوله تعالى وبئر معطلة وقصر مشيد فقال البئر المعطلة قلب الكافر معطل من قول لا اله الا الله والقصر المشيد قلب المؤمن معمور بشهادة أن لا اله الا الله

وقيل في قوله تعالى اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يعني قولوا لا اله الا الله وروى أن النبي ٥٩ صلى الله عليه وسلم كان يمشي

تنزيهه حتى هاجر لاجلها فعرض به تنفيرا عن مثل قصده وذكر الدنيا معها من باب زيادة النص على السبب كما أنه لما سئل عن طهورية ماء البحر قال هو الطهور ماؤه الحل ميتته فزاد قوله الحل ميتته تمهيدا لقاعدة أخرى يحتمل أن يكون هاجر للمشاركة نكاحها ويحتمل انه كان يطلب نكاحها وغيره من الناس هاجر لتحصيل دنيا من جهة ما فعرض بهما (فهجرته الى ما هاجر اليه) من الدنيا أو المرأة وان كانت صورته صورة الهجرة لله ورسوله وترك الاتيان بالظاهر في هذه الجملة حثا على الاعراض عن الدنيا والنساء وعدم الاحتفال بشأنهما وتنبيها على ان العدول عن ذكرهما أبلغ في الزجر عن قصدهما (رواه امامانا المحدثين) علما واتقانا وتحريرا وورعا وزهدا واجتهادا واستنباطا (أبو عبد الله محمد بن اسمعيل) كان من خيار الناس وأخذ عن مالك وحماد بن زيد وصحب ابن المبارك وروى عنه جماعة منهم مسلم صاحب الصحيح (ابن ابراهيم بن المغيرة) بضم الميم ويجوز كسرها قاله المصنف في شرحه على البخاري (ابن بردزبه) بموحدة مفتوحة فراء ساكنة فدال مهملة مكسورة فزاي ساكنة فموحدة مفتوحة وهاء بلسان أهل بخارى الزراع (البخاري) بضم الباء الموحدة وفتح الخاء المعجمة وبالراء هذا الالف نسبة الى بخارى بلدة مرو فقه وراه النهر عمي في صغره رهو ابن سنتين وكانت له والدة تعابدة وكانت تدعو الله كثيرا ان يرد اليه بصره فرأت ابراهيم الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام في المنام فقال لها ان الله قد رد بصر ابنك عليه بكثرة دعائك ببكائك فاصبح وقد رد الله عليه بصره قال أبو جعفر محمد بن أبي حاتم الوراق قلت لابي عبد الله محمد بن اسمعيل البخاري كيف كان بدء أمرك في طلب الحديث فقال الهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب قلت وكم أتى عليك اذ ذاك قال عشر سنين ثم خرجت من الكتاب بعد العشر فجعلت أختلف الى الداخلي وغيره قال فلما طعنت في ستة عشر سنة حفظت كتب ابن المبارك ووكيع وعرفت كلام هؤلاء ثم خرجت مع أبي وأخي أحمد الى مكة فلما حج أخي رجع وتخلفت بها في طلب الحديث فلما طعنت في ثمانية عشر سنة جعلت أصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم وصنفت كتاب التاريخ اذ ذاك عند قبر الرسول صلى الله عليه وسلم في الليالي المقمرة وقال قل اسم في التاريخ الا له غندي قصة الا أني كرهت تطويل الكتاب وعن الحسن بن الحسن البزاز بزابين قال رأيت محمد بن اسمعيل البخاري نحيف الجسم ليس بالطويل ولا بالقصير وروى عن البخاري أنه قال أخرجت هذا الكتاب يعني الصحيح من زهاء ستمائة ألف حديث زهاء الشيء بضم الزاي وبالمد قدره تقريبا لا تحقيقا من زهوته بكذا أي حزرته حكاه الصاغاني وصنفه في ست عشرة سنة وقال محمد بن بشار بندار حفاظ الدنيا أربعة أبو زرعة بالري ومسلم بنيسابور وعبد الله الدارمي بسمرقند والبخاري ببخارى اه وكتب عن زهاء أي قدر ألف عالم وكتب عنه المحدثون وما في وجهه من شعرة وكان يحضر مجلسه زهاء عشرين ألفا وسمع منه الصحيح سبعون ألفا وروى عنه رجال كثير نحو مائة ألف أو يزيدون أو ينقصون وروى عنه مسلم خارج الصحيح وكان يقول له دعني أقبل رجليك يا طبيب الحديث في علله ويا أستاذ الاستاذين ويا سيد المحدثين ومناقبه كثيرة أفردت بالتأليف منها ان كتابه لم يقرأ في كرب

صلى الله عليه وسلم كان يمشي في الطرق ويقول قولوا لا اله الا الله تفلحوا وقال سفيان بن عيينة ما أنعم الله على العباد نعمة أفضل من ان عرفهم لا اله الا الله وأن لا اله الا الله لهم في الآخرة كالماء في الدنيا وقال سفيان الثوري رحمه الله ان لذاذة قول لا اله الا الله في الآخرة كلذة شرب الماء البارد في الدنيا وذكر مجاهد في تفسير قوله تعالى وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة انه لا اله الا الله وقيل ان كل كلمة يصعد الملك بها الا قول لا اله الا الله فانها تصعد بنفسها دليله قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب أي قول لا اله الا الله والعمل الصالح يرفعه أي الملك يرفعه الى الله تعالى حكاه الرازي وحكى أيضا انه اذا كان آخر الزمان فليس لشيء من الطاعات فضل كفضل لا اله الا الله لان صلاتهم وصيامهم يشوبها الرياء والسمعة وصدقاتهم يشوبها الحرام ولا اخلاص في شيء منها الا كلمة لا اله الا الله فهي ذكر الله والمؤمن لا يذكره الا عن صميم قلبه وفي الخبر يقول الله تعالى لا اله الا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي ويقال لا اله الا الله محمد رسول الله سبع كلمات ولله سبعة أعضاء وللنار سبعة أبواب فكل كلمة من هذه الكلمات السبع تغلق بابا من أبواب النار السبعة عن كل عضو من الاعضاء السبعة (حكي) الامام الرازي رحمه الله ان رجلا كان واقفا بعرفات وكان في يده سبعة أحجار فقال أيتها الاحجار اشهدوا لي أني

أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فنام فرأى في المنام كأن القيامة قد قامت وحوسب ذلك الرجل فوجبت له النار فلما ساقوا به الى باب من أبواب جهنم جاء حجر من تلك الاحجار السبعة وألقى نفسه على ذلك الباب فاجتمعت ملائكة العذاب على وقعه فما قدروا ثم سبق به الى الباب الثاني فكان الامر كذلك وهكذا الابواب السبعة فسيق به الى العرش فقال الله سبحانه عبدي أشهدت الاحجار فلم تضيع حقك ٦٠ وأنا شاهد على شهادتك على توحيدي أدخل الجنة فلما قرب من أبواب الجنان فاذا أبوابها مغلقة فجاءت شهادة أن لا اله الا الله ففتحت الابواب ودخل الرجل وروى القرطبي بسنده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال حضر ملك الموت عليه السلام رجلا فنظر في كل عضو من أعضائه فلم يجد فيه حسنة ثم شق عن قلبه فلم يجد فيه شيأ ثم فتش عن لحيته فوجد طاقة لسانه لاصقا بحنكه يقول لا اله الا الله فقال وجبت لك الجنة بقول كلمة الاخلاص يعني لا اله الا الله وفي الحديث من كان آخر كلامه من الدنيا لا اله الا الله دخل الجنة * وفيه أيضا ليس على أهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في نشورهم وكأني باهل لا اله الا الله ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن والاحاديث والآثار في فضلها اكثر من أن تحصر وفي هذا القدر كفاية ولنختم مجلسنا هذا بما رواه البيهقي عن بكر بن عبد الله المزني رحمه الله أن ملكا من الملوك كان متمردا على ربه أكثر عز وجل فغزاه قومه فلما حاقه الوباء قتله فجاءوا أمرهم على أن يتخذوا تمثالا من نحاس عظيما ويجعلونه فيه ويحشون النار تحته ولا يقتلونه ليذيقوه طعم العذاب ففعلوا ذلك فجعلوا يحشون تحته النار وهو يدعوا لهته واحدا واحدا فلان ألم أكن أعبدك وأصلي لك وأمسح وجهك وأفعل بك كذا وكذا فانقذني مما أنا فيه فلما رأهم لا يغنون عنه شيأ رفع رأسه الى السماء فقال

الافرج ولا راكب في مركب فغرق والسبب في تصنيفه له ما رواه عنه ابراهيم بن معقل النسفي قال كنا عند اسحق بن راهويه فقال لو جمعتم كتابا يختصر الصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوقع ذلك في قلبي فأخذت في جمع الجامع الصحيح وعنه أيضا قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وكأني واقف بين يديه وبيدي مروحة أذب بها عنه فسألت بعض المعبرين فقال لي أنت تذب عنه الكذب فهو الذي حملني على اخراج الجامع الصحيح قال وألفته في بضع عشرة سنة وكان في سعة من الدنيا قد ورث مالا كثيرا من أبيه وكان يتصدق به ورب ما كان يمضي النهار ولا يأكل الا لوزتين أو ثلاثا دخل بغداد مرات وله معهم الحكاية المشهورة في امتحانهم له بقلب الاسانيد والمتون فصححها كلها في الساعة ولما رجع من بغداد الى بخارى تلقاه أهلها في محفل عظيم وبقي مدة يحدثهم في مسجده فأرسل اليه أمير البلد خالد بن محمد الذهلي يتلطف به ويسأله أن يحمل له الصحيح ويحدثه في قصره فامتنع البخاري من ذلك وقال لا أذل العلم ولا أحمله لي أبواب الناس فحصلت وحشة بينهما فأمره خالد بالخروج من البلد فيقال ان البخاري دعا عليه فلم يمض شهر حتى ورد أمر الخليفة بان ينادى عليه في البلد فنودي عليه وهو على اتان وحبس حتى مات ولما خرج من بخارى كتب اليه أهل سمرقند يطلبونه الى بلدهم فسار اليهم فلما كان بخرتنك بلغه انه وقع بينهم بسبده فتنة فقوم يريدون دخوله وقوم يكرهونه فاقام بها حتى ينجلي الامر ودعا وقال اللهم قد ضاقت علي الارض بما رحبت فاقبضني اليك فمات في ذلك الشهر وتقدم في الخطبة ما يتعلق بمولده وسنه ووفاته (الجعفي) نسبة الى اليمان بن أخنس الجعفي لانه أسلم على يديه (وأبو الحسين مسلم ابن الحجاج بن مسلم القشيري) بضم القاف صغر نسبة الى قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة قبيلة كبيرة ينسب اليها جماعة من الصحابة والتابعين وخلائق من العلماء ومن نسبه من الشراح الى قشير بطن من أسلم منهم سلمة بن الاكوع فقد وهم (النيسابوري) بفتح النون وسكون المثناة التحتية نسبة الى نيسابور أحسن مدن خراسان وأجمعها للخيرات سميت به لان سابور ذا الاكتاف لما رأى موضعها وكان قصابا قال يصلح أن يكون هنا مدينة فقطع القصب وبناها فقيل نيسابور والذي القصب صنف مسلم صحيحه من ثلثمائة ألف حديث كما في تاريخ ابن عساكر ولد سنة أربع ومائتين وتوفي عشية الاحد لخمس بقين من رجب ودفن يوم الاثنين سنة احدى وستين ومائتين وهو ابن خمس وخمسين سنة وقيل ستون وقيل غير ذلك والمعروف ان مولده سنة أربع ومائتين وذكر الحاكم أن سبب موته انه ذكر له حديث فلم يعرفه فأوقد له السراج وقال لمن بداره لا يدخل منكم أحد فقالوا أهديت لنا سلة تمر وما هو فكان يطلب الحديث ويأخذ تمرة تمرة فاصبح وقد فني التمر ووجد الحديث (في صحيحهما اللذين) بلا مين ليتميز عن الذين جمع فانه بلام واحدة (هما أصح الكتب) والاول أرجح من الثاني وقول الشافعي ما أعلم على الارض كتابا أكثر صوابا من كتاب مالك وفي لفظ عنه ما بعد كتاب الله أصح من الموطأ كان قبل وجودهما واستمر كل بعض الائمة اطلاق أصحية كتاب البخاري على الموطأ مع اشتراكهما في اشتراط الصحة والمبالغة في التحري والتثبت وكون البخاري

لا اله الا الله ويتهلل الى الله وهو يقول لا اله الا الله ويكررها فعجب الله عليه غيثا من السماء فاطفأ تلك النار وجاءت ريح فاحتملت القمقم فجعل يدور بين السماء والارض وهو يقول لا اله الا الله فقذفه الله تعالى الى قوم لا يعرفون الله وهو يقول لا اله الا الله فاخرجوه فقالوا لو يحدث ثمالك فقال أنا بلى كان من أمري كذا وكان من أمري كذا فآمنوا كلهم بالله وقالوا ما جعلهم لا اله الا الله والله أعلم * (المجلس التاسع في الحديث التاسع) * الحمد لله الذي جعل لنا اليه طريقا وسبيلا ٦١ وأقام لنا على معرفته برهانا واضحا ودليلا وبعث الينا محمد بن عبد الله معلما ورسولا صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه بكرة وأصيلا (عن أبي هريرة عبد الرحمن ابن صخر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم فانما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم) رواه البخاري ومسلم) اعلم ارشدني الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم رواه البخاري وكذا مسلم مطولا وزاد في أوله خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل كل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ثم قال ذروني ما تركتكم فانما أهلك من كان قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم فاذا أمرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فدعوه فقوله (ما نهيتكم) أي منعتكم عنه (فاجتنبوه) وفي رواية فدعوه يعني جميعه اذ الامتثال الاجتناب الجميع (قوله وما أمرتكم به) يعني ايجابا وندبا (فافعلوا منه) وفي رواية فاتوا منه (ما استطعتم) أي فانما أطلقتم اذا الاستطاعة الاطاقة * واعلم ان هذا الحديث من جوامع الكلام التي أوتيها صلى الله عليه وسلم وقاعدة عظيمة من

أكثر حديثا لا يلزم منه أفضلية الصحة والجواب عن ذلك انه محمول على أصل اشتراط الصحة فالامام مالك لا يرى الانقطاع في الاسناد قادحا فلذلك يخرج في المراسيل والمنقطعات والبلاغات في أصل موضوع كتابه والبخاري يرى أن الانقطاع علة فلا يخرج ما هذا سبيله الا في غير أصل موضوع كتابه كالتعليقات والتراجم ولا شك أن المنقطع ان كان عند قوم من قبيل ما يحتج به فالمتصل أقوى منه اذا اشترك كل من رواته في العدالة والحفظ (الحديث الثاني عن) أبي حفص (عمر أيضا رضي الله عنه) روى البخاري وغيره انه استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في العمرة فقال له يا أخي أشركنا في صالح دعواتك ولا تنسنا وأخي ضبط بضم الهمزة مصغرا وقال له صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما يقيك الشيطان ساعة الا لذلك فخرج فرحا بقوله ذلك وقال ان الله تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه وانه ما نزل بالناس أمر قط فقالوا وقال الا نزل القرآن على نحو ما قال وروى الشيخان أنه صلى الله عليه وسلم قال بينا أنا نائم شربت لبنا حتى أنظر الى الري يجري في أظفاري فناولته عمر قالوا فما أولته يا رسول الله قال العلم وانه رآه وعليه قميص يجره قالوا فما أولته يا رسول الله قال الدين وقال صلى الله عليه وسلم رأيت كأني على بئر أسقي الناس فجاء أبو بكر فأخذ الدلو مني ليريحني فنزع ذنوبا أو ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ثم جاء عمر فأخذه من أبي بكر فاستحالت غربا فلم أر عبقريا يفري فريه حتى ضرب الناس بعطن أي ارتووا وقوله ذنوبا أو ذنوبين بفتح الذال فيهما والذنوب الدلو العظيم وقيل لا يسمى بذلك الا اذا كان فيه ماء وقوله عبقريا قال أبو عبيدة العبقري من الرجال الذي ليس فوقه شيء يطلق على السيد والكبير والقوي وقيل منسوب الى عبقر وضع الباذية يسكنه الجن فاطلقه العرب على كل من كان عظيما في نفسه فائقا في جنسه وقوله حتى ضرب الناس بعطن أي رووا وروت ابلهم فاقاموا على الماء ومنه اعطان الابل أي مواضع اقامتها على الماء وكان ذلك منزلا على حال أبي بكر في الخلافة ثم عمر والضعف ليس من أبي بكر ولكن من الوقت لاجل الفتن التي اتفقت في زمانه من قتال أهل الردة وقتل مسيلمة وفي استخلاف عمر راقت وصفت واتسعت الفتوح والاموال وكثر خير الله وطاب وركب رضي الله تعالى عنه فرسا في بعض الايام فانكشفت فخذه فرأى نصارى نجران على فخذه شامة سوداء فقالوا هذا الذي نجد في كتابنا انه يخرجنا من أرضنا وكان كذلك فانه أجلاهم من بلدتهم بعد ذلك وكان أول كلام تكلم به بعد خلافته حين صعد المنبر قال اللهم اني شديد فلينني واني ضعيف فقوني واني بخيل فسخني وعن الاوزاعي ان عمر بن الخطاب خرج في سواد الليل فرآه طلحة فدخل بيتا ثم دخل بيتا آخر فلما أصبح طلحة ذهب الى ذلك البيت فاذا بعجوز عمياء مقعدة فقال لها ما بال هذا الرجل يأتيك فقالت انه يتعاهدني منذ كذا وكذا بما يصلحني ويخرج عني الاذى فقال طلحة ثكلتك أمك يا طلحة أعورات عمر تتبع وعنه أيضا انه قال قدمت رفقة من التجار فنزلوا بالمصلى فقال عمر لعبد الرحمن هل لك ان تحرسهم الليلة من السرق فبتا يحرسانهم ويصليان ما كتب الله لهما فسمع عمر بكاء صبي فتوجه نحوه فقال لامه اتقي الله وأحسني الى صبيك ثم عاد الى مكانه فسمع بكاءه فعاد الى أمه فقال لها مثل ذلك ثم عاد الى مكانه

قواعد الدين ولهذا الحديث دخل في كثير من الاحكام كالصلاة بانواعها فانه اذا عجز عن بعض أركانها أو بعض شروطها أو عن غسل بعض أعضاء الوضوء أو وجد بعض ما يكفيه من الماء لطهارته أو لغسل نجاسة أو وجبت عليه ازالة منكرات أو قطر جماعة وأكره البعض أو وجد بعض ما يستر بعض عورته أو حفظ بعض الفاتحة أتى الممكن في جميع ذلك وأشباه لا يستطاع وأشباه هذا غير منحصرة ومحله في كتب الفقه ٦٢ والمقصود هنا التنبيه على أصل ذلك *(تنبيه)* مصداق ما ذكر في هذا الحديث قول الله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم المبين لقوله تعالى في الآية الاخرى اتقوا الله حق تقاته الآية حق تقاته هو امتثال أمره واجتناب نهيه ولم يأمر سبحانه وتعالى الا بالمستطاع لقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها وقوله تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج (نكتة لطيفة) يرحم الله ابا موصيري حيث قال

صاح لا تأس ان ضعفت عن الطـ
ـاعات واستأثرت بها الاقوياء
ان لله رحمة وأحق النا
س منه بالرحمة الضعفاء
فابق في العرج عند منقلب الذر
ة في العود نسبق العرجاء
لا تقل حاسد الغبرك هذا
أثرت نخله ونخلي عفاء
وائت بالاستطاع من عمل البر
فقد يسقط الثمار الاناء

قال بعض شراح قصيدته

فلما كان آخر الليل سمع بكاءه فأتى أمه وقال ويحك اني لأراك أمس وتعالى أرى ابنك لا يقر منذ الليلة قالت يا عبد الله قد أبرمتني منذ الليلة أني أربعة لاجل الفطام فيأبى قال ولم قالت لان عمر لا يفرض الا للفطيم قال وكم قالت كذا وكذا أشهرا قال لها ويحك لا تعجليه فصلى الفجر وما يتبين الناس قراءته من غلبة بكائه فلما سلم قال يا بؤسا لعمر كم قتل من أولاد المسلمين ثم أمر منادا فنادى أن لا تعجلوا على أولادكم بالفطام فانا نفرض لكل مولود في الاسلام وكتب بذلك الى الآفاق وكان لا يجمع في سماطه بين أدامين وقدمت اليه حقصة مرة أرادوصفت عليه زيتا فقال أدمان في آن كله حتى ألقى الله عز وجل وعن الحسن انه خطب الناس وعليه ازار فيه ثنتا عشرة رقعة وعنه أيضا انه كان بين كتفي عمر ثلاث رقاع وقال الشعراني في الطبقات وكان في قميصه أربع رقاع بين كتفيه وكان ازاره مرقوعا بقطعة من جراب وعدوا في قميصه مرة أربعة عشر رقعة احداها من أدم أحمر وكان رضي الله عنه يشتهي الشهوة وثمنها درهم فيؤخرها سنة كاملة اه وعن مصعب بن سعد ان حفصة قالت لعمر يا أمير المؤمنين لو لبست ثوبا ولينا من ثوبك وأكلت طعاما هو أطيب من طعامك فقد وسع الله عليك من الرزق وأكثر عليك من الخير فقال اني سأخاصمك الى نفسك أما تذكرين ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى من شدة العيش فما زال يذكرها حتى أبكاها فقال لها أما والله لاشاركنه في مثل عيشه الشديد لعلي أدرك عيشه الرخي وعن ابن عباس انه كان للعباس ميزاب على طريق عمر فلبس عمر ثيابه يوم الجمعة وقد كان ذبح للعباس فرخان فلما وافى الميزاب صاح به دم الفرخين فاصاب عمر فأمر عمر بقلعه ثم رجع عمر فطرح ثيابه ولبس ثيابا غير ثيابه ثم جاء فصلى بالناس فاتاه العباس فقال والله انه لموضع الذي وضعه النبي صلى الله عليه وسلم فيه فقال عمر للعباس وأنا أعزم عليك الا صعدت على ظهري حتى تضعه في الموضع الذي وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ففعل ذلك العباس وعن عبد الله بن عمر أنه قال رأيت الذي أخذ تبنة من الارض فقال ليتني كنت هذه التبنة ليتني لم أخلق ليت أمي لم تلدني ليتني لم أكن شيأ مذكورا ليتني كنت نسيا منسيا وعن الاحنف انه قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا أحنف ما كثر ضحك رجل في بيته ومن مزح استخف به ومن أكثر من شيء عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه قاله أبو لؤلؤة المجوسي غلام المغيرة بن شعبة في المدينة بعد رجوعه من الحج في آخر ذي الحجة لاربع ليال بقين منه سنة ثلاث وعشرين وروي انه لما طعن ودخل بيته دعا بقدح من لبن فشربه فنزل من جراحته فعلم انه يموت لا محالة فدخل عليه عبد الرحمن فقال الصلاة يا أمير المؤمنين فقال نعم لا حظ في الاسلام لمن ترك الصلاة فقام وصلى وجرحه يشغب أي يقطر دما فلما توفي وجيء به وكان على الروضة ثقل فبدا ما عبد الله يريد أن يستأذن أو وهو يستأذن اذ سمعوا انفتاح القفل من غير أن يفتحه أحد وقالا لا يقول من الروضة أدخلوه فدفن وكانت عائشة رضي الله عنها رأت في المنام كان ثلاثة أقمار سقطن في حجرتها فقصتها على أبي بكر فقال لها خيرا

رحمه الله انه جرد من نفسه شخصا نهاه وأمره فقال لا تحزن ان ضعفت قواك عن كثرة الطاعة التي رأيت هي أعمال الخير فغاز بكثرتها ذو القوة فانه تعالى ذو رحمة واسعة تعم القوي والضعيف والشريف لكن أحق الناس بالرحمة الضعفاء لانكسار خواطرهم بتخلفهم عن مرادهم بواسطة العجز الناشئ عن الضعف فقد يحصل لهم من فيض الرحمة ما لا يحصل للاقوياء قوله تعالى أما عند المنكسرة قلوبهم فلهذا أمر بقية ثمة في العرج الذين هم الضعفاء لانهم أقرب نية وأصلح سريرة وأبعد

عن الرياء قال ابن الفارض رضي الله عنه من له بعارض وسر زمتا وانهض كسير الحظك السيطالة ما أخرت عزما الصحة فر بما بسبب ذلك سبقوا الاقوياء الى النعيم المقيم الى مقام كريم كما ان الشاة العرجاء من الذود المتخلفة عن السوابق منه اذا رجع الذود الى ربه تصير امامهم فتسبقهم الى الوصول وتفوز قبل بقية الذود بالمطلوب والمأمول ثم نهاه عن مفارقة الحسبان بقول هذا القوى حصلت له بواسطة قوته الاعمال وبالغ منها الآمال وما حصل له فانى مثله بسبب ضعفى ٦٣ فان الضعيف قد يحصل له بسبب

رأيت وخيرا يكون سأخبرك بها وبكى فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفن فى حجرتها قال لها أى بنية هذا أحد أقمارك وهو خيرها فلما احتضر هو قال لها وهذا الثانى والذى بعد ثالثها فكان عمر رضى الله تعالى عنهم أجمعين ودفن يوم الاحد صبيحة هلال المحرم وعمر ثلاث وستون سنة على الصحيح وغسله ابنه عبد الله وصلى عليه صهيب ودفن عند النبى صلى الله عليه وسلم ولما غسل وكفن وحمل على سريره قال على رضى الله تعالى عنه والله ما على وجه الارض رجل أحب الى ان ألقى الله بصحيفته من هذا المسجى بالثوب وقال حذيفة لما أسلم عمر كان الاسلام كالرجل المقبل لا يزداد الا قوة فلما قتل كان الاسلام كالرجل المدبر لا يزداد الا ضعفا وكان العباس خليلا له فلما أصيب جعل يدعو ربه أن يريه اياه فرآه بعد حول رهو يمسح العرق عن وجهه فقال ما فعلت قال هذا أوان فرغت من الحساب ان كاد عرشى ليهد لولا انى لقيت رؤفا رحيما (قال) أى عمر (بينما) أصله بين فزيدت عليه ما التفكيها عن عملها رهو مخفض ويجوز أيضا بينا بلا ميم وهو ظرف زمان بمعنى المفاجأة ففيه اشارة الى أن ذلك لم يكن عن ميعاد ولا استعداد (نحن) ضمير المتكلم مع غيره بدليل قوله فى آخره أتاكم يعلمكم دينكم فلا اتجاه لجعله ضمير المتكلم المعظم نفسه (جلوس) جمع جالس كشهود جمع شاهد أو مصدر بمعنى جالسين ونحو مبتدأ وجلوس خبره (عند) بفتح العين ظرف مكان ومعناه القرب اما حسا كما هنا واما معنى كما فى قوله تعالى وعنده أم الكتاب ولا يدخل عليه حرف جر غير من (رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم) جمعه أيام وأصله ايوام فادغمت وأورد عليه ان ذات مؤنثة لانها تأنيث ذو بمعنى صاحب ويوم مذكر فكيف أضيف المؤنث الى المذكر وأجيب بان الكلام فيه حذف والتقدير فى ساعة ذات مدة من يوم فحذف ذلك لظهور المراد ولما كان بينما ظرفا متضمنا معنى الشرط وهو يحتاج الى جواب يتم به أشار بقوله (اذ طلع) لم يقل دخل اشعارا بتعظيمه ورفعة قدره وفيه استعارة تبعية لانه شبه ظهوره فى نباهة القدر وارتفاع الشان بطلوع الشمس ثم اشتق منه الفعل فوقعت الاستعارة فى المصدر أصلية وفى الفعل تبعية أو شبهه بالشمس استعارة مكنية ثم اثبت له الطلوع تخييلا (علينا رجل) أى ملك فى صورة رجل والتنوين فيه للتعظيم وفى رواية للبخارى اذ أتانا رجل يمشى وافاد مسلم فى رواية عمارة بن القعقاع سبب ورود هذا الحديث فعنده فى أوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلونى فهابوا ان يسألوه قال فجاء رجل الخ أى لانهم كانوا أولا أكثروا المسائل على النبى صلى الله عليه وسلم فزجرهم كراهية لما قد يقع من سؤال تعنت ونحوه فلما امتثلوا قال لهم سلونى فهابوه وأحجموا عن المسئلة فجاءهم من تعلموا سؤاله قال السبكى نقلا عن ابن العربى للملك أن يتصور فى أى صورة شاء فيجرى عليه أحكامها وحينئذ فلا يتكلم الا بما يليق بتلك الصورة ومثل ذلك الجنى فاذا قتلت تلك الصورة التى ظهر بها مات معها بخلاف الانسان فانه اذا تمثل بصورة لا تحكم عليه فاذا تكلم من تلك الصورة تكلم بأى لغة شاء واذا قتل بها لا يموت اه وبما تقرر من أن للملك أن يتصور فى أى صورة شاء يندفع تردد امام الحرمين فى تمثل الملك هل معناه أن الله أفنى الزائد أو أزاله عنه ثم اعاده اليه وجزم ابن عبد السلام

ضعفه ما لا يحصل للقوى الناظر الى قوى نفسه كما انه يحصل من صغار النخل ثمرة لا تحصل من كبارها ان الله لا ينظر الى صوركم بل ينظر الى قلوبكم فتأمل هذا المعنى البديع (قوله فانما اهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم) أى التى لغير ضرورة (واختلافهم على أنبيائهم) اذ الاختلاف يؤدى الى التفريق ومقصود الشارع صلى الله عليه وسلم الاجتماع ومن ثم يروى ان أبى بن كعب وزيد بن ثابت وغيرهما من أفاضل الصحابة كان اذا سئل عن مسئلة يقول أوقعت هذ فان قيل نعم قال فيها بعلمه أو أحال على غيره وان قيل لا قال فدعها حتى تقع * (تنبيه) * الاختلاف المذكور فى الحديث قال الامام النووى فى نكته هو بضم الفاء لا بكسرها عطفا على كثرة لا على مسائلهم أى

أهلكهم كثرة مسائلهم واهلاكهم اختلافهم فهو أبلغ لان الهلاك ينشأ عن الاختلاف * (تنبيه آخر) * ذكره للمناسبة قال المفسرون فى تفسير قوله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة الآية لو أنهم عمدوا الى أدنى بقرة فذبحوها لاجزأت عنهم ولكنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم قال الله تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون أى من شدة اضطرابهم واختلافهم فيها (واعلم ان الكلام على قصتها تمامه فى اللباس فتنبه) القصة فى ذلك على ما ذكره الامام البغوى وغيره انه كان فى بنى اسرائيل رجل غنى

وله ابن عم فقير لا وارث له سواه فقتله ليرثه وحمله الى قرية أخرى فالقاه بفنائهم ثم أصبح يطلب ثاره وجاء بناس
موسى عليه السلام قال الكلبي وذلك قبل نزول القسامة في التوراة فقالوا له وعلى ان يدعو الله ليبين لهم بدعائه أمر القتيل فامرهم
بذبح بقرة فقال لهم ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا أي أتستهزئ بنا نحن نسألك عن أمر القتيل وتامرنا بذبح البقرة
موسى أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ٦٤ أي من المستهزئين بالمؤمنين وقيل من الجاهلين بالجواب لا على وفق

السؤال فلما علم القوم
ان ذبح البقرة عزم من
الله تعالى استوصفوه
وكان تحته حكمة عظيمة
وذلك انه كان في بني
اسرائيل رجل صالح
له ابن طفل وله عجلة
أتى بها الى غيضة وقال
اللهم اني استودعتك
هذه العجلة لابني حتى
يكبر ومات الرجل فصارت
العجلة في الغيضة أعواما
وكانت تهرب من كل من
رآها فلما كبر الابن كان
بارا بوالدته وكان يقسم
الليل ثلاثة أثلاث
يصلي ثلثا وينام ثلثا
ويجلس عند رأس أمه
ثلثا فاذا أصبح انطلق
فاحتطب على ظهره فيأتي
به السوق فيبيعه بما شاء
الله ثم يتصدق بثلثه
ويأكل بثلثه ويعطي
والدته ثلثه فقالت له
أمه يوما ان أباك ورثك
عجلة استودعها الله في
غيضة كذا فانطلق فادع
الله ابراهيم واسمعيل
واسحق أن يردها عليك
وعلامتها انك اذا نظرت
اليها تخيل لك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها فاتى الغيضة

فرآها ترعى فصاح بها وقال أعزم عليك بالله ابراهيم واسمعيل واسحق يعقوب فاقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها
يقودها فتكلمت البقرة باذن الله تعالى وقالت أيها الفتى البار بوالدته اركبني فان ذلك أهون عليك فقال الفتى ان أمي لم تامرني بذلك
ولكني قالت خذ بعنقها فقالت البقرة يا له بني اسرائيل لو ركبني ما كنت تقدر على أبدا فانطلق فانك لو أمرت الجبل ان ينقطع من

بالازالة دون الفناء وقول ابن جني الظاهر أن الزائد لا يزول ولا يفنى بل يخفى عن الرائي وقول البلقيني
بالقبض والبسط وذلك أنه يجوز أن يكون أتى بشكله الاصلي من غير فناء ولا ازالة الا انه انضم فصار على
قدر هيئة الرجل واذا ترك ذلك عاد الى هيئته كالقطن اذا جمع بعد ان كان منتفشا (شديد بياض الثياب)
فيه دليل على استحباب البياض من الثياب عند لقاء الرؤساء والجلوس في المحافل لان مرجع جميع
الالوان اليه وهذا في غير العيد وأما فيه فالجديد ولو من غير البياض أفضل من غيره للقادر عليه لانه يوم
زينة واظهار للنعمة وفيه دليل على ان السنة النظافة لخبر ان الله نظيف يحب النظافة وقالت عائشة
رضي الله تعالى عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب الثوب النظيف ويكره الثوب الوسخ (شديد
سواد الشعر) فيه تنبيه على استحباب تحسين الشعر بالتسريح والدهن وغيرهما عند الدخول على الاكابر
وقوله الشعر أي شعر اللحية كما وقع مصرحا به في رواية ابن حبان وفيه اشارة الى ان زمان طلب العلم
زمن الشباب فانه اذا صرف أول عمره في طلب العلم يعرف باقيه في العمل بما علم وقدم البياض على
السواد لانه خير الالوان وفي رواية النسائي أحسن الناس وجها وأطيب الناس ريحا كأن ثيابه لا يمسها
دنس وفيه استحباب تحسين الهيئة وتنظيف الثياب وتطييب الرائحة سيما للعالم والمتعلم لانه معلم
بدليل أنا كم بعلمكم دينكم ومنه علم بمقاله وحاله وقد قال ابن عبد السلام لا باس بلباس شعار العلماء ليعرفوا
بذلك فيسألوا فاني كنت محرما فانكرت على جماعة محرمين لا يعرفوني ما أخذوا به من أدب الطواف
فلم يقبلوا فلما لبست ثياب الفقهاء وأنكرت عليهم ذلك سمعوا وأطاعوا وفيه رد على من أثر رثاثة
الهيئة والملبس (لا يرى) بضم المثناة تحت مبني لما لم يسم فاعله وروي بالنون المفتوحة مبنيا للفاعل
والرواية الاولى أبلغ من الثانية وعليه اقتصر النووي في نكته (عليه أثر) أي علامة (السفر) من نحو
غبرة وشعوثة ولسليمان التيمي ليس عليه سحناء سفر وليس من البلد والسحناء بفتح السين والحاء
المهملتين الهيئة (ولا يعرفه منا) أي معشر الصحابة وقدمه للاهتمام (أحد) لا ينافي انه كان يأتي
للنبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي رضي الله عنه لان ذلك كان غالبا لا دائما وأيضا
زاد في النعمة عليهم حيث جاء ماشيا في هيئة مقيم وما وقع في رواية النسائي من طريق أبي فروة في
آخر الحديث انه جبريل نزل في صورة دحية وهم لان دحية معروف عندهم وانما لم يقل ولم يعرف
لئلا يوهم انه صلى الله عليه وسلم لا يعرفه وليس كذلك وهذا صريح في انهم رأوه وما وقع في رواية أحمد
عن غير عمر من أنهم سمعوا كلامه ولم يروه يحمل على ان بعض القوم كان جالسا عنده وبعضهم
كان خارجا عن ذلك فسمعوه من وراء نحو جدار وجمعا بين الحديثين الصحيحين كذا قرره
بعضهم ولا حاجة اليه لان الملك اذا حضر بمجلس قد يراه بعض أهل المجلس دون بعض بحسب
حال الرائي في الصفاء والاستعداد وغير ذلك وقدم لفظ منا للاهتمام والجمع أتى صفة رجل أو حال
منه لانه خصص بالوصفين فان قيل كيف عرف عمر انه لم يعرفه منهم أحد فالجواب انه يحتمل
انه استند فيه الى ظنه أو الى صريح قول الحاضرين قال الحافظ أبو الفضل ابن حجر ويعين الثاني
انه قد جاء كذلك في رواية عثمان بن غياث فنظر القوم بعضهم الى بعض وقالوا ما نعرف هذا (حتى

أصله ويقطق من قلق لقتل ابرك يا ملك فسار الفتى بها الى أمه فقالت له انك فقير لا مال لك وبشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع هذه البقرة قال بكم أبيعها قالت بثلاثة دنانير ولا تبع بغير مشورتي وكان ثمن البقرة ثلاثة دنانير فانطلق بها الى السوق فبعث الله ملكا ليرى خلقه قدرته وليختبر الفتى كيف بره بامه وكان الله به خبيرا فقال له الملك بكم تبيع هذه البقرة قال بثلاثة دنانير وأشترط عليك رضا والدتي فقال الملك لك ستة دنانير ولا تستأمر والدتك ٦٥ فقال الفتى لو أعطيتني وزنها ذهبا لم آخذها الا برضا أمي فردها الى أمه فاخبرها بالثمن فقالت له ارجع فبعها بستة دنانير على رضاي فانطلق بها الى السوق وأتى الملك فقال استأمرت أمك فقال الفتى انها أمرتني أن لا أنقصها عن ستة دنانير على ان أستأمرها فقال الملك فاني أعطيك اثني عشر دينارا فابى الفتى ورجع الى أمه فاخبرها بذلك فقالت ان الذي يأتيك ملك يأتيك في صورة آدمي ليختبرك فاذا أتاك فقل له أتأمرنا ان نبيع هذه البقرة أم لا ففعل فقال له الملك اذهب الى أمك وقل لها امسكي هذه البقرة فان موسى بن عمران يشتريها منكم لقتيل يقتل من بني اسرائيل فلا تبيعوها الا بملء مسكها دنانير فامسكوها وقد رد الله تعالى على بني اسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها فجاز الوا يستوصفون حتى وصف لهم تلك

جلس الى النبي صلى الله عليه وسلم) قال الطيبي حتى جلس متعلق بمحذوف يدل عليه طلع أي استأذن ودنا حتى جلس الخ اه أي وبه يندفع ما قيل انه ليس في الكلام ما هذا غايته ثم ان هذا التعبير بالى يرد عليه انتهاء الغاية وهو انما يكون في ممتد كالسفر دون الجلوس اذ لا امتداد فيه فلتكن بمعنى عند أو مع (فاسند) أي ألصق (ركبتيه الى ركبتيه) لان الجلوس كذلك أقرب التواضع والادب وأبلغ في الاصغاء وحضور القلب والاستئناس وهو صريح في انه جلس بين يديه لانه لو جلس بجنبه لم يمكنه الاسناد ركبة واحدة وفيه اشارة الى انه ينبغي للمتعلم الجلوس بين يدي شيخه لا عن يمينه ولا عن يساره ولا خلفه بحيث كان الموضع واسعا لكن لا يبالغ في القرب منه بحيث يسند ركبتيه اليه كما هنا لانه انما فعل ذلك هنا جريا على ما بينهما قبل من مزيد الود والانس حين يلقى عليه الوحي (ووضع كفيه) تثنية كف وهي الراحة مع الاصابع سميت به لانها تكف الاذى عن البدن (على فخذيه) بكسر الخاء أي فخذي النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث ابن عباس وأبي عامر الاشعري وأبي هريرة وأبي ذر حيث قال وضع يديه على ركبتي النبي صلى الله عليه وسلم خلافا لما جزم به النووي ووافقه عليه النور بشتي شارح المصابيح أن الضمير راجع الى الرجل قال القرطبي وأراد بذلك المبالغة في تعمية أمره ليقوى الظن انه من جفاة الاعراب وصنع صنيعهم لان الصحابة رضي الله عنهم لم تكن هيئة وجلوسه كما ذكر اه ورده بعضهم بانه لا يكون صنعه المذكور كصنع جفاة الاعراب الا لو لم يفعله باذن وهو قد أذن له مرارا اه وفيه نظر فان قربه وان كان مأذونا له فيه لكن وضعه كفيه على فخذي النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن باذن فصح قول القرطبي انه صنع صنيع جفاة الاعراب وفي رواية أبي داود وغيره انه صلى الله عليه وسلم كان يجلس بين أصحابه فيجيء الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل فبنيت له مصطبة من طين يجلس عليها فجاءه جبريل وهو عليها فقال السلام عليك يا محمد فرد عليه السلام فقال ادن يا محمد قال ادن فما زال يقول أدنو مرارا وهو يقول ادن ادن واستنبط منه بعضهم استحباب ابتداء الداخل بالسلام واقباله على رأس القوم وجلوس العالم بمكان يختص به ويكون مرتفعا اذا احتاج الى ذلك لضرورة تعليم ونحوه والاستئذان في القرب من الامام مرارا وان كان الامام في موضع مأذون في دخوله وترك الاكثرون الاستئذان مرة أو مرتين على جهة التعظيم والاحترام ووقع للشارح المحقق انه عزى لرواية النسائي انه خاطبه بقوله السلام عليكم يا محمد بلفظ الجمع ثم قال فيه ندب السلام على الواحد بصيغة الجمع وهو زلل فان رواية النسائي ليس فيها عليكم بلفظ الجمع وانما وقع ذلك في رواية القرطبي ثم استنبط منه انه يسن للداخل ان يعمهم بالسلام ثم يخصص من يريد تخصيصه وتعقبه خاتمة الحفاظ ابن حجر بان الذي وقف عليه من الروايات انما فيه الافراد وهو السلام عليك يا محمد (وقال يا محمد) علم منقول من اسم مفعول الفعل المضعف أي المكرر العين سمي به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالهام من الله تعالى تفاؤلا بان يكثر حمد الخلق له لكثرة خصاله الجميلة ويأتي لذلك مزيد بيان وخاطبه به مع انه يحرم نداؤه صلى الله عليه وسلم باسمه لقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا اما لانه كان قبل التحريم واما لان الحرمة مختصة بالآدميين دون

البقرة مكافأة له على بره بوالدته فضلا منه ورحمة فذلك قوله تعالى ادع لنا ربك يبين لنا ما هي الى آخر الآيات فطلبوها فلم يجدوها بكمال صفتها الا مع الفتى فاشتروها بملء مسكها ذهبا فذبحوها وضربوا القتيل ببعض منها كما أمر الله تعالى فقام القتيل حيا باذن الله تعالى وأوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان ثم سقط ومات مكانه فحرم قاتله الميراث وفي الخبر ما ورث قاتل بعد صاحب البقرة قال الله تعالى كذلك يحيي الله الموتى كما أحياها ميلا ويريكم آياته لعلكم تعقلون قيل تمنون أنفسكم عن

المعاصي فسبحان من فاوت بين اخلاق قبيل لابراهيم عليه السلام اذبح ولدك فشله للجبين وقيل لبني اسرائيل اذبحوا بقرة فذبحوها وما كادوا يفعلون وخرج ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه عن جميع ماله وبخل ثعلبة بالزكاة وجاد حاتم في حضره وأسفاره وبخل الجباب بقوته ناره اللهم وفقنا أجمعين يارب العالمين * (المجلس العاشر في الحديث العاشر) * الحمد لله الذي أنشأ العالم واخترعه وابتدأ أشكاله وابتدعه ٦٦ وأتقن كل شئ صنعه وأحكم متفرقه ومجتمعه أحمده على ما وهب من احسانه حمد

معترف بالتقصير عن شكر امتنانه وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة معلن بلسانه عما في ضميره وجنانه وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله بعثه بالبينات مرشدا لهدى الايمان مؤيدا بمعجزات القرآن وأظهر دينه على تباين الاديان صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه في كل وقت وأوان آمين * (عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا وان الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك رواه مسلم) * اعلموا اخواني وفقني الله وايا كم لطاعته ان هذا الحديث من الاحاديث التي عليها قواعد الاسلام ومباني الاحكام وفيه فوائد نستذكرها (قوله ان الله طيب) أي منزه عن النقص والخبث ويكون بمعنى القدوس وقيل طيب الثناء وعلى هذا فهو من أسمائه الحسنى المأخوذة من الصفة كالجميل على القول بصفته (قوله لا يقبل الا طيبا) أي لا يقبل من الاعمال ولا من الاموال الا طيبا والطيب من الاموال في الاصل ما يستلذ به ومنه فانكحوا ما طاب لكم

الملائكة لان الخطاب في الآية للآدميين فلا يشمل الملائكة الا بدليل واما جريا على عادة العرب من النداء بالاسم غالبا لقصد المزيد التعميم عليهم وفهم منه جواز نداء العالم والرئيس باسمه ولو من المتعلم ان لم تعلم كراهته لذلك ولا كان على سبيل الوضع من قدره لانه أقرب الى التواضع وأولى بالصدق والا فبلقبه أو كنيته توقيرا له وتعظيما وانما خاطبه بهذا الاسم دون غيره من بقية الاسماء لان هذا هو أشهرها (أخبرني عن الاسلام) اللام فيه للحقيقة والماهية الشرعية وكذا في نظائره ولذا وقع في رواية أبي هريرة ما الاسلام هنا وما الايمان فيما يأتي وهي تدل على انه انما سئل عن شرح ماهيتهما لا عن شرح لفظهما لغة والا لم يجب بما يأتي ولا عن حكمهما لان ما في أصلها انما يسئل بها عن الحقائق والماهيات وقد سأل رجل آخر عن الله فقال له ان تسأل عن اسمه فالعزيز الحكيم وان تسأل عن صفته فالرحمن الرحيم وان تسأل عن فعله فالخالق المخلوقين وان تسأل عن ماهيته فلا ماهية له تعرفها ولما أتى موسى وهارون بباب فرعون سنة ولم يؤذن لهما في الدخول عليه ثم دخل عليه البواب فقال ههنا انسان يزعم أنه رسول رب العالمين فقال فرعون ائذن له لعلنا نضحك عليه فدخلا عليه وأديا الرسالة قال فرعون وما رب العالمين وما بينتقهم بها عن الاجناس ولا جنس لله تعالى لان الاجناس محدثة فاجابه موسى بالصفات الدالة على مخلوقاته التي لا يشاركه فيها مخلوق بقوله رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين قال فرعون لمن حوله ألا تستمعون فزاد موسى بالبيان كقوله ربكم ورب آبائكم الاولين قال فرعون ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون قال موسى رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون واعلم أنه بدأ في رواية مسلم هذه بالسؤال عن الاسلام لانه الامر الظاهر وأشعار بان أول واجب على المكلف النطق بكلمة الشهادة عند القدرة كما حققه الدواني وثنى بالايمان لانه الامر الباطن ووجه عكسه الواقع في رواية البخاري ان الايمان هو الاصل فبدأ به وثنى بالاسلام لانه يظهر به صدق الدعوى وثلث بالاحسان لانه متعلق بهما ورجح الطيبي الاول لما فيه من الترقي فبدأ بالظاهر وترقى الى الاعلى والاعلى وفي الثاني لان السنة بيان للكتاب فاولاها بالتقديم أوفقها له وقد قدم فيه الايمان على الاسلام في آيات كثيرة هذا محصل ما وجهوا به الترتيب الواقع في الروايتين وبدأ في رواية مطر الوراق بالاسلام وثنى بالاحسان وثلث بالايمان ويمكن توجيهها بان الاحسان هو الاخلاص فكما ان محله القلب ذكر ذلك في القلب أي الوسط والحق كما قال ابن حجر وغيره ان التقديم والتاخير من الرواة لان القصة واحدة اختلفت الرواة في تاديتها وفيه دليل على ان الاسم غير المسمى لان جبريل سأل ما الاسلام ما الايمان ما الاحسان فاتى باسمائها وأجابه النبي صلى الله عليه وسلم بمعانيها ولو كان الاسم هو المسمى لم يحتج الى السؤال عنه ولما أجابه النبي صلى الله عليه وسلم به بل كان يقول له انك لم تسمني ما سألت عنه (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) مجيبا له عن ماهية الاسلام وحقيقته (الاسلام) هو لغة الدخول في السلم أي الانقياد والاذعان ومنه قوله تعالى

من النساء ويطلق أيضا بمعنى الطاهر ومنه صعيدا طيبا والله تعالى طيب بهذا المعنى أي منزه كما مر فلا يقبل من الاعمال الا طاهرا من المفسدات كالرياء والعجب ونحوهما ولا يقبل من الاموال الا الخالصا من شوائب الحرام اذ الطيب باطنيه الشرع لا ما كان طيبا في الذوق اذ هو من غير مباح وبال على متعاطيه وعذاب أليم وفي الخبر من عمل عملا صالحا أشرك فيه غيري تركته وشركه وفي الخبر أيضا كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به تكره الصدقة بالردي كدرهم مغشوش ٦٧ وحب مسوس أو عتق ما فيه

قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا وشرعا الانقياد الى الاعمال الواجبة الظاهرة كما بين ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله (أن) مصدرية (تشهد) منصوب بها وباقي الافعال الآتية من قوله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج مغطوف عليها والشهادة الاخبار عن أمر متيقن قطعا أي تعلم وتحقق (أن) بفتح الهمزة مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن محذوف أي انه أي الشأن (لا اله) أي لا معبود بحق موجود أو في الوجود (الا الله) ولا نافية للجنس واله اسمها مبني على الفتح والخبر محذوف تقديره موجود أو في الوجود كما مر فان قلت نفي الوجود لا يستلزم نفي الامكان بخلاف العكس فالجواب من ثلاثة أوجه الاول انه انما قدر الوجود لانه الذي ادعاه المشركون فاثبتوا وجود آلهة متعددة وقوله تعالى فاعلم ان لا اله الا الله نفى لدعواهم الثاني ان لا لنفي الجنس وهي موضوعة لنفي الوجود لا لنفي الامكان الثالث ان نفي الوجود هو المحصل للتوحيد صريحا لانه لو قدر ممكن لزم ان المثبت في الالهية هو الامكان فلا يحصل التوحيد بالصراحة فلذلك اختير تقدير الوجود دون غيره والا أداة استثناء والاسم المكرم الواقع بعدها مرفوع على انه بدل من الضمير المستتر في الخبر المقدر وهو الاصح وقيل انه بدل من محل لا مع اسمها لان محلها الرفع على الابتداء وقيل غير ذلك (وان محمدا رسول الله) محمد علم منقول من اسم مفعول حمد بتشديد العين سمي به نبينا صلى الله عليه وسلم لكثرة خصاله المحمودة أي سماه به جده عبد المطلب تفاؤلا بان يكثر حمد الخلق له كما روي في السير أنه قيل لجده عبد المطلب وقد سماه في سابع ولادته لموت أبيه قبلها على الصحيح لم سميت ابنك أي ابن ابنك بمحمد وليس من أسماء آبائك ولا قومك قال رجوت ان يحمد في السماء والارض وقد حقق الله تعالى رجاءه قال حسان رضي الله عنه

وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد

ولرؤيا رآها ان سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف بالمشرق وطرف بالمغرب ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور وأهل المشرق والمغرب يتعلقون بها فعبرت بمولود يتبعه أهلها ومحمده أهل السماء والارض قال بعض أهل المعاني الميم الاولى محق الكفر بالايمان أو محسوسيا آت من اتبعه أو منة الله تعالى على المؤمنين به والحاء حكمه بين الخلق بحكمه تعالى والميم الثانية ملكه الذي أعطاه الله تعالى له ولم يعطه لاحد قبله وذلك انه قرن اسمه مع اسمه في المشرق والمغرب والدال دليل الخلق في الدنيا لانه الداعي الى الله تعالى ودليلهم في الآخرة الى الجنة ويقال ان مما أكرم به الآدمي أن كانت صورته على ترتيب اسمه عليه الصلاة والسلام فالميم الاولى بمنزلة رأس الانسان والحاء بمنزلة اليدين والميم الثانية بمنزلة البطن والدال بمنزلة الرجلين قيل ولا يدل النار من يستحق دخولها أعاذنا الله منها الا مسوخ الصورة اذ كرا نما الصورة اللفظ ولا يشترط مع الاتيان بالشهادتين البراءة من كل ما يخالف دين الاسلام على الاصح الا أن يكون منسوبا لاعتقادهم اختصاص رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم بالعرب (وتقيم الصلاة) اقامة الصلاة تعديل أركانها وحفظها من الزيغ

شبهة (قوله وان الله تعالى) أي لما خلق لعباده ما في الارض جميعا وأباحه لهم سوى ما حرم عليهم أمر (المؤمنين) منهم (بما أمر به المرسلين) أي سوى بينهم في الخطاب بأمره اياهم بان يتحروا أكل الحلال ويخاطبي الاعمال الصالحة لان الجميع عباده ومأمورون بعبادته الا ما قام الدليل على تخصيصهم به دون أممهم فقال تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم أمر المؤمنين أن يتحروا أكل الحلال كما ذكر وان يقوموا بحقوقه تعالى فقال واشكروا لله أي على ما أحل لكم ان كنتم اياه تعبدون أي ان صح أي انكم تخصونه بالعبادة فان عبادتكم لا تتم الا بالشكر * (تنبيه) * الخطاب بالنداء يجيء الانبياء لا على انهم

خوطبوا به دفعة واحدة اذ هم كانوا في أزمنة وخص الرسل بالذكر تعظيما لهم وفيه تنبيه على ان اباحة الطيبات لهم شرع قديم وزاد الرهبانية في رفض الطيبات وان الشخص يثاب اذا أكل طيبا قصد به القوة على الطاعة واحياء نفسه بخلاف ما اذا أكل تشهيا وتنعما (واعلم) ان أفضل ما أكلت منه كسبك من زراعة لانها أقرب الى التوكل ثم من صناعة لان الكسب فيها يحصل بكد اليمين ثم من تجارة لان الصحابة رضي الله عنهم كانوا يكتسبون بها ويجزم ما يضر بالبدن والعقل كالحجر والتراب والزجاج والسم كالافيون

وهو ابن الحشاش ويحرم أكل الحبة التي تأكلها الحرافيش ويسن ترك التنطع في الطعام المباح لا يعيش من أخلاق السلف هذا الطعام تدع اليه حاجة كقرى الضيف وأوقات التوسعة على العيال كيوم عاشوراء ويوم العيد ولم يقصد بذلك التفاخر والتكاثر بل تطييب خاطر الضيف والعيال وقضاء وطرهم حيث تهونه قال علماؤنا وفي اعطاء النفس شهواتها للباحة في مذاهب حكاها الماوردي منعها أو قهرها كيلا تطغى اعطاؤها فتحيلا على نشاطها أو بعثار وحانيتها قال والاشبه التوسط بين الامرين لان في اعطائها الكل سلاطة عليه وفي منعها بلادة ويسن الحلو من الاطعمة وكثرة الايدي على الطعام وأن يحمد الله تعالى عقب الاكل والشرب روى أبو داود باسناد صحيح انه صلى الله عليه وسلم كان اذا أكل أو شرب قال الحمد لله الذي أطعم وأسقى وسوغه وجعل له مخرجا وآداب الاكل والشرب كثيرة شهيرة ثم ذكر أبو هريرة رضي الله عنه بعد ما تقدم ما بقي من الحديث فقال (الرجل يطيل السفر) أي لما هو طاعة كالسفر للحج والجهاد وغيرهما من أسفار الطاعة (قوله أشعث) أي مغبر الرأس (أغبر) أي البدن والثوب (يمد) أي عند الدعاء (يديه الى السماء) أي الى جهتها (يقول يارب يارب) وفيما ذكره دلالة على ان ذلك من آداب الدعاء وهو كذلك لما ورد انه صلى الله عليه وسلم رفع يديه في دعاء الاستسقاء حتى رؤي بياض ابطه ولقوله صلى الله عليه وسلم ان الله حيي كريم يستحي من عبده ان يرفع اليه كفه ثم يردهما صفرا أي خائبين ولان السماء قبلة الدعاء (قوله ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فاني) أي كيف (يستجاب له) أي يبعد ان هذه صفته وهذا حاله ان يستجاب له وفي هذا الحديث فوائد منها بيان شرط الدعاء وموانعه وآدابه ومنها ان لا يدعو بمعصية ولا بمحال ومنها ان يكون حاضر القلب للهمي عن الدعاء مع

من أقام العود وقومه أو اللوام والحافظة من قامت السوق أي نفقت أو التشمير لاداتها من قام في الامر أو أداؤها كذا في الكشاف ولا يخفى انه على الاول استعارة تبعية شبه تعديل أركانها بتقويم الرجل العود واستعير له الاقامة ثم اشتق منه الفعل وعلى الثاني كناية عن الدوام وعلى الثالث مجاز في الاسناد بمعنى تجعلها قائمة فيفيد التشمير وعلى الرابع كذلك اذ المعنى توجد قيامها فيكون من باب اطلاق بعض الشيء على كله وانه لو حمل على الثاني فقط كان أولى لدلالته على جميع المعاني وابعد من زعم ان المراد بالاقامة أخت الاذان وأصل الصلاة في اللغة الدعاء قال تعالى ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول أي دعواته وقال تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم أي ادع لهم ان صلاتك سكن لهم أي دعواتك طمأنينة لهم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاءه الناس بصدقاتهم يدعو لهم وقال صلى الله عليه وسلم من كان صائما فليصل أي فليدع وقال الاعشى

تقول بنتي وقد قربت مرتحلا * يارب جنب أبي الاوصاب والوجعا
عليك مثل الذي صليت فاعتصمي * تومان بجنب المرء مضطجعا

اي دعوت وادعى الدهيلي انه لا يصح ان يكون معناها الدعاء لانه يستعمل في الخير والشر بل هي راجعة الى معنى الحنو والانعطاف وتستعمل بمعنى البركة ومنه عند بعضهم اللهم صل على آل أبي أوفى بمعنى الاستغفار قال صلى الله عليه وسلم بعثت لاهل البقيع لاصلي عليهم وفي رواية لاستغفر لهم وفي الشرع قال ابن عرفة قربة فعلية ذات احرام وتسليم أو سجود فقط فيدخل سجود التلاوة وصلاة الجنازة اهـ واختلفوا في اشتقاقها فقال النووي الاظهر الاشهر انها من الصلوين بفتح الصاد واللام وهما عرقان في الردف عن يمين الذنب وشماله ينحنيان في الركوع والسجود ولذلك كتب الصلاة في المصحف بالواو قيل انها مأخوذة من قولهم صليت العود اذا قومته لان الصلاة تحمل الانسان على الاستقامة وتنهاه عن المعصية قال الله عز وجل ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وروي انه قال كان فتى من الانصار يصلي الصلوات مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم لا يدع شيأ من الفواحش الا ارتكبه فوصف لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان صلاته تنهاه يوما فلم يلبث ان تاب وحسنت توبته وقيل انها مأخوذة من الصلة لانها تصل بين العبد وخالقه بمعنى انها تدنيه من رحمته وتوصله الى كرامته وجنته وحكمة مشروعيتها التذلل والخضوع بين يدي الله تعالى ومناجاته بالقراءة والذكر والدعاء وتعميم القلب بذكره واستعمال الجوارح في خدمته وفرضت في السماء ليلة المعراج بخلاف غيرها من الشرائع قال بعضهم والحكمة في وقوع فرض الصلاة ليلة المعراج انه صلى الله عليه وسلم لما قدس ظاهرا وباطنا حين غسل بماء زمزم وملئ بالايمان والحكمة ومن شرط الصلاة ان يتقدمها الطهور فناسب ذلك ان تفرض الصلاة في هذه الحالة والاصح انه لم يفرض عليه قبلها صلاة وقيل كان الواجب قبلها ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي ما كان بمكة نحو سنين ثم فرضت الخمس ليلة الاسراء واختلفوا في كيفية فرضها فروت عائشة رضي

الغفلة وأن يحسن ظنه بالاجابة ومنها أن لا يستعجل فيقول دعوت فلم يستجب لي اذ هو سوء أدب فيقطعه عن الدعاء فتفوته الاجابة فقد قال صلى الله عليه وسلم أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله لم يغفر له ومنها أن لا يخرج عن العادة خروجا بعيدا لما فيه من سوء الادب أيضا لان الله تعالى قد أجرى الامور على العادة فالدعاء بخرقها تحكم على القدرة قال بعضهم الا أن يدعوه باسمه الاعظم فيجوز تأسيا بالذي عنده علم من الكتاب اذ دعا بحضور عرش بلقيس فاجيب ٦٩ وفي الحديث أيضا الحث على الانفاق

الله عنها انها فرضت ركعتين ركعتين ثم أكملت صلاة الحضر أربعا قال الحسن البصري وجماعة وكان الاكمال بالمدينة وقال ابن عباس وغيره فرضت أربعا الا المغرب فثلاثا والا الصبح فاثنتين وهو طريق الجمهور وأول صلاة صلاها جبريل عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وسلم صلاة الظهر وبذلك سميت لانها أول صلاة ظهرت ولذلك تسمى الاولى (وتؤتى الزكاة) أي تعطيها المستحقها أو الامام ليدفعها لهم فحذف المفعول الاول لان الايتاء يتعدى لمفعولين أولهما فاعل في المعنى وأولاها للصلاة موافقة للقرآن وهي لغة النمو والزيادة يقال زكا المال اذا نما وطاب لانها تنمي المال بالبركة أو سبب في نموه وزيادته ومنه قول النابغة

وما أخرت من دنياك تنقص * وما قدمت عاد لك الزكاء

أي الزيادة والتطهير لانها تطهر المال من الخبائث الحسية والمعنوية ونفس المزكي من رذيلة البخل وغيره والمدح يقال زكى نفسه تزكية مدحها والتنعم يقال زكا الرجل بزكو اذا تنعم وكان في خصب والتصدق يقال زكى اذا تصدق واللائق بالشيء يقال هذا الامر يزكو لفلان أي يليق به وشرعا جزء من المال شرط وجوبه استحقاقه بلوغ المال نصابا وتسمى صدقة لقوله تعالى خذ من أموالهم صدقة من التصديق الذي هو الايمان اذ دافعها يصدق بوجوبها وحكمة وجوبها مواساة الفقراء (وتصوم رمضان) الصوم في اللغة الامساك والكف عن الشيء ومنه قوله تعالى اني نذرت للرحمن صوما أي صمتا وامساكا عن الكلام كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما وقولهم صام النهار اذا انتصف لبطء مشي الشمس في وسط النهار فكأنها غير متحركة وصام الفرس قام من غير اعتلاف وشرعا قال القرافي امساك عن شهوتي الفم والفرج أو ما يقوم مقامهما مخالفة للهوى في طاعة المولى في جميع أجزاء النهار بنية قبل الفجر أو فيه ان أمكن عدا من الحيض والنفاس وأيام الاعياد اه وضمير التثنية في قوله يقوم مقامهما يعود على الفم والفرج ويقوم مقام الفم الانف ونحوه فان الواصل منه للجوف أو للحلق مفطر ويقوم مقام الفرج اللمس الموجب للفطر وأخره عن الزكاة وان كان أنسب بالصلاة للكونه بدنيا لان اهتمام الشارع بالصلاة والزكاة أكثر ولهذا كررهما في القرآن كثيرا أو لانهما اذا وجبا لا يسقطان عن المكلف أصلا والصوم يسقط بنحو الفدية ذكره الكرماني ورمضان كما قاله الخليل مأخوذ من الرمض أي بالتحريك وهو مطر يأتي أيام الخريف سمي هذا الشهر به لانه يغسل الابدان من الآثام ويطهر القلوب بهم وقيل سمي به لانه يرمض الذنوب أي يحرقها وقيل من الارتماض لانه يأخذ فيه أي في رمضان من حرارة الموعظة والفكر في أمر الآخرة كما يأخذ الرمل والحجارة من حر الشمس وقيل لانهم لما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التي وقعت فيها فوافق ابتداء الصوم زمنا حارا فسمي به قال السيوطي في حاشيته على البخاري قال بعضهم لما تاب آدم من أكل الشجرة تأخر قبول توبته لما بقي في جسده من تلك الاكلة ثلاثين يوما فلما صفا جسده منها تيب عليه ففرض على ذريته صيام ثلاثين وكان فرضه في السنة الثانية من الهجرة اه قال القرطبي فيه جواز استعماله غير مضاف الى شهر وهو مذهب البخاري والمحققين لخبر اذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة وقيل يكره استعماله بلا

من الحلال والنهي عن الانفاق من غيره وان المأكول والمشروب والملبوس ونحوها ينبغي ان يكون حلالا لا شبهة فيه وأن مريد الدعاء أولى بالاعتناء بذلك من غيره قال وهب بن منبه بلغني ان موسى عليه السلام مر برجل قائم يدعو ويتضرع طويلا وهو ينظر اليه فقال موسى يا رب أما استجبت لعبدك فأوحى الله تعالى اليه يا موسى انه لو بكى حتى تلفت نفسه ورفع يده حتى بلغ عنان السماء ما استجبت له قال يا رب لم ذلك قال لان في بطنه الحرام وعلى ظهره الحرام وفي بيته الحرام ومر ابراهيم بن أدهم بسوق البصرة فاجتمع الناس اليه وقالوا له يا أبا اسحق ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا قال لان قلوبكم ماتت بعشرة أشياء الاول عرفتم الله فلم تؤدوا حقه والثاني زعمتم انكم تحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركتم سنته والثالث قرأتم القرآن فلم تعملوا به والرابع أكلتم نعم الله ولم تؤدوا شكرها والخامس قلتم ان الشيطان عدو لكم ووافقتموه ولم تخالفوه والسادس قلتم ان الجنة حق ولم تعملوا لها والسابع قلتم ان النار حق ولم تهربوا منها والثامن قلتم ان الموت حق ولم تستعدوا له والتاسع انتبهتم من النوم فاشتغلتم بعيوب الناس ونسيتم عيوبكم والعاشر دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم واغلهوا الخوافي انه ورد في السنة ان الدعاء مخ العبادة ووجهه ان الداعي انما يدعو عند انقطاع الآمال عما

شوى الله فهو حقيقة التوحيد والاخلاص وورد أيضا ان الدعاء سلاح الانبياء ونغم السلاح والاحاديث فى فضل الدعاء كثيرة شهيرة
* (تنبيه) * فى رسالة الامام أبى القاسم القشيرى رضى الله عنه قال اختلف فى ان الافضل الدعاء أو السكوت فمنهم من قال الدعاء عبادة لحديث الدعاء هو العبادة ولان الدعاء اظهار الافتقار الى الله تعالى وقالت طائفة السكوت والجمود تحت جريان الحكم أتم والرضا بما سبق به القدر أولى وقال قوم يكون صاحب دعا بلسان ورضا بقلبه ليأتى بالامرين جميعا قال القشيرى

والاولى ان يقال الاوقات مختلفة فنى بعض الاحوال الدعاء أفضل من السكوت وهو الادب وفى بعض الاحوال السكوت أفضل من الدعاء وهو الادب وانما يعرف ذلك بالوقت فاذا وجد فى قلبه اشارة الى الدعاء فالدعاء أولى واذا وجد اشارة الى السكوت فالسكوت أتم قال وينبغى أن يقال ما كان للمسلمين فيه نصيب أو لله سبحانه وتعالى فيه حق فالدعاء أولى لكونه عبادة وان كان لنفسك فيه حظ فالسكوت أتم * (فائدة) * عن أبى امامة الباهلى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى ملكا موكلا بمن يقول يا أرحم الراحمين فمن قالها ثلاثا قال له الملك ان أرحم الراحمين قد أقبل عليك فاسأل (تنبيه) قال الغزالى رحمه الله تعالى فان قيل فما فائدة الدعاء مع أن القضاء لا مرد له فاعلم ان من جملة القضاء رد البلاء بالدعاء فالدعاء سبب لرد البلاء ووجود الرحمة كما ان الترس سبب لدفع السلاح والماء سبب لخروج النبات من الارض وكما ان الترس يدفع السهم فيتدافعان وكذلك الدعاء وقد قيل تبا لمن لا يجيب من قصده * من قصد الله صادقا وجده قد شمل الخلق فضل نعمته * كل الى فضله يمد يده قال محمد ابن خزيمة لما مات أحمد بن حنبل رحمه الله رأيته فى المنام وهو يثب فى الجنة فقلت أى مشية هذه فقال هذه مشية الخدام الى دار

اضافة شهر ونقله عياض وغيره وقيل يجوز بقرينة كصمنا رمضان ويكره بدونها كجاء رمضان لما قيل انه من أسماء الله والمذهبان الاخيران فاسدان كما قاله النووى ولا يصح أن يكون من أسمائه تعالى فقد صنف جماعة لا يحصون فى أسماء الله تعالى فلم يثبتوه وما روى فيه من الحديث ضعيف وأول ما فرض رمضان خير بينه وبين الطعام لقوله تعالى وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ثم نسخ ذلك بقوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه وكان يباح للكاف الاكل والشرب والجماع بعد الغروب الى أن ينام أو يصلى العشاء فيحرم عليه ذلك حتى وقع لقيس بن صرمة بكسر الصاد المهملة وسكون الراء ابن طلق من امر أنه ما يغطر عليه فذهبت لتأتى به ثم اتت فوجدته قد نام فاصبح صائما وكان يعمل فى حائط فلم ينتصف النهار حتى غشى عليه وأراد عمر وطأ زوجته فزعمت أنها نامت فكذبها ووطئها ثم خون نفسه وذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم وذكره جماعة من الصحابة عن أنفسهم فنزل قوله تعالى علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم الآية وحكمة مشروعيته مخالفة النفس وكسرها وتصفية مرآة القلب والانصاف بسيما الملائكة والتنبيه على مواساة الجائع (وتحج البيت) الحج لغة القصد وقال الخطابى القصد مع التكرار ومنه قول الشاعر * يحجون بيت الزبرقان المزعفرا * يريد أنهم يقصدونه فى أمورهم ويختلفون اليه فى حوائجهم مرة بعد أخرى واصطلاحا قال ابن عرفة يمكن رسمه بأنه عبادة يلزمها وقوف بغرفة ليلة عاشر ذى الحجة وحده بزيارة وطواف ذى طهر أخص بالبيت عن يساره سبعا بعد فجر يوم النحر والسعى من الصفا للمروة ومنه اليها سبعا بعد طواف كذلك لا بقيد وقته باحرام فى الجميع اه والمراد بالطهر الاخص الطهر من الحدث الاصغر والاكبر كما فى شارحه أو من الحدث المذكور والخبث وقوله لا بقيد وقته أى انه لا يعتبر فى الطواف الذى لا يتوقف عليه السعى حصوله بعد فجر يوم النحر كما فى طواف الافاضة والبيت اسم جنس ثم غلب على الكعبة كغلبة النجم على الثريا (ان استطعت اليه) أى الحج أو البيت (سبيلا) متعلق له أو تمييز عن نسبة الاستطاعة الى البيت أى ان استطعت سبيل البيت فاخر ليكون أوقع وتقديم اليه عليه للاختصاص وسبيلا أى طريقا وتنكيره للعموم اذا النكرة فى الاثبات قد تعم كما ذكره الزمخشرى فى قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت والسبيل يذكر ويؤنث فمن التذكير قوله تعالى وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا ومثله ما هنا ومن التأنيث قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة والاستطاعة القدرة وهى امكان الوصول من غير مشقة عظيمة من الامن على النفس والمال ولو بلا زاد وراحلة الذى صنعته تقوم به وقدر على المشى فالاستطاعة ولو بالبدن وعند الشافعى بالمال لانه فسرها بالزاد والراحلة وعند أبى حنيفة بمجموع الامرين وانما قيد بالاستطاعة فى الحج مع ان مار يقيد بها أيضا اتباعا للفظ القرآن وفائدة التقييد لبيان ان المشقة فيه ليست كغيره أو لان عدمها فى فرض نحو الصلاة والصوم لا يسقط فرضهما بالكلية وانما يسقط وجوب الاداء حالا بخلاف الحج فان عدمها يسقط وجوبه رأسا ومقتضى كلام القرطبى ان الصحيح ان الحج واجب على التراخى وهو تحصيل مذهب مالك خيما ذكر ابن خويز منداد وهو قول الشافعى وذهب بعض البغداديين

السلام فقلت ما فعل الله بك فقال غفر لي وتوجني وألبسني نعلين من ذهب وقال لي يا أحمد هذا بقولك القرآن كلامي ثم قال يا أحمد اذعني بتلك الدعوات التي بلغتك من سفيان الثوري وكنت تدعو بها في دار الدنيا فقلت يا رب كل شيء بقدرتك على كل شيء اغفر لي كل شيء ولا تسألني عن شيء والدعوات كثيرة (خاتمة المجالس) قال الجلال السيوطي رحمه الله في طبقات النحاة الصغرى له رأيت بخط القاضي عز الدين بن جماعة وجدت بخط الشيخ محيي الدين النووي ما نصه ما قرأ أحد هذه الأبيات ودعا الله تعالى عقبها بشيء الا استجيب له وهي

البغداديين الى انه على الفور فلا يجوز تاخيره مع القدرة له عليه وذكر شيخنا الاجهوري في شرحه على المختصر انه المعتمد والدليل على الاول اجماع العلماء على ترك تفسيق القادر على الحج اذا أخره العام والعامين ونحوهما وانه اذا حج بعد أعوام من حين استطاعته فقد أدى الحج الواجب عليه في وقته وكل من قال بالتراخي لا يحد في ذلك حدا الا ما روي عن سحنون من تحديده الى الستين فان زاد على الستين فسق وردت شهادته لان النبي صلى الله عليه وسلم قال أعمار أمتي ما بين الستين الى السبعين وقل من يتجاوزها وقوله معترك المنايا ما بين الستين والسبعين ولا حجة فيه لانه كلام خرج على الاغلب من أعمار أمته لو صح الحديث ولم يقطع بتفسيق من صحت عدالته وامامته بمثل هذا من التأويل الضعيف اه وقدم الاشق وأخر ما وجب في العمر مرة * (تنبيه) * السبيل ورد في القرآن على وجوه الاول البلاغ كما في قوله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا يعني بلاغا الثاني الطاعة كقوله تعالى في البقرة الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله يعني في طاعة الله الثالث الخروج كقوله تعالى في بني اسرائيل انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا يعني مخرجا من الحدس ومثله قوله في النساء حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا يعني مخرجا من الحبس الرابع المسلك كقوله تعالى في النساء ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا أي مسلكا الخامس العلل كقوله تعالى فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا أي علة السادس الدين كقوله تعالى ويتبع غير سبيل المؤمنين أي دين المؤمنين السابع الهدى كقوله تعالى في النساء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا أي من يضلل الله عن الهدى فلن تجد له سبيلا أي هدى الثامن الحجة كقوله تعالى فما جعل الله لكم عليهم سبيلا أي حجة التاسع الطريق كقوله تعالى في النساء والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا أي طريقا الى المدينة العاشر العدوان كقوله تعالى في حم عسق وان انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل أي من عدوان انما السبيل على الذين يظلمون الناس الحادي عشر الطاعة كقوله تعالى في الفرقان الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا أي طاعة الثاني عشر الملة كقوله تعالى في يوسف قل هذه سبيلي أي ملتي (قال) السائل للمصطفى صلى الله عليه وسلم (صدقت) فيما أجبت به قال عمر (فعجبنا له) أي منه أولا لجهله والتعجب حالة تعرض للقلب عند الجهل بسبب الشيء (يسأله) والسؤال قرينة عدم العلم (ويصدقه) لان هذا خلاف عادة السائل والتصديق قرينة العلم ثم زال تعجبهم باعلامهم انه جبريل عليه السلام لانه ظهر انه عالم في صورة متعلم (قال فاخبرني عن الايمان) هو لغة مطلق التصديق سواء كان مطابقا للواقع أم لا سواء تعلق بحكم شرعي أم لا واصطلاحا تصديق النبي صلى الله عليه وسلم في كل ما علم مجيئه به من الدين بالضرورة من التوحيد والبعث والجزاء وغير ذلك تفصيلا في التفصيلي واجمالا في الاجمالي فمن علم اسمه كجبريل وجب الايمان به عينا ومن لم يعلم اسمه آمن به اجمالا وكذلك الكتب والانبياء والرسل والمراد بالتصديق الاذعان والقبول لا مجرد نسبة الصدق له صلى الله عليه وسلم اذ لا يلزم الحكم بايمان كثير من الكفار

بسم الله الرحمن الرحيم

يا من يرى ما في الضمير ويسمع	أنت المعد لكل ما يتوقع
يا من يرجى للشدائد كلها	يا من اليه المشتكى والمفزع
يا من خزائن رزقه في قول كن	أمنن فان الخير عندك أجمع
مالي سوى فقري اليك وسيلة	فبالافتقار اليك فقري أدفع
مالي سوى قرعي لبابك حيلة	فلئن رددت فاي باب أقرع
ومن الذي ادعو وأهتف باسمه	ان كان فضلك لن يجود ويمنع
حاشا لجودك أن تقنط عاصيا	الفضل أجزل والمواهب أوسع

وهذه الابيات من كلام عبد الرحمن بن عبد الله بن أصبغ بن حبيش المالقي رحمه الله تعالى آمين * (المجلس الحادي عشر في الحديث الحادي عشر) * الحمد لله على جميع النعم والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث لخير الامم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم (عن) أبي محمد (الحسن بن علي بن أبي طالب) سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته (رضي الله عنه قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك رواه الترمذي والنسائي قال الترمذي حديث حسن صحيح) اعلم وفقني الله

وايانا لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم وهو من الاحاديث التي عليها مدار الاسلام كما علم مما مر
راجع الى قوله في حديث ان الحلال بين الخ فاذا ذكر هناك يذكر هنا ويتمم به حد المجلس فيصير مجلسا مستقلا مفردا وهذا لا يخفى على
الحاذق وقوله (دع ما يريبك الى ما لا يريبك) بفتح أوله وضمه والفتح أشهر وأفصح والله أعلم (الجلس الثاني عشر في الحديث
الثاني عشر الحمد لله الذي أحيا القلوب ٧٢ للمؤمنين بانباع رحمته وألهمهم من حسن التوسل ما يدفعون به عظيم أعبا

وعقوبته ووهب لهم من مظاهر الحزن والبكاء ما يتوصلون به الى منازل جنته ومغفرته ورحمته فسبحانه من اله شرفنا بمحمد التوحيد وأذل لبأسه الخلق والعبيد وجعل صلاتنا عليه شفيعا لنا بين يديه فمن أراد تكفير الخطايا والزلات وبذل العطايا والصلات والحلول في أعلى الدرجات فليكثر من الصلاة على سيدنا محمد سيد الاحياء والاموات طيبوا بالصلاة عليه مسالككم وزينوا بها رسائل أعمالكم صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحابته واحشرنا وايكم في زمرته آمين (عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه حديث حسن رواه الترمذي وغيره) اعلموا اخواني وفقني الله وايا كم لطاعته ان هذا

الذين كانوا في زمنه صلى الله عليه وسلم فاسلموا كانوا يعرفون حقيقة نبوته صلى الله عليه وسلم الا انهم لم يذعنوا ولم يقبلوا ما جاء به قال تعالى يعرفونه كما يعرفون أبناءهم يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وهم يعلمون انه الحق من ربهم وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم وأورد على التعريف ان قوله بالضرورة متعلق بقوله علم وهو يقتضي ان جميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم أمر ضروري لا يتوقف على نظر واستدلال وليس كذلك فان فيه النظري وأجيب بان المراد بقوله بالضرورة انه شاع واشتهر بين أهل الاسلام حتى صار العلم به بمثابة العلم الحاصل بالضرورة (قال الايمان أن تؤمن) ان وصلتها في موضع رفع خبر مبتدا محذوف أي الايمان هو ان تؤمن بالله وظاهر الحديث تغاير الايمان والاسلام لان جبريل سأل عنهما سؤالين وأجيب عنهما بجوابين وفسر الاسلام باعمال الجوارح كالصلاة ونحوها والايمان باعمال القلب وقد يتوسع فيطلق الايمان على الاسلام كما في حديث وفد عبد القيس فانه أمرهم بالايمان ثم قال اتدرون ما الايمان قالوا الله ورسوله أعلم قال شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فان قيل هذا تعريف الشيء بنفسه لان تؤمن مشتق من الايمان فالجواب كما قال الكرماني ان المراد من المحدود الايمان الشرعي ومن الحد الايمان اللغوي وبظاهره انما أعاد لفظ الايمان للاعتناء بشأنه تفخيما لامره وهذا موافق لقول الطوفي هذا ليس من تعريف الشيء بنفسه بل هو من تعريف الشرعي بالغوي لانه لغة التصديق وشرعا تصديق خاص وهو الايمان بالله وما ذكر بعده فكانه قال الايمان شرعا التصديق بهذه الاشياء كما يقال الصلاة لغة هي الدعاء وزيادة أمور أخر وهو كلام صحيح وقال الطيبي وقوله الايمان ان تؤمن يوهم التكرار وليس كذلك فان قوله ان تؤمن مضمن معنى تعترف ولذلك عداه بالباء كانه قيل الايمان اعتراف بالله ووثوق به وتعقبه الحافظ ابن حجر بان التصديق أيضا يتعدى بالباء فلا حاجة الى دعوى التضمن (بالله) أي بانه واحد في ذاته وصفاته وافعاله موصوف بصفة الكمال منزه عن سمة الاجسام (وملائكته) جمع ملك على غير قياس أو جمع ما بتقديم الهمزة اذ هو من الالوكة وهي الرسالة ثم أخرت الهمزة عن اللام وحذفت تخفيفا لكثرة الاستعمال ونقلت حركتها الى اللام وقال في النهاية جمع ملأك في الاصل ثم حذفت همزته لكثرة الاستعمال اه والتأنيث للجمع وقيل للمبالغة وقد وردت بغير تاء كما قال القائل

* أباخالد صلت عليك الملائك *

وهي اجسام لطيفة نورانية أعطيت قدرة على التشكل باشكال مختلفة تقدر على أفعال شاقة لا يقدر عليها البشر وهم قسمان قسم شانهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن الشغل بغيره وقسم يدبر الامر من السماء الى الارض على ما سبق به القضاء وجرى به القلم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وفي الحديث اتاني ملك لم ينزل الارض قبلها قط يستاذن ربي فوضع رجله فوق السماء الدنيا ورجله الاخرى تابثة في الارض لم يتقلها وقد ورد ان لله ملكا ملا ثلث الكون وملكا يملأ ثلثيه وملكا يملأ الكون كله وقد ورد في عظم الملائكة ما هو فوق ذلك لا بقال اذا ملأ الكون كله فاين يكون الآخر لانا نقول الانوار لا تتزاحم الا ترى انه لو وضع سراج في بيت

ملأه

(قوله صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه) بفتح الياء معناه ما لا تتعلق عنايته به والذي يعني الانسان من الامور ما يتعلق بضرورة حياته في معاشه وسلامته في معاده وذلك بسير بالنسبة الى ما لا يعنيه فان اقتصر الانسان على ما يعنيه من الامور سلم من شر عظيم وحاز السلامة من الشر خير كثير ومن بعض كلام السلف من علم ان كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه ومن

سأل عما لا يعنيه سمع ما لا يرضيه قال ابن العربي هذا الحديث فيه اشارة الى ترك الفضول لان المرء لا يعذر أن يشتغل بالأزم فكيف يتعداه الى الفاضل وقال ابن عبد البر كلامه صلى الله عليه وسلم هذا من الكلام الجامع للمعاني الكثيرة الجليلة في الالفاظ القليلة وهو مما لم يقله أحد قبله صلى الله عليه وسلم الا انه روي في صحف شيث وابراهيم على نبينا وعليهما وعلى جميع الانبياء أفضل الصلاة والسلام من عدة كلامه من جملة قول كلامه الا فيما يعنيه قال الفاكهاني رحمه الله هذا خاص بالكلام وأما

ملأه نورا ولو أتينا بعده بالف سراج وسع البيت أنوارهم ذكره العارف بالله ابن عطاء الله عن شيخه المرسي وقد جاء في صفة الملائكة أحاديث منها ما أخرجه الترمذي وابن ماجه والبزار من حديث أبي ذر مرفوعا أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع الا وعليه ملك ساجد الحديث ومنها ما أخرجه الطبراني من حديث جابر مرفوعا ما في السموات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف الا وفيه ملك قائم أو راكع أو ساجد وللطبراني نحوه من حديث عائشة وذكر في ربيع الابرار عن سعيد بن المسيب قال الملائكة ليس اذ كورا ولا اناثا ولا يأكلون ولا يشربون ولا يتناكحون ولا يتوالدون قلت وفي قصة الملائكة مع ابراهيم وسارة ما يؤيد أنهم لا يأكلون وأما ما وقع في قصة الاكل من الشجرة انها شجرة الخلد التي يأكل منها الملائكة فليس بثابت وفي هذا وما ورد من القرآن الشريف رد على من أنكر وجود الملائكة من الملحدة اه قال الطيبي الاطيط صوت الاقتاب وأطيط الابل أصواتها وحنينها أي ان كثرت ما فيها من الملائكة قد أثقلها حتى أطيت وهو مثل وايذان بكثرة الملائكة وان لم يكن ثم أطيط وانما هو كلام تقريب أريد به تقرير عظمة الله والاشعار كما قال الحليمي أن لا يكتب لهم عمل اذ الملك هو الذي يكتب فكان يحتاج كل ملك الى آخر ولا يجاورون أيضا الا ساعات لهم وأما الاثابة فقد قيل يثابون برفع التكليف عنهم ويحتمل أن يكون ولعل رفع التكليف عنهم نعمة أعدها الله لهم ولا نبلغها عقولنا فان الله تعالى يقول أعددت لعبادي ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اه وذكر القرطبي في تفسير سورة القدر ان الروح طائفة من الملائكة جعلوا حفظة على غيرهم وقيل ان الملائكة ليسوا بحيوان لعدم صدق تعريفه عليهم حيث قيل فيه نام وليسوا كذلك وانما خلقوا كذلك (وكتبه) جمع كتاب وهو لغة ضم الحروف الدالة على معنى بعضها الى بعض مصدر كتب أي جمع والكتب اصطلاحا ما أنزل الله على الانبياء اما مكتوبا على الالواح أو مسموعا من وراء حجاب أو من ملك شافه وخص الايمان بها لانها الكلام الازلي القديم القائم بذاته المنزه عن الحرف والصوت أنزلها على بعض رسله بالفاظ حادثة في الواح أو على لسان ملك وعدة الكتب المنزلة من السماء الى الدنيا مائة وأربعة صحف شيث خمسون وصحف ابراهيم ثلاثون وصحف موسى قبل التوراة عشرة والتوراة والانجيل والزبور والفرقان ومعاني الكتب مجموعة في القرآن ومعاني القرآن مجموعة في الفاتحة ومعانيها مجموعة في البسملة ومعاني البسملة مجموعة في باء اذ بعضهم ومعاني الباء في نقطتها أي في ذلك اشارة الى الوحدة فهو الواحد الذي لا نظير له قاله الخطيب وذكر التتائي في شرح الرسالة خلافه ونصه * فائدة جملة الكتب المنزلة مائة كتاب وأربعة عشر كتابا خمسون على شيث وثلاثون على ادريس وعشرون على ابراهيم ولا خلاف في هذا واختلفوا في عشرة فقيل أنزلت على آدم وقيل على موسى قبل التوراة والتوراة على موسى والانجيل على عيسى والزبور على داود والفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم اه وفي شرح الشاذلي ما يوافق الاول والحق عدم حصرهم في عدد معين * (ورسله) * أي بانه تعالى أرسلهم الى الخلق لهدايتهم الى طريق الحق وتكميل معاشهم ومعادهم وانهم صادقون في جميع

الحديث فهو أعم من الكلام لان ما لا يعنيه التوسع في الدنيا وطلب المناصب والرياسة وحب الحمدة والثناء وغير ذلك وقال بعض العلماء في هذا الحديث ان المؤمن مع المؤمن كالنفس الواحدة فينبغي ان يحب له ما يحب لنفسه من حيث انهما نفس واحدة ومصداقه الحديث المؤمنون كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى اليه سائر الجسد * وقال بعضهم المراد بهذا الحديث كف الاذى والمكروه عن الناس ويشبه معناه قول الاحنف بن قيس حين سئل ممن تعلمت الحلم قال من نفسي قيل له وكيف ذلك قال كنت اذا كرهت شيأ من غيري لم أفعل باحد مثله وذكر مالك في موطئه قيل للقمان ما بلغ بك ما نرى يريدون الفضل قال صدق الحديث وأداء الامانة وترك ما لا يعنيني وروى

أبو عبيدة عن الحسن قال من علامة اعراض الله عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه (تنبيه) ينبغي للانسان أن يشتغل بما ينفعه من قراءة قرآن واستغفار وذكر ونحوه فان الشيطان يرضى منه بتضييع عمره من غير فائدة اعلامه بان عمره جوهر نفيس كل نفس منه لا قيمة له فاذا صرف الانسان عمره في طاعة سلم وغنم وقد ورد أن بكل تسبيحة صدقة وان من قرأ سورة الاخلاص عشر مرات بنى له قصر في الجنة ومن قال سبحان الله والحمد لله الخ غرست له شجرة في الجنة فاين هذا من

لا يستحق شيئا وأشر من ذلك أن يتكلم بكلمة يفضح بها مولاه أو يؤذي بها أخاه فقد ورد أن العبد ليتكلم بالكلمة من الشر
لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم أبعد ما بين المشرق والمغرب وربما كانت تلك الكلمة شتيمة في سنتيمة يستمر العمل بها بعده فلا
يزال يعذب في قبره مادام يعمل بها فقد قيل يا ويل من مات ولم تمت معه آثامه لان العبد اذا مات انقطعت أعماله الا من عمل عملا صالحا
يعمل به من بعده كعلم أو وقف نسال ٧٤ الله حسن العاقبة وفي الخبر مرفوعا ان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يريد بها الا ان

يضحك القوم بها يهوي بها
بقدر ما بين السماء والارض
وفي حديث ابن عمر رضي
الله عنهما لا تكثروا
الكلام بغير ذكر الله
فتقسو قلوبكم وان أبعد
القلوب من الله القلب
القاسي (مواعظ تتعلق
بالامانة تتميما للمجالس)
قال الله تعالى ان الله
يأمركم ان تؤدوا الامانات
الى أهلها قيل المراد من
الآية جميع الامانات
وعن البراء بن عازب وابن
مسعود وأبي بن كعب
الامانة في كل شئ الوضوء
والصلاة والزكاة والصوم
والكيل والوزن والودائع
وقال ابن عمر خلق الله
تعالى نوع الانسان وقال
هذه لامانة خبأتها عندك
فاحفظها الا عن صاحبها
* واعلموا أن في كل
عضو من أعضاء الانسان
أمانة فامانة اللسان أن
لا يستعمله في كذب أو
غيبة أو بدعة أو نحوها
وأمانة العين أن لا ينظر
بها الى محرم وأمانة
الاذن أن لا يصغي بها

ما أخبروا به عن الله وبلغوا عنه وانهم بين الملكفين ما أمر وا ببيانه وانه يجب احترامهم وان لا نفرق
بين أحد منهم وفي رواية للبخاري وبرسله وقدم الملائكة على الرسل والكتب نظرا للترتيب لان الله
تعالى أرسل الملك بالكتاب الى الرسول لانهم أفضل من الانبياء لان الاصح ان الانبياء أفضل منهم
وفي الافضلية طرق الاولى طريقة ابن الحاجب وجماعة وقول جماعة من الاشاعرة وأهل الحديث
والتصوف انهم أفضل من الملائكة العلوية والسفلية لقوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل
ابراهيم وآل عمران على العالمين والملائكة من جملة العالمين وان الملائكة ولو غير رسل أفضل من غير
الانبياء من البشر ولو كان وليا كأبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما ويقابله قول من قال من أهل
السنة كالباقلاني والحليمي بافضلية الملائكة العلوية والسفلية على الانبياء ما عدا نبينا محمدا صلى الله
عليه وسلم لانه أفضل من الملائكة اجماعا كما ذكره الفخر الرازي والمراد اجماع من يعتد باجماعه
وما وقع في الكشاف في تفسير قوله تعالى انه لقول رسول كريم الآية من أفضلية جبريل على نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم فهو نزغة اعتزالية الثانية طريقة الآمدي والبيضاوي في قصر الخلاف على
الملائكة العلوية وأما السفلية فلا اختلاف ان الانبياء أفضل منهم لقوله تعالى والملائكة يسبحون بحمد
ربهم ويستغفرون لمن في الارض وقوله تعالى ويستغفرون للذين آمنوا الثالثة طريقة الماتريدية
وهي الراجحة عندهم أن خواص البشر وهم الانبياء أفضل من خواص الملائكة كجبريل وميكائيل
وخواص الملائكة أفضل من عامة البشر والمراد بهم الصلحاء كأبي بكر وعمر وعامة البشر أفضل من
عامة الملائكة وهم غير الرسل منهم كحملة العرش والكروبيين وأفضل الملائكة جبريل كما جزم به السيوطي
وقال بعضهم أفضلهم اسرافيل قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام بعد ما قرر ان خواص البشر أفضل
من الملائكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من الانبياء تقدس ادات الملائكة فصار أفضل
من الملائكة بدرجتين وأعلى منهم بمرتبتين لا يعلم قدر تلك المرتبتين وشرف تلك الدرجتين الا من خاتم
النبيين وسيد المرسلين المفضل على جميع العالمين * (واليوم الآخر) * وهو من وقت الموت أو الحشر
الى ما لا يتناهى أو الى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وقال البيضاوي سمي بذلك لانه آخر
الاوقات المعدودة وقال غيره لانه لا ليل بعده ولا يقال يوم بعني من غير تقييد الا لما بعقبه ليل وقيل لانه
آخر أيام الدنيا والمراد الايمان بما فيه من البعث والحساب وتطاير الصحف والميزان وادخال البعض
الجنة بالفضل والبعض النار بالعدل الى غير ذلك مما ورد النص القاطع به وفي رواية والبعث الآخر
وصفه بالآخر اما تأكيد كأمس الدابر أو احتراز عن غير الآخر لانه احياء بعد اماتة وقد كنا ميتين
قبل نفخ الروح فاحيينا بنفخها ثم نمتنا ثم أحيينا لسؤال الملكين ثم نمتنا ثم أحيينا للحشر فهذا هو الآخر
(وتؤمن بالقدر) أعاد العامل اما لبعد العهد واما للاهتمام بشأنه اذ لا يعلمه الا حاذق بامور الدين
بخلاف الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر بتحريك الدال المهملة وقد تسكن من قدر
الشئ بفتح الدال مخففة اذا أحطت بمقداره وألى فيه عوض عن المضاف اليه أي بتقدير الله سبحانه الامور

الى استماع محرم وهكذا سائر الاعضاء فهذه كلها أمانات مع الله تعالى وأما مع الناس فرد
الودائع وترك التطفيف في كيل أو وزن أو ذرع وشر التجار من اذا اشترى أرخى الذراع واذا باع شد الذراع وأمانة الامراء العدل في
الرعية وأمانة العلماء في العامة أن يحملوهم على الطاعات والاخلاق الحسنة وينهوهم عن المعاصي وسائر القبائح كالتعصبات الباطلة
وأمانة المرأة في حق زوجها أن لا تخونه في فراشه أو ماله ولا تخرج من بيته بغير اذنه وأمانة العبد في حق سيده أن لا يقصر في خدمته

ولا يخونه في ماله وقد أشار صلى الله عليه وسلم الى ذلك كله بقوله كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته وأما الامانة مع النفس فبأن يختار لها الانفع في الدين والدنيا وأن يجتهد في مخالفة شهواتها وارادتها فانها الس الناقع المهلك لمن أطاعها في الدنيا والآخرة * قال أنس رضي الله عنه ما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قال لا ايمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له وقد عظم الله تعالى أمر الامانة فقال انا عرضنا الامانة أي التكاليف التي كلف الله بها عباده من ٧٥ امتثال الاوامر واجتناب النواهي

واحاطته بها علما ثم قدره بالابدال (خيره وشره) الخير الطاعة والشر المعصية أي بان الله تعالى قدر الخير والشر في القدم وان ذلك سيقع في أوقات معلومة عنده على صفات مخصوصة والاظهر انه بدل كل وأما قول ابن مالك انه بدل بعض فغير ظاهر الا أن يقال ان ذلك باعتبار كل واحد من المعطوف والمعطوف عليه وفي رواية لمسلم وبالقدر كله وفي رواية عطاء عن ابن عمر زيادة حلوه ومره والحلو ما تستطيبه النفس وتميل اليه كالغيث والخصب والسعة والعافية والسلامة من الآفات والمر ما تكرهه النفس وتنفر منه كالجدب والقحط والمرض والبلاء ولما كان الايمان بالقدر مستلزما للايمان بالقضاء لم يتعرض له وقد خاض فيه قوم وأمسك عنه آخرون تمسكا بقوله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر القدر فامسكوا وبانه سر ليس لمن عرفه أن يفشيه ولذا لما سئل عنه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال طريق مظلم لا تسلكوه سئل عنه فقال بحر عميق لا تلجوه فأعيد السؤال فقال سر الله قد خفي عليكم فلا تفشوه وأما من خاض فيه فقال القضاء ارادته الازلية المتعلقة بالاشياء على ما هي عليه والقدر ايجاده اياها على ما يطابق العلم فالقضاء بمنزلة الاساس والقدر بمنزلة البناء والقضاء بمنزلة آلة الكيل والقدر بمنزلة المكيل والقضاء بمنزلة ما أعد للبس والقدر بمنزلة اللبس والقضاء بمنزلة تصوير النقاش الصورة في ذهنه والقدر بمنزلة رسمها ونظم ذلك شيخنا الابهوري فقال

ارادة الله مع التعلق * في أزل قضاؤه محقق
والقدر الايجاد للاشياء على * وجه معين اراده علا
وبعضهم قد قال معنى الاول * العلم مع تعلق في الازل
والقدر الايجاد للامور * على وفاق علمه المذكور

وفي الحديث الرد على القدرية وهم قدريتان أولى وهي تنكر ما ذكرنا من سبق العلم بالاشياء قبل وجودها وتزعم ان الله لم يقدر الامور أزلا ولم يتقدم علمه بها وانما يأتنفها علما حال وقوعها وهؤلاء انقرضوا قبل ظهور الشافعي رحمه الله واياهم عنى بقوله ان نسلم القدرية العلم خصموا اذ يقال لهم أتجوزون أن يقع في الوجود خلاف ما تضمنه العلم فان منعوا وافقونا وان أجازوا لزمهم نسبة الجهل اليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقدرية ثانية وهم مطبقون على ان الله تعالى عالم بافعال العباد قبل وقوعها وانما خالفوا السلف في زعمهم أن أفعال العباد مقدرة لهم واقعة منهم على جهة الاستقلال بواسطة الاقدار والتمكين وقد اتفق لشخص منهم انه وقع رجله بحضرة رجل من أهل السنة وقال له اني رفعت رجلي عن الارض بقدرتي فقال له السني فاذن ارفع الاخرى فلم يرد له جوابا وفيه رد أيضا على المعتزلة في زعمهم انه تعالى لا يخالق الشر اذ لو كان العبد يخالق الشر والمخالفات وهي أكثر وقوعا من الطاعات لكان أكثر ما يجري في الوجود على خلاف ارادة رب الارض والسموات وذلك أمر لا يرضاه أمير بلد ولا زعيم قرية تعالى الله عما تقول المعتزلة علوا كبيرا وقد حكي انه دخل القاضي عبد الجبار المعتزلي على الصاحب ابن عباد وكان وزيرا بالمغرب فرأى عنده الاستاذ أبا اسحق الاسفرايني امام أهل

على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان أي آدم عليه السلام انه كان ظلوما أي لنفسه بقبوله تلك التكليفات الشاقة جدا جهولا أي بمشاقها التي لا تتناهى وليتأمل قوله تعالى ان الله لا يهدي كيد الخائنين فانه شدد كيد من خان أمانته وقيل ان الله تعالى خلق الدنيا كالدستان وزينها بخمسة أشياء علم العلماء وعدل الامراء وعبادة الصالحين ونصيحة المستشار وأداء الامانة فقرن ابليس مع العلم الكتمان ومع العدل الجور ومع العبادة الرياء ومع النصيحة الغش ومع الامانة الخيانة وفي الحديث أول ما يرفع من الناس الامانة وآخر ما يبقى الصلاة ورب مصل ولا خير فيه وفيه اذا حدث أحدكم فلا يكذب واذا وعد فلا يخلف واذا ائتمن فلا يخن وفيه

اضمنوا لي أشياء أضمن لكم الجنة أصدقوا اذا حدثتم وأوفوا اذا وعدتم وأدوا الامانة اذا ائتمنتم وفيه اكفلوا لي أشياء أكفل لكم الجنة الصلاة والزكاة والامانة والفرج والبطن واللسان وفيه ثلاث متعلقات بالعرش الرحم تقول اللهم اني بك فلا أقطع والامانة تقول اللهم اني بك فلا أخان والنعمة تقول اللهم اني بك فلا أكفر وفيه يؤتى بالعبد يوم القيامة وان قتل في سبيل الله فيقال له أد أمانتك فيقول أي رب كيف وقد ذهبت الدنيا فيقال انطلقوا به الى الهاوية وتمثل له الامانة كهيئتها يوم دفعت اليه فيراها

فيعرفها فيه وهي في أثرها حتى يتركها فيحملها على منكبيه حتى اذا ظن انه حانث زلت عن منكبيه فهوت هي في أثرها أبدا الآبدين ثم قال الصلاة أمانة والوضوء أمانة والوزن أمانة والكيل أمانة وعد أشياء وأشد ذلك الودائع وقال صلى الله عليه وسلم أد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك أي لا تقابله بخيانته اللهم وفقنا أجمعين آمين والحمد لله وحده * (المجلس الثالث عشر في الحديث الثالث عشر) * الحمد لله رب العالمين ٧٦ والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الاولين والآخرين وعلى آله وصحبه أجمعين

* (عن) أبي حمزة (أنس ابن مالك) خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه رواه البخاري ومسلم) * اعلموا اخواني وفقني الله وإياكم لطاعته ان هذا الحديث قاعدة من قواعد الاسلام الموصى به في قوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ولا شك ان النفس الشريفة تحب الاحسان وتجتنب الاذى فاذا فعل ذلك حصلت الالفة وانتظم حال المعاش والمعاد ومشت أحوال العباد (قوله لا يؤمن أحدكم) أي الايمان الكامل (حتى يحب لاخيه) أي في الايمان من غير أن يخص بمحبته أحدا دون أحد لقوله تعالى انما المؤمنون اخوة ولانه مفرد مضاف فيعم قال ابن العماد رحمه الله الاولى أن يحمل على عموم الاخوة حتى يشمل الكافر والمسلم فيحب للكافر ما يحب لنفسه من دخوله في الاسلام (ان كما يحب لاخيه المسلم الدوام على الاسلام ولهذا كان الدعاء له بالهداية مستحبا (قوله ما يحب لنفسه) أي مثل ما يحب لنفسه والمراد ما يحب من الخير والمنفعة اذ الشخص لا يحب لنفسه الا الخير وفي رواية النسائي حتى يحب لاخيه من الخير ما يحب لنفسه أي وينبغي له مثل ما يبغض لنفسه ولفظ عند مسلم والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه أو قال لجاره ما يحب لنفسه واعلم أن الخير

السنة فقال عبد الجبار سبحان من تنزه عن الفحشاء فقال الاستاذ على الفور سبحان من لا يجري في ملكه الا ما يشاء فالتفت اليه عبد الجبار وعلم انه فهم مراده فقال له أفيريد ربك أن يعصى فقال له الاستاذ أفيعصى ربنا قهرا فقال له عبد الجبار أرأيت ان منعني الهدى وقضى علي بالردى أحسن الي أم أساء فقال له الاستاذ ان كان منعك ما هو لك فقد أساء وان كان منعك ما هو له فيختص برحمته من يشاء فانصرف الحاضرون وهم يقولون والله ليس عن هذا جواب وفي حياة الحيوان ان ملكا قال له منجموه انك تموت في اليوم الفلاني في الوقت الفلاني في بلدة تحقرب فلما آن الوقت تجرد من ثيابه وركب فرسه وعدا فسلمه واستراح فرسه وخرج من منخريه عقرب فهرب الملك حتى تعلقت به فلسعته فمات وما أغناه الحذر من القدر وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحاج آدم وموسى فقال موسى يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة فقال له آدم يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني قال فحج آدم موسى وعن أنس قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما أرسلني في حاجة فلم تتهيأ الا قال لو قضي كان ولو قدر كان وعن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عما يرويه عن ربه عز وجل من لم يرض بقضائي ويقدري فليطلب ربا سواي وعن علي رضي الله تعالى عنه في تفسير قوله سبحانه وتعالى وكان تحته كنز لهما قال كان لوحا من ذهب مكتوب فيه لا اله الا الله محمد رسول الله عجبا لمن أيقن بالموت كيف يفرح وعجبا لمن أيقن بالنار كيف يضحك وعجبا لمن أيقن بالقدر كيف يحزن وعجبا لمن يرى تقلب الدنيا باهلها حالا بعد حال كيف يطمئن اليها وعن عثمان رضي الله تعالى عنه ان الكنز هو اللوح من ذهب فيه سبعة أسطر مكتوب فيها سبع كلمات عجبت لمن عرف الدنيا وهو يرغب فيها وعجبت لمن عرف الامور بالقدر كيف يغتم بالفوات وعجبت لمن عرف الحساب وهو يجمع المال وعجبت لمن عرف النار وهو يذنب وعجبت لمن عرف الجنة يقينا وهو يستريح وعجبت لمن عرف الله يقينا وهو يذكر غيره (قال صدقت قال فاخبرني عن الاحسان) أراد به الاخلاص قال فيه للعهد الذهني المذكور في الآيات الشريفة نحو للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وان الله يحب المحسنين وهل جزاء الاحسان الا الاحسان اذ احسان العبادة الاخلاص فيها والخشوع وفراغ البال حال التلبس بها ويتعدى بنفسه كاحسنت كذا اذا أتقنته وأكملته وأمكنته وبحرف الجر كاحسنت اليه اذا أوصلت اليه النفع وأصله من الحسن خلاف القبح وما هنا من الاول لان المقصود اتقان العبادة وقد يلحظ الثاني بان المخلص مثلا يحسن باخلاصه الى نفسه وسئل شقيق عن الاخلاص فقال تمييز العمل من الرياء كتمييز اللبن من فرث ودم سائغا سهل المرور في الحلق وقيل ترك حب المدح على العمل وقيل سر بين العبد وربه لا يطلع عليه ملك مقرب فيكتبه ولا شيطان فيفسده جاء في الحديث المسلسل الرباني الاخلاص سر من سري استودعته قلب من أحببت من عبادي وانظر قوله لا يطلع عليه ملك مقرب فيكتبه هل هو مبني على ان عمل القلب لا يكتب أو على انه يكتب ويستثنى منه الاخلاص (قال) صلى الله عليه وسلم

اسم جامع للطاعات والمباحات دنيوية وأخروية وقد جاء في حديث انظر أحب ما تحب أن تأتيه الناس اليك فائته اليهم وفي كلام بعضهم ارض للناس ما تنفسك ترضى (تنبيه) لا بد أن يكون المعنى فيما يباح والا فقد يكون غيره ممنوعا منه وهو مباح له كحب الشخص وطء زوجته أو أمته فلا يدخل في هذا المعنى ولنتكلم على نكتة طريفة تتعلق بالايثار مناسبة للمقام اعلموا أن الايثار أمر عظيم مدح الله تعالى أهله في كتابه الكريم فقال وبقوله يهتدي المهتدون ٧٧ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم

(أن تعبد الله) من عبد أطاع والتعبد والتنسك والعبودية الخضوع والذل يقال طريق معبد اذا زلل بالارجل وفي رواية أبي هريرة وعمارة بن القعقاع أن تخشى الله فعبر عن المسبب باسم السبب توسعا والعبادة ما تعبد به بشرط النية ومعرفة المعبود كالصلاة والقربة ما تقرب به بشرط معرفة المتقرب اليه كالعتق والوقف والطاعة امتثال الامر والنهي كالنظر المؤدي الى معرفة الله تعالى قاله شيخ الاسلام (كأنك تراه) هذا من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم لانا لو قدرنا ان أحدا قام في عبادة ربه وهو يعاينه سبحانه وتعالى لم يترك شيأ مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمت وحفظ القلب والجوارح واجتماعه بظاهره وباطنه الا أتى به قال الكرماني فان قلت كأنك تراه ما محله من الاعراب قلت هو حال من الفاعل أي تعبد الله مشبها بمن تراه اه أي شبيها بمن تنظر اليه خوفا منه وحياء والاولى أن ينزل على معنى التشبيه ويكون التقدير الاحسان عبادتك الله تعالى حال كونك في عبادتك مثل حال كونك راءيا له وهذا التقدير أحسن وأقرب للمعنى من تقدير الكرماني لان المفهوم من تقديره أن يكون هو في حال العبادة مشبها بالرائي اياه وفرق بين عبادة الرائي بنفسه وعبادة المشبه بالرائي بنفسه (فان لم تكن تراه) فاشعر على احسانك العبادة (فانه يراك) اذ هو القائم على كل نفس بما كسبت الشاهد لكل أحد من خلقه في حركته وسكونه وان للشرط وان لم تكن تراه جملة وقعت فعل الشرط فان قلت أين جزاء الشرط قلت محذوف تقديره فان لم تكن تراه فاحسن العبادة فانه يراك فان قلت لم لا يكون قوله فانه يراك جزاء الشرط قلت لا يصح لانه ليس مسببا عنه وينبغي أن يكون فعل الشرط سببا لوقوع الجزاء كما تقول في ان جئتني أكرمتك فان المجيء سبب للاكرام وعدمه سبب لعدمه وههنا عدم رؤية العبد ليست بسبب لرؤية الله تعالى فان الله تعالى براه سواء وجدت من العبد رؤية أم لم توجد وحكى عن محمد بن سكران وهو من مشاهير مشايخ بغداد المتأخرين انه وقف على قوله فان لم تكن وهو اشارة الى مقام المحو والفناء وتقديره فان لم تكن أي لم تصر شيأ وغبت عن نفسك حتى كأنك ليس بموجود فانك حينئذ تراه فانها الحجاب بينك وبين شهوده فان من ألقى الحجاب رأى الجناب وهو شبيه بما يحكى عن أبي يزيد فانه قال رأيت رب العزة في المنام فقلت يا رب كيف الطريق اليك فقال خل نفسك وتعال قال الصلاح الصفدي وغفل هذا القائل للجهل بالعربية على انه لو كان المراد ما زعم لكان قوله تراه محذوف الالف لانه بتسبير مجزوما لكونه على زعمه جواب الشرط وتعقبه الدماميني بقوله انما تصح هذه الدعوى التي عارض بها الصفدي لو كان الجواب في هذه الصورة مما يجب جزمه وهو ممنوع فقد نص الامام جمال الدين بن مالك في التسهيل على ان الشرط اذا كان منفيا بلم جاز رفع الجواب بكثرة وكفانا به حجة على أن الشراح قبلوا هذا منه ولم يتعقبوه وعليه فيصح قولنا ان لم يقم زيد يقوم عمرو ويتخرج عليه الحديث فلا يكون رفع الفعل المضارع الذي هو تراه مما ذكر من دعوى كونه جوابا للشرط اه وقوله ان تعبد الله كأنك تراه اشارة الى حال المشاهدة وقوله فان لم تكن تراه فانه يراك اشارة الى حال المراقبة قال بعضهم من راقب الله في خواطره عصمه الله في جوارحه وسئل

خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون قال العلماء الايثار على أنواع ايثار في الطعام وايثار في الشراب وايثار في النفس والروح وايثار في الحياة * فاما الايثار في الطعام فقد روي ان رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أهدي اليه رأس مشوي فقال أخي فلان وعياله أحوج الى هذا منا فبعثه اليه وبعثه ذلك الى آخر فلم يزل يبعث به من واحد الى واحد حتى تداولته سبع بيوت فرجع الى الاول وفي ذلك نزل قوله سبحانه ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وقيل ان الآية نزلت في ضيف أضافه النبي صلى الله عليه وسلم فبعث الى بيت نسائه فقلن ما عندنا الا الماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكرم ضيفي هذه الليلة فله الجنة فقال رجل أنا فانطلق به الى

امرأته فقال لها أكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما عندنا الا قوت الصبيان فقال لها هيئي طعامك وأصلحي السراج ونومي صبيانك اذا أرادوا عشاء ففعلت ثم قامت كأنها تصلح سراجها فاطفأته فجعلا يريانه انهما يأكلان وناما طاويين فلما أصبح غدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضحك الله من صنيعكما أو من فعالكما فأنزل الله تعالى الآية (وحكي) عن ابن الحسين الانطاكي انه اجتمع اليه نيف وثلاثون نفسا في قرية تعرف بالري وكان لهم أرغفة معدودة لم تشبع جميعهم فكسروا

الزعفران واطفؤا السراج وجلسوا للطعام فلما رفع اذا الطعام على حاله ولم يأكل منهم أحد ايثارا لصاحبه على نفسه وفالبر
الله صلى الله عليه وسلم أيما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر له (حكى) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه كا
مر بضا فعولى من مرضه فاشتهى على جماعة سمكة مشوية فاتى اليه بها فلما وضعت بين يديه اذا السائل على الباب واقف بسال
لغلامه ادفع اليه هذه السمكة فقال له انت أحبتها ولم تاكلها فقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر

عالمحبون (وحكى) ان ابراهيم بن أدهم وشقيقا البلخي اجتمعا يوما فقال شقيق لابراهيم كيف تعملون اذا لم تجدوا شيأ فقال ان أعطينا شكرنا وان منعنا صبرنا فقال شقيق هكذا عندنا كلاب بلخ فقال ابراهيم كيف تعملون أنتم فقال ان أعطينا آثرنا وان منعنا شكرنا فقام ابراهيم وقبل رأس شقيق وقال أنت الاستاذ * وأما الايثار بالماء فاحكى ان جماعة استشهدوا باليرموك فاتى اليهم بماء وفيهم الروح فاتى الى واحد منهم بالماء فاشار اليهم ان اسقوا فلانا فأتوا اليه فاشار اليهم ان اسقوا فلانا وهكذا فاتوا كلهم ولم يشربوا من الماء ايثارا منهم لاصحابهم * وأما الايثار بالنفس والروح فاروى ان عليا رضي الله عنه بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فاوحى الله الى جبريل وميكائيل عليهما السلام اني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فايكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختار كلاهما الحياة فاوحى الله سبحانه اليهما أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين نبي محمد صلى الله وسلم فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا الى الارض فاحفظاه من عدوه فكان جبريل عند رأسه و رجليه وجبريل ينادي بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب وربك يباهي بك الملائكة * وأما الايثار في باب الجياة فما

ابن عطاء ما أفضل الطاعات فقال مراقبة الحق على دوام الاوقات ورأى شخص مسافرا علا مارعى فقال له تبيع من هذه الغنم واحدة فقال انها ليست لي فقال قل لصاحبها ان الذئب أخذ منها
فقال الغلام وأين الله وقال أبو عبد الله الرازي سمعت أبا عثمان يقول قال لي أبو حفص ا
للناس فكن واعظ القلب لك ولنفسك ولا يغرنك اجتماعهم عليك فانهم يراقبون ظاهرك و
يراقب باطنك (قال فاخبرني عن الساعة) أي عن زمن وجودها ووقت قيامها لا عن انفسها لا
مقطوع بها وهي لغة مقدار ما من الزمان غير معين ولا محدد لقوله تعالى ما لبثوا غير ساعة وفي عر
أهل الميقات جزء من أربعة وعشرين جزأ من أوقات الليل والنهار وفي عرف أهل الشرع عبارة
القيامة وهو المراد هنا وأصلها سوعة بتحريك الواو قلبت الواو ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها
ساعة مع طول زمانها اما لوقوعها بغتة لانها تهجأ الناس في ساعة فتموت الخلائق كلهم بصيحة وا
حتى ان من تناول لقمة لا يهنأ حتى يتناولها وحتى ان الرجلين يكون بينهما الثوب لا ينشرا
لطوبانه ولذا قال المفسرون في قوله تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمو
يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم فيموتون في مكانهم واما السرعة حسابها واما تسمية
البعض والمراد أول ساعاتها واما لانها على طولها كساعة عند الله على الخلائق واما لان طولها
وأما المؤمنون فانها تكون عليهم كساعة لحديث أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى
وسلم في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فقلت ما أطول هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذ
بيده ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة المكتوبة يصليها في الدنيا (قال ما المسؤ
ما نافية بمعنى ليس وفي رواية أبي ذر وقد عكس فلم يجبه ثم أعاد فلم يجبه ثم أعاد فلم يجبه ثلاثا ثم رفع ر
فقال ما المسؤل (عنها) أي عن زمنها (باعلم) خبر ما وزيدت الباء لتاكيد معنى النفي (من السائ
كلاناسواه في عدم العلم بزمن وقوعها ان الله عنده علم الساعة ان الساعة آتية أكاد أخفيها فكيف
عن الساعة أيان مرساها أول اغا علمها عند ربي لا يأتي وفي الصحيح مفتاح الغيب خمس لا يعل
الله تعالى وتلا ان الله عنده علم الساعة الآية قال مقاتل نزلت هذه الآية في رجل من أهل البا
عبد الوارث بن عمرو بن حارثة أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ان امرأتي حبلى فاخبرني
وبلادنا جدبة فاخبرني متى ينزل الغيث وقد علمت متى ولدت فاخبرني متى أموت وقد علمت ما
اليوم فاخبرني ماذا أعمل غدا وأخبرني متى تقوم الساعة فانزل الله هذه الآية فان
عنها باعلم من السائل والمقام يقتضي أن يقال لست باعلم بها منك فالجواب انه أتى بذلك ا
بالتعميم تقريرا لما سمعتين بان كل مسؤل وكل سائل كذلك ووقع هذا السؤال والجواب بين
ابن مريم وجبريل لكن كان عيسى سائلا وجبريل مسؤلا كما أخرجه المجيدي في أفراده عن
سال عيسى بن مريم جبريل عن الساعة فانتفض بأجنحته وقال ما المسؤل عنها باعلم من السائل
فان قيل قوله صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين يدل على ان عنده منها علما والا

تقدمي

عطاء انه قال سعى شاب بالصوفية الى بعض الخلفاء وطعن فيهم عنده فاخذوا الثوري وأبا حمزة وجماعة منهم فادخلوهم على الخليفة فامر بضرب اعناقهم فبادر الثوري الى السياف ليضرب عنقه فقال له السياف مالك بادرت من بين اصحابك الى القتل فقال أحببت ان أوثر اصحابي بحياة هذه اللحظة فاعجب السياف وجميع من حضر فعله وأخبر الخليفة بذلك فرد أمرهم الى القاضي فتقدم اليه الثوري فسأله عن الفرائض وسنن الشرائع فاجابه ثم قال وبعد هذا فان لله عبادا ياكلون ٧٩ بالله ويشربون بالله ويسمعون بالله ويبصرون بالله ويتكلمون بالله ويعملون بالله ويعيشون بالله ويموتون بالله ويحيون بالله ويردون بالله فلما سمع القاضي كلامه بكى بكاء شديدا ثم دخل على الخليفة وقال ان كان هؤلاء زنادقة فمن الموحد ثم أطلقهم نفعنا الله بهم (سؤال) فان قيل كيف يحصل الايمان الكامل بالجملة المذكورة في الحديث مع ان له اركانا أخر فالجواب ان ذكر المحبة مبالغة لانها الركن الاعظم فتحو الحج عرفة أو هي مستلزمة لبقية الاركان (ولنختم المجلس بحكاية ظريفة) تتعلق باصطناع المعروف وان المعروف لا يضيع ولو مع غير أهله (حكي) ان رجلا كان يعرف بابن حمير وكان له ورد وكان داوم على صوم النهار ويقوم الليل وكان مبتلى بالقنص فخرج ذات يوم يصيد اذ عرضت له حية فقالت يا محمد بن حمير أجرني أجارك الله فقال لها ممن فقالت من عدو ظلمني قال لها وأين عدوك قالت ورائي قال لها ومن اي أمة انت قالت من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال فقمت ورائي وقلت ادخلي فيه قالت ترائي عدوي ذلك لها الذي اصنع بك قالت ان أردت اصطناع المعروف فاصنع لي فقلت ادخلي فيه قالت اخشى ان تقتليني قالت لا والله لا اقتلك الله شاهد على ذلك وملائكته وأنبياؤه ورسله وحملة عرشه وسكان سمواته ان أنا قتلتك قال محمد فدخلت فيه فانسابت فيه ثم مضيت فعارضني رجل معه صمامة يعني حربة فقال يا محمد فقلت وما تشاء قال لقيت عدوي قلت

تقتضي أن الله منفرد بعلمها فالجواب كما قال الحليمي ان معناه أنا النبي الاخير فلا يلي نبي آخر وانما تلي القيامة والحق كما قال جمع أن الله سبحانه وتعالى لم يقبض نبينا عليه الصلاة والسلام حتى أطلعه على كل ما يهمه عنه الا انه أمره بكتم بعض والاعلام ببعض فان قلت ما الحكمة في أنه قال له صدقت فيما سبق دون ما هنا وما ياتي فالجواب ان مسلما زاد في رواية عمارة بن القعقاع قول السائل صدقت عقب كل جواب ببعض الرواة اقتصر وبعضهم أتم وفي الحديث دلالة على انه يطلب من العالم اذا سئل عما لا يعلم ان يقول لا أعلم ولا يكون ذلك نقصا لمرتبته بل يستدل به على ورعه وتقواه ومن ثم سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي بقاع الارض أفضل فقال لا أدري حتى أسأل جبريل فسأله فقال لا أدري حتى أسأل العالم ثم ذهب وأتاه فقال ان الله عز وجل يخبرك ان خير بقاع الارض المساجد وشر بقاعها الاسواق رواه البزار وقال علي كرم الله وجهه ما أبردها على كبدي اذا سئلت عما لا أعلم ان أقول لا أعلم وقال الهيثم بن جميل شهدت مالكا رضي الله تعالى عنه سئل عن ثمان وأربعين مسئلة فقال في اثنين وثلاثين منها لا أدري وقيل سئل عن أربعين فاجاب عن أربع وقال في الباقي لا أدري وكان يقول ينبغي أن يورث العالم جلساءه قول لا أدري حتى يكون ذلك أصلا في أيديهم يفزعون اليه فاذا سئل أحدهم عما لا يدري قال لا أدري (قال فاخبر عن أماراتها) بفتح الهمزة بالجمع اذ هي بكسرها الولاية أي علاماتها ومنه سمي الشرط لانهم يعلمون أنفسهم بعلامات يعرفون بها وقيل مقدماتها وقيل صغارها وورها وقيل أوائلها وروى امارتها بالافراد والمراد أشراطها السابقة اللاحقة المضايقة كطلوع الشمس من المغرب وخروج الدابة ومن ثم قال القرطبي أمارات الساعة قسمان ما يكون من نوع المعتاد وغيره والمذكور هنا الاول واما الغير المعتاد كطلوع الشمس من مغربها فتلك مقارنة لها ومضايقة (قال ان تلد الامة) أي الجارية وفي رواية البخاري اذا ولدت الامة وهي كما قال الحافظ ابن حجر كالكرماني أولى لاشعارها بتحقيق الوقوع قال الكرماني ولهذا يصح ان يقال اذا قامت القيامة كان كذا الا ان قامت القيامة كان كذا بل يكفر قائله لاشعاره بالشك فيه اه ويتعين حمل كلامه على من عرف هذا المعنى واعتقده والا فكثيرا ما تستعمل ان موضع اذا وبالعكس لاغراض وقد ثبت في علم المعاني والي في الامة لتعريف الماهية أو للعهد وعند الخاطب دون الاستغراق لعدم اطراد ذلك في كل أمة (ربتها) بتاء التأنيث أي سيدتها يقال فلانة ربة البيت أي سيدته وهن ربات الحجال وفي رواية أبي ذر وربها أي سيدها وفي رواية عثمان بن غياث اربابهن بلفظ الجمع وقد اختلف في معناه على أوجه الاول قال الخطابي وأكثر العلماء انه كناية عن كثرة السراري اللازمة لكثرة الفتوح والاستيلاء على بلاد الكفر وسبي ذراريهم حتى تلد السرية بنتا أو ابنا لسيدها فيكون ولدها سيدها كأبيه أي لان قوة الاسلام وباوغ أمره غايته منذر بالتراجع والانحطاط المؤذن بقرب القيامة وتعقبه الحافظ ابن حجر بان ابلاد الاماء كان موجودا حين المقالة والاستيلاء على بلاد الكفر وسبي ذراريهم واتخاذهم سراري كان أكثر في صدر الاسلام والسياق يقتضي الاشارة الى وقوع ما لم يقع مما سيقع

ومن عدوك قال حية قلت لا واستغفرت ربي من قولي لا ماثة مرة وقد علمت أين هي ثم مشيت قليلا فاخرجت رأسها من فمي وقالت أنظر معي هذا العدو فالتفت فلم أر أحدا فقلت لها لم أر أحدا ان أردت ان تخرجي فاخرجي فأري انسانا بقالت الآن يا محمد اختر لك واحدا من اثنين اما ان أفتك بدلك واما ان أثقب فؤادك وادخل بالروح فقلت يا سبحان الله أين العهد الذي عهدت الي واليمين الذي حلفتيه وما أسرع ما نسيته قالت يا محمد لم نسيت العداوة التي كانت بيني وبين أبيك آدم حيث أخرجته من الجنة

قرب قيام الساعة الثاني قال الجرمي انه كناية عن كون الارقاء بلدن الملوك فتكون أم الملد من جملة رعيته وهو سيدها وسيد غيرها من رعيته ويؤيده ان الرؤساء في الصدر الاول كانوا يستكثرون غالبا من وطء الاماء ويتنافسون في الحرائر ثم انعكس الامر شيئا في أثناء دولة بني العباس لكن رواية ربتها بالتأنيث لا تساعده لتذكير كون الانثى ملكة الثالث انه كناية عن كثرة بيع المستولدات لفساد الزمان حتى يشتري الولد أمه وهو عارف بها أو حيث لا يشعر فالعلاقة الاستمتاعية بالاحكام الشرعية أو غلبة الجهل الناشئ عنه بيع أم الولد قال المؤلف وهذا لا يختص بامهات الاولاد بل يتصور في غيرهن فان الامة قد تلد من يطؤها غير سيدها بشبهة أو ولدا رقيقا بنكاح أو زنا ثم يباع بيعا صحيحا وتدور في الايدي حتى يشتريها ولدها الرابع ان ولد أم الولد لما كان شبيها في عتقها بموت أبيه أطلق عليه ذلك مجازا الخامس انه كناية عن كثرة عقوق الاولاد لامهاتهم فيعاملونهم معاملة السيد أمته من الاهانة والسب وأطلق عليه ربها مجازا لذلك ويتأنس له برواية ان تلد المرأة وبخبر لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا السادس ان المراد بالرب المربي فيكون حقيقة قال الحافظ ابن حجر وهذا أوجه الاوجه عندي لعمومه ومحصله ان الساعة يقرب قيامها عندما تنعكس الامور بحيث يصير المربي مربيا والعالم متعلما والسافل عاليا وأيد بانه المناسب لقوله في العلامة الاخرى وان تصير الحفاة العراة ملوك الارض وحينئذ فقول بعضهم في الرد عليه انه ليس باوجه الاوجه بل أضعفها الان النبي صلى الله عليه وسلم انما عد هذا من أشراط الساعة لكونه على نمط خارج على وجه الاستغراب دال على فساد أحوال الناس والذي ذكره ليس من هذا القبيل غير ظاهر نعم الانصاف ان قوله ربتها بالتأنيث يبعده ووقع في بعض الروايات ان تلد الامة بعلها وانصحيح ان البعل بمعنى السيد فتكون بمعنى ربها على ما سلف قال أهل اللغة بعل الشئ ربه ومالكه قال تعالى أتدعون بعلا أي ربا قاله ابن عباس وغيره وعن ابن عباس لم أدر معنى البعل حتى قلت لاعرابي من هذه الناقة قال أنا بعلها وضلت ناقة لبعض العرب فجعل ينادي من رأى ناقة أنا بعلها فجعل الصبيان يقولون له زوج الناقة وقيل المراد هنا الزوج ويكون معناه انه يكثر بيع السراري حتى يتزوج الانسان أمه وهو لا يدري وهذا أيضا معنى صحيح الا ان الاول أظهر لانه اذا أمكن حمل الروايتين في القصة لواحدة على معنى واحد كان أولى فان قيل كيف أطلق الرب على غير الله وقد ورد النهي عنه بقوله لا يقل أحدكم ربي وليقل سيدي ومولاي فالجواب ان الممنوع اطلاقه على غير الله بدون الاضافة وأما بالاضافة فلا يمنع ان يقال رب الدار ورب الناقة * (وان ترى الحفاة) * جمع حاف بالمهملة وهو من لا نعل برجله * (العراة) * من الثياب جمع عار وهو المتجرد من الثياب التي تلبس على جسده وفي رواية الحفدة أي الخدمة وآل للعموم عند الخاطب أو للتعريف الماهية لا الاستغراقية لقضاء العادة بان كلا منهم لا يحصل له ذلك * (العالة) * بتخفيف اللام أي الفقراء جمع عائل من عال افتقر كخائب وكتبة والالف في العالة منقلبة عن ياء والاصل عيلة والعيلة بالسكان الياء الفقر قال الله تعالى وان خفتم عيلة * (رعاء) * بكسر أوله وبالمد جمع

على أي شئ فعلت المعروف مع غير أهله قلت لها ولا بد من ان تقتليني قالت لا بد من ذلك قلت لها فامهليني حتى أصير تحت هذا الجبل فامهد لنفسي موضعا قالت شأنك قال فمضيت أريد الجبل وقد أيست من الحياة فرفعت طرفي الى السماء وقلت يا لطيف يا لطيف أسألك بي لطفك الخفي يا لطيف بالقدرة التي استويت بها على العرش فلم يعلم العرش أين مستقرك منه الا ما كفيتني هذه الحية ثم مشيت فعارضني رجل صبيح الوجه طيب الرائحة نقي من الدرن فقال لي سلام عليك قلت وعليك السلام يا أخي قال مالي أراك قد تغير لونك قلت من عدو قد ظلمني قال وأين عدوك قلت في جوفي قال لي افتح فاك قال ففتحت فمي فوضع فيه مثل ورق الزيتون أخضر ثم قال امضغ وابلع فمضغت وبلعت قال فلم أبث الا يسيرا حتى مغصني بطني ودارت في بطني فرميت بها من أسفل قطعة قطعة فتعلقت بالرجل وقلت يا أخي من أنت الذي من الله علي بك فضحك ثم قال الا تعرفني قلت لا قال انه لما كان بينك وبين الحية ما كان ودعوت بذلك الدعاء ضجت ملائكة السموات السبع الى الله عز وجل فقال وعزتي وجلالي بعيني كل ما فعلت بالحية بعهدي وأمري بحبائه وتعالى بالمجيء اليك وأنا يقال لي المعروف مستقري في السماء الرابعة ان انطلق الى الجنة فخذ ورقا

خضرا فالحق بها عبدى محمد بن حمير يا محمد عليك باصطناع المعروف فانه يقى مصارع السوء وان ضيفه المصطفع اليه لم يضع عند الله عز وجل * (المجلس الرابع عشر فى الحديث الرابع عشر) * الحمد لله على ما خص به من نعمه وآلائه حمدا أستجير به من أليم عقابه وبلائه والصلاة والسلام على خير أحبابه وأوليائه محمد وآله وصحبه وأزواجه وجميع أنبيائه اللهم سددنا فى القول والعمل واعصمنا من الخطايا والزلل واغفر لنا أجمعين برحمتك يا أرحم الراحمين (عن ابن ٨١ مسعود رضى الله عنه قال قال رسول

راع كجياع جمع جائع ويجمع أيضا على رعاة بضم أوله وهاء آخره مع القصر كقضاة جمع قاض وعلى رعيان كشاب وشبان والرعى حفظ الغير لمصلحة * (الشاء) * جمع شاة وهو من الجموع التى يفرق بينها وبين واحدها بالهاء كشجر وشجرة وتمر وتمرة زاد الاسماعيلى فى رواية الصم البكم أى لم يستعملوا أسماعهم ولا ألسنتهم فى علم ونحوه من أمر دينهم فلعدم حصول ثمرتى السمع واللسان صاروا كأنهم عدمزهما ومن ثم قال الله تعالى فى حقهم أولئك كالانعام بل هم أضل وفى رواية لمسلم رعاء البهم بفتح الباء الموحدة جمع بهيمة وهى صغار الضأن والمعز وقيل أولاد الضأن والمعز وقيل أولاد الضأن خاصة واقتصر عليه الجوهرى وفى رواية البخارى رعاء الابل البهم بضم الباء لا غير جمع بهم وهو الذى لا شية له قاله الكرمانى وقال القاضى جمع بهيم وهو الاسود الذى لا يخالطه لون غيره وعلى رواية البخارى فيه وجهان الرفع صفة لرعاء والجر صفة الابل والمعنى على الرفع أنهم مجهولو الانساب وقيل سود الالوان وقيل الذين لا شية لهم وعلى الجر الابل السود لانها شر الابل عندهم وخيرها الحمر التى يضرب بها المثل فيقال خير من حمر النعم قال فى الفتح ووقع فى رواية الاصيلى بفتحها ولا يتجه مع ذكر الابل وانما يتجه مع ذكر الضأن أو مع عدم الاضافة وخص مطلق الرعاء لانهم أضعف الناس ورعاء الشاء لانهم أضعف الرعاء ومن ثم قيل رعاء الشاء أنسب بالسياق من رواية رعاء الابل البهم فانهم أصحاب فخر وخيلاء وليسوا عالة ولا فقراء غالبا ويجاب بأن فخرهم انما هو بالنسبة لرعاء الشاء لا غير الرعاء فالقصد حاصل بذكر مطلق الرعاء ولكنه رعاء الشاء أبلغ فان قلت القصة غير متعددة فكيف الجمع بين الروايتين فالجواب كما قال الميمنى انه يحتمل انه صلى الله عليه وسلم جمع بينهما فقال رعاء الابل والشاء فظفر أو الاول وآخر الثانى (يتطاولون فى البنيان) أى يتفاخرون بطول البناء وكثرته وقد أخرج ابن أبى الدنيا عن عمار بن أبى عمار انه قال اذا وقع الرجل بناء فوق سبعة أذرع نودى يا أفسق الفاسقين الى أين ومثله لا يقال من قبل الرأى والتفاعل فيه بين أفراد المرأة الموصوفين بما ذكر لا بينهم وبين غيرهم من كان منزلا قليلا فجعل خلافا لمن وهم فيه وهو مفعول ثان ان جعلت الرؤية قلبية وحال ان جعلت بصرية ومعناه ان أهل البادية وأشباههم تبسط لهم الدنيا ويصيرون أهل ثروة وشوكة فيملكون البلاد ويتوطنونها فيتنون القصور المرتفعة ويتباهون بها فهو اشارة الى كون الاسافل يصيرون ملوكا أو كالملوك وتولى الرياسة من لا يستحقها وتعاطى السياسة من لا يحسنها وفى الحديث يؤجر ابن آدم فى كل شئ الا ما يضعه فى التراب وفات رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يشيد بنيانا ولا طوله وروى البيهقى فى شعب الايمان عن الاعمش عن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى بناء أكثر مما يحتاج اليه كان عليه وبالا وفى رواية عبد الرحمن بن حميد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كل ما أنفق العبد من نفقة فعلى الله خلفها ضامنا فيه الا نفقة فى بنيان أو معصية وعن عمر بن عبد العزيز انه كان لا يبنى بيتا ويقول سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة وعن ميسرة قال مابنى عيسى عليه السلام بنيانا قط فقيل له ألا تبنى بيتا فقال لا أترك بعدى شيأ

(١١ — شبر حيى) بين عينيه آيس من رحمة الله والاحاديث فى ذلك كثيرة شهيرة (تنبيه) قبل الشروع فى معنى الحديث تصح توبة القاتل عمدا الآن الكافر تصح توبته فهذا أولى ولا يتحتم عذابه بل هو فى خطر المشيئة ولا يخلد عذابه ان عذب وان أصر على ترك التوبة كسائر ذوى الكبائر غير الكفر وأما قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها فالمراد بالخلود المكث الطويل فان الدلائل تظاهرت على ان عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم أو مخصوص بالمستحيل كما ذكره عكرمة وغيره

الله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث الثيب الزانى والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة رواه البخارى ومسلم) اعلموا اخوانى وفقنى الله وايا كم لطاعته ان قتل الآدمى عمدا بغير حق من أكبر الكبائر بعد الكفر وقد سئل صلى الله عليه وسلم أى الذنب أعظم عند الله قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قيل ثم أى قال أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك رواه الشيخان وقال صلى الله عليه وسلم اجتنبوا السبع الموبقات قيل وما هن يا رسول الله قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات وقال صلى الله عليه وسلم من أعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة لقى الله مكتوبا

واذا انقبض منه الوارث أو صفا على مال أو جنايا ظواهر الشرع فتنفي سقوط المطالبة في الدار الآخرة كما أفتى به النووي وذكر مثله في شرح مسلم ومذهب أهل السنة ان المقتول لا يموت الا باجله والقتل لا يقطع الاجل خلافا للمعتزلة فانهم قالوا القتل يقطعه (قوله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم) أي لا يحل اراقة دمه اذ الاصل في الدماء العصمة عقلا وشرعا أما العقل فلما في قتله من افساد صورته المخلوقة في أحسن تقويم والعقل يأباه وأما الشرع فللنهي عنه في الكتاب العزيز بقوله تعالى ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ونحوه والسنة الغراء بقوله صلى الله عليه وسلم المتقدم وذكر المسلم هنا للتهويل والتعظيم فلا يفهم منه جواز قتل المعاهد والذمي ولا الصغير الكافر وان كان حربيا للنهي عن قتلهم (قوله صلى الله عليه وسلم الا باحدى ثلاث الثيب الزاني) أي المحصن ذكرا كان أو أنثى والمراد رجمه بالحجارة الى أن يموت كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بماعز والغامدية لما زنيا لان الثيب الزاني هتك عصمة الله تعالى فأبيح دمه وفيه مفسدة عظيمة فاقتضت الحكمة درأها بذلك وليعلم ان الزنا أكبر الكبائر بعد القتل ومن ثم قرنه الله تعالى بالشرك والقتل بقوله تعالى والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وسبب نزولها ان ناسا مشركين أكثروا من القتل والزنا فقالوا يا محمد ما تدعو اليه حسن لو تخبرنا أن تكون لما عملنا كفارة فنزلت ونزل قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية وقال صلى الله عليه وسلم يا معشر الناس اتقوا الزنا فان فيه ست خصال في الدنيا وثلاث في الآخرة أما التي في الدنيا فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر وأما التي في الآخرة فسخط الله

من الدنيا أذكر به وعن ابن مطيع انه نظر يوما الى داره فأعجبه حسنها فبكى ثم قال والله لولا الموت لكنت بك مسرورا ولولا ما يصير اليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا أعيننا ثم بكى حتى ارتفع صوته ومن ثم صح لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا الكع بن لكع قال أهل اللغة اللكع اللئيم والمرأة لكاع أي لئيم بن لئيم وصح أيضا من اشراط الساعة أن توضع الاخيار وترفع الاشرار قيل الامارات جمع وأقله ثلاثة على الاصح ولم يتكلم الا على اثنين فالجواب ان هذا ورد على من يرى ان أقله اثنان أو حذف الثالث لحصول المقصود بما ذكر كما قيل في قوله تعالى فيه آيات بينات مقام ابراهيم أو ان المذكور من الاشراط ثلاثة والبعض الرواة اقتصر على اثنين منها فذكر هنا الولادة والتطاول وذكر البخاري في التفسير الولادة ورؤية الحفاة وذكر في رواية أخرى الثلاثة وذكر هاتين العلامتين تحذيرا للحاضرين وغيرهم منهما والا فالساعة لها علامات كثيرة كغيض العلم وكثرة الزلازل وكثرة الفتن وفيض المال حتى لا يجد الرجل من يدفع له زكاة ماله وكثرة الهرج يعني القتل واضاعة الصلاة والامانة وأكل الربا وخروج الدجال وخروج يأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة المشار اليها بقوله تعالى واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون قال الترمذي فتخرج ومعها عصى موسى وخاتم سليمان فتجلو وجوه المؤمنين بالعصا وتختم أنف الكافر بالخاتم حتى ان أهل المائدة الواحدة يجتمعون فينادي بعضهم ببعض يا مؤمن يا كافر لا يدركها طالب ولا ينجو منها هارب حتى ان الرجل لينوء منها بالصلاة فتأتيه من خلفه وتقول يا فلان الآن تصلي قيل وهذه الدابة هي الفصيل الذي صالح عليه السلام فلما عقرت أمها هربت وانفتح لها حجر فدخلت فيه فانطبق عليها وهي وقت خروجها ولقد أحسن من قال

واذكر خروج فصيل ناقة صالح * تسم الورى بالكفر والايمان

قال الشيخ محمد المصري في تفسيره وهي الجساسة روى ان طولها ستون ذراعا ولها قوائم وزغب وريش وجناحان وتسير في الارض لا يدركها طالب ولا ينجو منها هارب وقيل هي فصيل ناقة صالح وروى على خلقة الآدميين وهي في السحاب وقوائمها في الارض وانها جمعت من خلق كل حيوان وتخرج ومعها عصى موسى وخاتم سليمان فتجلو المؤمن بالعصى وتختم أنف الكافر بالخاتم فيعلم من المؤمن وينقطع بخروجها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يؤمن كافر كما أوحى الله الى نوح ان يؤمن من قومك الا من قد آمن وقيل انها تخرج من الصفا وروى انه عليه السلام سئل عن مخرجها فقال من أعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام وقيل تخرج من تهامة وقيل من الكوفة من حيث فار تنور نوح وقيل غير ذلك ثم ان أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم من معظم الارض خروج الدجال ثم نزول عيسى وخروج يأجوج ومأجوج والآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي طلوع الشمس من مغربها ولعل خروج الدابة في ذلك الوقت أو قبله

الحساب وعذاب النار وليعلم أيضا أن حد الزاني جلد مائة وتغريب عام ان كان غير محصن وأما المحصنون وهو الحر المكلف الذي وطئ في نكاح صحيح ولو مرة في عمره فحده الرجم بالحجارة الى أن يموت كما قدمناه قال العلماء ومن مات من غير حد ولا توبة عذب بالنار بسياط من نار كما ورد أن في الزبور مكتوبا بان الزناة يعلقون بقروجهم يضربون عليها بسياط من حديد فاذا استغاث أحدهم من الضرب ناداه الزبانية أين كان هذا الصوت وأنت تضحك وتفرح وتمرح ولا تراقب ٨٣ الله تعالى ولا تستحي منه وجاء في السنة الشريفة تغليظ عظيم للزاني لاسيما بمحارمه الجار والتي غاب عنها زوجها وأعظم الزنا على الاطلاق الزنا بالمحارم وهو بأجنبية لازوج لها عظيم وأعظم منه بأجنبية لها زوج وزنا الثيب أقبح من البكر وزنا الشيخ لكمال عقله أقبح من زنا الشاب والحر والعالم لكمالهما أقبح من القن والجاهل وفي ذلك أحاديث كثيرة وللزنا ثمرات قبيحة منها انه يورد النار والعذاب الشديد ومنها انه يورث الفقر ومنها انه يؤخذ بمثله من ذريته الزاني ولما قيل لبعض الملوك ذلك أراد تحجر بنته في بيت له وكانت غاية في الجمال أنزلها مع امرأة فقيرة وأمرها أن لا تمنع أحدا أراد التعرض لها بأي شيء شاء وأمرها بكشف وجهها وانها تتطوف بها في الاسواق فامتثلت فمارت بها على أحد الا وأطرق رأسه منها حياء وخجلا ولم يعد أحد نظره اليها فلما قربت من دار الملك اعتزيد الدخول بها فاء سكها انسان وقبلها ثم ذهب عنها فادخلتها على الملك فسألها عما وقع فذكرت له القصة فسجد شكرا لله تعالى وقال الحمد لله ما وقع مني في عمري قط الا قبلة واحدة لامرأة وقد وصيت بها في الخواني السعيد من حفظ فرجه وغض بصره وكف يده وقيل ان بعض العرب عشق امرأة وأنفق عليها أموالا كثيرة حتى مكنته من نفسها فلما جلس بين شعبها وأراد الفعل أله وه الله التوفيق ففكر ثم أراد القيام عنها فقالت له ما شأنك فقال من بيع

منه وأول الآيات المؤذنة بقيام الساعة النار التي تحشر الناس (فانطلق) السائل أي ذهب (فلبثت) بضم الثاء للتكلم اخبارا عن نفسه أي مكثت وفي رواية فلبث أي النبي صلى الله عليه وسلم يغني أمسك عن الكلام (مليا) بتشديد المثناة التحتية من غير همز وقد يهمز وهو أكثر ومليا أي زمنا طويلا وجاء في رواية أبي داود والترمذي أنه لبث ثلاثا وظاهرها انها ثلاث ليال ولا ينافيه ما ورد أنه صلى الله عليه وسلم ذكره في المجلس لان عمر لم يحضر قول النبي صلى الله عليه وسلم بل كان قام امام الذين توجهوا في طلب الرجل أو لشغل آخر ولم يرجع مع من رجع لعارض فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم الحاضرين في الحال ولم يتفق الاخبار لعمر الا بعد ثلاثة وملي من الملاومة وهي طول المدة يقال غبت عنه ملاومة من الدهر بالحركات الثلاث ومنه يقال لليل والنهار الملوان (ثم قال) أي النبي صلى الله عليه وسلم (يا عمر) تخصيصه من بين الصحابة بالذكر يدل على جلالة ورفعة مقامه ومنزلته عند النبي صلى الله عليه وسلم (أتدري من السائل قلت الله ورسوله أعلم) قال زين العرب في شرحه للصابيح لم يقل أعلما لان من التفضيلية مقدرة أي الله ورسوله أعلم من غيرهما اه وفيه حسن ما كان عليه الصحابة من مزيد الادب معه لردهم العلم الى الله والبه وكذا ذكره الشارح الهيتمي ومن المعلوم أن ذلك انما يحسن عنده من الادب لو كانوا يعلمون من السائل وردوا العلم اليه اجلالا له وهم كانوا غير عالمين قطعا الا أن يقال ان فيه حسن الادب من جهة تفويض العلم اليهما بخلاف لا نعلم (قال هذا جبريل) اسم سرياني غير منصرف للعلمية والعجمة وهو مركب من جبر وهو العبد وايل وهو الله أو الرحمن أو العزيز فمعناه عبد الله أو عبد الرحمن أو عبد العزيز وذهب ابن العربي الى أن هذا وما شابهه اضافته مقلوبة كما هي في كلام العجم يقولون في غلام زيد زيد غلام فيكون ايل عبارة عن العبد وأوله عبارة عن اسم من أسمائه والاكثرون على الاول وجبريل له ستمائة جناح ومن وراء ذلك جناحان أخضران لا ينشرهما الا في ليلة القدر وله جناحان آخران لا ينشرهما الا عند هلاك القرى وقد ورد أنه اقتلع مدائن قوم لوط ورفعها حتى سمع أهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب ثم جعل عاليها سافلها وفيه لغات كسر الجيم والراء فتثناة تحتية ساكنة والثانية كذلك لكن الجيم مفتوحة والثالثة فتح الجيم والراء وبهمزة بعدها فمثناة تحتية وبلا مثناة بعد الهمزة وفيه لغات أخر أوصلها بعضهم ثلاث عشرة لغة (أتاكم يعلمكم) بسبب سؤاله لان الموصول بعد الطلب أعز من المسافي بلا تعب ونسبة التعليم اليه مجاز والا فالمعلم حقيقة هو النبي صلى الله عليه وسلم وقوله يعلمكم جملة حالية لكنها حال مقدرة لانه لم يكن وقت الاتيان معلما (دينكم) أي قواعده وكلياته وأستفيد منه أن الدين مجموع الاسلام والايمان والاحسان ولا ينافيه أن الدين وحده يسمى اسلاما كما يصرح به ورضيت لكم الاسلام دينا لانه كما يطلق على الثلاثة يطلق على الاول منها وحده واطلاقه على هذين المعنيين اما بالاشتراك أو بالحقيقة والمجاز أو بالتواطؤ ففي الحديث أطلق الدين على مجموع الثلاثة وهو أحد مدلوليه وفي الآية أطلقه على هذا الفرد وهو الاخر وأما الجواب بان دينا لا عموم له لانه نكرة ونصبه على التمييز والتقدير رضيت لكم الاسلام من

جنة عرضها السموات والارض فقدر قتل الخبر بالساحر ثم تركها ذهب به ووقع لبعض الصالحين أن نفسه حدثته بقتل نفسه وكان عنده قتيلة فقال لنفسه يا نفس انى أدخل أصبعى فى هذه القتيلة فان صبرت على حرها كذلك سأعاتريدين ثم أدخل أصبعه فى القتيلة حتى أحست نفسه أن الروح كادت تزهق منه من شدة حر ما فى قلبه وهو يتجلد على ذلك ويقول لنفسه هل تصبرين وانا أصبرى على حر هذه النار اليسيرة التى أطفئت ٨٤ بالماء سبعين مرة حتى قدر أهل الدنيا على مقابلتها فكيف تصبرين على حرارة

جهنم المتضاعفة حرارتها على هذه سبعين ضعفا فرجعت نفسه عن ذلك الخاطر ولم يخطر لها بعد فنسأل الله تعالى التوفيق * واعلم أن الاوطاء من الكبائر وقد سماه الله تعالى فاحشة وخبيثة وأجمعت الصحابة على قتل فاعل ذلك وانما اختلفوا فى كيفية قتله فذهب قوم الى أن حد الفاعل حد الزنا ان كان محصنا رجم وان لم يكن محصنا جلد مائة وهو قول ابن المسيب وعطاء والحسن وقتادة والنخعى وبه قال الثورى والاوزاعى وهو أظهر قولى الشافعى رحمهم الله وذهب قوم الى غير ذلك والاحاديث فى ذم اللواط كثيرة عافانا الله تعالى من ذلك آمين

(قوله والنفس بالنفس) أى فتقتل ظلما وعدوانا بما يقتل غالبا قال الله تعالى وكتبنا عليهم فيها يعنى التوراة أن النفس بالنفس والعين بالعين الآية والمراد النفوس المتكافئة فى الاسلام والحرية وشروط القصاص مذكورة فى كتب الفقه يصلى

فلتراجع منها وسبب قتل النفس بالنفس أن القاتل لما هتك عصمة النفس وهى عظيمة أخذت فى مقابلة نفسه المعصومة وهى مصلحة عظيمة ولكم فى القصاص حياة (قوله والتارك لدينه) أى المرتد عنه لغير الاسلام والعياذ بالله تعالى فيقتل فلم يعد الى الاسلام لقوله صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه والردة أخبث أنواع الكفر (قوله المفارق للجماعة) وصف عام للتارك لدينه

الدين وهو خصلة من الخصال الثلاثة فخرج بقوله ان الدين عند الله الاسلام فانه صريح فى أن الاسلام جميع الدين لا بعضه (رواه مسلم) فى كتاب الايمان

* (الحديث الثالث) *

(عن أبى عبد الرحمن عبد الله بن عمر) القرشى العدوى المكى وأمه زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة الجمحى أخت عثمان بن مظعون أسلم مكة قديما مع أبيه وهو صغير وهاجر معه ولا يصح قول من قال انه أسلم قبل أبيه وهاجر قبله ولم يشهد بدرا وعرض على النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد وهو ابن أربع عشرة فرده ثم عرض عليه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة فاجازه ثم لم يتخلف بعد عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو أحد العبادلة الاربعة وثانيهم ابن عباس وثالثهم عبد الله بن عمرو بن العاص ورابعهم عبد الله بن الزبير ووقع فى مبهمات النووى وغيرها ان الجوهرى أثبت ان ابن مسعود منهم وحذف ابن عمر وليس كذلك لانه مات قبل اشتهار الاربعة بالعبادلة وأحد الستة الذين هم أكثر الصحابة رواية وثانيهم أبو هريرة وثالثهم ابن عباس ورابعهم عائشة وخامسهم جابر بن عبد الله وسادسهم أنس بن مالك وزاد العراقى فى شرحه لالفيته سابعا وهو أبو سعيد الخدرى وذكر بعضهم انهم سبعة فزاد الصديق موضع أبى سعيد وذكر موضع جابر سعدا ونظمهم بقوله

سبع من الصحب فوق الالف قد نقلوا * من الحديث عن المختار خير مضر

أبو هريرة سعد عائش أنس * صديقه وابن عباس كذا ابن عمر

فيؤخذ من مجموع ذلك انهم تسعة قلت وفى ذكر الصديق نظر لان جملة ما روى له مائة حديث واثنان وأربعون حديثا كما قاله المصنف فى تهذيبه والسبب فى قلة الرواية عنه مع تقدمه وسبقه وملازمته للنبى صلى الله عليه وسلم انه تقدمت وفاته قبل انتشار الحديث واعتناء الناس بسماعه وتحصيله وحفظه أه قال جابر ما منا الا من نال من الدنيا ونالت منه الا عمر وابنه وقال طاوس ما رأيت رجلا أورع من ابن عمر ولا أحدا أعلم من ابن عباس وقال سعيد بن المسيب لو كنت شاهدا لاحد من أهل العلم انه من أهل الجنة لشهدت لعبد الله بن عمر وجلس فى الحجر هو ومصعب وعروة وعبد الله بن الزبير فقال تمنوا فقال عبد الله بن الزبير أما أنا فاتمنى الخلافة وقال عروة أما أنا فاتمنى أن يؤخذ عنى العلم وقال مصعب وأما أنا فاتمنى امارة العراق والجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين وقال عبد الله بن عمر وأما أنا فاتمنى المغفرة فقالوا ما تمنوا ولعل ابن عمر قد غفر له وروى عنه أنه قال كان الرجل فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأى رؤيا قصها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتمنيت أن أرى رؤيا أقصها على النبى صلى الله عليه وسلم وكنت أنام فى المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا فى كنت غلاما شابا عزبا فرأيت فى النوم كان ملكين أخذانى فذهبا بى الى النار فاذا هى مطوية كطى البئر وأرى فيها أناسا قد عرفتهم فجعلت أقول أعوذ بالله من النار أعوذ بالله من النار فلقيهما ملك آخر فقال لى لن تراع فقصصتها على حفصة فقصتها حفصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم الرجل عبد الله لو كان

لانه اذا ارتد عن دين الاسلام فقد أخرج عن دين جماعتهم ويدخل في هذا الوصف كل من خرج عن جماعة المسلمين وان لم يكن مرتدا كالخوارج وأهل البدع وعلى هذا قال القابسي رحمه الله يقاتل المرتد حتى يرجع الى دينه ويقاتل الخارج عن الجماعة حتى يرجع اليها وليس بكافر ويمكن أن يكون خروجه كفرا أورده والحكمة في قتل التارك لدينه انه لما حل نظام عقد الاسلام حل قتله بالسيف ونحوه * واعلم ان المقصود بهذا الحديث بيان عصمة الدماء ٨٥ ومايباح منها وان الاصل فيها العصمة

ويدل لذلك قوله صلى الله عليه وسلم فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها الى غير ذلك من الاحاديث (خاتمة المجلس) قال الغزالي رحمه الله تعالى لو زعم زاعم ان بينه وبين الله تعالى حالة أسقطت عنه الصلاة وأحلت له شرب الخمر وأكل مال السلطان كما زعمه بعض من ادعى التصوف فلا شك في وجوب قتله وان كان في خلوده في النار نظر وقتل مثله أفضل من قتل مائة كافر لان ضرره أكثر اللهم ارزقنا التوفيق لأقوم طريق آمين يارب العالمين

* (المجلس الخامس عشر في الحديث الخامس عشر) *

الحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الكريم وعلى آله واصحابه ذوي الطبع السليم اللهم هب لنا قولا صادقا وعملا صالحا وفرجا عاجلا يا أرحم الراحمين (عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه رواه البخاري ومسلم) * اعلموا اخواني وفقني الله وايا كم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم وجميع آداب الخير تتفرع منه كما ذكر بعضهم رحمه الله (قوله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) أي

بصلي من الليل فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل الا قليلا وفي رواية أخرى انه قال رأيت في المنام كان بيدي قطعة استبرق ولا أشير بها الى مكان من الجنة الا طارت بي اليه فقصصتها حفصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان أخاك رجل صالح أو ان عبد الله رجل صالح وعن عبد الله بن أبي عثمان قال كان عند عبد الله بن عمر جارية يقال لها ميمونة فقال اني سمعت الله عز وجل يقول في كتابه ان تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون واني والله كنت لاحبك في الدنيا اذهبي فانت حرة لوجه الله تعالى ولولا اني لا أعود في شيء جعلته لله لنكحتها فانكحها نافعا وهي أم ولده وقال نافع كان ابن عمر اذا اشتد عجبه لشيء من ماله قربه لله عز وجل وربما تصدق في المجلس الواحد بثلاثين ألفا وحج ستين حجة واعتمر ألف عمرة وحمل على ألف فرس في سبيل الله واعتق ألف رقبة وكان رقيقه قد عرفوا ذلك منه فربما شمر أحدهم فلزم المسجد فاذا رآه ابن عمر على تلك الحالة الحسنة اشتقه فيقول له أصحابه يا أبا عبد الرحمن والله ما بهم الا ان يخدعوك فقال ابن عمر من خدعنا بالله انخدع له وراح على نجيب له قد أخذه بمال فلما أعجبه سيره اتاه صاحبه ثم نزل عنه فقال يا نافع انزع عواز مامعور حله وجلاوه واشعروه وادخلوه في البدن وعن أبي هلال ان عبد الله بن عمر نزل الجحفة وهو شاك فقال اني لاشتهي حيتانا فالتمسوا له فلم يجدوا الا حوتا واحدا فاخذته امرأته صفية بنت أبي عبيد وصنعته ثم قربته اليه فاتى مسكين حين وقفت عليه فقال له ابن عمر خذه فقال أهل سبحان الله قد عنفت ومعناز اد نعطيه فقال ان شئت وفي ما أريده وعن نافع انه اشتكى فاشترى له عنقود عنب بدرهم فجاء المساكين فقال اعطوه اياه فخالف اليه انسان فاشتراه منه بدرهم ثم جاء به اليه فجاء المسكين يسأل فقال اعطوه اياه ثم خالف اليه انسان فاشتراه منه بدرهم فاراد ان يرجع فمنع ولو علم ابن عمر بذلك العنقود ما ذاقه واعطاه ابن جعفر في رقيقه نافع عشرة آلاف دينار فقال له عاصم بن محمد يا أبا عبد الرحمن شأنك بالتجار فقال فهلا ما هو خير من ذلك هو حر لوجه الله عز وجل وعن ميمون بن مهران قال أتى ابن عمر اثنان وعشرون ألف دينار في مجلس فلم يقم حتى فرقها وبعث اليه معاوية بمائة ألف فما حال الحول وعنده شيء منها وكان لا يسأل أحدا شيأ وكان يقول لا أسأل أحدا شيأ ولا أرد ما رزقني الله وعنه أيضا ان امرأة ابن عمر عوتبت فيه فقيل لها أما تطلقين هذا الشيخ قالت فكيف أصنع به ما أصنع طعاما الا دعا اليه من يأكله فارسلت الى قوم من المساكين كانوا يجلسون بطريقه اذا خرج من المسجد فاطعمتهم وقالت لهم لا تجلسوا بطريقه ثم جاءها الى بيته وقال أرسلوا الى فلان وفلان وكانت امرأته قد ارسلت اليهم طعاما وقالت اذا دعاكم فلا تأتوه فقال ابن عمر أردتم ان لا اتعشى الليلة فلم يتعش تلك الليلة وعن أبي بكر بن حفص انه كان لا يأكل طعاما الا وعلى حواليه يتيم وعن يحيى الغساني انه جاءه سائل فقال لابنه اعطه دينارا فلما انصرف قال له ابنه تقبل الله منك يا أبت فقال لو علمت ان الله عز وجل تقبل مني سجدة واحدة أو صدقة واحدة بدرهم واحد لم يكن غائب أحب الي من الموت أتدري من يتقبل الله انما يتقبل الله من المتقين وشرب ماء مبردا فبكى واشتد بكاؤه فقيل له ما يبكيك فقال له ذكرت آية في كتاب الله عز وجل وحيل بينهم وبين ما يشتهون فعرفت

يوم القيامة سحق بذلك لانه لا ليل بعده ولا يسعى يوما الا ما عقبه ليل والمراد باذكر كمال الايمان أو المبالغة فى ذلك (قوله فليقل خيرا) هو ما فيه ثواب من القول (قوله أو ليصمت) بفتح الياء وضم الميم وحقيقة الصمت السكوت مع القدرة على النطق فان توقف فيه فهو الهى بكسر العين أو فسدت آلة النطق فهو الخرس * قال الله تعالى وقولوا قولا سديدا وقال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد * وقال صلى الله عليه وسلم امسك عليك لسانك وهل يكب الناس على وجوههم أو على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم * وقال صلى الله عليه وسلم كل كلام ابن آدم عليه الا ذكر الله أو أمرا بالمعروف أو نهيا عن المنكر والاحاديث فى ذلك كثيرة شهيرة فيا اخوانى ما أكثر آفات اللسان وقد عدت فوق العشرين آفة قال الامام الشافعى رحمه الله اذا أراد الشخص ان يتكلم فعليه أن يفكر قبل كلامه وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى لا يلقى لها بالا يرفع الله تعالى بها درجاته وان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقى لها بالا يهوى بها فى جهنم وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله ما النجاة قال امسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك قال الترمذى حديث حسن صحيح وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا أصبح ابن آدم فان الاعضاء كلها تفكر اللسان فتقول اتق الله فينا فانا نحن بك فان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا وعن الاستاذ أبى القاسم القشيرى رحمه الله فى رسالته قال الصمت علامة وهو الاصل والسكوت فى وقته صفة الرجال كما ان النطق فى موضعه اشرف الخصال ومما انشدوه احفظ لسانك أيها الانسان * لا يلدغنك انه ثعبان وقال الرقاش رحمه الله تعالى كم فى المقابر من قتيل لسانه

ان أهل النار لا يشتهون شيأ مثل شهوتهم الماء البارد وقد قال الله عز وجل أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله وكان اذا قرأ آية الايمان للذين آمنوا ألم تخشع قلوبهم لذكر الله بكى حتى تدمع عيناه ويكاد يكون يقول لا يصيب عبد شيأ من الدنيا الا انتقص من درجاته عند الله عز وجل وان كان على الله كريما توفى بمكة عن أربع وثمانين وقيل ست وثمانين سنة وذلك سنة أربع وسبعين وقيل سنة ثلاث وسبعين شهيدا فان الحجاج خطب يوما فاخر الصلاة فقال له ابن عمر ان الشمس لا تنتظرك فقال له الحجاج لقد هممت أن أضرب الذى فيه عيناك فقال له عبد الله انك لسفيه مسلط فتغير من ذلك وأمر رجلا فسم زج رمحه أى الحديدة التى فى أسفله فرمحه فى الطواف ووضع الزج على قدمه فرض أباما ولما دخل الحجاج ليعوده قال لو أعلم الذى أصابك اضربت عنقه فقال عبد الله أنت الذى أصبتنى وأوصى أن يدفن فى الحل فلم تنفذ وصيته وصلى عليه الحجاج ودفن بذى طوى فى مقبرة المهاجرين وقيل بفخ بفتح الفاء وبالخاء المعجمة موضع بقرب مكة وقيل بالحصبة وقيل بسرف وكلها مواضع بقرب مكة بعضها أقرب الى مكة من بعض روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف حديث وستمائة وثلاثون حديثا اتفق الشيخان منها على مائة وسبعين وانفرد البخارى منها بثمانين ومسلم باحد وثلاثين (رضى الله عنهما) أشار به الى أنه ينبغى لكل من ذكر صحابيا بما له أن يترضى عنهما (قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى كلامه وفى نسخة النبى صلى الله عليه وسلم (يقول) فالمسموع الصوت لا الشخص كما مر (بنى) بالبناء للمفعول أى أسس (الاسلام) اذ أصل البناء يكون فى المحسوسات لا فى المعانى ففيه تشبيه معنوى بحسى فان المصطفى صلى الله عليه وسلم لبلاغته أراد أن يفيد أصحابه ما لا عهد لهم فصاغ لهم أمثلة من أساليب كلامهم ليفهموا بما يعرفون ما لا يعرفون ووجه الشبه أن البناء الحسى اذا انهدم بعض اركانه لا يتم فكذلك البناء المعنوى ولذا قال صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد الدين فمن أقامها فقد أقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين وكذلك بقية المبانى وفى قوله بنى استعارة بالكناية وهى عند صاحب التلخيص أن يضمر التشبيه فى النفس ولا يصرح شيء من أركانه سوى المشبه والدلالة على ذلك التشبيه بذكر شيء من خواص المشبه به يسمى تخييلا لانه يخيل أن المشبه من جنس المشبه به فشبه الاسلام ببناء عظيم محكم له دعائم وأركان الآتية بقواعد ثابتة محكمة حاملة لذلك البناء فذكر المشبه وطوى ذكر المشبه به وأسند اليه ما هو من خواص المشبه به وهو البناء وهو تخييل ويجوز أن تكون استعارة تبعية بان تقدر الاستعارة فى بنى والقرينة الاسلام شبه ثبات الاسلام واستقامته على هذه الاركان ببناء المحتاج على الاعمدة المحسية ثم اشتق منه لفظ بنى فوقعت أولا فى المصدر ثم سرت فى الفعل والاول أظهر (على) متعلق بقوله بنى (خمس) أى دعائم كما صرح به عبد الرزاق فى روايته وفى رواية لمسلم خمسة أى خمسة أشياء أو اركان وأصول قال الكرمانى وهذا دقيقة جليلة وهى ان أسماء العدد اذا يكون تذكيرها بالتاء وتانيثها بسقوطها اذا كان المميز مذكورا والاجاز الامران كما صرح به النحاة وذكره النووى فى شرح مسلم فى حديث من صام رمضان وأتبعه ستا من شوال فكأنما صام الدهر كله فان قيل قوله بنى

كانت شهاب القاه الشجعان وقال بعضهم لعمرك ان فى ذنبى لشغلا ٭ لنفسى عن ذنوب بنى أمية على ربى حسابهم اليه ٭
تناهى علم ذلك لا اليه فليس بضائرى ما اذ أتوه ٭ اذا ما الله أصلح ما لديه (قوله ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم
جاره) قال الله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى أى
القريب منك فى الجوار والنسب والجار الجنب أى البعيد منك فى الجوار والنسب ٨٧ وقد وردت اخبار كثيرة فى اكرام

الاسلام على خمس يلزم عليه بناء الشئ على نفسه لان الاسلام هو هذه الامور الخمسة والمبنى لا بد ان
يكون غير المبنى عليه فالجواب ان المراد بالاسلام التذلل العام الذى هو اللغوى لا الشرعى الذى هو فعل
الواجبات الثانى ان على بمعنى الباء أو بمعنى من كما فى قوله تعالى الا على أزواجهم وقوله اذا اكتالوا على
الناس يستوفون ولا حاجة الى جواب بعضهم بان الاسلام عبارة عن المجموع والمجموع غير كل واحد
من أركانه ومثاله البيت من الشعر يجعل على خمسة أعمدة أحدها أوسط والبقية اركان فما دام الوسط
قائما فمسمى البيت موجود ولو سقط منها ما سقط من الاركان فاذا سقط الاوسط سقط مسمى البيت
فالبيت بالنظر الى مجموعه شئ واحد وبالنظر الى أفراده أشياء اه فان قيل الاربعة الاخيرة مبنية على
الشهادة اذ لا يصح شئ منها الا بعد وجودها وكيف يضم مبنى الى مبنى عليه ويدخلان فى سلك واحد
فالجواب انه يجوز ان يبنى أمر على أمر وبنى على الامرين أمر آخر الثانى ان الاربعة ليست مبنية على
الشهادة بل صحتها موقوفة عليها وذلك غير معنى بناء الاسلام على الخمس وقوله على الخمس وجه الحصر
فى الخمسة ان العبادة اما قولية أو غيرها الاولى الشهادتان والثانية اما تركية أو فعلية الاولى الصوم
والثانية اما بدنية أو مالية أو مركبة منهما الاولى الصلاة والثانية الزكاة والثالثة الحج (شهادة) بجره مع
ما بعده بدلا من خمس بدل كل من كل وهو الاحسن ويجوز رفعه بتقدير مبتدأ أى هى أو احدها
أو خبر أى منها وهو أولى لايثارهم حذفه على حذف المبتدا لان الخبر كالفضلة بالنسبة اليه
ويجوز نصبه باضمار أعنى (ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله) اضافة تشريف قال الحافظ
ابن حجر ولم يذكر الايمان بالملائكة وغيرهم مما فى خبر جبريل لانه أراد بالشهادة تصديق الرسول فى
كل ما جاء به فيستلزم ذلك (واقام) أصله أقوام فنقلت فتحة الواو الى الساكن قبلها فحذفت
الواو لالتقاء الساكنين وعرض عنها التاء فيقال اقامة والمضاف اليه كما صرح به هنا بقوله (الصلاة)
واقامة الصلاة كناية عن الاتيان بها باركانها وشروطها (وايتاء) أى اعطاء (الزكاة) الى
أهلها أو الامام ليدفعها لهم فحذف المفعول الاول للعلم به وفى الحديث انه صلى الله عليه وسلم
قال من فرق بين ثلاث فرق الله بينه وبين رحمته يوم القيامة من قال اطيع الله ولا أطيع
الرسول والله تعالى يقول أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ومن قال اقيم الصلاة ولا آتى الزكاة والله
تعالى يقول أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ومن فرق بين شكر الله وشكر والديه والله تعالى
يقول أن اشكر لى ولوالديك وروى البخارى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم
القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه أى بكسر اللام والزاى بينهما هاء ساكنة يعنى شدقيه أى
بكسر الشين المعجمة وهى جانبا الفم ثم يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا ولا تحسبن الذين يبخلون الآية
والشجاع من الحيات هو الحية الذكر الذى يواثب الفارس والراجل ويقوم على ذنبه وربما بلغ
الفارس وربما يكون فى الحجارى وقيل كل حية شجاع والاقرع من الحيات الذى تمعط رأسه وابيض
من السم والزبيبتان بزاى معجمة مفتوحة فموحدتين بينهما تحتية ساكنة نقطتان منقوطتان فى

الجار والوصية به منها هذا الحديث ومنها انه
صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ما تقولون
فى الزنا قالوا حرام حرمه
الله ورسوله فهو حرام
الى يوم القيامة فقال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم لان يزنى الرجل
بعشر نسوة أيسر عليه
من أن يزنى بامرأة جاره
ثم قال ما تقولون فى
السرقة قالوا حرام حرمها
الله ورسوله فهى حرام
الى يوم القيامة فقال لان
يسرق الرجل من عشرة
أبيات أيسر عليه من أن
يسرق من بيت جاره
رواه الامام أحمد ومنها
قوله صلى الله عليه
وسلم والله لا يؤمن والله
لا يؤمن والله لا يؤمن
قيل يا رسول الله لقد
خاب وخسر من هو قال
من لا يأمن جاره بوائقه
قالوا وما بوائقه قال شره
رواه البخارى ومنها
قوله صلى الله عليه
وسلم من آذى جاره فقد
آذانى ومن آذانى فقد

آذى الله ومن حارب جاره فقد حاربنى ومن حاربنى فقد حارب الله عز وجل رواه أبو الشيخ ومنها ما جاء عن عبد الله بن عمر رضى الله
عنهما قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة فقال لا يصحبنا من آذى جاره فقال رجل من القوم انا بات فى حائط جارى
فقال لا تصحبنا اليوم رواه الطبرانى ومنها ما جاء عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رجل يا رسول الله ان فلانة تذكر
من كثرة صلاتها وصدقتها وصيامها غير انها تؤذى جيرانها بلسانها قال هى فى النار قال يا رسول الله ان فلانة تذكر من قلة

جانب شدقيه من السم كالزغوتين ويكون ذلك في شدق الانسان اذا غضب وأكثر من الكلام وقيل
ابن دريد نقطتان سوداوان فوق عينيه وقيل يحتمل ان شبه رهو أوحش ما يكون من الحيات واخبثه
وفي تلاوة الرسول الآية عقب ذلك دلالة على انها نزلت في مانع الزكاة وفي الحديث ما من صاحب
ذهب ولا فضة لا يؤدي حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها وجهه وجبينه
وظهره كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى الله بين العباد فيرى سبيله
اما الى الجنة واما الى النار وخصت هذه الثلاثة بالكي لبشاعته وشهرته في الوجه والجنب والظهر ولانه
أوجع وأشد ألما وقيل الوجه لتعبيسه في وجه السائل أولا والجنب لازوراره عن السائل ثانيا
والظهر لانصرافه اذا ألح بالسؤال وقيل غير ذلك (وحج) بفتح الحاء لغة الحجاز وكسرها لغة نجد وكلاهما
مصدران وقيل المكسور اسم والمفتوح مصدر (البيت وصوم رمضان) الاضافة فيهما من اضافة
الحكم الى سببه لان سبب الحج البيت وهذا لا يتكرر لعدم تكرر البيت والشهر يتكرر فيتكرر الصوم
ووقع في هذه الرواية تقديم الحج على الصوم وفي رواية لمسلم عن ابن عمر تقديم الصوم عليه وقدم
الشهادتين لانهما ملاك الامر كله واصله اذ الباقي مبني عليهما ومشروط بهما وبهما النجاة في الدارين
ثم الصلاة لان الله تعالى جعلها في كتابه العزيز تالية للايمان بقوله الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون
الصلاة ولانها عماد الدين ويقتل تاركها ولشدة الحاجة اليها لتكررها في كل يوم وليلة خمس مرات
ثم الزكاة لانها قرينة الصلاة في أكثر المواضع ولانها قنطرة الاسلام ولاعتناء الشارع بها لذكرها أكثر
من غيرها من الصوم والحج في الكتاب والسنة ولتعلقها بالمكلف وغيره كما هو مذهب أكثر العلماء
ثم الحج للتغليظات الواردة فيه من نحو ومن كفر فان الله غني عن العالمين ونحو قوله صلى الله
عليه وسلم من لم تحبسه حاجة ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا فان قلت لم
يقع الصوم آخرا وقوله من لم تحبسه حاجة أي من مرض أو نحوه وعلى الرواية الثانية قدم الصوم على
الحج لتقدم زمن وجوب الصوم لان وجوبه كان في السنة الثانية وفرضية الحج في سنة ست وقيل تسع
بالمثناة الفوقية ولانه أعم وجوبا لتكرره في كل عام ولوجوبه على الفور اجماعا بخلاف الحج ولان
العبادة اما بدنية محضة أو مركبة منهما والمفرد مقدم على المركب طبعا فقدم عليه وضعا ليوافق الوضع
الطبع وافهم ظاهر الحديث ان المكلف لا يكون مسلما عند ترك شيء من الاربعة الاخيرة لكن
صرفه عن ظاهره انعقاد الاجماع على ان العبد لا يكفر بترك شيء منها واما قوله عليه الصلاة والسلام
من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر فهو محمول على الزجر والوعيد أو مؤول بما اذا كان مستحلا
أو محمول على كفران النعمة * (فائدة) * اعلم ان الحج يكفر الصغائر اتفاقا وكذلك الكبائر على الاظهر
كما قاله الآبي وابن حجر واما التبعات فقال القرافي لا يسقطها وظاهر كلام ابن حجر وغيره استقلاله
اياها للاحاديث الواردة على ذلك أجمعوا على عدم سقوط قضاء ما ترتب عليه من الصلوات
والكفارات وحقوق الآدميين من دين وغيره اه قاله شيخنا على الاجهوري في شرحه على
مختصر الشيخ خليل وقال الزواوي في شرح المختصر انه يكفر الصغائر والكبائر حتى التبعات على
المعتمد اذا مات في الحج أو بعده ولم يمكنه أداؤها ولم يذكر في الحديث الجهاد مع انه الذروة العليا ومع
كونه ذروة سنام الامر كما يأتي لانه فرض كفاية يسقط باعذار كثيرة ولا يتعين الا في بعض الاحيان بخلاف

صلاة وصيامها غير انها تتصدق بالاثوار من الاقط ولا تؤذي جيرانها قال هي في الجنة رواه الامام أحمد وغيره والاثوار بالمثلثة
جمع ثور وهي القطعة من الاقط بفتح الهمزة وكسر القاف شيء يتخذ من مخيض الغنم ومنها ما جاء عن معاذ بن جبل قال قلنا يا رسول الله
ما حق الجار على الجار قال ان مرض عدته وان مات شيعته وان استقرضك أقرضته وان أعوز سترته وان أصابه خير
هنأته وان أصابته مصيبة عزيته ولا ترفع بناءك فوق بنائه فتسد عليه الريح ولا تؤذه بريح قدرك الا أن تغرف له منها رواه الطبراني وفي رواية من طريق آخر لهذا الحديث فان اشتريت فاكهة فاهد له منها فان لم تفعل فادخلها سرا ولا تخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده رواه الخرائطي عن ابن عمر رضي الله عنهما وابن شعيب عن أبيه عن جده ومنها قوله صلى الله عليه وسلم ما آمن بي من بات شبعانا وجاره جائع الى جنبه وهو يعلم رواه الطبراني ومنها قوله صلى الله عليه وسلم ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه رواه البخاري ومسلم ومنها قوله صلى الله عليه وسلم من يأخذ عني هذه الكلمات فليعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن فقال أبو هريرة قلت أنا يا رسول الله فأخذ بيدي فعد خمسا قال اتق المحارم تكن أعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وأحسن الى جارك تكن مؤمنا وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ولا تكثر الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب رواه الترمذي وغيره وقال صلى الله عليه وسلم خير الاصحاب

المذكورات

المذكورات في الحديث فانها فرائض اعيان بل قد ذهب جماعة الى ان فرض الجهاد قد سقط بعد فتح مكة وذكر انه مذهب ابن عمر والثوري وابن سيرين ونحوه لحنون من أصحابنا الا أن ينزل العدو بقوم أو يأمر الامام بالجهاد فيلزم عند ذلك (رواه البخاري) في الايمان والتفسير رباعيا (ومسلم) في الايمان والحج خماسيا

(الحديث الرابع)

(عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود) بن غافل بمعجمة وفاء ابن حبيب بن شمخ بن فارس بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحرث بن تيم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر وأمه أم عبد بنت عبد ود بن سوار بن هذيل أيضا (رضي الله عنه) أسلم لما مر به النبي صلى الله عليه وسلم وهو يرعى غنما لعقبة ابن أبي معيط فقال له يا غلام هل عندك من لبن نسقينا قال نعم ولكني مؤتمن قال هل عندك جذعة لم ينز عليها الفحل قال نعم فاتاه بها فمسح صلى الله عليه وسلم ضرعها ودعا فنزلا أضرعها باللبن ثم أتاه أبو بكر بصخرة منقعرة فحلب فيها فشرب منه وسقى أبا بكر رضي الله عنه ثم قال للضرع اقلص فقلص ويقال انه كان سادسا في الاسلام وهاجر الى الحبشة الهجرتين وشهد بدرا والمشاهد كلها وكان صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ووساده ونعليه وطهوره في السفر وكان يشبه النبي صلى الله عليه وسلم في هديه وسمته وكان خفيف اللحم قصيرا جدا نحيفا ذراع شديد الادمة وكان من أجود الناس ثوبا وأطيب الناس ريحا وكان دقيق الساقين أخذ يجتني سواكا من الاراك فجعلت الريح تكفؤه فضحك القوم منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مم تضحكون فقالوا يا رسول الله من دقة ساقيه فقال والذي نفسي بيده لهما في الميزان أثقل من أحد وفي رواية انه صعد شجرة فانكشف ساقه فضحك بعض القوم فقال عليه السلام لساق عبد الله في الميزان أثقل من أحد وكان صلى الله عليه وسلم يكرمه ويدنيه ولا يحجبه فلذلك كان كثير الولوج عليه صلى الله عليه وسلم ويمشي معه وأمامه بالعصا ويستره اذا اغتسل ويوقظه اذا نام ويلبسه نعليه اذا قام فاذا جلس ادخلهما في ذراعيه قال أبو موسى الاشعري رضي الله عنه لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أرى الا ان ابن مسعود من أهل بيته وعن علقمة قال جاء رجل الى عمر وهو بعرفة فقال جئت يا أمير المؤمنين من الكوفة وتركت بها رجلا يملي المصاحف عن ظهر قلبه فغضب وانتفخ حتى كاد يملأ ما بين شعبتي الرحل فقال من هو ويحك قال عبد الله بن مسعود فما زال يطفأ ويسري عنه الغضب حتى عاد الى حالته التي كان عليها ثم قال ويحك والله ما أعلم أحدا بقي من الناس هو أحق بذلك منه وسأحدثك عن ذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال يسمر عند أبي بكر الليلة كذلك في الامر من أمور المسلمين وانه سمر عنده ذات ليلة وأنا معه فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرجنا معه فاذا رجل قائم يصلي في المسجد فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع قراءته فكدنا نعرفه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن يقرأ القرآن رطبا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد قال ثم جلس الرجل يدعو فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له سل تعطه سل تعطه قال عمر قلت والله لاغدون عليه ولابشرنه قال فغدوت اليه لابشره فوجدت أبا بكر قد سبقني اليه وبشره ولا والله ما سابقته الى خير الا سبقني اليه وكان قليل الصوم كثير الصلاة فقيل له في ذلك فقال لاني اذا

وجاره حقان وجاره ثلاثة حقوق فاما الذي له حق واحد فالجار الذي له حق الجوار والذي له حقان الجار المسلم له حق الجوار وحق الاسلام والذي له ثلاثة حقوق الجار القريب المسلم له حق الجوار وحق الاسلام وحق القرابة وذكر الزمخشري في ربيع الابرار انه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يدفع بالمؤمن الواحد عن مائة ألف بيت من جيرانه البلاء وفيه بشارة عظيمة وليعلم ان من كان أقرب مسكنا أكد من غيره لما روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله ان لي جارين فالى أيهما أهدي قال الى أقربهما منك بابا ومن اكرام الجار فاره واه مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أبا ذر اذا طبخت مرقة فاكثر ماءها وتعهد جيرانك صلى الله عليه وسلم على مكارم الاخلاق

لما يترتب عليها من المحبة وحسن العشرة ودفع الحاجة والمفسدة فان الجار قد يحصل له الاذى برائحة الطعام من بيت جاره وربما يكون له أطفال صغار واذا شموا رائحة الطعام حصل لهم بذلك تشويش ان لم يرسل لهم منها شيأ يكسر شهوتهم التي أثارها طعام الجار ولانه يعظم على الذي هو قائم على الاطفال أن يشتري لهم مثله لاسيما ان كان فقيرا أو كانت امرأة أرملة ومعها أيتام ومثل هذه الواقعة

ثم انى فرقت بين يوسف وأبيه كما قيل ان الله عز وجل أوحى الى يعقوب أما ترحم لم عافيتك وحنكت عنك يوسف ثمانين سنة قال
لا يا الهى قال لانك شويت عناقا وقربت عن جارك وأكلت ولم تطعمه هكذا نقل عن وهب بن منبه رحمه الله تعالى والله أعلم وينبغى
لك اذا أهدى اليك جارك أو صاحبك أو قريبك هديه أن تقبلها منه ولا تحتقرها قوله صلى الله عليه وسلم يا نساء المؤمنين وفى روايه
نا نساء الانصار لا تحقرن احداكن مجاورتها ولو كراع شاة (قوله صلى الله عليه وسلم ومن كان يؤمن بالله واليوم
الآخر فليكرم ضيفه) أى لانه من اخلاق الانبياء والصالحين وآداب الاسلام وكان الخليل عليه الصلاة والسلام يسمى أبا الضيفان وكان يمشى الميل والميلين فى طلب من يتغدى معه وقد أوجب الضيافة ليلة واحدة الليث بن سعد رضى الله عنه عملا بقوله صلى الله عليه وسلم ليلة الضيف حق واجب على كل مسلم وحمله عامة الفقهاء على الندب وأنها من مكارم الاخلاق ومحاسن الدين لقوله صلى الله عليه وسلم فى الضيف وجائزته يوم وليلة والجائزة العطية والمنحة والصلة وذلك لا يكون الا مع الاختيار وقيل استعمالها فى الواجب وما يدل على الندب اقتران الامر بها بالامر باكرام الجار وتاول بعضهم الاحاديث على انها كانت فى أول الاسلام اذ كانت المواساة واجبة أو كان ذلك للمجاهدين فى أول الاسلام لقلة الازواد أو على التاكيد كقوله غسل الجمعة واجب

صمت ضعفت عن الصلاة والصلاة عندى أولى وعن الشعبى قال ذكروا أن عمر بن الخطاب لقى ركبانا فى
سفر له فيهم عبد الله بن مسعود فامر رجلا يناديهم من أين القوم فاجابه عبد الله أقبلنا من الفج
العميق فقال أين تريدون فقال عبد الله البيت العتيق فقال عمر ان فيهم عالما فامر رجلا فناداهم أى
القرآن أعظم فاجابه عبد الله الله لا اله الا هو الحى القيوم حتى ختم الآية فناداهم أى القرآن أحكم فقال
ابن مسعود ان الله يامر بالعدل والاحسان الآية فقال عمر فناداهم أى القرآن أجمع فقال ابن مسعود فمن
يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فقال عمر فناداهم أى القرآن اخوف فقال ابن
مسعود ليس بامانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوأ يجز به الآية فقال عمر فناداهم أى القرآن
ارجى فقال ابن مسعود قل يا عبادى الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية فقال عمر
فناداهم أفيكم ابن مسعود قولوا اللهم نعم وعن مسروق قال قال عبد الله والله الذى لا اله غيره ما نزلت آية من
كتاب الله الا وانا أعلم أين نزلت وفيم نزلت ولو اعلم ان أحدا اعلم بكتاب الله منى تناله المطية لاتيته وعن
مسروق انه قال انتهى علم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ستة عمر وعلى وعبد الله بن مسعود
وأبى بن كعب وأبى الدرداء وزيد بن ثابت وجعل الشعبى أبا موسى الاشعرى بدل أبى الدرداء ثم انتهى
علم هؤلاء الستة الى رجلين على وعبد الله وعن عمرو بن ميمون قال اختلفت الى عبد الله بن مسعود
سنة ما سمعته فيها يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يقول فيها قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا انه حدث ذات يوم بحديث جرى على لسانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلاه الكرب حتى
رأيت العرق ينحدر من جبهته ثم قال ان شاء الله اما فرق ذلك واما قريب من ذلك واما دون ذلك
وكان يقول وددت أنى اذا مت لم أبعث وخرج ذات يوم فاتبعه ناس فقال لهم ألكم حاجة قالوا لا ولكن
اردنا أن نمشى خلفك قال ارجعوا فانه مذلة للتابع وفتنة للمتبوع وعن أبى الاحوص انه قال دخلنا على
ابن مسعود وعنده بنون له ثلاثة غلمان كانهم الدنانير حسنا فلما تعجب من حسنهم فقال لنا
كانكم تغبطوننى بهم قلنا أى والله بمثل هذا يغبط المرء المسلم فرفع رأسه الى سقف بيت له قد عشش
فيه خطاف وباض فقال والذى نفسى بيده لان أكون نفضت يدى من تراب قبور هم أحب الى من
أن يسقط عش هذا الخطاف وينكسر بيضه وعن الحسن انه قال قال عبد الله بن مسعود ما أبالى اذا
رجعت الى أهلى على أى حال أراهم بسرا أم بصرا وما أصبحت على حال فتمنيت أنى على سواها
وجاء رجل فقال له أوصنى يا أبا عبد الرحمن فقال ليسعك بيتك واكفف لسانك وابك على خطيئتك
وفى قضاء الكوفة وبيت مالها لعمر وصدرا من خلافة عثمان ثم سار الى المدينة وتمرض بها ودخل
عليه عثمان بن عفان فى مرض موته فقال له ما تشتكى قال ذنوبى قال ما تشتهى قال رحمة ربى قال ألا
آمر لك بطبيب قال الطبيب أمرضنى قال ما تركت لاولادك قال انى لا أخشى عليهم العقر بعدما علمتهم
سورة الواقعة يقرؤنها كل ليلة ومات بالمدينة على الاصح وقيل مات بالكوفة سنة اثنتين وثلاثين
عن بضع وستين سنة وكفن فى حلة بمائتى درهم وصلى عليه عثمان وقيل عمار بن ياسر وقيل الزبير

وقد ورد فى أحاديث كثيرة شهيرة فى اكرام الضيف ومن فوائده انه يدخل البيت بالرحمة ويخرج بذنوب أهل المنزل * ولنختم
مجلسنا هذا بشئ يرشد الى حب المساكين ومجالستهم والرأفة بهم قال الله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا
وبذى القربى واليتامى والمساكين وروى الترمذى عن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم احينى مسكينا

وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين فقالت عائشة رضي الله عنها لم يا رسول الله قال انهم يدخلون الجنة قبل الاغنياء بأربعين خريفا يا عائشة لا تردي السائل ولو بشق تمرة يا عائشة أحبي المساكين وقربيهم يقرب الله تعالى الى يوم القيامة وفي الترمذي أيضا من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام ونصف يوم والجمع بين الحديثين ان الاربعين أراد بها تقدم الفقير الحريص على الغني وأراد ٩١ بخمسمائة عام الفقير الزاهد على الغني الراغب فكان الفقير الحريص على درجتين من الفقير الزاهد وهذه نسبة الاربعين الى خمسمائة هكذا نقل عن بعضهم وقيل غير ذلك وعن وهب ابن منبه رحمه الله قال أصابت بني اسرائيل شدة وعقوبة فقالوا لنبي لهم وددنا أنا نعلم ما يرضي ربنا فنتبعه فاوحى الله تعالى اليه ان أرادوا رضائي فليرضوا المساكين فانهم اذا أرضوهم رضيت واذا أسخطوهم سخطت عليهم ذكره الامام أحمد في كتاب وهم الزهد له (ويحكى) أن سليمان بن داود عليهما السلام على ما آتاه الله من الملك كان اذا دخل المسجد فنظر الى مسكين جلس اليه ويقول مسكين جالس مسكينا فالسعيد من وفقه الله تعالى لحب المساكين اللهم وفقنا أجمعين والحمد لله رب العالمين

الزبير وهو الاشهر وكان صلى الله عليه وسلم قد آخى بينهما وصلى عليه ليلا ودفن بالبقيع بايصائه بذلك ولم يعلم به عثمان فنبه على ذلك روى له ثمانمائة حديث وثمانية وأربعون حديثا اتفقا منها على أربعة وستين وانفرد البخاري باحد وعشرين ومسلم بخمسة وثلاثين روى عنه الخلفاء الاربعة وكثيرون من الصحابة ومن بعدهم (قال حدثنا) أي أنشأ لنا خبرا حادثا وهو بمعنى أخبرنا وأنبأنا عند مالك والشافعي والجمهور ولمتأخري المحدثين ان حدثنا لما سمع من الشيخ وأخبرنا لما قرئ عليه وأنبأنا لما أجازه (رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق) في جميع ما يقوله حتى قبل النبوة والصدق الخبر المطابق للواقع (المصدوق) أي المصدوق فيه أو الذي يأتيه جبريل بالصدق من عند الله تعالى أو الذي صدق الله وعده والجملة حالية واعتراضية وهو كما قال الطيبي أولى لتم الاحوال كلها وتؤذن بان ذلك من دأبه وعادته بخلاف الحالية لايهامها اختصاص ذلك ببعض الاحوال اه وعكس ذلك ابن صياد فانه كاذب ومكذوب ولذلك ورد أن عمر بن الخطاب انطلق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من أصحابه قبل ابن صياد حتى وجده يلعب مع الصبيان في أطم بني مغالة وقد قارب يومئذ الحلم فلم يشعر حتى ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهره بيده ثم قال لابن صياد ما تشهد أني رسول الله قال يأتيني صادق وكاذب وأرى عرشا على الماء فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خلط عليك الامر (ان) جزم ابن الجوزي بان الرواية بالكسر فقط وقال أبو البقاء لا يجوز في أن هنا الا الفتح لانها وما عملت فيه مفعول حدثنا فلو كسرت لكان منقطعا عن قوله حدثنا وجزم النووي في شرح مسلم بانه بالكسر على الحكاية وجوز الفتح وحجة أبي البقاء أن الكسر على خلاف الظاهر ولا يجوز العدول عنه الا لمانع ولو جاز من غير أن يثبت به النقل لجاز في مثل قوله أبعدكم أنكم اذا متم وقد اتفق العلماء على انها بالفتح وتعقبه القاضي جمال الدين الجويني بان الرواية جاءت بالفتح والكسر فلا معنى للرد قال ولو لم تجئ به الرواية لما امتنع جوازا على طريق الرواية بالمعنى وأجاب عن الآية بان الوعد مضمون الجملة وليس مخصوص لفظها فلذلك اتفقوا وأما هنا فالتحديث يكون بلفظه ومعناه (أحدكم) أي معشر بني آدم وخصهم بالذكر لان الانسان أشرف من البهائم لما اجتمع فيه ما تفرق في غيره قال الله تعالى لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم وأحد هنا بمعنى واحد فلذلك استعملت في الثبوت ويجوز استعمالها أيضا في النفي بخلاف أحد التي للعموم فانها لا تستعمل الا في النفي نحو لا أحد في الدار أصله وحد قلبت الواو المفتوحة همزة على غير قياس بخلاف المضمومة كوجوه وأوجه فانه مقيس والمكسورة كوسادة واسادة وشاح واشاح فانه قيل سماعي وقيل قياسي (يجمع) بضم الياء وسكون الجيم وفتح الميم مبنيا للمفعول من الجمع وهو ضم ما شأنه الافتراق والتفاوت وقيل تقريب الاشياء بضم بعضها الى بعض أي يضم بعضه الى بعض بعد انتشار النطفة في سائر البدن تحت كل شعرة وظفر لان المني يقع في الرحم حين انزعاجه بالقوة الشهوانية الدافقة متفرقا فيجمعه الله في محل الولادة من الرحم في المدة المذكورة وقال ابن الاثير في النهاية يجوز أن يريد بالجمع مكث النطفة في الرحم لتختمر فيه حتى تتهيأ للتصوير

(المجلس السادس عشر في الحديث السادس عشر) الحمد لله الذي تنزه في كماله عن التشبيه والشبيه والمثال وتوحد في وحدانيته عن المؤانس والموازر والمشير وتعزز في الحال وتعالى في قدسه عن الصاحب والصاحبة فلا تدركه عظمته ولا تنال وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة أدخرها لهول السؤال وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي بصرنا من العمى وهدانا من الضلال وبعثه ولاعبا يؤيده كلمة الدين على التفصيل والاجمال صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما غرد قمري وناح حمام في الاطلال

آمين (عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أوصني قال لا تغضب فردد مرارا قال لا تغضب رواه البخاري) * اعلموا اخواني وفقني الله وإياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم يتضمن دفع أكثر شرور الانسان لان الشخص في حال حياته بين لذة وألم فالذي يسبب ثوران الشهوة أكثر وشرها وجاعا ونحو ذلك والالم يسبب ثوران الغضب فاذا اجتنبه يدفع عنه نصف الشر بل أكثره ٩٢ وهذا ما تجردت الملائكة عن الغضب والشهوة تسلموا من جميع الشرور الدنيوية

(خلقه) كذا رواه مسلم ولفظ البخاري في التوحيد وأبي داود في السنة أن خلق أحدكم يجمع بفتح فسكون وهو على حذف مضاف أي مادة خلقه وهو المني الذي يخلق منه أو انه عبر بالمصدر عن الجثة ومنه قوله تعالى يبدأ الخلق ثم يعيده وقوله تعالى ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ويجوز أن يقول ان الله تعالى خلق الخلق خلافا للكرامية الزاعمين منع ذلك أو هو بمعنى المفعول كقولهم هذا ضرب الامير أي مضروبه وهذا شهوة العليل أي مشتهاه (في بطن) أي رحم فهو من قبيل ذكر الكل وارادة الجزء والرحم جلدة مستديرة معلقة يعرف فيها الى أسفل تنقبض ولا تنحل الا عند شهوة الجماع وأصله من الرحمة لانه مما يترحم به وذكر ابن القيم أنه داخل الرحم كالسفنج وجعل فيه قبول المني كطلب الارض المعطشة للماء فجعله الله طبا مشتاقا اليه بالطبع فلذلك تمسكه وتشتمل عليه ولا يزلقه بل ينضم عليه لئلا يفسده الهواء قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ان للرحم أفواها وأبوابا فاذا دخل المني الرحم من باب واحد خلق الله عز وجل جنينا واحدا واذا دخل من بابين خلق منه ولدين واذا دخل من ثلاثة أبواب خلق الله منه ثلاثة أولاد فيكون عدد الاجنة بتعدد دخول المني من أفواه الرحم (أمه أربعين يوما) زاد البخاري ليلة على الشك وفي رواية سلمة بن كهيل أربعين ليلة بغير شك وجمع بان المراد يوم بليلته أو ليلة بيومها (نطفة) أصلها الماء الصافي في القليل يقال نطفت قربتك أي قطرت ونطف الماء قطر سمي المني بذلك لقلته وقيل سمي بذلك لنطافته وسيلانه من قولهم ماء ناطف أي سائل وأصل ذلك أن ماء الرجل اذا لاقى ماء المرأة بالجماع وأراد الله أن يخلق منه جنينا هيأ أسباب ذلك لان في رحم المرأة قوتين قوة انبساط عند ورود ماء الرجل حتى ينتشر في جسدها وقوة انقباض بحيث لا يسيل من قعرها مع كونه منكوسا ومع كون المني مقبولا بطبعه وفي مني الرجل قوة الفعل ومني المرأة قوة الانفعال فعند الامتزاج يصير مني الرجل كالانفحة للبن وقيل في كل منهما قوة فعل وانفعال لكن الاول في الرجل أكثر والمرأة بالعكس وزعم كثير من أهل التشريح أن مني الرجل لا أثر له في الولد الا في عقده وانه انما يتكون من دم الحيض وترده أحاديث الباب وحديث ان الله تعالى يخلق الولد وعضاريفه من مني الرجل وشحمه ولحمه من مني المرأة وما قبل من أن الله تعالى لما أراد خلق آدم عليه السلام وأخذ الميثاق من ذريته جعل بعض الماء في أصلاب الرجال وبعضه في أرحام الامهات فاذا اجتمع الماآن صار ولدا وهو صريح قوله تعالى يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ثم انه في الاربعين الاولى لا يختلط ماء الرجل بماء المرأة بل يكونان متجاورين لا يغير أحدهما الآخر وذلك كجمعه في البحرين الماء العذب والملح لا يغير أحدهما الآخر ولا يختلط به قال تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان وفي الاربعين الثانية يختلط أحدهما بالآخر وفي الاربعين الثالثة يصور أعضاء الجنين وسيأتي بعد ذلك ما يتعلق بالتصوير وقد ورد في الحديث أن النطفة اذا استقرت في الرحم أخذها الملك بكفه فقال يا رب مخلقة أم غير مخلقة فان قيل غير مخلقة قذفها في الارحام دما وان قيل مخلقة قال أي رب ذكر أم أنثى شقي أم سعيد ما الاجل ما الاثر بأي أرض

وقد اختلفوا في هذا الرجل الذي سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقيل هو حارثة بن قدامة أو أبو الدرداء أو عبد الله ابن عمر أو غيره ولما سأل الرجل قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تغضب فردد) أي كرر السؤال (مرارا) بقوله أوصني يا رسول الله لانه لم يقنع بقوله لا تغضب فطلب وصية أبلغ منها أو أنفع (فقال لا تغضب) لم يرده عليها لعلمه بعموم نفعها ونظير هذا ما وقع للعباس رضي الله عنه من قوله للنبي صلى الله عليه وسلم علمني دعاء أدعو به يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم سل الله العافية فعاوده العباس مرارا فقال له يا عباس يا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم سل الله العافية في الدنيا والآخرة فانك اذا أعطيت العافية أعطيت كل خير أو كما قال والغضب في حق الآدمي ثوران دم القلب وغليانه عند توجه مكروه الى الشخص وفي الحديث الغضب جمرة تتوقد في قلب ابن آدم ألا ترون الى انتفاخ أوداجه واحمرار عينيه وأما غضب الله تعالى فهو ارادة الانتقام ولا يخفى ان الغضب انما يذم حيث لم يكن لله تعالى أما اذا كان لله تعالى فهو ممدوح ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم يغضب اذا انتهكت حرمات الله عز وجل وكان من دعائه عليه الصلاة والسلام أسألك كلمة الحق في الغضب والرضا * (تنبيه) * من أقوى أسباب رفع الغضب ودفعه التوجه

الحقيقي وهو اعتقاد ان لا فاعل حقيقة في الوجود الا الله تعالى وان الخالق الآلات وسائط فمن توجه اليه مكروه من غيره وشبه ذلك التوحيد الحقيقي بقلبه اندفعت عنه آثار غضبه لان غضبه اما على الخالق وهو جواز فاحشة تنافي العبودية واما على المخلوق وهو اشراك ينافي التوحيد المذكور ومن ثم خدم أنس رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لشيء فعله لم فعلته ولا لشيء تركه لم تركته ولكن يقول قدر الله ما شاء وما شاء فعل ولو قدر الله لكان

وماذا الا الكمال معرفته عليه الصلاة والسلام بانه لا فاعل ولا معطي ولا مانع الا الله تعالى ولا ينافي هذا ما صح من ضرب موسى عليه الصلاة والسلام الحجر الذي فر ثوبه حين اغتسل بعصاه حتى أثرت فيه لانه لم يغضب عليه غضبا انتقاميا بل غضب تأديبيا وزجرا لان الله تعالى خلق في الحجر المذكور حياة مستقرة فصار كدابة نفرت من راكبها أو أنه غلب عليه الطبع البشري فانتقم منه كما غلبه الطبع البشري حين ألقى كله على يده عند أخذ العصا حين صارت حية تسعى ومن ثم الغضب المذموم الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم والوضوء لقوله عليه الصلاة والسلام اذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء فانما الغضب من النار وانما تطفأ النار بالماء وفي رواية ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق من النار وانما تطفأ النار بالماء فاذا غضب أحدكم فليتوضأ فان قيل الغضب من الامور الضرورية التي لا يمكن دفعها بشيء فكيف أمر الشارع بالوضوء عنده فالجواب انه وان كان كما ذكر الا أن له آثارا مترتبة عليه يمكن دفعها وبعضهم الغضبان اما مغلوب للطبع الحيواني وهذا لا يمكن دفعه واما غالب للطبع بالرياضة فيمكن دفعه ولولا ذلك لكان قوله صلى الله عليه وسلم لا تغضب للرجل القائل له أوصني تكليفا بما لا يطاق ومن ثم الغضب أيضا الانتقالي من مكان الى مكان

يموت فقال انطلق الى أم الكتاب فانك تجد قصة هذه النطفة فيطلق فيجد قصتها في أم الكتاب فتأكل رزقها وتطأ أثرها فاذا حانت أجلها اقتضت فدفنت في المكان الذي قدر لها (ثم) بعد تمامها (يكون) أي تصير (علقة) أي دما غليظا سمي بذلك لعلوقه أي ارتباطه بعضه أو لرطوبته لانه يعلق بما يمر عليه فاذا جف لم يكن علقة والتاء فيها للوحدة أي علقة واحدة فان قلت قال تعالى خلق الانسان من علق والعلق جمع علقة فالجواب أن الانسان في معنى الجمع فلذا قال من علق وأيضا لتوافق رؤوس الآي (مثل ذلك) الزمن الذي هو أربعون يوما بقدر أبا النطفة صفة لعلقة (ثم) علقت الاربعين الثانية (يكون مضغة) أي قطعة لحم صغيرة قدر ما يمضغ كالغرفة أي ما يغرف ومن ثم سميت مضغة (مثل ذلك) أي أربعون يوما وهي الاربعون الثالثة * (فائدتان) * ذكر الاطوار الثلاثة وكذا في القرآن العظيم فذكر النطفة والعلقة والمضغة وذكر في موضع آخر زيادة عليها فقال في سورة المؤمنون ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ثم تنفخ الروح فيه وكان ابن عباس يقول خلق ابن آدم من سبع ثم يتلو الآية ورى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما ان آدم عليه السلام خلقه المولى من طين فاقام أربعين سنة ثم صار حمأ مسنونا فاقام أربعين سنة ثم صار صلصالا أي طينا يابسا يسمع له صلصلة أي صوت اذا انقرع وقام أربعين سنة ثم خلقه بعد ثمانية وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح اه وقال الصوفية الاربعين لموافقة تخمير طين آدم وميقات موسى عليهما الصلاة والسلام لاختصاصهما بالكمال لتركبهما من عشرة وأربع ولكل خاصية في الكمال أما الاول فانها غاية الآحاد من غير تكرار وأما الثاني فلانه استقر كل مستقيم البنيان على الاربعة أركان كالطبائع والفصول الاربعة والحيوان اه وحينئذ فوافق العدد بين مدة خلق آدم وخلق الجنين وذلك يحمل الامام التي في خلق الجنين في مقابلة السنين التي في خلق آدم فلكل سنة يوم وموافقة الاطوار فالنطفة في مقابلة الطين والعلقة في مقابلة الحمأ المسنون والمضغة في مقابلة الصلصال فتبارك الله أحسن الخالقين قال مجاهد اذا حاضت المرأة في حملها كان ذلك نقصانا في ولدها فان زادت على التسعة كان تماما لما نقص منه (ثم) اذا تمت وصار ابن مائة وعشرين يوما (يرسل) بالبناء للمفعول اليه (الملك) وفي رواية البخاري يبعث الملك ولمسلم ثم يرسل الله الملك وأل فيه للعهد والمراد ملك مخصوص وهو الملك الموكل بالرحم قال ابن القيم الملك وحده مرسل اليه ولم يقل يرسل الملك اليه بالروح فيدخلها في بدنه لان الله تعالى أرسل اليه الروح التي كانت موجودة قبل ذلك بالزمن الطويل مع الملك فان قلت اذا كان المراد بالملك من جعل الله اليه أمر تلك الرحم فكيف يرسل أو يبعث فالجواب كما قال القاضي عياض أن المراد أنه يؤمر بذلك واختلف في أول ما يتشكل من الجنين فقيل قلبه لانه الاساس وقيل الدماغ لانه مجمع الحواس وجمع بينهما بان أول ما يتشكل منه من الباطن القلب ومن الظاهر الدماغ وقيل أول ما يتشكل منه السرة وقيل الكبد لان منه النمو والمطلوب أولا ورجحه

واستحضار ما جاء في فضل كظم الغيظ قوله أي الله تعالى في كتابه العزيز على كاظمي الغيظ فقال والكاظمين الغيظ والعافين
الناس وغير ذلك من الآيات وقد قال صلى الله عليه وسلم من كف غضبه كف الله تعالى عنه عذابه ومن خزن لسانه ستر الله عورته
ومن اعتذر إلى الله قبل الله عذره وجاء ان الله تعالى يقول ابن آدم أذكرني إذا غضبت أذكرك إذا غضبت ولا أمحقك فيمن أمحق
وقال صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وقال صلى الله عليه وسلم ٩٤

من كظم غيظا وهو يقدر
على انفاذه ملأ الله أمنا
وإيمانا وقال صلى الله
عليه وسلم من سره أن
يشرف له البنيان وترفع
له الدرجات فليعف عمن
ظلمه ويعط من حرمه
ويصل من قطعه وقال
اذا كان يوم القيامة نادى
المنادي أين العافون
عن الناس هلموا الى
ربكم وخذوا أجوركم
وحق على كل امرئ مسلم
اذا عقا أن يدخل الجنة
والاحاديث الواردة في
معنى هذا كثيرة شهيرة
(حكي) ان بعض الناس
قدم له خادمه طعاما في
صحفة فعثر الخادم في
حاشية البساط فوقع
ما معه تماما ولوجه
الرجل غيظا فقال الخادم
يا مولاي خذ بقول الله
تعالى فقال الرجل وما
قال الله تعالى فقال له
الخادم قال الله تعالى
والكاظمين الغيظ فقال
الرجل كظمت غيظي
فقال الخادم والعافين
عن الناس فقال عفوت
عنك فقال الخادم والله يحب المحسنين فقال أنت حر لوجه الله تعالى ولك هذه الالف دينار وقد كان مسعود

الشعبي رحمه الله تعالى مولعا بقول القائل ليست الاحلام حين الرضا * انما الاحلام في حين الغضب وقال سفيان الثوري
والفضيل بن عياض وغيرهما أفضل الاعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع رزقنا الله ذلك آمين وخوف الرب سبحانه وتعالى
يدفع الغضب كما حكي عن بعض الملوك انه كتب في ورقة يذكر فيها ارحم من في الارض يرحمك من في السماء اذكر في حين تغضب

بعضهم وفي ايجاده على هذا الترتيب العجيب وانتقاله من طور الى طور مع قدرته تعالى على ايجاده كاملا
كاثر اختلوقات في طرفة عين فوائد الاولى انه لو خلقه دفعة واحدة لشق على الام لكونها لم تكن
معتادة لذلك بخلاف ما لم تطقه فعل أولا بطقة لتعتاد بها مدة ثم علقة مدة وعلم جرا الى الولادة وقد قال
الخطابي الحكمة في تأخير كل أربعين يوما أن يعتاد الرحم اذا لو خلق دفعة لشق على الام ولم تسلا تستمر
عليه الثانية اظهار قدرته تعالى وتعليمه لعباده التأني في أمورهم الثالثة اعلام الانسان بان حصول
الكمال المعنوي له تدريجي نظير حصول الكمال الظاهر له (فينفخ فيه الروح) التي بها يحيا الانسان
وحقيقة النفخ اخراج ريح من النافخ يتصل بالمنفوخ وقد اختلف في الروح على أكثر من ألف قول
والمعتمد انها جسم لطيف سار في البدن مشتبك به اشتباك الماء بالورد وعروق الشجر ولا يلتفت لقول
من قال انها الدم لان من الحيوانات ما لا دم له ولقول من قال انها النفس الداخل الخارج لان من
الحيوانات ما لا يتنفس الا عند الموت كالسمك واسناد النفخ الى الملك مجاز عقلي لان ذلك من أفعال الله
كالخلق وقوله فينفخ فيه الروح أي ويتحرك فيما بين ذلك الى عشرة أيام وتحس أمه حينئذ بحركته
ولذلك صارت عدة الوفاة أربعة أشهر وعشرا وظاهر الحديث ان الملك ينفخ الروح في المضغة وليس
مرادا بل انما ينفخ فيها بعد أن تتشكل تشكل ابن آدم وتتصور بصورته كما قال تعالى خلقنا المضغة
عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر أي ينفخ الروح فيه ولكن يقول ليس ظاهره ذلك بل
ظاهره ان الارسال بعد الاربعين الثالثة المنقضي اسم المضغة بانقضائها وتلك البعدية لم تحدد فيحتمل
انه بعد الاربعين الثالثة تصور في زمن يسير وبعد تصويره يرسل الملك فينفخ فيه الروح وقد صرح
القرطبي في المفهم ان التصوير تمام في الاربعين الرابعة لكن يرد على هذا انه جاء في حديث حذيفة
ابن أسيد عند مسلم اذا مر بالنطفة ثلاث وأربعون وفي رواية اثنتان وأربعون ليلة وفي رواية تمام
وأربعون بعث الله اليها ملكا فصورها وشق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها ثم قال يا رب
أذكر أم أنثى فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول يا رب أجله فيقول ربك ما شاء ويكتب الملك
ثم يقول يا رب رزقه فيقول ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك الصحيفة فلا يزاد ولا ينقص وأخرجه
الفريابي عن الطفيل عن حذيفة أيضا بلفظ اذا وقعت النطفة في الرحم استقرت أربعين ليلة يجيء
ملك الرحم فيدخل فيصور له عظمه ولحمه وشعره وبشره ثم سمعه وبصره ثم يقول أي رب ذكر أم أنثى
الحديث قال عياض وحمله على ظاهره لا يصح لان التصوير بأثر النطفة وأول العلقة في أول الاربعين
الثانية غير موجود ولا معهود ولعله يكون في آخر الاربعين الثالثة ففي قوله يصورها لم يلبث
ذلك ويفعله في وقت آخر بعد ذلك بدليل قوله أذكر أم أنثى وأورد على قول القاضي ان التصوير
لا يكون الا في آخر الاربعين الثالثة انه شوهد التصوير في كثير من الاجنة في الاربعين الثالثة والاشبه
في الجمع ان يقال ان رواية ابن مسعود باعتبار الغالب أو ان ذلك يختلف باختلاف الاشخاص فمنهم
من يصور بعد الاربعين الاولى ومنهم من لا يصور الا في الاربعين الثالثة أو بعدها على ان حديث ابن

أذكرك حين أغضب وبل لسلطان الارض من سلطان السماء وويل لحاكم الارض من حاكم السماء ثم دفعها الى وزيره وقال اذا غضبت فادفعها الى فعمل الوزير كلما غضب الملك دفعها اليه فينظر فيها فيسكن غضبه وقد جمع صلى الله عليه وسلم فى قوله لا تغضب جوامع الدنيا والآخرة لان الغضب يؤدى الى التقاطع والتدابر والاذى ومنع الرفق *(خاتمة المجلس)* قال وهب ابن منبه رحمه الله كان عابد فى بنى اسرائيل أراد الشيطان أن يضله فلم يستطع فخرج ٩٥ العابد ذات يوم الى حاجة له وخرج الشيطان معه لكى يجد منه فرصة فاراده من جهة الشهوة والغضب فلم يستطع منه بشئ فاراده من قبل الخوف فوجد بدنى عليه الصخرة من الجبل فاذا بلغته ذكر الله تعالى ولم ينل منه شيأ ثم تمثل له بالجبل وهو يصلى وجعل يلتوى بقدميه وجسده حتى بلغ رأسه فاذا أراد السجود التوى فى موضع رأسه فلما وضع رأسه ليسجد فتح فاه ليلتقم رأسه فعمل بنحيه حتى استمكن من الارض فسجد ولما فرغ من صلاته وذهب جاءه الشيطان وقال انا فعلت بك كذا وكذا فلم استطع منك شيأ وقد بدا لى أن أعاودك فلا أريد ضلالك بعد اليوم فقال له العابد لا يوم خوفتنى بحمد الله تعالى خفت منك ولا لى اليوم حاجة فى معاودتك ثم قال الا تسألنى اليوم عن أهلك ما أصابهم بعدك

مسعود القضية فيه مطلقة لا عموم فيها فتأدى بصورة وقد وقعت فى صور كثيرة أوانه عقب الاربعين الاولى يرسل الملك لتصوير العلقة تصويرا خفيا ثم يرسل فى مدة المضغة أو بعدها فيصورها تصويرا ظاهرا ولذا قال بعضهم يحتمل ان الملك عند انتهاء الاربعين الاولى يقسم النطفة اذا صارت علقة الى أجزاء بحسب الاعضاء أو يقسم بعضها الى جلد وبعضها الى لحم وبعضها الى عظم فيقدر وذلك كله قبل وجود ثم يتهيأ ذلك فى آخر الاربعين الثانية ويتكامل فى الاربعين الثالثة وأجاب بعضهم بان الجنين يغلب عليه فى الاربعين الاولى وصف المنى وفى الاربعين الثانية وصف العلقة وفى الثالثة وصف المضغة وان كانت خلقته قد تمت وتم تصويره ثم ان نسبة التصوير الى الملك مجازية والمصور فى الحقيقة هو الله تعالى لقوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم وقوله تعالى وصوركم فاحسن صوركم وذهب بعض الاطباء الى ان التصوير يكون يوم السابع لتصريحهم بان المنى اذا نزل فى الرحم أزبد وأرغى لستة أيام أو سبعة وفيها يتصور من غير استمداد من الرحم ثم تستمد منه وتبتدأ خطوطه ونقطه بعد ثلاثة أيام من الاستمداد ثم فى الخامس عشر ينعقد الدم الى الجميع فيصير علقة ثم تظهر الاعضاء وينحى بعضها عن مماسة بعض وتمد طوبة النخاع بعد تسعة أيام من صيرورته علقة ينفصل الرأس عن المنكبين والاطراف عن الاصابع قالوا وأقل مدة تصوير الذكر فيها ثلاثون يوما والزمان المعتدل فى تصوير الجنين خمسة وثلاثون يوما وقد يتصور فى خمسة وأربعين وعليه فاوردوا أن التصوير يكون بعد أربعين يوما محمول على ان المراد ما قارب ذلك والثلاثون وما بعدها قريبة منها وقال المقرى فى قواعده الولد يتحرك لمثل ما يتخلق له ويوضع لمثل ما يتحرك فيه وهو يختلف فى العادة تارة لاشهر فيتحرك لاشهرين ويوضع لست وتارة لاشهر ونصف فيتحرك لثلاثة ويوضع لتسعة فلذلك لا يعيش ابن ثمانية ولا ينقص الحمل عن ستة اه وروى ان عبد الملك ابن مروان ولد لستة أشهر وقال بعض الاطباء ان الولد عند استكمال سبعة أشهر يتحرك للخروج فان تهيأ له الخروج خرج وعاش وان لم يتهيأ يستريح فى البطن عقب الحركة المتعبة المضعفة فلا يتحرك فى الشهر الثامن للخروج ولهذا يقل تحركه فى البطن أيضا وان اتفق تحركه فى الشهر الثامن للخروج فيضعف الولد غاية الضعف وهو فى نفسه غاية الضعف ولا يعيش وقال المنجمون ان فى كل شهر يتولى الجنين كوكب من الكواكب السبعة المجموعة فى قول القائل

زحل شرى مريخه من شمسه * فتزاهرت لعطارد الاقمار

ففى الشهر الاول التدبير فيه لزحل وفى الثانى للمشترى الى السابع وفيه التدبير للقمر وهو رطب مناسب للحياة وفى الثامن يعود الى زحل وهو بارد يابس بطئ الحركة وهو على مزاج الموت فيموت فى الثامن وفى التاسع يعود الى المشترى وهو نير سعيد فيكون خير أوقات لولد عند انتقاله للتاسع ثم انه رتب الاطوار فى الآية الشريفة بالفاء لان المراد انه لا يتخلل بين الطورين طور آخر وربما فى الحديث بثم اشارة الى المدة التى تتخلل بين الطورين ليتكامل فيها الطور وانما عبر بثم بين النطفة والعلقة لان النطفة قد

فقال العبد ما تواقبلى قال أتسألنى عما أضل به بنى آدم قال بلى فاخبرنى ما الذى تصل به الى اضلال بنى آدم قال بثلاثة أشياء الشح والحسد والكبر فان الرجل اذا كان شحيحا قلنا ماله فى عينه فيمنعه من حقوقه ويرغب فى أموال الناس قال واذا كان الرجل حديدا أدرناه بيننا كما ندير الصبيان الكرة ولو كان يحيى الموتى بدعوته لم نيأس منه فانه يبنى وننهدم فى كلمة واحدة قال واذا سكر قدناه الى كل سوء كما تقاد المهر باذنها حيث نشاء فقد أخبر الشيطان ان الذى يغضب يكون فى يد الشيطان كالكرة فى أيدى الصبيان سلمنا

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله كتب الاحسان على كل شئ فاذا قتلتم فاحسنوا القتلة واذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته رواه مسلم) * اعلموا اخواني وفقني الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم جامع قواعد الدين العامة كما سنبينه ان شاء الله تعالى (فقوله ان الله كتب الاحسان) أي أمر به وحض عليه والمراد به الاحكام والاكمال (قوله على كل شئ) أي اليه أو فيه ويحتمل ان تكون على على بابها أي كتب الاحسان في الولاية على كل شئ حتى ما يذكر اذا التحسين في الاعمال المشروعة مطلوب حتى على من شرع في شئ منها أن يأتي به على غاية كماله ويحافظ على آدابه الصحيحة والمكملة له فاذا فعل على الوجه المذكور قبل وكثر ثوابه (قوله فاذا قتلتم فاحسنوا القتلة) بكسر القاف أي الهيئة والحالة وبفتحها الفعلة من ذلك (قوله واذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة) بكسر الذال كالقتلة وجاء في رواية فاحسنوا الذبح (قوله وليحد أحدكم شفرته) بضم الشين وقد تفتح وهي السكين العظيمة ومثلها كل ما يذبح به (قوله وليرح ذبيحته) أي مذبوحته باحداد السكين وتعجيل امرارها وترك احدادها وذبح غيرها قبالتها وغير ذلك فقد روي أن سبب ابتلاء يعقوب بفرقة ولده يوسف عليهما السلام انه ذبح عجلا بين يدي أمه وهي تخور فلم

لا تكون انسانا واني بثم في آخر الآية عند قوله ثم أنشأناه خلقا آخر ليدل على مابين حد ذلك بعد الخروج من بطن أمه أما الاتيان بثم في أول القصة بين السلالة والنطفة فاشارة الى ما يتخلل بين خلق آدم وخلق ولده وقوله تعالى فكسونا العظام لحما وذلك لان اللحم يستر العظم بجعله كالكسوة له (تنبيهان) الاول اختلف في تقديم خلق الروح عن الجسم وتأخيرها عنه على قولين مشهورين الاول تقديم خلق الروح على الجسم وبه جزم ابن حزم واستدل له بحديث اسناده ضعيف جدا وهو ان خلق أرواح العباد قبل خلق الاجساد بألفي عام فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف واني ذهب اليه جماعة واستدلوا بقوله في هذا الحديث ان أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما الى أن قال ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح وأجيب بالفرق بين نفخ الروح وخلقه الثاني مقر الروح في حال الحياة القلب على ما جزم به الغزالي قال السيوطي وقد ظفرت بحديث يشهد له أخرجه ابن عساكر في تاريخه وانظر ما قاله الغزالي فانه لا يأتي على قول جمهور المتكلمين من انها جسم لطيف شفاف حي لذاته سار في البدن كما الورد في الورد وأما مقرها فاستظهر بعض المتكلمين انها بقرب القلب ومقرها بعد الوفاة مختلف فيه فأرواح الانبياء عليهم الصلاة والسلام في الجنة لقوله أولئك المقربون في جنات النعيم وأرواح السعداء من المؤمنين قيل انها في أفنية القبور اه ابن العربي وهو أصح ما ذهب اليه المتكلمون قال ابن عبد البر وهي مع ذلك مأذون لها في التصرف وتأوى الى محالها في عليين أو سجين (ويؤمر الملك) وهو عطف على ينفخ (بأربع كلمات) وفي رواية بأربعة والمعدود اذا أبهم جاز تذكيره وتأنيثه والمراد بالكلمات القضايا المقدور وكل قضية تسمى كلمة وظاهر هذا الحديث ان النفخ قبل الكتابة وظاهر رواية البخاري ان النفخ بعدها والاولى التعويل على رواية البخاري لانها أصح ويمكن رد هذا اليه بان الواو بلا ترتيب أو ان ما هنا من ترتيب خبر على خبر لا من ترتيب الافعال المخبر عنها أو ان الكتابة تقع مرتين الاولى في السماء والثانية في بطن المرأة ويحتمل أن تكون احداهما في صحيفة والاخرى على الجنين أو ان ذلك يختلف باختلاف الاجنة فمنهم من يكتب له قبل النفخ ومنهم من يكتب له ذلك بعد والاول أولى وظاهر هذا الحديث انه يؤمر بهذه الاربعة ابتداء وليس كذلك بل انما يؤمر بها بعد أن يسأل عنها بقوله يارب ما الرزق ما الاجل ما العمل وهذا شقي أو سعيد (يكتب) ضبط بوجهين أحدهما بموحدة مكسورة وكاف مفتوحة ومثناة ساكنة ثم موحدة بدل من أربع والاخرى تحتانية مفتوحة بصيغة المضارع على الاستئناف وفي رواية البخاري فيكتب بزيادة الفاء وروي بفتح الياء فيهما مبنيا للفاعل أو للمفعول وهو أوجه لانه وقع في رواية آدم وأبي داود وغيرهما فيؤذن بأربع كلمات فيكتب وقوله يكتب أي على جبهته أو بطن كفه أو ورقة تعلق بعنقه قال مجاهد وقال القسطلاني والظاهر ان الكتابة هي الكتابة المعهودة في صحيفة وقد جاء في رواية لمسلم في حديث حذيفة بن رسيد ثم تطوى الصحيفة فلا يزاد فيها ولا ينقص ووقع في حديث أبي ذر فيقضي الله ما هو قاض فيكتب ماء ولا في بين عينيه (رزقه) أي تقديرا قليلا أو كثيرا وصفته حلالا أو حراما أو مكروها وهو عند أهل السنة والجماعة ما ساقه الله تعالى الى

ترجمها (ومن غريب) ما وقع لغيره مما يتعلق بذلك ما حكى عن بعضهم انه دخل على بعض الامراء وقد أمر بذبح جملة من الغنم فذبح بعضها ثم اشتغل الذابح عن الذبح ثم عاد اليه فى الحال فلم يجد المدية التى يذبح بها فاتهم بها بعض الحاضرين فانكر أخذها وحصل بسبب ذلك لغط فامر رجل كان ينظر اليهم من بعيد وقال السكين التى تتخاصمون عليها أخذتها هذه الشاة بفمها ومشت بها الى هذه البئر وألقتها فامر الامير شخصا بالنزول الى هذه البئر ليتبين هذا الامر فنزل فوجد الامر ٩٧ كما أخبر الرجل (قوله وليحد)

الحيوان فانتفع به بالفعل سواء كان ماكولا أو غيره فيتناول العلم ونحوه لان الرزق نوعان ظاهر للابدان كالقوت وباطن للقلوب والنفوس كالمعارف والعلوم وخرج به مالم ينتفع به وعند المعتزلة انه المملوك مطلقا انتفع به أم لا وهو فاسد الطرد لدخول ملك الله تعالى فيه ولا يسمى رزقا وفاقا والا لكان مرزوقا وفاسد العكس لخروج رزقه الدواب بل والعبيد والاماء عند بعض الائمة الذين يرون أن الرقيق لا يملك وقد قال تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها وقال تعالى وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم وسبب نزول هذه الآية الثانية انه لما آذى المشركون المؤمنين بمكة قال لهم النبى صلى الله عليه وسلم هاجروا الى المدينة فقالوا كيف نخرج الى المدينة وليس لنا بها دار ولا مال فمن يطعمنا بها ويسقينا فانزل الله تعالى (وأجله) طويلا أو قصيرا وله اطلاقان أحدهما مدة الحياة الثانى منتهاها وهو الوقت الذى كتب الله فى الازل انتهاء الحياة فيه ومنه قوله تعالى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وظاهر هذه الآية ان الاجل لا يزيد ولا ينقص وأما قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الآية فالضمير فى قوله من عمره ليس عائدا على قوله من معمر الاول بل هو على طريقة عندى درهم ونصفه أى نصف مثله وأما قوله صلى الله عليه وسلم من أحب أن يبسط له فى رزقه وينسأ له فى عمره أى يزاد له فيه فليصل رحمه ففيه أجوبة أصحها كما قال النووى ان هذه الزيادة مؤولة بالبركة فى عمره والتوفيق للطاعات وصيانة أوقاته من الضياع وقيل ان الزيادة بالنسبة الى ما يظهر للملائكة واللوح المحفوظ لان المحق جواز وقوع المحو والاثبات فى اللوح المحفوظ كصحف الملائكة وقيل ان المراد بالزيادة ذكره الجميل فكأنه لم يمت فان قلت ما فائدة تعلق الزيادة بصلة الرحم مع علم الله تعالى بوجودها فيحصل المعلق عليه أو بعدمها فلا يحصل والجواب ان ذلك للترغيب وقد ورد أيضا ان الصدقة تزيد فى العمر وكذلك الدعاء وكذلك السلام على كل من لقيه وكذلك اسباغ الوضوء وكذلك حسن الخلق وكذلك المتابعة بين الحج والعمرة وكذلك حسن الجوار وكذلك تسريح الرأس مع اللحية ولذا قال ابن العماد فى منظومته

ولازم الرأس بالتسريح مع ذقن * تكفى البلاء وتعطى فسحة الاجل

(وعمله) صالحا أو فاسدا *(وشقى)* فى الآخرة خبر مبتدا محذوف أى وهو شقى وقدمه ليعلم انه كالخبز من عند الله رد على الثنوية المثبتين شريكا فاعلا للشر *(أو سعيد)* فيها وكان ظاهر السياق أن يقول وسعادته وشقاوته فعدل عنه حكاية لصورة ما يكتب لانه يكتب شقى أو سعيد والمراد انه يكتب لكل واحد اما الشقاوة واما السعادة ولا يكتبان لواحد معا فذلك اقتصر على أربع والا لقال خمس وقد قيل لما حضرت عبد الرحمن بن عوف الوفاة غشى عليه ثم أفاق فقال أتانى الساعة ملكان فقالا لى قم نحاكمك بين يدى العزيز الحكيم فقمت معهما فاذا بملك ثالث قد نزل من السماء فقال خليا عنه فانه كتب فى بطن أمه سعيدا اه واختلف الاشاعرة والماتريدية فى الشقاوة والسعادة فقال الاشاعرة هما أزليتان مقدرتان فى الازل لا يتغيران ولا يتبدلان فالسعادة الموت على الايمان لتعلق العلم الازلى

بضم الياء وكسر الحاء وتشديد الدال وقوله (وليرح) بضم الياء وقد ذكرنا أن هذا الحديث جامع لقواعد الدين العامة وبيان ذلك وايضاحه ان الاحسان فى الفعل هو اتقانه على مقتضى الشرع أو العقل وهو ما يتعلق بمعاش الفاعل أو بمعاده فالاول سياسة نفسه وبدنه وأهله واخوانه وملكه والناس والثانى الايمان وهو عمل القلب والاسلام وهو عمل الجوارح كما قدمناه فى حديث جبريل عليه السلام فان أحسن الانسان فى هذا كله بان فعله على وجهه فقد حصل كل خير وسلم من كل ضير وما ذكر من الاحسان عام فى كل شئ وقد أفرد صلى الله عليه وسلم بالذكر الرفق فى القتل والذبح اما انه ضرب ذلك مثلا للاحسان اتفاقا لا لغرض مقتض خصه بالذكر وهو عمل الجوارح واما ان سبب

(١٣ - شبرخيتى)

الحديث الذى هو فعل الجاهلية اقتضاه فانهم كانوا يمثلون فى القتل بجدع الانف وقطع الايدى والارجل ونحو ذلك وكانوا يذبحون بالمدى الكالة والعظم والقصب ونحوه مما يعذب الحيوان أو لان القتل والذبح غاية ما يفعل من الاذى فامر صلى الله عليه وسلم بالرفق فى كل شئ فيا اخوانا عليكم بالرفق فانه ما كان فى شئ الا زانه ولا نزع الرفق من شئ الا شانه *(نكتة)* انظروا بعين البصيرة الى حكمة الله تعالى كيف لم يفرض الصلاة على العباد فى أول الاسلام بل فرضها ليلة

المعراج وكذلك الصيام فرض في السنة الثانية من الهجرة وكذلك تحريم الخمر بعد وقعة أحد كل ذلك تعليم لعباده الحلم والصبر
وأخذ الامور على الاستدراج لئلا يعجلوا في أمورهم فان العجلة ندامة * (تكملة أخرى) * يؤخذ من قول الله تعالى واعبدوا الله
ولا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين الى قوله وما ملكت أيمانكم الرأفة بالحيوانات والوصية
بها اقتداء به صلى الله عليه وسلم ٩٨ قال كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته وأخرج النسائي عن النبي صلى الله عليه

وسلم أنه قال من قتل عصفورا عبثا جاء يوم القيامة ويقول يا رب سل هذا لم قتلني عبثا ولم يقتلني لمنفعة وفي الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله غفر لبغي بسقاية كلب وعذب امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعا وعطشا (ويحكى) عن أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالى قال ركبت مرة حمارا فضربته مرتين أو ثلاثا فرفع الحمار رأسه الي وقال لي يا أبا سليمان انا القصاص يوم القيامة فان شئت فاقل وان شئت فاكثر وهذا فيه زجر لمن يؤذي الدابة بالضرب أو الاحمال الثقيلة أو قلة العلف ونحو ذلك وانه مسؤل عن ذلك يوم القيامة فليتق العبد ربه ويحسن كما أحسن الله اليه ويخاف من القصاص يوم القيامة بينه وبين البهائم اخواني أطيعوا الله ولا تعصوه * فمن

بها كذلك والشقاوة الموت على الكفر لتعلق العلم الازلي بها كذلك والسعيد من علم الله في الازل موته على الايمان وان تقدم منه كفر والشقي من علم الله في الازل موته على الكفر وان تقدم منه ايمان وعلى هذا فلا يتصور في السعيد أن يشقى ولا في الشقي أن يسعد وقال الماتريدية السعيد هو المسلم والشقي هو الكافر والسعادة الاسلام والشقاوة الكفر وعليه فيتصور أن السعيد قد يشقى بان يرتد بعد الايمان وان الشقي قد تسعد بان يؤمن بعد الكفر وان السعادة والشقاوة غير أزليتين بل يتغيران ويتبدلان ويتفرع على ذلك مسئلة الاستثناء في الايمان فعند الاشاعرة يجوز أن يقال أنا مؤمن ان شاء الله تعالى نظرا للمآل وهو مجهول الحصول في المستقبل ووافقهم الشافعي على ذلك وعند الماتريدية لا يجوز ذلك نظرا للحال ووافقهم امامنا مالك والامام أبو حنيفة وأحمد لان الايمان يجب فيه الجزم ولا جزم مع التعليق وقال ابن عبدوس من اتباع مالك بوجوب التعليق لمن تركه من الجزم الذي فيه تزكية النفس وقد قال تعالى فلا تزكوا أنفسكم وقد نظم ذلك بعض شيوخنا مع زيادة فقال

من قال اني مؤمن بمنع من * مقالة ان شاء ربي يا فطن * وذا لمالك وبعض تابعيه
يوجب أن يقال هذا ما نديه * ومثل مالك للحنفي * والشافعي جوز هذا فاعرف
وامنعه اجماعا اذا أريديه * الشك في ايمانه يا منتبه * كعدم المنع اذا به يراد
تبرك بذكر خالق العباد * فالحالف حيث لم يرد شكا ولا * تبركا فكن بذا محتفلا

فان قلت قد ورد في الحديث جفت الاقلام وطويت الصحف أي مضت المقادير على ما سبق به علم الله في الازل واذا كانت السعادة والشقاوة أزليتين فما معنى قوله في الحديث الآخر والشقي من شقي في بطن أمه فالجواب ان معناه من علم الملك شقاوته حين السؤال عنه وهو في بطن أمه والمراد ان هذا أول زمن اشتهار أمره بالشقاوة والسعادة لملائكة التخليق والا فالله تعالى أن يظهر سعادته وشقاوته لمن شاء من قبل ذلك كما نقل عن بعض العارفين انه كان يقول لم أزل أعرف تلامذتي وأربابهم في الاصلاب من يوم ألست بربكم * (فوالذي لا اله غيره) * فيه الحلف من غير استحلاف ولا كراهة فيه لانه تعظيم لله تعالى وأما قول عيسى عليه السلام لبني اسرائيل كان موسى ينهاكم أن لا تحلفوا بالله الا وأنتم صادقون وأنا أنهاكم أن لا تحلفوا بالله صادقين ولا كاذبين فهو خلاف شرعنا لانه صدر منه صلى الله عليه وسلم كثيرا وأمره الله به فلا وجه لكراهته ويحتمل أن يكون كراهة عيسى خوف الكثرة منه فيؤول الى حالف كذب او تقصير في الكفارة وسر الحلف هنا والله اعلم التعجب من وقوع ذلك والعرب اذا تعجبت من شئ أقسمت عليه ومن ذلك قول عمر رضي الله عنه ان آدم أدخل الجنة يوم الجمعة بعد العصر والله ما غربت الشمس حتى أخرج منها * (أن أحدكم ليعمل) * بلام التأكيد * (بعمل) * الباء زائدة لان عمل اما مفعول مطلق أو مفعول به وكلاهما مستغن عن الحرف فزيادة الباء لمزيد تأكيد أو ضمن يعمل معنى يتلبس * (أهل الجنة) * يعني من الطاعات لاعتقادية والقولية والفعلية والجنة دار الله وهي في الاصل الحديقة ذات الشجر سميت جنة لكثرة شجرها ونباتها ويقال جنت الرياض اذا

رضيت باركت وبركتي ليس لمنتهاه واذا عصيت غضبت واذا غضبت لعنت ولعنتي تلحق السابع من الولد أي وذلك من شؤم المعصية * (نادرة) * حكي أن الخليفة هرون الرشيد رحمه الله حلف بالطلاق انه من أهل الجنة فاجتمع اليه العلماء فما افتاه أحد بذلك فدخل عليه ابن السماك فقال يا أمير المؤمنين مالي أراك حزينا مهموما فقال من شأن كذا وكذا قال ابن السماك أما انك

عن شئ هل نويت معصية قط ثم تركتها خوفا من الله تعالى قال نعم قال يا أمير المؤمنين أنت من أهل الجنة فان الله تعالى يقول وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى * (حكاية) * تناسب ما تقدم قيل ان رجلا من بنى اسرائيل كان فاجرا مسرفا على نفسه لما ارتكب من الفواحش فانى فى مسيره على بئر فاذا كلب يلهث من العطش فرق له ورثى له فنزل فى البئر ونزع خفه وسقى الكلب وأرواه فشكر الله عز وجل صنعه وغفر له وأوحى الله تعالى الى نبى ذلك الزمان بان قل

لذلك المسرف انى قد غفرت له جميع ما اقترف برحمته على خلقى (خاتمة المجلس) روى ابن عساكر فى تاريخه عن بعض أصحاب الشبلى قال رأيت الشبلى فى النوم بعد موته فقلت له ما فعل الله بك قال أوقفنى بين يديه الكريمين وقال يا أبا بكر ما تدرى بما غفرت لك فقلت بصالح عملى قال لا قلت باخلاصى فى عبوديتى فقال لا قلت بحجى وصومى وصلاتى فقال لم أغفر لك بذلك فقلت بهجرتى الى الصالحين وبادامة أسفارى وطلب العلوم فقال لا فقلت يا رب هذه المنجيات التى كنت أعتقد عليها حسن ظنى تدينها تعفو عنى قال كل هذا لم أغفر لك بها فقلت الهى فبماذا قال أتذكر حين تمشى على درب بغداد فوجدت هرة صغيرة قد أضعفها البرد وهى تتردد الى جدار من شدة الثلج والبرد فأخذتها رحمة لها فادخلتها فى فروك عليك وقايتها من ألم البرد فقلت نعم قال برحمتك لتلك الهرة رحمتك اللهم ارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين يا رب العالمين * (المجلس الثامن عشر فى الحديث الثامن عشر) * الحمد لله الحليم الستار المتفضل بالعطاء المدرار النافذ قضاؤه بما يجرى به الاقدار يدنى ويبعد ويشقى ويسعد ويهبط ويصعد وربك يخلق ما يشاء ويختار وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له مكور الليل على النهار وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله المصطفى المختار الشفيع المرتضى من صلى عليه من النار صلى الله عليه

اذا اعتم نبتها حتى ستر الارض ومنه الجنين لاستتاره عن العيون وتسمى بالبستان لما فيها من الاشجار المتكاثفة المظلة * (حتى ما يكون) * بالرفع لان ما كفت به حتى قاله الهيتمى وقلد فى ذلك قول الشارح الغاكهانى يتعين أن يكون بالرفع لان ما النافية قطعت عمل حتى عنه اه ومازعمه من التعيين ممنوع بل لا يصح فقد قال الطيبى فى شرح المشكاة حتى هى الناصبة وما نافية ولم تكفه ما عن العمل وقال غيره لان معنى ما النفى الحال فيتعين رفعه وشرط نصبه ان يكون مستقبلا ونازعه غيره من الاشياخ وقال الفعل هنا مستقبل قطعا وشرط وجوب الرفع أن يكون حالا حقيقة وان يكون مسببا عما قبله وان يكون فضلة فان كان مستقبلا حقيقة أو لم يكن مسببا عما قبله وكان عمدة وجب النصب وان كان مستقبلا مؤولا بالحال جاز فيه الوجهان وما هنا لما مستقبل حقيقة وهو الظاهر فيجب نصبه أو مؤولا فيجوز نصبه ورفعه قال الاشمونى ولا يرتفع الفعل بعد حتى الا بثلاثة شروط الاول أن يكون حالا اما حقيقة نحو سرت حتى أدخلها اذا قلت ذلك وأنت فى حالة الدخول والرفع حينئذ واجب أو بتاويل نحو حتى يقول الرسول فى قراءة نافع والرفع حينئذ جائز والثانى أن يكون مسببا عما قبلها فيمتنع الرفع ويتعين النصب فى نحو لا أسير حتى تطلع الشمس الثالث أن يكون فضلة فيجب النصب فى نحو سيرى حتى أدخلها وكذلك فى نحو كان سيرى أمس أدخلها ان قدرت كان ناقصة ولم يقدر الظرف خبرا فتكون منصوبة بحتى ولعل لفظة ما لمجرد النفى فتساخ عن معنى الحالية لتجامع ان التى للاستقبال وأجاز غيره أن تكون حتى ابتدائية (بينه وبينها) أى وبين الجنة (الا ذراع) زاد البخارى أو باع وهو تمثيل لشدة القرب (فيسبق) أى يغلب (عليه الكتاب) أى مضمون الكتاب فهو على حذف مضاف أو أراد بالكتاب المكتوب والمعنى انه يتعارض عمله فى اقتضاء السعادة والمكتوب فى اقتضاء الشقاوة فيتحقق مقتضى المكتوب فعبر عن ذلك بالسبق لان السابق يحصل مراده دون المسبوق ولانه لو تمثل العمل والكتاب شخصين ساعيين لظفر شخص الكتاب وغلب شخص العمل (فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها) ظاهر هذا الحديث ان هذا العامل كان عمله صحيحا وانه قرب من الجنة بسبب عمله حتى أشرف على دخولها وانما منعه من دخولها سابق القدر الذى يظهر عند الخاتمة وعلى هذا فالخوف على التحقيق انما هو مما سبق اذ لا تبديل له ولا تغيير فاذا الاعمال بالسوابق لكن لما كانت السابقة مستورة عنا والخاتمة ظاهرة لنا قال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالخواتيم أى عندنا وبالنسبة الى اطلاعنا فى بعض الاشخاص وفى بعض الاحوال وفى رواية لمسلم ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وحينئذ فعمله لم يكن صحيحا فى نفسه وانما كان رياء وسمعة وقد ورد أن راهبا كان يقال له برصيصا قد تعبد فى صومعته سبعين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين حتى أعيا ابليس بجميع ابليس مردة الشياطين فقال ألا أجد منكم من يكفينى أمر برصيصا فقال الابيض أنا أكفيكه وهو الذى قصد النبى صلى الله عليه وسلم فى سورة جبريل ليوسوس اليه على وجه الوحى فدخل جبريل بينهما ثم دفعه بيده حتى وقع بأقصى الهند فانطلق فتزيا بزى الرهبان وحلق وسط رأسه حتى أتى صومعة برصيصا فناداه فلم يجبه وكان

وعلى آله وأصحابه ما طلع فجر واستنار آمين (عن أبي ذر جندب بن جنادة الغفاري وأبي عبد الرحمن معاذ بن جبل رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن رواه الترمذي وقال حديث حسن) وفي بعض النسخ حسن صحيح اعلموا اخواني وفقني الله وإياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم اشتمل على ثلاثة أحكام ١٠٠ حق الله وحق المكلف وحق العباد أما حق الله تعالى فحيثما كنت فاتقه فانه ناظر

لا ينفتل من صلاته الا في كل عشرة أيام يوما ولا يفطر الا في كل عشرة أيام وكان يواصل العشرة الايام والعشرين والاكثر فلما رأى الابيض انه لا يجيبه أقبل على العبادة في أصل صومعته فلما انفتل من صلاته رأى الابيض قائما يصلي في هيئة حسنة من هيئة الرهبان فندم على عدم اجابته وقال له ما حاجتك فقال أحب أن أكون معك فأتأدب بآدابك وأقتبس من علمك فقال اني في شغل عنك ثم أقبل على صلاته وأقبل الابيض على الصلاة فلما رأى برصيصا شدة اجتهاده وعبادته قال ما حاجتك قال ان تأذن لي فأرتفع الليلك فأذن له فأقام الابيض معه حولا لا يفطر الا في كل أربعين يوما ويرفع مداده الى الثمانين فلما رأى برصيصا اجتهاده تقاصرت اليه نفسه ثم قال الابيض عندي دعوات يشفى بها السقيم والمبتلى والمجنون فعلمه اياها ثم جاء الى ابليس فقال قد والله أهلكت الرجل ثم تعرض لرجل فخنقه وقال لاهله وقد تصور في صورة الآدميين ان بصاحبكم جنونا فاذهبوا به الى برصيصا فان عنده اسم الله الاعظم اذا سئل به أعطى واذا دعي به أجاب فخذوه فدعا بتلك الاسماء فذهب عنه الشيطان ثم جعل الابيض يفعل بالناس ذلك ويرشدهم الى برصيصا فيعافون فانطلق الى جارية من بنات الملوك بين ثلاثة اخوة فعذبها وخنقها ثم جاء اليهم في صورة رجل طبيب ليعالجها فقال ان شيطانها ماردا لا يطاق ولكن اذهبوا بها الى برصيصا فدعوها عنده فاذا رأى شيطانها دعاه فامتنعت فقولوا له يجيبنا الى هذا قال فابنوا له صومعة في جانب صومعته ثم ضعوها فيها وقولوا له هي أمانة عندك فاحتسب فيها فسألوه ذلك فابى فبنوا له صومعة ووضعوها فيها الجارية فلما انفتل من صلاته عاين الجارية وما بها من الجمال فاسقط في يده فدعاها الشيطان فخنقها فانفتل من صلاته ودعاها فذهب الشيطان ثم أقبل على صلاته فخنقها الشيطان وخنقها وكان يكشف عنها ويتعرض ببرصيصا ثم البرصيصا جاءه الشيطان فقال ويحك واقعها فما تجد مثلها ثم تتوب بعد ذلك فلم يزل به حتى واقعها فحملت وظهر حملها فقال له الشيطان ويحك قد افتضحت فهل لك ان تقتلها ثم تتوب فلا تفتضح فان حاولك فسألوك فقل جاءها شيطانها اذهبه بها فقتلها ليلا ودفنها فاخذ الشيطان طرف ثوبها حتى بقي خارجا من التراب ورجع برصيصا الى صلاته ثم جاء الشيطان الى اخوتها في المنام فقال ان برصيصا فعل باختكم كذا وكذا وقتلها ودفنها فاستعظموا ذلك فقالوا لبرصيصا ما بعات باختنا فقال ذهب بها شيطانها فصدقوه وانصرفوا ثم جاءهم الشيطان في المنام فقال انها مدفونة في موضع كذا وكذا وان طرف ردائها خارج من التراب فانطلقوا فوجدوها فدهدموا صومعته وانزلوه وخنقوه وحملوه الى الملك فاقر على نفسه فامر بقتله فلما صلب قال له الشيطان أتعرفني قال لا قال أنا صاحبك الذي علمتك الدعوات أما اتقيت الله اما استحييت وأنت أعبد بني اسرائيل ثم لم يمهلك حتى فضحت نفسك وأقررت عليها وفضحت أشباهك من الناس فان مت على هذه الحالة لم يقتد بك أحد من نظرائك بعدك قال فكيف أصنع قال تطيعني في خصلة واحدة وأنجيك منهم وأوطئ بصارهم قال وما ذاك قال تسجد لي سجدة واحدة فاطاعه وسجد له من دون الله وروي هذه القصة على غير هذا الوجه (وان أحدكم ليعمل

اليلك ورقيب عليك وأما حق المكلف فهو محو الحسنة السيئة وأما حق العباد فهو معاشرتهم بخلق حسن كما يأتي الكلام على ذلك كله

*(فائدة) * جندب بفتح الدال وضمها وكسرها على ثلثه وجنادة بضم الجيم (موعظة) سئلت أم أبي ذر راوي هذا الحديث عن عبادته فقالت كان نهاره أجمع في ناحية يتفكر وعن سفيان الثوري رضي الله عنه أنه قال قام أبو ذر رضي الله عنه فالتفاف الناس فقال أرأيتم لو أن أحدكم أراد سفرا أليس يتخذ من الزاد ما يصلحه ويبلغه قالوا بلى قال فسفر القيامة أبعد مما تريدون فخذوا ما يصلحكم قالوا وما يصلحنا قال حجوا حجة لعظائم الامور وصوموا يوما شديدا حره لطول يوم النشور وصلوا ركعتين في سواد الليل لوحشة القبور وكلمة خير تقولونها أو كلمة شر تسكتون عنها الوقوف يوم عظيم تصدق بمالك لعلك تنجو واجعل الدنيا مجلسين مجلسا في طلب الحلال

ومجلسا في طلب الآخرة والثالث لا يضرك ولا ينفعك فلا ترده واجعل المال درهمين درهما أنفقه على عيالك في حل ودرهما أقدمه لآخرتك والآخر لا يضرك ولا ينفعك فلا ترده فتأملوا هذه الموعظة العظيمة عن أبي ذر رضي الله عنه (موعظة أخرى) روي عن أنس ابن مالك أن معاذ بن جبل رضي الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف أصبحت قال أصبحت بالله مؤمنا قال

ان لكل قول مصداقا ولكل حق حقيقة فما مصداق ما تقول قال يا رسول الله ما أصبحت صباحا الا ظننت اني لا أمسي ولا أمسيت مساء قط الا ظننت أني لا أصبح ولا خطوت خطوة الا ظننت اني لا أتبعها أخرى وكأني أنظر الى كل أمة جاثية كل أمة تدعى الى كتابها ومعها نبيها وأوثانها التي كانت تعبدها من دون الله وكأني أنظر الى عقوبة أهل النار وثواب أهل الجنة قال قد عرفت فالزم ولنرجع الى الكلام على الحديث فنقول (قوله اتق الله حيثما كنت) سببه ان أبا ذر رضي الله عنه لما أسلم بمكة شرفها الله تعالى قال له النبي صلى الله عليه وسلم الحق بقومك رجاء أن ينفعهم الله بك فلما رأى حرصه على المقام معه بمكة وعلم صلى الله عليه وسلم انه لا يقدر على ذلك قال له اتق الله حيثما كنت الحديث فانه أولى لك من الاقامة بمكة وهو أمر لكل من يتأتى توجيه الامر اليه ليعم كل مأمور حتى لا يختص به مخاطب دون مخاطب ومعنى ذلك امتثل أيها المكلف أوامر الله واجتنب نواهيه في كل مكان وأوان فانه معك أينما كنت وناظر اليك ومطلع عليك كما دلت عليه الآيات والاخبار * واعلموا يا اخواني ان التقوى كلمة وجيزة جامعة لكل خير جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أوصني قال عليك بتقوى الله فانها اجماع كل خير وعليك بالجهاد فانه رهبانية المسلمين وعليك بذكر الله تعالى فانه نور لك في الارض وذكر لك في السماء واخزن لسانك الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان وقال صلى الله عليه وسلم من اتقى الله عاش قويا وسار في البلاد آمنا وقال وهب رحمه الله الايمان عريان ولباسه التقوى وريشه الحياء ورأس ماله العفة وقال غيره من سره ان تدوم له العافية فليتق الله وقيل لبعض الصالحين عندموته أوصنا قال عليكم بآخر آية من سورة النحل ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون والآيات والاخبار في التقوى كثيرة شهيرة (نكتة) في بستان العارفين للنووي رحمه الله ان داود عليه السلام

---

١٠١ رضي الله عنه

بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيغلب عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها) ثم ان من لطف الله تعالى وسعة رحمته ان انقلاب الناس من الشر الى الخير كثير وأما انقلابهم من الخير الى الشر ففي غاية الندور ونهاية القلة ولا يكون الا من أصر على الكبائر وحكى ابن الجوزي في كتابه ذم الهوى انه كان رجل مسلم يهوى امرأة نصرانية فمرض مرض الموت فقال في نفسه أنا أعشق هذه ولم أجتمع بها في الدنيا وان مت على الاسلام لم أجتمع بها في الآخرة فتنصر ومات على النصرانية وكانت المرأة تمرضه فقالت ان فلانا كان يهواني ولم يجتمع بي في الدنيا وأخشى ان مت على دين النصرانية ان لا أجتمع به في الآخرة فاسلمت ومات في مرضها * (فائدة) * قال صلى الله عليه وسلم علامة الشقاوة جمود العين وقساوة القلب وحب الدنيا وطول الامل وقال ذو النون المصري علامة السعادة حب الصالحين والدنو منهم وتلاوة القرآن وسهر الليل ومجالسة العلماء ورقة القلب اهـ وقال شيخنا الاجهوري في شرحه لمختصر العلامة الشيخ خليل مانصه من علامات البشرى للميت ان يصفر وجهه ويعرق جبينه وتذرف عيناه دموعا ومن علامات السوء ان تحمر عيناه وترتد شفتاه ويغط كغطيط البكر اهـ وتربد بالراء المهملة بعدها باء موحدة وفي آخره دال مهملة قال في القاموس الزبدة بالضم لون الى الغبرة (رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما)

* (الحديث الخامس) *

(عن أم المؤمنين) في الاحترام والتعظيم وحرمة النكاح دون الخلوة والنظر وتحريم البنات وكذا يقال في سائر أزواجه صلى الله عليه وسلم وهل يقال لاخوتهن أخوالهم واخواتهن خالاتهم ولبناتهن اخواتهم وجميع جمع المنع ولا يقال لآبائهن وأمهاتهن أجداد المؤمنين وجداتهن ويقال لهن أمهات المؤمنات أيضا بناء على ان النساء يدخلن في خطاب الرجال تبعا وتغليبا وهو صلى الله عليه وسلم أبو المؤمنين في الرأفة والرحمة ونفى أبوته في قوله تعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم أريد بها نفي أبوة النسب والتبني ولذلك لم يعش له ابن حتى يصير من الرجال (أم عبد الله) كناها النبي صلى الله عليه وسلم بابن أختها أسماء عبد الله بن الزبير لما ألقته في ذلك والصحيح انها لم تلد قط وذكر السهيلي في الروض انها ألقت سقطا ولم يثبت (عائشة) وعوام المحدثين يمدونه يا بنت أبي بكر الصديق واسمه عبد الله بن أبي قحافة واسم أبي قحافة عثمان وأمها أم رومان بضم الراء وسكون الواو على المشهور وقال ابن عبد البر في الاستيعاب يقال بفتح الراء وضمها بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس (رضي الله عنها) تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة في شوال قبل الهجرة بسنتين وقيل بثلاث وقيل بنحو ثمانية عشر شهرا وهي بنت ست سنين وبنى بها بالمدينة في شوال منصرفه من بدر وهي بنت تسع وبقيت عنده تسع سنين وكانت أحب النساء اليه بعد خديجة وماشت بعده صلى الله عليه وسلم أربعين سنة وفي التفضيل بينها وبين خديجة أوجه ذكرها المصنف في الروضة ثالثها الوقف واختار السبكي في الحلبيات تفضيل خديجة ثم عائشة ثم حفصة ثم البافيات سواء واختلف في التفضيل بين عائشة وفاطمة على ثلاثة أقوال ثالثها الوقف والاصح

قال يارب كن لابني سليمان كما كنت لي يا موسى الله البسه قل لابنك يكون لي كما كنت لك (بكنية أخرى) قال
جاهد رحمه الله رأيت الكعبة في النوم تخاطب النبي صلى الله عليه وسلم وتقول يا محمد لئن لم تنته أمتك عن المعاصي لأنتقصن حتى
لا يبقى حجر على حجر ومعنى التقوى امتثال الاوامر واجتناب النواهي وقال بعضهم ان أردت ان تعصيه فاعصه حيث لا يراك أو
اخرج من داره أو كل من غير رزقه ١٠٢ قال العلماء رضي الله عنهم فاذا اتقى الشخص الله تعالى وفعل ما أمر به وترك ما نهى

عنه فقد أتى بجميع
وظائف التكليف قال
الله تعالى ليس البر أن
تولوا وجوهكم قبل المشرق
والمغرب ولكن البر من
آمن بالله واليوم الآخر
وقال الله تعالى ألا ان أولياء
الله لا خوف عليهم ولا هم
يحزنون الذين آمنوا
وكانوا يتقون الآية فمن
اتقى الله تعالى الآية الاولى
من الايمان والاسلام
فهو متقي والمتقي ولي الله
ومن اتقى بما في الآية
الثانية فهو ولي الله
والتقوى الله تعالى فوائد
كثيرة منها الحفظ
والحراسة من الاعداء
لقوله تعالى وان تصبروا
وتتقوا لا يضركم كيدهم
شيأ ومنها التأييد والنصر
ولقوله تعالى ان الله مع
الذين اتقوا والذين هم
محسنون ومنها النجاة
من الشدائد والرزق
الحلال لقوله تعالى ومن
يتق الله يجعل له مخرجا
ويرزقه من حيث
لا يحتسب ومنها اصلاح
العمل وغفران الذنوب
لقوله تعالى اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومنها النور

تفضيل فاطمة لانها بضعة منه وقد صححه السبكي في الحلبيات وبالغ في تصحيحه ولم يتزوج بكرا غيرها
ولما خطبها من أبي بكر رضي الله عنه قال له يا رسول الله انها صغيرة لا تصلح ولكن انا رسله اليك فان
كانت تصلح فهي السعادة الكاملة فقال ان جبريل أتاني بصورتها على ورقة من الجنة وقال ان الله تعالى
زوجك بهذه ثم ذهب أبو بكر الى منزله وملأ طبقا من تمر وغطاه وقال يا عائشة اذهبي بهذا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقولي له يا رسول الله هذا الذي ذكرته لابي بكر ان كان يصلح فبارك عليك
فمضت اليه عائشة بالطبق وهي تظن ان أبا بكر يعني التمر فقالت عائشة فدخلت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبلغته الرسالة فقال قبلنا يا عائشة قبلنا ولم يمد طرفه ثم قال فخرجت الله
مغضبة ودخلت على أبي بكر فاخبرته بما وقع فقال يا بنية لا تظني برسول الله صلى الله عليه وسلم ظن سوء
ان الله تعالى قد زوجك به وانى قد زوجك منه قالت عائشة فما فرحت بشيء اشد من فرحي بقول أبي
بكر قد زوجتك منه وقد ورد انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم أرأيت لو نزلت وادياً فيه شجرة قد
أكل منها وو جدت شجرة لم يؤكل منها في أيهما كنت ترتع بعيرك قال في التي لم يؤكل منها يعني ان النبي
صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكرا غيرها وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله تعالى
عربا اترابا قال نساء الدنيا يدخلن الجنة ابكارا فكلما اقتضها زوجها تر جع بكرا فقالت عائشة
رضي الله تعالى عنها واوجاعاه فقال عليه الصلاة والسلام لا وجع في الجنة يا عائشة وقال عليه
الصلاة والسلام خذوا شطر دينكم عن هذه الحميراء والحميراء تصغير حمراء وأتى عمرو بن العاص الى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال أي النساء أحب اليك يا رسول الله قال عائشة قال ومن الرجال قال أبوها
قال ثم من قال عمر وعن أبي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال
كثير ولم يكمل من النساء الا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وفضل عائشة على النساء كفضل
الثريد على سائر الطعام وعن هشام بن عروة عن أبيه قال كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة
فاجتمع صواحبها الى أم سلمة فقلوا يا أم سلمة ان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة وانا نريد الخير
كما تريد عائشة فمري رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأمر الناس ان يهدوا اليه حيثما كان وحيثما دار فقالت
فذكرت ذلك أم سلمة للنبي صلى الله عليه وسلم فاعرض عنها فلما عاد اليها ذكرت له ذلك فاعرض عنها
فلما كان في الثالثة ذكرت له ذلك فقال يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة فانه والله ما نزل علي الوحي وأنا في
لحاف امرأة منكن غيرها وهيتها سودة توهمها وليلتها فكان لها يومان وليلتان دون بقية أمهات
المؤمنين وعن أم سلمة قالت عائشة رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعا يده على معرفة فرس
دحية الكلبي وهو يكلمه فقلت يا رسول الله رأيتك واضعا يدك على معرفة فرس دحية الكلبي وأنت
تكلمه قال أو رأيته قلت نعم قال ذاك جبريل وهو يقرئك السلام قالت وعليه السلام جزاه الله من
صاحب ودخيل خيرا نعم الصاحب الدخيل وقال سفيان الدخيل هو الضيف وروى سعيد بن المسيب
وعلقمة بن أبي وقاص وجماعة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد ان يسافر أقرع بين نسائه
فايتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه فاقرع بينهن في غزوة فخرج سهمي

عائشة

لقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ومنها المحبة لقوله تعالى ان
الله يحب المتقين ومنها الاكرام لقوله تعالى ان أكرمكم عند الله اتقاكم ومنها البشارة عند الموت لقوله تعالى الذين آمنوا وكانوا
يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ومنها النجاة من النار لقوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ومنها الخلود في الجنة لقوله تعالى

وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين ويرحم الله القائل من عرف الله ولم تفقه * مفرقه
الله فذاك الشقي ما يصنع العبد بغير الغنى * والعز كل العز للمتقي (وقال آخر) يريد المرء أن يعطى مناه * ويابى الله
الا ما أراده يقول المرء فائدتي ومالي * وتقوى الله أفضل ما استفاده (حكاية) ركب قوم سفينة فظهر لهم شخص على وجه
الماء وقال لهم هي كلمة أبيعها بالف دينار فقال أحدهم هذه ألف دينار فقال اطرحها ١٠٣ في البحر فطرحها فقال قل ومن يتق
الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب الآية فقال له احفظها حفظا جيدا فلما حفظها انكسر المركب وبقي الرجل على لوح يقرأ هذه الآية فرماه الموج في جزيرة فوجد فيها امرأة جميلة فسألها عن أمرها فقالت انا من بلد كذا وكذا وكل يوم يطلع من البحر جني في وقت كذا فيراودني عن نفسي فيحفظني الله منه فقال اجعليني في مكان أراه ولا يراني ففعلت فلما طلع الجني من البحر ورآه قرأ الآية فانتهت نار فأحرقت المرأة بذلك ثم أخذت بيد الرجل الى كهف فيه من الجواهر واللؤلؤ شيء كثير فخرت بهما سفينة فاشار اليها فقصدهما أهلها وأخذ كل واحد من الجوهر واللؤلؤ ما لا يعلمه الا الله (قوله وأتبع السيئة الحسنة تمحها) المراد بالحسنة الصلوات الخمس قال الله تعالى واقم الصلاة

عائشة فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد ما نزل الحجاب وهي تحمل في هودجها حتى
اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته وقفل راجعا دنا من المدينة آذن ليلة بالرحيل فقامت
ومشت حتى جاوزت الجيش فلما قضت شأنها اقبلت الى الرحل فلمست صدرها فاذا عقد من جزع
ظفار كان معها الاختها اسماء قد انقطع فرجعت في طلبه فحمل هودجها ظنا انها فيه وسار القوم
فرجعت بعدان وجدته فلم تر أحدا فيممت المكان الذي كانت فيه وقالت ان القوم سيفقدوني
فيرجعون الي فبينما هي جالسة غلبتها عيناها فنامت وكان صفوان بن المعطل السلمي مؤخرا وراء
الجيش فمر بها فرأى سواد انسان نائم فاتاها فعرفها فاسترجع فاستيقظت باسترجاعه ولم تسمع منه كلمة
غير استرجاعه فاناخ راحلته ووطئ على يدها حتى ركبت وانطلق يقود بها الراحلة وهو مولي ظهره حتى
ادرك بها الجيش بعدما نزلوا فرموا به وقال عبد الله بن أبي ابن سلول رئيس المنافقين والله ما نجت منه
ومانجا منها وشرع في ذلك حسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش زوجة طلحة بن عبد الله
وغيرهم فلما قدمت المدينة اشتكت واقامت شهرا والناس يفيضون في قول أهل الافك وهي لا تشعر
بشيء من ذلك الا انه كان يريبها في وجعها انها كانت لا تعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف
الذي كانت تراه منه اذا اشتكت وانما كان يدخل عليها فيسلم ثم يقول كيف تيكم حتى خرجت مع أم
مسطح قبل المناصع التي كن يتبرزن فيها قريبا من البيوت وذلك قبل ان تتخذ الكنف فلما فرغت من
شأنها مرجعا فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقالت لها عائشة بئسما قلت أتسبين رجلا
شهد بدرا قالت أي بنية ألم تسمعي ما قال قالت وماذا قد أخبرتها بقول أهل الافك فازدادت مرضا على
مرضها فلما رجعت الى بيتها استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن تأتي أبويها وارادت تيقن
الخبر من قبلهما فاذن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءت اليهما وقالت لامها أماه وما الذي يتحدث
الناس فقالت أي بنية هوني عليك فوالله لقلما كانت امرأة وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر الا
أكثرن عليها فقالت سبحان الله وقد تحدث الناس بهذا وبكت تلك الليلة حتى أصبحت وهي تبكي ودعا
صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب واسامة بن زيد حين لبث شهر الا يوحى اليه في شأنها للمشورة هما
في فراقها فاما اسامة فاشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يعلم من براءة أهله فقال يا رسول الله هم
اهلك ولا نعلم الا خيرا واما علي بن أبي طالب فقال لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وان تسأل
الجارية تصدقك فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك
فقالت له والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها قط امرا أغمصه عليها اكثر من انها جارية حديثة السن
تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله فانتهرها بعض اصحابه وقال لها اصدقي رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالت سبحان الله والله ما علمت عليها الا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب فقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم وصعد المنبر واستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول وقال يا معشر المسلمين من يعذرني
في رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي فوالله ما علمت على أهل بيتي الا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت

خيرا في النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيآت نزلت في رجل قبل امرأة أجنبية وقال صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس
والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر وقال صلى الله عليه وسلم أرأيتم لو ان نهرا بباب
أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء قالوا لا يبقى من درنه شيء قال كذلك الصلوات الخمس يمحو الله بهن
الخطايا أخرجه الائمة وفي الترمذي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ ثم قال من توضأ وضوئي هذا ثم صلى الظهر غفر له ما تقدم

بينهما وبين صلاة الصبح ثم صلى الصبح غفر له ما تقدم بينهما وبين صلاة الظهر ثم صلى المغرب غفر له ما تقدم بينهما وبين صلاة العصر ثم صلى العشاء غفر له ما تقدم بينهما وبين صلاة المغرب ثم لعله أن يبيت ليلته يتمرغ ثم ان قام فتوضأ وصلى الصبح غفر له ما بينهما وبين صلاة العشاء وعن أبي امامة الباهلي رضي الله عنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ونحن قعود معه اذ جاءه رجل فقال يا رسول الله اني أصبت حدا ١٠٤ فاقمه علي فسكت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عاد فقال يا رسول الله اني أصبت

عليه الاخيار وما كان يدخل على أهلي الا معي فقام سعد بن معاذ الانصاري فقال انا اعذرك منه يا رسول الله ان كان من الاوس قبيلتنا ضربنا عنقه وان كان من اخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان رجلا صالحا ولكن ادركته الحمية فقال لسعد بن معاذ لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله فقام اسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ وقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه فانك منافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان الاوس والخزرج حتى هموا ان يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر فلم يزل يخفضهم حتى سكتوا وسكت واشتد الامر على عائشة فاستأذنت عليها امرأة من الانصار فأذنت لها فجعلت تبكي معها فبينما هما على ذلك اذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس ولم يكن يجلس عندها منذ قيل فيها ما قيل فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اما بعد يا عائشة فانه قد بلغني كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه فقالت لابيها أجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لامها أجيبي عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت عائشة اني والله قد عرفت انكم قد سمعتم بهذا حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به والئن قلت لكم اني بريئة والله يعلم اني بريئة لا تصدقوني ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم اني بريئة صدقتموني واني والله لا أجد لي ولكم مثلا الا كما قال أبو يوسف فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ثم تحولت واضطجعت على فراشها وما كانت تظن ان الله ينزل في شأنها وحيا يتلى وانما كانت ترجو ان الله تعالى يرى نبيه في المنام براءتها فما فارق رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج من البيت أحد حتى انزل الله الوحي على نبيه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند نزول الوحي حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتي من ثقل القول الذي أنزل عليه فلما سري عنه صلى الله عليه وسلم اذا به يضحك فكان أول كلمة تكلم بها ان قال يا عائشة فان الله قد برأك فقالت لها أمها قومي اليه فقالت والله لا أقوم اليه ولا أحمد الا الله عز وجل الذي أنزل براءتي فأنزل الله عز وجل ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم العشر آيات من سورة النور فقال أبو بكر وكان ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره ووفاقته والله لا هدت انفق عليه شيا ابدا بعد ان قال في عائشة ما قال فانزل الله عز وجل ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة الى قوله ألا تحبون ان يغفر الله لكم فقال أبو بكر والله اني لاحب ان يغفر الله لي فاعاد الى مسطح النفقة وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذين رموا عائشة فجلدوا الحدود جميعا ثمانين ثمانين (تنبيه) في ضبط بعض ما تقدم قوله من جزع اظفار خزرمان بفتح الجيم والزاي وقد تسكن وهو مضاف الى اظفار مدينة باليمن وقوله هو دجها هو مركب من مراكب النساء يشبه القبة وقوله سواد انسان أي شخصه وقوله يفيضون أي يأخذون ويرفعون في التحدث به ومنه حديث مستفاض وقوله الافك أي الكذب وقوله يريبها أي يشكها وقوله تيكم اشارة للمؤنث والخطاب

حدا فاقمه علي فسكت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عاد الثالث فسكت عنه فاقيمت الصلاة فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو امامة تبع الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف وتبعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أنظر ما يرد على الرجل فلحق الرجل برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله اني أصبت حدا فاقمه علي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أتوضأت فاحسنت الوضوء قال بلى يا رسول الله قال ثم شهدت الصلاة معنا قال نعم يا رسول الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله تعالى قد غفر لك حدك أو قال ذنبك فتبين من هذه الاحاديث الشريفة ان الحسنات هي الصلوات الخمس والسيآت هي الصغائر من الذنوب ويجوز ان تكون الحسنة مطلقا والمحو على حقيقته كما هو ظاهر الحديث وفضل الله تعالى للجماعة

واسع وخبر أبي امامة المذكور يؤيد ذلك وقد قيل ان الحسنات هي سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم قال الامام القشيري رحمه الله ينبغي للعبد أن يستغرق جميع الاوقات بالعبادات فان اخلاه لحظة من الزمان من فرض يؤديه المرء أو نفل يأتي به جبرة عظيمة وخسران مبين ان الحسنات يذهبن السيآت ذلك ذكرى للذاكرين وقال السلمي

قال الواسطي أنوار الطاعات يذهب ظلم المعاصي وقال أهل الحقائق حسنات القدم تذهب سيآت الخدم وقال بعضهم لسكان العبرة يذهب سيآت الغيرة وقال بعضهم حسنات الاستغفار تذهب سيآت الاسرار وقيل غير ذلك * (تنبيه) * قال السلمي رحمه الله تعالى ما آخذ الله أحدا الا بذنوب به فمن لزم الصلاح والطاعة وقاه الله تعالى الآفات ومكاره الدارين ولذلك قال الله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون والاصلاح هو الرجوع الى الله والتضرع والابتهال ١٠ اليه في كل وقت ولحظة ونفس

وقال شقيق الصلاح ثلاثة أشياء أكل الحلال واتباع السنن ومخالفة الهوى وقال القشيري ان الله سبحانه وتعالى من كرمه لم يهلك من كان مصلحا وانما أهلك من كان ظالما (قوله وخالق الناس بخلق حسن) أي عاشرهم بخلق حسن وهو ان تعاملهم بما تحب أن يعاملوك به من كف الاذى وطلاقة الوجه وما أشبه ذلك لتجلب القلوب وتكمل المحبة وذلك جماع الخير وملاك الامر وجاء في حسن الخلق أخبار وآثار كثيرة سنذكر منها جملة فيما سيأتي ان شاء الله تعالى وهو من شيم النبيين والمرسلين وخواص المؤمنين ويكفي في ذلك مدح الباري سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بقوله وانك لعلى خلق عظيم (خاتمة المجلس) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد اللطف بالنساء

للجماعة الحاضرين وقوله المناصع مواضع التبرز للحدث الواحد مفصع وكانت المناصع خارج المدينة وهو صعيد فيح وقوله يتبرزن فيها المتبرز بفتح الراء موضع قضاء الحاجة وقوله وضيئة أي حسنة وقوله أغمصه أي أعيبها به والغمص الغيب والطعن في الناس وقوله الداجن وهو ما يألف البيوت من الحيوان كالشاة وقوله من يعذرني أي من ينصرني عليه والعاذر الناصر أي من يقوم بعذري ان كافأته على سوء فعله وقوله الهمت بذنب أي قارفت ووقعت فيه وقوله من البرحاء أي شدة الحمى وقوله مثل الجمان هو بتخفيف الميم حب يوب مدحرجة مثل اللؤلؤ تصنع من فضة وغيرها وقد سموا الدرجمانا وقوله في اليوم الشاتي أي البادر اه وكانت عائشة رضي الله عنها صاحبة كرم وزهد قال عطاء بعث لها معاوية بطوق من ذهب فيه جوهر قيمته مائة ألف فقسمته بين أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وعن أم درة وكانت تغشى عائشة انه بعث اليها عبد الله بن الزبير بمال في غرارتين قالت أراه ثمانين ومائة ألف فدعت بطبق وهي يومئذ صائمة فجلست تقسمه بين الناس فامست وما عندها من ذلك درهم فلما أمست قالت يا جارية هلمي بفطري فجاءتها بخبز وزيت فقالت لها أم درة ما استطعت عما قسمت اليوم ان تشتري لنا بدرهم لحما فتفطر عليه فقالت لا تعنفيني لو كنت اذكرتني لفعلت وعن عروة قال لقد رأيت عائشة تقسم سبعين ألفا وهي ترقع درعها وعن عوف بن مالك ان عائشة أخبرت ان عبد الله بن الزبير قال في بيع أو عطاء أعطته عائشة لتنتهين عائشة أو لاحجرن عليها فقالت أهو قال هذا قالوا نعم فنذرت انها لا تكلمه أبدا فاشتاق ابن الزبير اليها حين طال تركها له فقالت والله لا أحنث في نذري فلما طال ذلك على ابن الزبير كلم المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الاسود وهما من بني زهرة وقال أنشدكما الله الا ما أدخلتماني على عائشة فانها لا يحل لها ان تنذر قطيعتي فاقبل به المسور بن مخرمة وعبد الرحمن مشتملين بارديتهما حتى استأذنا عليها فقالا السلام عليك ورحمة الله وبركاته أندخل قالت عائشة أدخلوا قالوا كلنا قالت نعم أدخلوا كلكم ولا تعلم أن معهم ابن الزبير فلما دخلوا دخل ابن الزبير الحجاب وطفق يناشدها ويبكي وطفق المسور وعبد الرحمن يناشدانها الا ما كلمته وقبلت منه ويقولان ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عما قد علمت من التهاجر وانه لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال فلما أكثروا على عائشة من التذكرة والتحريج طفقت تبكي وتقول اني نذرت والنذر شديد فلم يزالا بها حتى كلمت ابن الزبير وأعتقت في نذرها ذلك أربعين رقبة وكانت تذكر نذرها بعد ذلك فتبكي حتى تبل خمارها وعن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه أن عائشة كانت تصوم الدهر ولا تفطر الا يوم الاضحى ويوم الفطر وعن القاسم قال كنت اذا غدوت أبدأ ببيت عائشة أسلم عليها فغدوت يوما فاذا هي قائمة تسبح وتقرأ فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وتدعو وتبكي تردد هاتين الآيتين فمكثت حتى مللت القيام فذهبت الى السوق لحاجتي ثم رجعت فاذا هي قائمة كما هي تصلي وتبكي وعن عامر انها كتبت لمعاوية أما بعد فان العبد اذا عمل بمعصية الله عاد حامده من الناس ذاما وعن أبي موسى انه قال ما أشكل علينا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث قط فسألنا عنه عائشة الا وجدنا عندها منه علما وعن مسروق

وقال أيسار جل صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الاجر مثل ما أعطى أيوب عليه السلام في بلائه وأيما امرأة صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله من الاجر مثل ما أعطى آسية بنت مزاحم امرأة فرعون (وحكي) ان رجلا جاء الى عمر رضي الله عنه يشكو اليه خلق زوجته فوقف ببابه ينتظر فسمع امرأته تستطيل عليه بلسانها وهو ساكت لا يرد عليها فانصرف الرجل قائلا اذا كان هذا حال أمير المؤمنين وكيف حالي فخرج عمر فرآه موليا فناداه ما حاجتك فقال يا أمير المؤمنين

جئت أشكو اليك خلق زوجتي واستطالتها علي فسمعت زوجتك كذلك فرجعت وقلت اذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالي فقال له عمر اني احتملتها لحقوق لها علي انها طباخة لطعامي خبازة لخبزي غسالة لثيابي مرضعة لولدي وليس ذلك بواجب عليها ولكن قلبي بها عن الحرام فانا أحتملها لذلك فقال الرجل يا أمير المؤمنين وكذلك زوجتي فقال فاحتملها يا أخي فانما هي مدة يسيرة فانظروا اخواني الى ١٠٦ حسن هذا الخلق اللهم حسن أخلاقنا ووسع علينا أرزاقنا يا كريم

(المجلس التاسع عشر في الحديث التاسع عشر)

الحمد لله غافر الذنب وان تكاثرت الذنوب قابل التوبة لمن يتوب شديد العقاب عند قسوة القلوب وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له جابر الكسير وميسر العسير ومفرج الكروب وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي أطلعه الله تعالى على أسرار الغيوب وملكه زمام الدنيا والآخرة فهو أعظم مخلوق وأشرف محبوب صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه من الشروق الى الغروب آمين (عن أبي العباس عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال يا غلام اني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الامة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك وان اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف رواه الترمذي وقال حديث حسن وفي رواية غير الترمذي احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك واعلم أن النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا) صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلموا اخواني وفقني الله وإياكم لطاعته

قال يحلف بالله لقد رأينا الاكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألون عائشة عن الفرائض وقال الزهري لو جمع علم عائشة الى علم جميع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وجميع النساء كان علم عائشة أكثر ولما مرضت جاءها ابن عباس يستأذن عليها فأخبرها بذلك ابن أخيها عبد الله بن عبد الرحمن فقالت دعني من ابن عباس فقال لها انه من صالحي بنيك جاء يسلم عليك ويودعك فقالت ائذن له ان شئت فلما جلس قال ابشري فما بينك وبين أن تلقي محمدا صلى الله عليه وسلم والاحبة الا خروج الروح من الجسد كنت أحب نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه ولم يكن يحب الا طيبا وسقطت قلادتك ليلة الابواء فاصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكانه والناس ليس معهم ماء فانزل الله عز وجل فتيمموا صعيدا طيبا وكان ذلك بسببك وأنزل براءتك مع الروح الامين فاصبح ذلك يتلى في مساجد الله فقالت دعني منك يا ابن عباس والذي نفسي بيده لوددت اني كنت نسيا منسيا قال الواقدي توفيت عائشة ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وهي ابنة ست وستين سنة وقال غيره توفيت سنة سبع وخمسين وأوصت أن تدفن بالبقيع مع صواحباتها وصلى عليها أبو هريرة وكان خليفة لمروان بن الحكم على المدينة حين خرج لحجه روى لها ألفا حديث رعشرة وقيل ألف وعشرة اتفقا منها على مائة وأربعة وسبعين وانفرد البخاري بأربعة وسبعين ومسلم بثمانية وستين (قالت) عائشة (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحدث) أي أنشأ واخترع من قبل نفسه أمرا حادثا وهو المسمى بالبدعة وهي لغة ما كان مخترعا على غير مثال سابق ومنه قوله تعالى بديع السموات والارض أي موجدها على غير مثال سبق وقوله تعالى قل ما كنت بدعا من الرسل وتكون في الخير والشر فمن الاول جمع القرآن في المصاحف واخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب ومن الثاني المكس ويقرب من ذلك قول من قال هي ما لم يقع في زمنه صلى الله عليه وسلم سواء دل الشرع على حرمته كالكوس والاشتغال بمذهب أهل البدع المخالفة لما عليه أهل السنة أو كراهته كزخرفة المساجد وتزويق المصاحف والزيادة في الذكر المحدود وبعد الصلاة والاجتماع للدعاء يوم عرفة بغير هاوان استحبه جماعة أو وجوبه كالاشتغال بعلم العربية المتوقف عليها فهم الكتاب والسنة أو ندبه كصلاة التراويح جماعة واقامة صور الائمة والقضاة وولاة الامر بخلاف ما كان عليه الصحابة بسبب ان المصالح والمقاصد الشرعية لا تحصل الا بعظمة الولاة في نفوس الناس وذلك في زمان الصحابة انما كان بالدين وفيما بعدهم انما يعظمون بالصور فيطلب تفخيمها حتى تصلح المصالح وقد كان عمر رضي الله تعالى عنه يأكل خبز الشعير والملح ويفرض لعامله نصف الشاة في كل يوم لعلمه بان الحالة التي هو عليها لو عملها غيره لهان في نفوس الناس ولم يحترموه وتجاسروا عليه بالمخالفة فاحتاج لي أن يضع غيره في صورة تحفظ النظام ولذلك لما قدم الشام ووجد معاوية بن أبي سفيان قد اتخذ الحجاب والمراكب النفيسة والثياب الهائلة العلية وسلك مسالك الملوك فسأله رضي الله عنه عن ذلك فقال له أنا بأرض نحن فيها محتاجون لي هذا فقال له لا آمرك ولا أنهاك ومعناه أنت أعلم بحالك هل أنت محتاج الى هذا فيكون حسنا أو غير محتاج

أن هذا الحديث حديث عظيم الموقع وأصل كبير في رعاية حقوق الله تعالى والنهوض لأمره (قوله يعني ابن عباس رضي الله عنهما كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم) أي على دابته كما في رواية تفيد جواز الارداف على الدابة إن أطاقته (قوله يوما) أي في يوم (قوله فقال لي يا غلام) هو الصبي من حين يفطم إلى نحو سنين وكان سنه إذ ذاك تسع سنين (قوله صلى الله عليه وسلم إني أعلمك كلمات) أي ينفعك الله بهن كما في رواية أخرى أي تتعلمهن وتعلمهن وهي إن كانت ١٠٧ قليلة فمعانيها كثيرة جليلة (قوله احفظ الله) أي احفظ الله بحفظ فرائضه وحدوده وملازمة تقواه واجتناب نواهيه وما لا يرضاه (يحفظك) في نفسك وأهلك ودنياك ودينك لا سيما عند الموت إذ الجزاء من جنس العمل ومنه فاذكروني أذكركم إن تنصروا الله ينصركم قد مدح الله تعالى الحافظين لحدوده فقال تعالى هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ (قوله احفظ الله تجده تجاهك) أي احفظ الله وكن ممن خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب تجده تجاهك أي أمامك أي تجده معك بالحفظ والإعانة والتأييد والإعانة حيثما كنت فاستأنس به وتسغن به عن خلقه وخص الإمام من بين الجهات الست إشعارا بشرف المقصد وبأن الإنسان مسافر إلى الآخرة غير مقيم في الدنيا والمسافر إنما يطلب أمامه لا غيره والمعنى تجده حيثما توجهت وتيممت وقصدت من أمر الدنيا والدين (قوله إذا سألت فاسأل الله) أي إذا أردت سؤال شيء فاسأل الله أن يعطيك إياه ولا تسأل غيره فإن خزائن الجود بيده وأزمتها إليه إذ لا قادر ولا معطي ولا متفضل غيره فهو أحق أن يقصد سيما وقد قسم الرزق وقدره لكل أحد بحسب ما أراده له لا يتقدم ولا يتأخر ولا يزيد ولا ينقص بحسب علمه القديم الأزلي وإن كان يقع في ذلك تبديل في اللوح المحفوظ بحسب تعليق على شرط ومن ثم كان للسؤال فائدة لاحتمال أن يكون إعطاء المسؤل معلقا على سؤاله روي

أو إباحة كاتخاذ المناخل للدقيق ففي الآثار أول شيء أحدثه الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخاذ المناخل لأن تليين العيش وإصلاحه من المباحات فوسائله مباحة وكذا الأكل الملاعق وقد مضر أبو يوسف صاحب الإمام أبي حنيفة مائدة الخليفة هارون الرشيد فطلب الملاعق فقال له يا أمير المؤمنين قد قال جدك ابن عباس في قوله ولقد كرمنا بني آدم أي جعلنا لهم أصابع يأكلون بها ولم نجعلهم كالدواب تأكل بأفواهها فأبى أن يأكل إلا بالملاعق هكذا ذكر بعضهم والذي في الكشاف عن نقل بعضهم أنه لما ذكر له أبو يوسف ما ذكره ابن عباس رد الملاعق وأكل بأصابعه وحينئذ فالبدعة تعتريها الأحكام الخمسة وإليه ذهب ابن عبد السلام والقرافي وغيرهما وشرعا ما لم يقع في زمنه صلى الله عليه وسلم ودل الشرع على حرمته وعليه فهي خاصة بالحادث المذموم ولما أراد علي رضي الله تعالى عنه لقاء الخوارج قال له مسافر بن عوف يا أمير المؤمنين لا تسر في هذه الساعة وسر في ثلاث ساعات تمضي من النهار فقال له علي رضي الله عنه ولم قال لأنك إن سرت في هذه الساعة أصابك وأصاب أصحابك بلاء وضر شديد وإن سرت في الساعة التي أمرتك بها ظفرت وظهرت وأصبت ما طلبت فقال علي رضي الله عنه ما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم ولا لنا من بعده في كلام طويل يحتج فيه بآيات من التنزيل فمن صدقك في هذا القول لا آمن عليه أن يكون كمن اتخذ مع الله ندا أو ضدا اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك ثم قال له نكذبك ونخالفك ونسير في هذه الساعة التي نهيتنا عنها ثم أقبل على الناس فقال يا أيها الناس إياكم وتعلم النجوم إلا ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر فإنما المنجم كالساحر والساحر كالكافر والكافر في النار والله لئن بلغني أنك تنظر في النجوم وتعمل بها لأخلدنك في الحبس ما بقيت وبقيت ولا حرمنك العطاء ما كان لي من سلطان ثم سار في الساعة التي نهاه عنها فلقي القوم وقتلهم وهي واقعة النهروان (في أمرنا) أي ديننا ويطلق الأمر على القول كقوله تعالى في الكهف إذ يتنازعون بينهم أمرهم أي قولهم فيما بينهم وعلى العذاب كقوله تعالى في هود وجاء أمرنا أي عذابنا وعلى غيض الماء وقضي الأمر بمعنى وجب عليهم العذاب وسوء الغرق وعلى فتح مكة كقوله تعالى في سورة براءة فتربصوا حتى يأتي الله بأمره يعني فتح مكة وعلى يوم القيامة كقوله تعالى أتى أمر الله يعني يوم القيامة وكقوله في الحديد حتى جاء أمر الله يعني يوم القيامة وعلى الوحي كقوله تعالى في الم تنزيل يدبر الأمر من السماء إلى الأرض يعني ينزل الوحي من السماء إلى الأرض وعلى الخير كقوله تعالى في سورة النساء وإذا جاءهم أمر من الأمن أي خير ويطلق ويراد به الشأن كقوله تعالى وما أمر فرعون برشيد ويطلق ويراد به مصدر أمره وهذا يجمع على أوامر والذي يعنى الشأن يجمع على أمور وعبر عن الدين بالأمر لأنه الأمر المهتم بشأنه ومن ثم جاء في رواية ديننا وتفسيره لا للأمر المقابل للنهي فإنه اقتضاء فعل غير كف مدلول عليه أي على الكف بغير لفظ نحو كف فقوله اقتضاء أي طلب وهو يتناول الطلب الجازم وغيره إذا كان غير كف وكذا إذا كان كفا مدلولا عليه بكف ومرادفه كاترك وذر ودع بخلاف الكف المدلول عليه بغير ذلك كلا تفعل فإنه نهي وعرفوه بأنه اقتضاء كف عن فعل لا بقول كف ونحوه (هذا) إشارة إلى جلالته

أنه صلى الله عليه وسلم قال ان الروح الامين الذي في روعي ان نفسا حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب اي ملتبسين بالاجمال فيه مع النظر لذلك لا فائدة في سؤال الخلق مع التعويل عليهم فان قلوبهم كلها بيد الله يصرفها على حسب ارادته فرجاء ان لا يعتمد في أمر من الامور الا عليه فانه المعطي المانع لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع الا الخالق والامر وبيده النفع والضر وهو على كل شيء قدير وقد جاء في الحديث ١٠٨ من لم يسأل الله يغضب عليه قليسأل أحدكم ربه حاجته حتى شسع نعله اذا انقطع

وأخرج الحاملي وغيره قال الله تعالى من ذا الذي دعاني فلم أجبه وسألني فلم أعطه واستغفرني فلم أغفر له وانا أرحم الراحمين وفي الحديث ان الله يحب الملحين في الدعاء اي والمخلوق يغضب وينفر عند تكرار السؤال وقد قال الله تعالى لموسى عليه السلام يا موسى سلني في دعائك وحاجاتك وفي صلاتك حتى ملح عجينك وأنشدوا

لا تسألن بني آدم حاجة ... وسل الذي أبوابه لا تحجب
الله يغضب ان تركت سؤاله ... وبني آدم حين يسئل يغضب

فشتان ما بين هذين وسحقا لمن تعلق بالاثر واعرض عن العين (موعظة) سأل رجل الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه أن يعظه فقال الامام ان كان الله تعالى تكفل بالرزق فاهتمامك بالرزق لماذا وان كان الرزق مقسوما فالحرص لماذا وان كان الخلق على الله فالبخل لماذا وان كانت الجنة حقا فالراحة لماذا وان كانت النار حقا فالمعصية لماذا وان كانت الدنيا فانية فالطمأنينة لماذا وان كان الحساب حقا فالجمع لماذا وان كان كل شيء بقضائه وقدره فالحزن لماذا (قوله واذا استعنت فاستعن بالله) أي اذا طلبت الاعانة على أمر من أمور الدنيا والآخرة فاستعن بالله لانه هو القادر على كل شيء وغيره عاجز عن كل شيء حتى عن جلب مصالح نفسه ودفع مضارها كما

ومزيد رفعته وعظمته على حد ذلك الكتاب وان اختلفا في اداء الاشارة اذ ذاك أدل على ذلك من هذا والى احضاره في ذهن السامع كأنه يخبره شاهد الله ليتميز هذه أكمل تمييز لهذا أتى بما يشار به للقريب بيانا لحاله في القرب (ما ليس منه) أي ما ليس له فيه مستند من الكتاب والسنة سواء كان قولا أو فعلا أو اعتقاديا (فهو رد) أي مردود على فاعله لبطلانه من اطلاق المصدر على اسم المفعول كخلق وخلوق ونسج ومنسوج ومنه قول بعضهم انت رجائي أي مرجوي وكأنه قال فهو وغير مستند به ولا معول عليه وهو عام مخصوص بالحادث الذي دل الشرع على حرمته لكن يقيد بما اذا كانت حرمته لذاته كصلاة من غير ركوع أو الخارج عنه لازم كصلاة بلا طهارة وأما لو كانت الحرمة لخارج عنه غير لازم كصلاة في أرض مغصوبة فلا تكون باطلة وقوله فهو أي المحدث بالفتح ويصح الكسر ويكون راجعا لمن أي ناقص مطرود واذا رد هل يجري هنا ما قيل في زيد عدل من كونه على حذف مضاف أو انه على وجه المبالغة قال أبو العباس الابياني من علماء الاندلس ثلاث لو كتبن على الظفر لوسعهن وفيهن خير الدنيا والآخرة اتبع ولا تبتدع انفع ولا ترتفع من ورع لا يشبع وروى الديلمي عن ابن مسعود عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة وروى ابن ماجه عن حذيفة مرفوعا لا يقبل الله لصاحب بدعة صلاة ولا صوما ولا صدقة ولا حجا ولا عمرة ولا جهادا ولا صرفا ولا عدلا يخرج من الدين كما تخرج الشعرة من العجين وروى الخطيب والديلمي عن أنس اذا مات صاحب بدعة فقد فتح في الاسلام فتح وروى الطبراني عن عبد الله بن بشير من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الاسلام وقال أبو عثمان الحيري من صح ايمانه يهدي الله قلبه لاتباع السنة وقال سهل بن عبد الله من داهن مبتدعا سلبه الله حلاوة السنن ويحكى عن أحمد بن حنبل انه قال كنت يوما مع جماعة يتجردون ويدخلون الماء فاستعملت حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام الا بمئزر فلم أتجرد فرأيت تلك الليلة في المنام قائلا يقول أبشر يا أحمد فان الله غفر لك باستعمال السنة فقلت من أنت فقال جبريل وقد جعلك الله اماما يقتدى بك (رواه البخاري ومسلم وفي رواية لمسلم) في صحيحه (من عمل عملا) أحدثه هو أو أحدثه غيره فعمل به فهو أعم من الاول وفي رواية للبخاري من فعل أمرا (ليس عليه أمرنا) أي حكمنا واذننا (فهو رد) أي مردود عليه وان لم يكن هو المحدث له وقيل اماتة بدعة خير من احياء سنة لان البدعة اذا استمرت صارت سنة وقال صلى الله عليه وسلم من أهان صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الاكبر ومن أحب صاحب بدعة لم يؤمنه الله يوم الفزع الاكبر وكان الامام مالك رضي الله عنه كثيرا ما ينشد هذا البيت

وخير أمور الدين ما كان سنة * وشر الامور المحدثات البدائع

(الحديث السادس)

(عن أبي عبد الله النعمان بن بشير) بفتح الباء الموحدة وكسر الشين المعجمة بن سعد بن ثعلبة بن خلاس بفتح الخاء المعجمة وتشديد اللام كما ضبطه ابن ماكولا وضبطه المقدسي وغيره بضم الجيم وتخفيف اللام ابن

الحسن الى عمر بن عبد العزيز لا تستعن بغير الله يكلك الله اليه وما أحسن قول الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام لجبريل لما قال له ألك حاجة حين ألقي في النار قال أما اليك فلا قال سل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي فان قوله يتضمن ان المنجي من الشدائد والمعطي للسؤال هو الله تعالى دون غيره (قوله واعلم بان الامة) أي سائر المخلوقين (لو اجتمعت) أي كلها (على أن ينفعوك بشئ) ان من خيري الدنيا والآخرة (لم ينفعوك) أي بشئ من ١٠٩ الاشياء (الا بشئ قد كتبه الله لك)

ابن كعب بن الحرث بن الخزرج الانصاري ولد على رأس أربعة عشر شهرا من الهجرة على الاصح وهو أول مولود للانصار بعد الهجرة كما ان عبد الله بن الزبير المولود معه في عامه أول مولود للمهاجرين قيل مات النبي صلى الله عليه وسلم وللنعمان ثمان سنين وسبعة أشهر وهذا يقتضي صحة تحمل الصبي المميز وأمه عمرة بنت رواحة أخت عبد الله بن رواحة سكن الكوفة وكان واليا عليها زمن معاوية بن أبي سفيان وكان استعمله على حمص قبلها ولما مات معاوية استعمله يزيد عليها فلما مات يزيد غزوا أهلها فدعا ابن الزبير نفاة فوه وأراد قتله فخرج هاربا ما تبعه خالد الكلاعي فقتله بقرية من قراها يقال لها حرب نيسان غيلة سنة خمس وستين وقيل أربع وستين وقيل ست وستين وله أربع وستون وهو صحابي ابن صحابي ابن صحابية وأبوه بشير هو القائل يا رسول الله علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك اذا نحن صلينا عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد وليس في الصحابة من اسمه النعمان بن بشير غيره هذا وفيهم النعمان جماعات فوق الثلاثين روى له مائة حديث وأربعة عشر حديثا اتفقا منها على عشرة وانفرد البخاري بحديث ومسلم باربعة وروى عنه ابنه محمد وحميد بن عبد الرحمن والشعبي وسالم بن أبي الجعد وسماك بن حرب وعمير ولم ينفرد برواية هذا الحديث بل رواه أيضا سبعة من أكابر الصحابة رضي الله عنهم (قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم) فيه رد على من قال انه لم يسمع من النبي صلى الله عليه وسلم وقد وقع في رواية مسلم والاسمعيلي من طريق زكريا وأهوى النعمان باصبعيه الى أذنيه وهو اشارة الى تأكيد التصريح بالسماع (يقول ان الحلال) هو كالحل ما انحلت عنه التبعات ضد الحرام وهو من باب ضرب يضرب وأما الحل بالمكان فهو من باب نصر ينصر (بين) أي ظاهر متضح لا يخفى حله كاكل الخبز والفواكه والكلام والمشي وغير ذلك واعلم ان أخذ المال اما أن يكون باختيار المكلف أو بغير اختياره كالارث والذي باختياره اما أن يكون من غير مالك كالاشياء المباحة التي لم يسبق عليها ملك أو تكون من مالك والذي يؤخذ من مالك اما أن يؤخذ كرها أو تراضيا والمأخوذ كرها اما أن يكون لسقوط عصمة المالك كالغنائم والاستحقاق للآخذ كالزكاة من الممتنعين ومن المأخوذ كرها النفقات الواجبات والمأخوذ تراضيا اما بعوض كالبيع والصداق واما بغير عوض كالهبة والصدقة وجميع هذه الاقسام حلال اذا روعيت شروط الشرع في تحصيلها ثم ان الحلال فسره الامام مالك والشافعي بما لم يرد بتحريمه دليل وأبو حنيفة بما دل دليل على حله وثمرة الخلاف تظهر في المسكوت الذي جهل أصله فعند مالك والشافعي هو من الحلال اذ هو الاشبه بيسر الدين وعند الحنفي من الحرام وبعضد الاول قول لا أجد فيما أوحي الى محرما الآية وقوله في رواية البخاري وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها (وان الحرام) وفي رواية الطبراني حلال بين وحرام بين بالتنكير وسوغ الابتداء فيه بالنكرة انه خبر لمبتدا محذوف تقديره الاشياء حلال بين وحرام (بين) أي ظاهر منكشف وهو ما منع منه شرعا اما الصفة في ذاته ظاهرة

أي في علمه أو في اللوح المحفوظ (وان اجتمعوا) أي كلهم (على أن يضروك بشئ) أي من ضرر الدنيا والآخرة (لم يضروك) أي بشئ من الاشياء (الا بشئ قد كتبه الله عليك) ويشهد له قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله والمعنى توجه الى الله في تحوق الضرر والنفع فهو الضار النافع ليس لاحد معه شئ في ذلك لان أزمة الموجودات بيده منعا وايجادا واطلاقا فاذا أراد أحد ضرك بما لم يكتبه عليك دفعه الله تعالى عنك وصرفه عن مراده بعارض من عوارض القدرة الباهرة مانع من الفعل من أصله أو من تأثيره وفي ذلك حث على التوكل والاعتماد على الله تعالى في جميع الامور والاعراض عما سواه (نكتة) لا ينافي هذا قوله تعالى حكاية عن موسى عليه

السلام فاخاف أن يقتلون انا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى لان الانسان مأمور بالفرار من أسباب المؤذيات الى أسباب السلامة وان لم يسلم كقوله تعالى خذوا حذركم وقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقول عمر رضي الله عنه انما نفر من قدر الله الى قدر الله (قوله رفعت الاقلام) أي تركت الكتابة بها لفراغ الامر والمعنى انتهت الكتابة بها في اللوح المحفوظ بما كان وبما يكون الى يوم القيامة (قوله وجفت) بالجيم (الصحف) التي فيها مقادير الكائنات كاللوح المحفوظ فلا تبديل بعد ذلك ولا نسخ لما

كتب فيها وقد يوجد فيها التحو وتبديل بحسب ما في علم الله تعالى ومصداقه قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب
أي أصله وهو العلم القديم الازلي الذي لا يغير منه شئ كما قاله ابن عباس وغيره * (تنبيه) * من علم هذا هان عليه التوكل على خالقه
والاعراض عما سواه روى ابن العربي بسنده انه صلى الله عليه وسلم قال أول ما خلق الله تعالى القلم ثم خلق النون وهي الدواة
وذلك قوله تعالى ن والقلم ١١٠ ثم قال له اكتب قال وما أكتب قال اكتب فما كان وما هو كائن الى يوم القيامة من
أو أجل أو رزق أو أثر
فجري بالقلم بما هو كائن الى
يوم القيامة ثم ختم القلم
فلم يكتب ولم ينطلق ولا
ينطلق الى يوم القيامة ثم
خلق العقل فقال له
الجبار ما خلقت خلقا
أعجب الي منك وعزتي
لا كملتك فيمن أحببت
ولانقصتك فيمن أبغضت
ثم قال صلى الله عليه
وسلم أكمل الناس عقلا
أطوعهم لله باطاعته
وروى مسلم ان الله
كتب مقادير الخلق قبل
أن يخلق السماء والارض
بخمسين ألف سنة وفيه
أيضا يا رسول الله فيم
العمل اليوم أفيما جفت
به الاقلام وجرت به
المقادير أم فيما يستقبل
قال بل فيما جفت به
الاقلام وجرت به المقادير
قالوا ففيم العمل قال
اعملوا فكل ميسر لما
خلق له * (فائدة) * قيل
أول من كتب العربي
وغيره آدم عليه السلام
وقيل اسمعيل أول من
كتب العربي وقيل أول

كالسم والخمر أو خفية كالزنا ونحو كالجوس وأما الحلال في تحصيله كالرباح والغضب والسرقة (وبينهما
أمور) أي شؤون وأحوال (مشتبهات) جمع مشتبهة وهو ما ليس بواضح الحل ولا الحرمة وقد اختلف
فيها على أقوال الاول ما اختلف فيه العلماء كالخيل فانها محرمة عند مالك لان لام العلة في قوله
لتركبوها وزينة تفيد الحصر عنده ومباحة عند غيره الثاني المكروه وبه قال الماوردي لانه حقيقة
بين الحلال والحرام فالورع تركه الثالث معاملة الانسان من في ماله شبهة أو خالطه حرام وبه قال
الخطابي ومثل ذلك من أراد شراء شئ فقال له صاحبه قبل الشراء اذ قد لان أذنه له بذلك لاجل الشراء
وربما لا يقع بينهما بيع وكذا اذا وجد في بيته مالا يدري أهو له أو لغيره قال في حياة الحيوان قيل
اختلاط غنم البادية بغنم الكوفة فسأل أبو حنيفة رحمه الله كم تعيش الشاة فقيل له سبع سنين فترك أكل
لحم الغنم سبع سنين الرابع ما لم يرد فيه نص من الشارع بتحليل ولا تحريم كمبات غير مألوف لم تعرف
العرب هل هو مضر أم لا قال في مختصر احياء علوم الدين ومن جملة المشتبه أن يكون الشئ قد
اشترى في الذمة ولكن قضى ثمنه من مال حرام الا أن يكون تسلم الطعام قبل دفع ثمنه بطيب قلب وأكل
قبل قضاء الثمن فهو حلال بالاجماع ولا ينقلب باداء المال في مقابلته من الحرام حراما بل غاية
لا تبرأ ذمته فكأنه لم يقض الثمن فلا يحرم ما أكل وان أبرأ ذمته مع العلم بكون الثمن حراما فهو وتراه
الذمة والحل انتهى ومحصله ان الاقسام أربعة فان اشتراه في الذمة ودفع الثمن قبل أن يسلم اليه فهو من
المشتبه لان الذمة لم تبرأ بدفع الثمن وان سلم له الطعام قبل قبض الثمن بطيب قلب وانشراح
وأكله قبل دفع الثمن أيضا فهو حلال وان أبرأ ذمته في القسمين مع العلم بكون الثمن حراما فهو وتراه
براءة الذمة من الثمن وحلية الشئ المشترى انتهى وأفضل كسب الرجل ما أكل من زراعته ثم صناعته
ثم تجارته وقد ورد أن آدم كان زراعا وان ادريس كان خياطا وان نوحا كان نجارا وان ابراهيم كان بزازا
وان من الانبياء من رعى الغنم بالاجرة الى غير ذلك وقال صلى الله عليه وسلم ما أكل أحد طعاما خيرا من
أن يأكل من عمل يده وكان داود لا يأكل الا من عمل يده وقوله مشتبهات بضم الميم وسكون الشين
المعجمة وفتح المثناة الفوقية وكسر الباء الموحدة على وزن مفتعلات كذا عند مسلم والبخاري في رواية
الاصيلي وهو رواية ابن ماجه وفي رواية الطبراني مشتبهات بفتح التاء والشين بتشديد الباء الموحدة
المكسورة وفي رواية السمرقندي مشبهات بفتح الشين وفتح الباء الموحدة المشددة وفي رواية بكسرها
على صيغة اسم الفاعل مشبهات أنفسها بالحلال واسناد ذلك اليها مجاز وفي رواية بضم الميم وسكون
الشين وكسر الباء الموحدة الخفيفة ومعناها كالثالثة لان همزه من باب الافعال وتلك من باب التفعيل
وعند الدارمي مشابهات وفي رواية للبخاري بالافراد وفي رواية لابي داود مشبهة بالافراد أيضا فهذه
ثمان روايات قال العراقي والمشهورة الرواية الاولى قال الخطابي معنى مشتبهات أي تشتبه على بعض
الناس دون بعض لانها في نفسها مشتبهة على كل الناس لابيان لها بل العلماء يعرفونها لان الله
تعالى جعل عليها دلائل يعرفها أهل العلم ولذا قال (لا يعلمهن) لفظا ان ماجه لا يعلمها

من وضع الخط نفر من طي ولم يصح في ذلك كله شئ والله سبحانه وتعالى أعلم (وفي رواية وهو
غير الترمذي احفظ الله تجده أمامك تعرف الى الله في الرخاء) أن تجيب بالدأب في الطاعات حتى تكون عند معروفا بذلك (يعرفك
في الشدة) تتقرب بها عنك وجعله لك من كل ضيق فرجا ومن كل هم مخرجا يقال ان العبد اذا تعرف الى الله في الرخاء ثم دعاه في الشدة
يقول الله تعالى هذا الصوت أعرفه وفي غيره لا أعرفه وقيل المراد تعرف الى ملائكة الله تعالى في حال اليسر باظهار العبادة والالتزام

للطاعة تعرفك فى حال الشدة فتشفع لك عند الله بقالت الفرج والمعونة منه لك وذلك لما روى ان العبد اذا كان له دعاء فى الرخاء كدعائه فى الشدة قالت الملائكة ربنا هذا صوت نعرفه وان لم يكن له صوت دعاء فى الرخاء فدعائى الشدة قالت الملائكة ربنا هذا صوت لا نعرفه (قوله واعلم أن ما أخطأك) أى فلم يصل اليك (لم يكن) مقدرا عليك (ليصيبك) لكونه غير مقدر لك (وما اصابك) أى من المقدرات عليك (لم يكن) مقدرا على غيرك (فيخطئك) اذ لا يصيب الانسان الا ما قدر له ١١١ أو عليه وذلك لان المقدرات سهام

وهو أرجح عند أهل العربية لان الاولى فى جمع ما لا يعقل أن يعامل معاملة المؤنث (كثير من الناس) أى لا يعلم حكمهن من التحليل والتحريم والاول الذى يعلم الشبهة يعلمها من حيث انها مشكلة ووقع فى رواية البخارى لا يعلمها أى لا يعلم حكمها وجاء ذلك أى مفسرا فى رواية الترمذى ولفظه لا يدرى كثير من الناس أمن الحلال هى أم من الحرام وقوله لا يعلمهن كثير الخ أى ويعلمهن قليل (فمن اتقى) من التقوى وهى لغة قلة الكلام والحاجز بين الشيئين واصطلاحا التحرز بطاعة الله عن مخالفته وامتثال أمر واجتناب نهيه هذا غير منفك عما قبله كما ان ما قبله كذلك فالاقتصار على أحدهما كاف وأصل اتقى أوتقى لانه من وقى وقاية فقلبت الواو تاء وادغمت التاء فى التاء وعدل على ترك الى اتقى ليفيد أن تركها انما يعتد به اذا خلا عن نحو رياء وسمعة (الشبهات) بدون الميم مع ضم الشين والباء كذا عند مسلم والبخارى جمع شبهة وهى ما يخيل للناظر انه حجة وليس كذلك والمراد بها هنا المشتبه وفى رواية غير الاسماعيلى المشتبهات بالميم والاختلاف فى لفظها من الرواة كالتى سلفت وهى من وضع الظاهر موضع المضمر تفخيما لشان اجتنابها والحذر منها (فقد استبرأ) بالهمز وقد يخفف والسين للمبالغة أى بالغ فى البراءة كما فى قوله تعالى فمن كان غنيا فليستعفف أو للتاكيد كما فى قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم من قولهم استبرأ الجارية اذا علم براءة رحمها من الحمل فاطلق العلم بالحصول وأراد الحصول (لدينه) مما يشينه (وعرضه) من الطعن فيه وهو فى الاصل رائحة الجسد وغيره طيبة كانت أو منتنة يقال طيب العرض ومنتن العرض وسقط حيث العرض اذا كان منتنا والعرض أيضا الجسد وفى صفة أهل الجنة انما هو عرق يسيل من اعراضهم أى من اجسادهم وأما فى الاصطلاح فهو كما فى النهاية موضع المدح والذم من الانسان سواء كان فى نفسه أو سلفه أو أهله ولما كان موضع النفس حمل عليها اطلاقا للحال على المحل قال الشاعر

صن العرض وابذل كل مال ملكته * فان ابتعد ذال المال للعرض أصون
ولا تطلقن منك اللسان بسوأة * فعند لك عورات وللناس ألسن
وعينك ان أهدت اليك معايبا * لقوم فقل يا عين للناس أعين

وأشار فى الحديث الاول الى ما يتعلق بالحق وبالثانى الى ما يتعلق بالخلق وقدم على عمر رضى الله عنه مسك وعنبر من البحرين فقال والله لوددت انى وجدت امرأة حسنة الوزن تزن لى هذا الطيب حتى أقسمه بين المسلمين فقالت امرأته عاتكة أنا جيدة الوزن فانا أزن لك قال لا فقالت لم قال لانى أخشى ان تأخذيه فتجعليه هكذا وأدخل أصابعه فى صدغيه وتمسحين به فى عنقك فاصيب فضلا من المسلمين وعن الفضيل انه كانت له شاة فاكلت شيأ يسيرا من علف لبعض الامراء فلم يشرب من لبنها من بعد ذلك حكاه فى الحدائق وقيل لابراهيم بن ادهم ألا تشرب من ماء زمزم فقال لو كان لى دلو لشربت وهو اشارة الى ان الدلو من مال السلطان فهو من المشتبه وقال ابن المبارك لان أرد درهما من شبهة خير من أن أتصدق بمائة ألف ومائة ألف وقد جاء فى الاثر من وقف موقف تهمة فلا يلومن من اساء

صائبة وجهت من الازل * فلابد أن تقع مواقعها
روى الامام أحمد انه صلى الله عليه وسلم قال ان لكل حق حقيقة وما بلغ عبد حقيقة الايمان حتى يعلم ان ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه ويؤيد ذلك قوله تعالى ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها واخرج الترمذى ان الله اذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط (قوله واعلم ان النصر) أى من الله للعبد على أعدائه انما يكون (مع الصبر) على طاعة الله وعن معصيته قال الله تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وقال تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين أى بالنصر والاثابة الى غير ذلك من الآيات والاخبار ولهذا كان الغالب على من

انتصر لنفسه الخذلان فمن صبر واحتسب نصره الله وايده (قوله وأن الفرج مع الكرب) أى يوجد سر تعامعه فلا دوام للكرب وشواهده كثيرة فى الكتاب والسنة وفيه تسلية وتانيس بان الكرب نوع من النعمة لما يترتب عليه ومنه قول بعضهم

عسى الكرب الذى أمسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب
ولعل الفوائد فى الشدائد قال الامام الشافعى رحمه الله تعالى
وكم لله من لطف خفى * يدق خفاه عن فهم الذكى
وكم يسر أتى من بعد عسر * ففرج كربة القلب الشجى
وكم أمر تساء به صباحا * ومات العز فيه بلا خفاء
وكم أمسى وقد ضاقت فلما * استحكمت حلقاتها * فرجت وكان يظنها لا تفرج
وكم أمر تساء به صباحا * ومات العز فيه بلا خفاء
وكم أمسى وقد ضاقت فلما * استحكمت حلقاتها * فرجت وكان يظنها لا تفرج
وكم أمر تساء به صباحا * ومات العز فيه بلا خفاء
وكم أمسى وقد ضاقت فلما * استحكمت حلقاتها * فرجت وكان يظنها لا تفرج
وكم أمر تساء به صباحا * ومات العز فيه بلا خفاء
وكم أمسى وقد ضاقت فلما * استحكمت حلقاتها * فرجت وكان يظنها لا تفرج
وكم أمر تساء به صباحا * ومات العز فيه بلا خفاء
وكم أمسى وقد ضاقت فلما * استحكمت حلقاتها * فرجت وكان يظنها لا تفرج

وقال غيره توقع صنع ربك سوف يأتي * بما تهواه من فرج قريب ولا تيأس إذا ما نابك خطب * فكم في الغيب من عجب عجيب وقال غيره لا تجزع عن إذا ما الأمر ضاقت به * ولا تبين الخالي البال ما بين طرفة عين وانتباهتها * يغير الله من حال إلى حال (قوله وإن مع العسر يسرا) أي كما نطق به القرآن العزيز ومن ثم ورد عن جمع من الصحابة وعنه صلى الله عليه وسلم لن يغلب عسر يسرين وأخرج البزار وابن أبي ١١٢ حاتم واللفظ له لو جاء العسر فدخل هذا الجحر لجاء اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه

فأنزل الله تعالى هذه الآية * (خاتمة المجلس) * من الأدعية المستجابة إذا حل لشخص أمر ضيق يطبق أصابع يده اليمنى ثم يفتحها بكلمة لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم اللهم لك الحمد ومنك الفرج وإليك المشتكى وبك المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهي فائدة حسنة * وحكي عن بعضهم أنه كان إذا طلب منه شيء أدخل يده في جيبه فأخرج منه ما طلب منه وكان أصحابه ينظرون إلى جيبه ويعلمون أن ما فيه شيء فسئل عن ذلك فأخبر أن الخضر عليه السلام يأتيه بكل ما طلبت منه فالعجب ممن يتوكل على الله تعالى في نجاته من النار وفي جوازه على الصراط وفي شربه من الحوض وفي دخوله الجنة ولا يتوكل عليه في كسرات يقمن صلبه وفي ثوب يستر به عورته اللهم وفقنا أجمعين آمين * (المجلس العشرون في الحديث العشرين) * الحذور

الحمد لله الذي جعل قلوب بنا بذكره مطمئنة وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له اطلع على ضمائرنا ومكنون سرائرنا فلا يخفى عليه ما أضمره العبد وأكنه وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أفضل المخلوقين من الملائكة والإنس والجن صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الذين بينوا الفرض والسنة آمين (عن أبي مسعود عقبة بن عامر الأنصاري البدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى

الظن به ولهذا أمر المصطفى صلى الله عليه وسلم وسعد امرأته صفية فرآهما رجلان فأسرعا فقال لهما على رسلكما إنها صفية بنت حيي فقالا سبحان الله قالا إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وقد خشيت أن يقذف في قلوبكما شرا أو كذا ما رأى تمرة ملقاة قال لولا أخشى أنها صدقة لأكلتها وفي عطف العرض على الدين دليل على أن طلب براءته مطلوب كطلب براءة الدين ومن ثم ورد ما وفي به العرض صدقة وعلى طلب نزاهته عما يظنه الناس شبهة ولو من علم عدمه في نفس الأمر ومن ثم لما خرج أنس لصلاة الجمعة فرأى الناس راجعين منها فدخل محلا لا يرونه وقال من لا يستحي من الناس لا يستحي من الله لو أمره أحد أبويه باخذ أو أكل شبهة فقال أجتهد لا يطيعهما وتوقف آخرون وقال بعض السلف يطيعهما ما لم توقف آخرون وقال شارح المشكاة الذي يتجه أن الشبهة إن خفت ولم يكن على الولد في ذلك ضرر وكان أن لم يفعل ذلك تأذى الوالد أذى ليس بالهين جاز والا فلا ثم إن متعاطي الحلال الصرف الذي لم يخالطه شبهة من جملة الذين لم تسلط الأرض على أجسامهم وقد ذكرناهم في شرح المقدمة العشماوية في أول باب الجنائز (ومن وقع في الشبهات) فيه من اختلاف الرواة ما تقدم (وقع في الحرام) المحض ويحتمل معنيين أحدهما من أكثر من تعاطي الشبهات صادف الحرام وهو لا يشعر به والثاني أنه يعتاد التساهل ويتمرن عليه ويجسر على شبهة ثم أخرى أغلظ منها وهكذا حتى يقع في الحرام عمدا ومن ثم قيل الصغيرة تجر الكبيرة وهي تجر الكفر ولذا قال تعالى وقتنا الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا أي تدرجوا بالمعاصي إلى قتلهم فيتدرج من درجة إلى أخرى بالتساهل والتسمح ومنه تلك حدود الله فلا تقربوها نهى عن المقاربة حذرا من المواقعة وقليل الشرب يدعو إلى كثيره والخلوة بالأجنبية تدعو إلى الفجور والقبلة للصائم تدعو إلى الوطء وقال صلى الله عليه وسلم لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده أي يتدرج بذلك إلى نصاب السرقة فتقطع يده وقال هشام كنت أمشي خلف العلاء فبتوقى الطين فدفعه إنسان فوقعت رجله في الطين فخاضه فلما وصل إلى الباب قال لي رأيت يا هشام قلت نعم قال كذلك المرء المسلم يتوقى الذنوب فإذا وقع فيها خاضها وقوله وقع في الحرام أي سقط فيه لأن الوقوع في الشيء السقوط فيه وكل سقوط شديد يعبر عنه بذلك وإنما قال هنا وقع دون يوشك أن يقع على وزن قوله يوشك أن يرتع إما بتحقيق الوقوع و لأن حمى الملك حدود محروسة يدركها كل ذي بصر فيجوز أن يتحرز عنها إلا أن تغلبه الدابة الجموح وأما حمى الله فهو ممقول لا يدركه الأذوو البصائر فربما يحسب الشخص أنه يرتع حول الحمى فإذا هو في وسط محارمه وما أورده المؤلف هنا من ثبوت جواب الشرط هو رواية مسلم وأما في رواية البخاري فمحذوف حيث قال ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه وحينئذ فلا فيها موصولة والتقدير والذي وقع في الشبهات مثل راع يرعى (كالراعي) انظر رواية البخاري كراع (يرعى) الماشية (حول الحمى) بكسر الحاء وفتح الميم المخففة أي المحمي فاطلق المصدر على اسم المفعول كذا قيل وفيه نظر لأنه مصدر حمى يحمي حماية وحينئذ فهو اسم مصدر والحمى هو المكان

الله عليه وسلم ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ما شئت رواه البخاري) اعلموا اخواني وفقني الله وإياكم لطاعته أن هذا الحديث حديث عظيم (قوله ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى) أي مما اتفقت عليه الشرائع لانه جاء في أولها وتتابعت بقيتها عليه اذ الحياء لم يزل في شرائع الانبياء الاولين ممدوحا وما مورا به ولم ينسخ في شرع وفي حديث لم يدرك الناس من كلام النبوة الاولى الا هذا اذا لم تستح فاصنع ما شئت واختلف العلماء في معناه ١١٣ قال بعضهم معناه الخبر وان كان لفظه لفظ الامر فكأنه قال اذا لم يمنعك الحياء فعلت ما شئت فان من لم يكن له حياء يحجزه عن محارم الله تساوى عليه فعل الصغائر وارتكاب الكبائر قال بعضهم اذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستحي فاصنع ما تشاء فلا والله ما في العيش خير ولا الدنيا اذا ذهب الحياء

وقال بعضهم معناه الوعيد كقوله تعالى اعملوا ما شئتم أي اصنع ما شئت فان الله مجازيك وقال بعضهم انظر ما تريد أن تفعل فان كان ذلك مما لا تستحي منه فافعل منه ما شئت فان ذلك الفعل يكون جاريا على نهج السداد وان كان مما يستحي منه فدعه ومعنى الحديث أن عدم الحياء يوجب الانهماك في هتك الاستار وفيه معنى التحذير والوعيد على قلة الحياء وفيه ان الحياء من أشرف الخصال وأكمل الاحوال ولذا

المحذور على غير مالكه بان يمنع الامام أو نائبه من رعى مكان لاجل مواشي الصدقة أو خيل المجاهدين ووجه التشبيه ان الراعي اذا جاور رعيه حول الحمى الى وقوعه في الحمى استحق العقاب فكذلك من أكثر الشبهات حتى وقع في الحرام فانه تستحق العقاب بسبب ذلك فالرب جل جلاله حمى محارمه كالجرائم على النفس والمال والعرض ومطلق المحارم وقد حرم ابراهيم مكة والشارع المدينة وحمى عمر السرف والربذة (يوشك) بضم الياء وكسر الشين المعجمة من أفعال المقاربة العشرة أي يقرب ويقال في ماضيه أوشك من أنكر استعماله ماضيا فقد غلط ويستعمل منه اسم فاعل فيقال موشك الا انه نادر (أن يرتع) بفتح التاء فيه وفي ماضيه وأصله الاقامة والبسط في الاكل والشرب ومنه قول اخوة يوسف نرتع ونلعب أي نتنعم ونلهو ومن قرأ نرتع بضم النون وكسر التاء معناه نرتع ابلنا (فيه) أي تأكل ماشيته منه (ألا) بفتح الهمزة وتخفيف اللام حرف استفتاح ومثلها أما فان وقعت ان بعد الهمزة كانت مكسورة لا غير نحو وقوله تعالى ألا انهم هم المفسدون وان وقعت بعد ما كان فيها الكسر والفتح تقول اما أن زيدا قائم بكسر ان وفتحها وكذلك اذا وقعت بعد اذا على ما تقرر في علم العربية وألا يدل على تحقيق ما بعده وتدخل على الجملتين نحو ألا انهم هم السفهاء الا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وافادتها التحقيق من جهة تركيبها مع همزة الاستفهام ولا النافية وهمزة الاستفهام اذا دخلت على النفي أفادت التحقيق نحو أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى قال الزمخشري ولكونها بهذا المنصب لا تقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلى به القسم نحو ألا ان أولياء الله (وان لكل ملك) من ملوك العرب (حمى) يحميه عن الناس ويمنعهم من دخوله فمن دخله أو قرب به العقوبة ومن احتاط لنفسه لا يقارب ذلك الحمى خوفا من الوقوع فيه وقد كان كليب اذا رعى رأى عجيبة حماه وعلامة ذلك أن يأخذ جراء فيقطع أذنه وذنبه ويتركه في ذلك المكان ينبح فاذا سمعت العرب نباحه تجنبت ذلك المرعى وقيل انه كان يعمل الى الروضة فاذا أعجبته كنع قوائم كلبه وألقاه في وسطها فحيث بلغ عواء الكلب كان حمى لا يرعى فيه يقول الشاعر

أبحث حمى تهامة بعد نجد ✻ وماشئ حميت بمستباح

(الا) كررها للدلالة على فخامة شأن مدخولها وعظم موقعه (وان) باثبات الواو وكما في رواية أبي ذر وفي رواية غيره فان قلت ما وجه ذكر الواو هنا وتركها وما وجه ذكرها في قوله الا وان في الجسد مضغة فالجواب أما وجه ذكرها هنا فبالنظر الى وجود التناسب بين الجملتين من حيث ذكر الحمى فيهما وأما وجه حذفها قبالنظر الى بعد المناسبة بين حمى الملوك وبين حمى الله تعالى الذي هو الملك الحق لا لملك حقيقة الا له تعالى وتقدس وأما وجه ذكرها في قوله ألا وان في الجسد مضغة فبالنظر الى وجود المناسبة بين الجملتين نظرا الى ان الاصل في الاتقاء والوقوع هو ما كان بالقلب لانه عماد الجسد وملاكه وبه قوامه (حمى الله محارمه) أي المعاصي التي حرمها كذا في رواية لاسماعيلي وفي رواية غيره في أرضه بعد الجلالة وفي رواية أبي فروة معاصيه ووقع في رواية الطبراني فان حمى الله في الارض حلاله وحرامه فزاد الحلال ومعناه كما قال الحافظ العراقي أنه حد الحلال حد والحرام حد فلا

قال صلى الله عليه وسلم الحياء خير كله الحياء لا يأتي الا بخير وثبت أن الحياء شعبة من الايمان وقد كان صلى الله عليه وسلم أشد حياء من البكر في خدرها وفي حديث اذا أراد بعبد هلاكا نزع منه الحياء فاذا نزع منه الحياء لم تلقه الا بغيضا مبغضا فاذا كان بغيضا مبغضا نزع منه الامانة فاذا نزع منه الامانة فلم تلقه الا خائنا مخونا فاذا كان خائنا مخونا نزع منه الرحمة فلم تلقه الا فظا غليظا فاذا كان فظا غليظا نزع منه ربقة الايمان من عنقه فاذا نزع منه ربقة الايمان من عنقه لم تلقه الا شيطانا لعينا

ملعونا ولا ينبغي أن يرتجى في الحياء الا الخير الشرعي فان منه ما يذم شرعا كالحياء المانع من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع وجود شروطه وهذا في الحقيقة جبن لا حياء وتسميته حياء مجاز لمشابهته له ومثله الحياء في العلم المانع من سؤاله عن مهمات الدين اذا أشكلت عليه ولذا قالت عائشة رضي الله تعالى عنها نعم النساء نساء الانصار لم يمنعهن الحياء أن يسألن عن أمر دينهن وفي حديث ان ديننا هذا لا يصلح لمستحي أي حياء منه وما ولا لمتكبر وجاء في الصحيحين عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها جاءت أم سليم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان الله لا يستحي من الحق هل على المرأة من غسل اذا هي احتلمت قال نعم اذا رأت الماء فلم تستح من السؤال عن دينها * وجاء شر النساء الوزرة المذرة أي التي لا تستحي عند الجماع * وقد قال صلى الله عليه وسلم لمن رآه يعاتب أخاه في الحياء دعه فان الحياء من الايمان أي من أسباب أصل الايمان واخلاقه لمنعه من الفواحش وحمله على البر والخير كما يمنع الايمان صاحبه من ذلك وأولى الحياء من الله تعالى وهو أن لا يراك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك وكمال الحياء ينشأ عن معرفته تعالى ومراقبته وقد قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه استحيوا من الله حق الحياء قالوا انا نستحي يا نبي الله والحمد لله قال ليس كذلك ولكن من استحى من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى وليحفظ البطن وما حوى وليذكر الموت والبلى ومن فعل ذلك فقد استحى من الله حق الحياء * واعلم ان أهل الحياء يتفاوتون بحسب تفاوت أحوالهم وقد جمع الله تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم كمال نوعي الحياء فكان في الحياء الغريزي أشد من العذراء في خدرها وفي الكسبي واصلا الى أعلى غاية (قوله اذا لم تستح فاصنع ما شئت) يتضمن الاحكام الخمسة لان فعل الانسان اما أن يستحى منه أولا فالاول الحرام والمكروه والثاني الواجب والمندوب

اشكال فيه كما توهمه (الاوان في الجسد) أي البدن اذ البدن هو الجسد ما سوى الاطراف أو ما سوى الرأس كما قاله الازهري (مضغة) أي قطعة لحم قدر ما يمضغ في الفم لكنها وان صغرت في الحجم والصورة عظمت في القدر والرتبة ومن ثم كانت (اذا صلحت) بالايمان والعلم والعرفان وهو بفتح اللام وضمها والفتح أفصح وأشهر (صلح الجسد كله) بالاعمال والاخلاص والاحوال (واذا فسدت) بالجحود والكفران وهو بفتح السين وضمها أيضا والفتح أفصح وأشهر كذلك (فسد الجسد كله) بالفجور والعصيان ومن ثم قيل ان القلب كالملك والجسد والاعضاء كالرعية ولا شك أن الرعية تصلح بصلاح الملك وتفسد بفساده وأيضا هو كالارض وحركات الجسد كالنبات والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا وأيضا هو كالعين والجسد كالرعية ان عذب ماء العين عذب الزرع وان ملح ملح ولما سأل عمر بن عبد العزيز رجلا من رعيته كيف حال أميركم فقال له يا أمير المؤمنين اذا طابت العين عذبت الانهار وقد شق صدره صلى الله عليه وسلم مرات وغسل قلبه واستخرج منه علقة سوداء وقيل هذا حظ الشيطان منك ثم طهر قلبه وجسده فصار فردا قال أحمد بن خضرويه القلوب أوعية فاذا امتلأت من الحق أظهرت زيادة أنوارها على الجوارح واذا امتلأت من الباطل أظهرت زيادة ظلمتها على الجوارح وقال الغزالي في الاحياء القلب مثل قبة لها أبواب تنصب اليها الاحوال من كل باب ومثل هدف يرمى اليه بالسهام ومثل مرآة منصوبة يجتاز عليها الاشخاص فتتراءى فيها صور بعد صور ومثل حوض تنصب اليه ميازيب مختلفة من أنهار مفتوحة اه وقال بعضهم صلاح القلب في خمسة أشياء قراءة القرآن بالتدبر وخلاء الباطن وقيام الليل والتضرع عند السحر ومجالسة الصالحين ونظمها بعضهم فقال

دواء قلبك خمس عند قربته * فدم عليها تفز بالخير والظفر
خلاء بطن وقرآن تدبره * كذا تضرع بالك ساعة السحر
كذا قيامك جنح الليل أوسطه * وأن تجالس أهل الخير والخبر

وزاد بعضهم العزلة والصمت وترك خوض الناس وزاد آخر أكل الحلال وتوأمها فانه ينور القلب ويصلحه فيتركو بذلك الجوارح تدرأ المفاسد وتكثر المصالح وأكل الحرام والشبهات تصديه وتظلمه وتقسيه وقد قيل اذا صمت فافطر على طعام من تنظر فان الرجل يأكل الاكل فيشتغل قلبه كالسم فلا يشبع به أبدا وقيل يخاف على آكل الحرام أو الشبهة أن لا يقبل له عمل ولا يرفع له دعاء ألا تسمع قوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين وآكل الحرام والمسترسل في الشبهات ليس بمتق على الاطلاق وبعضه ما ثبت في حديث ان الله طيب الخ والمشروب أبو بكر الهذيل رضي الله تعالى عنه جرعة من لبن استغفر فاجتهد ذلك حتى تقايأها فقيل له أكل ذلك في شربة فقال والله لو لم تخرج الا بنفسي لاخرجتها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به خشيت أن ينبت شيء من جسدي من هذه الجرعة وروى أبو نعيم الاصفهاني في حليته ان أبا بكر رضي الله عنه كان يسأل عن الطعام فجاءه يوما وهو جائع فقال لغلامه هل عندك شيء فقال نعم قطعة لحم فقال له اشوها وهاتها فلما

والمباح ولذا قيل ان على هذا الحديث مدار الاسلام لما ذكرناه (مسئلة) يحرم كشف العورة بحضرة الناس وأما بغير حضرتهم فقد قال الامام النووي رحمه الله في شرح مسلم يجوز كشف العورة في محل قضاء الحاجة في الخلوة كحالة الاغتسال والبول ومعاشرة الزوجة وأما دخول الحمام فايضا يطلب له الحياء فقد قال العلماء رضي الله عنهم يباح للرجال دخول الحمام ويجب عليهم غض البصر عما لا يحل لهم وصون عوراتهم عن الكشف بحضرة من لا يحل له النظر ١١٥ اليها * وقد روي أن الرجل اذا

أكلها قال له الغلام مالك ما سألت عنها على عادتك فقال كنت جائعا فلم أين هي قال مررت على قوم من الجاهلية وضعوا عرسا فأعطوني هذه الاطعمة فقام أبو بكر ولم يزل يتقايا حتى أخرجها وهي مصبوغة بالدم فقيل له يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما مقدار هذه فقال والله لو لم تخرج الا برجي لاخرجتها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل لحم نشأ عن سحت فالنار أولى به وقال الاستاذ أبو نعيم القشيري رحمه الله تعالى قال ابراهيم بن أدهم الورع ترك كل شبهة وترك مالا يعنيك وهو ترك الفضلات وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة أن نقع في باب من الحرام وقال صلى الله عليه وسلم لابي هريرة كن ورعا تكن أعبد الناس وذكر بسنده عن السري السقطي رضي الله عنه انه كان من أهل الورع في أوقاتهم أربعة حذيفة المرعشي ويوسف بن أسباط وابراهيم بن أدهم وسليمان الخواص فنظروا في الورع فلما اضافت عليهم الامور فزعوا الى التقليل وقال السبكي لورع أن تتورع عما سوى الله تعالى وقال اسحق بن خلف الورع في المطعم أشد منه في الذهب والفضة والزهد في الرياسة أشد منه في الذهب والفضة لانك تبذلهما في طلب الرياسة وقال أبو عبد الله بن الجلاء أعرف من أقام بمكة ثلاثين سنة لم يشرب من ماء زمزم الا ما استقاه بركوته وارشائه ولم يتناول من طعام حلب من مصر وقال يحيى بن معاذ من لم ينظر في دقيق الورع لم يصل الى جليل العطاء وقال سفيان الثوري ما رأيت أسهل من الورع ما حاك في نفسك تركته وقيل جاءت أخت بشر ابن الحافي الى أحمد بن حنبل فقالت انا نغزل على سطوحنا فتمر بنا مشاعل الظاهرية يقع الشعاع علينا أفيجوز لنا الغزل في شعاعها فقال لها من أنت عافاك الله قالت أخت بشر بن الحافي فبكى أحمد بن حنبل وقال من بيتكم خرج الورع الصادق لا تغزلي في شعاعها قال وسمعت أبا علي الدقاق يقول كان الحارث المحاسبي اذا مد يده الى طعام فيه شبهة ضرب على رأس أصبعه عرق فيعلم انه غير حلال وكان بشر ابن الحافي دعي الى دعوة فوضع بين يديه طعام فجعل يدير يده اليه فلم يتعمد فعل ذلك ثلاث مرات فقال رجل يعرف ذلك منه ان يده لا تمتد الى طعام فيه شبهة ما كان أغنى صاحب هذه الدعوة ان يدعوه هذا الشيخ ودخل الحسن البصري رحمه الله مكة فرأى غلاما من أولاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد أسند ظهره الى الكعبة وهو يعظ الناس فوقف عليه الحسن وقال ما ملاك الدعاء فقال الورع فقال فما آفة الدين فقال الطمع فتعجب الحسن منه وقال الحسن مثقال ذرة من الورع خير من ألف مثقال ذرة من الصوم والصلاة وأوحى الله تعالى الى موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام لا يتقرب الى المتقربون بمثل الورع وقال أبو هريرة رضي الله عنه جلساء الله غدا أهل الورع والزهد وقال سهل بن عبد الله من لم يصحبه الورع أكل رأس الفيل ولم يشبع وقيل جيء الى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه مسك من الغنائم فقبض على مشامه وقال انما ينتفع من هذا بريحه وأنا أكره أن أجد ريح محدود المسلمين وسئل عثمان الحيري عن الورع فقال كان أبو صالح حدون عند صديق له وفي التنور خبز فنفخ أبو صالح السراج فقيل له في ذلك فقال كان الدهن الذي في المسرجة له ومن الآن صار للورثة اطلبوا دهنا

دخل الحمام عاريا لعنه ملكاه رواه القرطبي في تفسيره عند قوله تعالى كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وروى الحاكم عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال حرام على الرجال دخول الحمام الا بمئزر وأما النساء فيكره لمن بلا عذر مخبر بمن امرأة تخلع ثيابها في غير بيتها الا هتكت ما بينها وبين الله تعالى رواه الترمذي وحسنه ولان أمرهن مبني على المبالغة في الستر ولما في خروجهن واجتماعهن من الفتنة والشر * فعليكم يا اخواني بالحياء والزموا الادب تبلغوا الارب * ولنختم مجلسنا هذا بشيء يتعلق بالادب قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا قال علي رضي الله عنه أي أدبوهم وعلموهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم رواه ابن ماجه وقال صلى الله عليه وسلم

لان يؤدب أحدكم ابنه خير من ان يتصدق بصاع طعام فجعل تأديب الابن أعلى من الصدقة حكاه ابن أبي جمرة في شرح البخاري * وقال أبو علي الروذباري العبد يصل بأدبه الى ربه وبظاعته الى الجنة وقال سري السقطي رضي الله عنه صليت ليلة من الليالي فمددت رجلي في المحراب فنوديت في سري هكذا تجالس الملوك فقلت لا وعزتك لا مددت رجلي أبدا وقال بعض العارفين مددت رجلي في الحرم فقالت جارية لا تجالسه الا بالادب والا فيمحول من ديوان المقربين وقال بعضهم ترك الادب موجب للطرد فمن أساء أدبه

على البساط طرد الى الباب ومن أساء أدبه على الباب طرد الى سياسة الدواب وقال بعضهم من تأدب بأدب الصالحين صلح لبساط المحبة ومن تأدب بأدب الصديقين صلح لبساط المشاهدة وقال أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه وصف لي عابد فقصدت زيارته فرأيته قد بصق الى جهة القبلة فرجعت عن زيارته لانه غير مأمون على أدب من آداب الشريعة فكيف يكون مأمونا على الاسرار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تفل تجاه القبلة جاء يوم القيامة وتفلته بين عينيه رواه أبو داود * وعن أبي أمامة رضي الله

عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا قام للصلاة فتحت له الجنة وكشفت له الحجب بينه وبين ربه واستقبله الحور العين مالم يتنحنح أو يتنخع رواه الطبراني رضي الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم أكرم المجالس ما استقبل به القبلة وقال صلى الله عليه وسلم ان لكل شئ سيدا وان سيد المجالس قبالة القبلة وقال صلى الله عليه وسلم ان لكل شئ شرفا وزينة المجالس استقبال القبلة * وقال بعضهم ما فتح الله على ولي الا وهو مستقبل القبلة * وحكي ان رجلا علم ولدين القرآن على السواء فكان أحدهما يقرأ وهو مستقبل القبلة فحفظ القرآن قبل صاحبه بسنة قال أهل التصوف نفعنا الله تعالى ببركاتهم اذا صحت المحبة سقط الادب واستشهدوا لذلك بما نقل ان خطافا رأى خطافة فدخلت قصر سليمان

عليه السلام فقال ان لم تخرجي قلبت قصر سليمان عليه فدعاه وقال ما حملك على ما فعلت قال يا نبي الله ان العشاق لا يؤاخذون بأفعالهم وقالوا ان الادب أفضل من امتثال الامر واستشهدوا لذلك بان الصديق رضي الله عنه تأخر عن المحراب ولم يمتثل أمر النبي صلى الله عليه وسلم له بأتمام الصلاة وأما الفقهاء فقالوا امتثال الامر أفضل من الادب وبنوا على ذلك قول المصلي في التشهد اللهم صل على محمد من غير أن يقول على سيدنا امتثالا لقول النبي صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم ص

غيره وقال كم مس اذنبت ذنبا فانا أبكي عليه أربعين سنة وذلك انه زارني أخ لي فاشتريت بدانق سمكة مشوية فلما فرغ أخذت قطعة من طين من جدار بحاري حين غسل يده ولم استغله وكان رجل يكتب رقعة في بيت بكراء فاراد ان يترب الكتاب من جدار البيت فخطر بباله ان البيت بالكراء ثم خطر بباله انه لا خطر له فاذا قرب الكتاب فسمعها تقول سينظر المستخف الغراب ما يلقاه غدا من طول الحساب ورهن أحمد بن حنبل سطلا له عند بقال بمكة فلما أراد ذكاه أخرج البقال اليه سطلين وقال خذ أيهما شئت فقال أحمد أشكل علي سطلي هو لك والدراهم لك فقال البقال سطلك هذا وانما أردت ان أجرب ك فقال لا آخذه ومضى وترك السطل والدراهم وقيل سيب ابن المبارك دابة قيمتها كثيرة وصلى صلاة الظهر فرتعت في قرية سلطانية فتركها ابن المبارك الدابة ولم يركبها وقيل رجع ابن المبارك من مرو الى الشام في قلم استعاره ولم يرده على صاحبه واستأجر النخعي دابة فسقط سوطه من يده فنزل وربط الدابة ورجع فاخذ السوط فقيل له لو صوبت الدابة الى الموضع الذي سقط السوط فيه فاخذته فقال انما استأجرتها لامضي بها هكذا لا هكذا وقال أبو بكر الدقاق تهت في تيه بني اسرائيل خمسة عشر يوما بلياليها واذيت الطريق استعبلني جندي فسقاني شربة من ماء فعادت قسوتها على قلبي ثلاثين سنة وقيل خاطت رابعة شقاقي فيها في ضوء شعلة سلطانية فعقدت قلبها زمانا حتى تفكرت فشعشعت قميصها فوجدت قلبها وروى سفيان الثوري في المنام وله جناحان يطير في الجنة من شجرة الى شجرة فقيل له بم نلت هذا قال بالورع * ومر عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام بمقبرة فنادى رجلا منهم فاحياه الله تعالى فقال من أنت فقال كنت حمالا أنقل للناس فنقلت يوما لانسان حطبا فكسرت منه فلا لا تخللت به فانا مطالب به منذ مت اه كلام القشيري ولبعضهم رحمه الله تعالى

المرء ان كان عاقلا ورعا * أشغله عن عيوبهم ورعه
كالعليل السقيم أشغله * عن وجع الناس كلهم وجعه

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن اذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه فاذا تاب واستغفر صقل قلبه وان زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلك الران الذي ذكره الله عز وجل في كتابه كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وعن الاعمش قال كنا عند مجاهد فقال القلب هكذا ولوى بطرف منه فاذا أذنب العبد ذنبا قال هكذا وفتح واحدا ثم اذا أذنب وعقد اثنين ثم ثلاثا ثم رد الابهام على الاصابع في الذنب الخامس يطبع الله على قلبه قال مجاهد فما يكم يرى انه لم يبق على قلبه وقال يحيى بن معاذ سقم الجسد بالاوجاع وسقم القلب بالذنوب فكما لا يجد الجسد لذة الطعام عند سقمه فكذلك القلب لا يجد حلاوة العبادة مع الذنوب وقال خالد الربعي كان لقمان عبدا حبشيا فدفع مولاه اليه شاة وقال اذبحها واتني بأطيب مضغتين منها فاتاه باللسان والقلب ثم دفع اليه شاة أخرى وقال اذبحها واتني بأخبث مضغتين منها فاتاه باللسان والقلب فسأله عن ذلك فقال ما تني أطيب منهما اذا طابا ولا أخبث منهما اذا خبثا وقد قال زهير

على محمد وقيل للعباس رضى الله عنه انت أكبر أم النبى صلى الله عليه وسلم فقال هو أكبر منى وأنا ولدت قبله وذلك من أدبه رضى الله عنه (حكاية) دخل شقيق البلخى وأبو تراب النخشبى على أبى يزيد البسطامى رضى الله عنهم فاحضر خادمه الطعام فقالا للخادم كل فقال انى صائم فقال أبو تراب كل ولك أجر صيام شهر فقال انى صائم فقال شقيق كل ولك أجر سنة فقال انى صائم فقال أبو يزيد دعوا من سقط من عين الله فقطعت يده فى سرقة بعد سنة اللهم ارزقنا الادب بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين ويا أكرم الاكرمين ويا خير المسؤلين بجاه سيد المرسلين آمين

(المجلس الحادى والعشرون فى الحديث الحادى والعشرين)

الحمد لله الذى أدار الافلاك على قطبى الشمال والجنوب وريح الصبا ورفع قبة السماء بغير عمد وملأها هوسا وشهبا وجعلها بهجة للناظرين فمن تامل قدرته رأى من آياته عجبا وحكمة بالغة حارت فيها عقول العلماء والفقهاء والادباء وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الذى خلق من الماء بشرا فجعله صهرا ونسبا وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى لم يزل بآداب ربه متأدبا صلى الله عليه وسلم وعلى آله واصحابه الاخيار النجباء آمين

(عن أبى عمرو وقيل أبى عمرة سفيان بن عبد الله رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله قل لى فى الاسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك قال قل آمنت بالله ثم استقم رواه مسلم)

اعلموا اخوانى وفقنى الله وإياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم (قوله قلت يا رسول الله قل لى فى الاسلام) أى فى شرائعه (قولا) أى جامعا لمعانى الدين واضحا فى نفسه بحيث لا يحتاج الى تفسير غيرك اعمل به واكتفى به بحيث (لا أسأل) أى لا يحوجنى لما اشتمل عليه من الاحاطة والشمول ونهاية الايضاح والظهور الى أن اسأل (عنه أحدا غيرك قال قل آمنت بالله) أى جدد ايمانك بقلبك ولسانك لتستحضر جميع معانى الاسلام

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * فلم يبق الا صورة اللحم والدم

(الا وهى القلب) وهو مضغة فى الفؤاد معلقة بالنياط فهو أخص من الفؤاد كما قاله الواحدى وقال البدر الزركشى والاحسن قول غيره الفؤاد غشاء القلب والقلب حبته وسويداؤه ويؤيد الفرق قوله صلى الله عليه وسلم أتيت قلوبا وأفئدة وفى الصحاح انهما مترادفان فان القلب يعبر عنه بالفؤاد ومنه ان الكلام لفى الفؤاد ويعبر عنه بالصدر كما فى قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك ويعبر عنه بالثياب كما فى قوله تعالى وثيابك فطهر أى قلبك فطهر على أحد التفاسير وقول الشاعر

* فشكت بالرمح الطويل ثيابه * أى قلبه وقد يطلق القلب على العقل مبالغة كما فى قوله تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أى عقل فلقيامه به وعدم انفكاكه عنه صار كانه هو وسمى القلب قلبا لفرط تقلبه ولذا ورد فى الحديث ان القلب كريشة بارض فلاة تقلبها الرياح بطنا لظهر وقال بعضهم

وما سمى القلب الا من تقلبه * فاحذر على القلب من قلب وتحويل

(وقال آخر)

كان لى قلب أعيش به * قد ضاع منى فى تقلبه
رب فاوزده على فقد * ميل صبرى فى تطلبه
واغث مادام فى رمق * يا غياث المستغيث به

(وقال آخر)

وما سمى الانسان الا لنسيه * ولا القلب الا انه يتقلب

ولانه خالص ما فى البدن وخالص كل شئ قلبه أولانه وضع فى الجسد مقلوبا والقلب لغة صرف الشئ الى عكسه ومنه القلب فان قلت هذا يقتضى ان القلب هو أصل الصلاح والفساد وقد نرى الانسان أولا ينظر ثم يتأثر القلب كما قيل

كل الحوادث مبدأها من النظر * ومعظم النار من مستصغر الشرر
والمرء مادام ذا عين يقلبها * فى أعين الغيد موقوف على الخطر
كم نظرة فعلت فى قلب صاحبها * فعل السهام بلا قوس ولا وتر
يسر مقلته ما ضر مهجته * لا مرحبا بسرور جاء بالضرر

فهذا يدل على ان الجارحة تفسد القلب فالجواب ان الجوارح وان كانت تابعة للقلب فقد يتأثر القلب باعمالها لارتباط الذى بين الظاهر والباطن فهو وان كان صغير الجرم كبير القدر ولذا سمى الاعظم لكونه عظيم القدر (رواه البخارى) فى كتاب الايمان والبيع (ومسلم) فى البيع وهذا الحديث أصل فى القول بحماية الذرائع الذى ذهب اليه امامنا مالك رضى الله تعالى عنه

(الحديث السابع)

(عن أبى رقيقة) بضم الراء وتشديد المثناة التحتية مصغرا بنته لم يولد له غيرها (تميم بن أوس) بفتح الهمزة وسكون الواو ابن حارثة وقيل خارجة بن سويد وقيل سواد بن خزيمة بن ذراع بن عدى بن الدار بن هانئ بن حبيب بن نمارة بن لخم وهو مالك بن عدى بن الحرث بن مرة بن ادد بن زيد بن يشجب بن

والايمان الشرعي (ثم استقاموا) على الطاعات والانتهاء عن جميع المخالفات اذ لا تتأتى الاستقامة مع شيء من الاعوجاج وغاية الاستقامة وتمامها أن لا يلتفت العبد لغير الله تعالى وهي الدرجة القصوى التي هي اكمال المعارف والاحوال وصفاء القلوب في الاعمال وتنزيه العقائد من مفاسد البدع والضلال قال أبو القاسم القشيري رحمه الله ان لم يكن مستقيما حال الضاع سعيه وخاب بدء ولم يقبل لا يلتفت الاستقامة الا الاكابر ١١٨ فانها الانحصال الا بالخروج من المألوفات ومفارقة العادات والقيام بين يدي الله تعالى

على حقيقة الصدق ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الناس لا يطيقونها فيما أخرجه الامام أحمد استقيموا وان تطيقوا وحاصله ان الاسلام توحيد وطاعة فالتوحيد حاصل بالجملة الاولى والطاعة بجميع أنواعها داخل من الجملة الثانية اذ الاستقامة مرجعها الى امتثال كل مأمور واجتناب كل منهي وزاد الترمذي في هذا الحديث قلت يا رسول الله ما أخوف ما تخاف علي فأخذ بلسان نفسه وقال هذا فقيه ان أعظم ما يراعى استقامة بعد القلب اللسان فانه ترجمان القلب وقد أخرج الامام أحمد لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه وليعلم ان اللسان في بعض المواضع اضر من سيف قاطع وسنان مجرد قال سفيان لان ترمى اذانا بسهام أهون من ان ترميه بلسانك فان السهم قد يخطئه واللسان لا يخطئه وقيل جراحات السنان لها التئام ولا يلتئام ما جرح اللسان

يزرعون

بعرب بن قحطان (الداري) نسبة الى جده الدارين هانئ قيل الى موضع يقال له دارين ويقال له أيضا الديري نسبة الى دير كان يتعبد فيه (رضي الله عنه) كان نصرانيا فوفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم في جماعة من الدارين منصرفه من تبوك فاسلم وكان كثير التهجد يختم القرآن في ركعة فيما رأيته لم يتم بتميم فيها انقام سنة لم ينم فيها ركعة للذي صنع صلى ليلة بمام يعني الذين اجترحوا السيآت ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات وعلى يرددها ويبكي حتى أصبح وعن صفوان بن سليم انه قال قام تميم الداري في المسجد يقرأ ذات ليلة فمر بهذه الآية أم حسب الذين اجترحوا السيئات فما خرج منها حتى سمع أذان الصبح واشترى حلة بالف كان يقوم فيها الليل وعن محمد بن أبي بكر عن أبيه قال زار تميما عمر فبات عندنا فقمت بالليل فلما رفع صوتي بالقراءة فقالت يا أخي ما منعك ان ترفع صوتك بالقراءة فانما كان يوقظنا الاصوت معاذ القاري وتميم الداري ولقد قال عمر لبعض من قدم عليه اذهب وانزل على خير أهل المدينة فنزل على تميم قال فبينما نحن نتحدث اذ خرجت نار الحرة فجاء عمر الى تميم فقال يا تميم اخرج فصفر نفسه ثم قام فخرشه ثم ادخلها الباب الذي خرجت منه ثم اقتحم في أثرها ثم خرج فلم تضره وهو أول من قص في المسجد باذن عمر وذكر للنبي صلى الله عليه وسلم قصة الجساسة والدجال اذ وجده هو وأصحابه فحدث النبي صلى الله عليه وسلم بذلك على المنبر وعد ذلك من مناقبه ويدخل في ذلك رواية الاكابر عن الاصاغر فقد قالت فاطمة بنت قيس سمعت منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي الصلاة جامعة فخرجت الى المسجد فصليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قضى صلاته جلس على المنبر وهو يضحك فقال ليلزم كل انسان مصلاه ثم قال هل تدرون لم جمعتكم قالوا الله ورسوله اعلم قال اني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة ولكن جمعتكم لان تميما الداري كان رجلا نصرانيا فجاء وأسلم وحدثني حديثا وافق الذي كنت أحدثكم به عن المسيح الدجال حدثني انه ركب البحر في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لخم وجذام فلعب بهم الموج شهرا في البحر فارفؤا الى جزيرة أي قاربوها حين تغرب الشمس فجلسوا في أقرب السفينة بضم الراء جمع قارب بكسرها سفينة صغيرة يقال لها بنوك فخرجوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب كثير الشعر وهو تفسير لما قبله لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر قالوا ويلك ما أنت قالت أنا الجساسة سمقت بذلك لتجسسها الاخبار للدجال انطلقوا الى هذا الرجل في الدير فانه الى خبركم بالاشواق قال لما سمت لنا رجلا فرقنا منها أن تكون شيطانة قال فانطلقنا سراعا حتى دخلنا الدير فاذا فيه أعظم انسان ما رأيناه قط وأشده وثاقا مجموعة يداه الى عنقه ما بين ركبتيه الى كعبيه بالحديد قلنا ويلك ما أنت قال قد قدرتم على خبري ما أنتم قالوا نحن أناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية فلعب بنا البحر شهرا فدخلنا الجزيرة فلقيتنا دابة أهلب فقالت أنا الجساسة اعمدوا الى هذا الدير فاتوه فانا اليك سراعا فقال أخبروني عن نخل بيسان هل تثمر قلنا نعم قال أما انها يوشك أن لا تثمر قال أخبروني عن بحيرة طبرية هل فيها ماء قلنا هي كثيرة الماء قال ان ماءها يوشك أن يذهب قال أخبروني عن عين زغر هل في العين ماء وهل يزرع أهلها بماء العين قلنا نعم هي كثيرة الماء وأهلها

والاستقامة خير من ألف كرامة وما أكرم الله تعالى عبدا بكرامة خير من الاستقامة ولهذا لم ينقل عن الصحابة رضي الله تعالى عنهم الا القليل من الكرامات ونقل عن المتأخرين من المشايخ الصادقين والمريدين أكثر من ذلك رحمة الله عليهم أجمعين لان الصحابة رضي الله عنهم بركة النبي صلى الله عليه وسلم وصحبتهم له ومشاهدة الوحي وتردد الملائكة وهبوطها

بين يديه ثبورت قلوبهم وزكت نفوسهم فعاينوا الآخرة واستعظموا بما أعطوا من رؤية الكرامة والشقة لوا بالعبادة والاستقامة
وزهدوا في الدنيا الدنية كما في خبر حارثة المشهور ويقال في قول الله عز وجل ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قالوها بألسنتهم
ثم استقاموا فصدقوا بقلوبهم ويقال قالوا مصدقين بها ثم استقاموا على التصديق حتى ماتوا مسلمين ويقال قالوها بالايمان ثم
استقاموا بالطاعة والاحسان واعلموا يا اخواني ان من أطاع الله تعالى أطاعه كل ١١٩ شيء ومن خاف الله تعالى خافه

يزدعون من مائها قال أخبروني عن النبي الامين ما فعل قلنا خرج من مكة ونزل يثرب قال أقاتلته العرب
قلنا نعم قال كيف صنع بهم فاخبرناه انه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه قال أما ان ذلك خير لهم
أن يطيعوه وانى مخبركم عني انى أنا المسيح وانى يوشك أن يؤذن لي في الخروج فاخرج فاسير في الارض
فلا أدع قرية الا هبطتها في اربعين ليلة غير مكة وطيبة هما محرمان علي كلتاهما كلما أردت أن أدخل
واحدة منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتا يصدني عنها وان على كل نقب منهما ملائكة
يحرسونهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعن بمخصرته في المنبر هذه طيبة هذه طيبة هذه طيبة
يعني المدينة ألا هل كنت حدثتكم قالوا نعم اه والنقب الطريق بين الجبلين وسكن تميم رضي الله عنه
بيت المقدس بعد قتل عثمان رضي الله عنه ومات ودفن ببيت جبرين من أرض فلسطين سنة أربعين
وليس له في صحيح البخاري رواية ولا في مسلم لا في هذا الحديث (ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الدين)
بكسر الدال أي دين الاسلام وهو ما شرعه الله لعباده من الاحكام وقدمت معانيه في الخطبة
(النصيحة) هي كالنصح نقيض الغش والخديعة وهما غاية الاخلاص والتصفية من نحت العسل اذا
صفيته من الشمع شبه تخليص القول والفعل من الغش بتخليص العسل من الشمع أو من نصح
الرجل ثوبه اذا خاطه بالمنصح بكسر الميم وهي الابرة التي يخاط بها والصاح بكسر النون وتخفيف الصاد
الخيط والناصح الخياط شبه فعل الناصح فيما يتحراه من صلاح المنصوح ولم شعثه بلم الخياط حال
الثوب ولصق بعضه ببعض ومنه التوبة النصوح كان الذنب يمزق الدين والتوبة يخيطه ونصح له
أفصح من نصحته وشرط اخلاص الرأي من الغش للمنصوح وايثار مصلحته وان شئت قلت بذل
المودة والاجتهاد في المشورة وقوله الدين النصيحة كرره صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات وهو اما على حذف
مضاف أي عماد الدين وقوامه أي معظمه النصيحة على وزان الحج عرفة وبدل له رواية الطبراني
رأس الدين النصيحة واما على ظاهره اذ النصيحة لم تبق من الدين شيأ لان من جملتها الايمان بالله ورسوله
وطاعتهما والعمل بما قالاه من كتاب وسنة وليس وراء ذلك من الدين شيء كيف وقد مر في حديث
جبريل ان الدين هو الاسلام والاحسان وجميع ذلك مندرج تحت ماذكر من النصيحة وهي تحري
الاخلاص قولا وفعلا واعتقادا وبذل الجهد في اصلاح المنصوح سرا وجهرا وكل عمل لم يرد به عامله
الاخلاص فليس من الدين أصلا ومن ثم لم يكن في كلام العرب أجمع منها كما ان الفلاح ليس في كلامهم
أجمع لخيري الدنيا والآخرة منه (قلنا) معشر السامعين (لمن) فيه اشارة الى ان للعالم أن يكل فهم ما يلقيه
للسامع فلا يزيده في البيان حتى يسأله لتشوف نفسه حينئذ اليه فيكون أوقع في نفسه اذا فهمه من
أول وهلة (قال) صلى الله عليه وسلم (لله) بالايمان ونفي الشريك عنه واخلاص الاعتقاد في الوحدانية
ووصفه بصفات الالوهية وتنزيهه عن النقائص والقيام بطاعته واجتناب معصيته وموالاة
من أطاعه ومعاداة من عصاه والاعتراف بنعمته وشكره عليها والاخلاص في جميع الامور وفي
حديث رواه أحمد قال الله عز وجل أحب ما تعبدني به عبدي النصح لي * وروى الثوري عن

كل شيء قال عوف بن أبي شداد العبدي لقنني ان الحجاج بن يوسف لما ذكر له سعيد بن جبير أرسل اليه قائدا يسمى المتلمس ابن لاحوص ومعه عشرون رجلا من أهل الشام من خاصة أصحابه فبيتهم اهم يطلبونه اذا هم براهب في صومعة له فسألوه عنه فقال الراهب صفوه لي فوصفوا له فلما علموا عليه فاطلقوا فوجدوه ساجدا يناجي ياعلي صوته فدنوا منه فسلموا عليه فرفع رأسه ثم بقية صلاته ثم ردعليهم السلام فقالوا أرسل الحجاج اليك فاجبه قال ولا بد من الاجابة قالوا لا بد فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم قام فمشى معهم حتى انتهى الى دير الراهب فقال الراهب يامعشر الفرسان أصبتم صاحبكم قالوا نعم قال لهم اصعدوا الدير فان البوة والاسد يأبيان حول الدير فحاولوا الدخول قبل المساء ففعلوا ذلك واني سعيد أن يدخل الدير فقالوا له ما نراك الا تريد الهرب منا قال لا ولكن لا أدخل منزل مشرك أبدا قالوا فلا ندعك فان السباع تقتلك قال سعيد ان معي بي بصيرة اعني ويجعلها حراسا حولي تحرسني من كل سوء ان شاء الله تعالى قالوا أفأنت من الانبياء قال ما أنا من الانبياء ولكني عبد من عبيد الله حاطني مذنب فقالوا احلف لنا انك لا تبرح فحلف لهم فقال لهم الراهب اصعدوا الدير وأخرجوا القسي لتنفروا السباع عن هذا العبد الصالح فانه كره الدخول علي في الصومعة فدخلوا

وأوتروا القسي فاذاهم بلبوة قد أقبلت فلما دنت من سعيد ضحكت به وتمسحت به ثم رجعت قريبا منه وأقبل الأسد فصنع مثل ذلك فلما رأى الراهب ذلك وأصبح وانزل فسأله عن شرائع دينه وسنن رسوله صلى الله عليه وسلم ففسر له سعيد ذلك كله فأسلم الراهب وحسن اسلامه وأقبل القوم الى سعيد يعتذرون ويقبلون يديه ورجليه ويأخذون التراب الذي وطئه بالليل ويصلون عليه ويقولون ياسعيد حلفنا الحجاج بالطلاق ١٢٠ والعتاق ان نحن رأيناك لنذبحنك حتى نشخصك اليه فمر بما شئت فقال امضوا

على فقال قال الحواريون لعيسى يا روح الله من الناصح لله قال الذي يقدم حق الله على حق الخلق وحقيقة هذه الاضافة راجعة الى العبد في نصحه نفسه فانه سبحانه غني عن نصح الناصحين وعن العالمين (ولكتابه) مفرد مضاف فيعم جميع كتبه المنزلة بان يؤمن بانها من عنده وتنزيله وغير القرآن منه لا يشبهه شئ من كلام الخلق ولا يقدر أحد منهم على الاتيان بمثل أقصر سورة منه وتلاوته بخشوع واقامة حروفه في التلاوة والتصديق بما فيه وتفهم علومه واكرامه والاعتناء به والتفكر في عجائبه والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه والبحث عن ناسخه ومنسوخه وعمومه وخصوصه وسائر وجوهه ونشر علومه والدعاء اليه (ولرسوله) بتصديق رسالته والايمان بجميع ما جاء به والقيام معه في أمره ونهيه ونصر ته حيا وميتا واعظام حقه فقد روى المسور بن مخرمة ان عروة بن مسعود الثقفي رمق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا أمرهم ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له قال فرجع عروة الى أصحابه فقال يا قوم لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله ما رأيت ملكا قط تعظمه أصحابه ما تعظم أصحاب محمد محمدا والله ان يتنخم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده الحديث ومن النصيحة له احياء سنته والتفقه فيها والذب عنها واجلال أهل الانتساب اليها والتخلق باخلاقه والتأدب بآدابه ومحبة آل بيته وأصحابه وتجنب من تعرض لاحد من آله وأصحابه (ولائمة) جمع امام وهو القائم بامور المسلمين والامامة أعم من الخلافة اذ كل خليفة امام ولا ينعكس قيل والامامة على أربعة أوجه امامة وحي وهي النبوة وورائة وهي العلم وعبادة وهي الصلاة ومصلحة وهي الخلافة (المسلمين) الامر بعما ونهيهم على الحق وأمرهم به وتذكرهم بلطف ورفق واعلامهم بما غفلوا عنه من أمور المسلمين وحقوقهم والدعاء باصلاح لهم وترك الخروج عليهم والجهاد معهم وأداء الزكاة اليهم وامتثال أمرهم في غير المعاصي فقد ورد ان عبد الله بن حذافة السهمي بعثه النبي صلى الله عليه وسلم في سرية وأمر عليها وكان فيه دعابة فأمرهم أن يجمعوا حطبا ثم قدموا نارا فلما أوقدوها أمرهم بالتقحم فيها فابوا فقال لهم ألم يأمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم بطاعتي فقال من أطاع أميري فقد أطاعني فقالوا لما آمنا بالله واتبعنا الرسول الا لنجوة من النار فصوب رسول الله صلى الله عليه وسلم قولهم وقال لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق اه والعلماء بقبول ما رووه وتقليدهم في الاحكام ونشر مناقبهم واحسان الظن بهم وليس المراد بهم من تربا بزيه وادعى العلم وأكل الدنيا بالدين فان نصحهم نصح عامة المسلمين ان لم يستحلوا قال سهل بن عبد الله لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء فاذا عظموا هذين أصلح الله دنياهم وآخراهم واذا استخفوا بهذين أفسد دنياهم وآخراهم (وعامتهم) بارشادهم الى ما يصلح آخراهم ودنياهم وكف الاذى عنهم وتعليمهم ما جهلوه وستر عوراتهم وسد خلتهم ومحبته لهم ما يحب لنفسه وعدم غشهم واذا رأى من يغشهم واذا رأى من يغشهم أو جاهلا أو

يوم المحشر الاكبر فانه القاضي الاكبر والعدل الذي لا يجور فلما فرغوا من البكاء قال غير كفيله أسألك بالله يا سعيد الا مازودتنا من دعائك وكلامك فانا لم نلق مثلك فدعا لهم سعيد فطاوسا فغسل رأسه ومدر عنه وكساه وهم مختفون الليل كله فلما انشق عمود الصبح جاءهم سعيد بن جبير يقرع الباب فقالوا من بالباب فقال صاحبكم ورب الكعبة فخرجوا اليه وبكوا معه طويلا ثم ذهبوا به الى الحجاج فدخل عليه المتاهبس فسلم عليه وبشره بقدوم سعيد بن جبير فلما مثل بين يديه

قال له ما اسمك قال سعيد بن جبير قال أنت شقي بن كثير قال بل أمي كانت أعلم باسمي منك قال شقيت أنت وشقيت أمك قال الغيب يعلمه غيرك ثم قال له الحجاج لابد لنك في لدنيا فاوطئي قال لو علمت ان ذلك بيدك لاتخذتك الها قال فما قولك في محمد قال نبي الرحمة قال فما قولك في علي هل هو في الجنة أم في النار قال لو دخلتها وعرفت أهلها عرفت من فيهما قال فما قولك في الخلفاء قال لست عليهم بوكيل قال فايهم أعجب اليك قال أرضاهم لخالقي قال فايهم أرضى للخالق قال علم ١٢١ ذلك عند الذي يعلم سرهم ونجواهم قال فما بالك لا تضحك قال أيضحك مخلوق خلق من الطين والطين تأكله النار قال فما بالنا نضحك قال لم تستو القلوب قال ثم أمر الحجاج باللؤلؤ والزبرجد والياقوت فوضع بين يدي سعيد فقال لسعيد ان كنت جئت هذا لتفتدي به من فزع يوم القيامة فصالح والا فقرعة واحدة تذهل كل مرضعة عما أرضعت ولا خير في شيء جمع من الدنيا الا ما طاب وزكا ثم دعا الحجاج بالآلات فوهو فبكى سعيد فقال الحجاج ويلك ياسعيد أي قتلة تريدان أقتلك قال اختر لنفسك ياحجاج فوالله لا تقتلني قتلة الا قتلك الله مثلها في الآخرة قال أفتريدان أعفو عنك قال ان كان العفو فمن الله واما أنت فلا قال اذهبوا به فاقتلوه فلما خرج من الباب ضحك فاخبر الحجاج بذلك فامر برده فقال ما أضحكك قال عجبت من جراءتك

غير ذلك ولم يعلمه فقد غشه وعليه الاثم وقيل الا أن يعلم انه لا يسمع منه فانه يسقط عنه الاثم قاله الاتقاني في شرحه لرسالة ابن أبي زيد القيرواني وظاهره سواء كان هناك غيره يقوم بذلك أم لا وقد ذكر الخطاب في شرحه عليها ما يفيد حكم ذلك فقال الشاذلي اختلف اذا كان هناك من يشارك في النصيحة فهل تجب عليك النصيحة سواء طلبت منك أم لا كمن رأيته يفسد صلاته فقال الغزالي يجب عليك النصح وقال ابن العربي لا يجب قال بعض شيوخنا والذي أقول به ما قاله الغزالي ويكون ذلك برفق لانه أقرب للقبول ولذا قال الشاذلي من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه ومن ثم قال الفضيل المؤمن يستر وينصح والفاجر يهتك ويعير * وفي كلام الشيخ محيي الدين ان من شرط الناصح اذا أراد أن ينصح أحدا أن يمهد له بساطا قبل النصح وان يرى نفسه دون المنصوح وأن يوطن نفسه على تحمل لاذى الحاصل من جهة النصح في العادة وقد حكي ان الحسن والحسين رضي الله عنهما أقبلا على شيخ يتوضأ فوجدا وضوءه فقال أحدهما للآخر تعال نرشد هذا الشيخ فقال له أحدهما يا شيخ انا نريد أن نتوضأ بين يديك حتى تنظر الينا وتعلم من يحسن منا الوضوء ومن لا يحسنه ففعلا ذلك فلما فرغ من وضوئهما قال أنا والله الذي لا أحسن الوضوء وأما أنتما فكل واحد منكما يحسن وضوءه فانتفع ذلك منهما من غير تعنيف ولا توبيخ * وقد اتفق ان رجلا وعظ المأمون وأغلظ عليه فقال له خيرا منك وعظ من هو شر مني فان موسى وهرون على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام لما أرسلهما الله تعالى الى فرعون قال فقولا له قولا لينا * وقد كان في السلف من بلغت به النصيحة الى الاضرار ببدنه وقد ورد أن جريرا اشترى له فرسا بثمانمائة درهم فقال لصاحبه فرسك خير من ثلثمائة درهم أتبيعه بار بعمائة درهم فقال هو لك يا أبا عبد الله فقال خير من ازيد مائة درهم أتبيعه بخمسمائة فقال نعم فلا زال يزيد مائة بعد مائة حتى أوصله ثمانمائة درهم فكلم في ذلك فقال عاهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم وورد ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لبعض اخوانه أوصيك بستة أشياء اذا أردت أن تقع في أحد وتذمه قدم نفسك فانك لا تعلم أحدا أكثر عيوبا منها وان أردت ان تعادي أحدا فعاد البطن فليس لك عدو أعدى منها وان أردت أن تحمد أحدا فاحمد الله تعالى فليس أحد أكثر منه منة عليك وألطف بك منه وان أردت أن تترك شيأ فاترك الدنيا فانك ان تركتها فانك محمود والا تركتك وأنت مذموم وان أردت أن تستعد لشيء فاستعد للموت فانك ان لم تستعد له حل بك الخسران والندامة وان أردت أن تصاب شيأ فاطلب لا آخرة فلست تنالها الا بان تطلبها وبدأ في الحديث بالله لان الدين له حقيقة وثنى بكتابه الصادع ببيان أحكامه المعجز بديع نظامه وثلث بما يتلو كتابه في الرتبة وهو رسوله الهادي الى دينه الموقف على أحكامه المفصل لجميع شرائعه وربع بأولي الامر الذين هم خلفاء الانبياء القائمون بسنتهم ثم خمس بالتعميم ولم يكرر الازم في عامتهم لانهم كالاتباع للائمة لاشتغال لهم وانما خص أهل الاسلام بالنصح لانهم أقرب الى الاجابة من أهل الذمة أولان النصيحة الكاملة انما هي للمسلمين بخلاف أهل الذمة اذ لا يقال لهم صلوا ولا زكوا وان ذكر المسلمين

على الله وحلم الله عليك فامر بالقطع فبسط بين يديه وقال اقلبوه فقال سعيد وجهت وجهي الذي فطر السموات والارض حنيفا مسلما وما أنا من المشركين قال وجهوه لغير القبلة قال سعيد فاينما تولوا فثم وجه الله فقال كبوه وجهه قال سعيد منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى فقال الحجاج اذبحوه فقال سعيد أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ثم قال اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدي فذبح على القطع رحمه الله تعالى ورضي عنه فكانت

وأسبغ بها قطعها تقول لا اله الا الله وعاش الحجاج بعد قتله خمسة عشر يوما وذلك في سنة خمس وتسعين وكان عمر سعيد تسعا وأربعين سنة اللهم اكفنا ما أهمنا ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا آمين آمين والحمد لله رب العالمين * (الحديث الثاني والعشرون في الحديث الثاني والعشرين) * الحمد لله الذي عز جلاله فلا تدركه الاوهام وسما كماله فلا تحيط به الافهام وشهدت أعماله انه الواحد الحكيم العلام وأشهد

أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة من قال ربي الله ثم استقام وأشهد أن محمدا

عبده ورسوله أرسله وقد ارتفع من غبار الشرك قتام فجاهد في الله بحد الحسام فاردى الكفرة الاثام وأرضى الملك العلام صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه البررة الكرام آمين (عن أبي عبد الله جابر بن عبد الله الانصاري رضي الله عنه ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أرأيت ان صليت المكتوبات الخمس وصمت رمضان وأحللت الحلال وحرمت الحرام ولم أزد على ذلك شيأ أأدخل الجنة قال نعم رواه مسلم) ومعنى حرمت الحرام اجتنبته ومعنى أحللت الحلال فعلته معتقدا حله * اعلموا اخواني وفقني الله وإياكم لطاعته ان الرجل السائل اسمه النعمان بن قوقل بقافين مفتوحتين بينهما واو ساكنة وآخره لام (قوله أرأيت) من الرأي أي ترى وتفتي بأني (اذا صليت المكتوبات الخمس وصمت رمضان وأحللت الحلال وحرمت الحرام) أي اجتنبته (ولم أزد على ذلك شيأ) من التطوعات (أأدخل الجنة) أي من غير عقاب وقد صح أن بعض الكبائر تمنع من دخول الجنة مع التأخير كقطع الرحم والكبر والدين حتى يقضى وصح أن المؤمنين اذا جازوا على الصراط حبسوا على قنطرة حتى يقتص منهم مظالم كانت بينهم في الدنيا (قوله قال نعم) أي تدخلها ولم يذكر الزكاة والحج لعدم فرضهما اذ ذاك أو لكونه لم يخاطب بهما وفي الحديث جواز ترك التطوعات رأسا وان تمالأ عليه أهل بلد

من باب التغليب لشرفهم على أهل الذمة والا فنحن ننصح أهل الذمة بالارشاد للايمان (رواه مسلم) في كتاب الايمان وهو من أفراده * (تنبيه) * قال ثابت بلغني ان ابليس ظهر لبعض العباد فرأى عليه معاليق من كل شئ فقال له العابد يا ابليس ما هذه المعاليق التي أرى عليك قال هذه الشهوات أصيب بهن ابن آدم قال فهل في فيها من شئ قال ربما شبعت فثقلتك عن الصلاة وعن الذكر قال هل غير ذلك قال لا قال لله علي ان لا املأ بطني من طعام أبدا قال ابليس ولله علي ان لا انصح أحدا أبدا

* (الحديث الثامن) *

(عن) عبد الله (ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمرت) بالبناء للمفعول أي أمرني الله تعالى فحذف الفاعل تعظيما وتفخيما وقال بعضهم طوى ذكره لشهرته وتعينه لذلك اذ لا آمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا هو سبحانه وتعالى ولذلك اذا قال الصحابي أمرنا بكذا يفهم منه ان الآمر هو الرسول صلى الله عليه وسلم لانه هو المشرع والمبين لهم واما اذا قال التابعي أمرنا بكذا فهو محتمل وحقيقة الامر القول الطالب للفعل (ان أقاتل) أي بان أقاتل لان الاصل في لام ان يتعدى لمفعولين ثانيهما بحرف الجر ونحو امرتك الخير نادر وأن مصدرية والتقدير بمقاتلة (الناس) من الانس فيخرج بني آدم أو من ناس اذا تحرك فيعم الجن بالحقيقة أو الغلبة والمراد هنا الانس خاصة وان كان مرسلا الى الجن اجماعا اذ لم يردانه قاتلهم وان أسلم منهم جمع على يديه كجن نصيبين والناس أصله الاناس حذفت الهمزة تخفيفا وتوهم أبو علي ان أل عوض عن الهمزة اذ لا يجتمعان في الاناس الا في ضرورة وردبكثرة استعمال الناس منكرا بغير أل والهمزة ولو كانت عوضا لم يجز ذلك اذ لا يجوز الخلو عن العوض والمعوض وقال صاحب القاموس الناس يكون من الانس ومن الجن جمع أنس أصله أناس جمع عزيز أدخل عليه أل وقيما قاله نظر اذ جعله شاملا الجن مع كون مفرده أنس غير متجه ولذا قال انه جمع عزيز ومخالف لما صرح به صاحب الكشاف في البقرة والاعراف من انه اسم جمع غير تكسير بدليل عود الضمير اليه وتصغيره على لفظه ولم يسمع جمع جاء على فعال بالضم الا في ثمانية ألفاظ كما قاله السعد لكن زاد عليه صاحب المزهر وغيره ألفاظا وقوله أمرت أن أقاتل الناس انما ذكر باب المفاعلة لان الدين ما ظهر الا بالجهاد والجهاد لا يكون الا بين اثنين ثم ان أمر صلى الله عليه وسلم بالقتال كان بعد الهجرة فانه صلى الله عليه وسلم لما بعث أمر بالانذار من غير قتال ثم بعد الهجرة أذن له فيه اذا ابتدأه الكفار به ثم أحل له ابتداء في غير الاشهر الحرم ثم مطلقا من غير شرط * (فائدة) * قال ابن عباس وغيره لم يقتل نبي من الانبياء الا من لم يؤمر بقتال وكل من أمر بالقتال نصر اه والناس المراد بهم جميع الخلق من بني آدم وقد يطلق الناس على الانسان الواحد كما في قوله تعالى في النساء أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله يعني النبي وحده ويطلق على المؤمنين خاصة كقوله تعالى في آل عمران والذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين يعني لعنة المؤمنين خاصة ويطلق على أهل مكة خاصة كما في قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس

لا يقاتلون وان ترتب على تركها فوات ربح عظيم وثواب جسيم واسقاط للمروأة ورد للشهادة لان مداومة تركها تدل على تهاون في الدين الا أن يقصد بتركها الاستخفاف بها والرغبة عنها فيكفر (الاشارات في المكتوبات الخمس) الاشارة الاولى الحكمة في ان صلوات خمسة أن الصلوات وجبت على العبد شكر النعمة البدن ونعمة البدن هي الحواس الخمس الذوق والشم والسمع والبصر اللمس ولكل حاسة من هذه الحواس أشياء يعلم منها ما وضعت له فنعمة الناس اثنان اذا وضعت يدك مثلا على شئ لمسته عرفت ان كان خشنا أو ناعما فقابله ركعتان وهي صلاة الصبح وأما الثانية من الخمسة وهي الشم فانها تشم الرائحة من الجوانب الاربع فقابلها أربع ركعات وهي صلاة الظهر والثالثة من الحواس السمع فتسمع بها من الجوانب الاربع فقابلها أربع ركعات وهي صلاة العصر الرابعة البصر فاذا وقفت مثلا في مكان ترى عن يمينك وشمالك وأمامك ولا ترى من خلفك فهذه ثلاثة فقابل ذلك ثلاث ركعات وهي المغرب الخامسة الذوق فتعرف به الحرارة والبرودة والحلو والحامض وهي أربعة فيقابله اربع ركعات وهي العشاء (الاشارة الثانية) القبلة خمس العرش قبلة الحافين والكرسي قبلة الكروبيين والبيت المعمور قبلة السفرة والكعبة قبلة المؤمنين فاينما تولوا فثم وجه الله قبلة المحبين

يعني أهل مكة ويطلق على بني اسرائيل كقوله تعالى في المائدة أأنت قلت للناس يعني بني اسرائيل (حتى) غاية للقتال ويحتمل كونها غاية للامر به (يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله) وفي رواية وأني رسول الله وفي رواية حتى يقولوا لا اله الا الله وهذا الشرط مشعر بمجموع الجملتين فاستغنى باحدهما عن الاخرى لارتباطهما كما يقال قرأت الم ذلك الكتاب والمراد كل السورة وقد استغنت العرب بحرف من الكلمة عن بقيتها في نظمها ونثرها كقول القائل قلت لها قفي فقالت ق أراد قالت وقفت وقول الآخر خرجارية قدوعدتني أن تأتي تدهن رأسي وتفلي أو تأتي أراد أن تأتي وتدهن رأسه وتفلي أو تمسح وكقول الآخر بالخير خبرت وان شرا فلا ولا أريد الشر الا أن تأتي أراد ان شرا فشر والا ان تشأ واذا استغنت بحرف عن بقيتها فاولى أن تستغني باحدى الكلمتين أو الجملتين من الاخرى اذا كان فيه دلالة على ما لم يذكر واعلم انه لا يشترط في صحة الايمان التلفظ بالشهادتين ولا النفي والاثبات بل يكفي أن يقول الله واحد ومحمد رسول وانظر هل لابد في كفاية ذلك من الاتيان بلفظ الله وبلفظ محمد فلو قال الرحمن واحد وأحمد رسوله أو قال لا اله الا الرحمن وأحمد رسوله هل يكفي أم لا وظاهر كلام الاسنوي في شرح جمع الجوامع والمنهاج الاكتفاء بذلك وظاهر كلام الجمهور انه لا يشترط الترتيب وذهب القاضي أبو الطيب من الشافعية وابن الطيب الشهير بالباقلاني من المالكية الى اشتراطه فقال الكمال بن أبي شريف ولم يتابعه امع انه متجه عند التأمل وظاهر ما في الهداية للاخنائي المالكي انه يشترط الفور قال ابن ناجي هل الافضل مد ألف لا النافية أو القصر من لا اله الا الله فمنهم من اختار المد ليستشعر المتلفظ بها نفي الالوهية عن كل موجود سوى الله تعالى ومنهم من اختار القصر لئلا تخترمه المنية قبل التلفظ بذكر الله تعالى وفرق الفخر بين أن تكون أول كلامه فتقصر والا فتمد اه فان قلت قضية الحديث قتال كل من امتنع من التوحيد اذ الذي يذاق من لفظ الناس العموم والاستغراق كما في قوله تعالى يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا فكيف ترك قتال مؤدي الجزية فالجواب من وجوه الاول ان أخذ الجزية وسقوط القتال بها كان متأخرا عن هذا الحديث الثاني ان المراد بما ذكر من الشهادتين وغيرهما التعبير عن اعلاء كلمة الله تعالى واذلال الكافرين فيحصل في بعض بالقتل وفي بعضها باداء الجزية الثالث ان المراد بالقتال هو أو ما يقوم مقامه كالجزية الرابع ان المراد اضطرارهم الى الاسلام وسبب السبب سبب فكأنه قال حتى يسلموا أو يلتزموا ما يؤديهم الى الاسلام وهو اعطاء الجزية فاكتفى بما هو المقصود الاصلي من الخلق فتكون المقاتلة سببا للقول والفعل ونظيره قوله تعالى أنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج والمنزل هو المطر هو سبب لانبات العشب وهو سبب للكثير الحيوان فغلب في الحديث السبب الاول أعني المقاتلة على السبب الثاني أعني أخذ الجزية (فائدة) قال ابن جماعة في حاشية شرح العقائد (لطيفة) قال الرازي في أسرار التنزيل لا اله الا الله محمد رسول الله سبع كلمات وأعضاء العبد سبعة وأبواب النار سبعة فكل كلمة تغلق عن عضو بإذن الله ومن المعلوم ان الاعضاء أكثر من سبعة فلا بد من التحقيق كونها سبعة من الجمل على خصوص في الاعضاء وهل هي

فالعرش خلقه الله من نور والكرسي من درة والبيت المعمور من عقيق وقيل من ياقوت والكعبة من خمسة أجبل والحكمة في ذلك انك اذا صليت هذه الصلوات الخمس وكانت ذنوبك ثقل هذه الجبال غفرها الله ولا يبالي (الاشارة الثالثة) في شرح المسند للرافعي رحمه الله ان الصبح كانت لآدم والظهر كانت لداود والعصر كانت لسليمان والمغرب كانت ليعقوب والعشاء كانت ليونس عليهم الصلاة والسلام فجمع الله تعالى هذه الصلوات لمحمد وأمته تعظيما له ولامته (الاشارة الرابعة) قال بعض أهل المعاني أجناس الصلوات

الخمس ثلاثي ورباعي وثنائي والحكمة فيه ان الله تعالى خلق جميع الملائكة على ثلاثة أجناس فمنهم ذو جناحين ومنهم ذو ثلاثة ومنهم ذو أربعة كما قال تعالى جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع فامر الله تعالى بصلوات هذه الخمس ليعطى المصلي ثواب وتسبيح الملائكة كلهم بفضله ورحمته (الاشارة الخامسة) قال بعض أهل المعاني أيضا الحكمة في هذه الصلوات الخمس في الاوقات الخمس ان الله سبحانه وتعالى فعل أفعالا لا يقدر على فعلها الا هو منها انه يذهب ظلمة الليل ويجيء بضوء النهار عند طلوع الفجر فوجب على عبده أن يصلي الفجر ومنها ارتفاع الشمس عند الاستواء ولا يقدر على ذلك الا هو فوجب على عباده صلاة الظهر ومنها انخفاضها بدخول وقت العصر ولا يقدر على ذلك الا هو فوجبت صلاة العصر ومنها غروب الشمس بدخول وقت المغرب فوجبت صلاة المغرب ومنها ذهاب النهار بهذه واتيان الليل بظلمائه فوجب على عباده صلاة العشاء فهذه خمسة أفعال لا يقدر عليها الا هو فامر عباده أن يصلوا فيها خمس صلوات ولا يستحقها الا هو (الاشارة السادسة) عن علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في ملأ من المهاجرين اذ أقبل عليه نفر من اليهود فقالوا يا محمد حدثنا نسألك عن أشياء لا يعلمها الا نبي مرسل أو ملك مقرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلوا فقالوا يا محمد أخبرنا عن هذه الصلوات التي افترضها الله على أمتك في الليل والنهار خمس صلوات في خمس مواقيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما الظهر فان الله تعالى في سماء الدنيا حلقة تزول بها الشمس فاذا زالت الشمس سبح كل ملك فامر الله تعالى بالصلاة في ذلك الوقت الذي تفتح فيه أبواب السماء فلا تغلق حتى يصلي الظهر ويستجاب فيه الدعاء وأما العصر فهي الساعة التي وسوس فيها الشيطان لآدم حتى أكل من الشجرة فامر الله

الواردة في حديث السجود وهو أمرت أن أسجد على سبعة أعظم الحديث أو هي السبعة المتوصل بها المقاصد والمفاسد غالبا وهي اليدان والرجلان والجبهة واللسان أو غير ذلك محل بحث اهـ شرح شيخنا على خطبة مختصر الشيخ خليل قلت والظاهر أن المراد بها الاعضاء التي الانسان حراستها وهي الوجه والبطن والفرج واليدان والرجلان وقال السمرقندي في كل الاربعين ويقال من قال لا اله الا الله هدمت له أربعة آلاف سيئة كل كلمة تكفر ألف سيئة وذكر ابن الفاكهاني ان ملازمة ذكرها عند دخول المنزل تنفي الفقر وقال بعض العلماء اذا قال القائل لا اله الا الله اهتز لها العرش وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم لكل شيء صيقل وصيقل القلب الذكر وأفضل الذكر لا اله الا الله لجلاء القلب وتباشيره وتنويره بالذكر وروي ان من قرأ قل هو الله أحد في بداية نور الله قلبه وقوي يقينه وجاء في الاثر أن العبد اذا قال لا اله الا الله أعطاه من الثواب بعدد كل كافر وكافرة قيل والسبب انه لما قال هذه الكلمة فكأنه قد رد عليهم فلا جرم انه يستحق الثواب بعددهم وسئل بعض العلماء عن معنى قوله تعالى وبئر معطلة وقصر مشيد فقال البئر المعطلة قلب الكافر معطل عن قول لا اله الا الله والقصر المشيد قلب المؤمن معمر بشهادة أن لا اله الا الله وقال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله خرج من فيه طائر أخضر له جناحان أبيضان مكللان بالدر والياقوت يصعد الى السماء فيسمع له دوي تحت العرش كدوي النحل فيقال له اسكن فيقول لا حتى تغفر لصاحبي فيغفر لقائلها ثم يجعل بعد ذلك الطائر سبعون لسانا تستغفر لصاحبه الى يوم القيامة فاذا كان يوم القيامة جاء ذلك الطائر يكون قائده ودليله الى الجنة وعن عبد الواحد بن زيد انه قال كنت في مركب فطرحتنا الريح على جزيرة فخرجنا الى الجزيرة فرأينا شخصا يعبد صنما فقلنا له نعبد هذا الصنم وفينا من يصنع مثله فقال أنتم من تعبدون فقلنا نعبد الها في السماء عرشه وفي الارض علمه وفي البحر سبيله قال من أعلمكم به قلنا الرسل المنذر سولا قال ما فعل الرسول قلنا قبضه الملك اليه قال فهل ترك عندكم من علامة قلنا نعم كتاب الملك قال هل عندكم منه شيء فشرعنا نقرأ عليه سورة الرحمن فما زال يبكي حتى ختمت ثم قال ما ينبغي أن يعصى صاحب هذا الكلام ثم عرض علينا الاسلام فاسلم وعلمناه معنا في السفينة فلما جن الليل وصلينا العشاء أخذنا مضاجعنا فلما نام قال لنا هذا الاله الذي دللتمونني عليه ينام قلنا بل هو حي قيوم لا ينام قال يا معشر العبيد أنتم تنامون ومولاكم لا ينام فلما وصلنا البر وأردنا الانصراف جمع له شيأ من الدراهم فقال ما هذا قلنا نستعين به على نفسك فقال دللتمونني على طريق ما أراكم سلكتموها أنا كنت أعبد غيره ثم بصرني أفيضيعني لأن بعد ما عرفته فلما كان بعد ثلاثة أيام قيل لي انه في النزع فذهبت اليه فقال هل من حاجة فقال قضي حوائجي الذي أخرجني من الجزيرة وتحت عنده فرأيت جاريته في روضة خضراء وهي تقول عجلوا له فقد طال شوقي اليه فاسقيظت وقدمات فدفنته وبت تلك الليلة فرأيته في المنام وعلى رأسه تاج وبين يديه الحور العين وهو يقرأ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وقال الحسن البصري رأيت مجوسيا يجود بنفسه فقلت له كيف أنت

الله تعالى وأمشي بالصلاة في تلك الساعة وأما المغرب فانها الساعة التي تاب الله تعالى فيها على آدم حين تلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه فامر الله أمشي بالصلاة في تلك الساعة توبة لما أذنبوا وأما العشاء فانها صلاة المرسلين قبلي وأما الصبح فان الشمس اذا طلعت تطلع بين قرني الشيطان فيسجد لها كل كافر من دون الله عز وجل فامرني الله تعالى وأمشي بركعتين قبل أن يسجد الكافر لغير الله تعالى فقال صدقت يا محمد نحن نشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله (الاشارة السابعة) قال ابن الملقن

وكيف حالك فقال لي قلب علي ولا قوة لي وبدن سقيم ولا صحة لي وقبر موحش ولا أنيس لي وطريق بعيد ولا زاد لي وصراط رقيق ولا جواز لي ونار حامية ولا بدن لي وجنة عالية ولا نصيب لي ورب عادل ولا حجة لي قال فاقبلت عليه وقلت له اسلم فقال يا شيخ المفتاح بيدك فقلت والقفل ههنا وأشار الى صدره وغشي عليه فقلت الهي وسيدي ان كان سبق لهذا المجوسي حسنة فعجل بها فافاق من غشيته ثم أقبل علي فقال يا شيخ ان المفتاح أرسل المفتاح مديدك فانا أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ومات رحمه الله تعالى وروي محمد بن آدم قال رأيت بمكة اسقفا يطوف بالكعبة فقلت له ما الذي نزعك من دين آبائك قال تبدلت خيرا منه فقلت وكيف ذلك قال ركبت البحر فلما توسطناه انكسر المركب فلم تزل الامواج تدافعني حتى رمتني في جزيرة من جزائر البحر فيها أشجار كثيرة وثمار عظيمة وأحلى من الشهد وألين من الزبد وفيها نهر عذب فحمدت الله على ذلك وقلت آكل من هذا الثمر وأشرب من هذا النهر حتى يقضي الله أمره فلما ذهب النهار خفت على نفسي من الوحش فطلعت على شجرة ونمت على غصن من أغصانها فلما كان في جوف الليل واذا بدابة على وجه الماء تسبح الله تعالى وتقول لا اله الا الله العزيز الجبار محمد رسول الله النبي المختار أبو بكر الصديق صاحبه في الغار عمر الفاروق فاتح الامصار عثمان القتيل في الدار علي سيف الله على الكفار فعلى مبغضهم لعنة العزيز الجبار ومأواه النار وبئس القرار ولم تزل تكرر هذه الكلمات الى الفجر فلما طلع الفجر قالت لا اله الا الله الصادق الوعد والوعيد محمد رسول الله الهادي الرشيد وأبو بكر السديد عمر بن الخطاب سور من حديد عثمان الفضيل الشهيد علي بن أبي طالب ذو البأس الشديد فعلى مبغضهم لعنة الرب المجيد ثم أقبلت الي البر فاذا أنا بسمار أسود وجهها وجه انسان وقوائمها قوائم بقير وذنبها ذنب سمكة فخشيت على نفسي الهلكة فهربت فتعلقت بلسان فصيح فقالت يا هذا قف والا هلكت فوقفت فقالت ما دينك فقلت دين النصرانية فقالت ويلك ارجع الى دين الحنيفية فقد هلكت بفتنا قوم من مسلمي الجن لا ينجو منهم الا من كان مسلما فقلت وكيف الاسلام قالت تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فقلتها فقالت أنت اسلامك بالترحم على أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم فقلت من أنا كم بذلك قالت قوم مناحضروا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعوه يقول اذا كان يوم القيامة تأتي الجنة فتنادي بلسان فصيح الهي قد وعدتني ان نشيد أركاني فيقول الجليل جل جلاله قد شيدت أركانك بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وزينتك بالحسن والحسين ثم قالت الدابة أتريدان تقعدهنا أم الرجوع الى أهلك فقلت الرجوع الى أهلي فقالت اصبر حتى تمر بك مركب فبينما نحن كذلك واذا بمركب أقبلت تجري فأومأت لها فدفعوا الي زورقا مركبت فيه ثم جئت اليهم فوجدت المركب فيها اثنا عشر رجلا كلهم نصارى فقالوا ما الذي جاء بك الى ههنا فقصصت عليهم قصتي فتعجبوا من أمري وأسلموا كلهم ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي العلم في الورد الاعظم لابن النحاس عن أبي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عز وجل عمودا من نور بين يديه سبحانه وتعالى فاذا قال العبد لا اله الا الله اهتز

ما أحسن قول بعض الصالحين اذا قمت الى الصلاة فاعلم أن الله تعالى مقبل عليك فاقبل على من هو مقبل عليك وقريب منك وناظرا اليك فاذا ركعت فلا تؤمل أن ترفع واذا رفعت فلا تؤمل ان تضع ومثل الجنة عن يمينك والنار عن يسارك والصراط تحت قدمك فحينئذ تكون مصليا (الاشارة الثامنة) قيل اذا وضع الميت في قبره جاءته أربع نيران فتجيء الصلاة فتطفئ واحدة ويجيء الصيام فيطفئ واحدة وتجيء الصدقة فتطفئ واحدة ويجيء الصبر فيطفئ واحدة (الاشارة التاسعة) عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان العبد اذا قام الى الصلاة وقال الله أكبر خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه واذا قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم كتب الله له بكل شعرة

على بدنه حسنة واذا قرأ الفاتحة فكأنما حج واعتمر واذا ركع فكأنما تصدق بوزنه ذهبا واذا قال سبحان ربي العظيم فكأنما قرأ كل كتاب نزل من السماء واذا قال سمع الله لمن حمده نظر الله اليه بالرحمة واذا سجد أعطاه الله تعالى بعدد الانس والجن حسنات واذا قال سبحان ربي الاعلى فكأنما أعتق بكل سورة وآية رقبة واذا تشهد أعطاه الله ثواب الصابرين واذا سلم فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء وقال بكر بن عبد الله من مثلك يا ابن آدم اذا شئت ان تدخل على مولاك بغير اذن دخلت قيل له وكيف ذلك قال

تسمع وضوءك وتدخل معرابك وقال ابن عجلان ومع أهل زماننا بيننا الآدمي منهم في الصلاة يذكر الله والدار الآخرة واذا أكله برغوث أو قلة نسي الله تعالى والدار الآخرة وأقبل يحك ما أصابه من جسده فقد روي عن مسلم بن يسار كان ذات يوم في صلاته فوقعت ناحية من المسجد فقزع أهل المسجد منها فما شعر ولا التفت وقيل كان الحسن اذا توضأ تغير لونه واصفر فرائصه فقيل له في ذلك فقال حق لمن وقف بين يدي الله تعالى أن يصفر لونه وترتعد فرائصه وكان علي بن أبي طالب كرم الله وجهه اذا حضر وقت الصلاة تغير لونه فقيل له مالك يا أمير المؤمنين فقال قد جاء وقت أمانة عرضها الله على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان فلا أدري هل أحسن ان أؤدي ما حملت أم لا وأنشد مكحول

ألا في الصلاة الخير والفضل أجمع
لان بها الارقاب لله تخضع
وأول فرض كان من فرض ديننا
وآخر ما يبقى اذا الدين يرفع
فمن قام للتكبير لاقته رحمة
وكان كعبد تاب مولاه يقرع
وصار لرب العرش حين صلاته
قريبا فياطوباه لو كان يخشع

وتقدمت هذه الابيات أيضا في المجلس الثالث وذكر ان التحيات اسم طير في الجنة على شجرة يقال لها الطيبات بجانب نهر يقال له الصلوات فاذا قال العبد التحيات لله الصلوات والطيبات نزل ذلك الطير عن تلك الشجرة وانغمس في ذلك النهر ثم طلع ونفض ريشه على جانب ذلك النهر فكل قطرة وقعت منه خلق الله تعالى منها ملكا يستغفر للمصلي الى يوم القيامة ويقال رفع اليدين في الصلاة اشارة الى رفع الحجب بين العبد وبين الله عز وجل وقال ابن عطاء الله في لطائف المنن اذا صلى المؤمن صلاة وتقبلها الله منه خلق الله من صلاته صورة في الملكوت تركع وتسجد الى يوم

القيامة فيقول الله تبارك وتعالى للعمود أسكن فيقول العمود أي رب كيف أسكن ولم تغفر فيقول الله تبارك وتعالى أسكن أيها العمود فاني قد غفرت له فيسكن العمود عند ذلك وذكر أبو محمد عبد الله اليافعي في كتاب الارشاد عن الشيخ أبي عبد الله القرطبي انه قال سمعت في بعض الآثار ان من قال لا اله الا الله سبعين ألف مرة كانت فداءه من النار فعملت على ذلك رجاء بركة الوعد عاما واحدا فرأيته النبي وعملت بها الاهلي وكان اذ ذاك يبيت معنا شاب كان يقال انه يكاشف في بعض الاوقات بالجنة والنار وكان في قلبي منه شيء فاتفق انه استدعانا بعض الاخوان الى منزله فنحن نتناول من الطعام والشاب معنا فصاح صيحة منكرة واجتمع في نفسه وهو يقول ياعمي هذه أمي في النار وهو يصيح بصياح عظيم لا يشك من سمعه انه من أمر عظيم فلما رأيت ما به قلت في نفسي اليوم أجرب فقلت في نفسي اللهم اني عملت السبعين ألفا وقد اشتريت بها أم هذا الشاب من النار فما استتم هذا الخاطر الا وتبسم الشاب وسر وقال ياعمي هاهي أمي قد أخرجت من النار فحصل لي فائدتان صدق الاثر وعلمي بصدق الشاب المذكور (ويقيموا الصلاة) أي يأتوا بها على الوجه المأمور به أو يداوموا عليها كما مر (ويؤتوا الزكاة) أي الى مستحقيها أو الى الامام ليدفعها لهم ولم يذكر الصوم والحج لكونهما لم يفرضا أولكونهما لم يقاتل على تركهما (فاذا) عبر بها مع انها للمحقق دون ان التي للمشكوك فيه مع ان فعلهم قد يكون وقد لا يكون لانه علم أمانة بعضهم فغلبهم لشرفهم أو تفاؤلا بوقوع الفعل منهم فاشبه الدعا بالماضي نحو غفر الله لك (فعلوا ذلك) كله أي أتوا به قولا كان وهو الشهادتان أو فعلا وقولا وهو الصلاة أو فعلا محضا وهو الزكاة فان قلت المشار اليه بعضه قول فكيف أطلق الفعل عليه فالجواب اما باعتبار انه فعل اللسان واما على سبيل التغليب للاثنين على الواحد (عصموا) حفظوا ومنعوا من العصمة وهي لغة المنع والعصام الخيط الذي يشد به فم القربة ليمنع سيلان الماء واصطلاحا ملكة نفسانية تمنع من الفجور والخلفة وقيل صفة توجب امتناع عصيان موصوفها والمراد بها هذا المعنى اللغوي (مني دماءهم وأموالهم) فلا يحل سفك دمائهم ولا أخذ أموالهم والمراد بالدماء الانفس ففيه التعبير بالبعض عن الكل فان قيل لم يكتف بذكر الشهادتين عن قوله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فالجواب انه ذكرهما التعظيم لهما ولاهتمام بشأنهما دون غيرهما (الا بحق الاسلام) فلا يعصم حينئذ دمهم ولا مالهم وفسر هذا الحق في حديث بانه زنا بعد احصان أو كفر بعد ايمان أو قتل النفس التي حرم الله تعالى وقضيته ان الزاني والقاتل تباح أموالهما وليس مرادا فكانه غلب الكافر عليها ما شم المحكم عليهم بعصمة الدماء والاموال انما هو باعتبار الظاهر (و) أما باعتبار الباطن فأمرهم ليس الى الخلق بل (حسابهم على الله) فيما يسرونه من كفر ومعصية وفي حديث أبي سعيد الخدري ما أمرت ان أشق عن قلوب الناس ولا بطونهم وعلى بمعنى اللام أو بمعنى الى فما افهمه لفظ الحساب من الوجوب غير مراد اذ لا يجب على الله شيء هذا ما عليه أهل السنة وأما عند المعتزلة فهو ظاهر لان الحساب عندهم واجب عقلا * (تتمة) * يقال الامام الرازي في كلامه على هذا الحديث قد جعل الله تعالى العذاب هذا بين أحدهما السيف من يد المسلمين والثاني

القيامة ويكون ثواب ذلك لمن صلى ويروى أن الله تعالى خلق ملكا تحت العرش له أربعة أوجه بين الوجه والوجه ألف عام الأول ينظر به إلى الجنة ويقول طوبى لمن دخلك والثاني ينظر به إلى النار ويقول ويل لمن دخلك والثالث ينظر به إلى العرش ويقول سبحان الله ما أعظمك والرابع يخر به ساجدا ويقول سبحان ربي الأعلى وله خمس حركات في اليوم والليلة عند أوقات الصلوات فيقال له اسكن فيقول كيف اسكن وقد جاء وقت فريضتك على أمة محمد صلى الله عليه ١٢٧ وسلم فيقال اسكن قد غفرت لمن توضأ

والثاني عذاب الآخرة والسيف في غلاف بري والنار في غلاف لا ترى فقال لرسوله من أخرج لسانه من الغلاف المرئي وهو الفم فقال لا إله إلا الله محمد رسول الله ادخلنا السيف في الغمد الذي يرى ومن أخرج القلب من الغلاف الذي لا يرى وهو الشرك ادخلنا سيف عذاب الآخرة في غمد الرحمة (رواه البخاري ومسلم) في كتاب الإيمان الآتي مسلم المذكر في حديثه عن ابن عمر الأبحق الإسلام لكنه قال في رواية له عن أبي هريرة الأبحقها وفي رواية أخرى الأبحقه فنسبه المؤلف إلى تخريجه بالنظر إلى مجموع رواياته وذلك يقع للمحدثين كثيرا ولا ينكره الا من لم يمارس فنهم وبذلك زال العجب وبطل الشغب الذي طول به الشارح المحشي على المؤلف

(الحديث التاسع)

(عن أبي هريرة) أخرج الترمذي بسند حسن عن عبد الله بن أبي رافع قال قالت لأبي هريرة لم كنيت بأبي هريرة قال كنت أرعى غنم أهلي وكانت لي هرة صغيرة فكنت اجعلها بالليل في شجرة واذا كان بالنهار ذهبت بها معي فكنيت بها فكنوني أبا هريرة وروى ابن عبد البر عن أبي هريرة انه قال كنت أحمل يوما هرة في كمي فرآني النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه فقلت هرة فقال يا أبا هريرة وفي صحيح البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا أبا هريرة وكان يكني قبلها أبا الاسود فتحصل انه كني بها لانه كان يصحبها اما صغيرا يلعب بها أو كبيرا يحسن اليها لانه الذي روى ان امرأة عذبت في هرة فلعله أخذ بقياس العكس فرجا الثواب في الاحسان اليها (عبد الرحمن) ونقل ابن اسحق عن بعض أصحابه عن أبي هريرة رضي الله عنه انه قال كان اسمي في الجاهلية عبد شمس فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن (ابن صخر) الدوسي قدم المدينة في سنة سبع ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فسار الى خيبر حتى قدم مع النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وعن قيس عنه انه قال لما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت في الطريق

يا ليلة من طولها وعنائها * على انها من دارة الكفر نجت

قال وأبق مني غلام لي في الطريق فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته فبينما أنا عنده اذ طلع الغلام فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة هذا غلامك فقلت هو حر لوجه الله تعالى فاعتقته وعن سليم بن حيان قال سمعت أبي يقول سمعت أبا هريرة يقول نشأت يتيما وهاجرت مسكينا وكنت أجير البسرة بنت غزوان بطعام بطني وعقبة رجلي وكنت اخدم اذا نزلوا وأحدو اذا ركبوا فزوجنيها الله والحمد لله الذي جعل الدين قواما وأبا هريرة اماما وعن ابن كثير قال حدثني أبو هريرة قال ما خلق الله مؤمنا يسمع بي ولا يراني الا أحبني قلت ومن أعلمك بهذا يا أبا هريرة قال ان أمي كانت مشركة وأني كنت أدعوها الى الاسلام وكانت تأبى علي فدعوتها يوما فاسمعتني في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكره فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي فقلت يا رسول الله اني كنت أدعو أمي الى الاسلام وكانت تأبى علي واني دعوتها اليوم فاسمعتني فيك ما أكره فادع الله ان يهدي أم أبي هريرة

وصلى من أمة محمد صلى الله عليه وسلم (نكتة) لو استأجر رجل دابة تحمل مائة رطل مثلا فحمل آخر ووضع عليها زيادة فالضمان عليه كذلك يقول الله تعالى يوم القيامة يا محمد انا وضعت على عبادي الفرائض وأنت وضعت النوافل فالضمان علي وعليك فنلك الشفاعة ومني الرحمة ذكره النسفي في كتابه نزهة الرياض وفي الحديث ما من مسلم قرب وضوءه وتمضمض واستنشق وغسل وجهه كما أمر الله وغسل يديه الى مرفقيه ومسح برأسه وغسل قدميه الى كعبيه ثم صلى فحمد الله وأثنى عليه ومجده بالذي هو له أهل وفرغ قلبه لله تعالى انصرف من خطيئته كيوم ولدته أمه فقاموا يا اخواننا هذه الاشارات العجيبة والفوائد الغريبة وعليكم بالصلوات الخمس في أوقاتها تنقه وا هذه الفوائد وقد استفدنا

من قوله في الحديث وصمت رمضان انه لا يكره ذكره بدون شهر وما نقل من كراهته ضعيف وهو أفضل الأشهر وفي الحديث رمضان سيد الشهور وقال صلى الله عليه وسلم من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وفي رواية وما تأخر وانزل الله تعالى فيه القرآن وفي فضله أخبار كثيرة ذكرت منها كثيرا في كتابي تحفة الاخوان واختلف في تسميته بذلك فقيل انه اسم من أسماء الله تعالى قال البغوي والصحيح انه اسم للشهر يسمى به من الرمضاء وهي الحجارة المحماة لانهم كانوا يصومونه في الحر الشديد

ولان العرب اما أرادت ان تضع أسماء الشهور وافق أن الشهر المذكور كان في شدة الحر فسمي بذلك وقيل سمي به لانه يرمض
الذنوب أي يحرقها اه (خاتمة المحاسن) وقال صاحب كتاب ذخيرة العابدين رأيت جماعة ينكرون هذه الاحاديث الواردة في
الفضائل من حيث ما فيها من كثرة الثواب والاجور العظيمة وقالوا ان ذلك كثير على عمل قليل ولعمري هؤلاء من أي وجه
أنكروها اقصرت قدرة الله عنها ١٢٨ أم ضاقت رحمته لوسعة بها فاذا كانت قدرته شاملة لكل مقدور ورحمته أوسع

من مداد البحور والطاعات أمارات الاجور فمن الجوائز وعد درجات ومثوبات على قليل من الخيرات لتعلم قدرته وعظمته وكرمه كيف وفي صحاح الاخبار وحسانها ما لا يفسد ولا يحصى قال الله تعالى ورحمتي وسعت كل شئ وفي الحديث الشريف ان الله تعالى يعطي عبده المؤمن بالحسنة الواحدة ألف ألف حسنة ثم تلا ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما فاذا قال الله سبحانه وتعالى أجرا عظيما فمن يعرف قدر هذا الاجر العظيم الذي يعطيه الله تعالى وفي الحديث الشريف ان أدنى أهل الجنة من ينظر الى أزواجه وقصوره وسروره ونعيمه مسيرة ألف عام وان أكرمهم على الله لمن ينظر الى وجه الله تعالى كل يوم مرتين بكرة وعشيا ثم قرأ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اهد أم أبي هريرة فخرجت أعدو لابشرها بدعاء رسول الله
الله عليه وسلم فلما أتيت الباب اذ هو مجاف وسمعت خضخضة الماء وسمعت خشخشة رجل
يا أبا هريرة كما أنت ثم فتحت الباب وقد لبست درعها وعجلت عن خمارها فقالت اني أشهد أن لا
الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكي من الفرح كما بكيت من
الحزن فقلت يا رسول الله أبشر فقد استجاب الله دعاءك وقد هدى أم أبي هريرة وقلت يا رسول الله ادع
الله ان يحببني وأمي الى عباده المؤمنين ويحببهم الينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم حبب
عبيدك هؤلاء لي عبادك المؤمنين فما خلق الله من مؤمن يسمع بي ولا يراني أو يرى أمي الا وهو يحبني
وعن الاعرج انه قال قال أبو هريرة انكم تقولون ما بال المهاجرين لا يحدثون عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم بهذه الاحاديث وما بال الانصار لا يحدثون بهذه الاحاديث وان أصحابي من المهاجرين كان
شغلتهم صفقتهم في الاسواق وان أصحابي من الانصار كانت شغلتهم أراضيهم وانقيام عليها وانى كنت
امرأ مسكينا وكنت أكثر من مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحضر اذا غابوا وأحفظ اذا نسوا وان
النبي صلى الله عليه وسلم حدث ثنايا ما قال من بسط ثوبه حتى أفرغ من حديثي ثم يقبضه فانه ليس بين
شيأ سمعه مني أبدا فبسطت نمرتي أو قال ردائي ثم حدثني فقبضته الى نحري فوالله ما نسيت شيأ سمعته منه
وايم الله لولا آيتان في كتاب الله عز وجل ما حدثتكم شيأ أبدا ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات وا
من بعد ما بيناه للناس في الكتاب الآية كلها وعن مجاهد ان أبا هريرة كان يقول والله انى كنت لاعمد
بكبدي على الارض من الجوع وانى كنت لاشد الحجر على بطني من الجوع ولقد قعدت يو
طريقهم الذي يخرجون منه فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته الا ليستتبعني فلم يفعل
ثم عمر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته الا ليستتبعني فلم يفعل فمر أبو القاسم محمد صلى الله عليه
وسلم فعرف ما في وجهي وما في نفسي فقال أبا هر فقلت لبيك يا رسول الله قال الحقني فتبعته فدخل
واستأذنت فأذن لي وجد لبنا في قدح فقال من أين لكم هذا اللبن فقالوا أهداه لنا فلان أو آل
فلان قال أبا هر قلت لبيك يا رسول الله قال انطلق الى أهل الصفة فادعهم قال وأهل الصفة أضياف
الاسلام لم يأووا الى أهل ولا مال فاذا جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية أصاب منها وبعث
اليهم واذا جاءت الصدقة أرسل بها اليهم ولم يصب قال فاحزنني ذلك وكنت أرجو ان
أصيب من اللبن شربة أتقوى بها بقية يومي وليلتي فقلت أنا الرسول فاذا جاء القوم كنت انا الذي
أعطيهم فلم يبق لي من هذا اللبن ولم أكن من طاعة الله وطاعة رسوله بد فانطلقت فدعوتهم فاقبلوا
فاستأذنوا فأذن لهم فأخذوا مجالسهم من البيت ثم قال أبا هر خذ فاعطهم فاخذت القدح فجعلت
أعطيهم فيأخذ الرجل القدح فيشرب حتى يروى ثم يرد القدح فاعطيه الآخر فيشرب حتى
روى ثم يرد القدح حتى أتيت على آخرهم ودفعته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ
القدح فوضعه في يده وقد بقي فيه فضلة ثم رفع رأسه فنظر الي وتبسم فقال أبا هر فقلت لبيك

رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه يوم تذ ناضرة الى ربها ناظرة فيا عباد الله لا تنكروا قدرة الله فقدرته أعظم من ذلك يا
لا حرمنا الله تعالى من ذلك آمين والحمد لله رب العالمين * (المجلس الثالث والعشرون في الحديث الثالث والعشرين) * الحمد لله المنعم
على كل نفس بما كسبت الداعم والمكتوب الفناء منسوب الى البرية كيفما انتسبت القادر على تنفيذ مراده فيما رضيت بذلك
أم غضبت وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة حلت في القلوب وعلى الالسنة حلت وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله

الذى ثبتت ديانته قبل ايجاد البشر ووجبت صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه ما طلعت شمس وغربت آمين (عن أبى مالك الحرث بن عاصم الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطهور شطر الايمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماء والارض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها أخرجه مسلم) * اعلموا اخوانى وفقنى الله وإياكم ١٢٩ لطاعته ان هذا الحديث اشتمل على مهمات قواعد الدين ويتفرع منه الجالس (قوله صلى الله عليه وسلم الطهور شطر الايمان) أى نصف الايمان الكامل المركب من تصديق القلب واقرار اللسان وعمل الاركان وهو وان كثرت خصاله لكنها منحصرة فيما ينبغى التنزه والتطهر عنه وهو كل منهى عنه وما ينبغى التلبس به وهو كل مأمور به فهو شطر ان والطهارة بالمعنى اللغوى شاملة لجميع الشطر الاول وقد روى ابن ماجه وابن حبان اسباغ الوضوء شطر الايمان وروى الترمذى الوضوء شطر الايمان ومعناه انه تمام الشطر لا كل الشطر والطهور فى الحديث بالفتح للمبالغة كضروب الابلغ من ضارب أو اسم آلة لما يتطهر به كسحور وبالضم الفعل وهو المراد هنا قال الائمة رضى الله عنهم الطهارة تنقسم الى واجب

يارسول الله قال فاقعد فاشرب فقعدت فشربت ثم قال لى اشرب فشربت ثم قال لى اشرب فشربت فما زال يقول اشرب وأشرب حتى قلت والذى بعثك بالحق ما أجد له مسلكا قال ناولنى القدح فرددت اليه القدح فشرب من الفضلة * وعن عبد الرحمن بن عبيد عن أبى هريرة قال انى كنت لأتبع الرجل أسأله عن الآية من كتاب الله تعالى وأنا أعلم بها منه ومن عشيرته وما أتبعه الا ليطعمنى القبضة من التمر أو السف من السويق أو الدقيق أسد بها جوعتى فانقلبت أمشى مع عمر بن الخطاب ذات ليلة أحدثه حتى بلغ بابه فاسند ظهره الى الباب واستقبلنى بوجهه وكلما فرغت من حديث حدثنيه بآخر حتى اذا لم أر شيأ انطلقت فلما كان بعد ذلك لقينى فقال يا أبا هر لما أنه لو كان فى البيت شئ لاطعمناك * وعن ثابت بن أبى راشد ان أبا هريرة قال ما أحد من الناس يهدى الى هدية الا قبلتها سافا ما السؤال فلم أكن لأسأل * وعن خالد بن عكرمة ان أبا هريرة كان يسبح كل يوم اثنى عشرة ألف تسبيحة ويقول أسبح بقدر ذنبى * وعن نعيم بن المجمر عن أبى هريرة انه كان له خيط فيه ألفا عقدة فلا ينام حتى يسبح به وعن محمد بن سيرين عن أبى هريرة قال لقد رأيتنى أصرع بين منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين حجرة عائشة فيقول الناس انه لمجنون وما بى جنون وما بى الا الجوع وعن أبى المتوكل ان أبا هريرة كانت له زنجية فرفع عليها السوط يوما فقال لولا القصاص لاغشيتك به ولكن سأبيعك ممن يوفينى ثمنك اذهبى فانت حرة لوجه الله عز وجل * وعن ابن عباس قروخ الحريرى قال سمعت أبا عثمان النهدى يقول تضيفت أبا هريرة فكان هو وامرأته وخادمه يتعقبون الليل أثلاثا يصلى هذا ثم يوقظ هذا فيصلى ثم هذا يوقظ هذا فيصلى وأخرج البيهقى وغيره عن أبى هريرة قال أصبت ثلاث مصائب فى الاسلام موت النبى صلى الله عليه وسلم وقتل عثمان والمزود قالوا وما المزود قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر فقال معك شئ فقلت تمر فى مزود قال جيء به فاخرجت منه تمرا وفى رواية عشرين تمرة فسمى الله ودعا وجعل يضع كل تمرة ويسمى حتى أتى الى آخرهن ثم قال ادع عشرة فدعوتهم حتى أكل الجيش كله وبقى فى المزود فقال اذا أردت أن تأخذ منه شيأ فخذ ولا تكبه فما كلت منه حياة أبى بكر وعمر وعثمان فلما قتل انتهب بيتى وانتهب المزود والآخر كم أكلت منه أكلة أكثر من مائتى وسق وعن ثعلبة بن أبى مالك القرظى ان أبا هريرة أقبل فى السوق يحمل حزمة من الحطب وهو يومئذ خليفة لمروان قال أوسعوا الطريق للامير قال ابن أبى مالك قلت أصلحك الله تكفى هذا فقال أوسع الطريق للامير والحزمة عليه قال البخارى روى عنه أكثر من ثمانمائة ما بين صحابى وتابعى استعمله عمر على البحرين ثم عزله ثم راوده على العمل فابى ولم يزل بسكن المدينة وبها توفى ويقال توفى بالعقيق سنة سبع وقيل ثمان وقيل تسع وخمسين فى آخر خلافة معاوية وله ثمان وسبعون سنة روى عنه خمسة آلاف وثلثمائة حديث وأربعة وسبعون حديثا اتفقا منها على ثلثمائة وخمسة وعشرين وانفرد البخارى بمائة وتسعين وسلم بمائة وسبعين (قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مانهيتكم) هذا الخطاب ونحوه يختص لغة بالموجودين عند وروده فلا يتناول من حدث بعدهم الا بدليل وهو اما

كالطهارة عن حدث ومستحب كتجديد الوضوء والاغسال المسنونة ثم الواجب ينقسم الى بدنى وقلبى فالقلبى كالحسد والعجب والرياء والكبر قال الغزالى معرفة حدودها وأسبابها وطبها وعلاجها فرض عين يجب تعلمه والبدنى اما بالماء أو التراب أو بهما كما فى ولوغ الكلب أو بغيرهما كالحريف فى الدباغ أو بنفسه كانقلاب الخمر خلا وكل ذلك مقرر فى كتب الفقه (فوائد فى الوضوء) ذكر ان الملائكة لما قالت أتجعل فيها من يفسد فيها فغضب الله عليهم فاهالك بعضنا

وتاب على بعض منهم منكر ونكير وأمرهم بوضوء من عين تحت العرش فصلى بهم جبريل ركعتين فهذا أصل الوضوء وصلاة الجماعة وقال عثمان رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يسبغ عبد الوضوء الا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر رواه البزار باسناد حسن * وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يمضمض فاه الا غفر الله له كل خطيئة أصابها بلسانه ذلك اليوم ولا بغسل يديه الا غفر له ما قدمت يداه ذلك اليوم ولا يمسح برأسه الا كان كيوم ولدته أمه رواه الطبراني وقال صلى الله عليه وسلم اذا توضأ المسلم خرجت ذنوبه من سمعه وبصره ويديه ورجليه فان قعد قعد مغفورا له رواه الامام أحمد والطبراني فليسن المحافظة على الوضوء لما ورد في الخبر يقول الله تعالى من أحدث ولم يتوضأ فقد جفاني ومن أحدث وتوضأ ولم يصل فقد جفاني ومن صلى ولم يدعني فقد جفاني ومن أحدث وتوضأ وصلى ودعاني ولم أستجب له فقد جفوته ولست برب جاف وحكي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرسل رسولا الى الشام فمر على دير راهب فطرق بابه فقتح بابه بعد ساعة فسأله عن ذلك فقال أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام اذا خفت سلطانا فتوضأ وأمر أهلك به فان من توضأ كان في أمان مما يخاف فلم أفتح لك حتى توضأ جميعا * وفي طبقات ابن السبكي قال الله تعالى يا موسى توضأ فان أصابك شيء وأنت على غير وضوء فلا تلومن الا نفسك * وقال صلى الله عليه وسلم يا أنس ان استطعت أن تكون أبدا على وضوء فافعل فان ملك الموت اذا قبض روح عبد وهو على وضوء كتب له شهادة * وحكي انه كان في زمن عيسى عليه السلام امرأة صالحة فخفقت العجين في التنور وأحرمت بالصلاة فجاءها ابليس في صورة امرأة وقال احترق العجين فلم تلتفت اليه فأخذ ولدها وجعله في التنور فلم تلتفت اليه فدخل زوجها فوجد الولد في التنور يلعب

مساواتهم في الحكم الشرعي لانتفاء اختصاصه بمكلف دون مكلف وأما الاجماع (عنه فاجتنبوه) كله حتى يوجد ما يبيحه كأكل الميتة عند الضرورة وشرب الخمر عند الاكراه ولاساغة الغصة لان المكلف ليس منهيا في الحال على الصحيح وأما في التداوي فغير جائز ولو طلا لحديث ان الله لم يجعل شفاء أمتي فيما حرم عليها ومثل ذلك شربه للعطش اذ لا يندفع به العطش وقوله فاجتنبوه حتما في الحرام وندبا في المكروه قال الفاكهاني لا يتصور امتثال اجتناب المنهي عنه حتى يترك جميعه فلو اجتنب بعضه لم يعد ممتثلا بخلاف الامر يعني المطلق فان من أتى بأقل ما يصدق عليه الاسم كان ممتثلا (وما أمرتكم به فأتوا) وفي رواية فافعلوا (منه ما استطعتم) أي ما أطقتم وجوبا في الواجب وندبا في المندوب كالصلاة قائما مستندا فيما عدا المضطر فستلقيا فموميا ولو عجز عن صاع الفطر أتى بما قدر عليه وأما من قدر على صيام بعض النهار فلا يفعل لان صوم بعض اليوم ليس بقربة واذا عجز عن بعض الفاتحة في الصلاة أو قدر على غسل أو مسح بعض الاعضاء في الوضوء أتى بالممكن وصحت عبادته وهذا موافق لقوله فاتقوا الله ما استطعتم وأما اتقوا الله حق تقاته فقال قتادة والسدي وابن زيد والربيع بن أنس انها منسوخة بالاولى فالاصح بل الصواب وبه جزم المحققون انها ليست منسوخة بل قوله تعالى ما استطعتم مفسرة لها ومبينة للمراد منها قالوا والواو حتى تقاته هو امتثال أمره واجتناب نهيه ولم يأمر سبحانه وتعالى الا بالمستطاع قال الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها وقال تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج وقال بعضهم ان المبالغة في التقوى تكون بامرين أحدهما استصحاب التقوى الى الوفاة والامر الآخر استيفاء جميع الطاعات وحفظ جميع الحدود والحرمات فتعرضت آية آل عمران للمبالغة في استغراق العمر كله الى الوفاة بالتقوى ويدل على ذلك قوله تعالى ولا تموتن الا وأنتم مسلمون وتعرضت آية التغابن الى الامر الآخر فان قلت الاستطاعة معتبرة في النهي أيضا اذ لا يكلف الله نفسا الا وسعها فلم قيد الامر دون النهي فالجواب ان المأمور به متوقف على فعل بخلاف المنهي عنه فانه كف محض فلهذا قال في الاول فاجتنبوا وقال في الثاني فاتوا منه ما استطعتم فترك المنهي عنه عبارة عن استصحاب حال عدمه أو الاستمرار على عدمه فكل مكلف قادر على الترك ولا داعية للشهوة فلا يتصور عدم الاستطاعة في الكف بخلاف فعل المأمور به فانه عبارة عن اخراجه من العدم الى الوجود وذلك يتوقف على شروط وأسباب فلذلك قيد بالاستطاعة دون النهي ونوزع بان القدرة على استصحاب عدم النهي عنه قد يتخلف واستدل له بجواز أكل المضطر الميتة وشرب المكره الخمر ورد بانه لا نهي حينئذ وانما تقدم في الحديث النهي على المأمور به لان الاول أشد من الثاني لانه لم يرخص في شيء والامر مقيد بالاستطاعة ولذا قال بعضهم اعمال البر يعملها البار والفاجر والمعاصي لا يتركها الا صديق ومن ثم تسوغ في ترك الواجب كالقيام في الصلاة بحصول المشقة ولم يسامح في الاقدام على بعض المنهيات الا بالاضطرار كأكل الميتة واساغة الغصة بالخمر أولا لان المقام مقام نهي الاقرع بن حابس عن مسألته كما يأتي (وانما أهلك الذين من قبلكم) من أمم الانبياء (كثرة مسائلهم) من غير ضرورة عما لا يعنيهم مما اقترحوه كقولهم لعيسى هل يستطيع ربك

بالجمر وقد جعله الله عقيقا أحمر فأخبر عيسى بذلك فقال ادعها الى فدعاها فسألها عن عمرها فقالت يا روح الله ما أحدثت الا توضأت ولا طلب أحد مني حاجة الا قضيتها وأحتمل الاذى من الاحياء كما يحتمله الاموات منهم * وجاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم على سرير من ذهب قوائمه من زفضة مفصص بالياقوت واللؤلؤ والزبرجد مفروش بالسندس والاستبرق فاستقر على الارض بنظحاء مكة فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وأقعده معه على السرير وجبريل أربعة أجنحة جناح من لؤلؤ وجناح من ياقوت وجناح من زمرد وجناح من نور رب العالمين بين كل جناح خمسمائة عام على رأسه ذؤابتان واحدة على لون الشمس والاخرى على لون القمر مرصعتان بالجوهر واليا قوت محشوتان بالمسك والكافور ومعه سبعون الف ملك فضرب بجناحه الارض فنبعت عين ماء فتوضأ جبريل وغسل أعضاءه ثلاثا وتمضمض ثلاثا واستنشق ثلاثا ثم قال أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأنك رسول الله بعثك بالحق نبيا يا محمد تقدم وافعل كما فعلت ففعل النبي صلى الله عليه وسلم مثله فقال يا محمد قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويغفر الله لمن يصنع مثل صنيعك ذنوبه حديثها وقديمها وسرها وعلانيتها وعمدها وخطأها وحرم جسده ودمه على النار * ولنرجع الى الكلام على بقية الحديث (قوله

ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ولموسى فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض أرنا الله جهرة اجعل لنا الها كما لهم آلهة اذع لنا ربك يبين لنا ما هي فان بني اسرائيل لما أمروا بذبح بقرة تعنتوا ولم يبادروا الى مقتضى اللفظ من ذبح أي بقرة كانت بل شددوا على أنفسهم بكثرة السؤال عن حال البقرة وصفتها فشدد الله عليهم بزيادة الاوصاف حتى لم يجدوا متصفا بها الا بقرة واحدة فاشتروها بجلد ملئ جلدها ذهبا وقال السدي اشتروها بوزنها عشر مرات ذهبا وكانت تحتمل حكمة عظيمة وذلك انه كان في بني اسرائيل رجل صالح وكان له ابن طفل وكان له عجلة فأتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعتكها لابني حتى يكبر وكان بارا بوالديه حتى بلغ من بره ان رجلا أتاه بمال وكان نخسين الفا وكان فيها فضل فاشتراها منه وقال له ان أبي نائم ومفتاح الصندوق تحت رأسه فامهلني حتى يستيقظ فقال له أيقظ أبالك واعطي الثمن فقال له ما كنت لافعل ولكن أزيدك عشرة وأنظرني حتى ينتبه فقال له البائع انا أحط عنك عشرة آلاف ان أيقظت أباك وعجلت النقد فقال وأنا أزيدك عشرين ألفا ان انتظرت انتباهه فأبى ولم يوقظ الرجل أباه ومات الاب بعد ذلك ومكثت العجلة في الغيضة حتى صارت عوانا وكانت من أحسن البقر وأسمنه حتى كانت تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها وكانت تهرب من كل من رآها فلما كبر الابن كان يقسم الليل ثلاثة أقسام يصلي ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند رأس أمه ثلثا فاذا أصبح انطلق واحتطب على ظهره فأتى به السوق وبيعه بما شاء الله تعالى ثم يتصدق بثلثه ويأكل ثلثه ويعطي أمه ثلثه فقالت له أمه يوما ان أباك ورث عجلة استودعها الله في غيضة كذا فانطلق فادع الله ابراهيم واسمعيل واسحق أن يردها عليك وعلامتها انك اذا نظرت اليها يخيل لك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها فأتى الغيضة فرآها ترعى فصاح بها وقال اعزم عليك بالله ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب فاقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها يقودها فتكلمت البقرة باذن الله تعالى وقالت أيها الفتى البار بوالدته اركبني فان ذلك أهون عليك فقال الفتى ان أمي لم تأمرني بذلك ولكن قالت خذ بعنقها فقالت البقرة بالله بني اسرائيل لو ركبتني ما كنت تقدر على فانطلق فانك لو أمرت الجبل أن ينقطع من أصله وينطلق معك لفعل لبرك بوالدتك فسار الفتى بها فاستقبله عدو الله ابليس في صورة راع فقال أيها الفتى الى رجل راع من رعاة البقر انتقلت الى أهلي فأخذت ثورا من ثيراني فحملت عليه زادي ومتاعي حتى اذا بلغت شطر الطريق ذهبت لاقضي حاجتي فعدا وصعد الجبل فما قدرت عليه واني أخشى على نفسي الهلكة فان رأيت أن تحملني على بقرتك وتحينني من الموت وأعطيك أجرها بقرتين مثل بقرتك فلم يفعل الفتى وقال اذهب وتوكل على الله فلو علم الله منك الصدق لبلغت بلادا ولا راحلة فقال ابليس ان شئت دعتها بقلمك وان شئت فاحملني عليها وأنا أعطيك عشرة مثلها فقال الفتى ان أمي لم تأمرني بذلك فبينما هم كذلك اذ طار طائر بين يدي الفتى ونفرت البقرة هاربة في الفلاة وغاب الراعي فدعا الفتى الله ابراهيم فرجعت اليه وقالت أيها الفتى البار بوالدته ألم تر الى الطائر الذي طار انه ابليس عدو الله اختلسني أما انه لو ركبني ما قدرت على أبدا فلما دعوت الله ابراهيم جاء ملك فانتزعني من

صلى الله عليه وسلم الحمد لله) أي هذا اللفظ وحده أو هذه الكلمة وحدها وقيل المراد الفاتحة (تملأ) بالتحتية والفوقية (الميزان) أن ثواب التلفظ بها مع استحضار معناها والاذعان لمدلولها يملأ كفة الحسنات التي هي مثل طباق السموات والارض وسيأتي الكلام على صفة الميزان وما يتعلق بها في الختام ان شاء الله تعالى (قوله وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ) شك من الراوي (ما بين السماء والارض) وذلك لان العبد اذا جاء مستحضرا معنى الحمد وما اشتمل عليه من التفويض الى الله تعالى امتلأت ميزانه

من الحسنات فاذا أضاف الى ذلك سبحان الله الذى هو تنزيه الله عما لا يليق به ملأت حسناته زيادة على ذلك ما بين السموات والارض اذ الميزان علوه بثواب التحميد فهذه الزيادة هى ثواب التسبيح وثواب الحمد من ملئه للميزان باق بحاله على كل من الاعظمين ا ه فيهما وذكر السموات والارض على عادة العرب فى ارادة الاكثار والمراد ان الثواب على ذلك كثير جدا بحيث لو جسم لملأ ما بين السموات والارض * وروى ان التسبيح نصف الميزان والحمد لله تملؤه ولا اله الا الله ليس لها دون الله حجاب حتى

تصل اليه أى ليس لقبولها حجاب يحجبها وروى الامام أحمد ان الله اصطفى من الكلام أربعا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وان فى كل من الثلاثة عشرين حسنة وحط عشرين سيئة وفى الحمد لله ثلاثين * وحكى ابن عبد البر خلافا فى أن الحمد لله أكثر ثوابا أو لا اله الا الله قال النخعى وكانوا يرون أن الحمد أكثر الكلام تضعيفا وقال الشعرى ليس بضاعف من الكلام مثل الحمد لله وروى الحديث المتقدم واحتج آخرون بما فى حديث البطاقة * وروى الامام أحمد لو أن السموات السبع وعامرهن غيرى والارضين السبع فى كفة ولا اله الا الله فى كفة لمالت بهن (فوائد) قال النبى صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح وحين يمسى سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بافضل مما جاء به الا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه وقال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير فى يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ولم يأت أحد بافضل مما جاء به الا أحد عمل أكثر من ذلك ومن قال سبحان الله وبحمده فى يوم مائة مرة حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر وعن سعد بن أبى وقاص

يده ورد فى اليك ابرك بامك فجاء بها الى أمه فقالت له انك فقير لا مال لك وتشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبعها وخذ ثمنها فقال بكم أبيعها قالت بثلاثة دنانير ولا تبع بغير رضاى ومضى وكان ثمنها ثلاثة دنانير فانطلق بها الى السوق فبعث الله اليه ملكا فقال له بكم تبيع هذه البقرة قال بثلاثة دنانير واشترط عليك رضا والدتى فقال له الملك لك ستة دنانير ولا تشاور والدتك فقال القنى لو أعطيتنى وزنها ذهبا لم آخذه الا برضا أمى فردها الى أمه وأخبرها بذلك فقالت ارجع فبعها بستة دنانير على رضاى فانطلق بها الى السوق فاتى الملك فقال استأمرت أمك فقال القنى انها أمرتنى أن لا أنقصها عن ستة دنانير على أن أستأمرها فقال الملك انى أعطيك اثنى عشر دينارا ولا تستأمرها فاتى الفتى ورجع الى أمه فاخبرها بذلك فقالت ان الذى يأتيك ملك فى صورة بنى آدم ليختبرك فاذا أتاك فقل له أتأمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا ففعل فقال الملك اذهب الى أمك فقل لها أمسكى هذه البقرة فان موسى بن عمران يشتريها منك لقتيل يقتل من بنى اسرائيل بجلدها فما زالوا به حتى باعها منهم بملء جلدها ذهبا فأمسكوها حتى وجد فى بنى اسرائيل قتيل اسمه عاميل لم يدروا من قتله وكان سبب قتله كما قال عطاء والذى انه كان كثير المال وله ابن عم مسكين لا وارث له غيره فلما طال عليه موته قتله ليرثه وقال بعضهم كان تحت عاميل بنت عم له تضرب مثلا فى بنى اسرائيل فى الحسن والجمال فخطبها ابن عمها المسئ كرها فابت فقتل ابن عمها وقال بعضهم قتله ابن أخيه لينكح امه فلما قتله حمله من قرية الى قرية أخرى فالقاه هناك وقيل ألقاه بين قريتين وقال عكرمة كان لبنى اسرائيل مسجد له اثنا عشر بابا لكل سبط منهم باب فوجدوا قتيلا على باب سبط وجر الى باب سبط آخر فاخصم السبطان فيه وقال ابن سيرين قتله القاتل ثم احتمله فوضعه على باب رجل منهم ثم أصبح يطلب ثاره ويدعيه عليه فلما اشتبه على الناس جاؤا الى موسى وسألوه أن يدعو الله لهم يبين لهم بدعائه فامرهم بذبح بقرة فقال لهم ان الله يامركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا أى تستهزئ بنا نحن نسألك عن أمر القتيل وتامرنا بذبح بقرة فقال موسى أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين أى من المستهزئين بالمؤمنين وقيل من الجاهلين بالجواب على وفق السؤال فلما زالوا يستوصفون حتى وصف لهم تلك البقرة فاخذوها وذبحوها وقال الله تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون أى من شدة اضطرابهم واختلافهم فيها وضربوا القتيل ببعض منها فقام القتيل حيا وأوداجه تشخب دما وقال قتلنى فلان ثم سقط ومات مكانه فحرم قاتله الميراث (واختلافهم) بضم الفاء لا به أبلغ فى ذم الاختلاف اذ لا يقيد حينئذ بكثرة بخلاف كسرها وقد نهى عن الاغلوطات فى العلم (على أنبيائهم) اختلافا يؤدى الى كفر أو بدعة وأما اختلاف استنباط فروع الدين ومناظرة أهل العلم فيه على سبيل الفائدة واظهار الحق فغير منهى عنه بل مامور به وفضيلته ظاهرة وقد أجمع المسلمون من عهد الصحابة الى الآن على ذلك ولا شك أن الاختلاف المذموم سبب التفرق القلب ووهن الدين كما جرى للخوارج حين تبرأ بعضهم من بعض ووهن أمرهم واندحض وأو كثرة السؤال من غير ضرورة تشعر بالتعنت وتفضى اليه وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن قيل وقال وكثرة السؤال ومن ثم لما أكثروا السؤال عليه صلى الله عليه وسلم غضب

رضي الله عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيعجز أحدكم ان يكسب كل يوم ألف حسنة فسأله سائل كيف يكسب أحدنا ألف حسنة قال يسبح مائة تسبيحة فتكتب له ألف حسنة وتحط عنه ألف خطيئة * وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال استكثروا من الباقيات الصالحات قيل وما هن يا رسول الله قال التكبير والتهليل والتسبيح والتحميد لله ولا حول ولا قوة الا بالله و يروى ان في الجنة ملائكة يغرسون الاشجار للذاكرين فاذا فتر الذاكر فتر

ثم صعد المنبر وهو غضبان قال أنس ونحن نرى ان معه جبريل فما رأيت يوما كان أكثر بكاء منه فقال رجل يا رسول الله من أبي قال أبوك حذافة وكان الناس يسبونه و ينسبونه لغيره وقال آخر من أبي قال أبوك سالم مولى شيبة وقام آخر فقال أين أبي فقال في النار ثم قال يا أيها الناس ان الله قد فرض عليكم الحج فحجوا فقام اليه الاقرع بن حابس فقال يا رسول الله أكل عام فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجب ولما استطعتم ثم قال ذروني ما تركتكم فانما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم فاذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه واذا أمرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم فقام عمر على ركبتيه وقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا لا نفضحنا بسر آثرنا واعف عنا عفا الله عنك قال فسري عنه ثم التفت الى الحائط فقال لم أركاليوم في الخير والشر رأيت الجنة والنار وراء هذا الحائط اه (فوائد) الاولى جاء قوم الى سعدون الخولاني فحكوا ان كانة قتلوا رجلا وأضرموا عليه النار طول الليل فلم تعمل فيه وبقي أبيض اللون فقال لهم حج ثلاث حجج قالوا نعم قال حدثت أن من حج حجة أدى فرضه ومن حج ثانية فقد رد ابن ربه ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره و بشره على النار ذكره القاضي عياض في الشفاء * الثانية حكى عن محمد بن المنكدر انه حج ثلاثا وثلاثين حجة فلما كان في آخر حجة حجها قال وهو في عرفات اللهم انك تعلم اني وقفت في موقفي هذا ثلاثا وثلاثين وقفة واحدة عن فرضي والثانية عن أبي والثالثة عن أمي وأشهدك يا رب اني وهبت الثلاثين لمن وقف بموقفي هذا ولم تتقبل منه فلما دفع من عرفات نودي يا ابن المنكدر أتتكرم على من خلقي الكرم والجود وعزتي وجلالي لقد غفرت لمن وقف بعرفات قبل أن أخلق عرفات بالف عام وعن علي بن الموفق انه حج ثمانين فوهب منها سبعين للنبي صلى الله عليه وسلم وأربعة للخلفاء الراشدين وثلاثة لامه واثنتين لابيه ووهب الواحدة الباقية لكل من نوى الحج ولم يقدر عليه فهتف به هاتف من زاوية البيت يا ابن الموفق أتسخى علينا ونحن خلقنا السخاء وعزتي وجلالي كل من وهبته حجة وهبت له سبعين حجة وعنه أيضا أنه قال حججت سنة فلما ذهبت الى عرفة بت بمنى فرأيت في المنام كان ملكين قد نزلا من السماء فنادى أحدهما صاحبه يا عبد الله فقال لبيك أتدري كم حج بيت زيناه هذه السنة قال لا أدري قال حج بيت زيناه هذه السنة ستمائة ألف فتقبل منها حجة سنة فارتفعا فاذا بي في السماء فانتبهت فزعا ونمى ذلك وقلت في نفسي اذا قبل حج سنة فاين أكون أنا فلما أفضت من عرفات وصرت عند المشعر الحرام جعلت أتفكر في كثرة الخلائق وقلة من قبل منهم فغلبتني النوم فاذا الشخصان قد نزلا بعينهما وقال أحدهما لصاحبه المقالة الاولى ثم قال أتدري ما حكم ربنا عز وجل في هذه السنة قال لا قال وهب لكل واحد من هذه الستة مائة ألف فانتبهت وقد دخلني السرور وعن سفيان الثوري رحمه الله تعالى قال حججت سنة ونويت أن انصرف من عرفات ولم أحج بعدفنظرت في النوم فاذا بشيخ متكئ على عصا وهو ينظر الى مليا فقلت السلام عليك يا شيخ فقال وعليك السلام يا سفيان ارجع عما نويت فقلت سبحان الله من أين علمت نيتي قال أعلمني ربي فوالله لقد حججت خمسا وثلاثين حجة وكنت واقفا بعرفات هاهنا في

المالك ويقول فترصاحبي وروى الحاكم ان طلحة ابن عبيد الله سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى سبحان الله فقال تنزيه الله من كل سوء وروى ابن أبي حاتم عن علي رضي الله عنه قال سبحان الله كلمة أحبها الله لنفسه ورضيها وأحب ان تقال وعن كعب بن عجرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال معقبات لا يخيب قائلهن دبر كل صلاة مكتوبة ثلاثة وثلاثين تسبيحة وثلاثة وثلاثين تحميدة وأربعا وثلاثين تكبيرة وفي رواية من سبح الله دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين ثم قال تمام المائة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر قال النووي رحمه الله والاولى الجمع بين الروايتين فيكبر أربعا وثلاثين و يقول لا اله الا الله الى آخره وروى من قال دبر كل صلاة مكتوبة وهو ثان رجله قبل أن يتكلم لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير عشر مرات كتب له عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات وكان يومه ذلك في حرز من الشيطان رواه الترمذي وقال حسن صحيح (قوله صلى الله عليه وسلم والصلاة نور) أي ذات نور أو منورة أو ذاتها نور وهي تنور وجه صاحبها كما هو مشاهد في الدنيا وجاء من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار وقال أبو الدرداء

صلوا ركعتين في ظلم الليل لظلم القبر وتشرق في القلب أنوار المعارف ومكاشفات الحقائق ليتفرغ فيها من كل شاغل ويتعرى عن كل زائل ويقبل على الله بكليته حتى عن عليه بشهوده وقربه ومحبته ولذا قال صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلاة وروي ان الجبهان يشبع والظمآن يروى وأنا لا أشبع من حب الصلاة والصلاة تريح القلب وتريح همومه وغمومه ولذا قال صلى الله عليه وسلم يا بلال أقم الصلاة وأرحنا بها وذكر النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة فقال من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورا ولا برهانا ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وقارون وأبي ابن خلف رواه الامام أحمد وانما خص هؤلاء الاربعة بالذكر لانهم رؤس الكفر فمن ترك الصلاة لتجارته فهو مع أبي بن خلف ومن تركها لملكه فهو مع فرعون ومن تركها لماله فهو مع قارون ومن شغله عنها رياسته فهو مع هامان وقال أبو الليث السمرقندي قال رجل في الزمن الاول لابليس أحب أن أكون مثلك فقال أترك الصلاة ولا تحلف صادقا * وفي الحديث تقول الملائكة لتارك صلاة الفجر يا فاجر ولتارك صلاة الظهر يا خاسر ولتارك صلاة العصر يا عاصي ولتارك صلاة المغرب يا كافر ولتارك صلاة العشاء يا مضيع ضيعك الله * ويحكى ان عيسى عليه السلام مر على قرية كثيرة الانهار والاشجار فاكرمه أهلها فتعجب من حسن طاعتهم ثم مر عليها بعد ثلاث سنين فرأى الاشجار يابسة والانهار ناشفة وهي خاوية على عروشها فتعجب من ذلك فاوحى الله تعالى اليه قد مر على القرية رجل تارك الصلاة فغسل وجهه في عينها فنشفت الانهار ويبست الاشجار فخربت القرية يا عيسى لما كان ترك الصلاة سببا لهدم الدين كان سببا لخراب الدنيا * ويحكى ان بعض الاكابر ركب البحر فرأى السمك يأكل بعضه بعضا فتوهم

الحجة الخامسة والثلاثين أنظر الى هذه الزحمة وبقيت منتظرا حتى غابت الشمس وأفاض الناس من عرفات الى المزدلفة وجن الليل ولم يبق معي أحد فنمت تلك الليلة فرأيت في النوم كان القيامة قد قامت وحشر الناس وتطايرت الكتب ونصب الميزان والصراط وفتحت أبواب الجنان والنيران فسمعت النار تنادي وتقول اللهم في الحجاج من حرمي وبردي فموديت يا نار سلي غيرهم فانهم ذاقوا عطش حر البادية وبردة والشفاعة قال فانتبهت وصليت ركعتين ثم نمت فرأيت ذلك فقلت في نومي هذا من الرحمن أم من الشيطان فقيل لي من الله فديمتك فعددت فاذا على كتفي مكتوب من وقف بعرفات وزار البيت شفعته في سبعين من أهل بيته قال سفيان وأراني المكتوب حتى قرأته ثم قال الشيخ فلم تمر سنة الا وأنا أحج حتى تم لي ثلاثة وسبعون حجة وعن عبد الله بن المبارك قال كان بعض المتقدمين قد حبب اليه الحج فدفنت عنه انه قال ورد الحاج في بعض السنين الى بغداد فعزمت على الخروج معهم على الحج فاخذت في كمي خمسمائة دينار الى السوق أشتري آلة الحج فبينا أنا في بعض الطريق عارضني امرأة فقالت رحمك الله أنا امرأة شريفة ولي بنات عراة واليوم الرابع ما أكلنا شيأ فوقع كلامها في قلبي فطرحت الخمسمائة دينار في طرف ازارها وقلت عودي الى بيتك فاستغني بهذه الدنانير على وقتك فحمدت الله تعالى وانصرفت ونزع الله من قلبي حلاوة الخروج تلك السنة وخرج الناس وحجوا وعادوا وافقلت أخرج للقاء الاصدقاء والسلام عليهم فرجعت وجعلت كلما لقيت صديقا وسلمت عليه وقلت له قبل الله حجك وشكر الله سعيك زدت على مثل ذلك فلما كانت الليلة الثانية رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا فلان لا تعجبن من تهنئة الناس لك بالحج أغثت ملهوفا أو أعنت ضعيفا فسألت الله عز وجل فخلق في صورتك ملكا فهو يحج عنك في كل عام فان شئت فحج وان شئت لا تحج وروى نحو هذه الحكايات أبو سعيد عبد الملك بن أبي عثمان عن ابن المبارك ان عبد الله بن المبارك دخل الكوفة وهو يريد الحج فاذا بامرأة جالسة على مزبلة تنتف وطة فوقع في نفسه أنها ميتة فوقف وقال يا هذه هذه ميتة أم مذبوحة قالت ميتة وأنا أريد أن آكلها وعيالي فقال ان الله حرم الميتة وأنت في هذا البلد فقالت يا هذا انصرف عني فلم يزل يراجعها الكلام الى ان تعرف منها ثم انصرف فحمل على بغل نفقة وكسوة وزادا وجاء وطرق الباب ففتحت ونزل عن البغل وضربه داخل البيت ثم قال للمرأة هذا البغل وما عليه من النفقة والكسوة والزاد لك ثم أقام حتى رجع الحاج فجاء قوم ليهنئوه بالحج فقال ما حججت السنة فقال له بعضهم يا سبحان الله ألم أودعك نفقتي ونحن ذاهبون الى عرفات وقال له آخر ألم نسقك موضع كذا وقال آخر ألم تشتر لي كذا فقال لا أدري ما تقولون لي اما أنا لم أحج العام فلما كان الليلة أتى اليه في منامه فقيل له يا عبد الله بن المبارك ان الله تعالى جل جلاله قد قبل صدقتك وانه بعث ملكا على صورتك يحج عنك ذكرهما ابن الجوزي * وذكر ابن جماعة ان بعض السلاف نوى الحج ومعه ثمانمائة درهم فعرضت له في ذات يوم حاجة فبعث ولده الى بعض جيرانه فرجع الولد يبكي فقال مالك يا بني قال دخلت على جارنا وعندهم طبيخ فاشتهيته فلم يطعموني فذهب الرجل الى جاره يعاتبه

أن القمقما وقع في البحر فقال به هاتف انه قد شرب من البحر رجل تارك الصلاة فلما علم ملوحة الماء قذفه من فيه فوقع القمقما في البحر من نجاسة فمه * وأنزل الله في بعض كتبه تارك الصلاة ملعون وجاره ان رضي به ملعون ولولا اني حكم عدل لقلت كل من يخرج من ظهره ملعون الى يوم القيامة وفي الحديث ان جبريل وميكائيل عليهما السلام قالا قال الله تعالى من ترك الصلاة فهو ملعون في التوراة والانجيل والزبور والفرقان وفي الحديث من ترك الصلاة لقي الله وهو عليه غضبان * (مسئلة) حلف

رجل بالطلاق أنه لا يدخل على زوجته الا في يوم مشؤم فسأل جماعة عن ذلك فأجابوه بان الايام كلها مباركة ثم سأل الشيخ عبد العزيز الديريني رضي الله عنه عن ذلك فقال هل صليت اليوم صلاة قال لا قال فادخل فانه يوم مشؤم عليك فالصلاة يا اخواننا نور وروى الطبراني انه صلى الله عليه وسلم قال من صلى الصلوات الخمس في جماعة جاز على الصراط كالبرق اللامع في أول زمرة السابقين وجاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر والصلاة تمنع من المعاصي وتنهى عن الفحشاء والمنكر كما في قوله تعالى وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وذكر الشعبي في هذه الآية عن أنس رضي الله عنه ان رجلا كان يصلي الخمس مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم لا يدع شيأ من الفواحش الا ارتكبه فأخبروا النبي

على ما فعل فبكى الجار وقال أجاءني الى كشف حالي انا منذ خمسة أيام لم نطعم فطبخت ميتة وأكلناها وعلمت ان ولدك يجد مما فلا يحل له أكل الميتة فتعجب الرجل وقال لنفسه كيف النجاة وفي جوارك مثل هذا وانت تتأهب للحج الى بيته واعطاه الثمانمائة درهم فلما كانت عشية عرفة رأى ذو النون المصري في منامه وهو بعرفات كان قائلا يقول ياذا النون ترى هذا الزحام على الموقف قال نعم قال ما حج منهم الا رجل تخلف عن الوقوف فحج بهمته فوهب الله له أهل الموقف قال ذو النون من هو قيل رجل يسكن دمشق فبحث عنه حتى عرفه وسلم عليه وبشره بذلك اه ذكره في مثير شوق الانام الى حج بيت الله الحرام * الثالثة اخرج ابن عدي في الكامل والدارقطني في الافراد والعقيلي وابن عساكر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتقي الخضر مع الياس في كل عام في الموسم فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويفترقان عن هذه الكلمات بسم الله ماشاء الله لا يسوق الخير الا الله ماشاء الله لا يصرف السوء الا الله ماشاء الله ما كان من نعمة فمن الله ماشاء الله لا حول ولا قوة الا بالله وفي بعض الروايات زيادة العلي العظيم واسناد هذا الحديث ضعيف لان فيه الحسن بن رزين وهو ضعيف وأخرجه ابن الجوزي من طريق أحمد بن عمار عن محمد بن مهدي بن هلال وزاد قال ابن عباس ما من عبد قالها في كل يوم ثلاث مرات الا امن الحرق والغرق والسرق والشيطان والسلطان والحية والعقرب حتى يمسي وكذلك حتى يصبح * الرابعة عن ابن عباس ان آدم عليه السلام حج أربعين حجة من الهند ماشيا على رجليه قبل مجاهد أفلا كان يركب قال وأي شيء كان يحمله أخرجه ابن الجوزي وقال سعيد بن سالم حج سبعين حجة ماشيا (رواه البخاري ومسلم) وهو حديث عظيم من قواعد الدين

* (الحديث العاشر) *

(عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله طيب) أي منزه عن النقائص ومقدس عن الآفات والعيوب وعن كل وصف خلا عن الكمال المطلق كما قاله القاضي عياض أو طيب الثناء مستأذ الاسماء عند العارفين بها كما قاله غيره ثم الطيب له اطلاقات فيطلق ويراد به الحلال كما في قوله تعالى قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث وقوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء ويطلق ويراد به الجيد من الحلال وهو المستلذ منه كما في قوله تعالى قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق وقوله تعالى كلوا مما في الارض حلالا طيبا على انه من باب التأسيس الذي هو الاصل لا التأكيد وقيل انه بمعنى الطاهر ومن وروده بمعنى الطاهر قوله تعالى فتيمموا صعيدا طيبا ويطلق ويراد به المنبت كما في قوله تعالى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه ويطلق ويراد به الحسن كما في قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب أي الحسن وهي شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقوله تعالى ضرب الله مثلا كلمة طيبة أي حسنة وهي الشهادة ويطلق ويراد به المؤمن كما في قوله تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ويطلق ويراد به مالا اذى فيه كقوله هذا يوم طيب وليلة طيبة أي ليس فيها حر يؤذي ولا برد يؤذي ويطلق ويراد به المدوك

صلى الله عليه وسلم بذلك فقال ان صلاته تنهاه يوما فلم يلبث أن تاب وحسن حاله فقال ألم أقل لكم ان صلاته تنهاه يوما * وفي التنزهة للنيسابوري رحمه الله تعالى ان رجلا راودامرأة عن نفسها فاخبرت زوجها بذلك فقال قولي له صلى خلف زوجي اربعين صباحا ففعل ثم دعته الى نفسها فقال اني تبت الى الله عز وجل فاخبرت زوجها بذلك فقال صدق الله قوله الحق ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقال صلى الله عليه وسلم لا صلاة لمن لم يطع الصلاة ومن أطاعها نهته عن الفحشاء والمنكر فقد أطاع الصلاة وفي الترغيب والترهيب

من النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى لم أقبل الصلاة من تواضع بها لغيري ولم يستطل على خلقي ولم يبت مصرا على وقطع نهاره في ذكري ورحم الارملة والمسكين وابن السبيل والمصاب ذلك نوره كنور الشمس أكلؤه بعزتي واستحفظه ملائكتي واجعل له في الظلمة نورا وفي الجهالة حلما ومثله في خلقه كمثل الفردوس والصلاة تهدي الى الصواب ويكون أجرها نورا وتشفع لصاحبها يوم القيامة وروى الطبراني

اذا حافظ العبد على صلاته فاتم وضوءها وركوعها وسجودها والقراءة فيها قال الله له حفظك الله كما حفظتني فيصعد بها الى السماء ولها نور حتى تنتهي الى الله عز وجل أي الى محل قربه ورضاه فتشفع لصاحبها وقيل في قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات يعني الصلوات الخمس وقال العلائي في تفسير سورة العنكبوت الصلاة عرس الموحدين فانه يجتمع فيها ألوان العبادات كما ان العرس يجتمع فيه ألوان الاطعمة فاذا صلى العبد ركعتين يقول الله تعالى مع ضعفك أتيت بألوان العبادة قياما وركوعا وسجودا وقراءة وتهليلا وتحميدا وتكبيرا وسلاما فانا مع جلالي وعظمتي لا يحتمل مني ان أمنعك جنة فيها ألوان النعيم أوجبت لك الجنة بنعيمها كما عبدتني بألوان العبادة وأكرمك برزقي كما عرفتني بالوحدانية فاني لطيف أقبل عذرك وأقبل منك اليسير برحمتي فاني أجدر من أعذبه من الكفار وأنت لا تجد لها غيري بفقر سيدك عبدي لك بكل

ركعة قصرا في الجنة وحورا وبكل سجدة نظرة الى وجهي وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة مرضاة للرب وحب الملائكة وسنة الانبياء ونور المعرفة وأصل الايمان واجابة الدعاء وقبول الاعمال وبركة في الرزق وسلاح على الاعداء وكراهية للشيطان وشفيع بين صاحبها وبين ملك الموت وسراج في قبره الى يوم القيامة

كتوفي طاب ثمرها أي أدرك قال الشارح الهيتمي وهو أي طيب من أسمائه الحسنى لصحة الحديث به كالجميل ومثلها النظيف وردبان حديثه لم يصح اه وبحث فيه بعضهم بانه ان اراد بعدم صحة الثالث عدم ورود فمنوع بل في حديث رواه ابن عدي وغيره عن ابن عمر مرفوعا ان الله جميل يحب الجمال نظيف يحب النظافة وان اراد بالصحة وتقيها الصحيح المصطلح عليه فممنوع أيضا لان الحديثين المذكورين ضعيفان كما بينه جمع من الحفاظ فتدبر (لا يقبل الا طيبا) أي لا يتقبل من الاعمال الا ما كان خالصا من المفسدات كالرياء والعجب ولا من الاموال الا ما كان حلالا لان لفظ طيب يتضمن المدح والشرف فلا يتقرب اليه سبحانه وتعالى الا بما يناسبه في ذلك المعنى وهو الاخلاص في الاعمال وخيار الاموال كما قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا وقال تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون وعن ابن عباس من أكل لقمة من حرام لم يقبل الله عمله اربعين صباحا ومن اكتسب مالا حراما فان تصدق به لم يقبل منه ومن خلفه بعده كان دليله الى النار ومن أكل الحلال أربعين صباحا نور الله قلبه واجرى ينابيع الحكمة على لسانه ومن سعى على عياله من حله كان كالمجاهد في سبيل الله قال القرطبي في شرح مسلم ما ملخصه الاخلاص شرط في جميع العبادات وذلك بان يكون الباعث على عملها التقرب الى الله تعالى وابتغاء ما عنده فان كان الباعث عليها شيأ من اعراض الدنيا فلا تكون عبادة بل معصية اما كفر واما رياء وهذا اذا كان الباعث على تلك العبادة الغرض الدنيوي وحده ولو فقد لترك العمل فلو اوقع العبادة بمجموع الباعثين فان كان باعث الدنيا أقوى أو مساويا لحق بالقسم الاول في الحكم أو بابطال العمل عند أئمة هذا الشان لحديث من عمل عملا أشرك فيه غيري تركته وشركه فلو كان باعث الدين أقوى فحكم المحابي بابطال ذلك العمل متمسكا بالحديث المتقدم ومافي معناه وخالفه الجمهور وقالوا بصحة العمل وامروا فقرد باعث الدين بالعمل ثم غرض باعث الدنيا في اثناء العمل فهو أولى بالصحة اه وفي الحديث من حج بمال حرام فقال لبيك قال الله تعالى لا لبيك ولا سعديك حجك مردود عليك * وأخرج أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفيها درهم من حرام لم يقبل الله له صلاة ما دام عليه ثم ادخل أصبعيه في أذنيه ثم قال صمتا ان لم أكن سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله وأخرج الحاكم وابن خزيمة وابن حبان من جمع مالا من حرام ثم تصدق به لم يكن له فيه أجر وكان اصره عليه وأخرج الطبراني من كسب مالا من حرام فانفق منه ووصل رحمه كان ذلك اضرارا عليه وان لم تقبل الصدقة بالحرام لانه ممنوع من التصرف فيه لكونه ملك الغير فلو قبل لزم كونه مامورا به منهيا عنه من جهة واحدة وهو محال وهذه الجملة توطئة وتاسيس لما هو المقصود بالذات من سياق هذا الحديث وهو طيب المطعم المستلزم لاجابة الدعاء غالبا (وان الله تعالى) اما خا في لعباده ما في الارض جميعا وأما جمعهم سوى ما حرم عليهم (أمر المؤمنين) أي والمؤمنات فهو من باب التغليب والامر للوجوب (بما أمر به المرسلين) فسوى بينهم في الخطاب بوجوب أكل الحلال ففيه اشعار بان الاصل استواؤهم مع أممهم في الاحكام الا ما قام الدليل على اختصاصهم به (فقال يا أيها الرسل كلوا من

فاذا كانت القيامة كانت الصلاة طلا لوجهه وتاجا على رأسه ولباسا على بدنه ونورا يسعى بين يديه وستارا بينه وبين النار وحجة للمؤمنين بين يدى رب العالمين وثقلا فى الميزان وجوازا على الصراط ومفتاحا للجنة لان الصلاة تسبيح وتحميد وتقديس وتمجيد وقراءة ودعاء ولان أفضل الاعمال كلها الصلاة فى وقتها ومر عيسى عليه السلام على شاطئ البحر فرأى طيرا من نور انغمس فى الطين ثم خرج فاغتسل فعاد الى حسنه وهكذا خمس مرات فتعجب من ذلك فقال جبريل ١٢٧ يا عيسى ان الطير جعل الله مثلا لمن

الطيبات) فيه تنبيه على ان اباحة الطيبات لهم شرع قديم وردا لرهبانية فى رفض الطيبات (واعملوا صالحا) وقدم أكل الحلال على صالح الاعمال تنبيها على انه لا يتوصل للعمل الا بعد الانتفاع بالرزق (وقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) أى نفعناكم وهو جمع طيب بمعنى الحلال الخالص من الشبهة لان الشرع طيبه لآكله وان لم يستلذه ولذيذ الطعم من غيره وبال على آكله وندامة وحسرة فقول الشافعى الطيب المستلذ أراد به المستلذ شرعا وهو بمعنى ما قبله وقد خفى هذا على بعضهم فظن تغايرهما فاعترضه بان الخنزير لذ للحم على الاطلاق وهو حرام اجماعا والصبر لا لذة فيه وهو حلال اجماعا وأخرج ابن سعد عن عمر بن عبد العزيز انه قال يوما انى أكلت الليلة حمضا وعدسا فنفخنى فقال له بعض القوم يا أمير المؤمنين ان الله تعالى يقول فى كتابه كلوا من طيبات ما رزقناكم فقال عمر هيهات ذهبت به الى غير مذهبه انما يريد طيب الكسب ولا يريد طيب الطعام وأسند الرزق الى نفسه تحريضا لهم والامر فى هذه الآية للاباحة أو للوجوب كما لو أشرف على الهلاك مجاعة أو للندب بموافقة الضيف قال أبو هريرة (ثم) ان النبى صلى الله عليه وسلم استطرد الكلام حتى (ذكر الرجل) خصه بالذكر لانه الذى يسافر السفر البعيد الطويل غالبا والا فالمرأة كذلك (يطيل السفر) فى وجوه الطاعات من حج وجهاد وزيارة مستحبة وصلة رحم وغير ذلك من وجوه البر وذكر بعضهم ان قوله أشعث أغبر يفيد انه سفر الحج اذ الصفتان المذكورتان لا يكونان الا فيه والاولى التعميم الاول وقوله يطيل السفر محله نصب صفة لرجل لان أل فيه جنسية والجنس المعرف بمنزلة النكرة على حد قوله رحمه الله * ولقد أمر على اللئيم يسبنى * قال لطيبى ولقد حكى لفظ رسول الله رفع الرجل بالابتداء والخبر يطيل الخ (أشعث) أى متلبد الشعر لبعده عهده بالغسل والتسريح والدهن وشعث الرجل شعثا من باب تعب (أغبر) أى غير الغبار وجهه وبقية جسده (يمد يديه) فيه اشارة الى ان رفع اليدين مشروع فى الدعاء لما فيه من اظهار شعار الذل والانكسار والافتقار بسمة العجز والافتقار ولان العرب ترفع أيديها اذا استعظمت لامر فالداعى جدير بذلك لتوجهه بين يدى أعظم العظماء ولان العادة فى سؤال المخلوق ذلك فيضع فى يده ما يسأل فيه فكان الداعى شبه المعقول بالمحسوس (الى) جهة (السماء) لانها مخزن الارزاق ومهبط أسرار الخلائق ومصعد الاعمال والاشارة الى ما هو من وصف المدعو من الجلال والكبرياء وانه فوق كل موجود بالقهر والاستيلاء ولانها قبلة الدعاء ومن ثم كانت أفضل من الارض على قول الا كثر وهو الاصح لانه لم يعص الله بها قيل الارض أفضل لان الانبياء خلقوا منها وهى مدفنهم ومستقرهم وعدم العصيان فى السماء مزية وهى لا تقتضى الافضلية على انه قد يكون فى المفضول مزايا وقد ينتقض بما وقع لآدم وحواء وابليس وادعاءهم لم يكونوا فى السماء يحتاج لدليل (يارب) أعطنى كذا (يارب) جنبنى كذا (ومطعمه) هو مصدر بمعنى المعمول وكذا يقال فيما بعده (حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى) بضم الغين وكسر الذال المعجمة المخففة وفى المصابيح وردت مشددة (بالحرام) ذكر قوله وغذى بالحرام بعد قوله مطعمه حرام امر للتاكيد وانما للتنبيه على استواء حاليه

صلى الصلوات الخمس من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فالطين كالذنوب والاغتسال كفضل الصلاة (قوله صلى الله عليه وسلم والصدقة برهان) أى الزكاة كما فى رواية ابن حبان ويصح بقاؤها على عمومها حتى يشمل سائر القرب المالية واجبها ومندوبها وهى لغة الشعاع الذى يلى وجه الشمس واصطلاحا الدليل والمرشد فهى يفزع اليها كما يفزع الى البراهين لانه اذا سئل يوم القيامة عن مصرف ماله فاجاب بتصدقت كانت صدقاته براهين على صدقه فى جوابه وهى دليل على ايمان المتصدق وصحة محبته لمولاه (اشارات فى الزكاة) عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعبد خيرا بعث اليه ملكا من خزان الجنة فيمسح ظهره

فتسخو نفسه بالزكاة وقال صلى الله عليه وسلم الزكاة قنطرة الاسلام وقال صلى الله عليه وسلم ما تلف مال فى بر ولا بحر الا بحبس الزكاة وقال مانع الزكاة فى النار ويقال الكافر يحرم دمه وماله باخذ الجزية كذلك المؤمن يحرم دمه وماله على النار فى الآخرة اذا أخرج الزكاة بطيب نفس وفى الحديث ويل لاغنياء من الفقراء يقولون ربنا ظلمونا حقنا الذى فرضت لنا فيقول وعزتى وجلالى لادنينكم ولابعدنهم (حكاية) كان فى زمن ابن عباس رضى الله عنهما رجل كثير المال فلما مات

صغر وأكبر فوجدوا فيه ثعبانا عظيما فأخبروا ابن عباس بذلك فقال احفروا غير هذا فحفروا غيره فوجدوا الثعبان فيه حتى حفروا سبع قبور فقال ابن عباس أهلها عن حالة فقالوا انه كان يمنع الزكاة فأمرهم بدفنه معه (وحكى) ان رجلا أودع رجلا مائتي دينار ثم مات فجاء ولده وطلب الوديعة فدفعها اليه وادعى الولد الزيادة على ذلك فترافعا الى حاكم فقال احفروا قبر الميت فحفروه فوجدوا في الميت مائتي كية بالنار فقال صدقة التطوع فقلبوه فيها أخبار كثيرة منها ما جاء ان سائلا أتى امرأة وفي فمها لقمة فاخرجت اللقمة فناولتها السائل فلم تلبث ان رزقت غلاما فلما ترعرع جاء ذئب فاختطفه فخرجت تعدو في أثر الذئب وهي تقول أين ابني فأمر الله ملكا ألحق الذئب فخذ الصبي من فيه وقل لامه الله يقرئك السلام ويقول لك هذه لقمة بلقمة ومنها استعينوا على الرزق بالصدقة ومنها أعظم الصدقة ان تتصدق وانت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا ومنها ان الله ليصرف العذاب عن الامة بصدقة رجل منهم ومنها ان الله ليضحك للرجل اذا مد يديه بالصدقة واذا ضحك الله لعبد غفر له ومنها ان الله عز وجل ليدخل بلقمة الخبز وقبضة التمر ومثله مما ينفع المسكين ثلاثة الجنة صاحب البيت الآمر به والزوجة المصلحة والخادم ومنها ان الله تعالى ليربي لاحدكم التمرة واللقمة كما يربي أحدكم فلوه وفصيله حتى يكون مثل أحد ومنها ان الصدقة بالكسرة تربو عند الله حتى تكون مثل أحد ومنها ان صدقة السر تطفئ غضب الرب ومنها تعبد عابد من بني اسرائيل في صومعته ثلاثين عاما فأمطرت الارض فاخضرت فأشرف الراهب من صومعته فقال لو زلت فذكرت الله لازددت خيرا فنزل ومعه زاده

صغيرا وكبيرا فاشار بقوله ومطعمه حرام الى حال كبره وبقوله وغذي بالحرام الى حال صغره وهذا دال على أن لا ترتيب في الواو (فانى يستجاب له) أي فكيف ومن أين يستجاب لمن هذه صفته فهو استبعاد لاجابة دعائه من قبح ما هو متلبس به مع ما هو عليه من اطالة السفر في أنواع الطاعة فكيف بمن هو منهمك في ملاذ الدنيا وظالم العباد أو لذلك كالانعام بل هم أضل لكن يجوز أن يستجيب له لطفا منه وتفضلا وقد علم من هذا أن تناول الحرام مانع من اجابة الدعاء غالبا وبقي المعاشرة منها أن لا يدعو بالشر على غير مستحقه ولو بهيمة ولا بمحال ولو عادة فانه تعالى أجرى الامور على العادة فالدعاء بخرقها تحكم على القدرة القاضية بدوامها وذلك سوء أدب على الله قال الابالاسم الاعظم فيجوز تأسيا بالذي عنده علم الكتاب دعا بحضور عرش بلقيس فاجيب وهو سبي على ان شرع من قبلنا شرع لنا وان لا يكون فيما سئل غرض فاسد كمال وطول عمر لقفاخر وأن لا يكون على وجه الاختيار وأن لا يشتغل به عن فرض وأن لا يستعظم حاجته وأن تكون الاجابة عنده أو انصراف الهمة الى لفظه لانه حائل للكلام غير لائق وأن يحترز عما يعد اعتداء في الخطابات الا من الرد للخبر الآتي ويحسن بقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي وأن لا يضجر من تأخر الاجابة في قبول دعوته فلم يستجب لي لانه سوء أدب وأن لا يدعو بدعاء الغه غيره ولم يرده أو مع الجهل بمعناه لقضيته فقال الله له أنا أرحم به منك لكنه يدعوني وله غنم وقلبه عند غنمه ولا أستجيب لمن يدعوني وقلبه عند غيري فذكر موسى ذلك للرجل فانقطع الى الله تعالى فقضيت حاجته وان يتجنب الجهر فلا يدعو بالجهر فيما الصواب فيه الرفع أو النصب لانه يتضمن عدم مؤاخذة الحق بالخطأ وسمع الاصمعي رجلا عند الملتزم يقول ياذا الجلال والاكرام فقال له منذ كم تدعوه فقال منذ سبع سنين فلم أر الاجابة فقال لانك تلحن في الدعاء فاني بستجاب لك قل ياذا الجلال والاكرام فقيل فاستجيب له لكن ذكر ابن الصلاح أن الدعاء الملحون ممن لا يستطيع غيره لا يقدح فيه ومر ابراهيم بن أدهم بسوق البصرة فاجتمع الناس عليه وقالوا له يا أبا اسحق مالك تدعو فلا يستجاب لنا فقال لان قلوبكم ماتت بعشرة أشياء الاول عرفتم الله فلم تؤدوا حقه والثاني زعمتم أنكم تحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركتم سنته والثالث قرأتم القرآن فلم تعملوا به والرابع أكلتم نعم الله فلم تؤدوا شكرها والخامس قلتم ان الشيطان عدو لكم ولم تخالفوه والسادس قلتم ان الجنة حق ولم تعملوا لها والسابع قلتم ان النار حق ولم تهربوا منها والثامن قلتم ان الموت حق ولم تستعدوا له والتاسع انتبهتم من النوم فاشتغلتم بعيوب الناس ونسيتم عيوبكم والعاشر دفنتم موتاكم ولم تعتبروا قال ابن عطاء الله ان للدعاء شروطا وأركانا وأجنحة ومواقيت وأسبابا وأوقاتا فان وافق أركانه

وان وافق أجنحته طار الى السماء وان وافق مواقيته فازوان وافق أسبابه أنجح وان وافق أوقاته استقر فاركانه حضور القلب والخشوع وقطعه عن الاسباب وأجنحته الصدق ومواقيته الاسحار وأسبابه الحمد لله والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم وأوقاته بعد الصلاة ومواضع اجابة الدعوات اه من الشيرازي وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس دعوات لا ترد دعوة الحاج حتى يصدر ودعوة الغازي حتى يرجع ودعوة المظلوم حتى ينصر ودعوة المريض حتى يشفى ودعوة الاخ لاخيه بظهر الغيب وأسرع هؤلاء الدعوات دعوة الاخ لاخيه بالغيب أخرجه الحافظ أبو منصور عبد الله بن محمد بن الوليد وصححه المحب الطبري في كتابه المسمى بالقرى لقاصد أم القرى ثم ان الاجابة ليست منحصرة في الاسعاف بالمطلوب بل هي حصول واحد من الثلاث المذكورة في قوله صلى الله عليه وسلم ما من داع يدعو الا كان بين ثلاث اما أن يستجاب له واما أن يدخر له يعني أفضل منه واما أن يكفر عنه من ذنبه وفي لفظ أو يدفع عنه من السوء مثله (رواه مسلم) وهو أحد الاحاديث التي عليها قواعد الاسلام ومباني الاحكام

(الحديث الحادي عشر)

(عن أبي محمد الحسن) كناه وسماه بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ولقبه بالتقي والسيد ولد بالمدينة في النصف من رمضان سنة ثلاث من الهجرة وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أذنه وكان له من الولد خمسة عشر ذكرا وثمان بنات وعن البراء أنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعا الحسن على عاتقه وهو يقول اللهم اني أحبه فاحبه وصح من أحبني فليحبه وليبلغ الشاهد الغائب اللهم اني أحبه وأحب من يحبه فاحبب من يحبه ثلاث مرات وفي رواية فجعل يفتح فمه ثم يدخل فمه في فمه ويقول ذلك وعن عقبة بن الحرث أنه قال خرجت مع أبي بكر من صلاة الفجر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بليال وعلي يمشي الى جنبه فمر بالحسن بن علي يلعب مع الغلمان فاحتمله على رقبته وهو يقول

بأبي شبيه بالنبي * ليس شبيها بعلي

وعلي يضحك وعن سعيد بن عبد العزيز أن الحسن سمع رجلا يسأل الله عز وجل أن يرزقه عشرة آلاف فانصرف الحسن فبعث بها اليه وعن الحسن رضي الله عنه أنه قال اني لأستحيي من ربي أن ألقاه ولم أمش الى بيته فمشى نحوا وعشرين مرة من المدينة الى مكة على قدميه وكانت النجائب تقاد بين يديه وخرج عن ماله مرتين وقاسم الله في ماله ثلاث مرات وكان ليعطى نعلا تارة ويمسك أخرى وعن أبي العباس المرسي قدس سره أول الاقطاب مطلقا الحسن بن علي ومن تواضعه انه مر بصبيان معهم كسر خبز فاستضافوه أدبا معه فنزل وأكل معهم وتزوج بسبعمائة امرأة في حياة أبيه فأمر منادي ينادي في الناس لا تزوجوا الحسن فانه مطلاق فما من أحد الا قال نزوجه فمن رضي أمسك ومن كره طلق وما طلق امرأة الا وهي تحبه ومتع امرأتين بعشرين ألفا ونيفا فقالت احداهما متاع قليل من حبيب مفارق ولم يكن يعرف اسم الحسن في الجاهلية وكذا اسم الحسين وأما اللذان كانا باليمن فهما حسن باسكان

اذا صاحبك مولاك فاذكرني قال فخرج هاربا على وجهه فآواه الليل الى خربة فيها عشرة عميان وكان بالقرب منهم راهب يبعث اليهم في كل ليلة غلاما بعشرة أرغفة فجاء غلام الراهب بالخبز على عادته فاذ ذلك الرجل العاصي بيديه وأخذ رغيفا فبقي رجل منهم لم يأخذ شيأ فقال الغلام قد فرقت عليكم العشرة فقال أبيت طاويا فبكى الرجل العاصي وناول الرغيف لصاحبه وقال لنفسه أنا أحق أن أبيت طاويا لاني عاص وهذا مطيع فنام فاشتد به الجوع حتى أشرف على الهلاك فأمر الله ملك الموت فقبض روحه

وغيفان فبينما هو في الارض اذ لقيته امرأة فلم تزل تكلمه ويكلمها حتى غشيها ثم أغمي عليه فنزل الغدير بستهم فجاءه سائل فاومى اليه أن باخذ الرغيف أو الرغيفين ثم مات فوزنت عبادة السبعين سنة بثلاث الزنية فرجحت الزنية بحسناته فوضع الرغيف أو الرغيفان مع حسناته فرجحت حسناته فففر له ومنها يا معشر النساء تصدقن فان أكثر كن حطب جهنم انكن تكثرن الشكاية وتكفرن العشير وكل هذه الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وجاء بصيغ صائح يوم القيامة أين الذين أكرموا الفقراء والمساكين في الدنيا ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون (حكي) ان رجلا عبد الله سبعين سنة فبينما هو في معبده ذات ليلة اذ وقعت به امرأة جميلة فسألته أن يفتح لها وكانت ليلة شاتية فلم يلتفت الى كلامها وأقبل على عبادته فولت المرأة فنظر اليها فاذا كلتا قلبه وسلبت لبه فترك العبادة وتبعها فقال الى أين فقالت الى حيث أريد فقال هيهات صار المراد مرادا والاحرار عبيدا ثم جذبها فادخلها الى صومعته فاقامت عنده سبعة أيام فعند ذلك تفكر فيما كان فيه من العبادة وكيف باع عبادة سبعين سنة بمعصية سبع ليال فبكى حتى غشي عليه فلما أفاق قالت له ياهذا والله ما عصيت الله مع غيري وأنا ما عصيت الله مع غيرك وانى أرى في وجهك أثر الصلاح فبالله عليك

فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة هذا رجل خرج من ذنبه وخطاياه ما خرج وقالت ملائكة العذاب بل هو خارج فأوحى الله اليهما أن زنوا اعبادة سبعين سنة بمعصية السبع ليال فوزنوهما فرجحت المعصية على عبادة السبعين فأوحى الله تعالى اليهم أن زنوا معصية السبع ليال بالرغيف الذي آثر به على نفسه فوزنوا فذلك فرجح الرغيف فتوفته ملائكة الرحمة وقبل الله توبته (قوله صلى الله عليه وسلم ١٤٠ والصبر ضياء) أي حبس النفس على العبادات ومشاقها والمصائب ومرارتها

وعن المنهيات والشهوات ولذاتها وأفضل أنواعه الاخير فالاول مخبر بأن أبي الدنيا ان الصبر على المصيبة يكتب للعبد به ثلثمائة درجة وان الصبر على الطاعة يكتب للعبد به ستمائة درجة وان الصبر على المعاصي يكتب له به تسعمائة درجة وقوله ضياء أي ان صاحبه لا يزال مستضيا بنور الحق على سلوك سبيل الهداية والتوفيق مستمرا في مضايق اضطراب الآراء على تحري الصواب لما عنده من ضياء المعارف والتحقيق * قال موسى عليه السلام الهي أي منازل الجنة أحب اليك قال حظيرة القدس قال من يسكنها قال أصحاب المصائب قال يارب من هم قال الذين اذا ابتليتهم صبروا واذا أنعمت عليهم شكروا واذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون (قوله صلى الله عليه وسلم والقرآن) وهو الكلام المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للاعجاز باقصى سورة منه (حجة لك) فيرضاك

السين وحسين بفتح الحاء وكسر السين وفي طبقات ابن سعد عن غلمان بن سليمان الحسن والحسين اسمان من أسماء أهل الجنة ولم يكونا في الجاهلية لكن في الكشاف ما يخالفه وحينئذ فاول من سمي بهما من أهل الدنيا من ذكر والمراد أول من سمي بلفظهما لا بزوان هرون سمى ابنيه شبر بفتحتين وشبير بضم الشين المعجمة وسكون الموحدة ومعنى شبر حسن وشبر حسين لان هذا تسمية بمعناهما واللفظ قد اختلفا (ابن علي) بن أبي طالب القائل فيه المصطفى صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ويكنى أبا الحسن وأما تراب فكناه بذلك النبي صلى الله عليه وسلم لما وجده نائما وقد علاه التراب (رضي الله تعالى عنهما سبط) بكسر فسكون أي ولد بنته (رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته) شبهه لسروره وفرحه به واقباله عليه بريحان طيب الريح يرتاح لرؤيته وشمه أولانه كان له رائحة طيبة كرائحة الريحان وهو نبت معروف طيب الرائحة وقد قال صلى الله عليه وسلم فيه وفي أخيه الحسين هما ريحانتاي من الدنيا وفي الصحيح ان الحسن رقا المنبر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فاحتمله وجعل يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ثم قال ان ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين فكان كذلك فانه لما توفي أبوه رضي الله عنه بايعه أكثر من أربعين ألفا وفيهم كثير ممن تخلف عن أبيه وممن نكث بيعته فبقي خليفة نحو ستة أشهر تكملة الثلاثين سنة التي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم انها مدة الخلافة وبعدها يكون ملكا عضوضا أي بعض الناس يجور على بعض وعدم استقامتهم فلما تمت تلك المدة سار الى معاوية في أهل الحجاز والعراق لينتزع منه الشام وسار اليه معاوية فلما تراآى الجيشان وتقارب الجمعان بموضع من أرض الكوفة وقيل نزل الحسن بالمدائني ومعاوية بمسكن من ناحية الانبار نظر الحسن الى العسكرين وفكر فيما يكون بينهما من القتل فعلم انه لن تغلب احدى الفئتين حتى يذهب أكثر الاخرى فرأى ان المصلحة في جمع الكلمة وترك القتال وطلب صلاح الامة وحقن دماء المسلمين فارسل الى معاوية يخبره أن يسلم الامر له ويتنزل له على شرط أن لا يطلب أحدا من أهل الحجاز والمدينة والعراق بشيء مما كان في أيام أبيه وأن يكون ولي الامر من بعده وأن يحمل له من بيت المال يأخذ منه حاجته فقرح معاوية وأجاب الى ذلك الا أنه قال الاعمدة لا أعلمهم فراجعه الحسن فيهم فكتب اليه معاوية اني قد آليت على نفسي أني متى ظفرت بقيس ابن سعد بن عبادة أن أقطع لسانه ويده فراجعه الحسن وقال اني لا أبايعك أبدا وأنت تطلب قيسا وغيره بتبعة قلت أو كثرت فبعث اليه معاوية برق أبيض وقال اكتب ما شئت فيه وأنا ألتزمه فاصطلحا على ذلك فكتب الحسن كل ما اشترطه عليه من الامور المذكورة والتزم ذلك كله معاوية فخلع الحسن نفسه وسلم الامر اليه تورعا وقطعا للشر واطفاء لثائرة الفتنة وسمي ذلك العام عام الجماعة لاجتماعهم على خليفة واحد وكان ذلك في سنة احدى وأربعين في شهر ربيع الاول وقيل جمادى ثم ان يزيد بن معاوية دس الى زوجة الحسن جعدة بنت الاشعث الكندية أن تسمه ويتزوج هو بذل لها مائة ألف ففعلت فلما مات الحسن بعثت الى يزيد تسأله فيما وعدها فأبى وقال انا لم نرض للحسن

أي في تلك المواقف التي تسأل فيها عنه كالقبر والميزان وعقبات الصراط ان امتثلت جميع أوامره واهتديت بانواره وتحليت بما فيه من معالي الاخلاق وشرائف الاحوال (أو حجة عليك) في تلك المواقف ان أعرضت عن القيام بحاله من واجب الحقوق قال بعض السلف ما جالس أحد القرآن فقام سالما أن يربح وأما أن يخسر ثم تلا قوله تعالى ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين

ولا يريد الظالمين الا خسارا * وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه صلى الله عليه وسلم قال يمثل القرآن يوم القيامة رجلا فيؤتى بالرجل قد حمله فخاف أمره فيمثل له خصما فيقول يا رب قد حملته اياي فبئس حامل تعدى حدودي وضيع فرائضي وركب معصيتي وترك طاعتي فما يزال يقذف عليه بالحجج حتى يقال شأنك به فيأخذ بيده فما يرسله حتى يكبه على منخره في النار قال وبؤتى بالرجل الصالح قد كان حمله فيمثل له خصما دونه فيقول يا رب حملته اياي فخير حامل ١٤١ لم يتعد حدودي وعمل فرائضي واجتنب

فنرضاك لا نفسنا وعن عمير بن اسحق انه قال دخلت أنا ورجل على الحسن بن علي نعوده فقال يا فلان سلني قال لا والله لا أسألك حتى يعافيك الله قال ثم دخل وخرج الينا فقال سلني قبل ان لا تسألني قال لا بل حتى يعافيك الله عز وجل قال قد ألقيت طائفة من كبدي واني سقيت السم مرارا فلم أسق مثل هذه المرة ثم دخلت عليه من الغد وهو يجود بنفسه وأخوه الحسين عند رأسه فقال يا أخي من تتهم فقال لتقتلني قال نعم فقال ان يكن الذي أظن فالله أشد بأسا وأشد تنكيلا وان لا يكن ذلك فلا أحب ان يقتل بي بريء ومن جملة كلامه لاخيه لما احتضر ان أباك أشرف لهذا الامر المرة بعد المرة فصرفه الله عنه الى الثلاثة قبله ثم ولي فنوزع حتى جرد السيف فاصفت له واني والله ما أرى ان يجمع الله فينا النبوة والخلافة وربما تسنغفلت سفهاء الكوفة فيخرجونك ولما انزل به الموت قال أخرجوا فراشي الى صحن الدار فاخرج فقال اللهم اني أحتسب نفسي عندك فاني لم أصنت بمثلها وكان مرضه أربعين يوما وتوفي لخمس ليال خلون من ربيع الاول وفي سنة موته أقوال والاكثرون انها سنة خمسين ودفن بالبقيع وكان من الحكماء الكرماء روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر حديثا (قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم دع) أي أترك وهو أمر لما مضى له ومضارعه يدع قال الصرفيون وأماتوا ماضي يدع ويذر ولكن جاء عن عروة ومقاتل وابن أبي عبلة انهم قرؤا ما ودعك ربك بتخفيف الدال وجاء ذلك في ضرورة الشعر ومنه قول أنس بن رئيم

ليت شعري عن خليلي ما الذي * غاله في الشعر حتى ودعه

والامر للندب لان الاصح ان توقي الشبهات مندوب بل جاء عن عمر رضي الله عنه مكسبة فيها بعض الريبة خير من المسئلة ومعناه كسب فيه بعض الشك أحلال هو أم حرام خير من سؤال الناس وقد تكون للوجوب كالرمي صيدا فسقط في ماء فمات أو اجتمع على قتله كلب مسلم وكافر فانه يجب تركه لعدم تحقق المبيح (فاريبك) بفتح أوله وضمه والاول أفصح وأكثر رواية والثاني لغة هذيل يقال راب يريب ثلاثيا وأراب يريب رباعيا اذا شك وتردد في الشيء وقيل رابه لما تيقن فيه الريبة وأراب لما توهم فيه فاذا وجدت نفسك ترتاب من شيء فاتركه فان نفس المؤمن الكامل تطمئن الى ما فيه النجاح والفلاح وترتاب من ضده فقد قال أحمد بن نصر الزقاق تهت مرة في تيه بني اسرائيل فمكثت مقدار خمسة عشر يوما فلما وافيت الطريق لقيني جندي فسقاني شربة ماء فعادت قساوتها على قلبي أربعين صباحا وفي رواية ثلاثين سنة كما تقدم وفي رواية فمكثت قساوتها في قلبي ثلاثين سنة وعن أبي سليمان الداراني انه قال قدم الى أهلي مرة خبزا وملحا فأكلت في الملح سمسمة فأكلتها فوجدت رائحتها على قلبي بعد سنة وحكي انه كان رجل من الاولياء قصد شخص زيارته فلما وصل الى بيته خرج شاب عليه سيما المتكبرين فسلم على الشاب فلم يرد عليه فتعجب وسأل عنه فقيل له انه ابن الشيخ فلما جاء الشيخ رآه الزائر بسيما المتواضعين وكمال حسن الخلق فتعجب أشد من ذلك وقال في نفسه يا عجبا كيف يكون لمثل هذا الشيخ مثل هذا الولد فسأله الزائر عن سوء خلق ابنه فقال الشيخ لا تعجب فاني جعت مدة من الايام فاخبر

معصيتي واتبع طاعتي فما زال يقذف له بالحجج حتى يقال شأنك به فيأخذ بيده فما يرسله حتى يلبسه حلة الاستبرق ويعقد عليه تاج الملك ويسقيه كأس الخمر (قوله صلى الله عليه وسلم كل الناس يغدو) أي يصبح ساعيا في تحصيل اغراضه مسرعا في طلب نيل مقاصده (فبائع نفسه) من الله تعالى ببذلها فيما يخلصها من سخطه وأليم عقابه متوجها بقلبه وقالبه الى الآخرة وأعمالها معرضا عن زخارف الدنيا متعبدا بآداب الشرع قولا وفعلا ممتثلا ما أوجبناه (فمعتقها) من رق الخطايا والمخالفات ومن سخط الله وأليم عقابه (أو موبقها) أي أو بائع نفسه من البطالة ببذلها فيما يرديها فهو حينئذ موبقها أي مهلكها فيما أوقعها فيه من العذاب * ولنختم مجلسنا هذا بثلاث فوائد

* (الفائدة الاولى) * روى الطبراني والخرائطي من قال اذا أصبح سبحان الله وبحمده ألف مرة فقد اشترى نفسه من الله وكان من آخر يومه عتيقا من النار * (الفائدة الثانية) * عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح اللهم اني أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك بانك أنت الله الذي لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك أربع مرات أعتقه الله ذلك اليوم من النار والحكمة في ترتيب العتق على قول ذلك أربع مرات قيل لان

أشهد الله وحملة عرشه وملائكته وجميع خلقه فاعتق الله بشهادة كل شاهد منهم بعضو وهذا كما ان الانسان يهدر دمه اذا شهد اربعة بالزنا كذلك يعصم دم هذا من النار اذا شهد اربعة على ايمانه وقال بعضهم تكرر هذه الكلمات اربع مرات تبلغ حروفها ثلثمائة وستين حرفا وابن آدم مركب من ثلثمائة وستين عضوا فاعتق الله بكل حرف منها عضوا من أعضائه * (الفائدة الثالثة) * ذكر السادة الصوفية ان من قال لا اله الا الله سبعين ألف مرة أعتق الله بها رقبته أو رقبة من قال له من النار قال الشيخ

تقي الدين الفيطي رحمه الله تعالى في معراجه في تفسير التسبيح أخرج الطبراني في الاوسط والخرائطي وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح سبحان الله وبحمده ألف مرة فقد اشترى نفسه من الله وكان آخر يوم عتيق الله قال وهذه فائدة عظيمة ينبغي ان يحافظ عليها وغنيمة جسيمة يبادر الى الاعتناء بها والمداومة عليها قال ويشبهها ما يتداوله السادة الصوفية من قول لا اله الا الله سبعين ألف مرة ويذكرون ان الله تعالى يعتق بها رقبة من يقولها ويشتري بها نفسه من النار ويحافظون على فعلها لانفسهم ولمن مات من أهاليهم واخوانهم وقد ذكرها الامام اليافعي والعارف الكبير محيي الدين بن عربي وأوصى بالمحافظة عليها وذكروا انه قد ورد فيها خبر نبوي وحكوا ان شابا صالحا كان من أهل الكشف مات أمه فصاح وبكى وخر مغشيا عليه ثم سئل عن سبب ذلك فذكر انه رأى أمه في النار وكان بعض المشايخ من السادة حاضرا وكان قد قال هذه السبعين الفا وأراد ان يعدها لنفسه فقال في نفسه عند ما سمع قول الشاب المذكور اللهم انك تعلم اني هللت هذه السبعين ألف تهليلة وأريد أن أدخرها لنفسي وأشهدك اني قد اشتريت بها أم هذا الشاب من النار فما استتم الوارد الا وتبسم الشاب وسر سرورا عظيما وقال الحمد لله الذي

بذلك جاري وكان من خواص السلطان فجاءني بطعام من بيت السلطان فلما أكلت ذلك الطعام غلبت على شهوة الجماع فهذا لولد من نطفة ذلك الطعام (الى ما لا يريبك) أي دع ما تشك من الشبهات الى ما لا تشك فيه من الحلال لما مر في الحديث السادس ان من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه وهذا أصل في الورع حتى قال بعضهم الورع كله في ترك ما يريب الى ما لا يريب وقيل لا يبلغ العبد ان يكون من المتقين حتى يترك ما لا بأس به حذرا مما به بأس وقال حسان بن أبي سنان ما شيء أهون من الورع اذا رابك شيء فدعه وهذا انما يسهل على من سهله الله عليه ومن ثم تورع زربح عن خمسمائة ألف من ميراث أبيه فلم يأخذها وكان أبوه يلي الاعمال للسلاطين وكان يزيد بها الخوص ويتقوت منه الى ان مات وسئلت عائشة رضي الله عنها عن أكل الصيد للمحرم فقالت لفتى هي أيام فلا تسأل فما رابك فدعه يعني ما شبه عليك هل هو حلال أو حرام فاتركه فان العلماء اختلفوا في اباحة الصيد للمحرم اذا لم يصده أو يصد لاجله (رواه) الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بفتح السين والراء وسكون الواو وابن الضحاك وقيل ابن شداد بن الضحاك السلمي البوغي بضم الموحدة وسكون الواو وغين معجمة قرية من قرى ترمذ على ستة فراسخ منها فلذلك قال (الترمذي) بتثليث الفوقية وكسر الميم أو ضمها مع اعجام الذال نسبة لمدينة قديمة على طرف جيحون وهو نهر بلخ على ستة عشر فرسخا منها قال أبو عبيد الاربسي كان الترمذي أحد الائمة الذين يقتدى بهم في علم الحديث صنف كتاب الجامع والعلل والتواريخ تصنيف رجل عالم متقن وكان يضرب به المثل في الحفظ وكان مكفوفا قيل ولد أكمه ونوزع بقول الكشاف لم يكن في هذه الامة أكمه غير قتادة بن دعامة وقد يقال هذا نفي ومن حفظ حجة على من لم يحفظ ولا يرد على كلام الشاطبي لان صاحب الكشاف متقدم سنة تسع ومائتين ومات بمدينة ليلة الاثنين الثالثة عشر من رجب سنة تسع وسبعين وقيل تسع وثمانين ومائتين (و) الامام الحافظ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (النسائي) نسبة الى نسا مدينة بخراسان ولد سنة أربع أو خمس عشرة ومائتين رحل واجتهد وارتحل الى ان انفرد فقها وحديثا وحفظا واتقانا حتى قال الذهبي انه أحفظ من مسلم وكان متبسطا في المأكل كثير النساء مع كثرة التعبد دخل دمشق فذكر فضل علي رضي الله عنه فقيل له فما معاوية فقال ما كفاه ان يذهب رأسا برأس حتى تذكر له فضائل فدفع في حصيه بالحاء المهملة أي جنبيه حتى أشرف على الموت فاخرج فمات بالرملة أو فلسطين سنة ثلاث وثلثمائة وحمل للقدس أو مكة فدفن بين الصفا والمروة (وقال الترمذي حديث حسن صحيح استشكل الجمع بينهما مع ما بينهما من التضاد فان راوي الصحيح يشترط فيه ان يكون موصوفا بالضبط الكامل وراوي الحسن لا يشترط فيه ان يبلغ تلك الدرجة وان كان ليس عاريا عن الضبط في الجملة وأجيب بان ما قيل فيه ذلك ان كان له اسنادان كان وصفه بالحسن من جهة أحدهما وبالصحة من جهة الآخر وحينئذ فما قيل فيه انه حسن صحيح أقوى مما قيل فيه صحيح لان كثرة الطرق تقويه وان كان له اسناد واحد كان وصفه بهما من حيث تردد أئمة الحديث في حال ناقله لان ذلك يحمل المجتهد على انه

أرانى أمى قد خرجت من النار وأمر بها الى الجنة قال الشيخ المذكور فحصل لى فائدتان صادق الخبر المذكور وصحته وصدق كشف هذا الشاب قال الشيخ نجم الدين رحمه الله تعالى لكن الحديث المذكور قال بعض المشايخ لم يرد به سند فيما أعلم قال وقد وقفت على صورة سؤال للحافظ ابن حجر رحمه الله عن هذا الحديث وهو من قال لا اله الا الله سبعين ألفا فقد اشترى نفسه من الله هل هو حديث صحيح أو حسن أو ضعيف وصورة جوابه أما الحديث المذكور فليس بصحيح ١٤٣ ولا حسن ولا ضعيف بل هو باطل موضوع لا تحل روايته الا مقرونا ببيان حاله اه قال الشيخ نجم الدين رحمه الله لكن ينبغى للشخص أن يفعلها اقتداء بالسادة الصوفية واقتداء بقول من أوصى بها وتبركا بافعالهم وقد ذكرها للشيخ الولى العارف سيدى محمد بن عراق نفعنا الله ببركاته فى بعض سفيناته المؤلفة قال وكان شيخنا يأمر بها وذكر ان بعض اخوانه ذكر له ان بعض الصلحاء انه كانت له سبحة عددها ألف وكان يديرها سبعين مرة من بعد صلاة الصبح الى طلوع الشمس قال وهذه كرامة له من الله تعالى فنسأل الله تعالى أن يمن علينا بذلك وان يلحقنا بعباده الصالحين فاغتنموا هذه الفوائد هنيأ لاصحاب خير الورى ولا تنس أصحاب أخياره أولئك فازوا بتذكير ونحن سعدنا بتذكاره وهم سبقونا الى نصره وها نحن أتباع أنصاره

لا يصفه باحد الوصفين بل يقول حسن أى باعتبار وصف ناقله عند قوم صحيح باعتبار وصفه عند آخرين وغاية ما فيه انه حذف منه حرف التردد لان حقه أن يقول حسن أو صحيح وعلى هذا فما قيل فيه صحيح دون ما قيل فيه صحيح لان الجزم أقوى من التردد

(الحديث الثانى عشر)

(عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حسن) انما أتى بلفظ حسن ولم يقل من اسلام الخ للاشارة الى انه لا عبرة بصور الاعمال فعلا وتركا الا اذا اتصفت بالحسن بان توفرت شروط مكملاتها فضلا عن مصححاتها وقيل ان ترك ما لا يعنى ليس هو الاسلام ولا جزأ بل صفته وحسنه وصفة الشئ ليس ذاته ولا جزأه لان الاسلام لغة الانقياد وشرعا الاركان الخمسة فهو كالجسم وترك ما لا يعنى كالشكل واللون له ذكره بعض الشارحين فان قيل لم قال من حسن على التبعيض ولم يقل حسن فالجواب ان ترك ما لا يعنى ليس هو كل حسن الاسلام بل بعضه وانما جميع حسن الاسلام ترك ما لا يعنى وفعل ما يعنى فاذا فعل ما يعنيه وترك ما لا يعنيه فقد كمل حسن اسلامه وعلى هذا فمن للتبعيض وقال بعضهم يجوز كونها للبيان (اسلام المرء) أثره على الايمان لان الاسلام هو الذى يظهر اذ هو الاعمال الظاهرة التى يتأتى فيها الترك والفعل اختيارا (تركه) مصدر مضاف لفاعله (ما) أى شيأ أعم من أن يكون قولا أو فعلا (لا يعنيه) بفتح أوله قال ابن عبد البر وهذا من جوامع الكلم الذى لم يقله أحد قبله والله أعلم وأما ما روى فى صحف ابراهيم عليه الصلاة والسلام من عد كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه فهذا على تقدير صحته خاص بالكلام وما تركه مما لا يعنيه فهو أعم من الكلام مع ان لفظه أبلغ وأوجز وما لا يعنيه هو ما لا تدعو الحاجة اليه وهو الفضول كله على اختلاف أنواعه من اللعب واللهو وكل ما يخل بالمروءة والتوسع فى الدنيا وطلب المناصب والرياسة وحب المحمدة ونحو ذلك مما لا يعود عليه منه نفع أخروى فانه ضياع للوقت النفيس الذى لا يمكن أن يعوض فائته فيما لم يخلق لاجله والذى يعنيه من الامور ما يتعلق بضرورة حياته فى معاشه مما يشبعه من جوع ويرويه من عطش ويستر عورته ويسد فرجه ونحو ذلك مما يدفع الضرورة دون ما فيه تلذذ وتنعم وسلامته فى معاده من الاخلاص وقال الشيخ يوسف بن عمر ما لا يعنيه هو ما يخاف فيه فوات الاجر والذى يعنيه هو الذى لا يخاف فيه فوات ذلك وقيل ما يعنيه ما يعود عليه منه منفعة لدينه أو لدنياه الموصلة لآخرته وما لا يعنيه عكسه وهو ما لا يعود عليه منه منفعة لدينه أو لدنياه الموصلة لآخرته ولعله احترز بذلك عن دنيا تقطعه وتفسد آخرته وفى الحديث اشارة الى ان الشئ انما ان يعنى أولا وعلى كل اما ان يتركه أو يفعله فالاقسام أربعة فعل ما يعنى وترك ما لا يعنى وهما حسنان وترك ما يعنى وفعل ما لا يعنى وهما قبيحان فان قلت استناد الاعتناء الى المرء يقتضى ان كل ما لا يعتنى به مطلوب بتركه ولو كان موافقا للشرع فالجواب انه لما كان المرء الكامل لا يعتنى الا بما يعتنى به الشارع أسند الاعتناء اليه نظرا لكماله أو ان المراد بقوله ما لا يعنيه ما لا يطلب الشارع الاعتناء به وقد قال مالك بن دينار اذا رأيت قساوة فى قلبك

ولما حرمنا لقاعينه * عكفنا على حفظ آثاره عسى الله يجمعنا كلنا * برحمته معه فى داره

(المجلس الرابع والعشرون فى الحديث الرابع والعشرين) الحمد لله الذى نطقت بوحدانيته عجائب مصنوعاته وأطبقت على صمدانيته غرائب مبتدعاته وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وزاده فضلا وشرفا لديه وعلى آله وصحبه أجمعين آمين (عن أبى ذر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه انه قال يا عبادى انى حرمت الظلم على

تقوى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا يا عبادي كلكم ضال الا من هديته فاستهدوني أهدكم يا عبادي كلكم جائع الا من اطعمته فاستطعموني اطعمكم يا عبادي كلكم عار الا من كسوته فاستكسوني أكسكم يا عبادي انكم تخطئون بالليل والنهار وانا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي لو ان أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل ١٤٤ واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيأ يا عبادي لو ان أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك في ملكي شيأ يا عبادي لو ان أولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فاعطيت كل واحد مسئلته ما نقص ذلك مما عندي الا كما ينقص المخيط اذا دخل البحر يا عبادي انما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه رواه مسلم) اعلموا اخواني وفقني الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث من الاحاديث القدسية وهو حديث عظيم رباني مشتمل على فوائد عظيمة في أصول الدين وفروعه وآدابه ولطائف القلوب قال الامام النووي في اذكاره ان أبا ادريس راويه عن أبي ذر كان اذا حدث به جثا على ركبتيه تعظيما لله واجلالا (قوله يا عبادي) جمع لعبد يتناول الاحرار والارقاء من الذكور والاناث اجماعا قال أبو علي الدقاق ليس للمؤمن صفة أشرف ولا أتم من العبودية وقيل

ووهنا في بدنك وحرمانا في رزقك فاعلم بانك تكلمت بما لا يعنيك فكلام الشخص فيما لا يعنيه يقسي القلب ويورث البدن ويعسر اسباب الرزق * ووعظ عمر بن الخطاب رجلا فقال له لا تتكلم فيما لا يعنيك واعتزل عدوك واحذر صديقك الا الامين ولا أمين الا من يخشى الله ولا تمش مع فاجر فيعلمك من فجوره ولا تطلعه على سرك ولا تشاور في أمورك الا الذين يخشون الله عز وجل وقال رجل للاحنف بن قيس بم سدت قومك وأراد تنقيصه وعيبه فقال الاحنف بتركي من أمرك ما لا يعنيني كما عنك من أمري ما لا يعنيك وروى أبو عبيدة عن الحسن انه قال من علامة اعراض الله عن العبد ان يجعل شغله فيما لا يعنيه وسئل لقمان الحكيم أي عملك اوثق في نفسك قال ترك ما لا يعنيني وروي ان رجلا وقف عليه وهو يتكلم بالحكمة فقال ألست عبد بني فلان وفي رواية ألست عبد فلان الراعي قال بلى لانه كان عبدا حبشيا وما قيل انه وبلا لا نوبيان لم يثبت وكان يرعى الغنم قال فما الذي بلغ بك الى ما أرى قال قدر الله وصدق الحديث وترك ما لا يعنيني وفي الموطا بلغني انه قيل له ما بلغ بك ما نرى يريدون الفضل قال صدق الحديث وأداء الامانة وترك ما لا يعنيني وقيل له كيف أصبحت قال أصبح من كانت نفسه بيد غيره ولبه بضهم

لعمرك ما شيء علمت مكانه * أحق بسجن من لسان مبذال
على فيك مما ليس ينفعك قوله * بقفل شديد حيثما كنت أقفل

وقال أنس اشتهد منا غلام يوم أحد فوجد على بطنه صخرة من الجوع فمسحت أمه التراب عن وجهه وقالت هنيأ لك الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا ينقصه ومن كلام بعض السلف من سأل عما لا يعنيه سمع ما لا يرضيه ومر حسان بن أبي سنان بغرفة فقال متى بنيت هذه ثم اقبل على نفسه فقال تسألين عما لا يعنيك لاعاقبنك بصوم سنة فصامها وعن يوسف بن عبيد ترك كلمة فيما لا يعني أفضل من الصوم يوما وقال بعضهم مر ابراهيم الخليل فرأى عبدا في الهواء متعبدا فقال له بم نلت هذه المنزلة من الله تعالى قال بامر يسير فطمت نفسي عن الدنيا ولم أتكلم فيما لا يعنيني ونظرت فيما أمرني فعملت به وفيما نهاني عنه فانتهيت فانا ان سألته اعطاني وان دعوته أجابني وان أقسمت عليه أبر قسمي سألته ان يسكنني الهواء فاسكنني وعن وهب بن منبه قال كان في بني اسرائيل رجلان بلغت بهما عبادتهما الى ان مشيا على الماء فبينما هما يمشيان على البحر اذ مر بهما رجل يمشي في الهواء فقالا له يا عبد الله باي شيء أدركت هذه المنزلة قال بيسير من الدنيا فطمت نفسي عن الشهوات وكففت لساني عما لا يعنيني ورغبت فيما دعاني اليه ولزمت العصمة فاذا أقسمت على الله أبر قسمي وان سألته أعطاني وقوله من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه مبتدأ (حديث حسن من طريق صحيح من أخرى (رواه الترمذي) في جامعه (وغيره) كابن ماجه (هكذا) أي موصولا ورواه غيرهما مرسلا والاتصال يقدم على الارسال وهو أصل كبير في تأديب النفس وتهذيبها عن الرذائل

والنقائص
ياقوم قلبي عند أسمائي * يعرفه السامع والرائي لا تدعني الا بيا عبدها * فانه أشرف أسمائي واقوال العلماء في العبد والعبودية كثيرة وكل واحد تكلم بما شان قاله على قدر مقامه فقال ابن عطاء العبد الذي لا ملك له وقال رويم يتحقق العبد بالعبودية اذا سلم القياد من نفسه الى ربه وتبرأ من حوله وقوته وعلم ان الكل له وما أحسن ما قيل في هذا المعنى وكنت قديما اطلب الو

فلما أتانى العلم وارتفع الجهل تيقنت ان العبد لا طالب له * فان قربوا فضل وان أبعدوا عدل وان أظهروا لم يظهروا غير وصفهم * وان ستروا فالستر من أجلهم يحلو (قوله انى حرمت الظلم) هو وضع الشئ فى غير محله (على نفسى) وذلك لاستحالته عليه تعالى اذ هو التصرف فى حق الغير بغير حق أو مجاوزة الحد وكلاهما محال عليه اذ الملك ولا حق لاحد معه بل هو الذى خلق المالكين وأملاكهم وتفضل عليهم بها وحدلهم الحدود وحرم وأحل فلا حاكم يتعقبه ولا حق يترتب عليه قال تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة (قوله وجعلته بينكم محرما) أى حكمت عليكم بتحريمه وهذا مجمع عليه فى كل ملة لانه فاق سائر الملل على مراعاة حفظ النفس والانساب والاعراض والعقول والاموال والظلم قد يقع فى هذه كلها أو بعضها وأعلاه الشرك قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم وهو المراد بالظلم فى أكثر الآيات قال تعالى والكافرون هم الظالمون ثم تليه المعاصى على اختلاف أنواعها وروى الشيخان الظلم ظلمات يوم القيامة وروى أيضا ان الله تعالى ليملى للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته ثم قرأ وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة ان أخذه أليم شديد وروى أيضا من كانت قبله مظلمة لاخيه فليستحلله منها فانه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل أن يؤخذ لاخيه من حسناته فان لم تكن له حسنات أخذ من سيآت أخيه وطرحت عليه وقال صلى الله عليه وسلم اتقوا دعوة المظلوم فانها مستجابة * (حكاية) * غار بعض الملوك على قرية فنهبها وأخذ أموال أهلها وماشيتهم ودوابهم وفتك فيهم فخرجت عجوز من بعض الدور فنظرت اليه وقالت يا ويلك من ديان يوم الدين اذا انشقت سماء عن سماء ونزل الرب لفصل القضاء فقال لها يا عجوز أما سمعت فى القرآن أن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة فقالت يا هذا أنسيتا

والنقائص وترك مالا جدوى فيه ولا نفع وهو من جوامع كلمه المختصة به صلى الله عليه وسلم

* (الحديث الثالث عشر) *

(عن أنس حمزة) بهملة فزاى كناه بذلك النبى صلى الله عليه وسلم لما روى عنه أنه قال كنانى النبى صلى الله عليه وسلم ببقلة كنت اجتنيها قال الازهرى البقلة التى كنى بها أنس كان فى طعمها لذع فسميت حمزة بفعلها يقال رمانة حامزة اى فيها حموضة ومنه حديث عمر أنه شرب شرابا فيه حمازة أى لذع وحدة أو حموضة (أنس بن مالك) بن النضر بالنون والضاد المعجمة ألسا كنة ابن ضمضم بفتح المعجمتين ابن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بفتح الغين المعجمة وسكون النون ابن عدى ابن النجار الانصارى الخزرجى وأمه أم سليم بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام واختلفوا فى اسمها فقيل سهلة وقيل رميلة وقيل رميثة وقيل أنيفة تزوجها مالك بن النضر فولدت له أنس بن مالك ثم قتل فخطبها أبو طلحة قبل أن يسلم فقالت أما انى فيك لراغبة وما مثلك يرد ولكنك رجل كافر وأنا امرأة مسلمة فان تسلم فذلك مهرى لا أسألك غيره فاسلم أبو طلحة وتزوجها قال ثابت فما سمعنا بمهر قط كان أكرم من مهر أم سليم وهو الاسلام (خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم) لان أمه ذهبت به الى النبى صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة وقالت له خذه غلاما يخدمك فقبله وكان له حينئذ تسع سنين ويقال عشر ويقال ثمان ويقال عشر قال أنس خدمته عشر سنين ويروى تسع سنين فما قال لى لشئ فعلته لم فعلته ولا لشئ تركته لم تركته وكنت واقفا أصب الماء على يديه فرفع رأسه وقال ألا أعلمك ثلاث خصال تنتفع بها فقلت بلى بابى وأمى أنت يا رسول الله فقال مهما لقيت من أمتى أحدا فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الاوابين وقالت أمه يوما يا رسول الله خويدمك ادع الله له فقال اللهم أكثر ماله وولده وأطل عمره واغفر ذنبه ويروى بدل الاخيرة وأدخله الجنة قال أنس فلقد دفنت من صلبى سوى ولدولدى مائة وخمسة وعشرين أى ذكورا ولم يرزق الا ابنتين على ما قيل وان بستانى لتثمر فى السنة مرتين وفيه ريحان يجىء منه ريح المسك ولقد بقيت حتى سئمت الحياة وأنا أرجو الرابعة وكان يصلى فيطيل القيام حتى تقطر قدماه دما وشكا له قيمة عطش أرضه فتوضأ وخرج الى البرية وصلى ركعتين ودعا فسارت سحابة حتى غشيت أرضه ومطرت حتى ملأتها فارسل غلامه وقال انظر أين بلغت هذه فنظر فاذا هى لم تعد أرضه وفى رواية لم تعدها الا يسيرا وذلك فى الصيف وكان اذا ختم القرآن جمع ولده وأهل بيته ودعا لهم وكان أبو غالب يقول لم أر أحدا كان أضن بكلام منه من أنس بن مالك وخرج مع النبى صلى الله عليه وسلم الى بدر وأسلم بعد من البدريين لانه لم يكن فى سن من يقاتل وغزا مع النبى صلى الله عليه وسلم ثمان غزوات واستعمل فى خدمة النبى صلى الله عليه وسلم الى أن توفى وهو عنه راض فاقام بالمدينة وشهد الفتوح ثم قطن بالبصرة ومات بها سنة تسع أو احدى أو اثنتين أو ثلاث وتسعين ورجحه المؤلف زمن الحجاج وهو ابن تسع وتسعين أو مائة وسنة أو ثلاث سنين أو وعشر سنين أو وسبع سنين أو وعشرين سنة وأوصى ثابتا البنانى أن يجعل تحت لسانه شعرة كانت عنده من

الآية الاخرى التي بعدها في الوزر ذلك بقوتهم وتجاوزهم بالقتل وانقتال الملائكة عليهم جميع ما هم فيه ويجوز فيه التخلص قال لا تقنط وهو الذي يقبل التوبة عن عباده * (مسئلة) * اعلم ان الايمان والعبادة لا يتم المقصود منهما الا بسلامة النفس والعقول والاموال التي هي القوام فحرم الله تعالى قتل المؤمن والمعاهد بغير حق فان القتل ابطال المقصود بقطع الوجود بل يليه الضرب والجرح وقطع الاطراف يفضي الى القتل وشرع قتل الكافر المحارب لان في قتله رفع ضرر عن المؤمنين

وشرع قتل الزاني المحصن زجرا عن هذه المفسدة وشرع قتل القاتل عمدا بالقصاص زجرا عن القتل فكان في القتل قصاصا تقليل القتل وهو معنى قوله عز وجل ولكم في القصاص حياة يا أولي الالباب لعلكم تتقون وحرم الاوساط التي يقع الاكتفاء به فيقطع النسل فيكون به رفع الوجود وهو قريب من قطع الموجود وحرم الزنا لئلا تختلط الانساب فينقطع التعارف والتناصر والوصلة والميراث وتكثر الغيرة بين الرجال فيقع القتل والهرج وأما الاموال فحرم الله تناولها بغير حق لمصلحة الناس لكن بعض الصور فيها أعظم من بعض فان ما ظهر منها أمكن تداركه وافتضاؤه بالسلطان أو باليد وربما أمكن التحرز منه بان يحفظ الانسان ماله فما ما كان باختفاء وتسلط فهو أعظم كالسرقة فانه يعسر التحرز منها ولا تعرف فلا يمكن استيفاؤها وأكل مال اليتيم اذا أكله من يلي عليه كذلك واتلاف المال بشهادة الزور وأكل المال باليمين الكاذبة عند الحاكم وأكل الربا والقمار قريب من هذا فانه أكل مال بجهة باطلة لا يمكن معها الاستيفاء ثم يليه الغصب والخيانة في الوديعة ونحو ذلك وأما الاعراض فحرم الخوض فيها لما في التقاطع والتدابر وربما أدى الى القتل وحرم ضرب كل معين فان فيه افساد العقل وهو شرط التكاليف فصار كقطع الوجود

شهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فغسل وغسله محمد بن سيرين ودفن في قصره على فرسخين وقيل فرسخ ونصف من البصرة وهو آخر من مات من الصحابة بها وأما آخر الصحابة موتا مطلقا فهو عامر بن واثلة الليثي روى لانس ألفاظ وما تا حديث وستة وثمانون اتفقا عليها منها على مائة وثمانية وستين وانفرد البخاري بثلاثة ومسلم باحد وسبعين * (انه صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم) * ولفظ رواية لا صلي لا يؤمن أحد وفي رواية ابن عساكر لا يؤمن عبد وفي رواية لمسلم والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لاخيه أو لجاره على الشك وفي رواية أبي نعيم لا يؤمن عبد حتى يحب لاخيه ولجاره شك وذكر الجار مع دخوله فيما قبله لشدة الاعتناء به لخبر ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت

سيورثه وعلى كل لا يؤمن ايمانا كاملا والا فاصل الايمان حاصل بدون ذلك لان من لم يتصف الصفة لا يكون كافرا وفي رواية للامام أحمد وابن حبان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يبلغ حقيقة الايمان أي كماله وقدر في حديث جبريل ان الايمان هو التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر ولم يذكر حب الانسان لاخيه ما يحب لنفسه قد دل على انه من كمال الايمان لا من أجزائه بحيث تختل ذاته بعدمه ونفي اسم الشيء على معنى نفي الكمال عنه شائع مستفيض في كلام العرب ومنه قولهم فلان ليس بانسان فان قلت اذا كان المراد نفي كمال الايمان يلزم أن يكون من حصلت له الخصلة مؤمنا كاملا وان لم يأت ببقية الاركان فالجواب ان هذا ورد مورد المبالغة في تحصيل هذه الخصلة المحمودة حتى كان تلك المحبة ركنه الاعظم بحيث لا صلاة لابطه وهو مستلزم لها الذي استفيد من قوله لاخيه المسلم ملاحظة بقية صفات المسلم وأضاف أحدا المنفي للعموم لضمير الذكور نظرا للغالب كذلك والضمير راجع لامة الاجابة (حتى يحب) بالنصب لان حتى هنا جارة لا عاطفة ولا ابتدائية وان بعدها مضمرة والرفع يجعلها عاطفة فيفسد المعنى اذ عدم الايمان ليس سببا للمحبة وقوله المحبة الميل الى ما يوافق المحب ثم الميل قد يكون بما يستلذ بحواسه كحسن الصورة وبما يستلذ العقل كالفضل والكمال واما الاحسان كجلب نفع أو دفع ضر (لاخيه) أي كل أخ في الاسلام من غير أن يخص بمحبته أحدا دون أحد بشهادة انما المؤمنون اخوة والاضافة فان اضافة المفرد تفيد العموم ووقع في رواية الاسماعيلي حتى يحب لاخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير والظاهر ان التعبير بالاخ المراد به المسلم جرى على الغالب لانه ينبغي لكل مسلم أن يحب للكافر الاسلام وما يتفرع عليه من الكمالات ابن العماد الاولى أن يحمل على عموم الاخوة حتى يشمل الكافر والمسلم فيحب لاخيه الكافر لنفسه من دخوله في الاسلام كما يحب لاخيه المسلم الدوام عليه ولذلك ندب الدعاء له بالهداية اهـ (ما يحب لنفسه) من المباحات والمباحات الدنيوية وسواء كان ذلك في الامور الحسية كالغنى أو المعنوية كالعلم فيكون معه كالنفس الواحدة كما حث صلى الله عليه وسلم على ذلك بقوله في الحديث أيضا المؤمنون كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر وفي رواية عباس رضي الله عنهما اني لا حرم على الآية من كتاب الله تعالى فاودان الناس علموا منها ما أعلم

وقت السكر وهذه مراتب الكبائر وكلها ظلم فلهذا قال فلا تظالموا بالتشديد والاشهر التخفيف أى لا يظلم بعضكم بعضا فانه لا بد من اقتصاصه تعالى للمظلوم من ظالمه (قوله ياعبادى كلكم ضال) أى غافل عن الشرائع قبل ارسال الرسل (الا من هديته) أى وفقته للايمان بما جاءت به الرسل (فاستهدونى) أى اطلبوا منى الهداية بمعنى الدلالة على طريق الحق والايصال اليها معتقدين أنها لا تكون الا من فضلى وبامرى (أهدكم) أى انصب لكم أدلة ذلك الواضحة والحكمة فى انه سبحانه وتعالى طلب منا سؤال الهداية اظهارا للافتقار والاذعان والاعلام بانه لو هداه قبل ان يسأل لربما قال انما أوتيته على علم عندى فيضل بذلك فاذا سأل ربه فقد اعترف على نفسه بالعبودية وللولا بالربوبية وهذا مقام شريف وشهود منيف لا يتفطن له الا الموفقون ولا يعرف قدر عظمته الا العارفون

(تنبيه) الهداية الدلالة بلطف ولذلك تستعمل فى الخير وأما قوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم فوارد على التهكم وهداية الله تعالى تتنوع أنواعا لا يحصيها عد كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ولكنها تحصر فى أجناس مترتبة الاول افاضة القوى التى بها يتمكن المرء من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة والثانى نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد واليه الاشارة بقوله تعالى وهديناه النجدين أى طريق الخير والشر الثالث الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب واياها عنى بقوله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بامرنا بقوله ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم الرابع ان يكشف لقلوبهم السرائر ويريهم الاشياء كما هى بالوحى والالهام والمنامات الصادقة وهذا القسم يختص بنبينا والانبياء والاولياء واياه عنى بقوله تعالى أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا (قوله ياعبادى كلكم جائع

عتبة الغلام اذا أراد ان يقطر قال لبعض اخوانه الظالمين على عمله اخرج لى تمرة فيكون لك مثل أجرى قال ابن بطال وغيره المحبة على ثلاثة أقسام محبة اجلال وتعظيم كمحبة الوالد ومحبة شفقة ورحمة كمحبة الولد ومحبة مشاكلة واستحسان كمحبة سائر الناس اه واللام تدل على ان المراد الخير والمنفعة اذهى للاختصاص بالمنافع وكذا محبته لنفسه تدل عليه اذ لا يحب لنفسه الا الخير وقد تقدم التصريح به فى رواية الاسماعيلى فاندفع قول بعضهم هذا عام مخصوص فان الانسان يحب نفسه وما حليته ولا يجوز ان يحبه لاخيه حال كونها فى عصمته فانه محرم عليه وليس له ان يحب لاخيه فعل محرم عليه وقوله لنفسه أى مثل ما يحب لنفسه لا عينه مع سلبه عنه ولا مع قيامه به اذ قيام الجوهر او العرض بمحلين محال وهو مساو لقول بعضهم من جهة لا يزاحمه فيها قال البيضاوى المراد المحبة من جهة العقل وان كان على خلاف هوى النفس كالمريض يعاف الدواء بطبعه فينفر منه ويميل اليه بمقتضى عقله فيهوى تناوله لما يعلم ان صلاحه فيه وقال عياض كبعضهم ظاهر الحديث طلب المساواة وحقيقته تستلزم التفضيل لان كل واحد يحب ان يكون افضل الناس فاذا أحب لاخيه مثله دخل هو فى جملة المفضولين وتعقبه الحافظ ابن حجر بان المراد الزجر عن هذه الارادة والحث على التواضع فلا يحب ان يكون أفضل من غيره لترى عليه مزية ويستفاد ذلك من قوله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للتقين فهو مستلزم للمساواة قال الكرمانى ومن الايمان أن يبغض لاخيه ما يبغض لنفسه من الشر ولم يذكره لان حب الشئ مستلزم لبغض نقيضه فترك النص عليه اه ومن ثم قيل للاحنف من تعلمت الحلم قال من نفسى قيل له وكيف ذلك قال كنت اذا كرهت شيأ من غيرى لا أفعل باحد مثله وقال السرى وقع بى بغداد حريق فاستقبلنى رجل وقال لى نجا حانوتك فقلت الحمد لله فزقلتها وأنا نادم حيث أردت لنفسى دفع الضرر دون المسلمين ولى ثلاثون حانوتا فاستغفر الله من ذلك (رواه البخارى ومسلم) وفى مسند الامام أحمد عن يزيد بن أسد القرشى قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أتحب الجنة قلت نعم قال فاحب لاخيك ما تحب لنفسك وأتى بهذا عقب السابق لان ما قبله وصف للاسلام وهذا وصف للايمان وذكر فيه اقبال المطلوب تركه وذكر فى هذا المطلوب فعله وأما الايثار وهو تقديم الغير على النفس فهو أمر عظيم مدح الله أهله فى كتابه العزيز بقوله ويؤثرون على أنفسهم وسبب نزولها ما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه انه قال جاء ثابت بن قيس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى مجهود فارسل الى بعض نسائه فقالت والذى بعثك بالحق ما عندنا الا الماء ثم أرسل الى أخرى فقالت مثل ذلك ثم قان كلهن مثل ذلك ما عندنا الا الماء فقال من يضيف هذا الليلة فقام رجل من الانصار يقال له أبو المتوكل وقيل أبو طلحة فقال أنا يا رسول الله فانطلق به الى رحله فقال لامرأته هل عندك شئ فقالت لا الا قوت صبيانى قال فعللیهم بشئ فاذا دخل ضيفنا فاطفئى السراج ونرى الاطفال وقدمى للضيف ما عندك ففعلت وأطهر له أنهما يأكلان معه فنزل قوله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة الى قوله فاولئك هم المفلحون فلما أصبح غدا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال قد

الامن أطعمته) وذلك لان الناس كلهم عبيد لاملاك لهم فى الحقيقة وخزائن الرزق بيده تعالى فمن لا يطعمه بفضله بقى جائعا مثله اذ ليس عليه اطعام أحد وأما قوله تعالى ومامن دابة فى الارض الا على الله رزقها فالتزام منه تفضلا لا الزاما واجبا عليه ولا يمنع نسبة الاطعام اليه تعالى ما يشاهد من ترتب الارزاق على اسبابها الظاهرة كالحرف والصنائع وانواع الاكتساب لانه تعالى المقدر لتلك الاسباب الظاهرة بقدرته وحكمته الباطنة فالجاهل محجوب بالظاهر عن الباطن والعارف الكامل لا يحجبه ظاهر عن باطن ولا باطن عن ظاهر بل يعطى كل مقام حقه وكل حال وقته (قوله فاستطعمونى أطعمكم) أى سلونى واطلبوا منى الطعام ولا يغرن ذا الكثرة ما فى يده فانه ليس بحوله وقوته بل هو المتفضل عليه به فينبغى له مع ذلك ان لا يفعل الا عن سؤال الله تعالى ادامة نعمته عليه لئلا تنفر عنه فلا تعود اليه كما قال صلى الله عليه وسلم ما نفرت النعمة عن قوم فعادت اليهم وقوله أطعمكم أى أيسر لكم اسباب تحصيله لان العالم جماده وحيوانه مطيع لله تعالى طاعة العبد لسيده فيسخر السحاب لبعض الاماكن ويحرك قلب فلان لاعطاء فلان ويخرج فلانا لفلان بوجه من الوجوه لينال منه نفعا قصر فانه تعالى فى هذا العالم عجيبة لمن تدبرها ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين وفيه اشارة الى تأدب الفقراء وكأنه قال لهم لا تطلبوا الطعمة من غيرى فان من تطلبونها منهم انا الذى أطعمهم فاستطعمونى أطعمكم فالعاقل من توكل على ربه فاذا استغنى العبد بربه فكل ما سأله اعطاه قال عروة بن الزبير رضى الله عنه انى لا أدعو الله تعالى فى صلاتى فى حوائجى كلها حتى ملح عجينى (حكى) عن الاصمعى انه قال بينما أنا أطوف بالكعبة واذا بأعرابى جاء حتى وقف على باب الكعبة وقال يا رب يا رب يا رب انى جائع كما ترى وناقتى جائعة كما ترى وابنتى عريانة كما ترى وزوجتى محتاجة كما ترى فما ترى فيما ترى

يحب الله من صنيعكما الليلة بضيفكما فان قلت اذا لم يكن ثم عندها الا قوت الصبيان وهو يدل على ان الصبيان كانوا جياعا فكيف ساغ تنويههم طاويين قلت الجواب ان الصبيان لم تشتد حاجتهم للاكل وانما خشيا ان الطعام لو جى به للضيف وهم مستيقظون لا يتركون الاكل منه ولو كانوا شباعا على عادة الصبيان فتشوشون على الضيف وروى الحسن ان رجلا أصبح صائما على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أمسى لم يجد ما يفطر عليه الا الماء فشربه ثم أصبح صائما فلما كان اليوم الثالث اجهده الجوع فقطن به رجل من الانصار فلما أمسى أتى به الى منزله وقال لاهله هل عندكم من طعام فقال أهله عندنا من الطعام ما يشبع الواحد وكانا صائمين ولهما صبية فقال لزوجته اذا دخل الضيف فدومى الصبية قبل العشاء وأطفئى السراج وتظهرى للضيف انا نأكل معه حتى يشبع فجاءت بشريد ووضعته ودنت من السراج كأنها تريد ان تصلحه فاطفأته فلما أصبح الضيف غدا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقرأ هذه الآية وقال ابن عمر اهدى لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال ان أخى فلانا وعياله احوج الى هذه منا فبعثه اليهم فلم يزل يبعث به واحدا الى آخر حتى تداولها سبع أبيات حتى رجعت الى الاول وتقدم ذكر قصة ابن عمر لما اشترى عنقودا من العنب وروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه أخذ أربعة آلاف دينار فجعلها فى صرة ثم قال للغلام اذهب بها الى أبى عبيدة بن الجراح ثم تلكأ ساعة فى البيت حتى تنظر ما يصنع بها فذهب بها الغلام اليه فقال يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذا فى بعض حاجتك فقال وصله الله ورحمه ثم قال تعال يا جارية اذهبى بهذه السبعة الى فلان وبهذه الخمسة الى فلان حتى أنفذها فرجع الغلام الى عمر فاخبره فوجده قد أعد مثلها لمعاذ بن جبل وقال اذهب بها الى معاذ بن جبل وتلكأ فى البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع بها فذهب بها اليه فقال يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذه فى بعض حاجتك فقال رحمه الله ووصله وقال يا جارية اذهبى الى بيت فلان بكذا وبيت فلان بكذا فلما طلعت امرأته ذوقالت ونحن والله مساكين ما عندنا ولم يبق فى الخرقة الا دينار فدفع بها اليها فرجع الغلام الى عمر فاخبره بذلك فسر بذلك عمر وقال انهم اخوة بعضهم من بعض ونحوه عن عائشة فى اعطاء معاوية اياها اكثر فى مناقبها وقال أبو يزيد البسطامى ما غلبنى أحد ما غلبنى شاب من أهل بلخ قدم علينا حاجا فقال لى يا أبا يزيد ما حد الزهد عندكم فقلت اذا وجدنا أكلنا واذا فقدنا صبرنا فقال هكذا الكلب ببلخ عندنا فقلت له ما حد الزهد عندكم فقال اذا فقدنا شكرنا واذا وجدنا آثرنا وحكى عن الحسن الانطاكى انه اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلا من فقراء الرى ومعهم أرغفة معدودة لا تشبع جميعهم فكسروا الرغفان وأطعوا السراج وجلسوا والطعام فلما رفع فاذا هو بحاله لم يأكل أحد منهم شيأ ايثار الصاحبه على نفسه والايثار بالنفس فوق الايثار بالمال ثم قال حذيفة العدوى انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لى ومعى شئ من الماء وأنا أقول ان كان به رمق سقيته فاذا فقلت أسقيك فاشار برأسه ان نعم فاذا برجل يقول آه فاشار الى ابن عمى ان انطلق اليه فاطلقت اليه فاذا هو هشام بن العاصى فقلت أسقيك فاشار ان نعم فسمع آخر يقول آه فاشار هشام ان انطلق بخ

يامن يرى ولا يرى قال فمددت يدى الى دنانير كانت معى فقلت ياسيدى خذ هذا فاستعن بها على فقرك قال فرماها وقال ان الذى سألناه أبسط منك يدا قال فما استتم كلامه الا ومنادينادى يافلان ادرك عملك فقد مات وخلف أربعمائة ناقة وأربعمائة ثور وأربعمائة شاة قال ذهب فامض اليه فخذها فانك وارثه (وحكى) عن بعضهم انه أصابه جوع شديد فتضرع الى الله سبحانه وتعالى فسمع هاتفا يقول له تريد طعاما أو فضة فقال بل فضة فاذا بصرة بين يديه فيها ١٤٩ أربعة آلاف درهم فضة * (فائدة) *

ينبغى للداعى ان يترقب الاوقات التى يستجاب فيها الدعاء لقوله صلى الله عليه وسلم ان لله نفحات فتعرضوا لنفحات الله ومن جملة ذلك الدعاء عند الاذان والاقامة والثلث الاخير من الليل وليلة الجمعة ووقت السحر وليلتى العيدين وليلة النصف من شعبان وأول ليلة من رجب وعند نظر البيت وعند نزول المطر (قوله ياعبادى كلكم عار الا من كسوته فاستكسونى أكسكم) واسألوا الله من فضله فانه يحب المسئلة الا يعطى وفى هذا جميعه تنبيه على افتقار سائر الخلق اليه وعجزهم عن طلب منافعهم ودفع مضارهم الا أن يسرلهم ما ينفعهم ويدفع عنهم ما يضرهم فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وعما نقل عن حكم عيسى عليه الصلاة والسلام ابن آدم أنت أسوأ بربك ظنا

فاذا هو قدمات فرجعت الى هشام فاذا هو قدمات ورجعت الى ابن عمى فاذا هو قدمات

* (الحديث الرابع عشر) *

(عن) عبد الله (بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل) أى لا يجوز فلا ينافى وجوب القتل باحدى الثلاثة الآتية لان الجائز يتصادق بالواجب وفى رواية لمسلم زيادة على هذا فى أوله ولفظه قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والذى لا اله غيره لا يحل (دم) قال سيبويه أصله دمى على فعل بالتسكين لانه يجمع على دماء ودمى أى بكسر الدال فى الاول وضمها فى الثانى مثل ظبى وظباء ودلو ودلاء ودلى ولا يجمع على ذلك الا فعل بالتسكين وقيل أصله فعل بالتحريك وعليه فهل الذاهب منه الياء ويدل عليه قولهم فى تثنيته دميان وان جاء جمعه على الغالب النظائر وهو ما قاله المبرد أو الواو لان بعض العرب يقولون فى تثنيته دموان وهو ما قاله غيره وعلى كل فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه (امرئ) يقال فيه مرء أيضا قال الله تعالى واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ومؤنثه امرأة ومرأة وحكى بعضهم انه يجوز مرة بفتح الراء من غيرهمز وخص الذكر هنا بالذكر لشرفه واصالته وغلبة دوران الاحكام عليه والا فالانثى والخنثى كذلك جريا على طريقة الاكتفاء باحد الضدين كما فى سرابيل تقيكم الحر أى والبرد أو لانه كما قال الحرانى يشترك فيه الذكر والانثى وقوله دم امرئ كناية عن ازهاق روحه ولو لم يرق دمه كما لو خنقه أو سمه أو بالنظر للغالب لان الغالب فى القتل اراقة الدم (مسلم) خرج به الكافر وسقط من كلام المصنف هنا ما رواه الشيخان فى روايتهما بعده يشهد أن لا اله الا الله وأنى رسول الله وهو صفة كاشفة واعلم أن الاصل فى الدماء العصمة عقلا ونقلا أما عقلا فلان فى القتل افساد الصورة الانسانية المخلوقة فى أحسن تقويم والعقل يأباه وأما نقلا فلقوله تعالى ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق وقوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم وقول المصطفى عليه السلام ليحذر أحدكم أن يحول بينه وبين الجنة مل كف من دم يهريقه بغير حق وقوله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها وقوله من أعان على مسلم بشطر كلمة لقى الله مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله وقولهم من هدم بنيان ربه فهو ملعون أى من قتل نفسا بغير حق لان الجسم خلقه الله وركبه ثم استثنى من عدم الجواز قوله (الا باحدى) خصال (ثلاث) فيجب القتل بها لما فيه من المصلحة العامة وهى حفظ الانساب والنفوس والاديان الا أن يعفو مستحق القصاص أو يرجع المرتد الى الاسلام وأنث احدى ثلاث لان المراد الخصال كما تقرر وفى رواية للبخارى الا بثلاثة نفر (الثيب) اسم جنس يشمل الذكر والانثى والمراد به المحصن وهو المسلم البالغ العاقل الواطئ أو الموطوأة وطأ مباحا فى عقد نكاح لازم بانتشار وعدم مناكرة وخرج بالثيب البكر فحده جلد مائة جلدة ان كان حرا ونصفها ان كان رقيقا ويغرب الذكر الحر عاما والاصح أن الحد وهو مجردها كفارة وقيل لا بد من التوبة وجمع بحمل الاول على ذات الذنب والتوبة على جرائمه وقوله الثيب بالجر بدل مما قبله ولا بد فيه وفيما بعده من مضاف محذوف تقديره خصلة الثيب الزانى وقصاص النفس بالنفس وترك التارك لدينه وبدون هذا التقدير يتعذر الابدال

حيث كنت أكل عقلا لانك تركت الحرض جنينا صحيحا ولا ورضيعا مكفولا ثم أدرعته عاقلا قد أصبت رشدك وبلغت أشدك (قوله ياعبادى انكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا) أى ما عدا الشرك وما لا يشاء مغفرته قال تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء (قوله فاستغفرونى أغفر لكم) قال صلى الله عليه وسلم لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم * (فائدة) * فى هذا من التوبيخ ما يستحى منه كل مؤمن لانه اذا لمح انه تعالى خلق

القبيل ليطاع فيه سترا ويسلم منه من الرياء استحى انه ينفق أوقاته الا في ذلك وان يصرف ذرة منها لاضيعة كما انه يستحي بالجملة والطبع ان يصرف شيأ من النهار حيث يراه الناس لاضيعة * ولنذكر ملخصا من جميع الاخبار الواردة عن النبي المختار في فضل الاستغفار عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني لاستغفر الله في اليوم سبعين مرة حديث صحيح من أخرجه الترمذي وابن الني ١٥٠ واستغفاره صلى الله عليه وسلم لا عن ذنب بل طلبا لزيادة الترقي لان العبد كاملا

نقصه متصور رفعه الله اذ من تواضع لله رفعه وعن أبي هريرة أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا اخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء فان هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه وان عاد زيد فيها حتى تعلو على قلبه وهو الران الذي ذكر الله كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون حديث حسن صحيح أخرجه الحاكم وعنه أيضا رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان عبدا أصاب ذنبا فقال يارب اذنبت ذنبا فاغفره فقال له ربه سبحانه وتعالى علم عبدي ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي ثم مكث ماشاء الله ثم أصاب ذنبا فقال يارب أذنبت آخر فاغفر لي فقال علم عبدي ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي فليعمل ماشاء حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم والامام أحمد وابن حبان ومعنى فليعمل ماشاء أي فانه مادام يتوب ويستغفر فاني اغفر له فعلم ان نقض التوبة بالعود لا يمنع قبولها ثانيا وهكذا ولو بلا نهاية * وعن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم اجعلني من الذين اذا أحسنوا استبشروا واذا أساؤا استغفروا حديث حسن والاساءة لا تتصور منه صلى الله عليه وسلم لكن هذا على سبيل الفرض وتقدير غير الواقع بل هو كثير وقصده صلى الله عليه وسلم ارشادنا للدعاء بذلك

لان الثيب ما بعده يسوء النفس الخصال ويجوز رفعه على انه خبر لمبتدا محذوف أو مبتدأ والخبر محذوف أي وهي أو منها الثيب الخ والثاني أولى ويجوز نصبه على انه مفعول لفعل محذوف (الزاني) بإثبات الياء وحذفها من باب الكبير المتعال وانيتها كما قال المصنف أشهر ومن عبد الله بن عمر انه قال أول ما يجازى الله عز وجل من الانسان فرجه فقال هذا أماني عندك فلا نصعها الا في حقها والمراد بحل دم المحصن الزاني انه يجب رجمه بالحجارة حتى يموت ولا يجوز قتله بغير ذلك اجماعا (والنفس) المكافئة (بالنفس) أي بقتلها عمدا عدوانا لقوله تعالى وكتبنا عليهم فيها أي التوراة ان النفس بالنفس ولما في الصحيح انه عليه الصلاة والسلام رضخ رأس اليهودي الذي رضخ رأس المرأة وخرج بالمكافئة ما اذا كان القاتل زائدا بالاسلام أو الحرية فان كان زائدا بالاسلام لا يقتل لخبر البخاري لا يقتل مسلم بكافر وكذا لو كان زائدا بالحرية لمفهوم قوله تعالى الحر بالحر والعبد بالعبد ولان الرقيق مال متقوم فالتحق بسائر الاموال وخبر من قتل عبده قتلناه منقطع ويقتل الادنى بالاعلى كمكاتبي قتل عبدا مسلما لان زيادة الاسلام أعلى من الحرية بخلاف العكس فلا يقتل رقيق مسلم بحر كافر وخرج بالعمد الخطأ وبالعدوان قتل البغاة ويقتص من الفرع للاصل لا عكسه لانه سبب في ايجاد فرعه فلا يكون فرعه سببا لاعدامه الا أن يضجعه ويذبحه أو يقطر بطنه فيقتص منه حينئذ (والنفس) تذكر وتؤنث والغالب عليها التأنيث (والتارك لدينه) أي المرتد لان في اقراره على الردة خللا لنظام عقد الاسلام ولا فرق بين الرجل والمرأة عند الجمهور وقال أبو حنيفة لا تقتل المرأة اذا ارتدت كما لا تقتل نساء أهل الحرب في الحرب واستثناء القاتل والزاني من المسلم ظاهر لان الزنا والقتل لا يخرجهما عن الاسلام وأما استثناء المرتد فهو باعتبار ما كان قبل ردته سيما وعلاقة الاسلام مرتبطة به بدليل انه لا يقتل حتى يستتاب ثلاثا ويقتل الزاني والقاتل ولو تابا بخلاف المرتد لان التوبة في الاخير تزيل عنه وصف الكفر بخلافها في الاولين فانها لا تزيل الوصف بالزنا والقتل (المفارق للجماعة) تفسير للتارك لدينه فهو صفة مؤكدة لان المراد بالجماعة جماعة المسلمين وفراقهم هو الردة عن الدين فالمراد المفارقة بالاعتقاد أو الفعل الكفر كالسجود للصنم لا المفارقة بالبدن الا أن ينضم له المفارقة باللسان والظاهر أن اللام في قوله لدينه وفي قوله للجماعة زائدة كما زيدت في قوله تعالى قل عسى ان يكون ردف لكم وقوله تعالى واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ونحو ذلك فان ترك وفارق يتعديان بنفسهما واسم الفاعل من الفعل المتعدي متعد كفعله كما ان القاصر كذلك زيدت في الفعل والا فالاصل التارك دينه المفارق الجماعة كما تقول الضارب زيدا ولا تقول الضارب لزيد وكان زيادة التوكيد المعنى قال الطوفي عموم قوله التارك لدينه يقتضي انه اذا تهود نصراني أو تنصر يهودي اليقتل لانه تارك لدينه والقائل أن يقول ان التارك لدينه مستثنى من المسلم كالزاني والقاتل وحينئذ لا يدل على ما ذكر (رواه البخاري) في الديات (ومسلم) في الحدود

(الحديث الخامس عشر)

(عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله) أي ايمانا كاملا

لتعلم ان هذا الوصف حسن من هذا الحديث الحسن * وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أكثر من الاستغفار جعل الله عز وجل له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب والمعنى انه يرزق من جهة لا يظن مجيء الرزق منها ويشهد لذلك قوله تعالى فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا والاحاديث في فضل الاستغفار كثيرة وفي هذا كفاية وإياك أيها الواقف على هذه الاحاديث ان تتخذها ذريعة لازلات وسببا للاثار الخطيئات فان ذلك مدحضة موقعة في البليات واخش من الرين فهو من أعظم النكبات (قوله يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني) وذلك لانه قد قام الاجماع والبرهان على انه تعالى منزه مقدس غني بذاته لا يمكن أن يلحقه ضرر ولا نفع تعالى الله عن ذلك (قوله يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيأ) فيه اشارة الى أن ملكه تعالى في غاية الكمال لا يزيد بطاعة جميع الخلق ولا ينقص بمعصيتهم لانه تعالى الغني المطلق في ذاته وأفعاله وصفاته فملكه كامل لا نقص فيه بوجه بل لا يتصور أكمل منه كما أشار اليه حجة الاسلام الغزالي بقوله ليس في الامكان أبدع مما كان أي أتم فما جرى في الكون فهو على أتم نظام (قوله يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد) أي أرض واحدة وقام واحد (فسألوني فاعطيت كل واحد مسئلته ما نقص ذلك مما عندي الا كما ينقص المخيط) بكسر الميم وسكون الخاء وفتح الياء الابرة (اذا دخل البحر) أي وهو في رأي العين لا ينقص من البحر شيأ فكذلك الاعطاء من الخزائن لا ينقصها شيأ البتة اذ لا نهاية لها والنقص عما لا يتناهى محال بخلافه مما يتناهى كالبحر وان جل وعظم فكان أكبر

كاملا منجيا من عذابه لان المتوقف على هذه الافعال كمال الايمان لا حقيقته أو هو على المبالغة في الاستجلاب الى هذه الافعال كما يقول القائل لولده ان كنت ابني فأطعني ونحوه تحريضا وتهييجا له على الطاعة لا على انه بانتفاء طاعته ينتفي انه ابنه وعدل الى المضارع هنا وفيما بعده قصد الاستمرار الايمان وتجدده بتجدد أمثاله وقتا فوقتا (واليوم الآخر) وهو يوم القيامة سمي به لانه لا ليل بعده ولتأخره عن الدنيا وخصه بالذكر هنا ودر ونحوه الملائكة مما ذكر معه في الحديث السابق لانه محل الجزاء على الاعمال حسنها وقبيحها (فليقل) اللام لام الامر ويجوز سكونها وكسرها حيث دخلت عليها الفاء أو الواو وسكونها أكثر ومنه قوله تعالى فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي (خيرا) أي كلاما يثاب عليه (أو ليصمت) ضبطه النووي بفتح الياء وضم الميم وقال الطوفي قد سمعناه بكسرها وهو القياس لان قياس فعل بفتح العين ماضيا يفعل بكسرها مضارعا نحو ضرب يضرب ويفعل بضم العين فيه دخيل كما في الخصائص لابن جني اه والصمت مجرد السكوت عن الكلام أي سكت عما لا خير فيه وهو شامل للصمت عن الشر وعن المكروه وعن المباح لان المباح ربما جر الى مكروه أو محرم وعلى تقدير أنه لا يجر اليهما ففيه ضياع الوقت فيما لا يعني وقدم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وآثر يصمت على سكت لانه أخص اذ هو السكوت مع القدرة وهذا هو المراد وربه أما السكوت مع العجز لفساد آلة النطق فهو الخرس أو لتوقفها فهو العي والصمت قفل الفم كما قال عمر رضي الله عنه ولذا قيل

وكم فاتح أبواب شر لنفسه * اذا لم يكن قفل على فيه مقفل

وقيل الصمت مقام اللسان والتكلم يقظته والمرء مخبوء تحت طي لسانه لا تحت طي لسانه وفي الحديث من صمت نجا واعلم ان الانسان اما أن يتكلم أو يسكت فان تكلم فاما بخير فهو ربح أو شر فهو خسران وان سكت فاما عن شر فربح واما عن خير فخسران فله في كلامه وسكوته ربحان ينبغي تحصيلهما وخسرانان ينبغي التخلص منهما وذكر بعضهم ان الكلام أربعة أقسام ضرر محض ونفع محض وضرر ومنفعة ولا ضرر ولا منفعة فالضرر المحض لا بد من السكوت عنه وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة ولا في المنفعة بالضرر وأما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان وهو عين الخسران ولا يبقى الا القسم الرابع فيسقط ثلاثة أرباع الكلام وفيه خطر اذا كان يجر ما فيه اثم من الرياء والتصنع ونحوهما وقال في الحديث الا أنبئكم بأمرين خفيفين لم يلق الله بمثلهما الصمت وحسن الخلق وقال لقمان لابنه لو كان الكلام من فضة كان السكوت من ذهب وقيل من قول سليمان ومعناه كما قال ابن المبارك لو كان الكلام في طاعة الله من فضة كان السكوت عن معصية الله من ذهب وما أحسن قول بعضهم

اذا ما اضطررت الى كلمة * فدعها وباب السكوت أقصد
فلو كان نطقك من فضة * لكان سكوتك من عسجد

ولابراهيم العنكي فالوا سكوتك حرمان فقلت لهم * ما قد رأى الله يأتيني بلا نصب
ولو يكون كلامي حين أنشره * من اللجين لكان الصمت من ذهب

المرئيات في الارض
جدا لعطاء الكثير من المتناهي ولا ينقص كالنار والعلم يقتبس منهما ما شاء الله ولا ينقص منهما
ان قوله هذا لا كم ينقص الخيط اذا دخل البحر وقول الخضر لموسى عليه السلام ما نقص علمي وعلمك وعلم الخلائق من علم
كم ينقص هذا العصفور من هذا البحر ليس المراد بهما حقيقتهما وانما كل منهما مثل تقريبي للافهام ليعلم منه انه لا نقص في
الخزائن ولا في علم الله البتة لما قررناه ١٥٢ ولذلك قال صلى الله عليه وسلم يمين الله أي اعطاؤه وافاضته على عباده من
الخزائن كالليل والنهار
أي وانه لا ينقص منهما
شيء أرأيتم ما أنفق منذ
خلق السموات والارض
لم ينقص مما في يمينه شيأ
مما في خزائن قدرته لان
عطاءه بين الكاف والنون
انما أمرنا لشيء اذا أردناه
ان نقول له كن فيكون
وحكمة ضرب المثل هنا
بالابرة أنها أصغر ما يعاين
مع كونها صقيلة لا يتعلق
بها الا ما لا يمكن ادراكه
وفي الحديث تنبيه على
ادامة السؤال فلا يختصر
سائل ولا يقتصر طالب
(قوله يا عبادي انما
هي أعمالكم أحصيها)
أي اضبطها لكم بعلمي
وملائكتي الحفظة
واحيج لهم معه لا لنقصه
عن الاحصاء بل ليكونوا
شهداء بين الخلق والخالق
وقد تضم اليوم شهادة
الاعضاء زيادة في العدل
كفى بنفسك اليوم عليك
حسيبا والحصر هنا
بالنسبة لجزاء الاعمال
(قوله فمن وجد خيرا)
أي ثوابا ونعيما (فليحمد
الله على توفيقه) لما ترتب عليه ذلك الجزاء والثواب أخرج الترمذي ما من ميت يموت الا ندم فان كان
محسنا ندم ان لا يكون ازداد وان كان مسيئا ندم أن لا يكون استعتب ولا يجب على الله شيء لاحد من خلقه (قوله ومن وجد غير
أي شرا ولم يذكره بلفظه تعليما لنا كيفية الادب في النطق بالكناية عما يؤذي أو يستقبح أو يستحيى من ذكره واشارة الى
اجتناب لفظه فكيف الوقوع فيه والى أنه تعالى حي كريم يحب الستر ويغفر الذنب ولا يعاجل بالعقوبة ولا يهتك الستر

وهو صريح في ان الكف عن المعصية أفضل من عمل الطاعة وفي ان الصمت أفضل من الكلام لكن
ذهب جماعة من السلف الى تفضيل الكلام لان نفعه متعد وعليه فقول الخير خير من
والصمت خير من قول الشر وتكلم قبيصة بن ذؤيب عند عمر بن الخطاب فقال يا قبيصة
اللسان فسيح الصدر فاحذر عثرات اللسان * وكان يقال أدنى نفع الصمت السلامة وأدنى ضرر النطق
الندامة وقال الاصمعي سمعت اعرابيا يقول دع من الكلام ما تعتذر منه وتكلم بما شئت وقال
الصمت امان من تحريف اللفظ وعصمة من زيغ النطق وسلامة من فضول القول
* وقال بعض الحكماء دبر كلامك كما تدبر سهمك وارفق لا تكسر واعلم ان اللسان منهم مخطئ و
واغتنم السكوت فان أدنى نفعه السلامة وان أشقى الناس من ابتلي بلسان مطلق وقلب مغلق
لا يحسن ان ينطق ولا يقدر ان يسكت وقال آخر من أطلق لسانه بكل ما يعلم كان أكثر ما
لا يحب * وسئل ابن المقفع أي شيء أنفع للانسان قال عقل يوليه قيل فان فاته ذلك قال أدب يقومه قيل
فان فاته ذلك قال مال يسيره قيل فان فاته ذلك قال صمت يلزمه قيل فان فاته ذلك قال قبر يجنه * وكان
أبو بكر الصديق يجعل في فيه حجر البقل كلامه وكذلك عمر بن الخطاب وروي ان رجلا سئل في مرض
موته فقيل له أوصى فقال ان شئت جمعت لك علم العلماء وحكم الحكماء وطب الاطباء في ثلاث كلمات
أما علم العلماء فاذا سئلت عما لا تعلم فقل لا أعلم وأما حكم الحكماء فاذا أكلت جلست جلوس
فان أصابوا كنت من جنتهم وان أخطؤا سلمت من خطئهم وأما طب الاطباء فاذا كان عاما فالا
الا ونفسك تشتهيه فانه لا يلم بجسدك غير مرض الموت وسئل ابراهيم بن الحسن عن سلامة
بالعزلة والصمت وترك استماع خوض الناس وروي عن أبي بكر بن عياش أنه قال أربعة من اللؤ
تكلم كل واحد منهم بكلمة كانها رمية من قوس واحدة قال كسرى لا أندم على ما لم أقل وقد
ما قلت وقال ملك الصين ما لم أتكلم بكلمة فانا أملكها فاذا تكلمت بها ملكتني وقال قيصر ملك الروم
على رد ما لم أقل أقدر مني على رد ما قلت وقال ملك الهند العجب ممن يتكلم بكلمة ان رفعت ضرته و
ترتفع لا تنفعه وعن لقمان الحكيم انه قال لابنه يا بني من بصحت صاحب السوء لا يسلم ومن
مداخل السوء بهم ومن لا يملك لسانه يندم * وقال أكثم بن صيفي رحمه الله
من لا يدع لسانه فيرسله * فبين فكيه يكون مقتله
وقال بعض الحكماء لسان المرء مشفرة تبرها على أوداجه * وقال الحسن البصري من كثر كلامه كثر
ومن كثر ماله كثر اثمه ومن ساء خلقه عذب نفسه * ومن ثابت البناني رحمه الله انه قال بلغني ان
في عشرة تسعة منها في السكوت وواحدة في الفرار من الناس * قال مالك بن دينار وكان الابرار يتواصو
بثلاث حفظ اللسان وكثرة الاستغفار والعزلة ومن وصايا بعض الكبار اياك وكثرة الكلام فانه
من عيوبك ما بطن ويحرك من عدوك ما سكن وقال يحيى القطان اقمت اذا بن عوف اثنتا عشرة سنة فلم أعلم ان الملائكة
* وقال خارجة بن مصعب صحبت ابن عوف ما يزيد على عشرين سنة فلم أعلم ان الملائكة

يلومن الا نفسه) أى فانها أثرت شهواتها وميلذاتها على رضاخالقها وراؤتها فكفرت بنعمه ولم تذعن لاحكامه وحكمته فاستحقت أن نعاملها بظلمه وعدله وان يحرمها مزايا جوده وفضله * (خاتمة المجلس) * وردهذا الحديث بزيادة على ماهنا وهو ما أخرجه الترمذى عن أبى ذر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل يا عبادى كلكم ضال الا من هديته فاسألونى الهدى أهدكم وكلكم فقير الا من أغنيته فاسألونى أرزقكم وكلكم مذنب الا من عافيته فمن علم منكم انى ذو قدرة

على المغفرة فاستغفرنى غفرت له ولا أبالى ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على أتقى قلب عبد من عبادى مازاد ذلك فى ملكى جناح بعوضة ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على أشقى قلب عبد من عبادى مانقص ذلك من ملكى جناح بعوضة ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا فى صعيد واحد فسأل كل واحد منكم مابلغت أمنيته فاعطيت كل سائل منكم مانقص ذلك من ملكى شيأ الا كما لو أن أحدكم مر بالبحر فغمس فيه ابرة ثم رفعها اليه وذلك لانى جواد واجد ماجد أفعل ما أريد عطائى كلام وعذابى كلام انما أمرى لشئ اذا أردته ان أقول له كن فيكون والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده

* (المجلس الخامس والعشرون فى الحديث الخامس والعشرين) * الحمد لله ولا يحمد سوى الله ولا اله الا الله وسبحان الله ولا ينبغى التسبيح الا لله ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وأستغفر الله والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه السادة الثقاة آمين * (عن أبى ذر رضى الله عنه قال ان ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ذهب أهل الدثور بالاجور يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم قال أو

عليه خطيئة * وقال مخلد بن الحسين ما تكلمت بكلمة أريد أن اعتذر منها منذ خمسين سنة وكان وهب بن منبه يعد كلامه كل يوم ويحفظه * وقال الفضيل بن عياض كان بعض أصحابنا يعد كلامه من الجمعة الى الجمعة * وقيل فى الحكمة انما جعل لك لسان واحد وأذنان ليكون ما تسمع أكثر مما تقول وعن الاصمعى انه قال بلغنى ان رجلا قال لآخر والله لئن قلت لى واحدة لتسمعن عشرا قال لكنك لو قلت عشرا لم تسمع واحدة وأنشد أبو بكر بن خلف

اذا نطق السفيه فلا تجبه * فخير من اجابته السكوت
سكت عن السفيه فظن انى * عييت عن الجواب وما عييت
ولكنى اكتسيت ثوب حلم * وجنبت السفاهة ما بقيت

وشتم رجل الاحنف بن قيس فسكت عنه فاعاد عليه وأخ والاحنف ساكت فقال الرجل والمغاه ما منعه من جوابى الا هوانى عليه * ونقل البيهقى عن ذى النون المصرى انه قال العز الذى لا ذل فيه سكوتك عن السفيه عطب السفيه بيده وفيه وفيه أنشد الاصمعى

وما شئ أحب الى اللئيم * اذا شتم الكريم من الجواب
متاركة اللئيم بلا جواب * أشد على اللئيم من السباب

ومن ثم قال الاعمش جواب الاحمق السكوت والتغافل يطفئ شر الشرير ورضا المجنى غايته لا تدرك والاستعطاف عون للظفر وقيل أوحى الله الى عيسى عليه السلام اذا كنت وحدك فاحفظ قلبك واذا كنت بين الناس فاحفظ لسانك واذا كنت على المائدة فاحفظ بطنك واذا كنت على الطريق فاحفظ عينك فهذه تورث السلامة والصحة وقال الغزالى لا تبسطن لسانك فيفسد عليك شانك * وعن على ابن أبى طالب فى وصيته لابنه الحسين رضى الله عنهما يا بنى امسك عليك لسانك فان ألتلاف المرء فى منطقه * وعن بعضهم عفة اللسان صمته فان اللسان سبع ضار فان لم توثقه عدا عليك وأنشد بعضهم

اغتنم ركعتين فى ظلمة الليل اذا كنت فارغا تستريحا
واذا هممت فى الخوض بالبا * طل فاجعل مكانه تسبيحا
واغتنام السكوت أفضل من خو * ض وان كنت بالحديث فصيحا

واستثنى العلماء من الصمت أربعة أنواع العلم وجميع القربات والكلام مع الضيف والعروس والمسافر وانما تدعو الحاجة اليه من قوله قم وكل ونحو ذلك فانه خارج عن هذا * وقال سهل بن عبد الله التسترى ان بالصمت والعزلة وقلة الطعام صار الابدال ابدالا ومعنى الابدال انهم أبدلوا من الاقوال والاخلاق الذميمة أفعالا حميدة كالجهل بالعلم والشح بالجود والشره بالعفة والطيش بالتؤدة * وعن ذى النون المصرى أحسن الناس لنفسه أملكهم للسانه * وعنه أيضا أنه قال بينا أنا أسير فى نواحى الشام اذ وقعت الى روضة خضراء وفى وسطها شاب قائم يصلى تحت شجرة تفاح فتقدمت اليه وسلمت عليه فلم يرد على السلام فسلمت عليه ثانيا فاوجز فى صلاته ثم كبب فى الارض باصبعه

والعشرون فى الحديث الخامس والعشرين) * الحمد لله ولا يحمد سوى الله ولا اله الا الله وسبحان الله ولا ينبغى التسبيح الا لله ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وأستغفر الله والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه السادة الثقاة آمين * (عن أبى ذر رضى الله عنه قال ان ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ذهب أهل الدثور بالاجور يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم قال أو

ليس بالمعروف صدقة وسمى عن منكر صدقة وفي بضع أحدكم صدقة قالوا يا رسول الله يأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر قال أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر كذا اذا وضعها في الحلال كان له أجر رواه مسلم) * اعلموا اخواني وفقني الله وإياكم لاطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم مشتمل على قواعد الدين (قوله ذهب أهل الدثور) أي المال الكثير (بالأجور) الكثيرة وذلك لانهم (يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم) أي بأموالهم الفاضلة عن كفاية وقيد وابذلك بيانا لفضل الصدقة فانها بغير الفاضل عن الكفاية مكروهة أو محرمة وهذا ليس حسدا بل غبطة طلبا للمنافسة فيما يتنافس به المتنافسون لشدة حرصهم على الاعمال الصالحة ولما فهم منهم النبي صلى الله عليه وسلم ذلك (قال) لهم جوابا وتطمينا لخاطرهم (أوليس) أي أتقولون ذلك أي لا تقولوه فانه (قد جعل الله) تعالى (لكم ما تصدقون) أي تتصدقون به (ان لكم بكل تسبيحة) أي قول سبحان الله (صدقة وكل تكبيرة) أي قول الله أكبر (صدقة وكل تهليلة) أي قول لا اله الا الله (صدقة وأمر بالمعروف) عرفه اشارة الى تقرره وثبوته وانه مألوف معهود (صدقة ونهى عن منكر) نكره اشارة الى أنه في حيز المعدوم أو المجهول الذي لا الفة للنفس فيه (صدقة) بشروط منها أن يكون مجمعا على وجوبه أو تحريمه ويعلم من الفاعل اعتقاد ذلك حال ارتكابه وان يقدر على ازالته اما بيده أو بلسانه بان لم يخش ترتب مفسدة عليه قال علماؤنا ولا يشترط أن يكون عالما بما يأمر به مجتنبا لما ينهى بل عليه أن يأمر وينهى نفسه فان اختل أحدهما لم يسقط الآخر ولا يشترط في الآمر بالمعروف العدالة بل قال الامام وعلى متعاطي

منع اللسان من الكلام لانه * هدف البلاء وجالب الآفات
فاذا نطقت فكن لربك ذاكرا * لا تنسه واحذه في الحالات

قال ذو النون فبكيت طويلا وكتبت ناصبحي في الارض

ومامن كاتب الا سيفنى * ويفنى الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بكفك غير شئ * يسرك في القيامة أن تراه

قال فصاح الشاب صيحة فارق الدنيا فبقيت لا آخذ في غسله وكفنه واذا بقائل يقول خل عنه فان الله عز وجل وعد أن لا يتولى أمره الا الملائكة قال ذو النون فلت الى شجرة فركعت عندها ركعتين ثم أتيت الموضع الذي مات فيه فلم أجد له أثرا ولا عرفت له خبرا * وقال الفضيل بن عياض من عد كلامه من عمله قل كلامه فيما لا يعنيه * وعن ذي النون أصون الناس لنفسه أملكهم للسانه وفي صحف ابراهيم عليه الصلاة والسلام من عد كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه وأنشد بعضهم

وسمعك صن من سماع القبيح * كصون اللسان عن النطق به
فانك عند سماع القبيح * شريك لقائله فانتبه

(وقال ابن المبارك) احفظ لسانك ان اللسا * ن سريع الى المرء في قتله
وان اللسان دليل الفؤا * د يدل الرجال على عقله

(وقال بعضهم) احفظ لسانك واستعذ من شره * ان اللسان هو العدو الذابح
وزن الكلام اذا نطقت بمجلس * وزنا يلوح به الصواب اللائح
فالصمت من سعد السعود بمطلع * يحمي الفتى والنطق سبع ذابح

واختلف العلماء هل يكتب كل ما يتكلم به المرء حتى المباح وهو ظاهر قوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد أو لا يكتب الا ما فيه ثواب أو عقاب واليه ذهب ابن عباس وغيره وعليه فتكون الآية مخصوصة أو ما يلفظ من قول يترتب عليه جزاء وعلى أنه يكتب المباح فالذي يكتبه كاتب السيئات (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره) ولفظ رواية مسلم فليحسن الى جاره بالطلاقة الوجه وكف الاذى وبذل الندى وتحمل الجفاء وغير ذلك لخبر الجار أمين على جاره أن يسدل حجابه عليه ويكف أذاه عنه اذا رأى عورة ستر ها وان رأى سيئة غفرها وان رأى حسنة أفشاها ولخبر من أراد أن يحبه الله فعليه بصدق الحديث واداء الامانة وأن لا يؤذي جاره وقال بعضهم حسن الجوار في أربعة أشياء أن يواسيه بما عنده وان لا يطمع فيما لجاره وأن يمنع أذاه عنه وأن يصبر على أذيته وقال الحسن ليس حسن الجوار كف الاذى ولكن حسن الجوار احتمال الاذى ومن اكرامه أن لا يمنعه من غرز خشبة في جداره لخبر الموطأ والصحيحين لا يمنع أحدكم جاره أن يغرز خشبة في جداره يقول أبو هريرة مالي أراكم عنها معرضين والله لأرمين بها بين اكتافكم بالتاء وروي بالنون يونس بن عبد الأعلى عن أبي وهب سمعته من جماعة خشبة بلفظ الواحد الباحي قال عبد

الكلام أن ينكر على الجلاس وقال الغزالي يجب على من غصب امرأة للزنا أمرها بستر وجهها أعنه وفي الحديث فضل هذه الأذكار والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد ورد في فضل التسبيح ما رواه مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بأحب الكلام إلى الله إن أحب الكلام إلى الله سبحان الله وبحمده وفي رواية الترمذي سبحان ربي وبحمده وفي رواية لمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أي الكلام أفضل قال ما اصطفى الله لملائكته ولعباده سبحان الله وبحمده وهذا محمول على كلام الآدميين والا فالقرآن أفضل من التسبيح والتهليل المطلق وأما المأثور في وقت أو حال فالاشتغال به أفضل وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة غفرت ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر قال الطيبي يوم مطلق لم يعلم في أي وقت من أوقاته وقال غيره ظاهر الاطلاق يشعر بأنه يحصل هذا الاجر المذكور لمن قال ذلك مائة مرة سواء قالها متوالية أو متفرقة في مجالس أو بعضها أول النهار أو آخره وقوله غفرت ذنوبه أي الصغائر من حقوق الله خاصة لان حقوق الناس لا تغفر الا باسترضاء الناس الخصوم وروى البزار عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة وعن شريح العابد قال بلغني انه لو قسم ثواب تسبيحة على جميع هذا الخلق لاصاب كل واحد منهم خير وفضل التكبير أيضا كثير وسيأتي بعضه وأما ما ورد في فضل لا اله الا الله فشيء كثير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال عبد لا اله الا الله خالصا من قلبه الا فتحت له أبواب السماء حتى تفضي إلى العرش ما اجتنبت الكبائر وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا قال العبد لا اله الا الله ساعة ينظر الله تعالى إلى موجدة الا رحمه

كل الناس يقولون خشبه على الجمع غير الطحاوي قال التوحيد وعن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه ومازال يوصيني بالنساء حتى ظننت انه سيحرم طلاقهن ومازال يوصيني بالمماليك حتى ظننت أنه سيجعل لهم مدة اذا انتهوا اليها عتقوا ومازال يوصيني بالسواك حتى حسبت أن يحفى فمي وروى كاد ومازال يوصيني بقيام الليل حتى ظننت أن خيار أمتي لا ينامون ليلا وقد كان لمالك بن دينار جار يهودي فحول اليهودي مستحمه الى جدار البيت الذي فيه مالك وكان الجدار منهدما فكانت تدخل منه النجاسة وكان مالك ينظف البيت في كل يوم ولم يقل شيأ وأقام على ذلك مدة وهو صابر على الاذى فضاق صدر اليهودي من كثرة صبره على هذه المشقة فقال له يا مالك آذيتك وأنت صابر ولم تخبرني فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه فندم اليهودي وأسلم وحسن اسلامه وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كم من جار يتعلق بجاره يوم القيامة يقول يا رب هذا أغلق بابه دوني فمنعني معروفه وعن أبي شريح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قالوا القد خاب وخسر من هو يا رسول الله قال من لا يأمن جاره بوائقه أي غوائله وشروره وفي البيهقي عنه صلى الله عليه وسلم من أحب أن يحبه الله ورسوله فليصدق الحديث وليؤد الامانة ولا يؤذ جاره وروي أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو جاره فقال النبي صلى الله عليه وسلم كف أذاك عنه واصبر على أذاه فكفى بالموت مفرقا وروى عن سفيان الثوري انه قال عشرة أشياء من الجفاء أو لهار جل أو امرأة يدعو لنفسه ولا يدعو لوالديه وللمؤمنين والمؤمنات والثاني رجل يتعلم القرآن ولا يقرأ منه في كل يوم مائة آية والثالث رجل دخل المسجد وخرج ولم يصل ركعتين والرابع شخص يمر على المقابر ولم يسلم على أهلها ولم يدع لهم والخامس رجل دخل المدينة في يوم جمعة ثم خرج ولم يصل الجمعة والسادس رجل أو امرأة نزل في محلتهم رجل عالم ولم يذهب ليتعلم منه شيأ من العلم والسابع رجلان ترافقا ولم يسأل كل واحد منهما عن اسم صاحبه والثامن رجل دعاه رجل الى ضيافة فاجابه ثم لم يذهب الى الضيافة والتاسع شاب يضيع شبابه ولم يطلب العلم والادب والعاشر رجل شبعان وجاره جائع ولا يطعيه من طعامه شيأ وكان من دعاء داود عليه السلام اللهم اني أسئلك أربعة وأعوذ بك من أربعة فاما اللواتي أسئلك فاني أسئلك لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وبدنا صابرا وزوجة تعينني في دنياي وآخرتي وأما اللواتي أعوذ بك منهن فاني أعوذ بك من ولد يكون علي سيدا ومن امرأة تشيبني قبل وقت المشيب ومن مال يكون عذابا لي وبالا علي ومن جار ان رأى مني حسنة كتمها وان رأى سيئة أفشاها وكانت الجاهلية تشدد أمر الجار ومراعاته وحفظ حقه وهو راجع الى قوله تعالى والجار ذي القربى والجار الجنب قال ابن عباس وغيره الجار القريب النسيب والجنب الذي لا قرابة بينك وبينه وقيل القربى المسلم والجنب الذمي وقيل القربى القريب المسكن منك والجنب بعيده وروى البزار عن جابر مرفوعا

من ليل أو نهار فما بقي شيء مما في صحيفته من الذنوب والخطايا حتى تسكن لا إله إلا الله إلى مثلها من الحسنات وقال صلى الله عليه وسلم من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم من فتح الجنة لا إله إلا الله وقد ذكرت في قضاياها شيئا كثيرا في كتابي تحفة الإخوان وأما ما ورد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فأخبار كثيرة أيضا عن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ١٥٦ لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه

تدعونه فلا يستجيب لكم رواه الترمذي وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا الله فلا يستجيب لكم وقبل أن تستغفروه فلا يغفر لكم إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يدفع رزقا ولا يقرب أجلا وإن الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى لما تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعنهم الله على لسان أنبيائهم ثم عموا بالبلاء رواه الأصبهاني وعن أبي ذر رضي الله عنه قال أوصاني خليلي رسول الله صلى الله عليه وسلم بخصال من الخير أوصاني أن لا أخاف في الله لومة لائم وأوصاني أن أقول الحق ولو كان مرا رواه ابن حبان وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن المصطفى صلى الله عليه وسلم قال ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر رواه الإمام أحمد وقال صلى الله عليه وسلم تبسمك في وجه أخيك صدقة وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة رواه الترمذي وغيره وسيأتي ما ذكر مع زيادة في مجلسه (قوله في الحديث وفي بضع) بضم فسكون أي فرج أو جماع (أحدكم صدقة) إذا فاز نفسه بصالحة كما عفاف نفسه أو زوجته عن نحو نظر أو فكر أو هم بمحرم أو قضاء حقها من معاشرتها بالمعروف المأمور به أو طاعة ولده لوجه الله أو تنشيطه

الجيران ثلاثة جار له حق واحد وهو أدنى الجيران وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق وهو أفضل الجيران فأما الذي له حق واحد فكافر مشترك له حق الجوار وأما الذي له حقان فكافر مسلم له حق الإسلام وحق الجوار وأما الذي له ثلاثة حقوق فكافر مسلم ذو رحم له حق الإسلام وحق الجوار وحق الرحم الجار يقع على الساكن مع غيره تقول الأعشى لزوجته

* أجارتنا بيني فإنك طالقه * وعلى الملاصق وعلى أربعين دارا من كل جانب ففي البخاري في الأدب المفرد من قول الحسن البصري وقد سئل عن الجار فقال أربعون دارا أمامه وأربعون دارا خلفه وأربعون عن يمينه وأربعون عن يساره ومثله للأوزاعي انتهى ويطلق الجار على من يألفه ويسكن غيره قال تعالى ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا وهنا تنبيه وهو أنه إذا أمر بإكرام الجار مع الجار بين الإنسان وبينه قيد بغي له أن يراعي حق الحافظين اللذين ليس بينه وبينهما جدار ولا حائل فلا يؤذيهما بإيقاع المخالفات في مرور الساعات فقد ورد أنهما يسران بوقوع الحسنات ويحزنان بوقوع السيئات فينبغي إكرامهما ومراعاة جانبهما بالاكثار من عمل الطاعات والمواظبة على تجنب المعاصي فهم أولى بالإكرام من كثير من الجيران (ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه) الغني والفقير بالبشر في وجهه وبسط شيء تحته وإجلاسه في صدر المجلس وطيب الحديث معه والمبادرة إلى إحضار ما تيسر عنده من الطعام من غير كلفة ولا إضرار بأهله وفي كتاب المنتخب من الفردوس عن أبي الدرداء مرفوعا إذا أكل أحدكم مع الضيف فليلقمه بيده فإذا فعل ذلك كتب له به عمل سنة نهارها وقيام ليلها وفي حديث قيس بن سعد من إكرام الضيف أنه يضع له ماء يغسل به حين يدخل المنزل ومن إكرامه أن يركبه إذا انقلب إلى منزله إن كان بعيدا والضيف يطلق على الواحد والاثنين والجمع لأنه مصدر قال الله تعالى إن هؤلاء ضيفي ولابن الجوزي

مات الكرام وولوا وانقضوا ومضوا * ومات من بعدهم تلك الكرامات
وخلفوني في قوم ذوي بخل * لو أبصروا طيف ضيف في الكرى ماتوا

وروي أن إبراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام كان يكنى أبا الضيفان وكان يمشي الميل والميلين في طلب الضيف وكان لقصره أربعة أبواب واتفق له قضيتان متعارضتان شكر في واحدة وأدب في أخرى أما الأولى ففي أنه عليه السلام نزل به رجل من عبدة الأوثان فأكرمه فصحت الملائكة في السموات وقالوا يا ربنا خليلك يكرم عدوك فقال لهم أنا أعلم بخليلي منكم ثم أمر جبريل فنزل وعرض عليه قول الملائكة فبكى وقال يا جبريل تعلمت من مولاي لأني رأيته يحسن إلى من يسيء وأما الأخرى فإنه نزل به رجل من عبدة الأوثان فاستضافه فأبى عليه إلا أن يترك دينه فامتنع فأمر الله جبريل أن ينزل إليه فنزل إليه وقال له يقول لك ربك استضافك عبدي فأبيت إلا أن يترك دينه وأنا أرزقه ثمانين سنة على شركه فبكى إبراهيم وقام يقفو أثر الوثني إلى أن لحق به فعرض عليه الرجوع فأبى أو بحره بسبب ذلك فقال له إبراهيم إن الله عاتبني فيك وأخبره فبكى الوثني وقال يا إبراهيم أسلمت لله رب العالمين

المسلمين أو يكون له فرطا اذا مات لصبره على مضيقته فعلم ان المباح تصير طاعة بالنية الصالحة وليعلم ان شهوة النكاح شهوة محبوبة أحبها الانبياء لانها تارق القلب بخلاف سائر الشهوات فانها تقسي القلب والنكاح من مرغوبات الآخرة ولما كان الانسان قليلا بنفسه كثيرا باخيه وكان يستوحش في خلواته في المكان الذي هو فيه وكان منهيا أن ينام في البيت وحده لحديث ورد فيه ومنهيا أيضا ان يسافر وحده لحديث في البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ١٥٧ لو يعلم الناس ما في الوحدة ما أعلم

ما سار راكب بليل وحده وكان في النكاح دفع هذه المفاسد مع ما فيه من تحصين الفرج وغض البصر عن المحرمات وتحصيل القربات واكتساب الاصدقاء والاصهار والاخشان والاحماء وتكثير العشائر واقامة الشعائر ندب الله تعالى اليه في كتابه العزيز وقال النبي صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء أي قاطع للشهوات عن المحرمات وجنة أي وقاية من عذاب جهنم وقال في حق من أعرض عنه واختار لنفسه التزكية والانقطاع من رغب عن سنتي فليس مني فالراغب عن النكاح الشرعي ربما دعته نفسه الى الوقوع في الزنا وقد نهى الله تعالى عن الوقوع في الزنا قال تعالى وليستعفف

ثم ان الامر بالاكرام انما هو منوط بثلاثة أيام كما جاء مصرحا به في عدة أخبار وظاهرها وجوب الضيافة وبه قال أحمد وحملها الجمهور على أنه كان في صدر الاسلام ثم نسخ فانها كانت واجبة حين كانت المواساة واجبة فلما ارتفع وجوب المواساة ارتفع وجوب الضيافة أو على أهل الذمة المشروط عليهم ضيافة المارة الا أنها تسقط عليهم بالظلم أو في المضطرين أو مخصوص بالعمال المبعوثين لقبض الزكاة ثم ان الامر الندبي انما هو لمن عنده فاضل عن قوته وقوت عياله أما غيره فلا ضيافة عليه بل ليس له ذلك وأما حديث الانصاري الذي قدم له في الحديث المتقدم فقد سبق الجواب عنه (رواه البخاري) في الادب (ومسلم) في باب الحث على اكرام الجار والضيف من كتاب الايمان

(الحديث السادس عشر)

(عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا) ابهمه وقد جزم القسطلاني في شرح البخاري بان اسمه جارية بالجيم ابن قدامة كما عند أحمد وابن حبان اه ونازع فيه يحيى القطان والعجلي وغيرهما بانهم يقولون ان جارية تابعي لا صحابي وفي حديث الطبراني أنه سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت يا رسول الله قل لي قولا انتفع به وأقلل قال لا تغضب وفي حديث له آخر انه أبو الدرداء قال قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال لا تغضب ولك الجنة وفي حديث أبي يعلى أن ابن عمر قال قلت يا رسول الله قل لي قولا وأقلل لعلي اعقله في حديث أحمد عن ابن عمر دلني على ما يباعدني من غضب الله زاد أبو كريب عن ابن عباس عن الترمذي ولا تكثر علي لعلي أعيه والظاهر كما قال الولي العراقي ان السائل عن ذلك تعدد (قال للنبي صلى الله عليه وسلم أوصني قال لا تغضب) يحتمل أن المراد لا تفعل الاسباب المقتضية للغضب وافعل الاسباب التي تنفيه كالحلم والسخاء والحياء ويحتمل أن المراد لا تفعل بمقتضى الغضب اذا حصل بل جاهد نفسك على ترك تنفيذه وليس النهي راجعا الى نفس الغضب لانه مطبوع في الانسان (فردد) أي كرر السائل السؤال (مرارا) وقع في رواية عثمان بن أبي شيبة قال لا تغضب ثلاث مرات فاقتصر فيها ببيان عدد المرار وكأنه لم يقنع بقوله لا تغضب فطلب وصية ابلغ منها وأنفع فلم يزده صلى الله عليه وسلم عليها وأعادها له حيث (قال) له ثانيا وثالثا (لا تغضب) تنبيها له بتكرارها على عموم نفعها لما فيها من جلب المصالح ودرء المفاسد فهو كما قال له العباس علمني دعاء أدعو به يا رسول الله فقال سل الله العافية فعاوده مرارا فقال له يا عباس يا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم سل الله العافية في الدنيا والآخرة فانك اذا أعطيت العافية في الدنيا والآخرة أعطيت كل خير وكذلك لما قال لاصحابه اجتمعوا فاني أتلو عليكم ثلث القرآن فاجتمعوا فتلا عليهم سورة الاخلاص ثم دخل منزله فقاموا ينتظرونه ليكمل لهم ثلث القرآن فخرج عليهم فقال ما تنتظرون أما انها تعدل ثلث القرآن يعني سورة الاخلاص قيل يحتمل أنه صلى الله عليه وسلم علم من هذا الرجل كثرة الغضب فخصه بهذه الوصية لانه عليه الصلاة والسلام كان يأمر كل احد بما هو أولى به وروى أنس أن رجلا قال يا رسول الله فما أشد من كل شيء قال غضب الله قال فما ينجي من غضب الله قال لا تغضب والغضب

الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله أي وليطلب العفة عن الزنا والحرام من لا يجد فما ينكح به من صداق ونفقة وقال تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم وقال تعالى والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة الآية وعن حذيفة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اياكم والزنا فان فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة فأما التي في الدنيا فانه

يذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر وأما الاولى في الآخرة فانه يورث سخط الرب وسوء الحساب والخلود في النار وعن
هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان سربال يسربله الله تعالى من شاء فان زنا العبد نزع منه سربال الايمان
فان تاب رده الله عليه وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لعبيده تزوجوا فان العبد اذا زنا نزع منه نور الايمان فان تاب رد
عليه بعد أو أمسكه وعنه قال قال ١٥٨ رسول الله صلى الله عليه وسلم ياشباب قريش احفظوا فروجكم لاتزنوا الا

يحفظ لي فرجه دخل الجنة وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من حفظ لي مابين لحييه ومابين رجليه دخل الجنة وفي حديث من توكل لي مابين لحييه ومابين رجليه توكلت له بالجنة وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اتقوا الدنيا واتقوا النساء فان أول فتنة بني اسرائيل كانت النساء وعن مالك بن دينار قال مكتوب في التوراة مثل امرأة لاتحصن فرجها مثل خنزيرة على رأسها تاج وفي عنقها اطواق من ذهب فيقول القائل ما أحسن هذا الحلي وأقبح هذه الدابة (نكتة) قال ابن العماد في منظومته

رضي الله عنه شراركم عزابكم جاء الخبر * أراذل الاموات عزاب البشر

قال بعض الشراح انما كان من لايتزوج أو يتسرى مع القدرة عليه من شرار الامة في الاحياء وأراذلها في الاموات لمخالفته ما أمر الله به ورسوله وحث عليه وسعى من شرار الخلق لعدم

فوران دم القلب وغليانه وقيل تغير ينبعه غليان دم القلب لارادة الانتقام والغيظ أصل
وكثيرا مايتلازمان وقيل بالفرق بينهما وهو ان الغيظ لايظهر على الجوارح بخلاف
يظهر على الجوارح مع فعل ماولابد وقد خلق الله الغضب من النار وعجنه بطينة الانسان
في غرض من أغراضه اشتعلت نار الغضب فيه وفارت فورانا يغلي منه دم القلب وينتشر في العروق
ويرتفع الى أعلى البدن ارتفاع الماء في القدر ثم ينصب في الوجه والعينين حتى يحمر منه اذ الدم
اصفا منها كالزجاجة فتحكي ماوراءها من لون الدم هذا اذا غضب على من دونه واستشعر القدرة
عليه فان كان على من فوقه وأيس من الانتقام منه انقبض الدم الى جوف القلب وكمن فيه
حزنا فاصفر اللون فان كان على من يساويه الذي يشك في القدرة عليه تردد الدم بين انبساط وانقباض
فيحمر لونه تارة ويصفر أخرى والغضب يتحرك من داخل الجسد الى خارجه والحزن يتحرك
من خارجه الى داخله ولذلك يقتل الحزن ولا يقتل الغضب لبروز الغضب وكمون الحزن ومن
الحادث عن الغضب السطوة والانتقام والحادث عن الحزن المرض والاستقام ويترتب على الغضب
تغير الظاهر والباطن والرعدة في الاطراف وخروج الافعال من غير ترتيب وقبح الصور
رأى الغضبان نفسه لكن غضبه حياء من قبح صورته وعن ابن عباس في قوله عز وجل فا
الصفح الجميل قال الرضى بغير عتاب وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أشدكم من غلب على
عند الغضب وأحلمكم من عفا عند القدرة وفي البخاري أن ابن عباس رضي الله عنهما قال في قوله
تعالى ادفع بالتي هي أحسن هو الصبر عند الغضب والعفو عند الاساءة وعنه صلى الله عليه وسلم أ
قال من دفع غيظه دفع الله عنه عذابه ومن حفظ لسانه ستر الله عورته وعنه صلى الله عليه وسلم أ
قال من كظم غيظا وهو يستطيع ان ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤس الخلائق حتى يخيره في
أي الحور شاء وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من كان أجره على
الله فليدخل الجنة فيقال من ذا الذي أجره على الله فيقوم العافون عن الناس يدخلون الجنة بغير
حساب وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه
الغضب والصرعة بضم الصاد وفتح الراء المهملتين الذي يكثر صرع الناس وقال عمر رضي
عنه من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله تعالى لم يفعل ما يريد وقال لقمان لابنه يابني لا
ما وجهك بالمسئلة ولا تشف غيظك بقضيحتك واعرف قدرك تنفعك معيشتك وقال أبو
حلم ساعة يدفع شرا كثيرا وقد ورد أن أويس بن الصامت ظاهر من زوجته خولة بنت ثعلبة في
حال غضبه واجتمع سفيان الثوري وأبو حنيفة البربوعي والفضيل بن عياض فتذاكروا الز
فاجتمعوا على أن أفضل الاعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع وقال ابن المبارك كنت
المنصور جالسا فامر بقتل رجل فقلت يا أمير المؤمنين اذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من ندى الله
تعالى من كانت له عند الله يد فليتقدم فلا يتقدم اليه الا من عفا عن ذنب فامر باطلاقه وقال لا
سمعت اعرابيا يقول لا يوجد العجول محمودا ولا الغضوب مسرورا وعن أبي الحسن المدائني أنه

قال
غض بصره وتحصين فرجه ولعدم ستر شطر دينه للاخبار الواردة في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم بقوله من تزوج فقد ستر شطر
دينه فليتق الله في الشطر الآخر وأيضا فان مثل هذا لا يؤمن غالبا على النساء ولا على المجاورة في السكنى وغيرها فرعا تنام الشيطان
فيقع الفساد وفي الحديث دخل رجل على النبي صلى الله عليه وسلم يقال له حمكان فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ياحمكان

زوجة قال لا قال ولا جارية قال وأنت بخير موسر قال وأنا بخير موسر قال أنت من أخوان الشياطين لو كنت من النصارى كنت من رهبانهم ان من سنتي النكاح شراركم عزابكم أراذل أمواتكم عزابكم رواه الامام أحمد في مسنده وقال صلى الله عليه وسلم مسكين مسكين رجل ليس له امرأة قيل يا رسول الله وان كان غنيا من المال قال وان كان غنيا من المال وقال مسكينة مسكينة مسكينة امرأة ليس لها زوج قيل يا رسول الله وان كانت غنية من المال قال ١٥٩ وان كانت غنية من المال (وترجع

قال لقي رجل حليما فضربه على قدمه ضربة موجعة فلم يرد الغضب فيه أثر فقيل له في ذلك فقال أقمت ضربته مقام حجر اعثر به وعن سهل بن عبد الله لا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى يكون لعباد الله كارض أذاهم عليها ومنافقهم منها ومن ميمون بن مهران أن جارية له جاءت يوم بصحفة فيها مرق حار وعنده أضياف فعثرت فصب المرق على رأسه فاراد ميمون أن يضربها فقالت له الجارية يا مولاي اعمل بقول الله تعالى والكاظمين الغيظ قال لها قد فعلت فقالت اعمل بما بعده والعافين عن الناس قال قد عفوت عنك قالت الجارية والله يحب المحسنين قال ميمون قد أحسنت اليك فانت حرة لوجه الله تعالى ولك ألف درهم وعن عبد الرزاق قال صبت جارية لعلي بن الحسين الماء ليتهيأ للصلاة فسقط الابريق من يد الجارية على وجهه فشجه فرفع علي بن الحسين رأسه اليها فقالت الجارية ان الله عز وجل يقول والكاظمين الغيظ فقال لها قد كظمت غيظي قالت والعافين عن الناس قال لها قد عفا الله عنك قالت والله يحب المحسنين قال اذهبي فانت حرة لوجه الله تعالى وحكي عن بعض الملوك أنه كتب في ورقة ارحم من في الارض يرحمك من في السماء ويل لحاكم الارض من حاكم السماء اذكرني حين تغضب اذكرك حين أغضب ثم دفعها الى وزيره وقال اذا غضبت فادفعها الي فكان كلما غضب دفعها اليه فينظر فيها فيسكن غضبه وحكي عن بعض الصلحاء انه رأى رجلا جلدا لا ذا قوة شديدة محمر الوجه مزبدا شداقاه معربدا فقال الصالح ما لهذا فقيل أنه شتم شخص فقال الصالح واعجبا لهذا الشخص يقدر أن يحمل أحمالا ثقيلة ولا يطيق أن يحمل كلمة وكان الشعبي مولعا بهذا البيت

ليست الاحلام في حين الرضا * انما الاحلام في حين الغضب

وكان معاوية رضي الله عنه من أحلم العرب ومن ثم كان يقول ما غضبت على من أقدر عليه ومن لا أقدر عليه أي ان الغضب تعب محض لا فائدة فيه لان المؤذي لي ان قدرت عليه عاقبته ان شئت بلا غضب والا كان مجرد الغضب محض تعب لانه وجد لا يشفي فلا فائدة فيه على كل تقدير والمراد ما تعاطيت اسبابه ولا دفعته لانه جبلي وحكي عن موسى صلوات الله وسلامه عليه انه لما قيل له خذها ولا تخف لقه كفه على يده وتناولها فقيل له لو أذن الله عز وجل فيما تحذر هل كان ينفعك ذلك فقال لا ولكني عبد ضعيف ومن ضعفه خاف وكان معروف العجلي يقول ما تكلمت في غضبي بما أندم عليه اذا رضيت وهذا كله في الغضب الدنيوي لا الديني ولهذا كان المصطفى صلى الله عليه وسلم اذا انتهكت حرمات الله لا يقوم لغضبه شئ حتى ينتصر للحق وكان بين عينيه عرق يدره أي يظهره الغضب وقد كان موسى عليه السلام رجلا حديدا حجورا على الحدة والخشونة والتغلب في كل شئ شديد الغضب لله ولدينه فلم يتمالك حين رأى قومه يعبدون العجل بعد ما رأوا من الآيات العظام فاخذ برأس أخيه ولحيته يجره اليه ويحكى ان الخضر لما خرق السفينة غضب موسى وأخذ برجل الخضر ليلقيه في البحر حتى ذكره يوشع عهده مع الخضر فخلاه ومن ثم ضرب الحجر الذي فر بثوبه حياء من أن يرى عريانا لانه كان كثير الحياء ستيرا فاذا جماعة من بني اسرائيل وقالوا ما يستتر هذا الستر الا لعيب في جسده اما برص أو

الى الكلام على بقية الحديث فنقول لما قال لهم صلى الله عليه وسلم وفي بضع أحدكم صدقة) استبعدوا حصولها بفعل مستلذ نظرا الى انها انما تحصل غالبا في عبادة شاقة على النفس مخالفة لهواها (فالوا يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر قال أرأيتم) أي اخبروني عما (لو وضعها في حرام كان عليه وزر) أي اثم (فكذلك اذا وضعها في الحلال كان له أجر) وظاهر اطلاقه ان الانسان يؤجر في نكاح زوجته مطلقا وبه قال بعضهم وفيه دليل لجواز القياس وفيه انه ينبغي قرن النية الصالحة بالمباح لتقلبه طاعة وظاهر سياقه ان الغني الشاكر وهو من لا يبقى مما يدخل عليه من ماله الا ما يحتاج اليه حالا أو ما يرصده لاحوج منه أفضل من الفقير الصابر وفيه خلاف بين العلماء

قيل وهذا أصح وقاعدة ان العمل التعدي أفضل من القاصر غالبا تشهد له ورجح الغزالي ان الفقير الصابر أفضل وقيل ان الذي أعطى الكفاف أفضل وقال الغزالي في موضع آخر رب غني شاكر أفضل من فقير صابر وهو الغني الذي نفسه كنفس الفقير ولا يصرف لنفسه من المال الا قدر الضرورة ويصرف الباقي في وجوه الخير أو يمسكه معتقدا ان يمسكه مخازنا للمحتاجين * (خاتمة) * ورد ما يقتضي تفضيل الذكر على الصدقة بالمال كحديث أحمد والترمذي ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في

ذرجاتكم وخير لكم من انفاق الذهب والفضة وخير لكم من ان تلقوا اعداءكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يا رسول الله قال ذكر الله عز وجل وحديث أحمد والترمذي أي العباد أفضل عند الله يوم القيامة قال الذاكرون الله كثيرا قلت يا رسول الله ومن الغازي في سبيل الله قال لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر ويخضب دما لكان الذاكرون الله أفضل منه درجة وحديث الطبراني لو ان رجلا في حجره دراهم يقسمها وآخر يذكر الله لكان الذاكر الله أفضل وحديثه أيضا من كبر مائة وسبح مائة وهلل مائة كانت له خيرا من عشر رقاب يعتقها ومن سبع بدنات ينحرها وأخذ بقضية هذه الاحاديث جماعة من الصحابة والتابعين فقالوا ان الذكر أفضل من الصدقة بعدده من المال ويدل له أيضا حديث أحمد والنسائي انه صلى الله عليه وسلم قال لام هانئ سبحي الله مائة تسبيحة فانها تعدل مائة رقبة من ولد اسمعيل واحمدي الله مائة تحميدة فانها تعدل مائة فرس ملجمة مسرجة فتحملين عليها في سبيل الله وكبري الله مائة تكبيرة فانها تعدل مائة بدنة مقلدة متقبلة وهللي الله مائة تهليلة ولا أحسبه الا قال تملأ ما بين السموات والارض ولا يرفع يومئذ لاحد مثل عملك الا أن يأتي بمثل ما أتيت والاحاديث في فضل الذكر كثيرة اللهم وفقنا لذكرك أجمعين والحمد لله رب العالمين

(المجلس السادس والعشرون في الحديث السادس والعشرين)

الحمد لله مسخر السحب السائرة ومجري الكواكب الزاهرة ومحيي العظام الناخرة والصلاة والسلام

ادرة وهي كبر الاثنين فانطلق ذات يوم يغتسل في عين حيار من الشام وجعل ثيابه على صخرة ففر الحجر بثوبه فتبعه موسى يقول ثوبي حجر حتى انتهى الى ملأ من بني اسرائيل فرأوه عريانا احسن ما خلق الله وبرأه مما يقولون وكانت بنو اسرائيل تغتسل عراة يرى بعضهم سوأة بعض وقام على الحجر فطفق به ضربا بعصاه فوالله ان في الحجر لندبا من أثر ضربه ثلاثا أو أربعا أو خمسا لان الله خلق فيه حياة فصار كدابة تفرت من راكبها ويحتمل ان غضبه على الحجر من باب غلبة الطباع كما غلب عليه الطبع البشري حتى الف كمه على يده حين أخذ العصا وحجر منادى مفرد محذوف منه يا والمنادى أو ثوبي منصوب بفعل مضمر التقدير اعطني ثوبي أو اترك ثوبي فحذف الفعل للدلالة الحال عليه فان قيل كيف نادى موسى عليه السلام الحجر ندا ممن يعقل أجيب لانه صدر عنه فعل من يعقل واما ورد من أنه لما جاءه ملك الموت وقال له أجب ربك لطمه ففقأ عينه فلانه دخل عليه في صور لا يعرفها وقيل المراد بفقء العين هنا الحاز يعني أنه ناظره وحاجه فغلبه موسى بالحجة وضعف قوله فرد الله عليه عينه لانه وقع في الرواية ان الملك رجع الى الله وقال انك أرسلتني الى عبدك لا يريد الموت وفقأ عيني فرد الله عليه عينه ثم قال ارجع الى عبدي فقل له الحياة تريد فان كنت تريدها فضع يدك على متن أي ظهر ثور فما واارت يدك من شعرة فانك تعيش بها سنة فرجع وأخبره فقال ثم ماذا قال الموت قال فالآن من قريب قال رب ادنني من الارض المقدسة رمية حجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أني عنده لاريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر قال وهب خرج موسى لبعض حاجته فمر برهط من الملائكة يحفرون قبرا لم ير شياطا أحسن منه ولا مثل ما فيه من الخضرة والنضرة والبهجة فقال لهم يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر قالوا لعبد كريم على ربه فقال ان لهذا العبد عند الله لمنزلة ما رأيت كاليوم مضجعا فقالت الملائكة يا نبي الله أتحب ان يكون لك قال ودت قالوا فانزل واضطجع فيه فتقعل وتوجه الى ربه ثم تنفس أسهل تنفس فقبض الله روحه ثم سدت عليه الملائكة وقيل ان ملك الموت أتاه بتفاحة من الجنة تشمها فقبض الله روحه وكان عمره مائة وعشرين سنة بعث هارون الرشيد ليلا الربيع الى الشافعي ليهجم عليه من غير اذن وقال له أجب فقال الشافعي في مثل هذا الوقت وبغير اذن فقال بذلك أمرت فخرجت معه فلما صرت بباب الدار قال لي اجلس وادخل فقال له الرشيد ما فعل محمد بن ادريس قال أحضرته قال ادخله فادخلني فتأملني ثم قال يا محمد أرعبتك فانصرف راشدا يا ربيع أحمل معه بدرة دراهم فلما خرجت قلت للشافعي بالذي سخر لك هذا الرجل ما الذي قلت فاني أحفر بئرا وأنا أرى موضع السيف من قفاك فقلت سمعت مالك بن أنس يقول سمعت نافعا يقول سمعت عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الدعاء يوم الاحزاب وكفى وهو اللهم اني أعوذ بك بنور قدسك وبركة طهارتك وعظيم جلالك من كل طارق الا طارقا يطرق بخير اللهم أنت غياثي فبك أغوث وأنت عياذي فبك أعوذ وأنت ملاذي فبك ألوذ يا من ذلت اليه رقاب الجبابرة وخضعت له مقاليد القراعنة أجرني من خزيك وعفوك بتك واحفظني في ليلي ونهاري ونومي وقراري لا اله الا أنت تعظيما لوجهك وتكريما وتشريفا لسبحات عرشك فاصرف عني شر عبادك واجعلني في حفظ عنايتك وسرادقات حفظك وعد علي بخيريا ارحم الراحمين وفي رواية عن الفضيل بن الربيع صاحب

هارون

على نبينا محمد المؤيد بالمعجزات الباهرة وعلى آله وأصحابه ذوي المناقب الفاخرة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس فيعدل بين اثنين صدقة ويعين الرجل في دابته فيحمل عليها أو يرفع عليها متاعه صدقة والكلمة الطيبة صدقة وبكل خطوة يمشيها الى الصلاة صدقة وتميط الأذى عن الطريق صدقة رواه البخاري) اعلموا اخواني وفقني الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث ١٦١ حديث عظيم (قوله كل سلامى) بضم السين وتخفيف اللام وفتح الميم مفرد سلاميات بفتح الميم وتخفيف الياء قيل جميع عظام الجسد ومفاصله وفي خبر مسلم خلق الانسان على ستين وثلثمائة مفصل فعلى كل مفصل صدقة (قوله من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس) أي في مقابلة ما أنعم الله به على الانسان في خلق تلك السلاميات وفي حديث الصحيحين فان لم يفعل فليمسك عن الشر فانه له صدقة ويلزم من ذلك القيام بجميع الطاعات وترك جميع المحرمات (قوله فيعدل) أي فيصلح (بين الاثنين) أي المتخاصمين (صدقة) عليهما ويجوز الكذب في الصلح الجائز وهو ما لا يحل حراما ولا يحرم حلالا لا مبالغة في وقوع الالفة بين المسلمين قيل تمنى جبريل عليه السلام ان يكون في الارض هارون ان الشافعي قال له قلت شهد الله أنه لا اله الا هو اللهم اني أعوذ بنور وقدسك وبركة طهارتك وبعظمة جلالك من كل عاهة وآفة وطارق الانس والجن الا طارقا يطرق بخير يا أرحم الراحمين اللهم بك ملاذي قبل أن ألوذ وبك غياثي قبل أن أغوث يا من ذلت له رقاب الفراعنة وخضعت له مقاليد الجبابرة اللهم ذكرك شعاري ودثاري ونومي وقراري أشهد أن لا اله الا أنت أضرب على سرادقات حفظك وقني وحفني برحمتك يا رحمن قال الفضيل فكتبتها وجعلتها في ردائي وكان الرشيد كثير الغضب على وكان كلما هم أن يغضب حركتها في وجهه فيرضى واعلم ان الغضب له دواء مانع ودواء رافع فالمانع بذكر فضيلة الحلم وما جاء في كظم الغيظ من الفضل وما ورد في عاقبة ثمرة الغضب من الوعيد والرافع بان يستعيذ من الشيطان ويتوضأ ويغتسل بالماء البارد لانه من الشيطان والشيطان من النار والنار يطفئها الماء وان غضب وهو قائم قعد أو اضطجع وأقوى الاشياء في منعه ورفعه التوحيد الحقيقي وهو اعتقاد انه لا فاعل حقيقة في الوجود الا الله تعالى فان الخلق آلات وما ئط كبرى وهي من له عقل واختيار كالانسان وصغرى وهي ما انتفيا عنه كالعصى المضروب بها ووسطى وهي من فيها الثاني فقط كالدواب ومن ثم قال أنس خدمت المصطفى صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء تركته لم تركته ولكن يقول قدر الله وما شاء فعل ولو قدر لكان وما ذاك الا لكمال معرفته بانه لا فاعل ولا معطي ولا مانع ولا نافع ولا ضار الا الله تعالى (رواه البخاري) في الادب وهو من جوامع الكلم كما مر التي خص بها ولهذا قال ابن السني جمع في هذه اللفظة خير الدنيا والآخرة

(الحديث السابع عشر)

(عن أبي يعلى) وقيل أبي عبد الرحمن (شداد) بالتشديد (بن أوس) بفتح فسكون فهملة ابن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك النجاري الانصاري وهو ابن أخي حسان ابن ثابت قيل انه شهد بدرا وهو غلط وانما البدري والده وكان شداد اذا دخل الفرش يتقلب عليه ولا يأتيه النوم فيقول اللهم ان النار قد أسهرتني وأذهبت عني النوم ثم يقوم يصلي حتى يصبح وكان يقول انكم لم تروا من الخير الا أسبابه ولم تروا من الشر الا أسبابه الخير كله بحذافيره في الجنة والشر كله بحذافيره في النار وان الدنيا عرض حاضر يأكل منها البار والفاجر والآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر والكل بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا وروى عنه أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كنز الناس الذهب والفضة فاكنزوا هؤلاء الكلمات اللهم اني أسألك الثبات في الامر والعزيمة على الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم انك أنت علام الغيوب وعن أبي الدرداء انه كان يقول ان لكل أمة فقيها وان فقيه هذه الامة شداد بن أوس وان من الناس من يؤتى علما ولا يؤتى حلما وان أبا يعلى قد أوتي علما وحلما قال ابن سعد نزل شداد فلسطين ومات بها سنة ثمان وخمسين وقيل سنة احدى وأربعين وقيل سنة أربع وستين وهو ابن خمس وستين سنة ولما حضرته الوفاة قال ان

يسقي الماء وبصلح بين المسلمين (قوله ويعين الرجل في دابته فيحمل عليها أو يرفع عليها متاعه صدقة) أي عليه (قوله والكلمة الطيبة) وهي كل ذكر ودعاء للنفس والغير وسلام عليه ورد وثناء عليه بحق ونحو ذلك مما فيه سرور واجتماع القلوب وتآلفها بما فيه معاملة الناس بمكارم الاخلاق ومحاسن الافعال ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق (قوله وبكل خطوة يمشيها الى الصلاة صدقة) فيه مزيد الحث والتأكيد على حضور الجماعات وعمارة المساجد اذ لو

صلى في بيته فانه ذلك (بشارة) اذا كان يوم القيامة يأتي قوم فيقفون على الصراط يكبون فيقال لهم جوزوا على الصراط فيقولون نخاف من النار فيقول لهم جبريل عليه السلام كيف كنتم تعبرون على البحر فيقولون بالسفن فيؤتى بالمساجد التي كانوا يصلون فيها كالسفن فيركبونها ويمرون على الصراط * وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تحشر مساجد الدنيا كلها

بحت بيض قوائمها من العنبر وأعناقها من الزعفران ورؤسها من المسك وأزمتها من الزبرجد والمؤذنون يقودونها والأئمة يسوقونها والمحافظون يتبعونها فيعبرون في عرصات القيامة فيقول أهلها هؤلاء ملائكة مقربون أم أنبياء مرسلون فيقال هؤلاء الذين حافظوا على صلاة الجماعة من أمة محمد عليه الصلاة والسلام * وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المشاؤن الى المساجد في الظلم أولئك الخواضون في رحمة الله (نكتة) اذا كان يوم القيامة أمر بطبقات المصلين الى الجنة فتأتي أول زمرة كالشمس فتقول لهم الملائكة من أنتم قالوا نحن المحافظون على الصلاة قالوا كيف كانت محافظتكم قالوا كنا نسمع الاذان ونحن في المساجد ثم تأتي زمرة أخرى كالقمر ليلة البدر فتقول الملائكة من أنتم قالوا نحن المحافظون على الصلاة قالوا كيف كانت محافظتكم قالوا كنا نتوضأ قبل الوقت ثم تأتي زمرة أخرى كالكواكب فتقول لهم الملائكة من أنتم قالوا نحن المحافظون على الصلاة قالوا كيف كانت محافظتكم قالوا كنا نتوضأ قبل الاذان وقيل في قوله تعالى فهم ظالم لنفسه هو الذي يدخل المسجد بعد قيام الصلاة والمقتصد من يدخله بعد الاذان والسابق من يدخله قبل الاذان وقال عمر بن عبد العزيز في قوله تعالى أضاعوا الصلاة أي أضاعوا مواقيتها وفي الحديث لا تسألوا على يزيد أمتي قيل من هم يا رسول الله قال من يسمع الاذان ولا

أخوف ما أخاف على هذه الامة الرياء والشهوة الخفية (رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله كتب) أي أوجب وفرض نحو كتب عليكم الصيام أو طلب والاول هو وضوع كتب عند أكثر الفقهاء والاصوليين والثاني أولى لان الاحسان تارة يكون واجبا كقطع الحلقوم والوديجين في الذبح وتارة يكون مندوبا كاحداد الشفرة (الاحسان) مصدر أحسن اذا أتى بالشئ حسنا وهو ما حسنه الشرع لا العقل خلافا للمعتزلة والمراد به هنا تحسين الاعمال المشروعة بان يأتي بها على الوجه المرضي بان يوقع الفعل على سنن الشرع لا مجرد الانعام على الغير لان الاول أعم نفعا وأكثر فائدة لان الاحسان في الفعل يعود منه نفع عليه وعلى غيره (على) فعل (كل شئ) الاولى كما قال القرماني وغيره ان على هنا بمعنى في كما في قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان أي في ملكه ويقال كان كذا على عهد فلان أي في عهده ويحتمل أن تكون بمعنى الى والافظاهر ان كل شئ هو المكتوب عليه الاحسان ويحتمل أنها على بابها والتقدير كتب الاحسان في الولاية على كل شئ أو أن المراد بالشئ المكلف أي كتب الاحسان على كل مكلف وقوله على كل شئ قضية كلية مسورة بكل شاملة لجميع جزئيات الدين فالاحسان الى نفسه أن لا يوردها موارد السوء ولا يظلمها بالمعصية ولا يطيعها في كل ما تريد ولا يهينها بشقاء غيظ ولذلك أمهم سبحانه بخلوقاته بالاستغفار للعاصاة فان لهم مثل فعلهم لقوله عليه السلام ان العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الارض حتى الحيتان في الماء وما في النمل والملائكة يسبحون بحمد ربهم والى أهله بان يحسن عشرتهم ولا يكلفهم ما لا يطيقون ولا يضيعهم قال صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء اثما ان يضيع من يقول والى خدمه بان لا يكلفهم من العمل ما لا يطيقون ولا يضيعهم والى اخوانه أن لا يغشهم بل ينصح لهم ويحسن صحبتهم ويحمل أذاهم ويكرم مثواهم والى الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ان يؤمن بهم وبما جاؤا به عن ربهم وان يعتقد كمالهم وعصمتهم من الكبائر والصغائر وانهم صفوة الله وخلص عباده وولي سائر الناس أن يعلمهم ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم وارشادهم سبيل الخيرات واجتناب المنكرات والدعاء لهم بالتوفيق والكفاية وهم الهداية والى الملائكة ان يؤمن بهم وانهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وان يحسن عشرة الحفظة منهم بان لا يفعل بحضرتهم ما يكرهون والى الجن ان اتفق لقاؤهم والدعوة الى الخير وترك الشر والى شياطينهم بالدعاء لهم كالكفار الانس بالاسلام وقد أكرمهم الشارع وأقرأهم بان جعل العظم زادهم والروث لدوابهم ولنا فيه أسوة حسنة والى الحيوان بان لا يجيعه وأن لا يعطشه ولا يضربه بغير موجب ولا يكلفه من العمل ما لا يطيقه ولا يستمر راكبا على الدابة وهي واقفة الا لحاجة وقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم رأى في النار امرأة حميرية تعذب بسبب هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تسقها ولم تدعها تأكل من خشاش الارض حتى ماتت وان تلك المرة تنهشها في قبلها ودبرها اذا أقبلت تنهشها واذا أدبرت تنهشها وخشاش الارض بعجمات حشراتها وقال أبو سليمان الداراني ركبت مرة حمارا فضربته مرتين أو ثلاثا فرفع رأسه ونظر الي فقال يا أبا سليمان

يحضر صلاة الجماعة وكان صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال أعوذ بالله العظيم ووجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم وقال من قال ذلك قال الشيطان عصم مني سائر اليوم وقال صلى الله عليه وسلم ان أحدكم اذا أراد ان يخرج من المسجد تداعت جنوده ابليس واجتمعت كما تجتمع النحل على يعسوبها فاذا قام أحدكم على باب المسجد فليقل اني أعوذ بك من ابليس وجنوده فانه اذا قالها لم يضره ما له في الاذكار وقال ابن عباس رضي الله عنهما

كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قدم رجله اليمنى وقال وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا اللهم عبدك وزائرك وعلى كل مزور حق وأنت خير مزور فاسألك برحمتك ان تقلب رقبتي من النار واذا خرج قدم رجله اليسرى وقال اللهم صب على الخير صبا ولا تنزع مني صالح ما أعطيتني ولا تجعل معيشتي كذا حكاه القرطبي في سورة الجن وعن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا أبا ذر ان الله تعالى يعطيك مادمت جالسا في المسجد بكل نفس تتنفس فيه درجة في الجنة وتصلي عليك الملائكة ويكتب لك بكل نفس تتنفس فيه عشر حسنات ويمحى عنك عشر سيآت وقال البغوي في المصابيح قال جبريل اني دنوت من الله دنوا ما دنوت مثله قط قال كيف كان يا جبريل قال كان بيني وبينه سبعون ألف حجاب من نور فقال شر البقاع أسواقها وخير البقاع مساجدها وكان صلى الله عليه وسلم يخرج الى السوق ويشتري لعياله حاجتهم فسئل عن ذلك فقال أخبرني جبريل ان من يسعى على عياله ليكفهم عن الناس فهو في سبيل الله فاذا أراد رجل ان يحمل معه قال صلى الله عليه وسلم صاحب الشيء أحق بحمله لانه وقال صلى الله عليه وسلم الاسواق مواد الله تعالى وقال في الاحياء لا تكن أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منه وقال صلى الله عليه وسلم السوق دارسه ورغفلة فمن سبح الله فيها

القصاص يوم القيامة فان شئت فاقلل وان شئت فاكثر قال فقلت لا أضرب شيئا بعده فمن أحسن من ذلك كله فقد أوتي خيرا كثيرا وشرا كبيرا وقوله على كل شيء قاعدة الحديث الكلية ثم ذكر من جزئياته التخفيف في القتل والذبح اما الان سبب الحديث الذي هو فعل الجاهلية اقتضاه فانهم كانوا يمثلون في القتل بجدع الانف وصلم الاذن وقطع اليد والرجل وبقر البطن وشق الكبد وكانوا يذبحون بالمدى الكالة والعظم والقصب مما يعذب الحيوان واما الان القتل والذبح غايته ما يفعل من الاذى فاذا طلب الاحسان فيهما ففي غيرهما أولى فقال (فاذا قتلتم) قصاصا أو حدا اذ لا قتل في الشرع غير ذلك (فاحسنوا) يستثنى منه قتل قاطع الطريق بالصلب والزاني المحصن بالرجم لورود النص بذلك قيل ونحو حشرات وسباع والفواسق الخمس لانها مؤذية وقد خرج بالنص فلا حظ له في الاحسان وفيه نظر اذ جواز قتلها أو وجوبه لا ينافي احسان كيفيته (القتلة) بكسر القاف هيئة القتل مثل الجلسة والركبة بكسر الجيم والراعفية الجلوس والركوب وبالفتح المصدر واحسان القتلة اختيار أسهل الطرق وأخفها ايلاما وأسرعها ازهاقا وأسهل وجوه قتل الآدمي ضربه بالسيف في العنق ولذا يكره قتل القمل والبق والبراغيث وسائر الحشرات بالنار لانه من التعذيب وفي الحديث لا يعذب بالنار الا رب النار قال الجزولي وابن ناجي وهذا لم يضطر لكثرتها فيجوز حرقي ذلك بالنار لان في تتبعها بغير النار حرجا ومشقة ويجوز نشرها للشمس قال الاقفهسي وقتلها بغير النار بالغمس والعرك جائز لقوله صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن حشرات الارض تؤذي أحدا فقال ما يؤذيك فلك أذيته قبل أن يؤذيك وما خاف للاذاية فابتداؤه للاذاية جائز (واذا ذبحتم) ما يحل ذبحه من البهائم (فاحسنوا الذبحة) بالكسر أي هيئة الذبح وجاء في بعض الروايات فاحسنوا الذبح بفتح الذال وبكسرها وهو المصدر وهي التي في أكثر نسخ صحيح مسلم فلا تؤكل المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما ذكر معها واحسان الذبح في البهائم الرفق بها قبل الذبح وعند الذبح وايضاح المحل بان يأخذ بيده اليسرى جلد حلقها من تحتها الاسفل بالصوف أو غيره حتى يظهر من البشرة موضع الشفرة وضجعها وارادة ذبحه على شقه الايسر لانه أمكن للذابح حيث كان يفعل باليمين أكثر وكان أضبط وهو الذي يفعل بيديه جميعا وأما الاعسر فيضجعها على الايمن والنية والتسمية مع الذكر وقطع الحلقوم والودجين ويكون ذلك من المقدم لا من القفا (وليحد) بسكون اللام للامر وبضم الياء من أحد وبفتحها من حد (أحدكم شفرته) بفتح الشين المعجمة وقد تضم وهي السكينة العريضة وأفضل الشفرة حديد السكين وشفرة السيف حده وشفير جهنم حرفها وشفير الوادي طرفه وشفير العين منبت شعر الجفن وحينئذ فتسمية السكين بالشفرة من باب تسمية الشيء باسم جزئه والاحداد واجب في الكالة ومندوب في غيرها وينبغي مواراتها عن الناس فقد روى الجلال والطبراني أنه صلى الله عليه وسلم مر برجل واضع رجله على صفحة شاة وهو يحد شفرته وهي تلحظ اليه ببصرها فقال أفلا قبل هذا أتريد أن تميتها موتتين هلا أحددت شفرتك قبل أن تضجعها وعن مالك أن عمر رأى رجلا يحد شفرته وقد أخذ شاة ليذبحها

تسبيحة كتب الله له بها ألف حسنة وقال صلى الله عليه وسلم لرجل اذا دخلت السوق فقل اللهم انى أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها اللهم انى أعوذ بك أن أصيب بها يمينا فاجرة أو صفقة خاسرة وفى حديث من أخرج من المسجد أذى بنى الله له بيتا فى الجنة وقال صلى الله عليه وسلم من أسرج فى المسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يصلون عليه ما دام ذلك الضوء فيه وان مهر الحور العين ١٦٤ كنس غبار المسجد وقال صلى الله عليه وسلم لتميم الدارى لما علق القناديل فى المسجد

نورت الاسلام نور الله عليك فى الدنيا والآخرة لو كان لى بنت لزوجتكها فقال رجل يا رسول الله أنا أزوجه ابنتى فزوجه اياها (فائدة) قال ابن بطال فى شرح البخارى الحديث فى المسجد خطيئة يجرم بها الحدث استغفار الملائكة ودعاؤهم المرجو بركته وهو عقاب له عما آذاهم من الرائحة الخبيثة بخلاف النخامة فانها وان كانت حراما فانها كفارة وهى دفنها فمن أراد الفضيلة التامة فليمكث فى المسجد منتظرا وان جوز العلماء رضى الله عنهم اعتكاف الحدث وفى الحديث الحديث فى المسجد تأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش (قوله وعيط الاذى) أى تنحى ما يؤذى المارة من حجر أو شوط أو نجس عن الطريق (صدقة) على المسلمين وأخرت هذه لانها أدون مما قبلها كما يشير اليه قوله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا اله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق قيل

فضربه بالدرة وقال أتعذب الروح الا فعلت هذا قبل ان تأخذها وقد نهى عليه السلام عن صبر البهائم ولعن من اتخذ شيأ فيه الروح غرضا (وليرح) بضم المثناة تحت (ذبيحته) اسقها اعند الذبح واضجاعها بحيث تسهل غيروهر وتعجيل امرار السكين عليها بقوة لتسترع موتها والامهال بساطها حتى تبرد وان لا يحد السكين بحضرتها كما مر ولا يجرها من موضع لآخر فقد روى ابن ماجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر برجل وهو يجر شاة باذنها فقال دع أذنها وخذ بسالفتها أى وهو مقدم العنق * وروى عبد الرزاق عن الوضين ابن عطاء ان جزارا ضجع بابا على شاة ليذبحها فانفلتت منه حتى جاءت النبى صلى الله عليه وسلم فاتبعها فاخذ يسحبها برجلها فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم أصبرى لامر الله وأنت يا جزار فسقها الى الموت سوقا رفيقا * وروى عن عمر أنه رأى رجلا يجر شاة برجلها ليذبحها فضربه بالدرة وقال قدها الى الموت سوقا جميلا * وعن الامام مالك جواز جرها الى مذبحها * وعن أبى الحسن انه ذكر له ذبح شاة وأخرى تنظر سيما ابنتها أو أمها فعن نوف البكالى ان صديقا ذبح عجلا بين يدى أمه فجعل وفى رواية فبينما هو ذات يوم تحت شجرة وفيها وكر فيه فرخ فوقع الفرخ منه للارض ففتح فاه وجعل يصئ فرحمه وأخذه وأعاده لوكره فرد الله اليه عقله أو يده كما كانت ومن الاحسان اليها ان لا تحمل فوق طاقتها ولا تركب واقفة الا لحاجة ولا تحلب منها ما يضر بولدها ولا يشوى السمك والجراد حتى يموت والذبيحة فعيلة بمعنى مفعولة أى مذبوحة باعتبار ما يئول اليه وتأوها النقل من الوصفية الى الاسمية لان العرب اذا وصفوا بفعيل مؤنثا وذكروا الموصوف حذفوا التاء من فعيل اكتفاء بتأنيث الموصوف فقالوا امرأة قتيل وعين كحيل وشاة ذبيح فاذا حذفوا الموصوف أثبتوا التاء فقالوا قتيلة بنى فلان وذبيحتهم لعدم زال على التأنيث حينئذ وتعرب حينئذ اسما لاصقة فاتضح ان التاء للنقل من الوصفية الى الاسمية فهو من عطف الخاص على العام لان احداد الشفرة وراحة الذبيحة من جملة الاحسان اليها الا انه خصه بالذكر لبيان فائدته اذ الذبح آلة كالة يعذب الذبيحة وربما أدى ذلك لتحريمها لعدم حصول الذكاة الشرعية (رواه مسلم) وكذا الامام أحمد وأصحاب السنن الاربعة وهو من قواعد الدين العامة

* (الحديث الثامن عشر) *

(عن أبى ذر) بالذال المعجمة المفتوحة وتشديد الراء (جندب بن جنادة) بضم الجيم فيهما وتثليث دال الاول وقيل اسمه برير بضم الباء الموحدة وراء مكررة ابن جندب وقيل جندب بن عبد الله وقيل جندب بن السكن والمشهور جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن الوقيهة بن حرام بن غفار بن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناف بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان قاله ابن الكلبى ويقال جندب بن جنادة بن قيس بن عمرو بن مليل بن صغير بن حرام بن غفار وتواضعه وزهده مشهوران فى الحديث بتواضع عيسى عليه السلام وزهده وكان يتعبد قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قديما ويتوجه أينما وجهه الله فانطلق هو وأخوه أنيس حتى نزلا بحضرة مكة فذهب أخوه وأبطا عليه ثم جاء فقال له ما حبسك قال لقيت رجلا بزعم انه أرسله الله على دينك فقال له ما تقول الناس فيه قال

وتسن كلمة التوحيد عند اماطة الاذى ليجمع بين أعلى الايمان وأدناه وشرط الثواب على هذه الاعمال خلوص النية فيها وفعلها لله وحده كما دلت عليه الاخبار * (تنبيه) * فى بعض طرق مسلم يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهى عن المنكر صدقة ويجزى عن ذلك ركعتان

يركعهما في الضحى أي يكفي عن هذه الصدقات عن هذه الاعضاء كلها ركعتان من الضحى لان الصلاة عمل يجتمع الاعضاء فاذا صلى العبد فقد قام كل عضو منه بوظيفة وأدى شكر نفسه قال العلائي في تفسير سورة العنكبوت الصلاة عرس الموحدين فانه يجتمع فيها ألوان العبادات كما ان العرس يجتمع فيه ألوان الطعامات فاذا صلى العبد ركعتين يقول الله تعالى مع ضعفك أتيت بألوان العبادة قياما وقعودا وركوعا وسجودا وقراءة وتهليلا وتحميدا وتكبيرا وسلاما فاناما مع جلالي ١٦٥ وعظمتي لايحمل مني أن أمنعك

جنة فيها ألوان النعيم أوجبت لك الجنة بنعيمها كما عبدتني بألوان العبادة وأكرمك برزقي كما عرفتني بالوحدانية فاني لطيف أقبل عذرك وأقبل منك الخير برحمتي فاني أجد من أعذبه من الكفار وأنت لاتجد الا خيرا بفتح سيأتك عبدي لك بكل ركعة قصر في الجنة وحور اه وبكل ركعة نظرة الى وجهي * وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى الضحى يقرأ في الركعة الاولى فاتحة الكتاب وآية الكرسي عشر مرات وفي الثانية فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد عشر مرات استوجب رضوان الله الاكبر وفي كتاب النورين في اصلاح الدارين عنه صلى الله عليه وسلم صلاة الضحى تجلب الرزق وتنفي الفقر وقال صلى الله عليه وسلم لايحافظ على صلاة الضحى الا

قال يقولون انه شاعر وساحر وكاهن ولكن سمعت قول الكهان فما هو بقولهم وقد وضعت قوله على اقراء الشعر فوالله ما يلتئم والله انه لصادق وانهم لكاذبون فقال له أبو ذر هل أنت كافي حتى أنطلق فانظر قال نعم وكن من أهل مكة على حذر فانطلق أبو ذر حتى قدم مكة فلقي رجلا فقال له أين هذا الرجل الذي تدعونه الصابئ فاغرى عليه من عنده فمالوا عليه بكل مدرة وعظم حتى أدموه وخر مغشيا عليه فلما أفاق أتى زمزم فشرب من مائها وغسل عنه الدم ودخل بين الكعبة وأستارها ولبث ثلاثين يوما وليلة ماله طعام الا ماء زمزم وسمن حتى تكسرت عكن بطنه وما وجد جوعا في تلك المدة فبينما أهل مكة في ليلة قمراء وما يطوف بالبيت غير امرأتين فأتيا عليه وهما يدعوان أسافا ونائلة فقال أنكحا أحدهما الآخر فانطلقا يولولان ويقولان لو كان ههنا أحد من أنفارنا فاستقبلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وهما هابطان من الجبل فقالا مالكما فقالت الصابئ بين الكعبة وأستارها فقال ما قال لكما قالتا قال لنا كلمة تملأ الفم قال فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وصاحبه حتى استلم الحجر وطاف بالبيت ثم صلى فأتاه وأسلم على يديه وهو أول من حياه بتحية الاسلام فقال وعليك السلام ورحمة الله فمن أنت فقال ابن غفار وأخبره بمقامه بين الكعبة وأستارها تلك المدة فقال له فمن كان يطعمك فقال له ما كان لي طعام الا ماء زمزم فقال أبو بكر ائذن لي يا رسول الله في طعامه الليلة فاذن له وانطلق النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وهو معهما حتى فتح أبو بكر بابا فجعل يقبض لهما من زبيب الطائف وكان ذلك أول طعام أكله بمكة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني وجهت الى أرض ذات نخل فلا أحسبها الا يثرب فهل أنت مبلغ عني قومك لعل الله عز وجل أن ينفعهم بك فيأجرك فيهم فانطلق حتى أتى أخاه أنيسا فقال له ما صنعت فاخبره بانه أسلم وصدق فاسلم أخوه أنيس وصدق ثم أتيا أمهما فاسلمت وصدقت ثم أتوا قومهم غفارا فاسلم بعضهم قبل أن يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقال بقيتهم اذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أسلمنا فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وأسلم بقيتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله ولما أمره صلى الله عليه وسلم بالرجوع الى قومه قال والذي نفسي بيده لاصرخن بها بين ظهرانيهم فخرج حتى أتى المسجد ونادى بأعلى صوته أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقام القوم وضربوه حتى أضجعوه وأتى العباس فاكب عليه وقال ويلكم ألستم تعلمون انه من غفار وان طريق تجارتكم الى الشام عليها فانقذه منهم ثم عاد من الغد الى مثلها وثاروا اليه فضربوه فأكب عليه العباس فانقذه روى عنه انه قال أنا رابع أربعة في الاسلام ويقال كان خامس خمسة ولما رجع الى بلاد قومه أقام فيها حتى مضت بدر وأحد والخندق ثم هاجر الى المدينة ووصفه النبي صلى الله عليه وسلم في عدة أحاديث بانه أصدق الناس لهجة وفي رواية ما أظلت الخضراء أي السماء ولا أقلت الغبراء أي حملت الارض أصدق لهجة من أبي ذر وقال علي في حقه وعاء ملئ علما ثم أوكئ عليه فلم يخرج منه شئ حتى قبض وروي ان رجلا من أهل البصرة ركب الى زوجة أبي ذر بعد موته فسألها عن عبادته فقالت كان نهاره أجمع في ناحية يتفكر وقام يوما عند الكعبة فقال

أواب وقال صلى الله عليه وسلم ان في الجنة بابا يقال له باب الضحى فاذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كانوا يداومون الضحى هذا بابكم فادخلوه برحمة الله رواه الطبراني وأقل الضحى ركعتان وأكثرها ثمان ركعات وقيل اثنا عشر ووقتها من ارتفاع الشمس الى الاستواء (خاتمة) أخرج أبو داود والنسائي من قال حين يصبح اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لاشريك لك فلك الحمد ولك الشكر فقد أدى شكر ذلك اليوم ومن قالها حين يمسي فقد أدى شكر ليلته اللهم اجعلنا الا لك

ذاكرين ولنعمائك شاكرين آمين والحمد لله رب العالمين * (المجلس السابع والعشرون في الحديث السابع والعشرين) *
الحمد لله عالم السر والنجوى وكاشف الضر والبلوى الذي خلق فسوى وأخرج المرعى والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله
وأصحابه مصابيح الهدى (عن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال البر حسن الخلق والاثم ما حاك في
النفس وكرهت ان يطلع عليه الناس ١٦٦ رواه مسلم وعن وابصة بن معبد رضي الله عنه قال أتيت رسول الله صلى الله عليه

وسلم فقال جئت تسأل عن البر قلت نعم فقال استفت قلبك البر ما اطمأنت عليه النفس واطمأن اليه القلب والاثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وان أفتاك الناس وأفتوك حديث حسن رويناه في مسند الامامين أحمد بن حنبل والدارمي باسناد جيد) اعلموا اخواني وفقني الله وإياكم لطاعته ان هذا الحديث من جوامع الكلم التي أوتيها صلى الله عليه وسلم وهو في الحقيقة حديثان لكنهما لما تواردا على أمر واحد كانا كالحديث الواحد فقال الثاني كالشاهد للاول (قوله البر) أي معظمه وضده الفجور والاثم فلذلك قابله وهو بهذا المعنى عبارة عما اقتضاه الشرع وجوبا أو ندبا أي كما ان الاثم عبارة عما نهى الشرع عنه وقد يقابل البر بالعقوق فيكون عبارة عن الاحسان كما ان العقوق عبارة عن الاساءة (قوله حسن الخلق) يدخل فيه طلاقة الوجه وكف الاذى وبذل السماط القرى وان يحب للناس ما يحب لنفسه والانصاف في المعاملة والرفق في المجادلة والعدل في الاحكام والاحسان في السر والايثار في العسر وحسن الصحبة ولين الجانب واحتمال الاذى وفعل الواجبات واجتناب المحرمات وفي الحديث ان الله كريم يحب مكارم الاخلاق وأنشدوا بمكارم الاخلاق كن متخلقا * ليفوح مسك ثنائك العطر الشذي وانفع صديقك ان أردت صداقة *

يا أيها الناس أنا جنب الغداري هلموا الى الناصح الشفوف فاكتنفه الناس فقال أرأيتم لو ان أحدكم أراد سفرا أليس يتخذ من الزاد ما يصلحه ويبلغه قالوا بلى قال فسفر طريق القيامة أبعد ما تريدون فخذوا ما يصلحكم قالوا وماذا يصلحنا قال حجوا حجة لعظائم الامور وصوموا يوما شديدا حره لطول يوم النشور وصلوا ركعتين في سواد الليل لوحشة القبور وكلمة خير تقولونها أو كلمة شر تسكتون عنها لوقوف يوم عظيم تصدق بمالك لعلك تنجو واجعل الدنيا مجلسين مجلسا في طلب الحلال ومجلسا في طلب الآخرة والثالث يضرك ولا ينفعك لا ترده اجعل المال درهمين درهما تنفقه على عيالك من حله ودرهما تقدمه لآخرتك والآخر يضرك ولا ينفعك لا ترده ثم نادى يا علي صوته يا أيها الناس قد قنا كم حرص لا تدركونه أبدا ولما خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك أبطأ جمله فانيخ من الاعياء والتعب فتخلف عن الجيش فاخذ متاعه وحمله على ظهره وسار حتى ادرك رسول الله صلى الله عليه وسلم نازلا بالجيش وكانوا قبل وصوله قالوا يا رسول الله تخلف أبو ذر وابطأ به بعيره فقال دعوه فان يك فيه خير فسيلحقه الله بكم وان يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه فلما أشرف على القوم قالوا يا رسول الله ان هذا الرجل يمشي على الطريق وحده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أبا ذر فلما أمله القوم قالوا يا رسول الله هو والله أبو ذر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده وكان في صدر الاسلام يجب على الشخص انفاق ما فضل عن الحاجة في اليوم والليلة ثم نسخ ذلك وكان أبو ذر يرى بقاء الوجوب وان ما زاد عن حاجة اليوم والليلة لا يجوز ادخاره وانه من الكنز الذي ذمه الله بقوله والذين يكنزون الذهب والفضة الآية وكان ينادي به في الاسواق في الشام لانه خرج اليها بعد موت أبي بكر فرآها معاوية فلم يتمش فشكاه الى عثمان ودس عليه معاوية رجلا بالف دينار وقال له الامر أمري معاوية أرسل لك هذه ففرقها جميعا ولم يبت عنده منها شيء ثم حضر له ذلك الرجل بار معاوية وقال اني غلطت في اعطائي لك الالف دينار وانما ارسلني لغيرك وأنا أخشى ان بعاقبني معاوية على ذلك فقال له ياهناه والله ما أمسى عندنا من دراهمك شيء ولكن اصبر حتى يصير عطاؤنا فندفع ذلك اليك ثم ان عثمان كتب له ان يقدم عليه فقدم فقال له ان شئت تنحيت فكنت قريبا فاجابه ونزل بالربذة ولما حضرته الوفاة بكت زوجته فقال لها ما يبكيك قالت ومالي لا أبكي وأنت تموت بفلاة من الارض ولا يدان لي فيك وليس معنا ثوب يسعك كفنا ولا لك فقال لا تبكي وأبشري فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يموت بين امرأين مسلمين ولدان أو ثلاثة فيصبران ويحتسبان فيريان النار أبدا واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنفر أنا فيهم ليموتن رجل منكم بفلاة من الارض يشهده عصابة من المؤمنين وليس من أولئك النفر أحد الا وقد نال في قريته وجماعته وأنا الذي أموت بفلاة من الارض والله ما كذبت ولا كذبت فابصري الطريق قالت فقلت اني وقد ذهب الحاج وانقطعت الطريق فقال انظري فكنت أستند الى الكثيب فاقوم عليه ثم ارجع اليه فارضه قالت فبينا أنا كذلك اذا أنا برجال على رواحلهم كأنهم الرخم فالتحت بثوبي فاسرعوا الي ووضعوا

وادفع عدوك بالتي فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم (قوله) وأفضل البر بعد الوالدين قال الله تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا وقد قرن الله تعالى ذكرهما في غير موضع من كتابه ولهذا قال العلماء أحق الناس بعد الخالق المنان بالشكر والإحسان والتزام البر والطاعة له والإذعان من قرن الله سبحانه وتعالى الإحسان إليه بعبادته وشكره بشكرهما والوالدان كما قال تعالى أن اشكر لي ولوالديك إلى المصير وفي الحديث رضا الرب في رضا الوالدين وسخطه في سخط الوالدين ﷺ وعن أبي أمامة أن رجلا قال يا رسول الله ما حق الوالدين على ولدهما قال هما جنتك ونارك رواه الدارقطني وغيره وقد قيل لما صرف الله تعالى سليمان عن ذبح الهدهد لأنه كان بارا بوالديه ينقل الطعام إليهما في الريح وقال سفيان بن عيينة قدم رجل من سفره فصادف أمه نائمة تصلي فكره أن يتعدى وهي قائمة فعلمت ما أراد فقالت ليؤجر وصفة البر أن تكفيهما ما يحتاجان إليه وتكف عنهما لأذى وتداريهما مداراة الطفل الصغير لا تضجر من حوائجهما وتستغفر لهما عقب صلواتك ولا تجوجههما إلى التعب وتحمل أذاهما ولا تمل صوتك على صوتهما ولا تخالفهما فيما لا يكون فيه خرق للشرع فإذا أمرك بما فيه خرق للشرع كترك الفرائض وحجة الإسلام

السياط في نحورها يتبقون الى فقه لوا مالك يا أمة الله تقلت امرأ من المسلمين تكفنونه فانه يموت فقالوا ومن هو قلت أبو ذر قالوا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نعم قالت فقدوه بأبائهم وأمهاتهم وأسرعوا اليه حتى دخلوا عليه فسلموا عليه فرحب بهم وقال ابشروا فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يموت بين امرأتين مسلمين ولدان أو ثلاثة فيصبران ويحتسبان فيريان النار أبدا وسمعته يقول لنفر كنت فيهم ليموتن رجل منكم بفلاة من الارض يشهده عصابة من المؤمنين وليس من أولئك النفر أحد الا وقد هلك في قرية وجماعة وأنا الذي أموت بفلاة من الارض والله ما كذبت ولا كذبت وانه لو كان عندي ثوب يسعني كفنا أو لامرأتي ثوب يسعني كفنها لم أكفن الا في ثوب هو لي أو لها وانى أنشدكم الله لا يكفنني منكم رجل كان أميرا أو عريفا أو وصيا أو نقيبا قالوا وليس من القوم أحد الا وقد فارق من ذلك شيئا الا فتى من الانصار قال أنا أكفنك في ردائي هذا وفي ثوبين من غزلي أمي قال فكفني أنت فكفنه الانصاري ودفنه هو والنفر الذين كانوا معه وفي رواية أخرى انه أوصى زوجته وغلامه في مرضه أن يغسلاه ويكفناه ويحملاه على قارعة الطريق فأول ركب يمر بكما فقولا له هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعينونا على دفنه فلما مات فعلا ذلك وأقبل عبد الله بن مسعود في رهط من أهل الكوفة فوجدوا الجنازة على ظهر الطريق قد كادت الابل تطؤها فقام اليهم الغلام وقال هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعينونا على دفنه فاستهل عبد الله بن مسعود يبكي ويقول صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم تمشي وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك ثم نزل هو وأصحابه وصلوا عليه ووارروه وروى له مائتا حديث واحد وثمانون حديثا اتفقا منها على اثني عشر وانفرد البخاري بحديثين ومسلم بسبعة عشر (وأبي عبد الرحمن بن معاذ بن جبل) بن عمرو بن أوس بن عامر بن عائذ بن عدي بن كعب بن عمرو بن أدد الانصاري المدني أسلم وعمره ثمان عشرة سنة وشهد العقبة مع السبعين وبدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأردفه رسول الله صلى الله عليه وسلم وراءه وبعثه الى اليمن بعد غزوة تبوك وخرج معه يشيعه ويوصيه ومعاذ راكب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي فلما فرغ قال يا معاذ انك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا ولعلك تمر بمسجدي هذا وقبري فبكى معاذ وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل وعن أبي مسلم الخولاني انه قال أتيت مسجد دمشق فاذا حلقة فيها كهول من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا بشاب فيهم أكحل العين براق الثنايا كلما اختلفوا في شئ ردوه الى الفتى قال فقلت لجليس لي من هذا قال معاذ بن جبل وعن شهر بن حوشب ان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا اذا تحدثوا وفيهم معاذ نظروا اليه هيبة له وقد تقدم في الحديث الثالث عشر ذكر زهده وفضله في الدنانير التي أرسل بها سيدنا عمر اليه وروى ان رجلا جاء الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين اني غبت عن امرأتي سنتين فجئت وهي حبلى فشاور عمر الناس في رجمها فقال معاذ بن جبل يا أمير المؤمنين ان كان لك عليها سبيل فليس لك على ما في بطنها سبيل فاتركها حتى تضع حملها فتركها فولدت غلاما فخرجت

وترك الصلوات الخمس وترك أداء الزكاة وأخذ المال بغير حق وشهادة الزور وما أشبه ذلك فلا تطعهما في هذا وقوله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم لا طاعة لمخلوق في معصية الله ومن البر أن تغضب لهما كما تغضب لنفسك في الموت والحياة واذا أرطبك بالغضب عليهما فاذكر تربيتهما وسهرهما وتعبهما ولا تسافر سفرا غير واجب عليك الا باذنهما وان ظفرت بطعام أو شراب فعليك بايثارهما بما طيبه فطالما آثرك رجاء نوك وسهرا والام مقدمة على الاب في البر لاحاديث الواردة في ذلك (قوله والاثم) أي الذنب

(ماحاك) أى حز نبع أو أثر (فى النفس) فتطرأ وقلقا ونفورا وكراهة بعدم طمأنينتها (قوله وكرهت أن يطلع عليه الناس) أى وجوههم وأماثلهم الذين يستحى منهم وذلك ان النفس لها شهوة من أصل الفطرة بما تحمد عاقبته وما تذم عاقبته ولكن غلبت عليها الشهوة حتى أوجبت لها الاقدام على ما يضرها كما غلبت على السارق والزانى مثلا فاوجبت لهما الحد ووجه كون

ومن ثم أهلك الرياء أكثر الناس فيكره اهتمامها اطلاع الناس على فعلها يعلم انه شر واثم وقضية عموم الحديث ان مجرد خطور المعصية والهم بها اثم لوجود العلامتين فيه لكنه مخصوص بخبر ان الله تجاوز لامتى عما وسوست به نفوسها مالم تعمل به أو تتكلم بل ربما يثاب كما قيل له صلى الله عليه وسلم انا نجد فى نفوسنا ما يتعاظم أحدنا ان يتطق به فقال ذلك صريح الايمان ومثل ذلك من هم برزا مثلا وحاك فى نفسه فنفرت منه لضرب من التقوى فانه يثاب على ذلك ولانه حينئذ يصير من باب قوله تعالى فى الحديث القدسى انما تركها من أجلى اما العزم فهو اثم لوجود العلامتين فيه ولا خصوص يخرجه عن عموم الحديث بل خبر اذا التقى المسلمان

ثنيته فعرف الرجل الثنية فقال ابنى ورب الكعبة فقال عجزت النساء ان يلدن مثل معاذ لولا معاذ هلك عمر وكان تحته امرأتان فاذا كان عند احداهما لم يشرب الماء من بيت الاخرى ثم توفيتا فى اليوم الذى أصابهم بالشام والناس فى شغل فدفنتا فى حفرة فاسهم بينهما أيهما تقدم فى القبر وكان اذا تهجد من الليل قال اللهم قد نامت العيون وغارت النجوم وأنت حى قيوم اللهم طابى للجنة بطى وهونى من النار ضعيف اللهم اجعل لى عندك عهدا ترده الى يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد وقال له النبى صلى الله عليه وسلم يا معاذ انى لاحبك فقال وأنا أحبك والله يا رسول الله قال فلا تدع ان تقول فى دبر كل صلاة اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك وقال يأتى معاذ يوم القيامة بين يدى العلماء برتوة أى برمية سهم وقيل حجر وقيل ميل وقيل مدا البصر وروى ابن مسعود قال ان معاذا كان أمة قانتا لله حنيفا فقال له فروة بن نوفل يا أبا عبد الرحمن ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا فقال ما نسيته هل تدرى ما الامة وما القانت قال الله أعلم قال الامة الذى يعلم الناس الخير والقانت المطيع لله عز وجل والرسول وكان معاذ بن جبل يعلم الناس الخير وكان مطيعا لله ورسوله وجاءه رجل وقال علمنى فقال وهل أنت مطيعى قال انى على طاعتك لحريص قال صم وافطر وصل ونم وا كتسب ولا تأثم ولا تؤمن الا وأنت مسلم واياك ودعوة المظلوم وقال لابنه يا بنى اذا صليت فصل صلاة مودع لا تظن انك تعود اليها أبدا واعلم يا بنى ان المؤمن من يموت بين حسنتين حسنة قدمها وحسنة أخرها ولما أصيب أبو عبيدة فى طاعون عمواس استخلف معاذ بن جبل واشتد الوجع فقال الناس فما ذا دع الله ان يرفع عنا هذا الرجز قال انه ليس برجز ولكنه رحمة ربكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم وشهادة يخص الله بها من يشاء من عباده أيها الناس خافوا ما هو أشد من ذلك ان يغدو الرجل منكم من منزله لا يدرى أمؤمن هو أو منافق وخافوا امارة الصبيان اللهم آت آل معاذ نصيبهم الاوفى من هذه الرحمة فطعن ابناه فقال كيف تجدانكما قالا يا أبانا الحق من ربك فلا تكونن من الممترين قال وانا ستجدنى ان شاء الله من الصابرين ثم طعنت امرأته فهلكت وطعن هو فى ابهامه فجعل يمصها بفيه ويقول اللهم انها صغيرة فبارك فيها فانك تبارك فى الصغير حتى هلك وانما نسب الطاعون الى عمواس وهى قرية بين الرملة وبيت المقدس لانه أول ما بدا منها (رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقى الله) الامر لراويه أو لكل من يتأتى توجيه الامر اليه ليعم كل مأمور حتى لا يختص به مخاطب دون آخر (حيثما كنت) حيث ظرف مكان يضاف للجمل والمراد بها هنا التعميم أى فى أى مكان وأى حال كنت فيه وقيل انها ظرف زمان أى بناء على مجيئها للزمان لان التقوى فى جميع الازمنة أهم منها فى جميع الامكنة لان الثانى يصدق على ما اذا حصل منه تقوى ومعصية فى المجلس الواحد بخلاف الاول ومازائدة وشهادة رواية حذيفة وهذا من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم فان التقوى وان قل لفظها كلمة جامعة بان يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر بقدر الامكان ومن ثم شملت خير الدارين اذ هى تجتنب كل منهى عنه وتفعل كل مأمور به * وسئل على بن أبى طالب رضى الله عنه عن التقوى فقال هى

الخوف

بسببهما فالقاتل والمقتول فى النار قيل هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه ظاهر فى ذلك (قوله فى الحديث الثانى أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت تسأل عن البر قلت نعم) فيه معجزة كبرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أخبره بما فى نفسه قبل ان يتكلم به وفى رواية أحمد أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أريد أن لا أدع شيئا من البر والاثم الا سألت عنه فقال لى ادن يا وابصة فدنوت حتى مست ركبتى ركبته فقال يا وابصة أخبرك

عما جئت تسأل عنه فأتيته فقلت يا رسول الله أخبرني قال جئت تسأل عن البر والإثم قلت نعم قال فجمع أصابعه الثلاث فجعل ينكت بها في صدري ويقول يا وابصة استفت نفسك الحديث (قوله استفت قلبك) وفي رواية نفسك (البر ما اطمأنت اليه النفس) أي سكنت اليه وفي رواية اليه القلب واطمأن اليه القلب (والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر) أي القلب والجمع بينهما تأكيد (قوله وإن أفتاك الناس) أي علماؤهم كما في رواية وإن أفتاك المفتون بخلافه لأنهم إنما يعولون على

الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والقناعة بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل * وقال عمر بن عبد العزيز التقوى ترك ما حرم الله وأداء ما افترضه الله فمن رزق الله بعد ذلك شيئا فهو خير إلى خير * وقيل تقوى الله أن لا يراك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك ولهذا قال بعضهم لشخص إذا أردت أن تعصي الله فاعصه حيث لا يراك أو أخرج من داره أو كل غير رزقه وقال بعضهم من علامة التحقق بالتقوى أن يأتي المتقي رزقه من حيث لا يحتسب وإذا أتاه من حيث يحتسب فما تحقق بالتقوى فإنه قيل في تفسير قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب أي فمن يتق الله في الرزق بقطع العلائق يجعل له مخرجا بالكفاية وقيل من يتق الله يقف عند حدوده ويجتنب معاصيه يجعل له مخرجا يخرج وجه من الحرام إلى الحلال ومن الضيق إلى السعة ومن النار إلى الجنة ويرزقه من حيث لا يحتسب من حيث لا يرجو * وقال سهل بن عبد الله ومن يتق الله باتباع السنة يجعل له مخرجا من عقوبة أهل البدع ويرزقه الجنة من حيث لا يحتسب وقيل ومن يتق الله بالصبر يجعل له مخرجا من الشدائد * وقال ابن عباس مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة * وقال أكثر المفسرين إنها نزلت في عوف بن مالك الأشجعي أسر المشركون ابنا له يسمى سالما فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا الفاقة إليه وقال إن العدو أسر ابني وجزعت الأم فما تأمرنا فقال عليه الصلاة والسلام اتق الله واصبر وأمر ك وإياها أن تستكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فعاد لبيته وقال لامرأته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني وإياك أن نستكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله فقالت نعم ما أمرنا به فجعلا يقولان فغفل العدو عن ابنه فساق غنمهم وجاء بها إلى أبيه وهي أربعة آلاف شاة فنزلت الآية وفي رواية أنه أصاب إبلا من القوم خمسين بعيرا وفي أخرى فأقبلت ابنه من الأسر وركب ناقة للقوم ومر في طريقه لسرح لهم فاستاقه وقال سقا تل الله أصاب غنما ومتاعا وكتب عمر لابنه أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله عز وجل فإنه من اتقاه وقاه ومن أقرضه جازاه ومن شكره زاده فاجعل التقوى نصب عينيك وجلاء قلبك * ولما ولي علي رضي الله عنه بعث رجلا على سرية فقال أوصيك بتقوى الله الذي لا بد لك من لقائه ولا منتهى لك من دونه وهل تملك الدنيا والآخرة إلا بالتقوى * وقال رجل ليونس بن عبيد أوصني فقال أوصيك بتقوى الله والإحسان فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون * وقال له رجل يريد الحج أوصني قال اتق الله فمن اتقى الله فلا وحشة عليه * وفي منهاج العارفين أن بعض الصالحين قال لبعض أشياخه أوصني بوصية قال أوصيك بوصية رب العالمين للأولين والآخرين وهي قوله تعالى ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله * وفي الحديث عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال من أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله ولبعضهم رضي الله عنه

من عرف الله فلم تغنه * معرفة الله فذاك الشقي
ما صنع العبد بعز الغنى * والعز كل العز أن تتقي

ظواهر الأمور دون بواطنها والمراد قد أعطيتك علامة الإثم فاعتبرها في اجتنابه ولا تتمثل ممن أفتاك بمفارقتها (خاتمة المجلس في حسن الخلق) قال الله تعالى لنبيه الكريم صلى الله عليه وسلم وإنك لعلى خلق عظيم وقال عليه الصلاة والسلام حسن الخلق يمن وسعادة وسوء الخلق شؤم وشقاوة * وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا فقيل ما أكثر ما يدخل يا رسول الله الناس الجنة قال تقوى الله وحسن الخلق * وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثلاث من لم تكن فيه لم ينفعه الإيمان أو قال لم يجد طعم الإيمان حلم يرد به جهل الجاهل وورع يحجزه عن المحارم وخلق يداري به الناس وقال رسول الله صلى الله

عليه وسلم إن الخلق الحسن زمام من رحمة الله تعالى والزمام بيد الملك والملك يجره إلى الخير والخير يجره إلى الجنة وإن الخلق السيئ زمام من عذاب الله تعالى في أنف صاحبه والزمام بيد شيطان والشيطان يجره إلى الشر والشر يجره إلى النار * وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال من كان فيه أربع خصال بدل الله سيئاته حسنات يوم القيامة الصدق والحياء والشكر وحسن الخلق (وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا

وألطفهم بأهله (وحكى) عن شقيق البلخي رحمه الله تعالى انه كانت له امرأة سيئة الخلق فقيل له لم لا تفارقها وهي تؤذيك بسوء خلقها فقال ان كانت سيئة الخلق فانا حسن الخلق لو فارقتها صرت مثلها ومع ذلك أخاف أن لا يمسكها أحد غيري لسوء خلقها ومن حسن خلق النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يمزح مع الحسن والحسين رضي الله عنهما في بيته وكانا يركبان عليه ويقولان له الى هنا الى هنا فاحملنا يا مركبنا فيقول نعم نعم الجمل جملكما ونعم الحمل أنتما وسئل صلى الله عليه وسلم أي الاعمال أفضل فقال حسن الخلق وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان الخلق الحسن يذيب الخطايا كما تذيب الشمس الجليد وان الخلق السيئ ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل * وقال وهب بن منبه مثل سيئ الخلق كمثل الفخار المكسور لا يرقع ولا يعاد طينا * وقال الحسن رضي الله عنه من ساء خلقه عذب نفسه ومن كثر ماله كثرت ذنوبه ومن كثر كلامه كثر سقطه وقال أنس بن مالك رضي الله عنه ان العبد ليبلغ بحسن خلقه أعلى درجة في الجنة وهو غير عابد وان العابد ليبلغ أسفل دركة في جهنم بسوء خلقه وفي الحديث ان أفضل ما يوضع في الميزان الخلق الحسن وقيل حسن الاخلاق كنوز الارزاق وقيل جمع الله حسن الخلق في ثلاث كلمات خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقيل سبعة من أخلاق المؤمنين مجالسة الفقراء ومسائلة العلماء ومخالطة الحكماء ومؤانسة الابرار ومجانبة الاشرار ومواظبة العبادات ومكارم الاخلاق * وجاء في حسن خلقه وتواضعه صلى الله عليه وسلم وشرفه وكرمه عن أبي أمامة رضي الله عنه أنه قال قلت لابي سعيد الخدري رضي الله عنه ما ترى فيما أحدث الناس من هذا المطعم والمشرب والملبس والمركب فقال يا ابن الاخ كل لله واشرب لله والبس لله واركب لله وعالج في بيتك من الخيدمة ما كان يعالج النبي صلى الله عليه وسلم في بيته كان

وجاءت في القرآن لمعان الايمان نحو قوله تعالى وألزمهم كلمة التقوى أي التوحيد والتوبة نحو قوله تعالى يا أولي الالباب الذين آمنوا واتقوا أي تابوا واطاعوا نحو قوله تعالى أن أنذروا انه لا اله الا أنا فاتقون وأنذرتكم فاتقون وترك المعصية نحو قوله تعالى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله أي لا تعصوه والاخلاص نحو قوله تعالى فانها من تقوى القلوب والخشية نحو قوله تعالى أعبدوا الله واتقوه أي اخشوه * ولبعضهم

اذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى * تقلب عريانا ولو كان كاسيا
وخير لباس المرء طاعة ربه * ولا خير فيمن كان لله عاصيا

(ولابي الدرداء رضي الله عنه)

يود المرء لو يعطى مناه * وبابى الله الا ما أرادا
يقول المرء فائدتي ومالي * وتقوى الله أفضل ما استفادا

ودخل شخص غيضة كثيرة الاشجار وقال لو خلوت هنا بمعصية من كان يراني فسمع هاتفا يصوت ملأ الغيضة ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير وراود شخص أعرابية وقال لا يرانا الا الكواكب فقالت له أين مكوكبها (وأتبع) بفتح الهمزة وسكون المثناة فوق وكسر الموحدة أحق (السيئة) الصادرة منك صغيرة وكذا كبيرة كما اقتضاه ظاهر الخبر والحسنة بالنسبة اليها التوبة منها فلا ما جئ لقصره على الصغيرة كما فعل الشارح الهيتمي الا انه قرر من اعتقاد المرجئة من أن كل حسنة تكفر السيئة كبيرة أو صغيرة وأصل سيئة سيوئة فقلبت الواو ياء وأدغمت في الاخرى (الحسنة) صلاة أو صوما أو صدقة وان قلت أو تسبيحا أو تهليلا أو استغفارا أو غير ذلك (تمحها) أي السيئة المثبتة في صحف الكاتبين وذلك لان المرض والشيب يعالج بضده كالبياض يزال بالسواد وهو مجزوم بحذف الواو جوابا للامر والمراد اتباعها اياها فعلها بعدها وجعلها تابعة لها أي واقعة بعدها بحيث تقرب منها وهذا مقيد بغير حقوق العباد كالغيبة فانه لا يمحوها الا الاستحلال اذا بلغت من قيلت فيه ٣ بعد ثبات وجه المطلوبة ان أمكن والا فقال ينبغي ان يكثر من الاستغفار والدعاء له لحديث اذا اغتاب أحدكم أحدا فليستغفر له فان ذلك كفارة واعلم ان الصغيرة تكفرها التوبة وحدها واجتناب الكبائر امتثالا وان لم تحصل توبة والعبادات وان لم تحصل توبة أيضا وقد وردان رجلا يسعى بنهار النمار وكنيته أبو مقبل كان له حائوت يبيع فيه تمرا فجاءته امرأة أجنبية حسناء تشتري منه تمرا فقال لها ان داخل الحائوت ما هو خير من هذا فلما دخلت أصاب منها ما يصيب الرجل من امرأته من الضم والتقبيل غير انه لم يجامعها ثم جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له يا رسول الله أصبت حدا فاقمه علي فاعرض عنه فقال له عمر لقد سترك الله لو سترت نفسك ثم كرر ذلك بنهار مرارا وهو يعرض عنه حتى ذكر له القصة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ وضوءا حسنا فتوضأ وصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم فنزل قوله تعالى أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين * وقال صلى الله عليه وسلم ما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد الى مسجد من هذه المساجد الا كتب الله

يعلف الناضح والبقر ويقم البيت ويحلب الشاة ويخصف النعل ويرقع الثوب ويأكل مع الخادم ويطحن مع الخادمة اذا أعيت
ويشتري الشيء من السوق ولا يمنعه من ذلك الحياء أن يعلقه بيده وأن يجعله في ثوبه وينقله الى أهله وكان يصافح الفقير والغني ويسلم
مبتدئا على من استقبله من صغير أو كبير من أسود وأبيض وحر وعبد من أهل الصلاة ليست له حلة لمدخله وأخرى لمخرجه لا يستحي
أن يجيب اذا دعي وان كان أشعث أغبر ولا يحقر ما دعي اليه ولو لم يجد الا حشف الدقل ١٧١ لا يرفع غداءه عشاء ولا عشاءه لغداء

الله له بكل خطوة يخطوها حسنة ويرفعه بها درجة ويحط عنه بها خطيئة وروى البخاري عن ابن
مسعود رضي الله عنه أن رجلا أصاب من امرأة قبلة فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فأنزل الله عز
وجل أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات فقال الرجل الى هذا قال
لجميع أمتي كلهم عظة لمن اتعظ فقال معاذ يا رسول الله هذا له خاصة أم للناس عامة فقال بل للناس عامة
وروى ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني ألممت بذنب عظيم فهل اذا يكفر
عني فقال ذنبك أعظم أم السموات فقال ذنبي أعظم فقال ذنبك أعظم أم الكرسي فقال ذنبي أعظم
فقال ذنبك أعظم أم العرش فقال ذنبي أعظم فقال ذنبك أعظم أم الله أي عفوه قال بل عفو الله أعظم
فقال عليه الصلاة والسلام عليك بالجهاد في سبيل الله تعالى فقال يا رسول الله اني لمن أجبن الناس ولولا
أن أهلي تونسني اذا خرجت ليلا ما كنت أفعله قط فقال عليك بالصيام فقال والله يا رسول الله ما أشبع
من خبز قط فقال له عليك بالصلاة في جوف الليل فقال يا رسول الله لولا أن أهلي يوقظوني لصلاة الصبح
ما قمت فتبسم صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال عليك بكلمتين خفيفتين على اللسان
ثقيلتين في الميزان حبيبتين الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ففعل فلا تعجز أيها
المسكين اذا أتيت سيئة بقلبك أو لسانك أو جوارحك أن تتبعها حسنة من صلاة أو صدقة وان قلت
أو ذكر ولو الباقيات الصالحات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر سبحان الله وبحمده سبحان
الله العظيم فانها أحب الكلام الى الله وحبيب الى الرحمن وخفيف على اللسان وثقيل في الميزان روى
عن منصور بن عمار أنه قال كان فتى من الانصار يقال له ثعلبة وكان يخدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم انه ذات يوم مر بباب رجل من الانصار فاطلع عليه فوجد امرأته تتمشط فكر راجعا ينظر اليها بعينيه
ثم خاف أن ينزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أصبح خرج هاربا من المدينة استحياء من
النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا ألقى جبلا بين مكة والمدينة تنزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم
وقال يا محمد ان الهارب من أمتك بين الجبال يتعوذ من النار فبعث النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن
الخطاب وسلمان الفارسي رضي الله عنهما وقال ائتيا بثعلبة بن عبد الرحمن فخرجا فوجدا راعيا من
رعاة المدينة فقال يا عمر العلك تريد الهارب من جهنم فقال عمر وما علمك بانه هارب من جهنم قال لانه
اذا كان نصف الليل خرج علينا من هذا الشعب واضعا يده على أم رأسه وهو يبكي وينادي ليتك
قبضت روحي مع الارواح وجسمي مع الاجسام فقال عمر اياه أريد فانطلق بهما حتى اذا كان في بعض
الليل خرج عليهما وهو ينادي ليتك قبضت روحي مع الارواح وجسمي مع الاجسام فعداء عمر اليه فلما
سمع حسه قال الامان الامان مني الخلاص من النار فقال له عمر أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال لما ذا فقال لا علم الا انه ذكرك بالامس فبكى وأرسلني اليك فقال يا عمر لا تدخلني على رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا وهو يصلي أو بلال يقول قد قامت الصلاة قال أفعل فلما أتى عمر الى المدينة
وأتى به المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فلما سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وأتم

يصبح تسع أهل أبياته
ما بهن كسرة خبز ولا
شربة سويق هين المؤنة
لين الخليقة كريم
الطبيعة جميل المعاشرة
طلق الوجه بسام من غير
ضحك محزون من غير
عبوس متواضع من غير
ذلة جواد من غير سرف
رحيم بكل مسلم رقيق
القلب دائم الاطراق
لم ينجش قط من شبع
ولم يمد يده الى طمع قال
أبو سلمة رضي الله عنه
فدخلت على عائشة
رضي الله عنها فحدثتها
بهذا الحديث عن أبي
سعيد رضي الله عنه
فقالت ما أخطأ حرفا
واحدا ولكن قصر فيما
أخبرك عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم
لم يملأ قط شبعا ولم يبث
شكواه وكانت العافية
أحب اليه من الغنى
واليسار وكان يصلي
جائعا ويثلو ليله جميع
القرآن حتى يصبح
ولا يمنعه ذلك عن قيام
يومه وصيامه ولو شاء أن

يسأل الله تعالى كنوز الارض وثمارها غدوا وعشيا من شرقها الى غربها لفعل وربما أبكى له رحمة لما أرى به من الجوع وأمسح
بطنه بيدي وأقول يا حبيبي لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول لي يا عائشة ان اخواني من أولي العزم من
المرسلين قد صبروا على ما هو أشد من هذا فصبروا بحالهم ومضوا على ربهم فأكرم مثواهم وأجزل ثوابهم فأستحي أن ترفهت في
معيشتي أن يقصر بي دونهم فأصبر أياما يسيرة أحب الي من أن ينقص من ثوابي شيء أحب الي من اللحوق باخواني يا عائشة قالت فما

سارية رضي الله عنه قال وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا قال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن ذلك بدعة وكل بدعة ضلالة رواه أبو داود والترمذي وقال الحديث حسن) اعلموا الخوان وفقني الله وإياكم لطاعته أن هذا الحديث حديث عظيم (قوله وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي بعد صلاة الصبح وكان صلى الله عليه وسلم يقع ذلك منه أحيانا لا دائما كما في الصحيحين مخافة السآمة منهم وملالهم ولهذا كان ابن مسعود رضي الله عنه يذكر في كل يوم خميس (قوله موعظة) وهي النصح والتذكير بالعواقب (قوله وجلت منها القلوب) أي خافت منها أي من أجلها (قوله وذرفت) بفتح الراء أي سالت (منها العيون) أي دموعها فيه أنه ينبغي للعالم أن يعظ أصحابه ويذكرهم بما ينفعهم في دينهم ودنياهم ولا يقتصر لهم على مجرد الأحكام والحدود والرسوم وأنه ينبغي المبالغة في المواعظة لترتعش منها القلوب فيكون أسرع إلى الإجابة ولهذا كان

صلى الله عليه وسلم اذا خطب وذكر الساعة اشتد غضبه وعلا صوته واحمرت عيناه وانتفخت أوداجه ولذا قال الله تعالى وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا وفي الخبر اذا استبكت الاصوات واختلفت اللغات وأشار الخلائق بالاكف الى رب السموات واشتد البكاء وعلا النداء وظاهر الحنين واشتد الانين وانهملت العيون بابلغ العبرات وأخلصوا التوبة من سوء الموبقات اطلع الله جل جلاله فيقول ملائكتي اني أشوق الى دعائهم من الظمآن الى الماء البارد * وقد اتفق لبعض السلف في وعظهم انه كان يموت في مجلسه الواحد والاثنان كما حكي عن كثير منهم رضي الله عنهم قال بعضهم حضرت مجلس ذي النون المصري رضي الله عنه في فلاة مصر فحسبت من حضر فكان عدتهم سبعين ألفا فتكلم في محبة الله تعالى وما يتعلق بالمحبين وصفاتهم فمات في مجلسه أحد عشر نفسا وماج الناس بالصراخ والبكاء ووقع الى الارض خلق كثير مغشيا عليهم ولم يفيقوا ذلك النهار فنادى بعض مريديه يا أبا الفيض أحرقت القلوب بذكر المحبة فتاوه ذو النون تاوها شديدا وشق قميصه نصفين وقال آه ثم آه واه خلقت رهونهم واستعبرت عيونهم وخالفوا السهاد فعاقروا الرقاد فليلهم طويل ونومهم قليل أحوالهم لا تنفد وهمومهم لا تنقد أمورهم عسيرة ودموعهم غزيرة باكية عيونهم قريحة جفونهم قد عاداهم الزمان وجفاهم الاهل والجيران قد أحرقت المحبة قلوبهم وصفا من الكدر مشربهم لاجرم انهم شربوا بالهنا وبلغوا المنى * وقد حكي ان واعظا كان يعظ الناس فكان يموت في مجلسه الواحد والاثنان والثلاثة وكان بجواره امرأة صالحة من أرباب الاحوال ولها ولد وأخ وكانت تخاف عليهما من الحضور خوفا عليهما وكل يوم تغلق الباب وتخرج ففي بعض الايام خرجت وتركت الباب مفتوحا فخرجا وحضرا المجلس فاتا ممن مات فلما رأت ولديها ميتين في المسجد فقالت في غرة رجب

على القتل والهزيمة كقوله تعالى في آل عمران ان تمسسكم حسنة تسؤهم يعني النصر والغنيمة يوم بدر وان تصبكم سيئة يعني القتل والهزيمة يوم أحد * (وخالق الناس) * أي عامل الناس * (بخلق) * بضمتين وبسكون ثانيه تخفيفا وهو السجية التي طبع عليها وقد عرفوه بانه ملكة للنفس تصدر عنها الافعال بسهولة من غير فكر وروية تخرج بالملكة كل عارض غير قار من الاحوال وبصدوره عن النفس ما يصدر عن الجوارح كالكتابة وغيرها من الصنائع وبقيد السهولة ما كان بصعوبة كالصبر على بعض النوائب وكذا ما صدر بفكر فكلاهما لا يسمى خلقا * (حسن) * والخلق الحسن ملكة نفسانية تحمل صاحبها على كل جميل وفي المفهم الخلق أي من حيث هو أوصاف الانسان التي يعامل بها غيره وهي محمودة ومذمومة فالمحمودة اجمالا أن تكون مع غرائز على نفسك فتنتصف منها ولا تنتصف لها وتفصيلا والعفو والحلم والجود والصبر والرحمة ولين الجانب وتحمل الاذى وقول الهيتمي في شرح الشمائل في تعريفه ملكة نفسانية ينشأ عنها جميل الافعال وكمال الاحوال تعريف للخلق الحسن فقط وقد قال مجاهد في تفسير قوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما انهم اذا أوذوا صفحوا ووصف عبد الله ابن المبارك الخلق الحسن بقوله هو بسط الوجه وبذل المعروف وكف الاذى وسئل سلام بن مطيع عن حسن الخلق فانشأ يقول

تراه اذا ما جئته متهللا * كانك تعطيه الذي أنت سائله

وعن أنس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صافح رجلا لم ينزع يده من يده حتى يكون الرجل هو الذي ينزع ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون الرجل هو الذي يصرف ولم ير مقدما ركبتيه بين جليس قط والاحاديث في مدح الخلق الحسن كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم ما من شئ يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق وان صاحب حسن الخلق ليبلغ درجة صاحب الصلاة والصوم ومنها قوله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال الفم والفرج ومنها قوله عليه الصلاة والسلام خياركم أحسنكم أخلاقا ومنها قوله أفضل ما أعطى المرء الخلق الحسن وعن الحسن انه قال من أعطى حسن صورة وخلقا حسنا وزوجة صالحة فقد أعطى خيري الدنيا والآخرة وفي الحديث خصلتان لا يكونان في مؤمن سوء الخلق والبخل وعن ابن عباس قال موسى عليه السلام يا رب أمهلت فرعون أربعمائة سنة وهو يقول أنا ربكم الاعلى ويكذب آياتك ورسلك فقال الله انه كان حسن الخلق سهل الحجاب فاحببت أن أكافئه وقيل لذي النون المصري من أكثر الناس هما قال أسوأهم خلقا وقال صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا وان العبد ليبلغ بحسن خلقه درجة القائم الصائم وحسن الخلق وان كان جبليا لكن في الحديث رمز الى أنه يمكن اكتسابه والا لم يكن للامر به فائدة كما وردت احاديث في حسن خلقك مع الناس أي عاملهم بطلاقة وجه وجبر الخواطر وكف الاذى فان ذلك مؤد لاجتماع القلوب وانتظام الاحوال وهو جماع الخير وملاك الامر ثم ان الامر به عام خصصه مستحقه فخرج الكفار

لا يخرج الا لحاجة بيانا لفراغ الشيخ وأوان الخروج من المسجد فمن حنت له وقالت له هذين البيتين أصبحت تشهد لا تشهى * عن تلحق القوم يا كوع ويا حجر اللسن متى تنتفخي * تسن الحديد ولا تقطع فوقعا في قلبه كأنهما سهمان فخر ميتا رحمة الله عليهم أجمعين (قوله نقدنا يا رسول الله كلاما موعظة مودع) وذلك لما رأيد مما الفته صلى الله عليه وسلم في تخويفهم وتحذيرهم عما كانوا يألفونه قبل فظنوا ان ذلك لقرب وفاته ومفارقته لهم فان المودع يستقصي مالا يستقصي غيره في القول والفعل كما

نبأ عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يبالغ في وعظ أصحابه عند موته ويوصيهم (قوله فاوصنا) أي وصية جامعة كافية لمن تمسك بها فيه استدعاء الوصية والموعظة من أهلها واغتنام أوقات أهل الدين والخير قبل فوتهم فان أعمار الخيار قصار (قوله قال أوصيكم بتقوى الله) جمع في ذلك كل ما يحتاج اليه من أمور الآخرة اذ التقوى امتثال الاوامر واجتناب النواهي وتكاليف الشرع لا تخرج عن ذلك وقد جعل الله سعادة الدنيا فانية وسعادة الآخرة باقية وسعادة الآخرة انما تحصل بتقوى الله وهي وصية الله تعالى لجميع الامم كما قال تعالى ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا الله والتقوى ثلاث مراتب * الاولى التوقي من العذاب المخلد بالتبرى من الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى * والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك حتى الصغائر عند قوم وهذا التجنب هو المتعارف بالتقوى في الشرع وهو المراد بقوله تعالى ولو ان أهل القرى آمنوا واتقوا وعلى هذه قول عمر بن عبد العزيز التقوى ترك ما حرم الله وأداء ما افترض الله فمن رزق الله بعد ذلك فهو خير الى خير * الثالثة أن يتنزه عما يشغل سره عن الحق تعالى وهذه هي التقوى الحقيقية الخاصة به بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته وقال ابن عمر

فاتبلك

والظالمة فاغلظا عليهم (رواه الترمذي) في السير (وقال حديث حسن) فقط (وفي بعض النسخ حسن صحيح) وهو حديث عظيم وقاعدة الدين

* (الحديث التاسع عشر) *

(عن أبي العباس عبد الله بن عباس) بن عبد المطلب ولد في الشعب وبنو هاشم محصورون قبل خروجهم منه بيسير وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين وتوفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث عشرة سنة وقيل ابن خمس عشرة سنة وصححه أحمد وقيل ابن عشر وتؤيد الاول ما صح عنه من قوله في حجة الوداع وأنا يومئذ قد ناهزت الاحتلام كان حبر الامة ويسمى البحر لغزارة علمه وصح انه صلى الله عليه وسلم دعا له بقوله اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل اللهم علمه الحكمة وتأويل القرآن اللهم بارك فيه واكثر منه واجعله من عبادك الصالحين وكان عمر وعثمان يدعوانه فيشير عليهما مع أهل بدر حتى قال بعضهم لعمر أتدعو هذا الفتى وفي أبنائنا من هو مثله فقال انه من قد علمتم فدعاهم يوما ودعاه معهم فسألهم عن هذه السورة اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فقالوا أمر الله نبيه اذا فتح الله عليه أن يستغفره وأن يتوب اليه فقال له ما تقول يا ابن عباس فقال ليس كذلك ولكنه أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بحضور أجله فقال اذا جاء نصر الله والفتح أي فتح مكة ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا أي ذلك علامة موتك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فقال كيف تلومونني عليه بعد ما ترون وقال له عمر والله انك لأصبح الفتيان وجها وأحسنهم عقلا وأفقههم في كتاب الله عز وجل وقال الحسن كان ابن عباس يقوم على منبرنا هذا فيقرأ البقرة وآل عمران فيفسر هي آية آية وكان عمر اذا ذكره يقول ذاك فتى الكهول له لسان سئول وقلب عقول وقال ابن مسعود نعم ترجمان القرآن ابن عباس لو أدرك أسناننا ما عاشره منا أحد وقال مسروق أدركت ستمائة من الصحابة اذا خالفوا ابن عباس لم يزل يقررهم حتى يرجعوا الى قوله قال وكنت اذا رأيته قلت أجمل الناس واذا تكلم قلت أفصح الناس واذا حدث قلت أعلم الناس وقال عمرو بن دينار ما رأيت مجلسا أجمع لكل خير من مجلس ابن عباس وثبت انه رأى جبريل مرتين وهذا سبب عماه في آخر عمره فانه ورد أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن رآه منه ولم يعرفه فقال له ذاك جبريل أما انك ستفقد بصرك وفي ذلك يقول

ان يأخذ الله من عيني نورهما * ففي لساني وقلبي منهما نور
قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل * وفي فمي صارم كالسيف مأثور

وعنه أيضا انه قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لرجل من الانصار هلم فلنسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم اليوم كثير فقال واعجبا لك يا ابن عباس أترى الناس يفتقرون اليك وفي الناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من فيهم قال فتركت ذلك واقبلت اسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحديث فانه كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتي بابه وهو قائل فاتوسد ردائي فيخرج فيراني فيقول يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء بك هلا أرسلت الى

التقوى أن لا ترى نفسك خيرا من أحد وقد بين الله تعالى ان التقوى خير لباس فقال ولباس التقوى ذلك خير وقيل

اذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى * تجرد عريانا ولو كان كاسيا فخير خصال المرء طاعة ربه * ولا خير فيمن كان لله عاصيا

قيل لبعض الصالحين عند موته أوصنا قال عليكم بآخر آية من سورة النحل ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اوصني قال عليك بتقوى الله فانها اجماع كل خير ١٧٥ وعليك بالجهاد فانه رهبانية المسلمين وعليك بذكر الله فانه نور لك في الارض وذكر لك في السماء واخزن لسانك الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان وقد ذكرت هذا في غير هذا المجلس ومرادي الفائدة ولو مع التكرار لان الشيء كلما كرر حلا وقد اتفقت الامة على فضيلة التقوى وطلبها حتى قال قائلهم

ولا تمش الامر ع رجال قلوبهم
تحن الى التقوى وترتاح الى الذكرى

لان العيش الطيب انما يكون مع الحياة والحياة بزوال الغفلة وزوالها بدوام اليقظة لما خلق له (قوله والسمع والطاعة) جمع بينهما تاكيدا للاعتناء بهذا المقام وهو من عطف الخاص على العام (قوله وان تامر عليكم عبد) أي على سبيل الفرض والتقدير اذ العبد لا يكون واليا ولكن الشارع صلى الله عليه وسلم ضرب المثل

يا آتيك فاقول لا أنا احق ان آتيك فاسألك عن الحديث فعاش ذلك الرجل الانصاري حتى رآني وقد اجتمع الناس حولي يسألوني فيقول هذا الفتى كان أعقل مني وعن أبي صالح قال لقد رأيت من ابن عباس مجلسا لو ان جميع قريش فخرت به لكان لها فخرا رأيت الناس اجتمعوا حتى ضاق بهم الطريق فاكان أحد يقدر ان يجيء ولا يذهب قال فدخلت عليه فاخبرته بمكانهم على بابه فقال ضع لي وضوأ قال فتوضأ وجلس وقال اخرج وقل لهم من كان يريد ان يسأل عن القرآن وحروفه فليدخل قال فخرجت فاذنتهم فدخلوا حتى ملؤا البيت والحجرة فاسألوه عن شيء الا أخبرهم به وزادهم مثل ماسألوه أو أكثر ثم قال اخواتكم فخرجوا ثم قال اخرج فقل من أراد أن يسال عن تفسير القرآن أو تاويله فليدخل قال فخرجت فاذنتهم فدخلوا حتى ملؤا البيت والحجرة فاسألوه عن شيء الا أخبرهم به وزادهم مثل ماسألوه أو أكثر ثم قال اخواتكم فخرجوا ثم قال اخرج فقل من أراد أن يسال عن الحلال والحرام والفقه فليدخل فخرجت فقلت لهم فدخلوا حتى ملؤا البيت والحجرة فاسألوه عن شيء الا أخبرهم به وزادهم مثله ثم قال اخواتكم فخرجوا وقال اخرج وقل من أراد أن يسال عن الفرائض وما أشبهها فليدخل قال فخرجت فاذنتهم فدخلوا حتى ملؤا البيت والحجرة فاسألوه عن شيء الا أخبرهم به وزادهم مثله ثم قال اخواتكم فخرجوا ثم قال اخرج فقل من أراد أن يسال عن العربية والشعر والغريب من الكلام فليدخل فدخلوا حتى ملؤا البيت والحجرة فاسألوه عن شيء الا أخبرهم به وزادهم عليه قال أبو صالح فما رأيت مثل هذا الاحد من الناس وعن ابن عمر ان رجلا اتاه يساله عن قوله تعالى أولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما فقال اذهب الى ذلك الشيخ فاساله ثم قال تعال فاخبرني ما قال فذهبت الى ابن عباس فساله فقال ابن عباس كانت السموات رتقا لا تمطر وكانت الارض رتقا لا تنبت فلما خلق هذه بالمطر وهذه بالنبات فرجع الرجل الى ابن عمر فاخبره فقال ان ابن عباس قد أوتي علما صدق هكذا كانت ثم قال ابن عمر قد كنت اقول ما تعجبني جراءة ابن عباس على تفسير القرآن فالآن قد علمت انه أوتي علما وشتمه رجل فقال له انك تشتمني وفي ثلاث خصال اني لاتي على الآية من كتاب الله تعالى فاود ان جميع الناس يعلمون منها ما أعلم واني لاسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فافرح به ولعامل لا أقاضي اليه ابدا واني لاسمع بالغيث قد أصاب البلد من بلاد المسلمين فافرح به ومالي به ساعة وكان يقول ما بلغني عن أخ لي مكروه قط الا أنزلته أحد ثلاث منازل ان كان فوقي عرفت له ذلك من قدره وان كان نظيري تفضلت عليه وان كان دوني لم احتفل به هذه سيرتي في نفسي فمن رغب عنها فارض الله واسعة وعن طاوس انه قال ما رأيت أحدا كان أشد تعظيما لحرمات الله تعالى من ابن عباس والله لو أشاء اذكرته ان أبكي لبكيت وكان ابن عباس يقول لان أعول أهل بيت من المسلمين شهرا أو جمعة أو ما شاء الله احب الي من حجة بعد حجة ولطبق بدانق اهديه الى أخ لي في الله أحب الي من دينار أنفقه في سبيل الله عز وجل وكان يقول أيضا خذ الحكمة من سمعت فان الرجل ليتكلم بالحكمة وليس بحكيم فتكون كالرمية تخرج من غير رام توفي رضي الله عنه بالطائف سنة ثمان

تقديرا وان لم يكن لقوله من بنى لله مسجدا ولو مفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة ولم يمكن أن يكون مفحص القطاة مسجدا ولكن الامثال يأتي فيها مثل هذا ويجوز أن يكون أخبر عن فساد الزمان حتى يوضع الامر في غير أهله كالعبد فاذا كان فاسمعوا وأطيعوا وتعليل لاهون الضررين وهو الصبر على ولايته من لا تجوز ولايته لئلا يؤدي عدم الطاعة الى فتنة عمياء صماء لا دواء لها ولا خلاص منها هذا ومن المعلوم ان السمع والطاعة انما هما في طاعة الله تعالى كما دلت عليه الاخبار الكثيرة (قوله وانه من يعش منكم فسيرى

(تختلفا كثيرا) هذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم إذا كان عالما بما يقع بعده جملة وتفصيلا وأما صح له كشفه عما يكون الى أن يدخل أهل الجنة والنار منازلهم (قوله فعليكم) أى الزموا حينئذ التمسك (بسنتى) أى طريقتى القويمة التى انا عليها من الاحكام الاعتقادية والعملية الواجبة والمندوبة (وسنة الخلفاء الراشدين المهديين) وهم أبو بكر فعمر فعثمان فعلى فالحسن رضى الله عنهم ومن هنا قال بعض العلماء يقدم ما أجمع عليه الاربعة ثم ما أجمع عليه أبو بكر فعمر وهذا فى حق المقلد الصرف فى تلك الازمنة القريبة من زمن الصحابة أما فى زماننا فقال بعض أئمتنا لا يجوز تقليد غير الائمة الاربعة الشافعى ومالك وأبى حنيفة وأحمد رضوان الله عليهم أجمعين (قوله عضوا عليها بالنواجذ) بالعجمة جمع ناجذ وهو آخر الاضراس الذى يدل بثبته على الحلم من فوق وأسفل من كل من الجانبين فللانسان أربع وهذا كناية عن شدة التمسك بالسنة (قوله وايا كم ومحدثات الامور) أى باعدوا واحذروا الاخذ بالامور المحدثة فى الدين واتباع غير سنن الخلفاء الراشدين (فان ذلك بدعة وكل بدعة ضلالة) وهى لغة ما كان مخترعا على غير مثال سابق وشرعا ما أحدث على خلاف أمر الشارع ودليله الخاص أو العام فان الحق فيما خاطب الشرع وليس بعد الحق الا الضلال وتنقسم البدعة الى أحكام خمسة واجبة كالاشتغال بالنحو واللغة ونحوهما ومحرمة كالمذاهب سائر أهل البدعة المخالفة لاهل السنة ومندوبة كاحداث الربط والمدارس ومكروهة كزخرفة المساجد وتزيين المصاحف ومباحة كالتوسعة فى لذائذ المأكل والمشارب والملابس وتوسيع الاكمام والمصافحة عقب الفجر والصبح وقد قدمنا ذلك ولتعلم أن الترمذى روى مرفوعا تفرقت اليهود على احدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين والنصارى مثل ذلك وتفرقت أمتى على ثلاث

وستين فى خلافة ابن الزبير وقيل سنة تسع وقيل سنة سبعين وهو ابن احدى وسبعين سنة وصلى عليه محمد بن الحنفية وقال اليوم مات ربانى هذه الامة ولما وضع ليصلى عليه جاء طائر أبيض حتى دخل فى أكفانه فالتمس فلم يوجد فلما سوى عليه سمع قائلا يقول يا أيها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى * ولما بلغ جابر بن عبد الله وفاته صفق باحدى يديه على الاخرى وقال مات أعلم الناس وأحلم الناس ولقد أصيبت به هذه الامة مصيبة لا ترتق * (قال كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم) * أى على بغلته لما نقله الواحدى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال أهدى كسرى للنبى صلى الله عليه وسلم بغلة فركبها بحبل من شعر ثم أردفنى خلفه وسارنى ملبا ثم التفت فقال يا غلام الخ وفيه جواز الارداف على الدابة ان أطاقته (يوما) أى فى النهار دون الليل (فقال يا غلام) بضم الميم لانه تكرر مقصودة وخاطبه بذلك لان سنه اذ ذاك كان نحو عشر سنين وأصله من الاغتلام وهو شدة الشبق ويطلق الغلام على الرجل مجازا باسم ما كان عليه كما يقال للصغير شيخ أو مجازا ولفظ رواية أحمد يا غلام أو يا غليم على الشك (انى أعلمك كلمات) ذكر له ذلك قبل ذكر الكلمات ليكون ذلك أوقع فى نفسه اذ حصول الشئ بشوق وتشوف ألذ من الماء البارد على الظمآن الموصول بعد الطلب أعز من المساق بلا تعب والتعليم تنبيه النفس بتصور المعانى وربما استعمل فى معنى الاعلام لكن الاعلام اختص بما اذا كان باخبار سريع والتعليم اختص بما يكون بتكرير وتكثير حتى يحصل منه أثر فى نفس المتعلم وفى رواية سلم يفعل أنه يعلمهن أو يعلمهن أو بالعمل بمقتضاهن أو بهما وجاء بها بصيغة القلة ليؤذنه بانها قليلة اللفظ فسهل حفظها وأعلمه بعظم خطرها ورفعة محلها بتنويهها بتعظيم وتأهيله لهذا الوصايا الخطيرة القدر الجامعة من الاحكام والحكم والمعارف ما يقوق الحصر دليل عن ان المصطفى علم ما يؤل اليه أمر ابن عباس من العلم والمعرفة بكمال الاخلاق والاحوال الباطنة والظاهرة (احفظ الله) أى احفظ دين الله من التضييع والتبديل بان تحفظ أوامره التى أوجبها ونواهيه التى حرمها فتقف عند أوامره بالامتثال وعند نواهيه بالاجتناب فلا يراك حيث نهاك فاذا أطعته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه أحاطك بمعقبات له من بين يديك ومن خلفك يحفظونك من أمر الله وحقيقه الحفظ صيانة المحفوظ من الضياع أو ان يصل اليه أذى (يحفظك) فى نفسك وأهلك ومالك ومصداق ذلك قوله تعالى من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة وما يصيب الانسان من نوائب فانما هو بتضييع أوامر الله وتعديه حدوده بشهادة قوله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم وعبر بقوله يحفظك دون غيره لان الجزاء من جنس العمل ألا ترى الى قوله تعالى وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم وقوله اذكروني أذكركم وقوله ان تنصروا الله ينصركم فمن حفظ الله بما أمره حفظه الله من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته وقد رأى ابراهيم بن أدهم رجلا ناعما وعنده حية فى فمها طاقة نرجس فما زالت تذب عنه حتى استيقظ ومن حفظ الله فى صباه وقوته حفظه الله فى كبره وضعفه بحوله وقوته * وجاز بعض العلماء

وسبعين فرقة وروى هو أيضا ليأتين على أمتي كما أتى على بني اسرائيل حذو النعل بالنعل حتى ان كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك وان بني اسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار الا ملة واحدة قالوا من هي يا رسول الله قال ما أنا عليه واصحابي وروى مالك في الموطأ مرسلا انه صلى الله عليه وسلم قال تركت فيكم أمرين ان تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله فعليكم أيها الاخوان بصحبة طريقتهم فان ملتم عنها نشئت شملكم وملتم عن طريق الله تعالى كما قال تعالى ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله أي طريقه أي فتميل بكم وتفسرقكم طريق البدع عن طريق الحق والمراد بالسنة طريقه صلى الله عليه وسلم والصحابة ومن تبعهم على طريقهم في العقائد والاعمال والاقوال وقد روى النسائي والدارمي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا ثم قال هذه سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وشماله وقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم قرأ ان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه الآية وقال سهل التستري رحمه الله عليكم بالاقتداء بالاثر والسنة فاني أخاف انه سيأتي من قليل زمان اذا ذكر السنان النبي صلى الله عليه وسلم

كالقاضي الحسين البصري والبغوي والجويني مائة سنة وهو متمتع بعقله وقوته وثبت الجويني يوما وثبة شديدة فتكلم بسببها فقال هذه جوارح حفظناها من المعاصي في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر * ونقل عن القاضي أبي الطيب أنه عاش مائة وستين سنة ولم يختل عضو من أعضائه فقيل له في ذلك فقال لم أعص الله بعضو منها وقد يتعدى الحفظ الى ذريته كما في قوله تعالى وكان أبوهما صالحا وكان سعيد بن المسيب يقول لابنه اني لازيد في صلاتي من أجل رجاء أن تحفظ ثم يتلو وكان أبوهما صالحا * وكان عمر بن عبد العزيز يقول لامامن مؤمن صالح يموت الا حفظه الله عز وجل في عقبه وعقب عقبه وقد يتعدى الحفظ الى جيرانه وأهل ناحيته لقول ابن المبارك ان الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده والدويرات التي حوله وعكس هذا ان بعض السلف رأى شيخا يسأل الله تعالى هدا ضيع الله في صغره فضيعه الله في كبره (احفظ الله) بمامر (تجده تجاهك) بضم التاء وفتح الهاء أصله وجاهك بضم واو هو وكسرها ثم قلبت تاء وهو في الاصل بمعنى امامك بفتح الهمزة المصرح به في الرواية الآتية لكنه لاستحالة الجهة عليه تعالى بمعنى معك حفظا واحاطة وتأييدا واعانة فالمعية معنوية لا ظرفية

وأنشد بعضهم

اذا نحن أدلجنا وأنت امامنا * كفى لطفا يا ناب ذكرك هاديا

وهو تأكيد لما قبله ومن ثم أورده بلا عاطف لكمال الاتصال بينهما وخص الامام من بين بقية الجهات الست اشعارا بشرف المقصود بان الانسان مسافر الى الآخرة فقير في الدنيا والمسافر انما يطلب امامه لا غير فكأن المعنى تجده حيثما توجهت وقصدت من أمر الدنيا والدين وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم أرسل سفينة مولاه في أمر فنزل في سفينة فانكسرت بهم السفينة فخرج الى البر فجاءه الاسد فقال أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل الاسد يمشي معه حتى دله على الطريق فلما أوقفه عليها جعل يهمهم كأنه يودعه * وروي أن ابن عمر كان في سفر فلقي جماعة قد وقفوا على الطريق خوفا من السبع فقال انما يسلط على ابن آدم بما يخاف ولو انه لم يخف غير الله لم يسلط عليه شئ وقال المزني قصدت السلام على أبي الخير التيناباذي فلما صلينا المغرب خرجت لاتطهر فقصدني السبع فعدت اليه وأخبرته فخرج وصاح على الاسد وقال له ألم أقل لك لا تتعرض لاصحابي فتنحى عني وتطهرت فلما رجعت قال لي الشيخ اشتغلت بتقويم الظاهر فخفتم الاسد واشتغلنا بتقويم الباطن فخافنا الاسد (اذا سألت) أي اردت ان تسأل شيئا (فاسأل الله) دون غيره ان يعطيك اياه من فضله فانه الغني على التحقيق والمولى لكل خير وتوفيق وخزائن الجود بيده وأمرها اليه لا معطي ولا مانع سواه وأنشد بعضهم

سلم الامر الى مالكه * قبله العلم المحيط الواسع

واطلب المعروف منه دائما * فهو معطي ذاك وهو المانع

وقال طاوس لعطاء اياك ان تطلب حوائج الى من يغلق بابه دونك وعليك من بابه مفتوح الى يوم القيامة أمرك ان تسأله ووعدك ان يجيبك وقال عامر بن قيس قرأت آية في كتاب الله فاستغنيت بالله عن الناس قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو فلم أسأل غيره كشف ضري وقوله

والاقتداء به في جميع أحواله ذموه ونفروا عنه وتبرؤا منه وأذلوه وأهانوه وقال سهل أيضا انما ظهرت البدعة على يدي أهل السنة لانهم ظاهرهم وهم وقالوهم فظهرت أقاويلهم وفشت في العامة فسمعها من لم يكن يسمعها ولو تركوهم ولم يكلموهم لماتت كل واحدة منهم على ما في صدره ولم يظهر منه شيأ وحمله الى قبره فجانبوا يا اخواننا أهل البدعة وفروا منهم فرارا كما من الاسد واحذروا من مجالسة الغافلين المبتدعين التاركين للسنة وهم علامات كثيرة من أعظمها عدم الاستواء في الصلاة فصلاتهم

ممنوعة لعدم التساوي في الوصف وكثيرة الفرح والخلل وتقدم الرجل وتأخرها ولذا الصدر ومنها الاستهزاء بعباد الله الصالحين والذاكرين والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ومن بدعهم اهمال الذكر والقرآن والاشتغال بالجدال والغيبة والهذيان قال سفيان الثوري البدعة أحب الى ابليس من المعصية لان المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها وقال الفضيل رحمه الله من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله وأخرج نور الاسلام من قلبه وفي السنن مرفوعا الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا من بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله فيوشك أن يأخذه وقال سيدي عبد القادر الجيلاني قدس الله سره في كتاب الغنية فعلى المؤمن اتباع السنة والجماعة فالسنة ما سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم والجماعة ما اتفق عليه أصحابه رضي الله عنهم أجمعين في خلافة الائمة الاربعة الخلفاء الراشدين المهديين رضي الله عنهم أجمعين وأن لا يكاثر أهل البدع ولا يبادئهم ولا يسلم عليهم لان الامام أحمد قال من سلم على صاحب بدعة فقد أحبه لقوله صلى الله عليه وسلم افشوا السلام بينكم تحابوا ولا تجالسوهم ولا تبادئوهم ولا تشمتوهم في الاعياد وأوقات السرور ولا يصلى عليهم اذا ماتوا ولا يترحم عليهم اذا ذكروا بل يمابتهم ويعاديهم في الله عز وجل معتقدا محتسبا بذلك الثواب الجزيل والاجر الكثير وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من نظر الى صاحب بدعة بغضا له في الله ملئ قلبه أمنا وايمانا ومن انتهر صاحب بدعة أمنه الله يوم الفزع الاكبر ومن استخف صاحب بدعة رفعه الله في الجنة مائة درجة ومن لقيه بالبشر أو بما يسره فقد استخف بما أنزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر أشياء وقال راويا عن الفضيل واذا علم الله

تعالى وان يرد بك بخير فلا راد لفضله فلم أر دا لخير والفضل الا منه وقوله عز وجل وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فلم أطالب الرزق من غيره فاغناني الله عن الناس بهذه الآيات وقال الفضيل بن عياض احب الناس الى الناس من استغنى عن الناس وأبغض الناس الى الناس من احتاج الى الناس وسألهم وأحب الناس الى الله عز وجل من سأله واستغنى به عن غيره وأبغض الناس اليه من استغنى عنه وسأل غيره وقال ابن السماك ان في طلب الرجل الحاجة من أخيه فتنة ان هو أعطاه حمد غير الله وان أعطاه وان منعه ذم غير الذي منعه أي لانه لا معطي ولا مانع في الحقيقة الا الله تعالى وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال من استغنى بالله عز وجل أحوج الناس اليه ومن دعاء الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك فصنه عن مسئلة غيرك وكان بعضهم يقع سوطه فلا يسأل أحدا يناوله اياه لان السؤال فيه ذل وافتقار وكان بعضهم يقول من احتجت اليه هنت عليه وقال بعض العارفين قيل لي في نوم كاليقظة أو يقظة كالنوم لا تبدين فاقة لغيري فاضاعفها عليك مكافأة بسوء أدبك انما ابتليتك بالفاقة وحكمت لنفسي بالغنى لتنزع منها الى وتتضرع لدي فان وصلتها بي وصلتها بغيري قطعت عنك موادها وبقي وسأل رجل الامام أحمد أن يعظه فقال ان كان الله تكفل بالرزق فاهتمامك لماذا وان كان الرزق مقسوما فالحرص لماذا وان كان الخلف على الله فالبخل لماذا وان كانت الجنة حقا فالراحة لماذا وان كانت النار حقا فالمعصية لماذا وان كانت الدنيا فانية فالطمأنينة لماذا وان كان الحساب حقا فالجمع لماذا وان كان كل شئ بقضاء الله وقدره فالحرز لماذا وقال حاتم الاصم لزوجته لما أراد أن يخرج للغزو كم أنفقت فقالت على قدر حياتي قال حاتم ليس هذا بيدي قالت أمر الرزق أيضا ليس بيدك ثم ما خرج سألتها عجوز وقالت لها غاب حاتم عنك كم أبقى من النفقة لك فقالت لها حاتم كان مر والرزاق ما غاب عني (واذا استعنت) أي طلبت لاعانة على أمر من أمور الدنيا والدين ولذا حذف المعمول المؤذن بالعموم (فاستعن بالله) لانه القادر على كل شئ وغيره عاجز عن كل شئ والاستعانة انما تكون بقادر على لاعانة وأما من هو كل على مولاه لا قدرة له على انقاذ نفسه فضلا عن غيره فكيف يؤهل للاستعانة به أو يتمسك بسببه ومن كان عاجزا عن النفع والدفع عن نفسه عن غيره أعجز لبيت الفعل بهضم نفسه فاستعانة مخلوق بمخلوق كاستعانة مسجون بمسجون فلا تستعن الا بمولاك فهو وليك في أخراك وأولاك كيف تستعين بعبد مع عاجزه فمن لا يستطيع دفع نازلة عن نفسه كيف يدفعها عن غيره من أبناء جنسه فلا تنتظر الا به هو الولي الناصر ولا تعتصم الا بحبله فانه العزيز القادر وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز لا تستعن بغير الله يكلك الله اليه وما أحسن قول الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام لجبريل لما قال له ألك حاجة حين رمي في المنجنيق أما اليك فلا قال سل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي وقال بعض العارفين لا تطلب معونة المخلوق فتتوجه عليك الحقوق وقد لا تفي بها وعليك بالافتقار والانكسار والاضطرار أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء وقال بعضهم لا تكن عبدا الا بان تكون

من رجل انه مبغض لصاحب بدعة رجوت أن يغفر له وان قل عمله واذا رأيت مبتدعا في الطريق فخذ طريقا آخر وقال صلى الله عليه وسلم من أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا يعني بالصرف الفريضة وبالعدل النافلة وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال من اقتدى بي فهو مني ومن رغب عن سنتي فليس مني (خاتمة المجالس)

وهي من أعظم العبادات والقربات وبها ينال أرفع الدرجات والدليل عليه ما رواه الترمذي انه قال صلى الله عليه وسلم لانس رضي الله عنه يا بني ان قدرت ان تصبح وتمسي وليس في قلبك غش لاحد ففعل ثم قال يا بني وذلك من سنتي ومن أحب سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي يوم القيامة في الجنة أمانا الله وايا كم على سنته آمين

(المجلس التاسع والعشرون في الحديث التاسع والعشرين)

الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وتكفل بارزاقنا وأقواتنا وأمرنا بتوحيده في جميع أوقاتنا وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الله يعلم ما نحن عليه من أسرارنا وأنيابنا وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه ما والينا وسادتنا آمين

(عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار قال قد سألت عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله لا تشرك به شيأ وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وصلاة الرجل من جوف الليل ثم تلا تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ يعملون ثم قال ألا أخبرك برأس الامر وعموده وذروة سنامه قلت بلى يا رسول الله قال رأس الامر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد ثم

بعصا لحك بعينك في ما أمرك ربك وما يقوم بامورك الا الله فلا تستعن الا به ولا يستعبدك سواه فهو المسخر لك عباده ثم أكد صلى الله عليه وسلم ما تقدم وحث على التوكل والاعتماد على الله تعالى بقوله (واعلم ان الامة) خطاب لابن عباس والمراد العموم وانما أكد الامر بان حثا على تيقن انه لا نفع ولا ضر الا من الله والمراد بالامة هنا جميع الخلق كما صرح به في رواية أحمد وأما مدلولها وضعا فالجماعة كقوله تعالى أمة من الناس يسقون واتباع الانبياء وكما تقول نحن من أمة محمد صلى الله عليه وسلم والرجل الجامع للخير كقوله تعالى ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا قال الشاعر

وليس على الله بمستنكر * ان يجمع العالم في واحد

والدين والملة كقوله تعالى انا وجدنا آباءنا على أمة وقول بعضهم * وهل يستوي ذو أمة وكفور * وقال الآخر كنا على أمة آبائنا * ويقتدي الآخر بالاول

والزمان كقوله تعالى الى أمة معدودة وقوله تعالى واذكر بعد أمة أي بعد حين وزمان والقامة كقوله فلان حسن الامة أي القامة والرجل المنفرد بدينه الذي لم يشركه فيه أحد كقوله صلى الله عليه وسلم يبعث زيد بن عمرو بن نفيل أمة وحده والام كهذه أمة تزيد أي أم زيد وأما الامة بالكسر فهي النعمة كما قال الجوهري وأما الامة بالفتح فهي شجة في الرأس أفضت للدماغ (لو اجتمعت) أنثه باعتبار اللفظ وذكر ما بعده باعتبار المعنى ولفظ لو بمعنى ان اذا المعنى على الاستقبال كما في قوله تعالى لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم ونكتة العدول هو أن اجتماعهم على الامداد من المستحيلات بخلاف اتفاقهم على الايذاء فانه ممكن من غير المعصومين ولذا قيل

الظلم من شيم النفوس فان تجد * ذا عفة فلعلة لا يظلم

(على ان ينفعوك بشئ) من خير الدنيا والآخرة (لم ينفعوك الا بشئ قد كتبه الله) تعالى (لك) في الازل (وان اجتمعوا على ان يضروك بشئ) زاد أحمد لم يكتبه الله عليك (لم يضروك الا بشئ قد كتبه الله) تعالى (عليك) كما يشهد بذلك قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله وقوله تعالى ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب وبيانه ان أزمة الموجودات بيده منعا واطلاقا فاذا أراد أحد ان يضرك بما لم يكتب عليك دفعه الله تعالى عنك بصرف ذلك الغير عن مراده بعارض من عوارض القدرة الباهرة مانع من الفعل من أصله كمرض أو شغل أو نسيان أو صرف قلب أو من تأثيره ككسر قوس ومعارضة سهم وفساد رمي ومن تيقن ذلك لم يشهد نفعه وضره الا منه وما أحسن ما قيل

أفوض الامر الى خالقي * فحسبي الهي ونعم الوكيل
ولا أرجو من الى غيره * فان الاله لكل كفيل

ولا ينافي هذا قوله تعالى حكاية عن موسى عليه الصلاة والسلام فاخاف ان يقتلون انا نخاف ان يفرط لان الانسان مأمور بالفرار من أسباب العطب الى أسباب السلامة وان لم يسلم بدليل خذوا حذركم ولا

قال ألا أخبرك بملاك ذلك كله قلت بلى يا رسول الله فأخذ بلسانه قال كف عليك هذا قلت يا رسول الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال ثكلتك أمك وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح) اعلموا اخواني وفقني الله وإياكم لطاعته ان هذا الحديث أصل عظيم وفي الجامع زيادة على ما ذكره هنا ولفظه عن معاذ بن جبل قال كنت مع النبي صلى الله ١٨٠ عليه وسلم في سفر فاصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير فقلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة وذكر الحديث (قوله أخبرني الخ) فيه عظيم فصاحته فانه أوجز وأبلغ ومن ثم حمد النبي صلى الله عليه وسلم مسئلته وعجب من فصاحته حيث قال له (لقد سألت عن عظيم) أي عن عمل عظيم (وانه ليسير على من يسره الله عليه) أي بتوفيقه الى القيام بالطاعات وشرح صدره الى السعي فيما يكلفه الله به فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ثم فسر ذلك العمل العظيم بقوله (تعبد الله) أي توحده (لا تشرك به شيأ) أي تأتي بجميع أنواع العبادة على وجه الاخلاص (قوله وتقيم الصلاة الى قوله وتحج البيت) أي تأتي بجميع ذلك ان وجدت أسبابه وانتفت موانعه بشرائطه واجباته ثم قال صلى الله عليه وسلم ألا أدلك على أبواب الخير وفي رواية ابن ماجه ألا أدلك على أبواب الجنة

تلقوا بايديكم الى التهلكة وقول عمر انما نفر من قدر الله الى قدر الله ولهذا قيل في المعنى

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه ✻ وليس عليه أن يساعده الدهر

(رفعت الاقلام) أي تركت الكتابة بها لفراغ الامر وانبرامه وتمت كتابة ما كان وما يكون الى يوم القيامة كما جاء في جامع الترمذي ان أول ما خلق الله القلم فقال اكتب قال ما أكتب قال اكتب القدر فما كان وما يكون فان قلت فما التوفيق بينه وبين ما أشبهه من قوله صلى الله عليه وسلم أول ما خلق الله جوهرة أو درة فنظر اليها فذابت وأول ما خلق الله تعالى نور أو روحي وأول ما خلق الله تعالى اللوح وأول ما خلق الله تعالى العقل وما نقل عن السلف أول ما خلق الله تعالى ملك الموت كروبي فالجواب ما أفاده بعض العارفين من أن الاسماء مختلفة والمسمى واحد وهو الروح المحمدي لانه باعتبار كونه درة صدف الوجود تسمى جوهرة ودرة وباعتبار نورانيته تسمى نورا وباعتبار وفور علمه تسمى عقلا اذ قال له أقبل على الدنيا رحمة للعالمين فاقبل ثم قال له ارجع الى ربك فرجع الى المعراج ثم قال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أحب الي منك بك أعرف وبك آخذ بعني عباده من أخذ منك الشريعة ونالها أي بشفاعتك أعطي الدرجات العالية وبك أعاقب الكافرين وبك أثيب المؤمنين وباعتبار رحمان الامور وفق متابعته والاقتداء به يسمى علما وباعتبار مظهريته للعلوم يسمى لوحا وباعتبار غلبات الصفات الملكية ملكا كروبيا (وجفت) بالجيم أي يبست (الصحف) جمع صحيفة وفيه حذف أي كتابة الصحف أي فرغ من الامر وجفت كتابته لان الصحيفة حين كتابتها لابد أن تكون رطبة المداد أو بعضه بخلاف ما اذا فرغ منها وهذا من أحسن الكنايات وأرشق العبارات فهو كناية عن تمام المقادير فلا تبديل ولا تغيير ولا ينافي هذا قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت لان المحو والاثبات انما هما في الصحف أيضا كما في تفسير القاضي لان القضاء قسمان مبرم ومعلق وحكى أن عبد الله بن طاهر دعا الحسين بن الفضيل وقال له أشكل علي ثلاث آيات دعوتك لتكشفها في قوله تعالى فاصبح من النادمين وقد صح ان الندم توبة وقوله كل يوم هو في شأن وقد صح أن الصحف جفت بما هو كائن الى يوم القيامة وقوله وأن ليس للانسان الا ما سعى فما بال الاضعاف فقال الحسين يجوز أن لا يكون الندم توبة اذ ذاك وان كان توبة لكن الا ان الله تعالى خص هذه الامة بخصائص لم تشاركها فيها الامم وقيل ان ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله وأما قوله كل يوم هو في شأن فانها شؤون يبديها ولا يبتديها وأما قوله وأن ليس للانسان الا ما سعى فمعناه ليس له الا ما سعى عدلا وله أن يجازيه على الواحدة ألفا فضلا فقام عبد الله وقبل رأسه ووسع خراجه اه وقال ابن عباس قوله تعالى وأن ليس للانسان الا ما سعى منسوخ بقوله تعالى والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم الآية وقيل هي خاصة بقوم موسى وابراهيم لانه وقع حكاية في صحفهما عليهما الصلاة والسلام بقوله أم لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى وقيل أريد بالانسان الكافر فله ما سعى أخوه وقيل اللام في الانسان بمعنى على قوله تعالى ان أسأتم فلها أي عليها وقوله تعالى ولهم اللعنة أي عليهم وقام رجل الى بعض العلماء وهو على كرسيه

(قوله الصوم جنة) الا كثار من نفله لان فرضه قدمه والجنة بضم الجيم من جن استتر أي هو ستر للواعظ ووقاية من النار ومن استيلاء الشهوات والغفلات وذلك بابا وسيلة الى صفاء الاحوال ووقوع أفضل الاعمال على نهاية الكمال لما في الصوم من الصبر على ملاذ الشهوات والمألوفات وقد قال صلى الله عليه وسلم من صام يوما في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقا كما بين السماء والارض وفي روض الافكار ان رجلا سأل ابن عباس رضي الله عنهما عن الصيام فقال ألا أحدثك بحديث

كان عندي من التحف المخزونة ان كنت تريد صيام داود فانه كان يصوم يوم ويفطر يوما وان كنت تريد صيام ولده سليمان فانه كان يصوم ثلاثة أيام أول الشهر وثلاثة أيام من وسطه وثلاثة أيام من آخره وان كنت تريد صيام عيسى فانه كان يصوم الدهر ويلبس الشعر وحيثما أدركه الليل صف قدميه وصلى حتى تطلع الشمس وان كنت تريد صيام أمه فانها كانت تصوم يومين وتفطر يوما وان كنت تريد صيام خير البرية فانه كان يصوم أيام البيض من كل شهر ثالث عشره ورابع عشره وخامس عشره

للوعظ يقرر تغيير كل يوم هو في شأن فقال يا هذا فاعمل ربك الآن فاخدم وبات مهموما فرأى المصطفى صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك فقال له انه الخضر وانه سيأتيك وتقول له شؤن بيديها ولا يتفرغ لك فقض أقواما ويرفع آخرين فاصبح مسرورا فاتاه فاعاد السؤال فاجابه بذلك فقال له الخضر صل على من علمك وانصرف مسرعا قيل وأول من كتب العربي وغيره آدم وقيل اسمعيل هو أول من كتب العربي وقيل غيرهما ولم يصح في ذلك شئ وقول الكلبي أول من وضع الخط نفر من طيئ فساروا الى مكة فتعلمه منهم جماعة ثم أتوا الى الانبار فتعلمه نفر منهم ثم أتوا الحيرة وعلموه جماعة مرد ودبانه لا يوثق بنقله نعم يمكن أن يقال انهم أول من تعلم الخط لا انهم أول من وضعوه (رواه الترمذي) في جامعه (وقال حسن صحيح) وهو حديث عظيم وأصل كبير في رعاية حقوق الله والتفويض لامره والتوكل عليه (وفي رواية غير الترمذي) وهو عبد بن حميد في مسنده والامام أحمد (احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك) بفتح الميم والمعجمة بالمعنى المقرر فيما قبله فان قيل لم خص الامام دون باقي الجهات الست فالجواب أن الانسان سائر ومسافر الى الآخرة والمسافر انما يطلب أمامه لا غير (تعرف) بتشديد الراء المفتوحة أي تحبب وتقرب (الى الله) بلزوم الطاعات والانفاق في القربات والشكر على ما أولاك (في الرخاء) أي سعة الرزق وصحة البدن (يعرفك في الشدة) بتفريج الهموم والغموم ويجعل لك من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا بما سلف من ذلك التعرف كما وقع للثلاثة الذين خرجوا يرتادون لاهليهم فحبستهم اهم يمشون اذ أصابهم المطر فاووا الى غار في جبل فانحدرت عليهم صخرة من الجبل فسدت عليهم فقالوا انظروا اماذا عملتم من الاعمال الصالحة فاسألوا الله بها فانه ينجيكم فقال أحدهم اللهم انك تعلم انه كان لي والدان شيخان كبيران ولي صبية صغار وكنت أرعى غنما لي فاذا رحت عليهم حلبت بدأت بوالدي فاسقيتهما قبل ولدي وانه نأى بي الشجر وفي رواية فاصابني غيث فخبسني فأتيت حتى أمسيت فحلبت كما كنت أحلب وجئت بالحلاب فوجدتهما قد ناما فقمت عند رأسهما أكره أن أوقظهما من نومهما وأكره أن ابدأ بالصبية وهم يتضاغون أي يصيحون عند قدمي ومحالبي على يدي فلم يزل ذلك دأبي ودأبهما حتى طلع الفجر فان كنت تعلم اني فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا فرجة نرى منها السماء ففرج الله عنهم فرجة حتى رأوا السماء وقال الثاني اللهم انه كان لي ابنة عم أحبها أشد ما يحب الرجال النساء فراودتها عن نفسها فابت حتى أتيها بمائة دينار فسعيت حتى جمعت مائة دينار فاعطيتها فلما اقعدت بين رجليها قالت يا عبد الله اتق الله تعالى ولا تفتح الخاتم الا بحقه فقمت عنها وهي أحب الناس الي وفي رواية أخرى انه قال فراودتها عن نفسها فابت فاصابتها حاجة شديدة فاتتني فقلت لها حتى تمكنيني من نفسك فابت وذهبت ثم رجعت وقد أصابتها شدة وفي رواية أخرى ان زوجها كان مريضا وكان بينهما أولاد صغار قد أصابهم القحط فاتت له وهو يأبى عليها حتى تمكنه من نفسها فذكرت ذلك لزوجها فقال مكنيه من نفسك وأغيثي بمالك فاتته المرة الرابعة فقالت له دونك فلما قعد منها مقعد الرجل من المرأة ارتعدت من تحته فتركها ودفع لها ما احتاجت اليه ثم قال فان كنت

حضرا وسفرا وسميت بايام البيض لان آدم عليه الصلاة والسلام لما هبط من الجنة الى الارض اسود جسده من حر الشمس فاتاه جبريل عليه الصلاة والسلام وأمره بصوم أيام البيض فابيض في اليوم الاول ثلث بدنه وفي الثاني ثلثاه وفي الثالث جميعه قال أبو هريرة رضي الله عنه أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بصيام ثلاثة أيام من كل شهر وقال صلى الله عليه وسلم لو ان رجلا صام يوما تطوعا ثم أعطي ملء الارض ذهبا لم يستوف ثوابه يوم القيامة (نكتة) قال الشبلي رضي الله عنه كنت في قافلة فطلع علينا العرب فاخذوا القافلة ثم مررت عليهم وهم يأكلون شيأ من طعام القافلة ورأيت كبيرهم صائما فقلت نصوم وتقطع الطريق فقال اجعل الصلح وضعا ثم بعد مدة

رأيته في الطواف فقال يا شبلي أنظر الى الصيام كيف أصلح بيني وبينه وعن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال كنت في مركب والريح طيبة فهتف بنا هاتف سبع مرات يا أهل السفينة قفوا حتى أخبركم بقضاء قضاه الله على نفسه انه من عطش نفسه لله في يوم حار كان حقا على الله ان يرويه يوم القيامة (قوله والصدقة) أي فعلها (تطفئ) أي تمحو (الخطيئة كما يطفئ الماء النار) وخصت الصدقة بذلك لتعدي نفعها ولان الخلق عيال الله وهي احسان اليهم والعادة ان الاحسان الى عيال شخص يطفئ غضبه

وسبب اطفاء النار ان بقية ما عاينه الثلاثة اذهبي حارة يابسة وهو بارد رطب فقد ضادها والصدقة مع الضد ويعدمه وباشفاء
الخطايا ينور القلب وتصغر الاعمال فلذلك كانت الصدقة بما عظيما الغير هامن الاعمال وقد تقدم شيء من بعض فضائل الصدقة
(وهنا فوائد) قيل كان رجل من قوم صالح قد آذاهم فقالوا يانبي الله ادع الله عليه فقال اذهبوا فقد كفيتموه وكان يخرج كل يوم
يحتطب قال فخرج يوما ونومه ١٨٣ رغفان فاكل أحدهما وتصدق بالآخر قال فاحتطب ثم جاء ليأكل فاذا بحية قد

قال فدعاه صالح وقال أي
شيء صنعت اليوم قال
خرجت ومعي قرصان
فتصدقت باحدهما
وأكلت الآخر فقال
صالح عليه السلام حل
حطبك فحله فاذا فيه
ثعبان اسود مثل الجذع
ماض على جذر من
الحطب فقال بهذا دفع
عنك يعني بالصدقة
وعن ابي هريرة رضي
الله عنه ان نفرا مروا على
عيسى عليه السلام فقال
يموت أحدهم لهذا اليوم
ان شاء الله تعالى فمضوا
ثم رجعوا عليه السلام
بالعشي فمعهم حزم
حطب فقال ضعوا وقال
للذي قال انه يموت اليوم
حل حطبك فحله فاذا
فيه حية سوداء فقال
ما عملت اليوم قال ما عملت
شيأ الا انه كان معي في
يدي لمه من خبز فمر بي
مسكين فسألني فاعطيته
بعضها فقال بها دفع
عنك وعن ابي هريرة
رضي الله عنه ان النبي
صلى الله عليه وسلم
قال كان فيمن كان قبلكم رجل باتي وكر طائر كلما أفرخ باخذ فرخيه فشكا ذلك الطير الى الله تعالى
ما يفعل به فاوحى الله تعالى اليه ان عاد فسأله فلما أفرخ الطائر خرج ذلك الرجل الى وكره على العادة ليأخذ أولاده فلما كان في
طرف القرية لقيه سائل فاعطاه رغيفا كان معه يتغذاه ثم مضى حتى أتى الوكر ثم وضع سلمه فاخذ الفرخين وأبواهما ينظران
اليه فقالا ربنا انك لا تخلف الميعاد وقد وعدتنا انك تهلك هذا اذا عاد فقد أخذ فرخينا ولم تهلكه فاوحى الله اليهما ألم تعلما اني لا اهلك

تعلم اني فعلت ابتغاء وجهك فافرج عنا فانفرج منها فرجة أخرى وقال الثالث اللهم انك تعلم اني
استأجرت عمالا يعملون كل رجل منهم بمدين من طعام الارز فعملوا وفر قيتهم أجورهم فقال رجل كان
هملي أفضل منهم فابيت أن أزيده فغضب وفي رواية أخرى انه جاء أحد الاجراء في نصف النهار فعمل في
بقية نهاره ومثل ما عمل غيره في يومه كله فرأيت ان لا انقص من أجره شيأ فقال رجل منهم انه جاء في نصف
النهار وأنا جئت في أوله فساويت بيننا في الاجرة فقلت له هل نقصتك من شرطك فغضب وترك أجره
وذهب فوضعت حقه في جانب من البيت ماشاء الله ولم أزل أنميه له حتى جمعت له من ذلك ابلا وبقرا
وغنما فمر بي بعد حين شيخ ضعيف لا أعرفه فقال ان لي عندك حقا فذكره حتى عرفته فقلت له اما ترك
ابني وهذا حقك فمر فاصطنه عليه فقال يا عبد الله لا تسخر بي ان لم تتصدق علي فاعطني حتى قلت والله
ما اسخر انه لحقك مالي فيه شيء فدفعت ذلك اليه جميعا فان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا
ما بقي ففرج الله عنهم انتهى وقوله فافرج بالوصل وضم الراء من الثلاثي وضبطه بعضهم بهمزة وكسر
الراء من الرباعي وعن بكر بن عبد الله المزني ان قصابا واع بجارية لبعض جيرانه فارسلها أهلها الى حاجة
لهم في قرية أخرى فتبعها فراودها عن نفسها فقالت لا تفعل وأنا أشد حبا لك منك لي ولكن أخاف الله
فقال أنت تخافينه وأنا لا أخافه فرجع تائبا فاصابه العطش حتى كاد ان يقطع عنقه فاذا هو برسول
لبعض أنبياء بني اسرائيل فاخبره بما حصل له من العطش فقال تعال حتى تدعو قال ما لي من عمل قال فانا
ادعو وأمن أنت قال قد صار الرسول وأمن هو فاظلتهما سحابة حتى انتهيا الى القرية فاخذ القصاب الى
مكانه ومالت السحابة عليه فرجع اليه الرسول وقال زعمت ان ليس لك عمل وأنا الذي دعوت وأنت
أمنت فاظلتك السحابة ثم تبعتك لتخبرني ما أمرك فاخبره فقال النائب من الله بمكان ليس أحد من
الناس بمكانه وعن أبي ادريس الاودي انه قال كان رجلان في بني اسرائيل عابدان وكانت جارية يقال لها
سوسن عابدة وكانوا اثنين نسيانا فيتقربون فيه فاشتغف بها العابدان وكتم كل واحد ذلك عن صاحبه
واختبأ كل واحد منهما تحت شجرة ينظر ان اليها فنظر كل واحد منهما الى صاحبه وهو يحسبه فسأل كل
منهما الآخر عن سبب اختبائه فاظهر كل واحد منهما ما عنده من حب سوسن واتفقا على ان يراودها
فلما ساعدت استقر رأيها على طوع بني اسرائيل لنا وان لم تطيعينا قلنا اذا أصبحنا انا صدنا
معها رجلا وان الرجل أقلت فقالت لهما ما كنت لاطيعكما فاخذاها واخرجاها وذكرا انهما أصابا معها
رجلا فاذا هو ابنها وهو ابن ثلاثة عشر سنة فوضعوا له كرسيا في الس عابسه وقال قد وعدوه الى غدا
كالمستهزئين فقالا اقض بيننا فقرق بينهما وقال لاحدهما خلف أي شجرة رأيتها فان وراءها فاسقة
واحفر لآخر فقال وراءها غيرها واختلف فنزلت نار من السماء فاحرقتهما وبحت سوسن وعن أبي عبد الله
الباجي ان شابا كان في بني اسرائيل لم ير أحسن منه وكان يبيع القطاف فبينما هو ذات يوم يطوف بقفافه
خرجت امرأة من دار ملك من ملوك بني اسرائيل فلما رأته رجعت مبادرة فقالت لابنة الملك يا فلانة اني
رأيت شابا بالباب يبيع القطاف لم أر شابا قط أحسن منه قالت لها ادخليه فخرجت اليه فقالت يا فتى

أحدا أصدق في يومه بمثله سوء وعن وهب بن منبه قال بينما امرأة من بني اسرائيل على ساحل البحر تغسل ثيابا وصبي لها يلعب بين يديها اذ جاءه سائل فاعطته لقمة من رغيف كان معها فما كان باسرع من أن جاء ذئب فالتقم الصبي فجعلت تعدو خلفه وهي تقول ياذئب ابني فبعث الله ملكا انتزع الصبي من فم الذئب ورمى به اليها وقال لقمة بلقمة وقيل ان قصارا كان في زمن عيسى عليه السلام يهرش على الناس أقمشتهم فسألوا عيسى عليه السلام أن يدعوا عليه فدعا ١٨٣ عليه بالهلاك فبينما هم عند غروب

ادخل نشتري منك فدخل فاغلقت دونه الابواب ثم استقبلته ابنة الملك كاشفة عن وجهها ونحرها فقال لها اشتري عافية الله فراودته عن نفسه فأبى قال لها اتق الله فقالت له ان لم تطأني والا أخبرت الملك انك دخلت تراودني عن نفسي فأبى ووعظها ثم قال ضعوا لي رضوا بفتح الواو أي ماء فوضعوه له في مكان لا يستطيع أن يغرق منه بينه وبين الارض أربعين ذراعا فلما صار فيه ألقى نفسه منه فاهبط الله له ملكا حتى أخذ بضبعه ووقع قائما على رجليه وكان في بني اسرائيل رجل يقال له جريج يصلي جاءته أمه فدعته فقال أجيبها أو أصلي وتمادى في صلاته ولم يجبها فقال اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات أي الزانيات وكان جريج في صومعته فتعرضت له امرأة فراودته فأبى فأتت راعيا ومكنته من نفسها فولدت غلاما وقالت من جريج فأتوه فهدموا صومعته وأنزلوه وسبوه فتوضأ وصلى ثم أتى بالغلام فقال له من أبوك يا غلام وفي رواية يا بابوس بباءين موحدتين بينهما ألف وواو ولد الزانية فقال الراعي فقالوا دعنا نبني صومعتك من ذهب فقال لا الا من طين وعن وهب بن منبه انه قال بينما امرأة من بني اسرائيل على ساحل البحر تغسل ثيابا وصبي لها يلعب بين يديها اذ جاءه سائل فاعطته لقمة من رغيف كان معها فما كان أسرع من أن جاء ذئب فالتقم الصبي فجعلت تعدو خلفه وهي تقول ياذئب ياذئب ابني فبعث الله اليها ملكا انتزع الصبي من فم الذئب ورمى به اليها وقال لقمة بلقمة وتقدم ذكر قصة عرف بن مالك الاشجعي عند قوله في الحديث السابق اتق الله حيثما كنت بخلاف فرعون فانه لما تذكر الى ربه في حال رخائه لم ينفعه للجاء عند بلائه بل قال له الآن وقد عصيت قبل وقيل يجوز أن يكون على حذف مضاف أي تعرف الى ملائكة الله في الرخاء بالتزام الطاعات واظهار العبادات يعرفك في الشدة بواسطة شفاعتهم عنده في تفريج غمك وكربك والاول أولى لاستغنائه عن التقدير ويؤيد الثاني ما روي ان العبد اذا كان له دعاء في الرخاء ودعا حال الشدة قالت الملائكة ربنا هذا صوت نعرفه واذا لم يكن له دعاء في حال الرخاء ودعاه في حال الشدة قالت الملائكة ربنا هذا صوت لا نعرفه ولذا ورد في الحديث أن يونس عليه السلام لما دعا في بطن الحوت قالت الملائكة يا رب هذا صوت معروف من بلاد غريبة فقال الله عز وجل أما انه عرفون ذلك قالوا ومن هو قال عبدي يونس قالوا عبدك الذي لم يزل يرفع له عمل يتقبل ودعوة مستجابة قال نعم قالوا يا ربنا أفلا ترحم من كان يصنع في حالة الرخاء تشفعه من البلاء قال بلى فامر الله عز وجل الحوت فطرحه بالعراء (واعلم أن ما أخطأك) أي جاوزك فلم يصل اليك (لم يكن ليصيبك) لانه بان يكونه أخطأك انه غير مقدر عليك واستعمال الخطأ فيه مجازا لان حقيقته العدول عن الجهة أو الوقوع على خلاف المراد وفيه مبالغة من حيث دخول اللام المؤكدة لنفي على الخبر وتسليط النفي على الكونية وسرايته للخبر (وما أصابك لم يكن) قدر (ليخطئك) اذ لا يصيب الانسان الا ما قدر عليه وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال ان اكل شئ حقيقة وما يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وفيه الحث على التوكل والرضا ونفي الحول والقوة عنه قيل علامة التوكل ثلاث لا يسأل ولا يرد ولا يحبس قيل أول الخشوع والتضرع فيه أسهل وأكمل ومن ثم كانت بابا عظيما من أبواب الخير لانه يتوصل بها الى صفاء السر ودوام الشهود والذكر ثم هي فيه بعد النوم أفضل منها فيه قبل لتحصل فضيلة قيامه بصلاة ركعتين لخبر من قام من الليل قدر حلب شاة كتب من قوام الليل واختلفوا في أفضل أجزائه ولذي ذات عليه لاحاديث الصحيحة ما ذهب اليه امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه من أنه ان جزأه نصفين فالثاني أفضل أو ثلاثا فالثالث الاخير أفضل او اسداسا فالسدس الرابع والخامس أفضل وهذا هو الاكمل

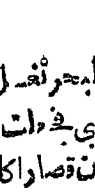

على الاطلاق لانه الذى واظب عليه النبى صلى الله عليه وسلم وقيل فيه أفضل الصلاة صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه (قوله ثم تلا) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجاجا على فضل صلاة الليل (تتجافى جنوبهم) أى تتنحى وترتفع (عن المضاجع) أى مواضع الاضطجاع للنوم حتى يبلغ و يعملون قيل وهذا كناية عن الصلاة بين المغرب والعشاء وقيل عن انتظار العشاء لانهم كانوا يؤخرونها ١٨٤ الى نحو ثلث الليل وقيل عن صلاة العشاء والصبح فى جماعة والجمهور على انه

كناية عن صلاة النوافل بالليل وهو الذى دل عليه سياق الحديث والآية حيث قال فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين الخ فهو دال على انهم أخفوا عملهم فجوزوا بما أخفى لهم من قرة الاعين وانما يتم اخفاؤه بالصلاة فى جوف الليل لان المصلى حينئذ ترك نومه ولذاته وآثر ما يرجوه من ربه عليهما فوفى له ان يجازى بذلك الجزاء العظيم وفى الصحيحين يقول الله تعالى أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر الحديث وقد جاء ان الله تعالى يباهى بقوام الليل فى الظلام الملائكة يقول انظروا الى عبادى قد قاموا فى ظلمة الليل حين لا يراهم أحد غيرى أشهدكم انى قد أبحتهم دار كرامتى ولا شك ولا خفاء ان الليل محل الخلوة والاختصاص ومحل السقة الاحبة ومطية المحبين كما قيل

وما الليل الا للمحب مطية * وميدان سبق فاستبق تبلغ المنى

وفى رواية لم لم ان فى الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله تعالى خيرا من أمور الدنيا والآخرة الا أعطاه اياه وذلك فى كل ليلة وقيل أوحى الله الى داود عليه السلام كذب من ادعى محبتى اذا جن ليله نام عنى وقيل اذا جن الليل بظلامه يقول الله تعالى يا جبريل هملئ أشجار المعاملة فاذا حركها قامت القلوب على باب المحبوب وقيل يبابك عبد من عبيدك مذنب * كثير الخطايا جاء يسأل العفو

مقام فى التوكل ان يكون العبد بين يدى الله تعالى كالميت بين يدى الغاسل يقلبه كيف أراد لا يكون له حركة ولا تدبير واعلم ان التوكل محله القلب والحركة بالظاهر لا تنافى توكلا وقيل التوكل هو التعلق بالله تعالى فى كل حال وقيل التوكل هو الاستسلام لجريان القضاء والاحكام وقيل هو الاكتفاء بالله تعالى مع الاعتماد عليه (واعلم) تنبيه على ان الانسان فى هذه الدار معرض للمحن والبلاء سيما الصلحاء قال الله تعالى لنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الآيات فينبغى للانسان ان يصبر ويحتسب ويرضى بالقضاء والقدر (ان النصر) من الله تعالى عبد اى اعانته له يقال نصر الغيث البلاد اذا أعانه على النبات والتصوير والناصر فى اللغة المعين والاول منهما أبلغ فى الاعانة من الثانى (مع الصبر) لانه سبب النصر ومن ثم كان الغالب على المنتصر لنفسه عدم النصر ومن صبر وفى بحكم القضاء كان له التأييد والظفر وعن على رضى الله عنه وكرم وجهه انه قال الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ومن كلام وهب ثلاث من كن فيه أصاب البر سخاوة النفس والصبر على الاذى وطيب الكلام وقيل الصبر تجرع المرارة من غير تعبيس وقيل هو الوقوف مع الله تعالى بحسن الادب * وقيل هو الاستعانة بالله وقيل الصبر على الطاعة عنوان الظفر والصبر فى المحن عنوان الفرج * قيل حبس الشبلى فى المارستان فدخل عليه جماعة فقال من أنتم فقالوا أحبابك جئناك زائرين فاخذ يرميهم بالحجر فاخذوا يهربون فقال لو كنتم أحبائى لصبرتم على بلائى واعلم ان الصبر يشمل الصبر على العدو الظاهر كالكفار وأهل البدع والفسوق والعدو الباطن كالنفس الامارة والهوى والشيطان لان جهاد ذلك أعظم من جهاد العدو ويدل له ما جاء فى حديث ضعيف انه صلى الله عليه وسلم قال لقوم قدموا من الجهاد مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر قالوا وما الجهاد الاكبر قال مجاهدة العبد هواه (وان الفرج) بفتحتين وهو كشف الغم مع الكرب بمعنى انه يعقبه لا محالة لعدم دوامه * (فائدة) * من الانس الجليل روى ان مفتاح بيت المقدس كان عند سليمان بن داود عليه الصلاة والسلام لا يامن عليه احدا فقام ليلة ليفتح فتعسر عليه فاستعان بالانس فتعسر عليهم فاستعان بالجن فتعسر عليهم فجاس حزينا كئيبا فظن ان ربه قد منعه فتحه فبينما هو كذلك اذ أقبل شيخ متكئ على عصاله وقد طعن فى السن وكان من جلساء داود عليه الصلاة والسلام فقال له يا نبى الله مالى أراك حزينا فقال قمت لهذا الباب افتحه فتعسر على فاستعنت بالانس والجن فلم يفتح فقال أشيخ الا أعلمك كلمات كان أبوك يقولهن عند كربه فيكشف عنه قال بلى قال قل اللهم نورك اهتديت وبفضلك استغنيت وبك أصبحت وأمسيت ذنوبى بين يديك استغفرك وأتوب اليك فاما قالها فتح الباب اه وذكر أبو نعيم فى الحلية عن مسعر ان رجلا ركب البحر فكسرت سفينته فوقع فى جزيرة فمكث ثلاثة أيام لم يأكل ولم يشرب فتمثل فقال

اذا شاب الغراب أتيت أهلى * وصار الغار كالابن الحليب

* (فاجابه مجيب لم يره فقال) *

فانزل عليه العفو يا من بفضله * على قوم موسى أنزل المن والسلوى وأوحى الله تعالى الى بعض الصديقين ان لى فى عبادا يحبونى وأحبهم ويشتاقون الى وأشتاق اليهم ويذكرونى وأذكرهم قال يارب ما علامتهم قال يراعون الظلام بالنهار كما يراعى الراعى غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما تحن الطير الى أوكارها فاذا جنهم الليل يعنى ستره واختلط الظلام وفرشت الفرش وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الى أقدامهم وافترشوا الى وجوههم وناجونى بكلامى وتملقوا الى بانعامى ١٨٥ عليهم فمنهم صارخ وباك ومتأوه وشاك ومنهم قائم وقاعد وراكع وساجد فأول ما أعطيهم ثلاث خصال الاولى انى أقذف فى قلوبهم من نورى الثانية لو كانت السموات والارض فى موازينهم لاستقللتها لهم الثالثة أقبل بوجهى الكريم عليهم فمن أقبلت عليه بوجهى أيعلم أحد ما أريد أن أعطيه (نكتة) قيل ان الطيور أنكرت على الخفاش طيرانه بالليل وقالوا نور النهار أكمل فقال الليل أتيتنى وراحة المشتاقين وقد جمعنا مجالسا عظيما فى قيام الليل فى كتاب تحفة الاخوان (قوله صلى الله عليه وسلم ألا أخبرك برأس الامر) أى العبادة أو الامر الذى سألت عنه (وعموده وذروة) بضم أوله وكسره (سنامه الجهاد) فى أصل الترمذى قلت بلى يارسول الله قال رأس الامر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد فهذا اسقط من نسخة المصنف

عسى الكرب الذى أمسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب

قال فجاءت سفينة فحملته وأصاب خيرا كثيرا * وأخرج ابن عساكر عن محمد بن عمر قال أمر الحجاج باحضار رجل من السجن فلما أحضر أمر بضرب عنقه فقال أيها الامير أخرنى الى غد قال ويحك وأى فرج فى تأخيرك يوم ثم أمر برده الى السجن فسمعه الحجاج يقول

عسى فرج يأتى به الله انه * له كل يوم فى خليقته أمر

فقال الحجاج والله ما أخذه الا من القرآن كل يوم هو فى شان وأمر باطلاقه وأخرج ابن النجار عن معروف الكرخى من قال ثلاث مرات وكان فى غم فرج الله عنه غمه اللهم احفظ أمة محمد اللهم ارحم أمة محمد اللهم عاف أمة محمد اللهم اصلح أمة محمد اللهم فرج عن أمة محمد * وأخرج البيهقى عن حماد بن سلمة أن عاصم ابن اسحق شيخ القراء فى زمانه قال أصابتنى خصاصة فجئت الى بعض اخوانى فاخبرته بامرى فرأيت فى وجهه الكراهة فخرجت من منزله الى الجبانة وصليت ما شاء الله ثم رضعت وجهى على الارض وقلت يا مسبب الاسباب يا فاتح الابواب يا سامع الاصوات يا مجيب الدعوات يا قاضى الحاجات اكفنى بحلالك عن حرامك واغننى بفضلك عمن سواك قال فوالله ما رفعت رأسى حتى سمعت وقعة بقربى فرفعت رأسى فاذا بحجر أحمر قد طرحت كيسا أحمر فاذا فيه ثمانون دينارا وجواهر املقوفا فى قطنة فبعت الجوهر بمال عظيم وفضل الدنانير فاشتريت منها عقارا وحمدت الله على ذلك * وفى الصحيح وغيره ان اعرابية كانت تخدم نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت كثيرا ما تقول

ويوم الوشاح من تعاجيب ربنا * على انه من ظلمة الكفر نجانى

فسألتها عائشة رضى الله تعالى عنها عن ذلك فقالت شهدت عروسا تجلى ودخلت مغسلا وعليها وشاح فوضعته فجاءت الحدأة فاخذته فقعدوا فتاهوا فى به فقتشونى حتى قبلى فدعوت الله تعالى أن يبرئنى فجاءت الحدأة بالوشاح فالقته بينهم وفى رواية رفعت رأسى وقلت يا غياث المستغيثين (وان مع العسر يسرا) لقوله تعالى سيجعل الله بعد عسر يسرا * وعن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لو جاء العسر فدخل هذا الجحر لجاء اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه وتنوين يسرا للتعظيم مبالغة مع ما فى مع من المصاحبة فى معاقبته واتصاله به اتصال المتقاربين واليسر السهولة ومنه اليسار للغنى لانه تسهل به الامور واليد اليسرى لان الامور تسهل بمعاونتها اليمنى فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وما لا يريده تعالى لا يكون ولا يقع اجماعا من أهل السنة فدل على عدم وقوع العسر ضرورة كونه تعالى لم يرده وقوله تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا يدل قطعا على وقوعه فالجواب ان المراد بالعسر فى الآية الاولى العسر فى الاحكام فقط بدليل قوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها وما جعل عليكم فى الدين من حرج وقوله عليه الصلاة والسلام بعثت بالحنيفية السمحة مع ان صدر الآية يدل على ذلك وهو قوله تعالى ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وأما الآية الثانية فالمراد بالعسر فيها العسر فى الارزاق والاكتساب دون الاحكام

 وكذا وقع له فى الاذكار وهذا ثابت فى بعض النسخ أيضا وذروة الشئ أعلاه والجهاد أعلى أنواع الطاعات من حيث ان به يظهر الاسلام ويعلو على سائر الاديان وليس ذلك لغيره من العبادات فهو أعلى بهذا الاعتبار وان كان فيها ما هو أفضل منه وعلى هذا يحمل قول بعضهم الجهاد لا يقاومه شئ وقد صح انه صلى الله عليه وسلم سئل أى الاعمال أفضل فقال تارة الصلاة لاول وقتها وتارة الجهاد وتارة بر الوالدين ويحمل على اختلاف أحوال السائلين فاجاب كلا بما هو أفضل بالنسبة لحاله وأما

الافضل على الاطلاق بعد الشهادتين وهو الصلاة عندنا فرضها أفضل الفروض ونفلها أفضل النوافل لما سمع من قوله صلى الله عليه وسلم الصلاة خير موضوع وفي رواية صحيحة واعلموا ان خير أعمالكم الصلاة (ثم قال له صلى الله عليه وسلم ألا أخبرك بملاك ذلك كله) أي بمقصوده وجماعه أو بما يقوم به وملاك بفتح الميم وكسرها وفيه اشارة الى أن جهاد النفس بقمعها عن الكلام فيما يردیها وتؤذيها أشق عليها من جهاد ١٨٦ الكفار وان هذا هو الجهاد الاصغر وذلك هو الجهاد الاكبر اذ منعها هواها من أجل

ما اقتناه الانسان ومن أعظم آدابها الصمت وترك الكلام فيما لا يعني ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم ومن صمت نجا ولما قال له صلى الله عليه وسلم ألا أخبرك الخ قال (قلت بلى يا رسول الله فأخذ صلى الله عليه وسلم بلسانه) أي أمسك لسان نفسه (ثم قال كف عليك) أي عنك (هذا) أي عن الشر (قال قلت يا رسول الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم به) استفهام استثبات وتعجب واستغراب (فقال ثكلتك) أي فقدتك (أمك وهل يكب) أي يلقى الناس أي أكثرهم (في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم) أي ما تكلمت به من الاثم جمع حصيدة بمعنى محصودة شبه ما تكتسبه الالسنة من الكلام بحصائد الزرع بجامع الكسب والجمع وشبه اللسان في تكلمه

وروى الحاكم عن الحسن البصري مرسلا ان المصطفى صلى الله عليه وسلم قال لن يغلب عسر يسرين أي كما دل عليه قوله تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا الان النكرة المعادة غير الاولى والمعرفة المعادة عين الاولى غالبا فيهما وما أحسن قول القائل

لا تجزعن لعسرة من بعدها * يسران وعد الله فيه خلاف
كم عسرة ضاق الفتى لنزولها * لله في أعطافها ألطاف

(وقال الشاعر أيضا)

اذا اشتدت بك البلوى * ففكر في ألم نشرح فعسر بين يسرين * اذا فكرته فافرح

قال ابن أبي جمرة كان علي رضي الله تعالى عنه اذا كان في شدة استبشر وفرح واذا كان في رخاء قلق فقيل له في ذلك فقال ما من ترحة الا وتتبعها فرحة وما من فرحة الا وتتبعها ترحة ثم تلى الآية وما أحسن حكاية العتبي قال كنت ذات يوم في بادية وأنا بحالة من الغم فالقى في روعي بيت من الشعر

أرى الموت لمن أصبح مغموما له أروح * فلما جن الليل سمعتها تقول في الهواء
ألا أيها المسر * بالذي الهم به أبرح وأنشد بيتا لم * يزل في فكره يسبح
اذا اشتدت بك العسرى * ففكر في ألم نشرح فعسر بين يسرين * اذا فكرته فافرح
فان العسر مقرون * بيسرين فلا تبرح

فحفظتها ففرج الهم عني *(الحديث الموفي عشرين)*

(عن أبي مسعود عقبة بن عمرو) بن ثعلبة بن أسيرة قال صاحب الاكمال بفتح الهمزة وكسر السين ابن عسيرة بفتح العين وكسر السين المهملتين ابن عطية بن خدارة بن عوف بن الحارث بن الخزرج كذا نسبه الكلبي وابن سعد وتابعهما ابن عبد البر وقال فيما حكاه عن الشاطبي أسيرة بن عسيرة بضم أولهما وفتح ثانيهما قال ويقال في أسيرة بسيرة بياء مضمومة ومن قال فيه بالنون فقد صحف وخدارة بخاء مضمومة كما قال ابن عبد البر ويقال أيضا جدارة بجيم مكسورة (الانصاري) الخزرجي (البدري) نسبة الى بدر نزولا ومسكنا لانه لم يشهدوقعة جامع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاصح الذي قال به الجمهور ولكن الذي ذهب اليه البخاري ومسلم وغيرهما انه شهدها ثم شهد العقبة الثالثة مع السبعين وكان أصغرهم وشهد أحدا وما بعدها من المشاهد ونزل الكوفة وابتنى بها دارا ثم توفي بالمدينة وقيل بالكوفة سنة احدى أو اثنتين وأربعين قيل في خلافة علي وقيل آخر خلافة معاوية وقيل توفي بعد الستين وقيل سنة احدى وثلاثين والقولان الاخيران ضعيفان روى له مائة حديث وحديثان اتفقا على تسعة وانفرد البخاري بواحد ومسلم بسبعة (قال قال صلى الله عليه وسلم ان مما أدرك الناس) بالرفع في جميع الطرق والعائد على ما محذوف والتقدير مما أدركه الناس ويجوز النصب والعائد ضمير الفاعل وأدرك بمعنى بلغ أي مما بلغ الناس ثم ان الجار والمجرور في قوله مما خبر ان واسمها قوله الآتي اذا لم تستح الخ أي على تقدير القول أي قولهم اذا لم تستح كما قاله الطيبي وهو غير متعين بل يصح أن تجعل الجملة

هي بذلك بحد المنجل الذي يحصد به الزرع وفي الصحيح من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة وفيه ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى لا يلقي لها بالا يكتب له رضوانه الى يوم القيامة وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يعلم انها تقع حيث تقع فيكتب له بها سخطه الى يوم يلقاه أو يوحى بها في النار صيانة عن نحو غيبة في الحكمة لسانك أسدك ان أطلقته افترسك وان أمسكته حرسك ولهذا كان أبو بكر رضي الله عنه يمسك لسانه ويقول

هذا الذى أوردنى المهالك فلما نام رؤى فى المنام فقيل له ما الذى أوردك فقال لا اله الا الله فاوردنى الجنة (خاتمة المجلس) ينبغى لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام الا كلاما تظهر المصلحة فيه ومتى استوى الكلام وتركه فالسنة الامساك عنه لانه قد يجر الكلام المباح الى حرام أو مكروه بل هذا غالب فى العادة والسلامة لا يعدلها شئ ففى صحيحى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم ١٨٧ الآخر فليقل خيرا أو ليصمت وفيهما

هى الاسم على ارادة اللفظ أى هذا اللفظ أو يجعل الجار هو الاسم فتكون من تبعيضية أى ان بعض ما أدرك وجملة اذا لم تستح هى الخبر (من كلام النبوة الاولى) أى مما اتفقت عليه الانبياء عليهم الصلاة والسلام لانه حاز فى شريعة آدم واتفقت عليه بقيتها فما من نبى من الانبياء الا وندب اليه وحث عليه ولم ينسخ فى شريعة من الشرائع لانه أمر قد علم صوابه وظهر فضله واتفقت عليه العقول وتلقته جميع الامم بالقبول واضافة الكلام الى النبوة للاشعار بان ذلك من نتائج الوحى وقوله الاولى ليست فى رواية البخارى وان كان ظاهر كلام المؤلف خلافه لانه نسبه كله لرواية البخارى وهى ثابتة فى رواية أحمد وأبى داود وابن ماجه عن العجانى المذكور (اذا لم تستح) بحذف الياء واثباتها ويكون الجازم حذف الياء الثانية لانه من استحيى والاول من استحى (فاصنع) وفى رواية فافعل والصنع أخص من العمل (ماشئت) الامر للتهديد والتوبيخ أى اذا نزع منك الحياء وكنت لا تستحى من الله ولا تراقبه فاصنع ماشئت أى ماتهواه نفسك من الرذائل فان الله مجازيك عليه ونظيره قوله تعالى اعملوا ما شئتم وقوله تعالى فاعبدوا ما شئتم من دونه فاذا ارتفع الحياء صنعت النفس ماتهوى وأنشد بعضهم فى هذا المعنى قوله

اذا لم تخش عاقبة الليالى * ولم تستحى فاصنع ما تشاء
فلا والله ما فى العيش خير * ولا الدنيا اذا ذهب الحياء

(وقال آخر) اذا لم تصن عرضا ولم تخش خالقا * وتستح مخلوقا فما شئت فاصنع

أو هو للاباحة أى أنظر الى ما تريد ان تفعله فان كان مما لا يستحى من الله ومن الناس فى فعله فافعله وان كان مما يستحى من الله ومن الناس فى فعله فدعه وعلى هذا مدار الاحكام من حيث ان الفعل اما ان يستحى منه وهو الحرام والمكروه وخلاف الاولى واجتنابها مشروع أولا يستحى منه وهو الواجب والمندوب والمباح وفعل الاولين مطلوب والثالث جائز وهو بمعنى الخبر كما فى قوله صلى الله عليه وسلم من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار أى صنعت ماشئت لان ترك الحياء يوجب الاستهتار والانهماك فى هتك الاستار أو المراد الحث على الحياء والتنويه بفضله أى لم يجز صنع ماشئت لم يجز ترك الاستحياء والاول أولى وأظهر والحياء بالدلالة تغير وانكسار يعترى الانسان من خوف ما يعاب به وقيل انقباض وخشية يجدها الانسان من نفسه عند ما يطلع منه على قبيح واصطلاحا خلق يبعث على ترك القبيح ويمنع من التقصير فى حق ذى الحق وحده أبو القاسم الجنيد بابه رؤية الآلاء أى النعم ورؤية التقصير فيتولد بينهما حالة تسمى حياء وأما الحياء بالقصر فيطلق على المطر وعلى فرج الناقة وقد صح أنه صلى الله عليه وسلم قال الحياء خير كله لا يأتى الا بخير * وحكى أن رجلا رأى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له أنت قلت الحياء خير كله بالقصر فقال لا ثم رآه ثانيا فقال له مثل ذلك فقال لا فاخبر بذلك بعض العلماء فقال له الحياء بالقصر فرج الناقة والذى فى الحديث بالمد فرآه الثالثة وسأله وقال أنت قلت الحياء خير كله فقال نعم وينبغى أن يراعى فيه القانون الشرعى فان منه ما يذم كالحياء المانع من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر مع وجود شروطه فان هذا جبن لا حياء ومثله الحياء فى العلم المانع من سؤاله عن

عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال قلنا يا رسول الله أى المسلمين أفضل قال من سلم المسلمون من لسانه ويده وبلغنا أن قس بن ساعدة وأكثم بن صيفى اجتمعا فقال أحدهما لصاحبه كم وجدت فى ابن آدم من العيوب قال هى أكثر من أن تحصى والذى أحصيته منها ثمانية آلاف ووجدت خصلة ان استعملها استر العيوب كلها قال ما هى قال حفظ اللسان فالصمت سلامة كما قيل

احفظ لسانك أيها الانسان
لا يلدغنك انه ثعبان
كم فى المقابر من قتيل لسانه
كانت تهاب لقاءه الشجعان

وقيل

جراحات السنان لها التئام
ولا يلتام ما جرح اللسان

(المجلس الثلاثون فى الحديث الثلاثين)

الحمد لله الذى اذا أنعم أكرم من شاء ومن شاء أهان وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الحنان المنان وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث رحمة الى الانس والجان صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما اختلف الجديدان آمين (عن أبى ثعلبة الخشنى جرثوم بن ناشر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها حديث حسن رواه الدارقطنى وغيره) اعلموا اخوانى وفقنى الله وايا كم لطاعته ان

هذا الحديث حديث عظيم قال بعضهم ليس في الاحاديث حديث واحد أجمع بانفراده لاصول الدين وفروعه منه ولهذا قال المعافى من عمل به فقد حاز الثواب وأمن العقاب (قوله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى فرض فرائض) أى أوجبها وحتم العمل بها (قوله فلا تضيعوها) أى بالترك أو التهاون فيها حتى يخرج وقتها بل قوموا بها كما فرض عليكم (قوله وحد حدودا) جمع حد وهو لغة الحاجز بين الشيئين وشرعا عقوبة مقدرة من الشارع تزجر عن المعصية أى جعل لكم حواجز وزواجر مقدرة

تحجزكم وتزجركم عما لا يرضاه (قوله فلا تعتدوها) أى لا تزيدوا عليها عما أمر به الشرع (قوله وحرم أشياء فلا تنتهكوها) أى لا تتناولوها ولا تقربوها (قوله وسكت عن أشياء رحمة لكم) أى لاجلكم (غير نسيان) أى لها (فلا تبحثوا عنها) لان البحث عنها قد يكون سببا لنزول التشديد فيها بايجاب أو تحريم وقد صح هلاك المتنطعون والمتنطع البحاث عما لا يعنيه وقال ابن مسعود اياكم والتنطع اياكم والتعمق ومن البحث عما لا يعنى البحث عن أمور الغيب التى أمرنا بالايمان بها ولم تبين كيفيتها لانه قد يترتب عليها الحيرة والشك ويرتقى الى التكذيب ولهذا قال ابن اسحق لا يجوز التفكر فى الخالق ولا فى المخلوق بما لم يسعه وه فيه كما يقال فى قوله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده كيف يسبح

الجماد لانه تعالى أخبر به فيجعله كيف شاء كما شاء انتهى وفى الصحيحين ما يؤيد حرمة التفكر للصاحب فى الخالق كخبر البخارى يأتى الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول من خلق ربك فاذا بلغه فليستعذ بالله وليدعه فى مسلم لا يزال الناس يسألون حتى يقال هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله فمن وجد شيئا من ذلك فليقل آمنت بالله فتفكروا يا اخوانى فى مصنوعات الله ولا تتفكروا فى الله فالتفكر فى المصنوعات من أعظم القربات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تفكروا

في خلق الله ولا تفكروا في الله فانكم ان تقدروا قدره وقال الحسن تفكر ساعة خير من قيام ليلة وقال ابراهيم بن أدهم الفكرة حج القلب * والفكر على ثلاثة أقسام * الاول الفكر في المصنوعات والاستدلال بها على الله وهو شان العامة * والثاني الفكر في لطائف صنع الله تعالى وفواضل نعم الله وهو سادة الشكر لله * والثالث الفكر في الاعمال لتخليصها من الشوائب وهو شان العابدين قال الفضيل رحمه الله الفكرة مرآة تريك حسناتك وسيآتك قال تعالى أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض

للصاحب وقرى الضيف ورأس من الحياء اه ومعنى صدق البأس أي الصدق في مقابلة العدو ومعنى التذمم ان يحفظ ذمامه أي حرمته وحقه ويطرح عن نفسه ذم الناس ومن علامات الحياء ان لا يخاف غير الله كما حكي عن بعضهم انه قال خرجنا ليلة فمررنا بامرأة واذا رجل نائم وفرسه عند رأسه ترعى فحركناه وقلنا له ألا تخاف ان تنام في هذا الموضع المخوف فرفع رأسه وقال استحي منه ان أخاف غيره ووضع رأسه ونام وروى عن عمر رضي الله عنه انه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده يبكي فقال ما يبكيك يا رسول الله قال اخبرني جبريل عليه السلام ان الله يستحي من عبد يشيب في الاسلام أن يعذبه أفلا يستحي الشيخ من الله تعالى أن يذنب وقد شاب في الاسلام وفي الحديث أيضا انه يؤتى بشيخ يوم القيامة بين يدي الله تعالى فيقال له ما فعلت من الحسنات فيقول يا رب فعلت كذا وكذا والله يعلم انه كاذب فيأمر الله به الى الجنة فتقول الملائكة يا رب انه كذاب فيقول الله علمت ذلك منه ولكن استحييت منه ان أكذب شيبته (رواه البخاري) في ذكر بني اسرائيل (تنبيه) حكي أن بعضهم وافى البصرة نحو شعبة يسمع منه وبكر فصادف المجلس قد انقضى وانصرف شعبة الى منزله فحمله السرف الى أن سأل عن منزل شعبة فارشد اليه فجاءه فوجد الباب مفتوحا فدخل من غير استئذان فوجد شعبة جالسا على البلوعة يبول فقال السلام عليكم رجل غريب قد جئتك من بلدة بعيدة لتحدثني بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستعظم شعبة ذلك فقال يا هذا دخلت منزلي بغير اذني وتكلمني على مثل هذا الحال فقال اني خشيت الفوت فقال تاخر عني حتى أصلح من شأني فلم يفعل واستمر في الالحاح قال وشعبة يخاطبه وذكره في يده يستبري فلما أكثر قال اكنيت حدثنا منصور بن المعتمر عن ربعي بن حراش عن أبي مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ما شئت ثم قال والله لا أحدثك بعد هذا الحديث ولا حدثت قوما تكون فيهم

(الحديث الحادي والعشرون)

(عن أبي عمرو) بالواو لانهم ذكروا ان اسم عمر والمفتوح العين يكتب في حال الرفع والجر بالواو للفرق بينه وبين عمر المضموم العين ولا تكتب فيه في النصب لحصول الفرق بالالف وانما جعلت الواو فيه رفعا وجرا لخفته من ثلاثة أشياء فتح أوله وسكون ثانيه وصرفه (وقيل) أبي (عمرو) بالهاء (سفيان) بن عبيد (ابن عبيد الله) ابن أبي ربيعة وقيل بن حطيط بن الحارث الثقفي معدود من أهل الطائف وكان عاملا لعمر عليها حين عزل عنه عثمان بن أبي العاص روى مسلم عنه هذا الحديث فقط (قال قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام) اي في دينه وشرعته (قولا) جامعا لاموره أكتفي به بحيث (لا) احتاج الى أن (أسال عنه احدا غيرك) اكونه واضحا في نفسه مبينا الغيره وفي رواية بدل غيرك بعدك أي بعد سؤالك كقوله تعالى بما يسلك فلا مرسل له من بعده اي من بعد اسماكه وقوله في الرواية الاولى غيرك ملزوم هذا اللفظ فانه اذا لم يسأل بعد سؤاله أحدا يلزم منه انه لا يسأل غيره ذكره

وما خلق الله من شئ وان عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون أي أولم ينظروا ويتدبروا ويتفكروا في عجائب المملكة وبدائع ما في السموات والارض ويتفكروا فيما خلق الله من شئ فيجدوا فيه دلالة على حكمة الله ويتفكروا في اقتراب الآجال وانقطاع الآمال فيبادروا الى صالح الاعمال فبأي حديث بعد هذا القرآن يؤمنون فالتفكر في المصنوعات هو المراد بهذه الآية وأسئلها واقرب المصنوعات اليك نفسك ففي نظرك في خلقك وتركيبك وميلك وشهواتك وحواسك كفاية في الاعتبار قال الله تعالى وفي انفسكم أفلا تبصرون المعنى أفلا تعتبرون وتنظرون الى ما في أنفسكم من بدائع الحكمة واتقان الصنعة ودقائق اللطائف وصنوف

العجائب فتستدلون بها على خالقها وعلى كمال قدرته وقدرين الله تعالى الانسان بالاعضاء الظاهرة وجمع الاشياء المتضادة في المعاني الباطنة وهي الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة وهذا من عجيب القدرة التي لا يقدر عليها غيره قال الشاعر

الماء والنار في ذات قد اجتمعا * والماء والنار كيف الحال ضدان

وقال أهل البصائر الناقدة جعل الله تعالى في الانسان سر نسخة الوجود كما قيل وسيتوه العالم الصغير وقيل ما من مخلوق الا وفي الانسان خصلة منه اما صورية أو معنوية وقال أهل النظر

ينبغي للإنسان أن يكون فيه عشر خصال من أخلاق الطير والبهائم سخاوة الديك وأمانة الحمامة وصمت الباز وحذر الغراب وحزن الطاوس وبصيرة الهدهد وأنفة الفهد وصدق النرس وصبر الجمل وود الكلب ويختم بخامس يقوى الكل وهو التفكر قال بعض العارفين التفكر ينقسم إلى قسمين الأول يتعلق بالمعبود والثاني يتعلق بالعبد فما يتعلق بالعبد فينبغي له أن يتفكر هل هو على معصية أم لا فإذا رأى زلة من نفسه ١٩٠ فله أن يبادر كها بالتوبة ثم يتفكر في نقل الأعضاء عن المعاصي إلى الطاعات

فيجعل شغل عينيه الاعتبار وشغل لسانه الذكر والاستغفار والتسبيح والتهليل والاذكار وكذلك سائر أعضائه في الليل والنهار يستعملها في طاعة الواحد القهار ثم يتفكر في مبادرة الأوقات بالنوافل طالبا لما هو في دار الارباح فصلى لله تعالى زيادة عن الفرض ما استطاع وكذلك ينظر في أمر الصيام كالخميس والاثنين والأيام الشريفة التي هي مواسم الخير والطاعات ولا يغفل عنها ثم بعد ذلك نظر إنه يجب عليه زكاة أمر حها لمستحقها والا فليتصدق ثم بعد ذلك ينظر في قصر عمره فيتذكره قبل أن يذهب وهو لا يشعر ثم بعد ذلك يتفكر في صفات الباطن فيترك الخصال المذمومة كالكبر والعجب والبخل والحسد ويفعل الخصال المحمودة مثل الصدق والاخلاص والصبر والخشوف ويتفكر في زوال الدنيا وفنائها فيتركها لاهلها وفي بقاء الآخرة ودوامها فيطلبها ويعمرها كما قال بعض العارفين لاخوانه زوروا الآخرة تقلوبكم كل يوم وشاهدوا المواقف بأذهانكم وتوسدوا القبور بأفكاركم واعلموا أن ذلك كائن لا محالة وقد قيل

الا أيها الناسي ليوم رحيله * أراك عن الموت المفرق لاهيا
ولا ترعوي بالظاعنين الى البلى * وقد تركوا الدنيا جميعا كما هيا
ولم يخرجوا الا بقعر من وخرقة * وما عمروا من منزل ظل خاليا

الطيبي (قال قل آمنت بالله) لفظ الترمذي قل ربي الله (ثم استقم) على عمل المأمورات عقدا بالجنان وقولا باللسان وفعلا بالاركان واجتناب المنهيات وهاتان الجملتان منتزعتان من قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الآية والمعنى فيهما سين الموفقين المطاوعة كما يقال أرضيته فاسترضى وقال ابن فورك هي سين الطلب والمعنى أنهم طلبوا من الله تعالى أن يقيمهم على التوحيد وحفظ الحدود والاستقامة ضد الاعوجاج أي الاستواء في جهة الانتصاب واصطلاحا قد يعم الاكابر لانها الخروج عن المألوفات ومفارقة الرسوم والعادات والقيام بين يدي الله على حقيقة الصدق وقال البيضاوي اتباع الحق والقيام بالعدل ولزوم المنهج المستقيم وذلك خطب جسيم لا يحصل الا لمن أشرق قلبه بالانوار القدسية وتخلص من الكدورات البشرية والظلمات الانسية الطبيعية وأيده الله من عنده وقليل ماهم اهـ وقيل أن لا يختار العبد على الله شيأ وقيل هي لزوم طاعة الله تعالى وقيل هي الاخلاص في الطاعة وقيل هي أن تشهد الوقت لذي أنت فيه قيامه قامت بان تستشعر قيامك بين يدي مولاك فتحسن استقامتك له في دنياك وقال ابن فورك هي سؤال الله تعالى أن يثبتهم على الدين وقال بعض العارفين هي توبة بلا اصرار وعمل بلا فتور واخلاص بلا التفات ويقين بلا تردد وتفويض بلا تدبير وتوكل بلا هم وهذا مقام عزيز لا يحكمه الا من نصفى كالابريز وقيل هي المتابعة للسنة المحمدية مع التخلق بالاخلاق المرضية وقيل هي الاتباع مع ترك الابتداع قال بعضهم والاستقامة أصعب المقامات مطلقا هي كمقام الشكر اذ هو صرف العبد في كل ذرة ونفس جميع ما أنعم الله عليه الى ما خلق لاجله من عبادة ربه بما يليق من جوارحه على الوجه الاقوم ومن ثم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى فاستقم كما أمرت ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع القرآن آية كانت أشد ولا أشق عليه من هذه الآية ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه حين قالوا له قد أسرع اليك الشيب شيبتني هود وأخواتها أخرج ابن أبي حاتم لما نزلت هذه الآية شق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراه ضاحكا وقال الشبلي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت له روي عنك يا رسول الله انك قلت شيبتني هود وأخواتها فما الذي شيبك منها قص الانبياء وهلاك الامم فقال لا ولكن لما شيبني منها قوله تعالى فاستقم كما أمرت الخ لان قوله كما أمرت يدل على أن الاستقامة تكون بحسب المعرفة فمن كملت معرفته بربه عظم عنده أمره ونهيه فاذا سمع كما أمرت لم نعه طولب باستقامة تليق بمعرفته لكن قال في غيض الجود على حديث شيبتني هود ما نصه عدة السور الواردة في جملة الروايات ثنتية هود والواقعة والحاقة وسال سائل والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت والقارعة ولا تعارض بين الروايات لان رواية شيبتني هود وأخواتها تعم الجميع وتعيين البعض في بعض الروايات دون بعض يحمل على اسقاط بعض الرواة لذلك البعض لعدم سماعه له أو على أنه صلى الله عليه وسلم عينه لبعض دون بعض فتكون الواقعة متعددة تظهر أيضا أن القول بان المراد من سورة هود آية فاستقم غير مستقيم لان الاستقامة لم توجد في جميع

الواردة

وهم في بطون الارض صرعى جفاهم * صديق وخل كان قبل موافيا وأنت غدا أو بعده في جوارهم * وحيدا فريدا في المقابر ثاويا جعلك الذي قد كنت ترجو وداده * ولم تر انسانا لعهدك وافيا وكن مستعدا للحمام فانه * قريب ودع عنك المنى والامانيا وأما التفكر في المعبود فقد منع الشرع منه كما ندمناه (حكاية) اضطجع كسرى ليلة على فراشه فنظر الى الفلك فتفكر في هيئته واستدارته فقال أيها الفلك ان بناءك أنت سقفه لعظيم ١٩١ وان بيننا أنت غطاؤه لنظيم وان شيأ

الوارد في الطرق الصحيحة ولم يذكر شوري في رواية من الروايات مع اشتمالها على ما في هودای وهو قوله تعالى فادع واستقم كما أمرت وليس للقائل بهذا القول حجة يستند اليها اه وقد يقال ان شوري متأخرة في النزول عن هذا الاخبار فلا يرد ما ذكر قال أبو علي الدقاق الاستقامة لها ثلاثة مدارج أولها التقويم ثم الاقامة ثم الاستقامة فالتقويم يكون من حيث تأدب النفوس لانه عبارة عن اصلاح الجوارح وتعديلها بميزان الخوف والرجاء المسلم من النهايات وتستقيم على فعل الطاعات والاقامة تكون من حيث تهذيب القلوب أي تطهيرها من الآفات الذميمة والاستقامة من حيث تقريب الاسرار من القلوب بان تكون أفعال العبد كلها موزونة بميزان الشرع من غير تكلف تقويم ولا اقامة فالمعنى الاول تمحيض والثاني تحقيق والثالث توفيق قال بعضهم وعلامة المستقيم ان يكون مثل الجبل لان للجبل أربعة أوصاف الاول لا يذيبه الحر الثاني لا يضره البرد الثالث لا يحركه الريح الرابع لا يذهب به السيل فكذلك المستقيم اذا أحسن اليه انسان لا يحمله الاحسان ان يميل اليه بغير الحق والثاني اذا أساء عليه شخص لا يتشوش منه بل يتجاوز عنه وبعد ذلك كالعدم والثالث هوى نفسه لا يحوله عن أمر الله والرابع ان متاع الدنيا لا يشغله عن طاعة الله تعالى وقال القشيري الاستقامة درجة بها كمال الامور وتمامها وبوجودها حصول الخيرات ونظامها ومن لم يكن مستقيما ضاع سعيه وخاب جده وقال بعضهم انه لا يطيقها الا الاكابر لانها الخروج عن المألوفات ومفارقة الرسوم والعادات والقيام بين يدي الله على حقيقة الصدق ولعزتها أخبر صلى الله عليه وسلم ان الناس لم يطيقوها فقد أخرج أحمد استقيموا ولن تحصوا أي ان تطيقوا الاستقامة ولن تبلغوا كنهها (رواه مسلم) وهو من بدائع جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم التي اختص بها فانه صلى الله عليه وسلم جمع للسائل في هاتين الكلمتين جميع معاني الاسلام لانه توحيد وطاعة فالتوحيد حاصل بالجملة الاولى والطاعة بجميع أنواعها في ضمن الجملة الثانية اذ الاستقامة امتثال كل مأمور واجتناب كل منهي وأعظم ما يراعى استقامته بعد القلب اللسان لانه ترجمان القلب المعبر عنه ولذا زاد الترمذي في حديث قلت يا رسول الله ما أخوف ما تخاف علي أمتك فأخذ بلسان نفسه وقال هذا وفي مسند أحمد لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه وعن أبي سعيد الخدري مرفوعا اذا أصبح ابن آدم فان الاعضاء كلها تكفر اللسان اتق الله فينا فانك ان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا

* (الحديث الثاني والعشرون) *

(عن أبي عبد الله) وقيل كنيته أبو محمد وقيل أبو عبد الرحمن (جابر بن عبد الله) بن عمرو بن حرام بمهملتين مفتوحتين ابن عمرو بن سواد بتخفيف الواو ابن مسيلمة بكسر اللام ويقال ابن حزام بن ثعلبة ابن جابر بن حزام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ثاردة بن تزيد بالمثناة فوق ابن حيشم بن الخزرج (الانصاري) السلمي بفتح السين واللام وأمه أنيسة بنية عقبة بن عدي بن سنان أسلمت وبايعت (رضي الله عنهما) فأبوه صحابي شهد العقبة مع السبعين وهو أحد النقباء الاثني عشر

أنت تظلها لكبير وان فيك لعجبا للمعجبين
فليت شعري أعلى عمد من تحتك تتمسك أو بعلائق من فوقك تتعلق ولعمري ان ملكا أمسكك قدرته الملك
قدير وانه في استدارتك بتقديره لحكيم خبير
وان جهل من غفل عن التفكر في هذه العظمة
لغير صغير وليت شعري
كم أفنت هذه النجوم من القرون وكم سجت قبلنا أمما في سالف العصور
وليت شعري بم طلوعك حين تطلعين وبم سيرك حين تسيرين وأفولك حين تأفلين وبم علام سقوطك حين تغيبين
ليت شعري أساكنة أنت أم تتحركين أم كيف صفتك التي بها تتصفين
ولوليك الذي به تتوسمين ومن سمائك باسمائك التي بها تعرفين فسبحان من لامره تنقادين وبمشيئته تجرين وبصنعته استقامتك حين تستقيمين ورجوعك

حين ترجعين واستقرارك حين تستترين وبروزك حتى تبرزين فيا اخواني ارجعوا بنا الى مولانا فانه يعلم سرنا ونجوانا وقولوا يا الله يا الله يا الله اغفر لنا ولاهل مجلسنا أجمعين آمين آمين والحمد لله رب العالمين * (المجلس الحادي والثلاثون في الحديث الحادي والثلاثين) * الحمد لله الذي أنعم على أوليائه بالمحبة وزهدهم في الدنيا فلم يرغبوا في مثقال حبة واشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة من عرف ربه واشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أفضل من نصح الخلق ونبه صلى الله عليه وعلى آله ومن

وشرعا أخذ قدر الضرورة من الحلال المتيقن الحل فهو أخص من الورع اذ هو ترك المشتبه وهذا هو زهد العارفين وهو المراد هنا وأعلى منه زهد المقربين وهو الزهد فيما سوى الله من دنيا وجنة وغيرهما اذ ليس لصاحب هذا الزهد مقصد الا الوصول الى الله تعالى والقرب منه ويجب الزهد في الحرام ويندب في المشتبه (قوله في الدنيا) أي باستصغار جلتها واحتقار جميع شانها لتصغير الله تعالى لها وتحقيره اياها وتحذيره من غرورها وقد فسر العلماء الدنيا بانها ماحواه الليل والنهار وأظلته السماء وأقلته الارض واختلفوا في المزهود فيه منها فقيل الدينار والدرهم وقيل المطعم والمشرب والملبس والمسكن والاظهر انه كل لذة وشهوة ملائمة للنفس حتى الكلام بين مستمعين لهما لم يقصد به وجه الله تعالى وكان أبو سليمان يقول لا تشهد لاحد بالزهد لانه في القلب

* وقال الفضيل أصل الزهد الرضا عن الله عز وجل ومن كلام علي رضي الله عنه من زهد في الدنيا هانت عليه المصائب وقيل الزهد في الرياسة أشد من الزهد في الذهب والفضة وقيل لبعض السلف من معه مال هل هو زاهد قال نعم ان لم يفرح بزيادته ولم يحزن بنقصه

* وقال سفيان الثوري رحمه الله تعالى الزهد في الدنيا الامل ليس تصير ما كل الغليظ ولا بلبس العباء ومن دعائه اللهم زهدنا في الدنيا

ووسع علينا منها ولا تزوها عنا ثم غبنا فيها قال أحمد رحمه الله هو قصر الأمل والإياس مما في أيدي الناس وفي حديث مرسل يا رسول الله من أزهد الناس قال من لم ينس القبر والبلى وترك أفضل زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من أيامه وعد نفسه من الموتى وقد قسم كثير من السلف الزهد الى ثلاثة أقسام زهد فرض وهو اتقاء الشرك الاكبر ثم الاصغر وهو أن يراد بشئ من العمل قولا أو فعلا غير الله تعالى ثم اتقاء جميع المعاصي وهذا هو الزهد في الحرام فقط قيل ويسمى هذا زهدا وعليه الزهري وابن عيينة وغيرهما وقيل لا يسماه الا ان انضم الى ذلك الزهد بنوعيه الآخرين وهما ترك الشبهات رأسا وفضول الحلال ومن ثم قال بعضهم لازهد اليوم لفقد الحلال المحض وقد جمع أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى أنواع الزهد كلها في كلمة فقال هو ترك ما يشغلك عن الله عز وجل واعلموا اخواني ان الذم الوارد في الدنيا في الكتاب والسنة ليس راجعا لزمانها وهو الليل والنهار فان الله تعالى جعلهما خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ولا لمكانها وهو الارض لان الله تعالى جعلها لنا مهادا ولا الى ما أودعه الله تعالى فيها من الجمادات والحيوانات لان ذلك من نعمه على عباده وقال تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وانما هو للاشتغال بما فيها عما خلقنا لاجله من عبادته

صمت عن غيره فلما تجلى * كان لي شاغلا عن الافطار
وتشوقت مرة ثم لما * زارني جل عن مدا الانظار

(وأحللت الحلال) أي اعتقدت حله وفعلت واجبه بقرينة السياق (وحرمت الحرام) أي اجتنبته والظاهر كما قال ابن الصلاح أنه قصد به اعتقاد حرمته وأن لا يفعله بخلاف تحليل الحلال فانه يكفي فيه مجرد اعتقاد كونه حلالا وان لم يفعله اه ويوجه بانا لسنا مكلفين بفعل الحلال من حيث ذاته بل لما يترتب على فعله فلم يكن فعله شرطا في دخول الجنة بخلاف الحرام فانا مكلفون باجتنابه وباعتقاد حرمته لذاته (ولم أزد على ذلك شيأ) من الطاعات المندوبة ولم يذكر الزكاة والحج اما لعدم فرضهما حينئذ واما لكونه لم يخاطب بهما لفقد النصاب والاستطاعة وأما الان قوله وحرمت الحرام يتناوله لان ترك الفريضة من جملة المحرمات (أدخل الجنة) همزة الاستفهام فيه مقدرة والمراد من غير عقاب كما هو ظاهر السياق لان مطلق دخولها الما يتوقف على التوحيد قال المؤلف مذهب أهل الحق من السلف والخلف ان من مات موحدا دخل الجنة قطعا على كل حال كيفما كان فان كان سالما من المعاصي كطفل ومجنون اتصل جنونه بالبلوغ وتائب توبة صحيحة وموفق ما ألم بمعصية قط فانهم يدخلون الجنة ولا يدخلون النار أصلا لكنهم يردونها على الخلاف في الورود والصحيح أن المراد به المرور على الصراط وهو منصوب على ظهر جهنم وأما من عمل كبيرة ومات بغير توبة فهو في المشيئة ان شاء جعله كالقسم الاول وان شاء عذبه ثم يدخله الجنة ولا يخلد في النار أحد مات موحدا ولو عمل جميع المعاصي كما أنه لا يدخل الجنة أحد مات كافرا ولو عمل من أعمال البر ما عمل هذا مذهب أهل الحق الذي تظاهرت أدلة الكتاب والسنة واجماع من يعتد به عليه (قال نعم) تدخلها كذلك وظاهر الحديث يقتضي أن الاعمال الصالحة أسباب لدخول الجنة لان تعليق الحكم على الوصف يشعر بالعلية وقد ثبت في الصحيح انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لن ينجي أحدا منكم عمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدني الله برحمته فالجواب أن دخول الجنة بمحض فضل الله تعالى ليس الا وأما اختلاف مراتبها فبحسب العمل لكن لا بد للعبد أن يستند لفضله وهذا الحديث يدل على جواز ترك التطوعات في الجملة لكن من تركها ولم يعمل شيأ منها فقد فوت على نفسه ربحا عظيما وثوابا جسيما ومن داوم على ترك شئ من السنن كان ذلك نقصا في دينه وان قصد بتركها الاستخفاف بها والرغبة عنها كفر وانما ترك النبي صلى الله عليه وسلم تنبيهه عليها تيسيرا وتسهيلا عليه وتأليفا لقرب عهده بالاسلام وخشية من نفرته لو أكثر عليه مع العلم بانه اذا تمكن الاسلام من قلبه شرح الله صدره ورغبه فيما رغبت فيه بقية الصحابة من محافظتهم على التطوعات كمحافظتهم على الفرائض اغتناما لما جاء من تعظيم ثوابها (رواه مسلم) في كتاب الايمان (ومعنى) قوله (حرمت الحرام اجتنبته) اي تركته (ومعنى أحللت الحلال فعلته معتقدا حله) فيه نظر يعلم من كلام ابن الصلاح المتقدم ولو قال اعتقدت حله لكان أولى لان كل حلال لا يلزم فعله وأوله المؤلف لامتناع ابقائه على ظاهره لان النعمان ليس له تحليل ولا تحريم وانما

تعالى قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ثم من بني آدم من أنكر المعاد وهؤلاء هم أهل التمتع بالدنيا على ان منهم من كان يأمر بالزهد فيها أو يرى ان كثرتها توجب الهم والغم ولذا قال اصحابنا لا يكفي الخطيب من الوصية بالتقوى ذم الدنيا لان ذمها معلوم لكل أحد حتى لمنكري المعاد وبقيتهم يقرون بالمعاد ولكنهم منقسمون الى ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات فالاول وهم الاكثرون هم الذين وقعوا مع زهرة الدنيا يأخذونها من غير وجهها ويستعملونها في غير وجهها فصارت

أكبرهم وهؤلاء هم أهل الاهو والمعب والزينة والتفاخر والتكاثر وكل هؤلاء لا يعرفون المقصد منها ولا انها ممر سفر يتزود منها الى دار الاقامة وان آمن به مجملا والثاني أخذ هذا من وجه السكنه توسع في مباحاتها وتلذذ بشهواتها المباحة وهو وان لم يعاقب عليه لكنه ينقص من درجاته بقدر توسعه في الدنيا وصح عن ابن عمر لا يصيب أحد من الدنيا شيأ الا نقص من درجاته في الآخرة وان كان عليه كريما وقد روى الترمذي ١٩٤ ان الله اذا أحب عبدا حماه الدنيا كما يظل أحدكم يحمي سقيمه الماء وروى الحاكم

ان الله ليحمي عبده الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه وروى مسلم الدنيا سجن المؤمن أي بالنسبة لما أمامه من النعيم الاخروي وجنة الكافر أي بالنسبة لما أمامه من العذاب الدائم الاليم المقيم والثالث هم الذين فهموا المراد من الدنيا وأن الله سبحانه وتعالى لما أسكن عباده فيها وأظهر لهم لذاتها وشهواتها ليبلوهم أيهم أحسن عملا كما نص على ذلك في غير آية قال بعض السلف عمن زهد في الدنيا ورغب في الآخرة ولما بين الله تعالى أنه جعل ما على الارض زينة لها ليبلوهم أيهم أحسن عملا بين انقطاع ذلك ونفاذه بقوله وأنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا فمن فهم أن هذا هو ما آلها جعل همه التزود منها لدار القرار واكتفى من الدنيا بما يكتفي به المسافر في سفره وكان صلى الله عليه وسلم يقول مالي وللدنيا انما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب قال في ظل شجرة ثم راح وتركها ثم من أهل هذا القسم من اقتصر من الدنيا على سد رمقه فقط وهو حال كثير من الزهاد ومنهم من قنع لنفسه أحيانا في تناول بعض مباحاتها التقوى النفس به وتنشطها للعمل ومنه خبر أحمد والنسائي حبب الي من دنياكم النساء والطيب وقرة عيني في الصلاة وخبر أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب من الدنيا النساء والطيب و

ذلك الشارع فهو مجاز من باب اطلاق الملزوم وارادة اللازم (والله أعلم) بالصواب

(الحديث الثالث والعشرون)

(عن أبي مالك) وقيل اسمه عبيد والمشهور ان اسمه كعب (ابن عاصم) وقيل عامر وقيل عمرو (رضي الله عنه) مات في طاعون عمواس في خلافة عمر بن الخطاب وطعن هو ومعاذ وأبو عبيدة وشرحبيل بن حسنة في يوم واحد (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطهور) بالفتح اسم للماء الذي يتطهر به كسحور وفطور ووقود لما يتسحر أو يفطر أو يوقد به وبالضم للفعل وهو المراد هنا اذ لا دخل لغيره في الشطرية الآتية الا بتكلف بان يقال استعمل الطهور الخ وزعم أن الرواية بالفتح لا الضم مردود لان الضم هو المختار وقول الاكثرين اذ المراد الفعل كما قال المؤلف وغاية ما فيه انهم جوزوا الفتح ثم ان الطهور عند مالك ما يتكرر منه الطهارة كالصبور فجوز الطهارة بالماء المستعمل وعند الشافعي هو الماء الطاهر في نفسه المطهر لغيره ماء كان أو ترابا وقال أبو حنيفة انه الطاهر وزاد ازالة النجاسات بالمائعات (شطر) بتقديم الشين المعجمة على الطاء أي نصف (الايمان) الكامل بالمعنى الاعم المركب من التصديق والاقرار والعمل وان كان ذا خصال كثيرة وأحكام متعددة لانها منحصرة فيما يطلب التنزه عنه وهو كل منهي عنه وما يطلب التلبس به وهو كل مأمور به وقيل المراد بالايمان الصلاة كقوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم أي صلاتكم بيت المقدس وأطلق الايمان عليها لانها أعظم آثاره وأشرف نتائجه وانما جعل الطهور شطرها لان صحتها باجتماع أمرين الاركان والشروط وأظهر الشروط وأقواها الطهارة فجعلت كأنها الشرط كلها ونوزع بان فيه تجوزا في قصر الايمان على الصلاة واخراج الشطر عن حقيقته المماثل له وهو الشرط والمجاز لا بد له من قرينة وأما حمل المصنف الطهور على معناه الشرعي وهو الوضوء فنظر فيه من وجهين أحدهما أنه لا يتضح حينئذ معنى الشطرية الا بادعاء أنه ينتهي نصفه الاخر فيه الى نصف الايمان وهذا وان قيل به الا أنه يحتاج الى دليل ثانيهما ان الطهور لا ينحصر في الوضوء بل يعم الغسل والتيمم والطهارة من الخبث وليس واحد من هذين النظرين في محله كيف ورواية ابن ماجة وابن حبان في صحيحه اسباغ الوضوء شطر الايمان والمراد اتمامه وزوائه الترمذي والوضوء شطر الايمان وحينئذ فيقال يحتمل أن معناه انه تمام الشطر لا أنه كل الشطر والمراد بالوضوء فيه معناه اللغوي وهو يرجع لمعنى الطهارة الذي قررناه أولا لكن يعكر عليه رواية اسباغ الوضوء فانها نص في أن المراد الوضوء الشرعي فيحمل الطهور على الوضوء والوضوء على معناه الشرعي والشطر على مطلق الجزء اتضح هذا المقام وزال الاشكال وأما قول من قال أن الايمان اطهر نجاسة الباطن والوضوء يطهر نجاسة الظاهر منه ففيه بحث لانه حينئذ ليس شطر الايمان بل هو مماثل له في التطهير *(تنبيه)* خص الله الاعضاء بالوضوء قيل لان آدم صلى الله عليه وسلم لما توجه الى الشجرة بالوجه ومشى اليها بالرجل ووضع يده على رأسه فاره الله بغسلها تكفيرا لخطاياه ثم ان الطهور ورد في القرآن لمعان الاول الطهور من الشرك كقوله تعالى في البقرة و

فاصاب من النساء والطيب ولم يصب من الطعام وتناول الشهوات المباحة بقصد التقوى على الطاعة يعتبر هاطاعات فلا يكون من الدنيا ولذا صح على ماقاله الحاكم انه صلى الله عليه وسلم قال نعمت الدار لمن تزود منها لآخرته حتى يرضى ربه وبئست الدار لمن صدف بها عن آخرته وقصرت به من رضا ربه واذا قال العبد قبح الله الدنيا قالت الدنيا قبح الله أعصانا لربه وليعلم ان الحامل على الزهد أشياء منها استحضاره الآخرة ووقوفه بين يدى مولاه فحينئذ يغلب شيطانه وهواه ١٩٠ وتعزب نفسه عن لذات الدنيا ونعيمها وشاهده ان حارثة رضى الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم أصبحت مؤمنا حقا قال له ان لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك قال صرفت نفسى عن الدنيا فاستوى عندى حجرها ومدرها وكأنى أنظر الى عرش ربى بارزا وكانى أنظر الى أهل الجنة فى الجنة ينعمون والى أهل النار فى النار يعذبون قال يا حارثة عرفت فالزم ومثل هذا هو الذى تكون الدنيا سجنه ولذا قال أثنوا لو أوصى لاعقل الناس صرف للزهاد أى لانه لا أعقل منهم حيث آثروا الباقى على الفانى ومنها استحضار ان لذاتها شاغلة للقلوب عن الله ومنقصة للدرجات عنده وموجبة لطول الحبس والوقوف فى ذلك الموقف العظيم للحساب والسؤال عن شكر نعيمها ومنها كثرة التعب والذل فى تحصيلها وكثرة عيوبها وسرعة تقلبها وفنائها ومزاحمة الارذل فى طلبها وحقارتها عند الله ولذا قال الفضيل لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت على حلالا أحاسب عليها التقذرتها كما تتقذر الجيفة ومنها استحضار تبعاتها وما فيها ملعونة الا ما استثنى فى قوله صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالما ومتعلما وما وجب لرفعه الدرجات وحلول الرضوان الاكبر منه تعالى فى دار الكرامات ولذا قال صلى الله عليه وسلم ازهد فى الدنيا يحبك الله ان الله تعالى يحب من أطاعه ويحبب مع محبة الدنيا لا تجتمع كما دلت عليه

بيتى للطائفين أى من الاوثان فلا تدع حوله وثنا يعبد من دون الله وقال تعالى فى المفصل فى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة يعنى من الشرك والكفر والثانى طهور القلب من الريبة كقوله تعالى ذلكم ازكى لكم واطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون وقال فى الاحزاب واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن أى من الريبة الثالث الطهور بمعنى الحل كقوله تعالى فى هود هؤلاء بناتى هن أطهر لكم يعنى أحل لكم والرابع الطهور من الذنب كقوله تعالى فى براءة خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها أى من الذنوب الخامس الطهور من الحيض كقوله تعالى فى البقرة لهم فيها أزواج مطهرة أى من الحيض السادس التنزه عن اتيان الرجال فى الادبار كقوله تعالى فى الاعراف أخرجوا آل لوط من قريتكم أنهم اناس يتطهرون أى يتناهون عن اتيان الرجال فى أدبارهم السابع الطهور من جميع الاحداث كقوله تعالى فى الانفال وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به يعنى من الاحداث والجنابة الثامن الاغتسال كقوله تعالى فى البقرة ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن أى اغتسلن التاسع بمعنى الاستنجاء كقوله تعالى فى براءة فيه رجال يحبون أن يتطهروا يعنى يغسلوا أثر البول والغائط (والحمد لله) يحتمل هذا اللفظ وحده لانه أفضل صيغ الحمد كما دل عليه الكتاب والسنة ويحتمل هذا اللفظ وكلما اشتق منه كحمدت الله وليس المراد به الفاتحة بكمالها خلافا لمن زعمه (تملأ) بمثناة فوقية أو تحتية والاول أرجح ولفظ ابن ماجه تملء (الميزان) أى ثواب التلفظ بها مع استحضار معناها والاذعان له يملأ كفة الميزان التى هى مثل طباق السموات والارض وفيه كالآيات والاحاديث الشهيرة اثبات الميزان ذى الكفتين واللسان ووزن الاعمال بها بعد أن تجسم وتكون الحسنات جواهر بيضاء مشرقة والسيئات جواهر سوداء مظلمة أو توزن صحائفها المشتملة عليها وميزان مفعال من الوزن واصله موزان قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها كميقات وميعاد لانهما من الوقت والوعد قيل ولكل انسان ميزان لظاهر قوله تعالى ونضع الموازين والاصح أنه ليس الا ميزان واحد خلافا لمن قال لكل أمة ميزان ولكل انسان ميزان والجمع اما باعتبار الموزونات أو لكونه ذا أجزاء على حد قوله شابت مفارقه مع انه ليس للانسان الا مفرق واحد وجعل ذو عنانين مع انه ليس له الا عنان واحد وهو شعيرات طوال تحت حنكه لكنهم سموا كل محل من المفرق مفرقا وكل محل من العنان عنانا أو لتعظيم شأنه وتفخيمه أولان كل واحد يتلون له الميزان بصورة ما كان العبد عليه فى دار الدنيا والكافر كالمؤمن فى وزن الاعمال لكن يؤتى باعماله فى أقبح صورة وقوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا أى نافعا أو قدرا فان قيل اذا وزنت الاعمال وربحت أو خفت فماذا يفعل بها بعد ذلك فالجواب أن من سعد وضعت أعماله الصالحة على باب داره فى الجنة فيكون ذلك زيادة فى نعيمه وان كان خاسرا وضعت على باب داره فى النار ليكون ذلك زيادة فى عذابه * (تنبيه) * قال بعض الشافعية أفضل الحامد أن يقال الحمد لله حمدا يوافى نعمه ويكافئ مزيده واحتج على ذلك بما فى بعض الاخبار ان الله تعالى لما أهبط آدم عليه الصلاة والسلام الى الارض قال يا رب علمنى المكاسب وعلمنى كلمة تجمع لى فيها المحامد فأوحى الله تعالى اليه أن

النصوص والتجربة والتواتر ولذا قال صلى الله عليه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة وإنه لا يحب الخطايا ولا أهلها ولا لها لهوا لعبت وأن الله تعالى لا يجمع حبها ولا ن القلب بيت الرب لا شريك له ولا يحب أن يشركه في بيته حب دنيا ولا غيرها قيل أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام يا داود إني حرمت على القلوب أن يدخلها حبي وحب غيري يا داود إن كنت تحبني فاخرج حب الدنيا من قلبك فإن حبي وحبها لا يجتمعان في قلب ١٩٦ واحذر يا داود من أحبني يتهجد بين يدي إذا نام البطالون ويذكرني في خلوته إذا لهى

عن ذكري الغافلون وحاصل ما ذكرناه أنا نقطع بأن حب الدنيا مبغض عند الله تعالى والزاهد فيها محبوب له تعالى ومحبتها الممنوعة هي إيثارها لنيل الشهوات واللذات لأن ذلك يشغل عن الله تعالى أما محبتها لفعل الخير والتقرب إلى الله تعالى فهو محمود بخبر نعم المال الصالح للرجل الصالح يصل به رحمه ويصنع به معروفا وفي أثر إذا كان يوم القيامة جمع الله تعالى الذهب والفضة كالجبلين العظيمين ثم يقول هذا ما لنا عاد البناء سعد به قوم وشقي به آخرون (قوله صلى الله عليه وسلم وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس) أي لأن قلوب غالبهم مجبولة على حب الدنيا ومن نازع إنسانا في محبوبه كرهه ومن لم يعارضه فيه أحبه ولذا قال الشافعي رضي الله عنه ومن يذق الدنيا فإني طعمتها * وسيق إلينا عذبها وعذابها فلم أرها إلا غرورا وباطلا * كما لاح في ظهر الفلاة سرابها وما هي إلا جيفة مستحيلة * عليها كلاب همهن اجتذابها فإن تجتنبها كنت سلما لأهلها * وإن تجتذبها نازعتك كلابها فدع عنك فضلات الأمور وهمها * وحرام على نفس التي أنت طيبها قال بعضهم ولا يبعد عندي أن الزاهد في الدنيا تحبه الإنس والجن أخذا بعموم لفظ الناس إذ يطلق إلا على الإنس والجن وأخرج الطبراني ازهد فيما في أيدي الناس تكن غنيا وقال الحسن لا يزال الرجل على الناس كريما

قل ثلاث مرات عند كل صباح ومساء الحمد لله حمدا يوافي نعمك ويكافئ مزيدك فقد جمعت لك فيها جميع المحامد وقيل أفضل المحامد أن يقال الحمد لله بجميع محامده كلها أما علمت منها وما لم أعلم زادها عدد خلقه كلهم ما علمت منهم وما لم أعلم واحتج له بما روى أن رجلا قال هذه الكلمات بعرفات فلما كان من العام المقبل حج وأراد أن يقولها فسمع قائلا يقول يا عبد الله أنعبت الحفظة فانهم يكتبون ثواب هذه الكلمة من العام الماضي إلى الآن وبني على ذلك مسئلة فقهية وهي من حلف بالطلاق ليحمدن الله بأفضل المحامد فقال كل فريق لا يبر إلا بما قاله من ثلاث المحامد وقيل لا يبر حتى يقول اللهم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وقيل لا يبر حتى يقول ليس كمثله شئ (وسبحان الله والحمد لله ملآن) بالفوقية على اعتبار أنهما جملتان أو بالتحتية على اعتبار أنهما قطعان أو ذكران أو نوعان (أو) شك من الراوي (تملأ) بالفوقية أي هذه الكلمة لأنها مطلق عليهما كلمة لغة كما قال في الخلاصة والرسالة والقصيدة كلمة وبالتحتية أي هذا اللفظ أو هذا الذكر (ما بين السموات والأرض) وذلك لأن الحمد وحده يملأ الميزان فإذا أضاف إليه سبحان الله ملأ زيادة على ذلك ما بين السماء والأرض إذا الميزان عمل وثواب التحميد وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله وله عشر حسنات ومن قال لا إله إلا الله وله عشرون حسنة ومن قال الحمد لله كتب له ثلاثون حسنة وإذا كان كذلك لأن الحمد في ضمنه التوحيد الذي هو لا إله إلا الله ففي قوله الحمد لله توحيد وحمد وقوله لا إله إلا الله توحيد فقط وأورد على هذا قوله عليه الصلاة والسلام أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وأجيب بأنه محمول على من أراد الخروج من الكفر إلى الإسلام بكلمة التوحيد والأول لمن استقر الإيمان في قلبه وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله وبحمده في كل يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر وعنه أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به الا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن جويرية بنت الحارث أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج ذات غداة من عندها وكان اسمها بارة فحولها رسول الله صلى الله عليه وسلم فسماها جويرية وكره أن يقال خرج من عندها فخرج وهي في المسجد ورجع بعد ما تعالى النهار فقال ما زلت في مجلسك هذا منذ خرجت بعد قالت نعم فقال لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزن بكلماتك لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته قال الإمام فخر الدين الحمد لله ثمانية أحرف وأبواب الجنة ثمانية فمن قال هذه الثمانية عن صفاء قلبه استحق ثمانية أبواب الجنة وقال بعضهم أول كلمة ذكرها أبونا آدم الحمد لله رب العالمين وآخر كلمة ذكرها أهل الجنة الحمد لله رب العالمين أما الأولى فلأن آدم لما بلغ الروح إلى سرته عطس فقال الحمد لله رب العالمين فأجابه الله تعالى برحمك الله وأما الثانية فلقوله تعالى في حق أهل الجنة وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين (والصلاة) الجامعة لشرائطها المصححة والمكملة (تود) من باب قولهم زيد عدل

ما لم يقطعها في أيديهم فحينئذ يستخفون به ويكرهون حديثه ويبغضونه وقال أيوب السختياني لا يعبر الرجل حتى يعد عما في أيدي الناس ويتجاوز عما يكون منهم وكان ابن عمر يقول في خطبته ان الطمع فقر وان اليأس غنى وسأل ابن سلام كعبا بحضرة عمر رضي الله عنهم ما يذهب بالعلم من قلوب العلماء بعد ان حفظوه وعقلوه قال يذهبه الطمع وشره النفس وتطلب الحاجات الى الناس وقال اعرابي لاهل البصرة من سيدكم قالوا الحسن قال لم سادكم قالوا احتاج الناس الى علمه واستغنى هو عن دنياهم فقال ما احسن هذا (خاتمة الحاس) قد تضمن هذا الحديث الحث على التقليل من الدنيا ولذا قال صلى الله عليه وسلم كن في الدنيا كانك غريب أو عابر سبيل وقال حب الدنيا رأس كل خطيئة كما مر وقال صلى الله عليه وسلم من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى ونقل عن الاربعين الوزغانية خبرا رغب فيما عند الله يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس ان الزاهد في الدنيا يريح قلبه وبدنه في الدنيا والآخرة وان الراغب في الدنيا يتعب قلبه وبدنه في الدنيا والآخرة ليجيء أقوام يوم القيامة لهم حسنات كامثال الجبال فيؤمر بهم الى النار فقيل يا نبي الله أو يصلون قال كانوا يصلون ويصومون ويتصدقون ويأخذون

وفي ذلك ثلاثة أوجه اما أن يكون جعله نفس العدل مبالغة في التشبيه واما أن يكون معناه ذو عدل على حذف المضاف واما أن يكون بمعنى عادل وعلى الاول جعل الصلاة نفس النور مبالغة في التشبيه من حيث انها تمنع عن المعاصي وتنهى عن الفحشاء والمنكر وتهدي الى الصواب كما أن النور تستضاء به أو لانها سبب في استنارة القلب واشراقه بانوار المعارف ومكاشفات الحقائق أو لانها تكون نورا لصاحبها بالبهاء في الدنيا وبالانس في القبر اقول أبي ذر صلوا ركعتين في ظلم الليل لظلمة القبر وفي عرصات القيامة لخبر بشر المشائين في ظلم الليل الى المساجد بالنور التام يوم القيامة وفي صحيح ابن حبان أنه صلى الله عليه وسلم ذكر الصلاة وقال من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة وفي الحديث ان أمتي يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء والغرة نور يخلقه الله في جباه المؤمنين والتحجيل نور يخلقه الله في أقدامهم وعلى الثاني يكون المعنى الصلاة ذات نور ويؤيده ما رواه الطبراني عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا حافظ العبد على صلاته فاتم وضوءها وركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت له حفظك الله كما حفظتني وصعدت بها الى السماء وللنور سبحانه وتعالى تنتهي الى الله تعالى تشفع لصاحبها وعلى الثالث منورة لوجه صاحبها لما جاء من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار وان لم يثبت حديثا فهو أثر عن شريك قاله الثالث لما دخل عليه وفي رياض الرياحين لليافعي عن شقيق البلخي قال طلبنا أشياء القبور فوجدناه في صلاة الليل وطلبنا جواب منكر ونكير فوجدناه في قراءة القرآن وطلبنا غبور الصراط فوجدناه في الصوم وطلبنا ظل العرش فوجدناه في الخلوة (والصدقة) أي الزكاة كما في رواية ابن حبان ويصح حمله على المعنى الاعم الشامل للواجبة والمندوبة وهو تم (برهان) هو لغة الشعاع الذي يلي وجه الشمس ومنه خبر ان روح المؤمن تخرج من جسده ولها برهان كبرهان الشمس ومنه سميت الحجة القاطعة برهانا لوضوح دلالتها واضطلاح الدليل والمرشد فهي مفزع اليها كما يفزع الى البراهين لانه اذا سئل يوم القيامة عن مصرف ماله كانت صدقاته براهين على صدق جوابه ويجوز أن يوسم المتصدق بسيما يعرف بها فيكون برهانا له على حاله ولا يسئل عن مصرف ماله أو هي حجة ودليل على ايمان المتصدق فمن تصدق استدل بصدقته على صدق ايمانه وعلى صحة محبته لمولاه ولما لديه من الثواب لبذله محبوبه بالجبلة والطبع رجاء ثوابه فلولا صحة ايمانه لما بذل عاجلا لآجل واما المنافق فيمتنع منها لكونه لم يعتقدها كقضية ثعلبة الانصاري فانه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ادع الله ان يرزقني مالا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ويلك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ثم عاود ثانيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما ترضى ان تكون مثل نبي الله لو شئت ان تسير معي الجبال ذهبا لسارت فقال والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله فرزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له النبي صلى الله عليه وسلم فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من أوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة وترك ما سواهما ثم نمت وكثرت حتى ترك الصلوات الا الجمعة وهي تنمو حتى ترك الجمعة أيضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ويح ثعلبة

وهنا من الليل لكنهم كانوا اذا لاح لهم شئ من الدنيا وثبوا عليه ونقل بعضهم خبر أيها الناس اتقوا الله حق تقاته واسعوا في مرضاته وأيقنوا من الدنيا بالفناء ومن الآخرة بالبقاء واعملوا لما بعد الموت فكأنكم بالدنيا ولم تكن وبالآخرة ولم تزل ان كل من في الدنيا ضيف وما فيها عارية وان الضيف مرتحل والعارية مردودة والدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر والدنيا مبغضة للاولياء الله محببة لاعدائه فمن شاركهم في محبوبهم أبغضوه وفي خبر أحمد والترمذي وابن ماجه من كانت الآخرة همه جمع الله شمله وجعل غناه في

قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت الدنيا همه شتت الله شمله وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما قدر له * وروى الترمذي لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء واذا علم ذلك فمن محاسن العاقل ان لا يغتر بمحاسن الدنيا فانها سا خرة تزين ظاهرها بمحاسنها وتخفي قبائحها ومساويها في باطنها ليغتر الجاهل بما يرى من ظاهرها ومثلها كمثل عجوز قبيحة المنظر تخفي وجهها وتلبس ١٩٨ أحسن الثياب وتتزين وتتجمل ليفتتن الخلق من بعدها فاذا كشفوا عنها غطاءها

وخمارها وألقوا عنها ازارها كرهوا النظر في وجهها وعاينوا قبائحها وندموا على الاغترار بها كما جاء في الخبر ان الدنيا يؤتى بها يوم القيامة في صورة عجوز قبيحة مشوهة زرقاء العينين كريهة المنظر قد تعرت عن أنيابها وكشرت عن إسنانها فاذا رآها الخلائق قالوا نعوذ بالله من هذه القبيحة المشوهة فيقال لهم هذه الدنيا الدنية التي كنتم عليها تتحاسدون ولاجلها كنتم تتحاقدون وتسفكون الدماء بغير حق وتقطعون أرحامكم وتغترون بزخرفها ثم يؤمر بها الى النار فتقول يا الهي أين أحبابي فيؤمر بهم فيلقون معها في نار جهنم وقد قال صلى الله عليه وسلم احذروا الدنيا فانها أسحر من هاروت وماروت ورأى عيسى صلى الله عليه وسلم الدنيا في بعض مكاشفاته وهي على صورة عجوز هرمة فقال لها كم كان

ثلاثا ثم نزل خذ من أموالهم صدقة الآية فبعث عليه الصلاة والسلام رجلين على الصدقة وقال لهما مرا بثعلبة وفلان رجل من بني سليم فخذا صدقاتهما فاتيا ثعلبة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الا أخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الي فامتنع فنزل قوله تعالى ومنهم من عاهد الله الثمن آتانا من فضله لنصدقن الآية فكان شخص من أقاربه حاضرا فذهب اليه وأخبره فجمع زكاة ماله وأتى بها النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقبلها ثم أتى بها الى بكر في خلافته فلم يقبلها ثم الى عمر ثم الى عثمان وهلك في خلافة عثمان وتقدم ما فيه من رده والذي عليه المفسرون انه من المنافقين وحكي عن بعض المذكرين انه قال في مجلسه ان الرجل اذا أراد ان يتصدق فانه يأتيه سبعون شيطانا فيتعلقون بيده ورجليه وقلبه ويمنعونه عن الصدقة فلما سمع بعض القوم ذلك قال اني أقاتل هؤلاء السبعين ومن من المسجد وأتى المنزل وملأ ذيله من الحنطة وأراد ان يخرج ويتصدق فوثبت زوجته وجعلت تنازعه وتحاربه حتى خرق ذلك من ذيله فرجع الرجل خائبا الى المسجد فقال له المذكر ماذا عملت فقال صرفت السبعين فجاءت أمهم شهرزمتي (والصبر) وهو لغة الحبس ومنه المصبورة التي نهى عنها وهي الدجاجة ونحوها تحبس غرضا وترمى حتى تقتل وسمي شهر رمضان شهر الصبر لانه شهر يحبس فيه النفس عن شهواتها من المطعم والمشرب والمنكح وسمي الصابر في المصيبة صابرا لانه حبس نفسه عن الجزع وقيل انما سمي الصبر صبرا لان مرارته في القلب وازعاجه للنفس كمرارة في الفم وشرعا الثبات على الكتاب والسنة وقال ابن عطاء الله هو الوقوف مع البلاء بحسن الادب وقال الاستاذ أبو علي الدقاق هو ان لا ينفر من المقدور واما اظهار البلاء على وجه الشكوى فلا ينافي الصبر وقيل حبس النفس على مراد الله تعالى وقيل حبس النفس بمشاق التكليف وهو مساو لقول بعضهم هو حبس النفس على العبادات ومشاقها والمصائب وحرارتها وعن المنهيات والشهوات ولذاتها وأفضل أنواعه الاخير فالاول لما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الصبر ثلاثة صبر على المصيبة وصبر على الطاعة وصبر على المعصية فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين السماء والارض ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين تخوم الارض الى منتهى العرش ومن صبر على المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين تخوم الارض الى منتهى العرش مرتين قال بعضهم الصبر صبران فالصبام أصبر اجساما والكرام أصبر نفوسا وليس الصبر الممدوح ان يكون صاحبه قوي الجسد على الالم والكد كما هو من صفات البهائم بل ان يكون للنفس علو ما والامور محتملا ولجاشه عند الحفاظ ربطا والفرق بين المتصبر والصابر ان الاول هو الذي يتحمل المشاق وتظهر عليه وانما يمنعه من الجزع خوف الله والثاني هو من تعود تحمل المشاق فلم تظهر عليه والثالث هو الذي عود نفسه الهجوم على المكاره بلا كافة في ذلك دون المرارة * (تنبيهان) * الاول عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وماله وولده حتى يلقى الله وما عليه من

ثم من زوج فقالت لا يحصون كثرة فقال عيسى عليه السلام ما تواعدتم أم طلقوك قالت بل أنا طلقتهم وأفنيتهم فقال يا عجبا لهؤلاء الحمقى الآخرين الذين يشاهدون ما بسواهم صنعت وهم فيما يرغبون وبغيرهم لا يعتبرون ومن أعجب النكت ما حكي عن ابراهيم بن أدهم رضي الله عنه انه وافق مجلسا في الري والري قرية من قرى الاسلام واذا فيه عالم جالس على سرير مرتفع بالخلاء والتكبر فلما فرغ من وعظه نهض ابراهيم وقرأ بإزاء النبي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي خلق

السرير فقال الفقيه أخطات ياخراساني فقر الذي خلق الفرس والاجام وكانت دابة الفقيه على باب المسجد فقال أخطات فقال الذي خلق القمر فقال اخطات فقال علمني كيف هو قال قل الذي خلق الموت والحياة فقال ابراهيم اذا علمت انك خلقت للموت فما هذا الخيلاء والتكبر فقال رميت اسهامه مترضا ونفذ سهمك في الغرض فنزل عن السرير وتاب الى الله تعالى وخرج مع ابراهيم سياحا وترك داره وماله لاهله حتى مات رحمة الله تعالى عليهما اللهم وفقنا أجمعين والحمد لله رب العالمين ١٩٩ *(المجلس الثاني والثلاثون في الحديث الثاني والثلاثين)*

خطيئة الثاني عن عكرمة انه قال طفئ سراج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل له يا رسول الله أمصيبة هي قال نعم كل شئ يؤذي المؤمن فهو مصيبة وقيل في قوله تعالى فاصبر صبرا جميلا الصبر الجميل ان يكون صاحب المصيبة في القوم لا يدري من هو (ضياء) فيه ما مر في نور وأصله ضواء فقلبت الواو ياء كما قلبت في الصيام والقيام والضياء هو النور الذي فيه حرارة واحتراق كضوء الشمس بخلاف النور فانه محض أشراق قال تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا ونحوه للزمخشري وانما جعل الصلاة نورا والصبر ضياء لانه أخص منها لاشتماله عليها وعلى غيرها من الطاعات لما مر فكان الضياء الاخص من النور الذي هو كالوصف الزائد عليه أولى به وأورد على هذا قوله تعالى الله نور السموات والارض وأشرقت الارض بنور ربها وأجيب بان معنى قوله تعالى الله نور أي منور فأورد بقاء السؤال ولم يقل مضيء وأجيب بان النور أعم وأشمل لانه يكون ليلا ونهارا واراد الضياء لا يكون الا النهار بالشمس على ان المراد بالنور الهدى أي هادي أهلها ثم ان جعل الضوء أبلغ من النور أنكره ابن السكيت في الفلك الدائر وقال ليس له في اللغة شاهد ولا في الاستعمال مساعد ولا دليل في الآية لجواز أن يكون من التدبيج ويجتنب التكرير وأجيب بان كلام ابن السكيت بحسب أصل الوضع وما ذكر بحسب الاستعمال كما في الاساس (تنبيه) ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال أيما رجل صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الاجر مثل ما أعطى أيوب عليه الصلاة والسلام على بلائه وأيما امرأة صبرت على خلق زوجها أعطاها الله من الاجر مثل ما أعطى آسية بنت مزاحم امرأة فرعون وروي ان رجلا جاء الى عمر رضي الله عنه يشكي اليه خلق زوجته فوقف ببابه ينتظره فسمع امرأته تستطيل عليه بلسانها وهو ساكت لا يرد عليها فانصرف الرجل قائلا اذا كان هذا حال أمير المؤمنين فكيف حالي فخرج عمر فرآه مولية فناداه ما حاجتك فقال يا أمير المؤمنين جئت أشكو اليك خلق زوجتي واستطالتها فسمعت زوجتك كذلك فرجعت وقالت اذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالي فقال له عمر يا أخي اني أحتملها لحقوق لها علي انها طباخة لطعامي خبازة لخبزي غسالة لثيابي مرضعة لولدي ويسكن قلبي بها عن الحرام فانا أحتملها لذلك فقال الرجل يا أمير المؤمنين وكذلك زوجتي قال فاحتملها يا أخي فانها مدة يسيرة وكان لبعض الصالحين أخ صالح يزوره كل سنة مرة فجاءه مرة لزيارته فطرق بابه فقالت زوجته من فقال أخوزوجك في الله تعالى جاء لزيارته فقالت ذهب ليحتطب لاردته الله وبالغت في شتمه وسبه فبينما هو كذلك واذا بأخيه قد حمل الاسد حزمة حطب وهو مقبل به فلما وصل أخاه سلم عليه ورحب به ثم أنزل الحطب عن ظهر الاسد وقال اذهب بارك الله فيك ثم أدخل أخاه وهي تسبه فلا يجيبها فاطعمه ثم ودعه فانصرف على غاية من التعجب من صبره ثم جاء في العام الثاني فدق الباب فقالت امرأته من قال أخوزوجك في الله جاء يزوره قالت مرحبا وبالغت في الثناء عليه وأمرته بانتظاره فجاء أخوه والحطب على ظهره فادخله وأطعمه وهي تبالغ في الثناء فلما أراد مفارقته سأله عمار أي من ثلاث ومن هذه ومن حمل الاسد وحمله هو لها على ظهره فقال يا أخي توفيت تلك الشريرة

وفقني الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم (فقوله صلى الله عليه وسلم لا ضرر ولا ضرار) بكسر أوله من ضره وضاره بمعنى وهو خلاف النفع كذا قاله الجوهري فالجمع بينهما للتأكيد والمشهور ان بينهما فرقا قيل الاول الحاق مفسدة بالغير مطلقا والثاني مفسدة بالغير على وجه المقابلة أي كل منهما يقصد ضرر صاحبه من غير جهة الاعتداء بالمثل والانتصار بالحق وقال ابن حبيب الضرر عند أهل العربية الاسم والضرار الفعل فمعنى الاول لا تدخل على أخيك ضررا لم يدخله على نفسه ومعنى الثاني لا يضار أحد

بأحد وقيل الشر أن يدخل على غيره ضررا بما ينتفع هو به والضرار أن يدخل على غيره ضررا بما لا منفعة له به كمن مع ملا يضره
ويتضرر به المشروع ورجح هذا ابن عبد البر وابن الصلاح وقيل الأول ما ملك فيه منفعة وعلى جارك فيه مضرة والثاني ملا
منفعة فيه لك وعلى جارك فيه مضرة وهو بمجرد ذوقكم بلا دليل وان قال غير واحد ان هذا وجه حسن المعنى في الحديث وفي روايه
ولا اضرار من أضر به اضرار اذا ٢٠٠ ألحق به ضررا قال ابن الصلاح هي على ألسنة كثير من الفقهاء والمحدثين ولا ضرار

لها ولذا أنكرها آخرون
وخبر لا محذوف أي في
ديننا وفي شريعتنا وظاهر
الحديث تحريم سائر
أنواع الضرر والاذى ليل
لان النكرة في سياق
النفي تعم وفي الحديث
بعثت بالحنيفية السمحة
السهلة وقد صح حرم الله
من المؤمن دمه وماله
وعرضه وان لا يظن به
الا خيرا وصح أيضا ان
دماءكم وأموالكم
واعراضكم حرام عليكم
(تكملة) في ذكر ما ورد
في شدة عذاب من يؤذي
المؤمنين روى مجاهد
بسنده قال ان لجهنم ساحلا
كساحل البحر فيه هوام
وحيات كالبخت وعقارب
كالبغال فاذا استغاث
أهل النار قالوا الساحل
فاذا ألقوا فيه سلطت
عليهم تلك الهوام فتأخذ
أشفار أعينهم وشفاههم
وما شاء الله منهم تكشطها
كشطا فيقولون النار النار
فاذا ألقوا فيها سلط
عليهم الجرب فيحك
أحدهم جسده حتى
يبدو عظمه وان جلد أحدهم لأربعون ذراعا يقال يا فلان هذا تجد هذا يؤذيك فيقول وأي أذى أشد
من هذا قال بما كنت تؤذي المؤمنين اللهم سلمنا من هذه الأهوال فإنا لك يا أخي ان تؤذي أحدا أو تضره فعد قال الذي أعلم
لا ضرر ولا ضرار أي في ديننا أو شرعتنا كما قدمناه وهاتان الكلمتان تقتضيان رعاية المصالح اثباتا والمفاسد نفيا اذ الضرر هو
المفسدة فاذا انتفت لزم اثبات النفع الذي هو المصلحة فانظر يا أخي وتأمل هذا الحديث الحسن فعن أبي داود أنه قال الفقه يدور على

وكنت صابرا على أذيتها وبغيها فخر الله الأسد الذي رأيته يحمل الحطب بصبري عليها وصرت الآن
أحمل الحطب على ظهري لراحتي مع هذه وذكر بعض المفسرين ان أبا بكر كان عند النبي صلى الله
وسلم ورجل من المنافقين يسبه وأبو بكر لا يجيبه ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت يتبسم فلما
أبو بكر رضي الله عنه فقام النبي صلى الله عليه وسلم وذهب فتبعه أبو بكر فقال يا رسول الله ما دام يسبني
كنت ساكتا فلما أجبته قمت وذهبت فقال ان ملكا كان يجيبه فلما أجبته ذهب الملك وجاء
الشيطان وانا لا أكون في مجلس يكون فيه شيطان فنزل قوله تعالى فمن عفا وأصلح فأجره على الله وعند
بشر الحافي رحمه الله قال كان بعبادان رجل قد قطعه البلاء وسألت جذفاه على وجهه وهو في ذلك
الذكر عظيم الشكر لله تعالى فاذا هو مطروح من جنته فوضعت رأسه على حجري وجعلت أسأل الله
تعالى ان يكشف ما به فافاق فسمع دعائي فقال من هذا الفضولي الذي يدخل بيني وبين ربي ويعترض
علي في نقمتي ونحى رأسه من حجري قال بشر فعقدت مع الله عقدا ان لا اعترض أحدا في نقمة أراها
عليه (والقرآن) قيل تسميته بذلك توقيفية وقيل لجمعه والقرآن على وزن فعلان بمعنى مفعول بمعنى
الأمر والنهي والاستبشار والوعد والوعيد والقصص والمواعظ من قرأ الماء في الحوض اذا جمعه وقرأت
الناقة لبنها في الضرع جمعته أي امتثلت أمره واجتنبت نهيه واتعظت بمواعظه وقيل من قرأت
الكتاب قراءة وقرانا اذا تلوته لانه مجموع ومتلو * (فائدة) * عن عبد الاعلى بن النجم قال بت ليلة
أيام ابن حريش وابن خلف المقاقري بمصر وكانت ليلة جمعة وانا اقول في نفسي لا أدري من اتبع هل
ابن حريش وأصحابه وهو يقول بخلق القرآن او ابن خلف وأصحابه وهو يقول ان القرآن كلام الله
تعالى غير مخلوق قال فلما أويت الى فراشي رأيت شخصا جاءني وقال قم فقمت وقال لي قل قلت وما
أقول قال قل

سبحان من رفع السما * بلا عماد للنظر فتزينت بالساطعا * ت اللامعات وبالقمر
ما قال خلق بالقرا * ن من خلقه الا كفر لكن كلام منزل * من عند خالق البشر
وقال اكتبه فمددت يدي فكتبته فيه فلما استيقظت رأيته مكتوبا قوله في الحديث خيركم من تعلم القرآن
وعلمه صحيح وقال صلى الله عليه وسلم لو كان القرآن في اهاب لما مسته النار قيل معناه من جعل القرآن
وقرأه لم تمسه النار يوم القيامة (حجة ثالثة) في المواطن التي تسأل فيها كالقبر والميزان والصراط (أوجه)
(عليك) في ثلاث المواطن ان أعرضت عنه ولم تعمل به وقد روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يمثل القرآن رجلا فيؤتى بالرجل قد جهل في الف أمر فيمثل له خصما
فيقول يا رب قد حملته اياي فبئس حامل تعدى حدودي وضيع فرائضي وركب معصيتي وترك طاعتي
فما زال يقذف عليه بالحجج حتى يقول شأنك فيأخذه بيده فما يرسله حتى يكبه على وجهه في النار
ويؤتى بالرجل الصالح يوم القيامة قد حمل وحفظ أمره فيمثل خصما فيقول يا رب قد حملته اياي فبئس
حامل حفظ حدودي وعمل بفرائضي واجتنب معصيتي واتبع طاعتي فما زال يقذف به الحجج حتى
يقال شأنك به فيأخذه بيده فما يرسله حتى يلبسه حلة الاستبراق ويعقد عليه تاج الملك ويسقيه كأس

خمسة أحاديث وهذا الحديث من الخمسة قال الدوري رحمه الله وله طرق بعضها بعضا وقد ورد في الكتاب العزيز والحديث الصحيح ما هو بمعناه فاعتضد به كقوله تعالى وقد خاب من حمل ظلما وأصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه وأخذه من غير وجهه ومن أضر بأخيه فقد ظلمه وقوله صلى الله عليه وسلم حرم الله من المؤمن دمه وماله وعرضه وأن لا يظن به الا خيرا وقوله ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كما تقدم ولنذكر جملة من أنواع الظلم والضرر ليكون الشخص منها على حذر من ذلك

المكس وأكل مال اليتيم والمماطلة بحق عليه مع قدرته على وفائه ومن ذلك أن يظلم المرأة في نحو صداق أو نفقة أو كسوة وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال يؤخذ بيد العبد أو الامة يوم القيامة فينادى به على رؤس الخلائق هذا فلان بن فلان من كان له عليه حق فليأت الى حقه قال فتفرح المرأة أن يكون لها حق على أبيها أو أخيها أو زوجها ثم قرأ فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون قال فيغفر الله تعالى من حقه يومئذ ماشاء الله ولا يغفر من حقوق الخلق شيأ فينصب العبد للناس ثم يقول الله تعالى لاصحاب الحقوق اثنوا الى حقوقكم قال فيقول العبد يارب فنيت الدنيا فمن أين أوتيهم حقوقهم فيقول الله للملائكة خذوا من أعماله الصالحة فاعطوا كل ذي حق حقه بقدر مظلمته فان كان

الخبر وفي الحديث القرآن شافع مشفع أي لمن عمل به وماحل مصدق أي لمن لم يعمل به من قدمه أمامه قاده الى الجنة ومن جعله وراءه دفعه في قفاه الى النار وماحل من المماحلة وهي المكابرة والمكابدة ومنه ماحل اذا تكلف الحيلة واجتهد فيها ومحل بفلان اذا مكر به وكاده وكأن القرآن يكيد من اتخذه وراء ظهره وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يجيء القرآن يوم القيامة فيشفع لصاحبه فيكون قائدا لصاحبه الى الجنة أو يشهد عليه فيكون سائقا له الى النار وجاء في بعض الاحاديث من حفظ القرآن أعطي ثلث النبوة أي أعطي علم ثلث النبوة وقال بعض السلف ماجالس أحد القرآن فقام عنه خاليا بل اما أن يربح واما أن يخسر ثم تلا قوله تعالى وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا وقيل لك أو عليك في المباحث الشرعية والوقائع الحكمية لانه المرجح عند التنازع فتستند به على صحة دعواك أو يستند به خصمك عليك * (فائدة) * كان بعض المتصدرين للقراءة في الجامع العتيق قد حلف بالطلاق الثلاث انه لا يجيز أحدا يقرأ عليه القرآن فيستحق الاجازة الا بعشرة دنانير فاتفق انه قرأ عليه رجل فقير فلما أكمل سأله الاجازة فأخبره بيمينه فتألم خاطره فاخبر به أصحابه فجمعوا له خمسة دنانير فاتى بها الشيخ فلم يأخذها فخرج من عنده فرأى المحمل يدار به فقال والله لا أنفقت هذه الا في الحج فاشترى ما يحتاجه وسار حتى وصل الى مكة فلما قضى مناسكه رحل المدينة الشريفة فلما وصل الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال السلام عليك يارسول الله ثم قرأ عشر اجمع فيه الائمة السبعة وقال هذه قراءتي على فلان عن فلان عن جبريل عليكما الصلاة والسلام عن الله سبحانه وتعالى وقد سألت شيخي الاجازة فابى علي وقد استعنت بك يارسول الله في تحصيلها ثم نام فرأى النبي صلى الله عليه وسلم فقال سلم على شيخك وقل له رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لك أجزني بلا شيء فان لم يصدقك فقل له بامارة زمراز فلما وصل الفقير الى مصر أخبر شيخه وبلغه الرسالة بغير امارة فلم يصدقه فقال بامارة زمراز فصاح الشيخ وخر مغشيا عليه فلما أفاق سأله أصحابه عن ذلك فقال كنت كثيرا ما أتلو القرآن فمررت يوما على قوله تعالى ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أماني وان هم الا يظنون فخلفت لا أقرأ القرآن الا متدبرا فهما فاقمت لا أتجاوز من القرآن الا اليسير مدة طويلة حتى نسيته فكفرت عن يميني وشرعت في حفظه فبينما أنا ذات يوم فمررت على قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الآية فقلت ليت شعري من أي الاقسام أنا ثم قلت لست من الثاني ولا من الثالث بيقين فيتعين أن أكون من القسم الاول فنمت تلك الليلة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي بشر قراء القرآن انهم يدخلون الجنة زمراز ثم اقبل على ذلك الفقير يقبل وجهه وقال أشهدكم على أني قد أجزته ليقرأ ويقرئ من شاء وكل ذلك ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم (كل الناس) أي كل انسان (يغدو) يقال غدا يغدو اذا بكر أي كل انسان يصبح في أول النهار ساعيا في تحصيل أغراضه والغدو سير أول النهار ضد الرواح مأخوذ من الغدو بالضم ما بين الفجر وطلوع الشمس (فبائع نفسه) خبر مبتدا محذوف أي فهو بائع نفسه والمبتدا يكثر حذفه بعد فاء الجزاء

وليا لله وفضل له مثقال ذرة ضاعفه الله تعالى حتى يدخله الجنة بها وان كان عبدا شقيا ولم يفضل له شيء فتقول الملائكة ربنا فنيت حسناته وبقي طالبوه فيقول الله تعالى خذوا من سيآتهم فاضيفوا الى سيآته ثم صكوا له صكا الى النار ومن الظلم والضرر أيضا عدم ايفاء الاجير حقه لقوله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة رجل أعطى ثم غدر ورجل باع حرا فاكل ثمنه ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه العمل ولم يعطه أجرته ومنه أن يظلم يهوديا أو نصرانيا بنحو أخذ ماله

تعذيبا لقوله صلى الله عليه وسلم من ظلم لأحد مالا خصمه يوم القيامة ومنه أن يقتطع حق غيره بيمين فاجرة لخبر الصحيحين من اقتطع امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم الله عليه الجنة قيل يا رسول الله وان كان شيأ يسيرا قال وان كان قضيبا من أراك فاحذروا يا اخواننا الظلم وأنواع الضرر وكونوا من دعوة المظلوم على حذر كان شرح الماضي يقول سيعلم الظالمون حق من انتقصوا ان الظالم ينتظر العقاب ٢٠٢ والمظلوم ينتظر الثواب وزوى اذا أراد الله بعبد خيرا ساط عليه من ظلمه

*(خاتمة المجلس) *دخل طاوس اليماني على هشام ابن عبد الملك فقال له اتق الله يوم الاذان قال هشام وما يوم الاذان قال قوله تعالى فاذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين فصعق هشام فقال طاوس هذا أخف الصعقة فكيف بالمعاينة اللهم سلمنا من شر الاشرار آمين آمين

*(المجلس الثالث والثلاثون في الحديث الثالث والثلاثين)

الحمد لله الذي خلق الانام وقدر أرزاقهم من فضله وبين الحلال والحرام وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك القدوس السلام وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المخص بمزيد الاكرام صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ذوي الفضل والانعام *(عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو يعطى الناس بدعواهم لادعى رجال اموال قوم ودماءهم ولكن البينة على المدعي واليمين على من أنكر حديث حسن

رواه البيهقي وغيره هكذا وبعضه في الصحيحين) *اعلموا اخواني وفقني الله واياكم لطاعته أن هذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد أحكام الشرع وقيل فيه أنه من فصل الخطاب الذي أعطيه داود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام اذا علم ذلك فلنتكلم على بعض ما فيه باختصار تتميما للمجلس فنقول (قوله لو يعطى الناس بدعواهم لادعى رجال أموال قوم ودماءهم) أي استباحوها

فعتقها) من عذاب النار (أو مهلكها) قوله فعتقها خبر آخر أو بدل من قوله فبائع نفسه وأراد بالبيع المبادلة فان عمل خيرا وجد خيرا فيكون معتقها من النار وان عمل شرا استحق شرا فيكون موبقها او اراد بالبيع الشراء بقرينة قوله فعتقها اذ الاعتاق انما يصح من المشتري أي من ترك الدنيا وآثر الآخرة اشترى نفسه من ربه بالدنيا فيكون معتقها ومن ترك الآخرة وآثر الدنيا اشترى نفسه بالآخرة فيكون مهلكها لفعل مرور الازمان وانقضاء الانفاس بمنزلة بذل الثمن بمقابلة ما اختاره من المثمن خيرا ومن شر ولبعضهم

نفسي الى مضرتي داعي * يكثر أسقامي وأوجاعي
كيف احتيالي من عدوي اذا * كان عدوي بين أضلاعي

وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح اللهم اني أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك انك أنت الله لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك مرة أعتق الله ربعه من النار أو مرتين فنصفه أو ثلاثة فثلاثة أرباعه أو أربعا فكله وكذا أمسى لان يذكر بهذه الكلمات أربع مرات تبلغ حروفها ثلثمائة وستين حرفا وابن آدم مركب من ثلثمائة وستين عضوا فعتق الله بكل حرف عضوا فان قلت من أعتق بعض عبده كمل عليه فكيف لا يكمل العتق لمن قال ذلك مرة أو مرتين أو ثلاثا فالجواب ان التكميل يقع قهرا والله تعالى منزه عن ذلك أولان ملك الله لعباده حقيقي وملك العبد لمن في رقه مجازي فيزال بادني الامور أولان العتق بالنار انما يكون في عتق يحصل به الخروج من ملك المالك اي العتق من النار أولان العتق بالنار يرفع بالمعتق بالكسر لانه يحصل به عتق جميعه من النار لحديث من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار حتى الفرج بالفرج وهذا الاباتي مثله في حق الله (رواه مسلم) وكذا أحمد والترمذي بالفظ المذكور عن صحابيه المذكور قال القطان اكتفوا بكونه في مسلم فلم يبحثوا عنه وقد بين الدارقطني وغيره أن فيه انقطاعا

*(الحديث الرابع والعشرون)

(عن أبي ذر) جندب بن جنادة المتخلي عن الدنيا المتسمر له سمي (الغفاري) بكسر الغين المعجمة وفتح الفاء المخففة نسبة الى غفار قبيلة من كنانة (رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي) بصيغة المضارع أصله يرويه فحذف عائد الموصول وفي رواية فيما روى (عن ربه عز وجل) فهو من جملة الاحاديث القدسية وكان أبو ادريس راويه عن أبي ذر اذا حدث بهذا الحديث جثا على ركبتيه (أنه قال يا عبادي) جمع عبد وهو لغة الانسان ليتناول الذكر والانثى والحر والعبد لكن المراد هنا بدلالة قوله الآتي انسكم وجنكم جميع الثقلين لتساويهم في التكليف وتعاقب التقوى والعصيان وقال البيضاوي يجوز أن يكون عاما شاملا لذوي العلم كلهم من الثقلين والملائكة ويكون ذكر الملائكة مطويا مندرجا في قوله وجنكم وتوجيه الخطاب نحوهم لا يتوقف على الفجور منهم ولا على مكالمته كلام صادر على سبيل الفرض والتقدير اه وفيه بحث لانه صرح فيما يأتي بالانس والجن دون الملك

(ولكن البينة على المدعي واليمين على من أنكر) والمعنى ان جانب المدعي ضعيف اذ دعواه خلاف الاصل فكلف الحجة القوية وجانب المنكر قوي لموافقته الاصل فاكتفي منه بالحجة الضعيفة والمراد بالمدعي من خالف قوله الظاهر فان امتنع المدعى عليه من اليمين بعد عرضها عليه من القاضي أو بعد قول القاضي له احلف بان يقول لا أحلف ونحوه ردت على المدعي فيحلف ويستحق لتحول الحالف اليه بالنكول ولان نكول الخصم يحتمل أن يكون تورعا عن اليمين الصادقة كما يحتمل أن يكون تحرزا عن اليمين الكاذبة ومن أراد بالاخواني بسط الكلام على هذا المقام فليراجع كتب الفقه فان مرادنا من هذه المجالس انما هو الوعظ ولا يخفى ما ورد في السنة الغراء من الوعيد على الايمان الفاجرة كقوله صلى الله عليه وسلم من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة قيل يا رسول الله وان كان شيأ يسيرا قال وان كان قضيبا من أراك رواه البخاري ومسلم والاحاديث في ذلك كثيرة واليمين الكاذبة مع العلم بالحال تسمى اليمين الغموس لانها تغمس صاحبها في الاثم أو النار وهي من الكبائر وتذر الديار بلاقع نسأل الله سبحانه وتعالى العفو والعافية واعلموا أن شهادة الزور أيضا من الكبائر سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الشهادة فقال للشاهد هل ترى الشمس قال نعم قال عن

فدل على ارادتهما دونه خصوصا والملائكة ليسوا من أهل الضلال والطغام وتقدير ذلك فيهم بعيد وياحرف نداء وضع النداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما لعظمته كيا رب يا الله وهو أقرب اليه من حبل الوريد أو لغفلته كما هنا فانهم غافلون عن تلك الامور العظيمة أو للاعتناء بالمدعو اليه وزيادة الحث عليه كما في يا أيها الناس اعبدوا ربكم (الذي حرمت) من التحريم وهو لغة المنع فشبه تعالى تنزهه عن الظلم بتحرز المكلف عما نهي عنه شرعا في الامتناع عنه واستعاره له التحريم ثم اشتق منه الفعل ويكون استعارة تبعية (الظلم) هو لغة وضع الشيء في غير محله وشرعا التصرف في ملك الغير بغير حق أو مجاوزة الحد وكلاهما محال اذ لا ملك ولا حق لاحد معه بل هو الذي خلق المالكين وأملاكهم وتفضل عليهم بها وحدهم الحدود وحرم وأحل فلا حاكم يتعقبه ولا حق يترتب عليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا (على نفسي) أي تنزهت وتعاليت عنه لقوله تعالى ان الله لا يظلم الناس شيأ فالظلم مستحيل في حق الله عز وجل وذهب المعتزلة الى أن الله تعالى قادر على الظلم وهو متصور منه لكن لا يفعله عدلا منه وتنزها واحتجوا بقوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد وهو مدح بنفي الظلم والحكيم لا يتمدح الا بما يقدر عليه ويصح منه ولو قال شخص اني منعت نفسي من صعود السماء لسخر منه ورد قولهم بانه لو جاز أن يكون مقدورا له لجاز ان يكون موصوفا به تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقولهم ان الحكيم لا يمتدح الا بما يقدر عليه ممنوع لانه قد يمتدح الانسان بحسن القامة والخلق الحسن الذي هو جبلة فيه وغريزة له فان قيل ظلام من صيغ المبالغة فيوهم أن المنفي المبالغة في الظلم وكثرته لا هو من أصله فالجواب من عدة أوجه ان هذه الصيغة وهي صيغة فعال قد تأتي للنسبة كتمار فقوله بظلام أي منسوب للظلم وذلك نفي له من أصله وبأنه وان كان للكثرة لكن جيء به في مقابلة العبيد الذي هو جمع كثرة ويرشحه قوله تعالى علام الغيوب عالم الغيب حيث قابل في الاول المبالغة بالجمع وفي الثاني صيغة اسم الفاعل الدالة على أصل الفعل بالواحد وبان صيغة المبالغة وغيرها في صفاته تعالى سواء في الاثبات بجري النفي على ذلك وبانه تعريض بان ثم ظلاما للعبيد من ولاة الجور وقال بعضهم صفات الله تعالى بلغت غاية الكمال فلو اتصف بالظلم كان عظيما بقاؤه على حد عظمته لو كان ثابتا أو اراد نفي أصل الظلم لكن القليل منه بالنسبة الى رحمته العامة الذاتية كثير وقضية هذا الحديث جواز اطلاق النفس على الله تعالى على غير وجه المشاكلة وهو الصحيح كما قاله امام الحرمين بدليل كتب ربكم على نفسه الرحمة ويحذركم الله نفسه وادعاء انه مشاكلة تقديرية تكلف وقول أهل المعاني انها لا تطلق عليه الا مشاكلة كقوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك غير صحيح كما قال السبكي وجمع بعض المحققين بين القولين فقال النفس لها معنيان الذات وهذا يصح اطلاقها من غير مشاكلة والجسم وهذا لا يطلق عليه الا مشاكلة وقد قال الزمخشري في قوله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار النهي يتناول الانحطاط في هواهم والانقطاع اليهم ومصاحبتهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضا باعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومد العين الى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم وتأمل قوله ولا تركنوا فان الركون هو الميل الى

مثل هذا فاشهد أو دع وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كفى بالمرء اثما ان يحدث بكل ما يسمع وروى أبو داود أن النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيبا فقال أيها الناس عدلت شهادة الزور شركا بالله ثم قرأ واجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور وقال الذهبي وفي الآثار عدلت شهادة الزور الاشراك بالله وفي الحديث الثابت لا تزول قدما شاهد الزور يوم القيامة حتى تجب له النار وفي رواية حتى يأتي بالبراءة منها قال * قال الحافظ الذهبي رحمه الله قلت شاهد الزور قد ارتكب عظائم * أحدها الكذب

والافتراء والله تعالى يقول ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب * وثانيها الله ظلم الذي شهد عليه حتى أخذ بإشهادته ماله وعرضه وروحه * وثالثها أنه ظلم الذي شهد له بان ساق اليه المال الحرام فاخذه بشهادته فاوجب له النار قال النبي صلى الله عليه وسلم من قضيت له من مال أخيه بغير حق فلا يأخذه فانما أقطع له قطعة من النار * ورابعها انه اباح ما حرم الله وعصمه من المال والدم والعرض قال صلى الله عليه وسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله وفي الصحيح عن النبي صلى الله

عليه وسلم انه قال ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا قلنا بلى يا رسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين ألا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يرددها حتى قلنا ليته سكت يعني شفقة عليه لئلا يتعب من التكرار فشهادة الزور لا يأتي بها الا كل قليل الحظ من الخير والتقوى فليحذر العبد من ذلك ولا يشهد الا بما علم كما قال تعالى الا من شهد بالحق وهم يعلمون وقال تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا والحكمة في تخصيص هذه الثلاثة بالسؤال أن العلم بالفؤاد وهو مستند الى السمع والبصر لان مدرك الشهادة الرؤية والسماع وهما بالبصر والسمع ولقد مدح الله تعالى أقواما في كتابه بقوله والذين لا يشهدون الزور وأي لا يشهدون شهادة زور ولا يحضرون مواضع الباطل ومجالس السوء واللهو واذا مروا باللغو أي بمواضع الباطل مروا كراما يكرمون نفوسهم بصونها عن الاشتغال بالباطل جعلنا الله منهم بمنه وكرمه (اخواني) تجنبوا مجالس السوء وخصوصا مجالس الزور والباطل ورشوة قضاة السوء الذين بدلوا وعن الحق عدلوا وللحرام أكالون في الحديث لعن الله الراشي والمرتشي والماشي بينهما أو كما قال والرشوة هي ما يبذل للقاضي ليحكم بغير الحق أو ليمتنع من الحكم بالحق كما دوعشاهد وهي حرام مطلقا لان

الظالمين وحكي ان الواثق صلى خلف الامام فقرأ الامام هذه الآية فغشي عليه فلما أفاق قال هذا في ركن فكيف بالظالم وعن الحسن جعل الله الدين بين لا من ولا تركنوا ولا تطغوا ولما خالط الزهري السلاطين كتب اليه أخ له في الدين عافانا الله وإياك أما بكر من القسين فقد أصبحت بحال يدعى لمن عرفك ان يدعو لك ويرحمك أصبحت شيخا كبيرا وقد أثقلك نعم الله بما هيأ لك من كتابه وعلمك من سنة نبيه واعلم ان أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت انك آنست وحشة الظالم وسهلت سبل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حتى اذا لك اتخذوك قطبا تدور عليك رحى باطلهم بحيرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما يصعدون فيك الى ضلالهم يدخلون الشك بك على العلماء ويصطادون بك قلوب الجهلاء فما أيسر ما عمروا منك في جنب ما خربوا عليك وما أكثر ما أخذوا منك في جنب ما أفسدوا عليك من دينك فما يؤمنك أن تكون ممن قال الله فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة الآية وانك تعامل من لا يهمل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر السفر البعيد وما يخفى على الله من شئ في الارض ولا في السماء والسلام وروي ان عمر بن عبد العزيز لما استخلف قال رحاء الشام هذا العيد الصالح الذي قام على الناس قيل لم وما علمك بذلك قالوا اذا قام على الناس خليفة عدل كفت الذئاب عن شياهنا (وجعلنه) أي الظلم (بينكم محرما) أي حكمت بتحريمه عليكم ومنعتكم منه سواء كان كأخذ مال غيره أو لا كظلم النفس وروي الشيخان الظلم ظلمات يوم القيامة وروى أيضا ان الله ليملي للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته ثم قرأ وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة وروى البخاري من كانت منه مظلمة لاخيه فليستحله منها فانه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل ان يؤخذ لاخيه من حسناته فان لم يكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه وفي الحديث الصحيح أتدرون من المفلس قالوا يا رسول الله المفلس فينا من لا دينار له ولا متاع قال المفلس من أمتي من أتى يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام وقد شتم هذا وضرب هذا وأخذ مال هذا فيأخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضى ما عليه أخذ من سيئاتهم فطرحت عليه ثم طرح في النار وقال عليه الصلاة والسلام من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب ان يعصى الله في أرضه ولما ظالم أحمدين طولون استغاث الناس من ظلمه وتوجهوا الى السيدة نفيسة وشكوا ذلك اليها فقالت لهم متى ركب قالوا في غد فكتبت رقعة ووقفت في طريقه وقالت يا أحمد بن طولون فلما رآها عرفها فنزل عن فرسه وأخذ منها الرقعة وقرأها فاذا فيها ملكتم فاسرتم وقدرتم فقهرتم وخولتم ففقتم وردت اليكم الارزاق فقطعتم هذا وقد علمتم ان سهام الاسحار نافذة غير مخطئة لا سيما من قلوب أوجعتموها وأكبادا أجعتموها وأجسادا عريتموها اعملوا ما شئتم فانا صابرون وجوروا فانا لله مستجيرون وأظلموا فانا لله مستظلمون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون قال فعدل لوقته وهذا وما قبله توطئة لقوله (فلا تظالموا) بتخفيف الظاء أصله تتظالموا فحذفت احدى التاءين تخفيفا ويجوز تشديد الظاء بادغام الاخرى فيها وزعم بعضهم أنه الرواية أي لا يظلم بعضكم بعضا فان الله يقتص للمظلوم من الظالم بقدر ظلامته وفي الحديث بينا

فيها من الاحاديث (نكتة) وهي ختام هذا المجلس اللطيف في الحلية في ترجمة عكرمة قال كانت القضاة في زمن بني اسرائيل ثلاثة خلت أحدهم فولي مكانه غيره ثم قضوا ما شاء الله أن يقضوا ثم بعث الله لهم ملكا يتعهدهم فوجد رجلا يسقي بقرة على ماء وخلفها عجلة قد عاها الملك وهو راكب فرسا فتبعتها العجلة فتخاصما فقال الابن نحاكما الى القاضي الاول فدفع اليه الملك درة كانت معه وقال له أحكم بان العجلة لي قال بماذا أحكم قال ارسل الفرس والبقرة والعجلة ٢٠٥ فان تبعت الفرس فهي لي فارسلها فتبعت الفرس فحكم بها له وأتيا القاضي الثاني فحكم كذلك وأخذ درة وأتيا القاضي الثالث فدفع له الملك درة وقال له احكم بيننا فقال اني حائض فقال الملك سبحان الله أيحيض الذكر فقال له القاضي سبحان الله أتلد الفرس بقرة وحكم بها لصاحبها فالبلاء يا اخواني قديم نسأل الله العافية والعفو آمين آمين والحمد لله رب العالمين

* (المجلس الرابع والثلاثون في الحديث الرابع والثلاثين) *

الحمد لله علام الغيوب غافر الذنب وقابل التوبة ممن يتوب وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تمحي بها ظلمات الذنوب وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي كشف له عن كل محجوب صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه من زالت بهم الكروب عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان (رواه مسلم) اعلموا اخواني وفقني الله وإياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم (قوله صلى الله عليه وسلم من رأى) يحتمل أن يكون المراد الرؤية البصرية قال بعضهم والاشبه انها العلمية (قوله منكم) المراد جميع الامة لا الحاضرون فقط فالحاضر يعلم الغائب (قوله منكرا فليغيره) أي بنزيله (بيده فان لم يستطع) الا زالة بما ذكر (فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك

مناد يوم القيامة أين الظلمة وأشياع الظلمة حتى من لاق لهم دواة أو برى لهم قلما فيجمعون في تابوت من حديد فيرمى بهم في جهنم وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من مشى مع مظلوم ليعينه على مظلمته ثبت الله قدميه على الصراط يوم تزل فيه الاقدام ومن مشى مع ظالم ليعينه على ظلمه أزل الله قدميه على الصراط يوم تدحض فيه الاقدام وبعث عبد الرحمن بن مسلم الى الضحاك بعطاء أهل بخارى وقال أعطهم فقال اعفني فلم يزل يستعفيه حتى أعفاه فقال ما عليك أن تعطيهم أنت ولا ترزأهم شيأ فقال اني لا أحب أن أعين الظلمة على شئ من أمرهم (فائدة) ان قيل أي آية في كتاب الله أخوف فالجواب قيل ويحذركم الله نفسه وقيل سنفرغ لكم أيه الثقلان وقيل فاين تذهبون وقيل من يعمل سوأ يجز به وقيل أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وقيل ان بطش ربك لشديد وقيل أم حسب الذين اجترحوا السيئات قال الهيتمي ولما ذكر ما أوجبه من العدل وحرمة الظلم على نفسه وعلى عباده أتبعه بذكر احسانه اليهم وغناه عنهم وفقرهم اليه وانهم لا يقدرون على جلب منفعة لانفسهم ولا دفع مضرة عنهم الا أن يكون هو الميسر لذلك مشيرا الى أن ذلك الجلب والدفع اما في الدين أو الدنيا فصارت أربعة أقسام وهي الهداية والمغفرة وهما جلب منفعة ودفع مضرة في الدين والاطعام والكسوة وهما جلب منفعة ودفع مضرة في الدنيا وأهم هذه الاقسام طلب الهداية ولذا افتتح بها فقال (يا عبادي) كرر النداء زيادة لشرفهم وتعظيمهم (كلكم ضال) أصل الضلال في اللغة الغيبوبة يقال ضل الماء في اللبن اذا غاب فيه ومنه قول الرجل الذي قال لبنيه اذا مت فاحرقوني ثم ذروني في الريح لعلي أضل ربي أي يخفى موضعي عليه وضل الكافر اذا غاب عن الحجة ومن هذا قوله أئذا ضللنا في الارض أي غبنا فيها بالموت وصرنا ترابا ومنه قوله تعالى في الانعام لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون يعني غاب عنكم ذكر ما كنتم تزعمون وقال في الانعام أيضا وضل عنهم ما كانوا يفترون يعني غاب عنهم ذكر الآلهة ويطلق الضلال بمعنى النسيان ومنه قوله تعالى ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى وبمعنى تضل تغفل وتسهو وضل أي لم يهتد يقال رجل ضال اذا أخطأ الطريق ورجل مضلال اذا لم يتوجه لخير قال الشاعر

ألم تسأل فتخبرك الديار * عن الحي المضلل أين ساروا

وليس المراد بالضلال المحبة كما في قوله تعالى حكاية عن أخوة سيدنا يوسف انك لفي ضلالك القديم أي في محبتك القديمة ليوسف وكما قال بعض المفسرين في قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى أي محبا له فهداك ويطلق الضلال بمعنى عدم العلم بتفصيل الامور وعليه حمل أكثر المفسرين قوله تعالى ووجدك ضلالا فهدى أي غير عالم بتفصيل شرائعك وقوله كلكم ضال أي فاقد طريق الهداية أو سالك طريق غيرها من الضلالة وهي فقدان طريق يوصل الى المطلوب وقيل سلوك طريق لا توصل اليه وضلال الطريق العدول عن سمته (الا من هديته) الهداية هي لغة الدلالة بلطف ولذا لا تستعمل في غير الخير الا تهكما كقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وفي عرف أهل الحق الدلالة على طريق يوصل الى المطلوب حصل أو لم يحصل وعند المعتزلة الدلالة الموصلة اليه قال بعضهم ولا نزاع بينهم في

أضعف الايمان) ومعناه أقل ثمرات الايمان اذ ثمرته الكراهة فقط وقد جاء في رواية وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل أي بقي وراء هذه المرتبة مرتبة أخرى لانه اذا لم يكرهه بقلبه فقد رضي بالمعصية وليس ذلك من شأن الايمان فعلم من ذلك انه لا يكفي الوقوع من المكلف بالله باليد ولا كراهة القلب ان قدر على النهي باللسان فقد تطابق على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بالكتاب والسنة والاجماع فهو

أيضا من النصيحة التي هي الدين ولنذكر جملة من الاحاديث الواردة في ذلك

فمنها ما روي عن حذيفة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذابا من عنده ثم تدعونه فلا يستجيب لكم رواه الترمذي وعن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا الله فلا يستجيب لكم وقبل أن تستغفروا الله فلا يغفر لكم ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يدفع رزقا ولا يقرب أجلا وان الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى لما تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لعنهم الله على لسان أنبيائهم ثم عموا بالبلاء رواه الاصفهاني وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر أو أمير جائر رواه أبو داود وعن أبي ذر رضي الله عنه قال أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بخصال من الخير أوصاني أن لا أخاف في الله لومة لائم وأوصاني أن أقول الحق ولو كان مرا رواه ابن حبان وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدرون على أن يغيروا ثم لا يغيروا الا يوشك أن يعمهم الله بعقاب منه رواه أبو داود وعن أبي ذر قال قال رسول الله صلى

البزار

الحقيقة لان الهداية تجيء تارة بمعنى خلق الاهتداء نحو يهدي من يشاء فلهذا نفى الهداية من قوله تعالى انك لا تهدي من أحببت وتارة بمعنى بيان طريق الحق فلهذا أثبت الهداية اليه صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وانك لتهدي الى صراط مستقيم وذكر الخازن في تفسير قوله تعالى هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ما نصه وقيل بالفرق بين البيان والهدى والموعظة لان العطف يقتضي المغايرة فالبيان هو الدلالة التي تفيد از الة الشبهة بعد ان كانت حاصلة والهدى هو طريق الرشد المأمور بسلوكه وهو طريق النبي والموعظة هي الكلام الذي يفيد الزجر عما لا ينبغي في طريق الدين (فاستهدوني) أي أطلبوا مني الهداية أي الدلالة الموصلة الى طريق الحق (أهدكم) بفتح الهمزة وكسر الدال أي الطريق المستقيم وفي هذا اشارة الى أنه تعالى لا يجب عليه شيء خلافا للمعتزلة في قولهم بوجوب الصلاح والاصلح عليه تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا (يا عبادي كلكم جائع الا من أطعمته) لان الخلق لا يملكون ولا ملك لهم بالحقيقة وهو الرازق وخزائن الرزق بيده وهم عبيد لا يملكون شيأ فمن لم يطعمه فضله بقي جائعا بعدله اذ ليس عليه اطعام أحد فان قلت كيف هذا مع قوله عز وجل وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فالجواب ان هذا الالتزام منه تفضلا لا أن عليه للدابة حقا بالاصالة اذ لا يجب عليه شيء وشبه هذا قوله تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ولا يمنع من نسبة الاطعام اليه تعالى ما يشاهد من ترتب الارزاق على أسبابها الظاهرة كالصنائع لانه المقدر لها بحكمته الباطنة فالجاهل محجوب بالظاهر عن الباطن والكامل لا يحجبه ظاهر عن باطن ولا عكسه بل يعطي كل مقام وحال حقه واعلم أن المقرر في علم الكلام ان من اعتقد أن شيأ من الاسباب العادية يؤثر بطبعه أي بذاته وحقيقته فهو كافر اجماعا وان من اعتقد ان الله تعالى خلق فيها قوة تؤثر فهو فاسق مبتدع وفي كفره قولان وان من اعتقد أنها لا تؤثر بطبعها ولا بقوة جعلها الله فيها وانما المؤثر هو الله عز وجل ولكن التلازم بينها وبين ما قارنها عقلي لا يمكن تخلفه فهذا جاهل مخطئ والحكم العادي وربما جره ذلك الى الكفر وان من اعتقد حدوث الاسباب وانها لا تؤثر بطبعها ولا بقوة جعلها الله فيها ويعتقد صحة التخالف بان يوجد السبب ولا يوجد المسبب وأن المؤثر في السبب والمسبب هو الله تعالى فهو الموحد الناجي (فائدتان) الاولى ورد في الحديث ان من الملائكة ملكا له أربعة أوجه وجه كوجه الانسان وهو يسأل الله تعالى الرزق لبني آدم ووجه كوجه الاسد وهو يسأل الله عز وجل الرزق للسباع ووجه كوجه الثور وهو يسأل الله عز وجل الرزق للبهائم ووجه كوجه النسر وهو يسأل الله عز وجل الرزق للطير وأخرج الشيخان وغيرهما المسلم يأكل في معى واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء وأخرج مسلم أضاقنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيفا كافرا فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة فحلبت فشرب حلابها ثم أخرى فشرب حلابها حتى شرب حلاب سبع شياه ثم انه أصبح فاسلم فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة فحلبت فشرب حلابها ثم أخرى فلم يستتمه فقال صلى الله عليه وسلم ان المسلم يشرب في معى واحد والكافر في سبعة أمعاء وأخرج

الله عليه وسلم تبسمك في وجه أخيك صدقة وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة رواه الترمذي وغيره وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر رواه الامام أحمد وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال لا اله الا الله تنفع من قالها وترفع عنه العذاب والنقمة ما لم يستخفوا بحقها قالوا يا رسول الله وما الاستخفاف بحقها قال يظهر ليعمل بمعاصي الله تعالى فلا ينكر ولا يغير رواه الاصفهاني وسئل صلى الله عليه وسلم عن خير الناس قال أتقاهم للرب وأوصلهم للرحم وآمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر رواه أبو الشيخ وغيره اذا علم ذلك فالامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية والمراد الامر بواجبات الشرع والنهي عن محرماته اذا لم يخف على نفسه أو ماله أو غيره مفسدة أعظم من مفسدة المنكر الواقع أو يغلب على ظنه أن المرتكب يزيد فيما هو فيه عنادا فان فقد شرط من ذلك سقط الوجوب لا ينكر الامامي الفاعل تحريمه ولا يختص ذلك بمسموع القول بل على المكلف أن يأمر وينهى وان علم بالعادة أنه لا يفيد فان الذكرى تنفع المؤمنين ولا يشترط أن يكون ممتثلا ما يأمر به مجتنبا ما ينهى عنه بل عليه ان يأمر وينهى نفسه وغيره فان اختل أحدهما لم يسقط الآخر ولا يشترط في الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر العدالة قبل قال الامام وعلى متعاطي الكاس ان ينكر على الجلاس وقال الغزالي يجب على من غصبت امرأة للزنا أمرها بستر وجهها عنه قال الائمة ويترفق بالتغيير لمن يخاف شره وبالجاهل فان ذلك أدعى الى قبوله وازالة المنكر ويستعين عليه بغيره اذا لم يخف منه من اظهار سلاح وحرب ولم يمكنه الا بقتال فان عجز عنه رفع ذلك الى الوالي فان عجز عنه أنكره وليس له التجسس والبحث واقتحام الدور بالظنون بل ان رأى شيأ غيره فان أخبره ثقة بن

البزار بسند بن أحدهما رجاله ثقات أكثر الناس شبعا في الدنيا أكثرهم جوعا يوم القيامة قاله لابي جحيفة لما تحشأ قال فما ملأت بطني منذ ثلاثين سنة الثانية أخرج البيهقي بسند فيه ابن لهيعة عن عائشة رضي الله عنها قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أكلت في اليوم مرتين فقال أما تحبين أن يكون لك شغل الا جوعك الا كل في اليوم مرتين من الاسراف والله لا يحب المسرفين وصح خبر من الاسراف أن تأكل كل ما اشتهيت (فاستطعموني) أي سلوني الطعام ولا يغرن ذا الكثرة ما في يده فانه ليس بحوله ولا قوته بل الله تعالى هو المتفضل عليه * (تنبيه) * ورد الطعام في القرآن على وجوه الاول الطعام الذي يأكله الناس كقوله تعالى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف وقال في الانعام وهو يطعم ولا يطعم الثاني الذبائح كقوله تعالى في المائدة وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم بمعنى ذبائحهم حل لكم وذبائحكم حل لهم الثالث الطعام بمعنى السمك كقوله تعالى أحل لكم صيد البحر وطعامه بمعنى السمك الرابع بمعنى الشرب كما في قوله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا أي شربوا من الخمر قبل التحريم وكقوله تعالى في البقرة ومن لم يطعمه فانه مني يعني ومن لم يشربه فانه مني فينبغي له مع ذلك أن لا يغفل عن سؤال ادامة الله نعمته عليه لانه قلما نفرت عن انسان فعادت اليه كما قال صلى الله عليه وسلم ما نفرت النعمة عن قوم فعادت عليهم (أطعمكم) أي أيسر لكم أسباب تحصيله لان العالم كله حيوانه وجماده مطيع لله فيسخر السحاب يسعى في بعض الامكنة ويحرك قلب فلان لاعطاء فلان ويهيج فلانا الى فلان لينال منه نفعا والانسان وان صبر على الجوع لا بد له من الطعام فقد كان عبد الرحمن بن أبي نعيم لا يأكل في الشهر الا مرة فادخله الحجاج بيتا وأغلقه ثم فتحه بعد خمسة عشر يوما فلما أنه مات فوجده قائما يصلي فقال نصلي بغير وضوء فقال انما يحتاج الى الوضوء من يأكل ويشرب وأنا على الطهارة التي أدخلتني عليها وأسر الروم امرأة في زمن سيف الدولة فهربت ومشت مائتي فرسخ لم تأكل شيأ فقال لها سيف الدولة كيف قويت على المشي فقالت كلما جعت قرأت قل هو الله أحد ثلاث مرات فاشبع ففي الحديث لا يدخل ملكوت السماء من ملأ بطنه وقال لعائشة أديمي قرع باب الجنة يفتح لكم فقالت وكيف نديم قال بالجوع والظمأ وقال أيضا ما من عمل أحب الى الله من الجوع والظمأ * (فائدة) * قال الزمخشري لو سئل أهل القبور ما سبب قصر آجالكم لقالوا التخمة ولقد أحسن القائل فيمن كثر أكله

يميت الطعام القلب ان زاد كثرة * كزرع اذا بالماء قد زاد سقيه
وأي لبيب يرتضي نقص عقله * باكل لقيمات لقد ضل سعيه

(يا عبادي كلكم عار) كما نزل من بطن أمه محتاج الى الكسوة (الا من كسوته فاستكسوني) أي اسألوني الكسوة وهي اللباس (أكسكم) بفتح الهمزة وكسر السين وضمها أي أيسر لكم الاسباب المحصلة لها وما نقل عن حكم عيسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ابن آدم أنت أسوأ بربك ظنا حين كنت أكمل الناس عقلا لانك تركت الحرص حين كنت صبيا مجولا ورضيعا مكفولا ثم ادرعته عاقلا

الخلق بمنكر فيه انتهاك حرمة يقوت انكاره كالزنا والقتل اقتحمه لو اراد وجوبا وان لم يكن فيه انتهاك حرمة فلا اقتحام ولا تحسس

(تنبيه) ذكر العلماء من الاحوال التي تباح فيها الغيبة للاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي الى الصواب فيقول لمن يرجو قدرته على ازالة المنكر فلان يعمل كذا فازجره عنه ونحو ذلك ويكون مقصوده ازالة المنكر فان لم يقصد ذلك كان حراما

وتباح الغيبة وان كانت محرمة

في ستة احوال * اولها التظلم فيجوز للمتظلم ان يتظلم الى السلطان والقاضي وغيرهما

فيذكر ان فلانا ظلمني وفعل بي كذا او اخذ لي كذا او نحو ذلك * ثانيها الاستعانة على تغيير المنكر كقوله لمن يرجو قدرته على ازالة المنكر فلان يعمل كذا فازجره عنه ونحو ذلك ويكون مقصوده ازالة المنكر فان لم يقصد ذلك كان حراما * ثالثها الاستفتاء بان يقول للمفتي ظلمني ابي او اخي او فلان بكذا فهل له ذلك ام لا وما طريقي في الخلاص منه وتحصيل حقي ودفع الظلم عني وكذلك قوله زوجي يفعل معي كذا وزوجي يفعل معي كذا فهذا جائز للحاجة * رابعها تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم وذلك من وجوه منها جرح المجروحين من الرواة للحديث والشهود وذلك جائز باجماع المسلمين بل واجب للحاجة ومنها اذا شاورك انسان في مصاهرته ومشاركته وايداعه ومعاملته وجب عليك ان تذكر له ما تعلمه منه على جهة النصيحة ومنها ان تكون له ولاية لا يقوم بها على وجهها اما بان لا يكون صالحا واما بان يكون فاسقا او مغفلا او نحو ذلك فيجب ذكر ذلك ان لم يعلم ان له عليه ولاية ليزيله او يولي غيره من يصلح

قد اصبت رشدك وبلغت اشدك وذكر اللباس والطعام لشدة الحاجة اليهما اذ لا مندوحة عنهما بل هما اصل من امور الدين وتكمل بهما منافعه (يا عبادي انكم تخطئون) بضم التاء وكسر الطاء على الاشهر اي تفعلون الخطيئة عمدا وروي بفتح التاء والطاء على وزن تقرؤن ويقال خطئ اذا فعل عامدا اثما به وخاطئ ومنه انا كنا خاطئين ويقال في الاثم ايضا اخطأ فهما صحيحان قاله المؤلف وزعم بعضهم انه لا يجوز ان يكون هذا من الرباعي لان الفعل من غير عمد وهو لا يؤاخذ به لحديث رفع عن امتي الخطأ والنسيان والكلام انما هو فيما فيه اثم بدليل فاستغفروني بخلافه من الثلاثي فانه يكون عن عمد ونوزع بانا لا نسلم ان اخطأ منحصر في الفعل من غير قصد بل ياتي بمعنى الثلاثي ايضا اي فعل عمدا (بالليل والنهار) قدم الليل لشرفه واصالته لانه وقت العبادة والخلو ولان الظلمة هي الاصل والنور طارئ عليها بسترها ولان الشهور غررها الليالي وقوله بالليل والنهار من باب مقابلة الجمع بالجمع اي يصدر منكم الخطا اذا قابل من بعضكم ليلا ومن بعضكم نهارا اذ الغالب ان العبد لا يخلو الدهر كله في الخطايا (وانا اغفر الذنوب جميعا) هو كقوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا وهو عام مخصوص بما عدا الشرك وما لا يشاء الله مغفرته لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وسبب نزول الآيتين ما روي عن ابن عباس قال اتى وحشي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اني ممتنع مستجيرا فاجرني حتى اسمع كلام الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كنت احب ان ارالك على غير جواري فلما ان اتيتني مستجيرا فانت في جواري حتى تسمع كلام الله فانزل الله والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى قوله مهانا فقال قد فعلت هذا كله انا في جوارك حتى اسمع كلام الله فانزل الله تعالى الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا الآية فقال اري شرطا فاعلي لا اعمل عملا انا في جوارك حتى اسمع كلام الله فانزل الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قال فلعلي ممن لا يشاء الله انا في جوارك حتى اسمع كلام الله فانزل الله عز وجل قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الآية فقال نعم الآن لا اري شرطا فاسلم وقوله وانا اغفر الذنوب جميعا اورد المضارع لافادة الاستمرار التجددي وعرف الذنوب بلام الاستغراق واكدها بقوله جميعا المفيد كما منهما للعموم ليقوى الرجاء فلا يقنط احد (فاستغفروني) اي اطلبوا مني مغفرة ذنوبكم واصل الغفر الستر وغفرت المتاع سترته والمغفرة وقاية تستر الرأس في الحرب وغفران الذنب ستره (اغفر لكم) لقوله صلى الله عليه وسلم لولا تذنبون وتستغفرون لذهب الله بكم ولجاء بقوم غيركم فيذنبون ويستغفرون فيغفر لهم قيل ومن لازم على هذه الاشياء السبعة عاش سعيدا ومات شهيدا احدها ان يقول ابتداء كل شيء بسم الله وعند الفراغ منه الحمد لله واذا رأى ما يكره قال لا حول ولا قوة الا بالله واذا رأى ما يستعظم قال لا اله الا الله واذا اصابته مصيبة قال انا لله وانا اليه راجعون واذا اذنب استغفر الله واذا اراد ان يفعل فعلا قال ان شاء الله فينبغي للانسان ان يعود لسانه عليها واذكر وهب بن منبه ان ابليس لعنه الله اتى يحيى بن زكريا عليه الصلاة والسلام فقال يحيى اخبرني

عن

ونحو ذلك * خامسها الفسق كالجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس واخذ المكس وجباية الاموال ظلما فيجوز ذكره بما يجاهر به ويحرم ذكره بغيره من العيوب الا ان يكون لجواز سبب سادسها التعريف فاذا كان الانسان معروفا بلقب كالاعرج والاعمش والاحول جاز تعريفه بذلك ويحرم اطلاقه على وجه التنقيص ولو امكن التعريف بغيره كان اولى وادلة هذا كثير

شهيرة ليس هذا محل الاطالة فيه * (تنبيه آخر) * ما تقدم من ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من فروض الكفاية أى اذا قام به البعض سقط الحرج عن الباقين وان تركه الكل أثموا مع التمكن بلا عذر ولا خوف محله ما اذا كان فى موضع لا يعلم به غيره فيتعين * (خاتمة المجالس) * لا تعارض بين قوله صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فليغيره الى آخره وبين قول الله تبارك وتعالى يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم الى الله ٢٠٩ مرجعكم اذ معناه عند المحققين انكم اذا فعلتم ما كلفتم به لا يضركم تقصير غيركم واذا كان كذلك فما كلف به الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر هذا فعله ولم يمتثل المخاطب فلا عتب بعد ذلك على الفاعل لكونه أدى ما عليه فانما عليه الامر لا القبول اللهم وفقنا أجمعين آمين آمين والحمد لله رب العالمين

* (المجلس الخامس والثلاثون فى الحديث الخامس والثلاثين) *

الحمد لله الذى خلق الانسان من طين وكتب سعادته وشقاوته ورزقه وأجله وهو فى قرار مكين وأشهد أن لا اله الا الله الخالق المنشئ المحيى المميت تبارك الله أحسن الخالقين وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله الناصح الامين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأنصاره وأزواجه وذريته وسلم تسليما كثيرا آمين (عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله

عن طبائع بنى آدم عندكم فقال ابليس أما صنف منهم فهم منا لا معصومون لا نقدر منهم على شئ وصنف نأن فهم فى أيدينا كالكرة فى أيدى الصبيان وقد كفونا أنفسهم والصنف الثالث فهم أشد الاصناف علينا نقبل على أحدهم حتى ندرك منه حاجتنا ثم يفزع الى الاستغفار فيفسد علينا ما أدركنا منه فنحن لا نيأس منه ولا ندرك حاجتنا منه (يا عبادى انكم لن تبلغوا ضرى) بضم الضاد وفتحها (فتضرونى) بحذف نون الاعراب فى جواب النفى (ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى) أى لا يلحقنى ضر ولا نفع فتضرونى أو تنفعونى قال الله تعالى ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها وما اقتضاه ظاهر الحديث من ان ضره ونفعه غاية لكن لا يبلغها العباد غير مراد بل هو مؤول بما ذكر من باب قوله

* ولا ترى الضب بها ينجحر * وقول على لا حب أى طريق لا يهتدى لمناره * أى لا ضب ولا انجحار ولا منار ولا اهتداء والمعنى هنا لا يتعلق بى ضر ولا نفع فتضرونى أو تنفعونى قال بعض المحققين وفى قوله ان تبلغوا ضرى الخ اشعار بان ما تقدم من الهداية والاطعام والكسوة والغفران ليس لدفع ضر ولا لجلب نفع بل بمحض فضل (يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم) سمى الانس انسا لظهورهم وانهم يرتسمون أى يتصورون وسمى الجن جنا لاجتنانهم قال فى شرح المقاصد والجن أجسام لطيفة هوائية تتشكل باشكال مختلفة ويظهر منها أحوال عجيبة والشياطين أجسام نارية شأنها اغواء الناس فى الفساد والغواية اه والظاهر أن المراد كل منهما كما يدل عليه السياق (تتمة) قال المؤلف الجن موجودون وقد يراهم بعض الآدميين وأما قوله تعالى انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم فمحمول على الاغلب ولو كانت رؤيتهم محالا لما قال صلى الله عليه وسلم فى الشيطان الذى تغلب عليه فى صلاته لقد هممت ان أربطه حتى تصبحوا تنظرون اليه كلكم وتلعب به غلمان المدينة وقال القاضى عياض قيل رؤيتهم على خلقتهم وصورهم الاصلية ممتنعة لظاهر الآية الا على الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومن خرقت له العادة وانما يراهم بنو آدم فى غير صورهم كما جاء فى الآثار قلت هذه دعوى مجردة فان لم يصح لها مستند فهى مردودة اه كلام المؤلف وجزم شيخ الاسلام بما جزم به المؤلف وقوله انسكم وجنكم بيان وتفصيل بعد اجمال (كانوا) كلهم تقاربوا (على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكى) بضم الميم (شيا) لفظ البرمدى ما زاد ذلك فى ملكى جناح بعوضة ولفظ ابن ماجه لم يزد فى ملكى جناح بعوضة أرادا بأتقى قلب رجل واحد محمدا صلى الله عليه وسلم (يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا) كلهم عصاة فجرة (على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكى شيا) ولفظ ابن ماجه ولو اجتمعوا وكانوا على أشقى قلب عبد من عبادى لم ينقص من ملكى جناح بعوضة أى لا ينقص ملكه بكفر الكافرين ولا بمعصية العاصين بل ملكه كامل لا نقص فيه بوجه من الوجوه وأراد بافجر قلب رجل الشيطان وهو من الجن عند أكثر المتكلمين (يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا) وللترمذى وابن ماجه اجتمعوا (فى صعيد واحد) الصعيد وجه الارض وظاهرها أى ارض واحدة ومقام واحد (فسألونى فاعطيت كل انسان منهم مسألته

عليه وسلم لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله اخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره التقوى ههنا ويشير الى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه رواه مسلم) صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلموا اخوانى وفقنى الله وايا كم لطاعته ان هذا الحديث عظيم الفوائد كثير العوائد (قوله لا تحاسدوا) أى لا يحسد بعضكم بعضا ومعنى الحسد تمنى

ترمته يوشك ان يدار كلها ثمة أحاديث كثيرة وهو داء لا دواء له من أمراض القلوب العظيمة وهو يضر دينا ودنيا
ولا يضر المحسود دينا ولا دنيا الا ان زوال نعمة يحسد قط والا لم تبق نعمة لله على أحد حتى الايمان لان الكفار يحبون زوالها عن اهله
بل الحسود ممقوت بحسده محاسد دينا لانه مظلوم من جهته سيما ان أبرز حسده الى الخارج بالغيبة وهتك الستر وغيرهما من أنواع
الايذاء وقهره هذا يأتي منها في الدنيا فعلم ان هذا دواء عظيم للحسد أعاذنا الله تعالى منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء هي الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر والذي نفس محمد بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم أخرجه أحمد والترمذي وقال صلى الله عليه وسلم ليس مني ذو حسد ولا نميمة ولا كهانة ولا أنا منه وقال لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا وقال لا تظهر الشماتة لاخيك فيعافيه الله ويبتليك وفي الحديث كاد الفقر أن يكون كفرا وكاد الحسد أن يغلب القدر وفي حديث استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان

فان كل ذي نعمة محسود وروي ان موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام لما نعجل النطق الى ربه رأى في ظل العرش رجلا فغبطه بمكانه وقال ان هذا الكريم على ربه فسأل ربه أن يخبره باسمه فلم يخبره باسمه وقال أ
من عمله بثلاث كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه وكان لا يمشي بالنميمة وقال بعض السلف أول خ
عصي الله بها الحسد حسد ابليس آدم ان يسجد له فحمله الحسد على المعصية ووعظ بعض الائمة بعض الامراء فقال يا لك والـ

ما نقص ذلك) الذي أعطيته (مما عندي) ولفظ الترمذي وابن ماجه من ملكي أي لان أمره بين الـ
والنون اذا أراد شيأ قال له كن فيكون وفي مسند البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى
عليه وسلم انه قال خزائن الله الكلام اذا أراد شيأ قال له كن فكان وليس المراد أن هناك قولا يتو
عليه الايجاد وانما هو كناية عن وجوده في أسرع وقت يعقب تعلق الارادة به فعبر عن ذلك السر
بزمن كن اذ لا يمكن أقل منه في القول ولا يستنكر العطاء الكثير مع عدم النقص فالبار والعلم يقبـ
منهما ولا ينقص منهما شيء بل يزيد العلم بالعطاء وقال القاضي قيد السؤال بالاجتماع في مقام واحد
تزاحم السؤال مما يضجر عنه المسؤل ويدهشه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (الا كما ينقص المخيط
بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح المثناة التحتية أي الابرة آلة الخياط (اذا دخل البحر)
بالدنيا أي بالنسبة الى رأي العين اذ هو في رأي العين لا ينقص من البحر شيأ فكذلك الاعطاء من
الخزائن الالهية لا ينقصها شيأ البتة وهذا ظاهر يخالف قول الخضر لموسى ما نقص علمي و
علم الله عز وجل الا كما ينقص هذا العصفور الذي رأياه يشرب من هذا البحر فان شرب العصفور
البحر لا يدري ان ينقصه شيأ وان قل والابرة يتعلق بها ما تنقل به الا انه بحسب الرؤية لا تنقص شيأ
وحكي أن رجلا سأل ابن الجوزي عن شرب العصفور من البحر فقال أخفه شيأ يضعفه فيه وهذا جواب
على جهة التحقيق وقول الخضر لموسى على جهة التقريب وأما لو فرضنا الوجود علوما أو
العصفور منه واحدة لنقصه بالضرورة لكن ليس ثم ما ينقصه ولفظ الترمذي الا كما ينقص أحدكم
فغمس فيه ابرة ثم رفعه اليه ولفظ ابن ماجه الا كالوان أحدكم ربشة البحر فغمس فيها ابرة ثم ر
ونقص بتسعمل لازما كنقص المال ومتعديا نحو نقصت زيدا حقه وهو هنا متعد لان محل اذا د
البحر نصب به (يا عبادي انما هي) الضمير راجع الى ما يفهم من قوله أتى قلب رجل وأفجر
رجل وهي الاعمال الصالحة والقبيحة أو هي ضمير الشأن بتسره (أعمالكم أحصيها) أي أ
وأحفظها (لكم) بعلمي وملائكتي الحفظة لا لاحتياج لهم بل ليكونوا شهداء بين الخالق وخلقه يقال
يقال يوم القيامة لبعض الناس كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين شهودا (ثم أو
اياها) أي أعطيكم جزاءها وافيا تاما خيرا كان أو شرا فحذف المفعول الثاني وهو المضاف فانقلب الضمير
المخفوض المتصل بالاضافة منصوبا منفصلا والتوفية اعطاء الحق على التمام والكمال وا
تكون في الآخرة لقوله تعالى وانما توفون أجوركم يوم القيامة أو في الدنيا أيضا لما روى انه صلى
عليه وسلم فسر ذلك بان المؤمنين يجازون بسيئاتهم في الدنيا ويدخلون الجنة بحسناتهم وا
يجازى بحسناته في الدنيا ويدخل النار بسيآته (فمن وجد خيرا) أي ثوابا ونعيما أو حياة
هنيئة (فليحمد الله) تعالى على توفيقه للطاعات والاعمال الصالحة وعدل عن التكلم الى الغيبة كما في
أعطيناك الكوثر فصل لربك تجديد النشاط السامع واهتماما بذكر اسم الله دون الضمير و
لشانه وايقاظا للاصغاء (ومن وجد غير ذلك) أي شرا ولم يذكره بلفظه تعليما للنا كيفية الا

أول ذنب عصى الله به ثم قرأ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم الآية وإياك والحرص فإنه أخرج آدم من الجنة أسكنه الله جنة عرضها السموات والأرض يأكل منها الأشجرة واحدة نهاه الله عنها فمن حرصه أكل منها فأخرجه الله من الجنة ثم قرأ قال اهبطا منها جميعا الآية وإياك والحسد فإنه الذي حمل ابن آدم على أن قتل أخاه حين حسده ثم قرأ واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين وقيل كان السبب أيضا في قتله له أن زوجته أخت القاتل كانت أجمل من زوجة القاتل أخت المقتول لأن حواء ولدت لآدم عشرين بطنا في كل بطن اثنان ذكر وأنثى فكان آدم صلى الله عليه وسلم يزوج أنثى كل بطن لذكر بطن أخرى لا لذكر بطنها فلما رأى قابيل أن زوجة أخيه هابيل أجمل حسده عليها حتى قتله وقال أبو الدرداء ما أكثر عبد ذكر الموت الا قل فرحه وقل حسده وقال بعضهم الحاسد لا ينال من المجالس الا مذمة ولا ينال من الملائكة الا لعنة وبغضا ولا ينال من الخلق الا جزعا وغما ولا ينال عند النزع الا شدة وهولا ولا ينال عند الموقف الا فضيحة وهوانا ونكالا وعن زكريا عليه السلام انه قال قال الله سبحانه وتعالى الحاسد عدو لنعمتي مسخط لقضائي غير راض بقسمتي التي قسمتها بين عبادي ولبعضهم

الا قل لمن بات لي حاسدا * أتدري على من أسأت الأدب
أسأت على الله في فعله * إذ أنت لم ترض لي ما وهب
فجاز إليك منه بأن زادني * وسد عليك وجوه الطلب (وقال غيره) دع الحسود وما يلقاه من كمده * كفاك منه لهيب النار في كبده
إن لم تذق حسد نفست كربته * وإن سكت فقد عذبته بيده * (وللإمام الشافعي رضي الله عنه) *
تذكرت في دهري رخاء وشدة * وناديت في الأحياء هل من مساعد
فلم أر فيما ساءني غير شامت * ولم أر فيما سرني غير حاسد

النطق بالكناية عما يؤذي أو يستهجن أو يستحيى منه أو إشارة إلى أنه إذا اجتنب لفظه فكيف فعله (فلا يلومن) بالنون للتحذير (الا نفسه) لتقريطه بكسبه القبيح المترتب عليه ذلك لان للعبد جزأ اختيارا وان كان بخلقه تعالى وايجاده على وفق ارادته والمعتزلة قالوا فلا يلومن الا نفسه مؤذن بان العبد هو الخالق لافعاله القبيحة وردبما وردشاهدا باسناد جميع الكائنات الى الله تعالى ابتداء فالمعنى هنا فلا يلومن الا نفسه حيث آثرت شهواتها على رضا خالقها فكفرت بانعمه ولم تذعن لاحكامه وحكمه فاستحقت ان يعاملها بمظهر عدله وان يحرمها مزايا جوده وفضله (رواه مسلم) في كتاب الادب ورواه أيضا أحمد والترمذي وابن ماجه عن صحابيه المذكور وجلالته وعظم فوائده وكان أبو ادريس راويه عن أبي ذر اذا حدث به جثا على ركبتيه تعظيما له

(الحديث الخامس والعشرون)

(عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه ان ناسا) هم فقراء المهاجرين كما بينه في رواية البخاري عن حديث أبي هريرة وسمي منهم في رواية أبي داود أبا بكر وفي رواية النسائي أبا الدرداء قال في الفتح والظاهر ان أبا هريرة منهم وكذا زيد بن ثابت ولا تنافي بين رواية فقراء المهاجرين وعد زيد مع انه أنصاري لاحتمال التغليب (من أصحاب رسول الله) صلى الله عليه وسلم الاصحاب جمع صاحب وهو لغة من بينك وبينه مواصلة وان قلت وغرفا قال الحافظ ابن حجر من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا به ومات على ذلك والمراد باللقاء ما هو أعم من المجالسة والمماشاة ووصول أحدهما الى الآخر وان لم يكلمه ويدخل فيه رواية أحدهما الآخر وهو أولى من قول بعضهم من رأى لانه يخرج ابن أم مكتوم ونحوه من العميان وهم صحابة بلا تردد وقوله مؤمنا به يخرج من لقيه كافرا ثم أسلم بعد موته كرسول قيصر ومن لقيه مؤمنا بغيره فقط من لانبياء نقل وشيخ الاسلام ان في كلام ابن حجر ما يدل على انه لقيه في حال نبوته وحينئذ فيخرج من لقيه مؤمنا به سبعث ولم يدرك البعثة كزيد بن عمرو بن نفيل وعده ابن منده في الصحابة قال شيخ الاسلام ولابد أن يكون التقى قبل وفاته ليخرج من لقيه بعدها كما وقع لابي ذؤيب خويلد بن خالد الهذلي واشترط شيخ الاسلام أيضا في الملاقي أن يكون مميزا فيخرج عبد الله بن عدي بن الخيار الذي أحضر اليه عليه الصلاة والسلام غير مميز ومن حنكه من الاطفال كعبد الله بن الحارث بن نوفل وعبد الله بن طلحة الانصاري أو مسح وجهه كعبد الله بن ثعلبة بن ظفر فهؤلاء لهم رؤية وليس لهم صحبة وهو ظاهر كلام ابن أبي زرعة الرازي وأبي حاتم وأبي داود وجزم ابن قاسم تلميذ المحلي في شرح جمع الجوامع بعدم اشتراط التمييز وبه جزم السهوري مصرحا بان فيه خلافا وأما من ارتد بعد صحبته فقضية مذهب مالك احباط العمل بمجرد الردة لانهم يرون احباط العمل بها فلا يسمى صحابيا الا اذا عاد الى الاسلام ولقي النبي صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن أبي سرح وقضية من لا يرى الاحباط الا بالموت كالشافعية انه يسمى صحابيا اذا عاد للاسلام بعد موته صلى الله عليه وسلم كما في الاشعث بن قيس فانه ارتد وأتي به أسيرا لابي بكر فعاد للاسلام فقبل منه وزوجه أخته والظاهر اشتراط رؤيته في عالم الشهادة فلا

ومن الحكمة الحسود لا يسود أبدا والبخيل ناكل ماله العداو قد يوضع الحسد وضع الغبطة وهو محمود ومنه قوله صلى الله عليه
لا حسد الا في اثنتين أي غبطة أعظم من الغبطة بهاتين الخصلتين (حكاية) كان بعض الصلحاء يجلس بحانب ملك يتصبه ويقول
احسن الى المحسن باحسانه فان المسيء ستكفيك اساءته فحسده بعض الجهلة على قربه من الملك وأعمل الحيلة على قتله فسعى به الى
فقال انه يزعم انك أبخر وأمارة ذلك ٢١٢ أنك اذا قربت منه اضم منه على أنفه لئلا يشم رائحة البخر فقال له انصرف

حتى أنظر فخرج فدعا الرجل لمنزله وأطعمه ثم خرج الرجل من عنده ودخل على الملك وقال له مثل قوله السابق احسن الى المحسن الى آخره كعادته فقال له الملك ادن مني فدنا منه فوضع يده على فيه مخافة ان يشم الملك رائحة الثوم منه فقال الملك في نفسه ما أرى فلانا الا قد صدق وكان الملك لا يكتب بخطه الا جائزة أو صلة فكتب له بخطه لبعض عماله اذا ما أتاك صاحب كتابي هذا فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به الى فأخذ الكتاب وخرج فلقيه الذي سعى به فقال ما هذا الكتاب قال خط الملك الى بصلة قال هبه مني فقال هو لك فأخذه ومضى به الى العامل فقال له العامل في كتابك اني أذبحك وأسلخك فقال ان الكتاب ليس هو لي والله الله في أمري حتى أراجع الملك فقال ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشى جلده تبنا وبعث به ثم عاد الرجل الى الملك كعادته وقال

يطلق اسم الصحبة على من رآه من الملائكة والنبيين واستشكل ابن الاثير مؤمني الجن في الصحابة دون مؤمني الملائكة وهم أولى بالذكر منهم أولا وأجيب بان الجن من جملة المكلفين الذين شملتهم الرسالة والبعثة فكان ذكر من عرف اسمه منهم رآه حسنا بخلاف الملائكة والظاهر أن عيسى يطلق عليه اسم الصحبة أيضا لانه رآه في الارض (قالوا للنبي) بالهمز من النبأ وهو الخبر وعليه فقعيل يحتمل أن يكون بمعنى مفعول اذ هو منبأ بالغيوب أو بمعنى فاعل أو مفعل اذ هو منبئ بما أطلعه الله عليه ويصح ترك الهمز في هذين الوجهين تسهيلا وأما في لغة من لا يهمزه فهو مأخوذ من النبوة بفتح النون وهي ما ارتفع من الارض يقال نبأ الشيء اذا ارتفع فالمعنى على هذا أن النبي مرفوع الرتبة ونهيه صلى الله عليه وسلم عن الهمز مع قوله لا تقولوا لانبي الله بالهمز بل قولوا لانبي الله أي بلا همز لانه قد يزيد معنى الطريق فخشي صلى الله عليه وسلم في الابتداء سبق هذا المعنى الى بعض الاذهان فنهاهم عنه فلما قوي اسلامهم وتواترت به القراآت نسخ النهي عنه لزوال تعليله (صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ذهب أهل الدثور) الذهاب المضي ويستعمل في المعاني والاعيان يقال ذهب في الارض ذهابا مضى وذهب مذهب فلان قصد قصده وطريقته وذهب في الدين مذهبا رأى فيه رأيا وأحدث فيه بدعة والدثور بضم المهملة والمثلثة جمع دثر بفتح فسكون كفلوس جمع فلس وهو المال الكثير قال الخطابي وقع في رواية البخاري أهل الدور وجرى عليه صاحب المطالع وهو غلط والصواب الدثور هكذا رواه الناس كلهم (بالاجور) جمع أجر وهو ما يعود على الانسان من ثواب عمله الدنيوي أو الاخروي والمراد هنا الثاني لا يقال الا في النفع دون الضر بخلاف الجزاء ورواية البخاري بالدرجات العلى والنعيم المقيم واحترز بالمقيم عن العاجل فانه قل ما يصفو وان صفا فليلا أعقبه الكدر والزوال وزاد البخاري في الدعوات قال وكيف ذلك قالوا (يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم) زاد في حديث أبي الدرداء ويذكرون كما نذكر (ويتصدقون بفضول أموالهم) أي بما وهم الفاضل بهن كفايتهم وقيدوا بذلك بيانا لفضل الصدقة فانها بغير الفاضل عن الكفاية مكروهة بل قد تحرم لحديث كفى بالمرء اثما أن يضيع من يعول ولفظ البخاري في الدعوات وأنفقوا من فضول أموالهم وليس لنا أموال يسلم في الصلاة ويتصدقون ولا نتصدق ويعتقون ولا نعتق وقولهم ذلك ليس حسدا بل تحسرا على ما فاتهم من الصدقة والبر مما لا يقدرون عليه وتعذر عليهم فعله لفرط حرصهم وتوفر رغبتهم في العمل الصالح ظنا منهم أن الصدقة لا تكون الا بالمال فارشدهم المصطفى الى ان بكل نوع صدقة حيث (قال) لهم جوابا عن ذلك تطمينا لخاطرهم وتقريرا لكونهم ربما ساووا الاغنياء (أوليس) الهمزة للانكار وليس بمعنى لا أي لا تقولوا ذلك فانه (قد جعل الله لكم ما تصدقون) بتشديد الصاد والدال كما هو الرواية وأصله تتصدقون فادغمت احدى التاءين في الصاد بعد قلبها صادا وقد تحذف احداهما فتخفف الصاد وحذف صلته تصدقون وهو الجار والمجرور للعلم به وقد روي انه عليه الصلاة والسلام قال من كان له مال فليتصدق من ماله ومن كان له قوت فليتصدق من قوته ومن كان له علم فليتصدق من علمه وعنه أيضا أفضل

الصدقة

مثل قوله فتعجب الملك وقال ما فعلت بالكتاب قال لقيني فلان فاستوهبه مني فدفعته له فقال الملك انه ذكر لي انك تزعم اني ابخر قال ما قلت ذلك قال فلم وضعت يدك على انفك قال اطعمني ثوما فكرهت ان تشمه قال صدقت ارجع الى مكانك فقد كفيت المسيء اساءته فتأملوا رحمكم الله تعالى ما تضمن الحسد وما جر اليه تعلموا سر قوله صلى الله عليه وسلم لا تظهر الشماتة لاخيك فيعافيه

الله تعالى ويبتليك (قوله صلى الله عليه وسلم ولا تناجشوا) النجش في اللغة الاثارة والخديعة وفي الشرع الزيادة في الثمن المدفوع في العروض للبيع وان لم يساو القيمة أو كان لمحجور عليه ليغر غيره فيشتريه وهو حرام للايذاء وغش الغير حرام والبيع صحيح اذا لمعنى في النهي خارج عن البيع ولاخيار للمشتري لتقصيره ويختص الاثم بالعالم بالتحريم دون غيره (قوله ولا تباغضوا) أي لا تتعاطوا أسباب البغضاء فالبغض حرام لانه تعالى فانه واجب ومن كمال

الصدقة صدقة اللسان قيل يا رسول الله وما صدقة اللسان قال الشفاعة تفك بها الاسير وتحقن بها الدم وتجر بها المعروف والاحسان الى أخيك وتدفع عنه الكربة وعنه أيضا تسلك في وجه أخيك صدقة وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة واماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق صدقة وافراغك من دلوك في دلو أخيك صدقة (ان بكل تسبيحة) أي قول سبحان الله بمعناه تنزيه الله تعالى عما لا يليق له من كل نقص فيلزم نفي الشريك والصاحبة والولد وجميع الرذائل (صدقة) أي حسنة وعن خالد بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه فقال خذوا جنتكم فقالوا يا رسول الله من عدو حضر قال بل من النار قالوا وما جنتنا من النار قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فانهن يأتين يوم القيامة مقدمات ومنجيات ومعقبات وهي الباقيات الصالحات ومعنى قوله مقدمات انها تقدم صاحبها الى الجنة ومنجيات تنجيه من النار ومعقبات حافظات والباء في قوله بكل تسبيحة سببية ويجوز أن تكون ظرفية مجازا فكان التسبيحة لما كانت سببا لها جعلت ظرفا فشبيهها بالظرف استعارة مكنية واثبات ما هو من خواص الظرف لها تخييل بانها من جنسه تناسيا للتشبيه كما شبه الجذع لتمكن المصلوب به في ولأصلبنكم في جذوع النخل استعارة مكنية وأثبت لها ما هو من خواصه تخييلا وقوله صدقة بالنصب اسم ان وبكل متعلق بجار ومجرور هو الخبر المحذوف تقديره لكم وليس بخبر لعدم الفائدة (وكل تكبيرة) أي قول الله أكبر (صدقة) فيه ومابعده وجهان كما قال ابن فرج الرفع على الاستئناف والنصب عطفا على صدقة وهو الاجود (وكل تحميدة) أي قول كل ما اشتق من مادة الحمد كالحمد لله وأحمد الله ونحمد الله وحمدت الله ونحو ذلك (صدقة) وتسمية هذا وما قبله وما بعده صدقة من مجاز المشابهة أي أجرا كأجر الصدقة فحذف كاف التشبيه للمبالغة ثم حذف أجرا فبقي أجر صدقة ثم حذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وأعرب باعرابه وقيل معناه انها صدقة على نفسه (وكل تهليلة) أي قول لا اله الا الله (صدقة) قالت أم هانئ بنت أبي طالب كنت آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله علمني شيأ أقوله وأنا جالسة فقال قولي الله أكبر مائة مرة خير لك من مائة بدنة مجللة مقبلة قولي سبحان الله مائة مرة خير لك من مائة فرس في سبيل الله قولي الحمد لله مائة مرة خير لك من مائة رقبة من ولد اسمعيل تعتقيهم وقولي لا اله الا الله مائة مرة لا يدركها شيء ولا يسبقها وفي رواية أحمد والنسائي أنه صلى الله عليه وسلم قال لام هانئ سبحي الله مائة تسبيحة فانها تعدل مائة رقبة من ولد اسمعيل واحمدي الله مائة تحميدة فانها تعدل مائة فرس ملجمة مسرجة تحملين عليها في سبيل الله وكبري الله مائة تكبيرة فانها تعدل لك مائة بدنة مقلدة متقبلة وهللي الله مائة تهليلة ولا أحسب الا قال تملأ ما بين السماء والارض ولا يرفع يومئذ لاحد مثل عملك الا أن يأتي بمثل ما أتيت به وفي الحديث أيضا من كبر مائة وسبح مائة وهلل مائة كان له خير من عشر رقاب يعتقها ومن سبح بدنات ينحرها وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال اذا حدثتكم حديثا أنبأتكم بمصداقه من كتاب الله عز وجل ما من عبد مؤمن يقول خمس كلمات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله

من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان (قوله ولا تدابروا) أي لا يدبر بعضكم عن بعض معرضا عنه اذا لتدابر المعاداة وقيل المقاطعة لان كل واحد يولي صاحبه دبره (تنبيه) قال صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام وفي رواية لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام وفي سنن أبي داود فمن هجره فوق ثلاث فمات دخل النار والاحاديث في هذا المعنى كثيرة ويجوز هجر المبتدع والفاسق ونحوهما ومن رجي بهجره صلاح دين الهاجر والمهجور وعليه يحمل هجره صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك رضي الله عنه وصاحبيه ونهيه صلى الله عليه وسلم الصحابة عن كلامهم وكذا هجر السلف بعضهم بعضا (قوله ولا يبع بعضكم على بيع بعض) نهى صلى الله عليه وسلم عن البيع على بيع غيره أي قبل لزومه بانقضاء خيار المجلس أو الشرط بان يأمر المشتري بالفسخ ليبيعه مثله باقل من ثمنه وكذا يحرم الشراء على الشراء قبل لزومه بان يأمر البائع بالفسخ ليشتريه باكثر قال صلى الله عليه وسلم لا يبع بعضكم على بيع بعض رواه الشيخان عن ابن عمر زاد النسائي حتى يبتاع أو يذر وفي معناه الشراء على الشراء وروى مسلم من حديث عقبة بن عامر المؤمن أخو المؤمن فلا يحل للمؤمن ان يبتاع على بيع

أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يذر والمعنى فى تحريم ذلك ودوله لما نهى عنه لا يذاء ولو أذن البائع فى البيع على بيعه
او تقع التحريم وكذا المشترى فى الشراء ولو باع أو اشترى دون اذن صح (قوله وكونوا عباد الله اخوانا) أى اكتسبوا ما تصيرون به
كذلك من حسن المعاشرة وفعل المأذونات وترك المنفرات فتعاملوا وتعاشروا معاملة الاخوة ومعاشرتهم فى المودة والملاطفة والتعاون
على الخير مع صفاء القلوب والنصح ٢١٤ على كل حال (قوله المسلم أخو المسلم) معناه ما ذكر من حسن المعاشرة ونحوه

عامر (قوله لا يظلمه) أى لا يدخل عليه ضررا لا يجوزه الشرع لحرمة ذلك ومنافاته الاخوة ولان الظلم للكافر حرام فالمسلم أولى والظلم يكون فى النفس والمال والعرض وكل ذلك منهى عنه بدليل آخر الحديث قال صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيامة والاحاديث الواردة فى ذم الظلم كثيرة شهيرة ولذا قيل فى المعنى

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا
فالظلم ترجع عقباه الى الندم
تنام عينك والمظلوم منتبه
يدعو عليك وعين الله لم تنم

وقال بعض السلف لا تظلم الضعفاء فتكون من شرار الاشقياء (قوله ولا يخذله) أى بعدم اعانته ونصرته الجائزة مع القدرة عند الحاجة فاذا استعان به فى رفع ظلم ونحوه لزمه اعانته اذا أمكنه من غير

والله أكبر وتبارك الله الا أخذ من ملك يخفضها من تحت جناحه ثم يصعدن بهن فلا يمر بهن على جمع من الملائكة الا استغفر والقائلهن حتى يجئ بهاب وجه رب العالمين ومصداقه من كتاب الله عز وجل اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه (وأمر) نكره ايذانا بان كل فرد من أفراده صدقة وكذا نهى ولو عرف لاحتمل ان أل استغراقية أو عهدية فلا يفيد النص على ذلك وهو انما مجرور أو مرفوع لما سلف وعلى الثانى سوغ الابتداء به كونه عاملا فى الجار والمجرور وكذا نهى (بالمعروف) عرفه اشارة لتعظيمه ولتقرره وثبوته وانه مألوف معهود وفى عرف الشرع (صدقة) بشروطه الآتية (ونهى عن منكر) نكره لتحقيره ولانه فى حيز المعدوم والمجهول الذى لا ألف للنفس فيه (صدقة) بشروطه الآتية ويدخل فى الامر بالمعروف الامر بالايمان وباتباع السنة ويدخل فى النهى عن المنكر النهى عن الكفر وعن البدعة وأخوهما عما قبلهما مراعاة لترقى لوجوبهما بخلاف ما والواجب أفضل من غيره بل نقل امام الحرمين ان ثواب الفرض يزيد على ثواب النفل بسبعين كما فى حديث ورد فيه (وفى بضع) بضم فسكون يطلق ويراد به الفرج ويطلق ويراد به الجماع وارادة كل منهما هنا صحيحة وعلى الاول يكون على حذف مضاف تقديره وفى وطء بضع (أحدكم صدقة) اذا قارنته نية صالحة كاعفاف نفسه أو زوجته عن نظر أو فكر محرم أو قضاء حقها من معاشرتها بالمعروف المأمور به أو طلب ولد يوحد الله أو يكثر به المسلمون أو يكون له فرطا اذا مات اصبره عليه وقد كان عمر رضى الله عنه يتزوج المرأة لا قصد له فيها الا ارادة الولد الكثرة أو ليموت فيكون له أجره فعلم ان المباح يصير طاعة بالنية الصالحة وانما أعاد فى هنا لان هذا النوع من الصدقة أغرب من الكل حيث جعل قضاء الشهوة ونيل اللذة بهذا الطريق صدقة وفى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال لعمر ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء المرأة الصالحة اذا نظر اليها سرته واذا أمرها أطاعته واذا غاب عنها حفظته عن زيد بن حارثة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا زيد تزوج تزدد عفة الى عفتك ولا تتزوج خمسا لا شهبرة ولا كهبرة ولا نهبرة ولا هندرة ولا لفوتا أما الشهبرة فهى الزرقاء البذية والكهبرة الطويلة المهزولة والنهبرة القصيرة الذميمة والهندرة العجوز المدبرة واللفوت ذات الولد من غيرك رواه الديلمى فى مسند الفردوس (قالوا) متعجبين من ذلك مستبعدين ان الانسان يفعل ما للنفس فيه حظ وفيه ثواب (أيأتى أحدنا شهوته فيكون له فيها أجر) أى بسببها كما فى حديث فى النفس المؤمنة مائة من الابل أو هى باقية على ظرفيتها مجازا جعلت الشهوة كالظرف له من حيث كونها منشأه وهو مرتب عليها كما فى ولا سلبنكم فى جذوع النخل (قال أرأيتم لو وضعها) أى شهوته (فى حرام كان) قال الطيبى أفعم همزة الاستفهام على سبيل التقدير بين لو وجوابها تأكيدا للاستخبار فى قوله أرأيتم (عليه وزر) أى اثم وجوابه محذوف كأنهم قالوا نعم فقال (فكذلك) أى فمثل حصول الوزر له بوضعها فى الحرام حصول الاجر (اذا وضعها فى الحلال كان له أجر) بالرفع والنصب كما فى شرح مسلم والرفع ظاهر لان أجر اسم كان وله خبرها وأما النصب فتقديره كان ذلك الوضع أجرا (رواه مسلم) وفى رواية له فرجع الفقراء الى رسول الله

عذر شرعى لان من حق أخوة الاسلام التناصر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله صلى
تعالى وعزتى وجلالى لا ينتقمن من الظالم فى عاجله وآجله ولا تنتقمن ممن رأى مظلوما يقدر على ان ينصره فلم يفعل وقال صلى الله عليه
وسلم أنصر أخاك ظالما أو مظلوما فقال رجل يا رسول الله أنصره ان كان مظلوما أفرأيت ان كان ظالما كيف أنصره قال تحجزه
أو تمنعه عن الظلم فان ذلك نصره وفى الحديث أيضا آمر بعبد من عباد الله تعالى أن يضرب فى قبره مائة جلدة فلم يزل يسأل ويدعو حتى

صارت جلدة واحدة فامتلأ قبره عليه نارا فلما ارتفع عنه وأفاق قال علام جلدتموني قالوا انك صليت صلاة بغير طهور ومررت على مظلوم فلم تنصره ودخل في قوله ولا يخذله الخذلان الديني والدنيوي فالديني كان يرى الشيطان مستولياً عليه في بعض أحواله أو أعماله فلم ينهه على الخلاص منه بوعظ ونحوه والدنيوي كان يرى شخصاً يبطش به فلم ينهه عليه وجاء في رواية ولا يكذبه بضم الياء واسكان الكاف كما ضبطه النووي رحمه الله تعالى أي لا يخبره بأمر على خلاف ما هو عليه لأنه غش وخيانة وأشد الأشياء ضرراً كما أن الصدق أشدها نفعاً وقد جاء في مدح الصدق وذم الكذب أخبار وآثار كثيرة شهيرة لا نطيل بذكرها وبالجملة فالكذب حرام كله وأما ما روي أن ابراهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات كما هو مذكور في حديث الشفاعة فالمراد التعريض وهو اللفظ لمشار به إلى جانب والغرض إلى جانب آخر ولكن لما شابه الكذب في صورته سمي به وجاء في حديث الطبراني كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا ثلاثاً الرجل يكذب في الحرب فان الحرب خدعة والرجل يكذب على المرأة فيرضيها والرجل يكذب بين الرجلين فيصلح بينهما وفي حديث في الأوسط الكذب كله اثم إلا ما نفع به مسلماً أو دفع به عن دين (قوله ولا يحقره) بالحاء المهملة والقاف أي لا يستخف به لان الله تعالى أكرمه ومن أكرمه الله تعالى لم تجز اهانته

صلى الله عليه وسلم فقالوا سمع اخواننا أهل الاموال بما فعلنا ففعلوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وهذا مشعر بتفضيل الغني الشاكر على الفقير الصابر وبه قال الجمهور واختاره العسقلاني والسيوطي وهو الاصح لان الغني يؤجر من وجوه منها الشكر ومنها الصبر على ما يعطيه من الزكاة الواجبة ومنها الانفاق على من يلزمه وغير ذلك والفقير يؤجر من وجهين الصبر على الفقر مع الرضا والشكر والثاني تصرفه فيما لا بد منه من نفقة نفسه ومن يلزمه ولان الفقر مع الصبر هو أوائل أحواله صلى الله عليه وسلم والغنى مع الشكر هو آخرها وعادة الله الجارية مع أنبيائه ورسله أنهم لا يختم لهم إلا بأفضل الاحوال لخاتمهم لافضل خلقه بالغنى مع الشكر دليل على أنه أفضل من الفقر مع الصبر وبحديث سعد في الوصاية انك ان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة وبحديث كعب ابن مالك حيث استشار في الخروج عن ماله كله فقال صلى الله عليه وسلم أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك وقال العز بن عبد السلام الفقير الصابر أفضل واليه ذهب جمهور الصوفية لخبر نفس عبد الدينار ولان مدار الطريق على تهذيب النفس وبالرياضة وذلك مع الفقير أكثر منه مع الغني وقال الداودي ان الذي أعطى الكفاف أفضل والكفاف حالة متوسطة بين الفقر والغني وان الفقر والغنى محنتان من الله يمتحن بهما من يشاء من عباده لقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولقوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل رزق آل محمد كفافاً وأما الحديث الذي أخرجه الترمذي اللهم احيني مسكيناً وأمتني مسكيناً الحديث فهو ضعيف وعلى تقدير ثبوته فالمراد انه لا يجاوز به الكفاف وقيل متقابلان وقيل بالوقف ومحل الخلاف فيمن يصلح حاله بالغنى والفقر بان كان اذا استغنى قام بجميع وظائف الغنى من البذل والاحسان والمواساة وأداء حقوق المال وشكر الملك الديان واذا افتقر قام بجميع وظائف الفقر كالرضا والصبر والقناعة وأما من يصلح حاله بالغنى فقط بان يؤدي حق الله في حالة الغنى ولا يؤديه في حالة الفقر فالغني أفضل اتفاقاً ومن يصلح حاله بالفقر فقط بان يؤدي حق الله في حالة الفقر ولا يؤديه في حالة الغنى فالفقر أفضل اتفاقاً فان قلت ما حقيقة الغنى وما المراد بالشاكر والصابر فالجواب كما قال الاقفهسي ان الغنى ما زاد على المحتاج اليه والغني الشاكر هو الذي يكتسب المال من المباح وينفقه في المباح والمندوب والفقير الصابر هو الذي لا يشتكي فقره اه فقد بين أن الغنى ما زاد على الحاجة وبين الغني الشاكر بانه الذي يكتسب المال من المباح وينفقه في المباح والمندوب ولو قال بدل المندوب المطلوب ليشمل الواجب كان أولى وقوله ما زاد على المحتاج اليه يشمل ذلك حتى في اليوم فاذا حصلت له زيادة على المحتاج اليه في كل يوم كان غنياً في ذلك اليوم وفي اليوم الذي لا يحصل له فيه ذلك ليس بغني وقيل الغني الشاكر هو الذي لا يبقى مما يدخل عليه من المال الحلال الا ما يحتاج اليه حالاً أو ما يرصده لاحوج ونحوه

(الحديث السادس والعشرون)

(عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل سلامى) بضم السين وتخفيف

(قوله التقوى ههنا ويشير الى صدره ثلاث مرات) أي لان الصدر محل القلب الذي هو بمنزلة الملك للجسد اذا صلح صلح الجسد كله كما مر في محله وتكرار الاشارة للدلالة على عظم المشار اليه في الحقيقة وهو القلب (قوله بحسب امرئ من الشر ان يحقر أخاه المسلم) أي يكفيه منه وقوله بحسب باسكان السين وفيه تحذير من الاحتقار قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم الآية والسخرية النظر الى المسخور منه بعين النقص فلا تحتقر غيرك عسى أن يكون عند الله خيراً منك وأفضل وأقرب وقد احتقر ابليس اللعين آدم عليه

السلام قيام بالخسران الابدى وفاز آدم بالغرالابدى وشتان مابينهما فلا تحقرأحدا ولوكان عبدك فربما صار عزيزا وصار ذليلا فينتقم منك * (تنبيه) * مفهوم الخبران الكافر يجوز احتقاره اذلا حرمة له بالكفر واهانته على الله ومن يهن الله فما له من مكرم (قوله كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) جعل هذه الثلاثة كل المسلم وحقيقته لشدة اضطراره اليها لان الدم به حياته والمال مادة الدم ومادة الحياة ٢١٦ والعرض قيام صورته المعنوية واقتصر على هذه الثلاثة لان ما سواها فرع راجع اليها لانه اذا قامت البدنية والمعنوية فلا حاجة الى غير ذلك

(خاتمة نفيسة) في ذكر شئ من ذم الغيبة * قال الله تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا الآية عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فارتفعت ريح جيفة منتنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون ما هذه الريح قالوا الا يا رسول الله قال هذه ريح الذين يغتابون الناس * وعن جابر أيضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايكم الغيبة فانها أشد من الزنا قالوا يا رسول الله وكيف الغيبة أشد من الزنا قال ان الرجل قد يزنى ثم يتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبها * وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكل لحم أخيه فى الدنيا قدم اليه لحمه يوم القيامة ويقال له كله ميتا كما أكلته حيا فيأكله ويكلح ثم يصيح ثم قرأ قوله تعالى أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الغيبة لها لذة فى الدنيا وفى الآخرة تورد صاحبها النار وعن عكرمة ان امرأة قصيرة دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم فلما خرجت قالت عائشة رضى الله عنها بما أفصح كلامها ولا أنها قصيرة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتبتيها يا عائشة قالت ما قلت الا ما فيها فقال ذكرت أقبح

اللام وفتح الميم مع قصر الالف وهى فى الاصل عظم يكون فى فرسن البعير كما قال أبو عبيدة قال الجوهرى والفرسن من البعير بمنزلة الحافر للدابة وقال بعضهم السلامى اسم لاصغر ما فى البعير من العظام ثم عمر بها عن مطلق العظم من الآدمى وغيره وفى حديث عائشة رضى الله عنها خلق الانسان على ستين وثلاثمائة مفصل ففى كل مفصل صدقة وقال سهل بن عبد الله التسترى فى الانسان ثلثمائة وستون عرقا ثمانية وثمانون ساكنة ومائة وثمانون متحركة فلو تحرك الساكن أو سكن المتحرك لم يتم وسلا واحده وجمعه سواء عند الاكثر وقيل جمع سلامية بفتح الميم وتخفيف الياء (من الناس) أى من كل واحد من الناس (عليه) ظاهره الوجوب وليس كذلك بل هو مندوب وندبه كما قال ابن أبى جمرة بالاستقراء من خارج لا بالصيغة وذكر الضمير وان كانت سلامى مؤنثة باعتبار العظم والمفصل لارجوعه لكل كما قيل به لانها بحسب ما تضاف اليه كقوله تعالى كل نفس ذائقة الموت أن كل نفس لما عليها حافظ وكل شئ فعلوه فى الزبر وهى فى الحديث هنا أضيفت لمؤنث فلو رجع اليها لانث (صدقة) نكرها له تعالى عليها الان تركيب هذه العظام وسلامتها من أعظم نعم الله تعالى على عبده فيحتاج كل عظم منها الى صدقة عنه بخصوصه ليتم شكر نعمته اذ لو غير واحدا منها عما هو عليه لاختل نظامه وتعطلت أحواله وتكدر عيشه وضاق ذرعه كما لو قصر الطويل أو طال القصير أو رق الغليظ أو غلظ الرقيق وخصت السلامى بالذكر لما فى التصرف بها من دقائق الصنائع التى اختص بها الانسان وتحيرت فيها الافهام ولذا قال الله تعالى بلى قادرين على أن نسوى بنانه أن نجعل أصابع يديه ورجليه مستوية شيأ واحدا كخف البعير وحافر الحمار فلا يمكن أن يعمل بها شيأ مما يعمل باصابعه المفرقة ذات المفاصل من فنون الاعمال دقها وجلها ولهذا السر غلبت الصغار من العظام على الكبار وأيضا الصدقة تدفع بوجودها عن أعضائك بر جى اندفاع البلاء عنها فقد حكى انه كان رجل من قوم صالح فآذاهم فقالوا يا نبى الله ادع الله عليه فقال اذهبوا فقد كفيتموه وكان يخرج كل يوم يحتطب قال فخرج يوما ومعه رغيفان فاكل أحدهما وتصدق بالآخر واحتطب ثم جاء يحمله فلما حمله سالما فلم يصبه شئ قال قد دعاه صالح وقال أى شئ صنعت اليوم قال خرجت ومعى قرصان فتصدقت باحدهما واكلت الآخر فقال صالح عليه الصلاة والسلام حل حطبك فحله فاذا فيه أسود مثل الجذع عاض على جذر من حطب قال بهذا دفع عنك يعنى بالصدقة وروى ان قصارا كان فى زمن عيسى عليه السلام وكان يفسد على الناس اثيابهم فسألوا عيسى أن يدعو عليه بالهلاك فاقبل القصار عند غروب الشمس ورزمته على رأسه فعجبوا من ذلك واخبروا عيسى فطلبه فحضر رزمته فقال له افتح رزمتك بعتحها فاذا فيها ثعبان عظيم قد ألجم بلجام من حديد فقال له عيسى عليه الصلاة والسلام ما صنعت اليوم من الخير فقال ما صنعت شيأ الا ان رجلا نزل الى من صومعته فشكا الى جوعا شديدا فدفعت له رغيفا كان معى فقال له عيسى ان الله قد بعث لك هذا العدو فلما تصدقت أمر الله ملكا فالجمه بهذا اللجام قال الطيبى وكل سلامى مبتدأ ومن الناس صفته وعليه صدقة الجملة خبر والراجع الى المبتدا الضمير المجرور فى الخبر (كل يوم) منصوب على الظرفية لاضافته

لاضافته الى الظرف ولما كان اليوم قد يعبر به عن المدة الطويلة المشتملة على الايام الكثيرة كما يقال في يوم صفين وهو مدة أيام وعن مطلق الزمان قليلا كان أو كثير الليلا كان أو نهارا كما في قوله تعالى كل يوم هو في شان وقوله وآتوا حقه يوم حصاده وقوله يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وعن الدولة ومنه قوله تعالى وتلك الايام نداولها بين الناس وعن مقابل الليل ومنه قوله تعالى سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام ولما كان الاخير هو المراد بينها بقوله (تطلع) بضم اللام (فيه الشمس) حتى يصبح سليما من الآفات باقيا على الهيئة التي تم بها منافعه وأفعاله فالصدقة في مقابل ما في تلك السلامى من النعم وفي بعض الآثار كم من نعمة لله عز وجل في عرق ساكن واذا كان ذلك في عرق فكيف بجميع العظام وقال وهب مكتوب في حكمة آل داود العافية الملك الخفي أي فهي النعيم المسؤول عنه يوم القيامة المعنى بقوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم وقال ابن مسعود النعيم الامن والصحة وقيل صحة الجسم وشرب الماء البارد وقال ابن عباس النعيم صحة الابدان والاسماع والابصار يسأل الله العباد فيم استعملوها وهو أعلم بذلك منهم وهو قوله تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا وشكا شخص الى يوسف بن عبيد ضيق حاله فقال له يوسف أيسرك ان لك ببصرك مائة ألف درهم فقال الشخص لا قال فبيديك قال لا ببر جليك قال لا وعدد نعم الله عز وجل عليه فقال أرى عندك هذا وأنت تشكو الحاجة وأخرج ابن أبي الدنيا بسند فيه ضعف يؤتى بالنعيم يوم القيامة وبالحسنات والسيئات فيقول الله لنعمة من نعمه خذي حقك من حسناته فلم تترك حسنة الا ذهبت بها ولما كان المتبادر من الصدقة صدقة المال بين ثم لا تحصر فيه بقوله (تعدل) أي ان تعدل لانه في محل رفع مبتدا وخبره صدقة فخففت ان فارتفع الفعل كما في قوله تعالى ومن آياته يريكم البرق والاصل ان يريكم لانه في موضع رفع مبتدأ خبره من آياته أو وقع الفعل فيه موقع المصدر مع قطع النظر عن ان ونظيره تسمع بالمعيدي خير من ان تراه أي سماعك (بين الاثنين) المتحاكمين او المتخاصمين أو المتهاجرين اذا كان حاكما أو مصلحا اذا نوى به رفع المنافرة بينهما ساعيه وقوله بين الاثنين هذا لفظ مسلم ولفظ البخاري بين الناس أخرج الاصبهاني أنه صلى الله عليه وسلم قال يا أبا هريرة عدل ساعة خير وأفضل من عبادة ستين سنة قيام ليلها وصيام نهارها يا أبا هريرة جور ساعة في حكم أشد وأعظم عند الله من معاصي ستين سنة وفي الحديث ألا أنبئكم بصدقة يسير يحبها الله تعالى قالوا بلى يا رسول الله قال اصلاح ذات البين اذا تقاطعوا وعن الحسن عنه صلى الله عليه وسلم انه قال أفضل الناس عند الله يوم القيامة المصلحون بين الناس وروى الترمذي انه صلى الله عليه وسلم قال ألا اخبركم بافضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى يا رسول الله قال اصلاح ذات البين وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم انه قال من أراد فضل العابدين فليصلح بين الناس وعن أنس بن مالك رضي الله عنه انه قال من أصلح بين اثنين أعطاه الله بكل كلمة عتق رقبة وما أحسن قول القائل

ان الفضائل كلها لو جمعت * رجعت بأجمعها الى شيئين
تعظيم أمر الله جل جلاله * والسعي في اصلاح ذات البين

(صدقة) عليه لو قايتهما ما يترتب على الخصام من قبيح الاقوال والافعال ومن ثم عظم فضل الصلح كما أشار له تعالى بقوله لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس وجاز الكذب فيه مبالغة في وقوع لا لغة لئلا تدوم العداوة (وتعين) فيه وما بعده مما مر في تعدل (الرجل) وصف طردي (في دابته) وفي معناها السفينة (فيحمل عليها أو يرفع له متاعه) أصله ما يتبلغ به المسافر (صدقة) منك عليه قال الحافظ ابن حجر قوله فيحمل عليها أعم من انه يريد يحمل عليها المتاع أو الراكب

تعالى أن يعتقه من النار * قيل يؤتى العبد كتابه يوم القيامة فلا يرى فيه حسنة فيقول يا رب أين صلاتي وصيامي وطاعتي فيقال له ذهب عملك كله باغتيابك للناس ويعطى الرجل كتابه بيمينه فيرى فيه حسنات لم يعملها فيقال له هذا باغتيابك به الناس وأنت لا تشعر وكما تحرم الغيبة يحرم استماعها واقرارها وهي ذكرك الانسان بما فيه بما يكره وينبغي لصاحب الغيبة ان يستغفر الله تعالى ويتوب قبل القيام من المجلس عسى أن يغفر الله تعالى له ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر أحدكم أخاه المسلم بالسوء فليستغفر الله تعالى فانه كفارته (وحكي) أن فقيها من الفقهاء كان في مدرسة مع تلامذته فدخلت عليه امرأة وقالت أيد الله الشيخ لي مسئلة لا أجسر أن أسألكها حياء منك لعظم الاثم وصغورية الحال فقال لها سلي ولا تستحي من العلم قالت كنت نائمة ليلة من الليالي فجاء ابني سكرانا فواقعني فحملت منه وولدت ولدا فتعجب القوم من ذلك فقال الفقيه أفتعجبون من ذلك وهذا أخف وأحب الي من الغيبة فان صاحب

اذا اجتمع فيه جماعة قلما يتذاكرون فيه العلوم الدينية والحكم والمواعظ وأحوال الآخرة بل أكثر حديثهم الغيبة والتملق والنفاق ومدح أنفسهم وجلسائهم بما ليس فيهم وذكر أحوال الدنيا والبحث عن أخبار أهلها والتفحص عما لا يلزمهم ولا يعنيهم في دينهم بل يضرهم نسأل الله تعالى العفو عنا أجمعين آمين

﴿المجلس السادس والثلاثون في الحديث السادس والثلاثين﴾

الحمد لله الكريم الحنان يغفر لمن يشاء بفضله ويعذب من يشاء بعدله لا اله الا هو ذو الجلال والاحسان وأشهد أن لا اله الا الله شهادة تنجي قائلها من عذاب النيران وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله نبي آخر الزمان صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا في كل وقت وأوان (عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا

وحمل الراكب أعم من ان يحمله كما هو أو بعينه في الركوب وقوله أو يرفع اماشك من الراوي أو تنويع (والكلمة الطيبة) من نحو ذكر ودعاء للنفس والغير وثناء بحق وسلام عليه ورد وتشميت عاطس بشفاعة عند حاكم ونصح وارشاد على الطريق نحو سلام عليكم حيا الله رانك لمحسن وأنت رجل مبارك وقد أحسنت جوارنا وغير ذلك لانه مما يسر السامع ويؤلف القلوب أو غير ذلك (صدقة) منه على نفسه لما فيه من سرور السامع واجتماع القلوب وقد ورد انه اذا التقى المسلمان تنزل عليهما مائة رحمة تسعون لاكثرهما بشرا وعشر لاقلهما مما رواه في العوارف مرفوعا (وبكل خطوة) بفتح الخاء المرة الواحدة من المشي وأما بالضم فبين القدمين وهو ممتد أو الباء زائدة (تمشيها) وفي رواية تخطوها (الى الصلاة) والظاهر ان مثلها الاعتكاف والطواف وعيادة المريض وغير ذلك من وجوه الطاعات (صدقة) وفي الحديث اذا تطهر الرجل ثم أتى المسجد يرعى الصلاة كتب له كاتباه أو كاتبه بكل خطوة يخطوها الى المسجد عشر حسنات والقاعد يرعى الصلاة كالقانت أي القائم في الصلاة ويكتب من المصلين من حين يخرج من بيته حتى يرجع اليه وفيه أيضا أعظم الناس أجرا في الصلاة أبعدهم اليها ممشى أي وانما كان أعظم أجرا لما يحصل في بعد الدار عن المسجد من كثرة الخطى فان قيل روى أحمد عن حذيفة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فضل البيت القريب من المسجد كفضل المجاهد على القاعد عن الجهاد فالجواب ان هذا في نفس البقعة وذاك في الفعل فالابعد داره مثلا أكثر ثوابه أعظم والبيت القريب أفضل من البيت البعيد واختلف فيمن قارب الخطى بحيث يساوي الخطى من داره بعيدة والى التساوي جنح الطبري والراجح عدم المساواة الكثرة المشقة في البعيد دون القريب (وتميط) بضم أوله وفتحه أي تنحي وتزيل يقال ماط الشيء وأماطه بمعنى أزاله حقيقة أو حكما بان يتركه القاعد في الطريق لما رواه البيهقي في الشعب عن أنس ان رجلا رأى في النوم قائلا يقول بشر عائذ بن عمرو المزني بالجنة فلم يفعل فاتاه في الثانية فلم يفعل فاتاه في الثالثة فلم يفعل فاتاه في الرابعة فقال له لم ذلك قال انه لا يلقى أذاه في طريق المسلمين وكان عائذ لا يخرج من داره ماء الى الطريق لا من مطر ولا من غيره وكان اذا مات له ستر دفنه في داره ولا يخرجه اتقاء أذى الناس وكان عائذ هذا من بايع تحت الشجرة (الاذى) ما يؤذي المارة كقذر وشوك وحجر وحيوان مخوف ودعم جدار مائل لانه نفع عام وقد روى ان رجلا رأى غصن شوك في الطريق فقطعه فشكر الله فغفر له (عن الطريق صدقة) منه على الناس والحيوان وعن أبي برزة قال قلت يا نبي الله علمني شيأ أنتفع به قال أزل الاذى عن طريق المسلمين كالشوك المؤذي والحجر الذي يعثر به والحيوان المخوف ودعم الجدار ونحوه فانه نفع عام وفي الصحيح ان رجلا من كان قبلكم رأى غصن شوك في الطريق فنحاه فشكر الله ذلك فغفر له ورأى رجل فرخا وقع من عشه فرفعه اليه فغفر الله له وآخر رأى كلبا يأكل الثرى من العطش فسقاه فغفر الله له وامرأة رأت كلبا يلهث عطشا فاخرجت خفها فاخرجت له ماء فغفر الله لها وعكس ذلك المرأة التي دخلت النار في هرة لاهي ولا أرسلتها تأكل من خشاش الارض وصح في كل كبد رطبة أجر ورواية أحمد عن طريق المسلمين فغلب على غيره لشرفهم وأخرت هذه لانها دون ما قبلها كما يشير اليه خبر الايمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا اله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق قيل وتسن كلمة التوحيد عند اماطة بين أعلى الايمان وأدناه وحمل بعض الصوفية الطريق على القلب والاذى على الوساوس التي تعرض له واماطتها دفعها عنه وهو تكلف بعيد وكذا حمل الاذى على أذى الظالم الطريق على طريقه تعالى وهو شرعه وأحكامه بل رواية وأدناها المذكورة صريحة في رد ذلك لان الاماطة بهذا المعنى من أعلى الشعب لا من أدناها (رواه البخاري) في الصلح والجهاد (ومسلم) وفي بعض طرق مسلم يصبح على كل

سلامي من أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة ويجزي عن ذلك ركعتان تركعهما من الضحى أي لان الصلاة عمل يجميع الابدان فتحرك المفاصل كلها فيها بالعبادة فاذا صلى العبد فقد قام من كل عضو منه بوظيفته وأدى شكر نعمته وكان وجه تخصيص الضحى بذلك من بين ركعتي الفجر وغيرهما من الرواتب مع أنها أفضل من ركعتي الضحى تعضها الشكر لابها لم تشرع جابرة لنقص غيرها بخلاف سائر الرواتب فانها شرعت جابرة لنقص متبوعها فلم يتمحض فيها القيام بشكر تلك النعم الباهرة والضحى لما لم يكن فيها ذلك تمحضت للقيام بذلك كذا قيل وفيه شئ والوجه ما قاله الحافظ العراقي أن الاختصاص بالضحى لخصوصية فيها وسر لا يعلمه الا الله تعالى ورسوله وأخرج أبو داود والنسائي من قال حين يصبح اللهم ما أصبح بي من نعمة أو باحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر فقد أدى شكر ذلك اليوم ومن قاله حين يمسي فقد أدى شكر ليلته

(الحديث السابع والعشرون)

قال الشارح الهيتمي وهو في الحقيقة حديثان لكنهما لما تواردا على معنى واحد كانا كالحديث الواحد فجعل الثاني كالشاهد للاول (عن النواس) بفتح النون وتشديد الواو وآخره سين مهملة (ابن سمعان) بكسر المهملة وفتحها واقتصار ابن الاثير على الكسر يدل على انه أرجح ابن خالد بن عبد الله بن قريظة ابن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن عمرو الكلابي العامري (رضي الله عنه) كان ينبغي عنهما لان لابيه وفادة والنواس من أهل الصفة ووقع في مسلم أنه انصاري وحمل على انه حليف لهم قال أقمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة سنة ما يمنعني من الهجرة أي العود الى الوطن الا المسئلة التي ترد على المصطفى صلى الله عليه وسلم من بعض أصحابه فاقامته تلك السنة كانت مع عزمه على العود الى وطنه لكنه أحب أن يتفقه في الدين تلك المدة بسماع تلك الاسئلة التي ترد عليه صلى الله عليه وسلم وأجوبتها روى له سبعة عشر حديثا اقتصر مسلم منها على ثلاثة (عن النبي صلى الله عليه وسلم قال البر) بكسر الموحدة وهو كما قال الزمخشري اسم جامع للخير وكل فعل مرضي وهو في تزكية النفس كالبر بالضم في تغذية البدن والفعل منه بر يبر على فعل يفعل كعلم يعلم (حسن الخلق) بضم اللام وسكونها أي التخلق مع الخلق وهو كما مر طلاقة الوجه وكف الاذى وبذل الندى وقلة الغضب وأن يحب للناس ما يحب لنفسه وهذا يرجع الى تفسيره بنحو قوله بانه الانصاف في المعاملة والرفق في المجادلة والعدل في الاحكام والبذل والاحسان في اليسر والايثار في العسر وغير ذلك من الصفات الحميدة وضده الجور والاثم ولذلك قابله به وقوله البر أي معظمه فالحصر مجازي كالحج عرفة والدين النصيحة وان أريد بحسن الخلق التخلق بالاخلاق الشريفة والتأدب بآداب الله التي شرعها لعباده من امتثال أمره وتجنب نهيه كان الحصر حقيقيا وقد يطلق البر في مقابلة العقوق فيكون عبارة عن الاحسان كما أن العقوق عبارة عن الاساءة ويطلق على الصلة ومنه بررت والدي بالكسر وخير من أبر الناس بي قال أمك قال ثم من قال أبوك قال ثم من قال الاقرب فالاقرب وفي المثل أبر من فلحس وهو رجل من شيبان ذكروا أنه حمل أباه وكان كبيرا على ظهره فحج به وفيه أيضا أبر به من العملس وهو أيضا رجل كان بارا بامه وكان يحملها على عاتقه الى حيث أرادت ومعنى الجنة ومنه قوله تعالى ان تنالوا البر أي الجنة كما قال السدي وبمعنى الصدق ومنه بر في يمينه أي صدق فيها وبمعنى القبول ومنه بر الله حجك وأبره أي قبله وبمعنى اللطف وحسن العشرة والصحبة ولين الجانب واحتمال الاذى ومنه قول عمر رضي الله عنه

بني ان البر شئ هين * وجه طليق وكلام لين

الجنة وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه رواه مسلم بهذا اللفظ) اعلم واخواني وفقني الله وايا كم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم جامع لانواع من العلوم والقواعد والآداب (قوله من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا) أي أزال وكشف والكربة هي ما أهم النفس (قوله نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة) أي مجازاة ومكافأة له على ما فعله وفي هذا وما يأتي ترغيب وحث على قضاء حوائج المسلمين واعانتهم والتنفيس يكون بالاستعانة على كشف المهمات من مال أو جاه أو غيرهما وقد جاء في قضاء حوائج المسلمين أحاديث كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم من قضى لاخيه المسلم حاجة في الدنيا قضى الله له سبعين حاجة من حوائج الآخرة أدناها

المغفرة (قوله ومن يسر على معسر) أي بأي نوع كان من أنواع التيسير يسر الله عليه في الدنيا والآخرة إذ المجازاة من جنس العمل

وسلم قال كان رجل يداين الناس فكان يقول لفتاه اذا أتيت معسرا فتجاوز عنه لعل الله يتجاوز عنا فلقي الله فتجاوز عنه أخرجاه في الصحيحين ومنها ما جاء عن أبي قتادة رضي الله عنه انه طلب غريما له فتوارى عنه ثم وجده فقال اني معسر قال فالله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره أن ينجيه الله عز وجل يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه رواه مسلم ومنها قوله صلى الله عليه وسلم يحاسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء الا انه كان يخالط الناس وكان موسرا فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر قال الله عز وجل نحن أحق بذلك منه تجاوزوا عنه رواه مسلم ومنها قوله صلى الله عليه وسلم أن رجلا مات فدخل الجنة فقيل له ما كنت تعمل فقال اني كنت أبايع الناس فكنت أنظر المعسر فأتجاوز عنه في السكة أو في النقد فغفر له رواه مسلم ومنها قوله صلى الله عليه وسلم من أنظر معسرا أو وضع له أظله الله في ظله رواه مسلم ومنها قوله صلى الله عليه وسلم من أنظر معسرا

ويقال بدل قوله وجه طالبتي الخ فعل جميل وكلام ابن وهبي الطاعة تسأثر أنواعها الظاهرة والباطنة ومنه قوله تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر الى قوله أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون وهذه الامور كلها اجتمع حسن الخلق اذا قرن البر بالتقوى كما في قوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى فسر البر بمعاملة الخالق بالاحسان والتقوى بمعاملة الخلق بطاعته أو البر بفعل الواجبات والتقوى باجتناب المحرمات وقد روى الحسن عن أبي الحسن عن جد الحسن بن شداد حسن ان أحسن الحسن الخلق الحسن رواه الترمذي وقال حديث حسن وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الخلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الشمس الجليد والخلق السيء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وقال معاذ ابن جبل آخر ما أوصاني به رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جعلت رجلي في الغرز يعني الركاب ان قال حسن خلقك مع الناس يا معاذ وعن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت ان حسن الخلق وحسن الجوار وصلة الرحم تعمر الديار وتزيد في الاعمار ولو كان القوم فجارا وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من لم يكن فيه ثلاث خصال لم يحد طعم الايمان علم يرد به جهل الجاهل وورع يحجزه عن المحارم وخلق يداري به الناس وقال عاصم بن المصطلق دخلت المدينة فرأيت الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما فأعجبني سمته وحسن رويته فاثار مني الحسد ما كان يجنه أي يخفيه صدري لابيه من البغض فقلت أنت ابن علي بن أبي طالب قال نعم فما بالغت في شتمه وشتم أبيه فنظر الي نظر عاطف رؤوف فقال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم خذ العفو وأمر بالعرف فقرأ الى قوله فاذا هم مبصرون ثم قال خفض عليك استغفر الله لي يا لك انك لو استعنتنا لاعنالك ولو استرشدتنا لارشدناك قال فندمت على ما فرط مني فقال لا تثريب أي لا عتب عليك اليوم يغفر الله لك وهو أرحم الراحمين أمن أهل الشام أنت قلت نعم قال حياك الله وبياك وعافاك أنبسط لنا في حوائجك وما يعرض لك تجدنا عندنا أفضل ظنك ان شاء الله تعالى قال عاصم فضاقت علي الارض بما رحبت ووجدت أنها قد ساخت بي ثم انك لا تلبث منه لو اذا أي مختبا مستترا بشيء وما على الارض أحب الي من أبيه ومنه (والاثم) يطلق ويراد به الذنب بسائر أنواعه وهو المراد هنا ويطلق ويراد به خصوص الخمر ومنه قوله

شربت الاثم حتى ضل عقلي * كذاك الاثم تذهب بالعقول

(ما حاك) بحاء مهملة وتخفيف الكاف من حاك يحيك ومنه قولهم ضربته فما حاك فيه السيف أي أثر وما يحيك كلامك في فلان أي ما يؤثر فيه وما تحيك القاس في هذه الشجرة وفي بعض النسخ ما حك بتشديد الكاف وفي بعضها ما حاك بالتشديد من المحاكة (في النفس) وفي رواية في نفسك وفي رواية في صدرك والمعنى أثر القلب اضطرابا وقلقا فلم ينشرح له ولم يطمئن اليه والحائك الراسخ في قلبك الذي يهمك وجاء في بعض الروايات والاثم خزاز القلوب بتشديد الزاي أي مؤثر فيها كما يؤثر الخز في الشيء المخزوز بمعنى قوله هنا ما حاك في النفس وفي أخرى حواز بتشديد الواو ومن جاز يجوز أي غلاب على القلوب (وكرهت ان يطلع عليه الناس) لان النفس بطبعها تحب اطلاع الناس على خيرها وبرها وتكره ضد ذلك اذ لها شعور من أصل الفطرة بما تحمد أو تذم عاقبته ولكن غلبت عليها الشهوة حتى أوجبت لها الاقدام على ما تضرها كما غلبت على السارق والزاني مثلا فأوجبت هذه الحالة الدنية الخارمة لا العادية كمن يكره ان يرى آكلا لحيات أو نحل وغير الجازمة كمن يكره ان يركب بين المشاة ثوبا وضيعا ونحو ذلك فانه لو رؤي كذلك لم يبال والمراد بالناس وجوههم وأمثالهم لا رضاءهم ولذا نقل الشارح الاشبيلي عن صاحب الافصاح الناس معرف باللام فينصرف الى وجوههم وأما لهم العوام وهل علامة الاثم مركبة من مجموع الامرين أو كل واحد منهما علامة مستقلة ومعنى المطلب

بالواو الاول ومقتضى الرواية الآتية الثانية وعلى الاول فالفعل ان وجد فيه الامران كالزنا والربا فهو اثم قطعا وان انتفيا عنه كالعبادة فبر قطعا وان وجد فيه أحدهما احتمل البر والاثم فيكون من المشتبه والذي يتجه انهما متلازمان لان كراهة النفس تستلزم كراهة اطلاع الناس وغمكه وعموم الحديث يقتضي ان الهم بالمعصية الغير الجازم اثم لكن خص عمومه خبر ان الله تجاوز لامتي عما وسوست به نفوسها مالم تعمل به أو تتكلم فقوله مالم تعمل به مثل أن توسوس له نفسه بالزنا مثلا فيزني وقوله أو تتكلم مثل أن توسوس له بالقذف فيقذف أو بالكذب فيكذب أو بالنميمة فينم (رواه مسلم) في كتاب البر والصلة من صحيحه (وعن وابصة) بالصاد (ابن معبد) بفتح الميم والموحدة ابن عتبة ابن الحرث بن بشير بن كعب بن سعد بن الحرث بن ثعلبة بن داود بن أسد بن خزيمة الاسدي يكنى أبا سالم ويقال أبا الشعثاء ويقال أبا سعيد (رضي الله عنه) قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في عشرة من قومه بني أسد بن خزيمة سنة تسع فاسلم واوجع الى بلاده ثم نزل الجزيرة وسكن الرقة بفتح الراء ودمشق وعمر الى قرب التسعين وأعقب بالرقة ومات بها ودفن عند منارة جامعها (قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جئت تسأل) استفهام تقرير حذفت همزته أي أجئت تسأل (عن البر) أي الحلال (قلت نعم) فيه معجزة كبرى له حيث أخبره بما في نفسه قبل أن يتكلم به وفي رواية أحد وأنا أريد أن لا أدع شيأ من البر والاثم الا سألت عنه واذا عنده جمع فذهبت أتخطى الناس فقالوا اليك يا وابصة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت دعوني أدنو منه فقال لي ادن يا وابصة فدنوت حتى مست ركبتاي ركبتيه فقال يا وابصة أخبرك بما جئت تسأل عنه أو تسألني قلت يا رسول الله أخبرني قال جئت تسأل عن البر والاثم فقلت نعم قال فجمع أصابعه الثلاث فجعل ينكت بها في صدري ويقول يا وابصة استفت نفسك (قال) المصطفى صلى الله عليه وسلم (استفت نفسك) أي اطلب الفتوى من قلبك وعول على ما فيه (البر ما) أي شئ أو الذي (اطمأنت) أي سكنت (عليه) وفي رواية اليه (النفس واطمأن اليه القلب) لانه تعالى فطر عباده على معرفة الحق والسكون اليه وقبوله وركب في الطبائع محبته والجمع بينه وبين النفس للتأكيد وهذا مطابق لقوله السابق البر حسن الخلق لان حسنه تطمئن اليه النفس والقلب وقد حكي ان أبا الحسين النوري لما وشي به وبجماعته الى الخليفة ببغداد وقيل له انهم زنادقة وأحضرهم وأمر بقتلهم فجاء السياف فبادر اليه النوري فسئل عن مبادرته فقال أوثر أصحابي بحياة لحظة فسأل القاضي الخليفة أن ينظر في أمرهم ويبحث عن حالهم فاذن فطلب القاضي منهم رجلا ليتكلم معه فتقدم اليه النوري فسأله عن مسائل فقهية فنظر عن يمينه ثم عن يساره ثم أطرق ساعة ثم رفع رأسه فاجاب بجواب صحيح فسأله القاضي عن التفاته واطراقه فقال سألتني عن تلك المسائل ولا علم لي بها فسألت ملك اليمين فلم يجبني ثم ملك الشمال فلم يجبني فسألت قلبي فاخبرني بما أجبت به فاخبر القاضي الخليفة وقال ان كان هؤلاء زنادقة فما على وجه الارض مسلم (والاثم ما) أي شئ أو الذي (حاك في النفس) أي أثر فيها الضطرابا وفي الحديث الآخر ايا كم والحاكة فانها المأثم (وتردد في الصدر) أي لم ينشرح له القلب والجمع بينهما للتأكيد أيضا (وان) وفي رواية ولو وهو غاية لما قبله دل عليه ما قبله أي فالتزم العمل بما في قلبك وان (أفتاك الناس) أي علماؤهم كما في رواية وان أفتاك المفتون أي قد أعطيتك علامة الاثم فاعتبرها في اجتنابه ولا تقلد من أفتاك بمفارقته (وأفتوك) بخلافه فرخصوا لك فيه لانهم انما يطلعون على الظواهر لا السرائر والجمع للتأكيد كما في قوله تعالى فمهل الكافرين أمهلهم فاتى بالثاني تاكيدا للاول لزيادة التنكير قال الطيبي هذا شرط قطع عن الجزاء تتميما للكلام السابق وتقريرا له على سبيل المبالغة وقال غيره ان

(والآخرة) المراد بالستر ستر زلات ذوي المروءات ونحوهم ممن ليس معروفا بالفساد والاذى قال صلى الله عليه وسلم من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من رأى عورة أخيه فسترها كان كمن أحيا موؤدة وقال صلى الله عليه وسلم من رد عن عرض أخيه رد الله وجهه عن النار يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم ما من امرئ يخذل امرأ مسلما في موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه الا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته وما من امرئ ينصر مسلما في موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته الا نصره الله تعالى في موطن يحب فيه نصرته رواه أبو داود وقال صلى الله عليه وسلم من رمى مسلما بشئ يريد شينه به حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال رواه أبو داود أيضا والاحاديث في ذلك كثيرة أما المعروف بالفساد والاذى فيستحب أن لا يستر عليه بل يرفع قضيته الى ولي الامر أيده الله تعالى ان لم يخف من ذلك مفسدة اذ الستر على مثله يطمعه في الايذاء والفساد وجسارة غيره على مثل فعله (نكتة) سمعت بعض مشايخي في الفقه رحمه الله

وصلته معطوف على مقدر أي ان لم يقتلك الناس وان أفتروك وقوله وان أفتروك تأكيد وحكى عن بعض العارفين انه أتاه رجل يريد السلوك فقال له الخلوة وتركها فإياك ثم دخل عليه فقال له كيف ترى صورتي عندك قال صورة خنزير فقال صدقت ثم تركه في الخلوة مدة ودخل عليه فقال له كذلك فقال صورة كلب ثم كذلك الى أن قال أرى صورة القمر ليلة تمامه فقال صدقت الآن بكمل حالك وصلاحك أن ترجع الى قلبك وان تستقي نفسك وان أفتك المقتون وأخرجه من الخلوة وما ذاك الا لان النفس اذا كانت في رعونتها وطيشها وانها كانت كالمرآة الصدأة فاذا قابلتها الاشياء وقع المثال فيها مقصودا فاذا صقلت بالمجاهدة وزال عنها الصدأ ظهر مثال الاشياء مسطورا من غير زيادة ولا نقص وجعلت تتبع كل خاطر يقع فيها لصفائها وقوله وأفتروك تأكيد لما قبله ولا يعارض قوله في الحديث السابق فمن اتقى الشبهات الخ فان مقتضاه انها ليست اثما وأجيب بان هذا محمول على ما اذا قويت الشبهة ويكون من باب تركه الاصل الظاهر يعني أصل الحلال لاجل الشبهة وتكافئهما وما سلف محمول على ما اذا ضعفت الشبهة فيبقى على أصل الحل ويجتنب محلها ورعا وانما وحد الفعل الاول لاسناده الى ظاهر وجمع الثاني لاسناده الى ضمير أو الاصل ان الفعل انما يكون له فاعل واحد فان كان ظاهرا امتنع ايصال ضمير بالفعل المتعدد الفاعل فلا يسوغ نحو أفتروك الناس وأما وأسروا النجوى الذين ظلموا وعموا وصموا كثير منهم فمن باب البدل من الضمير لا من باب تعدد الفاعل لامتناعه الا في لغة أكلوني البراغيث وهي لغة ضعيفة وان لم يكن ظاهرا وجب اضماره لئلا يتجرد الفعل عن الفاعل وهو غير جائز (حديث صحيح) وفي نسخة حسن (رويناه) بالسند المتصل حال كونه (في مسند الامامين) الجليلين أبي عبد الله (أحمد بن) محمد بن (حنبل) بن هلال بن راشد المروزي قدمت به أمه من مرو وهي حاملة به الى بغداد فولدته بها سنة مائة وأربعة وستين وكان يحفظ ألف ألف حديث ومات ببغداد ضحوة الجمعة في ربيع الاول سنة احدى وأربعين ومائتين وله سبع وسبعون سنة ومسنده فيه أربعون ألف حديث وقيل ثلاثون يتكرر منها عشرة جمعه من سبعمائة ألف حديث وخمسين ألفا وقال جعلته حجة بيني وبين الله تعالى وقال أبو زرعة كان أحمد يحفظ ألف ألف حديث قيل ومايدريك قال ذاكرته فاجرى على الابواب وقال الحارث بن عباس قلت لابن مهر هل تحفظ أحد يحفظ على هذه الامة أمر دينها فقال لا الا شابا في ناحية المشرق يعني الامام أحمد وقال أبو عبيد القاسم بن سلام انتهى علم الحديث الى الامام أحمد بن حنبل وعلي بن المديني ويحيى بن معين وأبي بكر قال عبد الرزاق أما يحيى بن معين فما رأيت عقله ولا أعلم بالحديث منه من غير سرد وأما ابن المديني فحافظ مسرد وأما أحمد فما رأيت أفقه منه ولا أورع ولا أعلم منه وقال الشافعي رضي الله عنه خرجت من بغداد فما خلفت فيها أفقه ولا أزهد ولا أورع ولا أعلم منه * (فائدة) * قال المناوي في طبقاته ارتجت الدنيا لموت أحمد بن حنبل وأغلقت بغداد ثلثة أيام ودامت الارض المبسوطة التي وقف الناس للصلاة عليها في سير مقادير الناس بالمساحة ستمائة ألف وكان يقول ابتدعة بيننا وبينكم الجنائز وأسلم يوم موته من اليهود والنصارى والمجوس عشرة آلاف اهـ وفي حياة الحيوان خرج قدوم من حضر جنازة أحمد بن حنبل من الرجال فكانوا ثمانمائة ألف ومن النساء ستين ألفا وأسلم يوم موته عشرون ألفا من اليهود والنصارى والمجوس اهـ وقال النووي في تهذيب الاسماء واللغات أجمع المتوكل أن يقاس الموضع الذي وقف الناس فيه للصلاة على أحمد فبلغ تمام ألفي ألف وخمسين ألفا (و) أبي محمد (عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل التميمي) (الدارمي) نسبة الى دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم ولد سنة احدى وثمانين ومائة ومات يوم التروية سنة خمس وخمسين ومائتين (باسناد جيد) وفي نسخة حسن فان قلت ما حكمة قول المصنف أولا حديث

له بالامان قم من مقامك فسافر الى بلدة كذا فسأل بها عن فلان المداوي فاقرئه مني السلام وقل له أنت رفيق رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة فلما استيقظ من منامه سافر اليه فوجده لم يعمل خيرا في نهاره فاعلمه بذلك وسأله عن عمله فقال له تزوجت بامرأة فلما دخلت بها ولدت عندي ولدا من أول ليلة فكرهت عليها ولم أقدر عليها وأخذت الولد فشققت به الجاجم وجلست أنتظر الناس فاما حضر وا الصلاة الصبيح تسارعوا الى أخذ الولد فخافت بالطلاق ما يأخذه الا أنا فأخذته ورددته الى أمه فربته وسترت عليها فيا اخواني هذا هو الستر (قوله والله في عون العبد) أي بمعونته وتأييده (ما كان العبد في عون أخيه) أي مدة كونه في عونه بالاعانة بما تيسر من أنواعها (تنبيه) كل هذا حث على فعل الخير اذ الخلق عيال الله وأحبهم اليه أنفعهم لعياله كما ورد (تنبيه آخر) كما يستحب ستر الزلات يستحب ستر الابدان قال صلى الله عليه وسلم من كسا مؤمنا ثوبا كساه الله من خضر الجنة أي من ثيابها الخضر وقال صلى الله عليه وسلم

صحيح وقوله هنا باسناد جيد فالجواب انه لا تلازم بين الاسناد والمتن فقد يصح السند أو يحسن لاستجماع شروطه من الاتصال والعدالة والضبط دون ان المتن لشذوذ فيه أو علة فنص المصنف أولا على صحة المتن بقوله هنا حديث صحيح وثانيا على صحة السند بقوله باسناد جيد

(الحديث الثامن والعشرون)

(عن أبي نجيح) بفتح النون وكسر الجيم وبالحاء المهملة (العرباض) بكسر المهملة وسكون الراء وموحدة وآخره معجمة وأصله الطويل من الناس وغيرهم الجلد الخاصم (ابن سارية) بسين مهملة ومثناة تحتية السلمي بضم ففتح من بني سليم بن منصور صحابي من أهل الصفة وهم كما قال النووي زهاد من الصحابة فقراء غرباء كانوا يأوون الى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وكانت لهم في آخره صفة وهي مكان منقطع من المسجد مظال عليه يبيتون فيه وكانوا يقلون ويكثرون ففي وقت كانوا سبعين وفي وقت غير ذلك (رضي الله عنه) نزل الشام وسكن حمص وكان من البكائين الذين نزل فيهم قوله تعالى ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه الآية وكان من المشتاقين الى الله تعالى يحب ان يقبض اليه يقول في دعائه اللهم كبرسني ووهن عظمي فاقبضني اليك روى ان معاوية أعطى المقداد حمارا من المغنم فقال العرباض ما كان لك ان تأخذه وما كان له ان يعطيك وكأني بك في النار تحمله على عنقك فرده المقداد مات العرباض في فتنة ابن الزبير سنة خمس وسبعين في خلافة عبد الملك ابن مروان (قال وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم) من الوعظ وهو النصح والتذكير بالعواقب يقال وعظته فاتعظ أي قبل الموعظة (موعظة) مصدر ميمي وتنوينها للتعظيم أي موعظة عظيمة وكانت هذه الموعظة بعد صلاة الصبح لما في رواية الترمذي وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بعد صلاة الغداة موعظة بليغة أي بالغ فيها بالانذار والتخويف لاجل ترقيق القلوب وكان صلى الله عليه وسلم يعظ أصحابه في غير الجمع والاعياد امتثالا لقوله تعالى وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا وفيه ندب المبالغة فيها الان لها وقعا في النفس وتأثيرا في القلب اذا صدرت من قلب ناصح سليم من الادناس والقبائح فالواعظ ما لم يكن مقاله كفعاله لا ينتفع بوعظه ومنزلة الواعظ من الموعظ منزلة الطبيب من المريض فكما ان الطبيب اذا قال للناس لا تاكلوا كذا فانه مضر ثم رأوه يأكله عد سخريه فكذا الواعظ اذا أمر بما لم يعمله فالواعظ من الموعوظ يجري مجرى الطابع من المطبوع فكما يستحيل الطبع بما ليس منقشا في الطابع يستحيل ان يحصل في نفس الموعوظ ما ليس في الواعظ وقد حكي ان العارف الكبير أبا مدين المغربي مكث في بيته عاما لا يخرج منه فاجتمع الناس ببابه وقالوا أخرج تكلم على الناس وانفعهم وألزموه فخرج فنفر منه عصافير على صدره بباب دار فرجع وقال لو صلحت للكلام عليكم ما فر مني الطير فقعد في بيته عاما آخر فاتوه فخرج فنزل الطير عليه في مجلس وعظه يضرب باجنحته ويضطرب حتى مات منه كثير ومات رجل من الحاضرين اه وقيل من وعظ بقوله ضاع كلامه ومن وعظ بفعله نفذت سهامه وقيل عمل رجل في ألف رجل ابلغ من قول ألف رجل في رجل (وجلت) بكسر الجيم أي خافت ومنه وقلوبهم وجلة من الوجل وهو الخوف من عذاب الله (منها) أي من أجلها ويصح كونها لابتداء الغاية (القلوب) وذلك لاستيلاء سلطان الخشية على القلوب وتأثير الرقة فيها وانزعاجها من ذكر الساعة وأهوالها والنار وعذابها يشهد لذلك قول جابر رضي الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر الساعة اشتد غضبه وعلا صوته واحمرت عيناه كأنه منذر جيش يقول صبحكم مساكم (وذرفت) بذال معجمة وراء مهملة وفاء مفتوحة (منها) فيها ماء (العيون) أي سالت دموعها وانصبت وكثر جريانها وآخر هذا عما قبله لانه انما ينشأ عنه غالبا والعيون جمع كثرة

والذين لا يعلمون وقوله تعالى وقل رب زدني علما وقوله تعالى شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قيد أنفسه وفي

بملائكته وثلث بأولى العلم دون غيرهم وناهيك بشرفا وقوله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات قال ابن عباس هم درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام وقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء تنصر خشيته فيهم وأعظم به شرفا لان معرفته سبب خشيته * ومن الاخبار قوله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين رواه البخاري ومسلم وقوله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم رواه مسهل عن ابن مسعود وقوله صلى الله عليه وسلم اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له وقوله صلى الله عليه وسلم العلماء أهل الجنة وخلفاء الانبياء وقالت عائشة رضي الله عنها اذا أتى على يوم لا أزداد فيه علما فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم وقال عمرو بن دينار العلم أشرف الاحساب وفي حديث مكحول عن واثلة الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة جمع الله العلماء فقال لهم اني لم استودعكم حكمتي وأنا أريد عذابكم ادخلوا الجنة برحمتي وعن

وفيه اشارة الى ان ثلث الموعظة أثرت فيهم وأخذت بمجامعهم ظاهرا وباطنا وذلك دليل على معرفتهم وعرفانهم لربهم وفيه دليل على ان البكاء من خوف الله وعذابه محمود وقد قال عليه السلام ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فان أهل النار يبكون حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون فلو أن سفنا أجريت فيها لجرت وقال عليه السلام لا يلج النار من بكى من خشية الله عز وجل حتى يعود اللبن في الضرع وقال عليه الصلاة والسلام ما من قطرة أحب الى الله من قطرة دمع من خشية الله أو قطرة دم أهريقت في سبيل الله وقال كعب الاحبار لو بكيت حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء ثم بكيت حتى تسيل دموعي على وجهي أحب الي من أن أتصدق بجبل من ذهب وقيل لعطاء السلمي ما أشهى قال أشهى ان أبكي حتى لا أقدر أن أبكي وفيه أنه ينبغي للعالم ان يعظ الناس ويذكرهم ويخوفهم ولا يقتصر بهم على مجرد معرفة الاحكام والحدود (يا رسول الله كأنها موعظة مودع) لعلوهم فهموا ذلك من مبالغته في الموعظة واستقصائه فيها أو فظنوا أن ذلك لقرب وفاته ومفارقته لهم وفيه جواز الحكم بالقرائن لانهم انما فهموا ذلك من تزويد اياهم بما بلغه في الموعظة أكثر من العادة واحتمال انه عرض فيه بالتوديع كما عرض في الوداع بقوله فيها لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا وطفق يودع الناس بعيد بدليل قولهم كأنها قال الشراح لكن في بعض طرق الحديث ان هذه موعظة مودع وهي شاهدة بذلك الاحتمال (أوصنا) بفتح الهمزة اي وصية جامعة كافية لمهمات الدين والدنيا وفيه استحباب استدعاء الوصية والموعظة آهاها واغتنام أوقات أهل الخير ولدين قبل فوتها (قال أوصيكم بتقوى الله) لانها رأس الامر وكأنها لم تملك بها بسعادة الدارين لما فيها من امتثال الاوامر واجتناب النواهي وتكاليف الشرع لا تخرج عن ذلك ولذلك أوصى الله تعالى بها الاولين والآخرين لقوله تعالى ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وأصلها وقيا بكسر أوله وقد تفتح من الوقاية قلبت الواو ياء كثيرا ثم ادغمت الياء واو الوقاية ما بستر الرأس فالتقى قد جعل بينه وبين المعاصي وقاية تحول بينه وبينها من عزمه على تركها واستحضار علمه بقبحها وانشد بعضهم

اذا أنت لم ترحل بزاد من التقى * ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على ان لا تكون كمثله * وانك لم ترصد كما كان ارصدا

(والسمع) ان حمل على أن المراد به الاصغاء الى كلامه ليتمكن من فهمه ومعرفته كان ما بعده تأسيسا لمغايرته له وان حمل على قبول المسموع وعبر عنه بالسمع لانه فائدته كان ما بعده تأكيدا والبه جنح البيضاوي (والطاعة) بالفعل والاعتقاد وهي الموافقة في الظاهر والباطن فيما يؤمر به وينهى عنه فان أطاع بظاهره دون باطنه فهو عاص وهذا في غير الاثم لحديث لا طاعة لمخلوق في معصية الله وعطف السمع والطاعة على التقوى من باب عطف الخاص على العام نحو وكلمه ودخل ورمان لاشتمال الوصية بتقوى الله على السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين وحكمة ذلك ترتب المبالغة الآتية عليه (وان عبد حبشي كأن رأسه زبيبة) ولمسلم ولو كان عبدا حبشيا مجدع الاطراف وهذا لا ينافي قوله صلى الله عليه وسلم لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي منهم اثنان لان الائمة من قريش تبع لقريش لان ولاية العبد قد تكون ناشئة عن امام قرشي بشهادة حديث الحاكم لا تعص

قريش ابرارها أمراء أبرارها وبخارها أمراء بخارها ولكل حق فاقتوا كل ذي حق حقه وان أمرت عليكم قريش عبدا حبشيا مجدعا فاسمعوا وأطيعوا وقوله وان تأمر عليكم عبدا اما من باب ضرب المثل بغير الواقع على طريق التقدير والفرض والا فهو لا تصح ولايته ونظير من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة واما من باب الاخبار بالغيب وان نظام الشريعة يختل حتى توضع الولايات في غير أهلها والامر بالطاعة حينئذ ايثارا لاهون الضررين اذا الصبر على ولاية من لا تجوز ولايته أهون من ايثار الفتنة التي لا دواء لها ولا خلاص منها ويرشد الى هذا تعقيب ذلك بقوله (فانه) أي الشان (من يعش منكم) بعدي (فسيرى اختلافا كثيرا) بين الناس في ظهور الفتن وفي ظهور البدع والظاهر ان هذا بوحي أوحي اليه فانه عليه السلام كشف له عما يكون الى ان يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار كما صح في حديث أبي سعيد وغيره ويجوز ان يكون بنظر واستدلال ولفظ ابن ماجه اختلافا شديدا وقد كان ذلك فهو من معجزاته حيث أخبر عن غيب وقع واتيانه بالسين دون سوف يدل على قرب الرؤية وكان الامر كذلك فظهر فتنة عثمان ووقعة الجمل ومحاربة معاوية على الامارة ومحاربته للحسن عليها فسلم الامر اليه لاجل اطفاء نار الفتنة وظهر أعظم الفتن وهي قتلة الحسين وظهر يوم موته من الآيات أن السماء أمطرت دما وان أوانيهم ماءت دما وأن السماء اشتد سوادها لانكساف الشمس حينئذ حتى رؤيت النجوم بالنهار واشتد الظلام حتى ظن أن القيامة قد قامت وأن الكواكب ضرب بعضها بعضا ولم يرفع حجر الا وجد تحته دم غبيط وان الورس انقلب حمارا وأن الدنيا أظلمت ثلاثة أيام فظهرت في السماء حمرة وقيل احمرت ثلاثة أشهر وقيل ستة أشهر ثم لازالت الحمرة ترى بعد ذلك بها وعن ابن سيرين ان الحمرة التي مع الشفق لم تكن حين قتل الحسين وفي الحديث النجوم أمنة السماء فاذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد وأنا أمنة لاصحابي فاذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون وأصحابي أمنة لامتي فاذا ذهبت أصحابي أتى أمتي ما يوعدون معناه ان النجوم ما دامت باقية فالسماء باقية فاذا انكدرت وتناثرت في القيامة ذهبت السماء فانفطرت وانشقت واذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون من الفتن والحروب واذا ذهبت أصحابي أتى أمتي ما يوعدون من ظهور البدع والحوادث في الدين (فعليكم بسنتي) أي الزموا التمسك بطريقتي وسيرتي القويمة التي أنا عليها وما أصلته لكم من الاحكام الاعتقادية والعملية الواجبة والمندوبة والمباحة وما تقرر من ان معنى السنة الطريقة القويمة هو ما توافق فيه الاقسام والشرع وتخصيصها باعتبار طلبا غير جازم اصطلاح حادث قصد به التمييز بينها وبين الفرض قال عبد الرحمن ابن زيد لقي ابن مسعود رجلا محرما وعليه ثيابه فقال انزع عنك هذا فقال الرجل اقرأ على بهذا آية من كتاب الله قال نعم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فامتثل ونزع ثيابه (وسنة) أي طريقة (الخلفاء) جمع خليفة وهو كل من قام مقام غيره وانما أطلق على الصحابة ذلك لانهم خلفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاحكام (الراشدين) جمع راشد وهو من عرف الحق واتبعه والغاوي من عرفه ولم يتبعه والضال من لم يعرفه بالمرة (المهديين) جمع مهدي وهو من هداه الله لا قوم طريق والراشدين المهديين لفظان مترادفان معناهما واحد يحتمل أنهما اسما مفعول أي الذين ارشدهم الله وهداهم ويحتمل أنهما اسما فاعل أي المرشدين الهادين لغيرهم وعام أريد به الخاص واللام للعهد والمعهود أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن رضي الله تعالى عنهم فان ما عرف من هؤلاء أو من بعضهم أولى بالاتباع من بقية الصحابة اذا وقع بينهم الخلاف فيه وقد ورد أن رجلا حلف لابطأ زوجته حينا فافتاه أبو بكر بان الحين الابد وعمر أربعون سنة وعثمان بانه سنة واحدة وعلى بانه يوم وليلة فعرض الرجل ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فصدقاهم فقال لابي بكر ما دليلك على ان الحين الابد قال

ما أظن ان الله تعالى يدفع البلاء عن أهل الارض الا برحلة أصحاب الجنة وقال الشافعي رحمه الله من لا يحب العلم لا خير فيه فلا يكن بينك وبينه معرفة ولا صداقة فانه حياة القلوب ومصباح البصائر وعن ابن عمر رضي الله عنه قال مجلس فقه خير من عبادة ستين سنة والاخبار والآثار في ذلك كثيرة شهيرة لا تحصى وفيما ذكرته تذكرة لاولي الالباب ويرحم الله القائل وكل فضيلة فيها استناد وجدت العلم من هاتيك أسنى فلا تعدل بغير العلم ذخرا فان العلم كنز ليس يفنى

(قوله وما اجتمع قوم) أي جماعة (في بيت من بيوت الله) أي مسجد من مساجده (يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة) أي الطمأنينة (والوقار) أي يخلق الله تعالى ذلك فيهم الا بذكر الله تطمئن القلوب (قوله وغشيتهم الرحمة) أي خالطتهم وعمتهم (وحفتهم الملائكة) أي جاءتهم وأحاطت بهم لاستماع

في ملأ خير منه اذ مقتضاه أن يكون ذكرهم فيه من ذكر أن يذكرهم جل جلاله وتقدست أسماؤه ولا له غيره وفيه بيان فضيلة الاجتماع على تلاوة القرآن في المسجد وقد جاء في فضل تلاوة القرآن أخبار كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف ولكن الف حرف ولام حرف وميم حرف رواه الترمذي وقال هذا حديث صحيح حسن غريب ومنها قوله صلى الله عليه وسلم ما تقرب العباد الى الله بمثل ما خرج منه قال أبو النصر يعني القرآن رواه الترمذي وقال غريب ومنها قوله صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تقرؤها رواه أبو داود والنسائي والترمذي وقال حديث حسن صحيح ومنها قوله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن وعمل بما فيه ألبس الله والديه تاجا يوم القيامة ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذي عمل بهذا رواه أبو داود والى

قوله تعالى في حق قوم يونس ومتعناهم الى حين وقال لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون قال قوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر الانسان آدم ألقيت طينته على باب الجنة أربعين صباحا وقال لعثمان ما دليلك على انه عام قال قوله تعالى تؤتي أكلها كل حين وقال لعلي ما دليلك على انه يوم وليلة قال قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون فقال صلى الله عليه وسلم أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وأمر الرجل أن يأخذ بقول علي تخفيفا له ومدحه له وافق لما قضى به عثمان وقال صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تصير ملكا عضوضا وقدمت بولاية الحسن ستة أشهر وقال اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر فخص ممن تقدم اثنين وقال للرأة التي سألته وأخرها أن ترجع اليه فقالت فان لم أجدك تريد الموت فقال ائت أبا بكر فخص أبا بكر وقال التوربشتي وانما ذكر سنتهم في مقابلة سنته لانه علم انهم لا يخطؤن فيما يستخرجونه ويستنبطونه من سنته بالاجتهاد ولانه عرف ان بعض سنته لا تشتهر الا في زمانهم فأضاف اليهم ليبان ان من ذهب الى رد تلك السنة فقد خطئ فاطلق القول باتباع سنتهم سد الباب اه وقد ورد ان العول لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زمن أبي بكر الصديق وأول من نزل به ذلك عمر فقال لا أدري من أجر الكتاب فأؤخره ولا من قدمه فأقدمه ولكن رأيت رأيا فان يكن صوابا فمن الله وان يكن خطأ فمن عمر وهو ان يدخل الضرر على جميعهم فحكم بالعول ويقال ان الذي أشار عليه بذلك العباس ولم يخالفه أحد من الصحابة الا ابن عباس لكنه لم يظهر ذلك الا بعد موت عمر اجلالا له وهذا في حق المقلد العرف في تلك الازمنة القريبة في زمن الصحابة اما فيما بعد ذلك فلا يجوز كما قال ابن الصلاح فقليد غير الائمة الاربعة مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد رضي الله تعالى عنهم مالان هؤلاء عرفت قواعد مذاهبهم واستقرت احكامها وخدمها اتباعهم ومرز وها فاغرعا وحكما حكما (عضوا عليها) وحد الضمير لان سنتهم كسنته في وجوب الاتباع (بالنواجذ) بذال معجمة الانياب وقيل الاضراس أي عضوا عليها بجميع الفم لانها شاباطراف الاسنان وهو كناية عن شدة التمسك بها لان النواجذ محمودة اذا عضت شيأ ثبت فيه فلا يكاد ينخلص من قولهم نشبت في الامر بمعنى أي متمسك (واياكم ومحدثات) بفتح الدال جمع محدثة (الامور) أي اتقوا الامور المخترعة في الدين المخالفة لسنن الخلفاء الراشدين واحذروها وكبرا ما كان يتمثل الامام مالك بهذا البيت كما سلف

وخير أمور الدين ما كان سنة ✽ وشر الامور المحدثات البدائع

(فان) ذلك بدعة وان (كل بدعة ضلالة) وجاء في بعض روايات هذا الحديث فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وقال بعض المفسرين المغضوب عليهم أهل البدع ومن علماء الخراسانيين لما نزل قوله تعالى ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما صرخ ابليس صرخة عظيمة اجتمع اليه فيها جنوده من أقطار الارض قائلين ما هذه الصرخة التي أفزعتنا قال أمر نزل علي لم ينزل قط أعظم منه قالوا وما هو فتلا عليهم الآية وقال لهم هل عندكم من حيلة قالوا وما عندنا من حيلة فقال اطلبوا لي في ساعات قال فلبثوا ما شاء الله ثم صرخ فاجتمعوا اليه وقالوا ما هذه الصرخة التي لم نسمع مثلها الا التي قبلها قال وهل وجدتم شيأ قالوا لا قال لكني قد وجدت قالوا وما وجدت قال أزين لهم البدع التي يأخذون بها دينا ثم لا يستغفرون أي لان صاحب البدعة يراها حسنة فلا يتوب منها ولا يراها قبيحة حتى يستغفر الله وقد جاء في الحديث أبى الله أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته أي لا يثيبه على عمله مادام متلبسا بتلك البدعة وهو عام مخصوص بالبدعة المحرمة اذ البدعة تعتريها الاحكام الخمسة كما سبق فالمراد الكلية الاغلبية وفي بعض الروايات فان كل محدثة

بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وأخرج أبو نعيم أهل البدع شر الخلق والخليقة والخلق والخلق مترادفان وقيل المراد بالاول البهائم وبالثاني غيرهم وأخرج غير أصحاب البدع كلاب النار وأخرج البيهقي وابن عاصم في السنة أبى الله ان يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته قال بعضهم واعلم ان أهل البدع كمانية المعتزلة القائلون بان العباد خالقوا أعمالهم وينفي الرؤية ووجوب الثواب والعقاب وهم عشرون فرقة والشيعة المفرطون في محبة علي وهم اثنان وعشرون فرقة والخوارج المفرطة المكفرة لمؤمن أذنب ذنبا كبيرا وهم عشرون فرقة والمرجئة القائلون بانه لا يضر مع الايمان معصية ولا ينفع مع الكفر طاعة وهم خمس فرق والبخارية الموافقة لاهل السنة في خلق الافعال والمعتزلة في نفي الصفات وحدوث الكلام وهم ثلاث فرق والجبرية القائلون بسلب الاختيار عن العباد فرقة والمشبهة الذين يشبهون الحق بالخلق فرقة أيضا فتلك اثنان وسبعون فرقة كلهم في النار والفرقة الناجية هم أهل السنة وقد ورد في الحديث ستفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة كلهم في النار الا فرقة واحدة وهي ما كان على ما أنا عليه وأصحابي (رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن) وفي نسخة حسن صحيح * (الحديث التاسع والعشرون) *

(عن معاذ بن جبل) بالتحريك ضد السهل (رضي الله تعالى عنه قال قلت يا رسول الله أخبرني) وفي رواية أنبئني (بعمل) التنوين فيه للتعظيم أو النوعية أي عمل عظيم أو معتبر في الشرع فلا يرد ما قيل انه اذا جعل يدخلني جواب الامر بني بعمل غير موصوف والنكرة غير الموصوفة لا تفيد (يدخلني الجنة) اما ان يجعل مرفوعا والجملة في محل جر صفة لقوله بعمل أو مجزوما قال الطيبي وفي مثله مذهبان أحدهما مذهب الخليل وهو أن يجعل الامر بمعنى الشرط وجواب الامر جزاء والتقدير ان تخبرني بعمل يدخلني الجنة وفيه اقامة السبب الذي هو الاخبار مقام المسبب الذي هو العمل لان العمل هو السبب ظاهرا لاختيار والثاني مذهب سيبويه أن الجواب جزاء شرط محذوف تقديره أخبرني بعمل ان عملته يدخلني الجنة (ويباعدني عن النار) وفي رواية أحمد اني أريد ان أسألك عن كلمة قد أرضتني واسقمتني وأخزتني قال سل عما شئت قال أخبرني بعمل يدخلني الجنة لا أسالك غيره وفيه دليل على شدة اعتنائه بالاعمال الصالحة وعظيم نصاحته فانه أوجز وابلغ ولهذا حداه المصطفى صلى الله عليه وسلم مسئلته واستعظامها وان الاعمال سبب لدخول الجنة ويشهد له قوله تعالى وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون وقوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ولا ينافيه حديث البخاري لن يدخل أحدكم الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدني الله برحمته وفي رواية لن يدخل أحدا منكم الجنة عمله لان العمل نفسه لا يستحق به أحد الجنة ما لم يكن مقبولا والقبول انما يحصل برحمة الله أو المراد به جنة خاصة أي تلك الجنة الخاصة الرفيعة بسبب الاعمال واما الدخول فبالرحمة أو ان الباء في بما كنتم للالبسة أي أورثتموها ملابسة لاعمالكم أي لثواب أعمالكم أو للعوض والمقابلة والمعطى لعوض قد يعطى مجانا فالسببية لان المسبب لا يوجد بدون السبب خلافا للمعتزلة القائلين بان العمل سبب لدخولها واما الباء في حديث ان يدخل أحدكم الجنة بعمله فهي سببية ولا كلام * (فائدة) * أخرج الحاكم وصححه انه صلى الله عليه وسلم قال خرج من عندي خليلي جبريل عليه السلام آنفا فقال يا محمد والذي بعثك بالحق ان الله تعالى عبد ما من عباده عبد الله عز وجل خمسمائة سنة على رأس جبل في البحر عرضه وطوله ثلاثون ذراعا في ثلاثين ذراعا والبحر المحيط به أربعة آلاف فرسخ من كل ناحية وأخرج له عينا عذبة بعرض الاصبع تبض بماء عذب فيستنقع في أسفل الجبل وشجرة رمان تخرج كل ليلة رمانة يتعبد يومه فاذا أمسى نزل فاصاب من

جاهد نفسه قليلا في خدمتي تقربت اليه برحمتي وبشرت عليه كثيرا من الطاعات بحلاوة ورغبة ورزقته لذة مناجاتي وحلاوة الانس

* (خاتمة المجلس) * فيما يتعلق بشئ من فضائل الذكر قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وقال فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا وقال لعلكم تفلحون وقال والذاكرين الله كثيرا والذاكرات الى غير ذلك من الآيات الدالة على طلب الذكر وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني ان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه وان تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا وان تقرب الي ذراعا تقربت منه باعا وان أتاني يمشي أتيته هرولة ومعناه من

لله تعالى ملائكة سيارة
ينبعون مجالس الذكر
فاذا وجدوا مجلسا فيه
ذكر الله قعدوا معهم وحف
بعضهم بعضا باجنحتهم
حتى يملؤا ما بينهم وبين
سماء الدنيا فاذا تفرقوا
عرجوا وصعدوا الى
السماء قال فيسألهم الله عز
وجل وهو أعلم بهم من
أين جئتم فيقولون جئنا
من عند عباد لك في الارض
يسبحونك ويهللونك
ويمجدونك ويسألونك
قال وماذا يسألوني قالوا
يسألونك جنتك وقال هل
رأوا جنتي قالوا لا يا رب
قال فكيف لو رأوا جنتي
قالوا ويستجيرونك وقال مم
يستجيرونني قالوا من نارك
يا رب قال وهل رأوا ناري
قالوا لا قال فكيف لو رأوا
ناري قالوا ويستغفرونك
قال فيقول الله تعالى قد
غفرت لهم وأعطيتهم
ما سألوا وأجرتهم مما
استجاروا قال فيقولون
يا رب فيهم فلان عبد خطاء
وانما مر فجلس معهم قال
فيقول الله تعالى وله قد
غفرت هم القوم لا يشقى
جليسهم وقال معاذ بن
جبل رضي الله عنه ما عمل
ابن آدم من عمل أنجى له
من عذاب الله من ذكر
الله وروى في الحديث
يا أيها الناس ارتعوا في رياض الجنة قيل وما رياض الجنة يا رسول الله قال مجالس الذكر

لوضوءه وأخذ ثلث الرمانة فأكلها ثم قام لصلاته فسأل ربه عند وقت الاجل ان يقبضه ساجدا قال
ففعل فمن لم يمر عليه اذا هبطنا واذا عرجنا فجدله في العلم أنه يبعث يوم القيامة فيوقف بين يدي الله
عز وجل فيقول له الرب جل جلاله ادخلوا عبدي الجنة برحمتي فيقول رب بل بعملي فيقول الله تعالى
قايسوا عبدي بنعمتي عليه وبعمله فتوجد نعمة البصر قد أحاطت بعبادة خمسمائة سنة وبقيت نعم
الجسد فضلا عليه فيقول ادخلوا عبدي النار فيجر الى النار فينادي يا رب برحمتك ادخلني الجنة فيقول
ردوه فيوقف بين يديه فيقول يا عبدي من خلقك ولم تك شيأ فيقول أنت يا رب فيقول ومن قواك
لعبادة خمسمائة سنة فيقول أنت يا رب فيقول ومن أنزلك في جبل في وسط اللجة وأخرج لك الماء
العذب من الماء المالح وأخرج لك كل ليلة رمانة وانما نطرح مرة في السنة وسألته ان يقبضك ساجدا
ففعل فيقول أنت يا رب قال فذلك برحمتي وبرحمتي ادخلك الجنة ادخلوا عبدي الجنة فنعم العبد كنت
يا عبدي فادخله الله الجنة قال جبريل عليه السلام وانما الاشياء برحمة الله يا محمد قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لمعاذ (اقد) الام واقعة في جواب سؤال مقدر والتقدير والله لقد (سألت عن) عمل (عظيم)
لان عظم الشيء بعظم الاسباب والنجاة من النار أمر عظيم فكيف مع دخول الجنة (وانه) اي العمل
الذي يدخل الجنة ويباعد عن النار (ليسير على من يسره الله) تعالى عليه بتوفيقه وتهيئته اسباب
الطاعة وشرح صدره للسعي فيما يؤديه الى السعادة الابدية فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام
اعملوا ما شئتم فكل ميسر لما خلق له وبالجملة فالتوفيق ان ساعد على شيء تيسر وان كان تفعل المحال
(تعبد الله) عدل عن صيغة الامر تنبيها على المأمور به كأنه مسارع الى الامتثال وهو يحث عنه اظهارا
لرغبته في وقوعه والمراد بالعبادة النطق بالشهادتين والمواظبة بالعبادة احتاج ان يوضحها بقوله
(لا تشرك به شيأ) ومنه يا أيها الناس اعبدوا ربكم أي وحدوه وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
أي يوحدون ويحتمل أن العبادة ههنا تتناول الايمان الباطن والاسلام الظاهر قال تعالى فمن كان
يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا والاقرب الاول كما قال الحافظ ابن حجر
والعبادة كما قال شيخ الاسلام في شرح الرسالة القشيرية لها ثلاث درجات عليا ووسطى ودنيا فالعليا
أن تعمل العبد لله وحده امتثالا لامره وقياما بحق عبوديته والوسطى أن تعمل لثواب الآخرة والدنيا
أن تعمل للاكرام في الدنيا والسلامة من آفاتها وما عدا الثلاث فهو من الرياء وان تفاوتت افراده
واللام في قوله للاكرام لام العاقبة والسلامة لام العلة والعمل لله فقط لكنه يؤل عند الاطلاع عليه
الى الاكرام وذكر بعض المفسرين عن بعض العارفين ما حاصله ان العبادة لها ثلاث درجات أولها أن
تعبد الله تعالى طمعا في الثواب وهربا من العقاب وهذا هو المسمى بالعبادة وأوسطها أن تعبد الله
لتشرف بعبادته أو لتشرف بقبول تكليفه أو بالانتساب اليه وهذه أعلى من الاولى وأعلاها أن تعبده
لكونه الها وخالقا ولكونك عبده الله وهذا ذكر على ما قاله شيخ الاسلام (وتقيم) بالرفع (الصلاة) وهو
وما بعده من عطف المغاير على المعنى الاول في تعبد وعليه فيكون قد ذكر له التوحيد واعمال الاسلام
والخاص على العام على المعنى الثاني (وتؤدي الزكاة) وهي القدر المخرج من النصاب للمستحق وأتى
بالزكاة عقب الصلاة لان الصلاة أعظم الطاعات البدنية والزكاة أعظم الطاعات المالية وقد كتب سلمان
الى أبي الدرداء رضي الله عنهما يا أخي اياك أن تجمع من الدنيا ما لا تؤدي شكره فاني سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول يجاء بصاحب الدنيا الذي أطاع الله فيها وماله بين يديه كما تكفأ به الصراط
قال له ماله امض فقد أديت حق الله في ثم يجاء بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها وماله بين يديه
كما تكفأ به الصراط قال له ماله ويلك ألا أديت حق الله في فما يزال كذلك حتى يدعو بالويل والثبور

(وتصوم)

(وتصوم) شهر (رمضان وتحج البيت) الحرام ان استطعت اليه سبيلا (ثم قال) صلى الله عليه وسلم (ألا أدلك) أي أرشدك وهو عرض متضمن للحث نحو هل أدلكم على تجارة الآية أي أعرض ذلك عليك فهل تحبه فسدبه الشوق الى ما سيذكره له ليكون أوقع في نفسه وأبلغ في ملازمته وأحث على استغراغ الافادة (على أبواب الخير) أي طرقه واسبابه الموصلة اليه ومن ثم حملها أبوابا له لترتبه عليها تشبيها له بامتعة في مكان له أبواب فهو استعارة مكنية تخييلية ثم الاضافة ان كانت بيانية كان المراد به الاعمال الصالحة التي يتوصل بها الى أعمال أكمل منها كما استفيد من تسميتها أبوابا فهو من المجاز البليغ لما فيه من تشبيه المعقول بالمحسوس وآثر جمع القلة اشارة الى تسهيل الامر على السامع ليزيد تشوقه واقباله وان كانت عامة اللام كان المراد به الجزاء العظيم وبها جميع الاعمال الصالحة ويدل له ثاني رواية ابن ماجه ألا أدلك على أبواب الجنة وللاول تخصيص بعض الاعمال بالذكر بقوله (الصوم) أي صوم النفل لان الفرض تقدم (جنة) بضم الجيم أي وقاية من استيلاء الشهوة والغفلة في العاجل ومن النار في الآجل قال الطيبي انما جعل الصوم جنة من النار لان في الجوع سد مجاري الشيطان كما في الحديث ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فسدوا مجاريه بالجوع فاذا سد مجاريه لم يدخل فيه فلم يكن سبب العصيان الذي هو سبب دخول النار وفي خبر النسائي الصوم جنة من النار كجنة أحدكم من القتال (والصدقة) أي نفلها الان فرضها مر ذكره (تطفئ) بضم أوله وهمز آخره أي يمحو وفي رواية تكفر (الخطيئة) بالهمز بوزن فعيلة وربما أسقطت الهمزة وشددت الياء والمراد الصغيرة المتعلقة بحق الله أما الكبيرة فلا يمحوها الا التوبة وأما حق الآدمي فلا يمحوه الا رضا صاحبه ووردان امرأة جاءت الى حسان بن سنان فسألته شيأ فقال ينظر اليها فاذا هي امرأة جميلة فقال يا غلام أعطها أربعمائة درهم فقيل له انها تسألك درهما فاعطيتها أربعمائة درهم فقال لما نظرت الي جالها خشيت أن تقع في معصية فاحببت ان أغنيها عسى ان يرغب فيها أحد فيتزوجها ووجه رجل ابنه في تجارة فمضت أشهر ولم يقع له على خبر فتصدق برغيفين وأرخ ذلك اليوم فلما كان بعد سنة رجع ابنه سالما فسأله أبوه هل اصابك في سفرك بلاء قال له غرقت السفينة بنا في وسط البحر وغرقت مع جملة الناس واذا بثابين أخذاني فطرحاني على الشط وقالا لي قل لوالدك هذا برغيفين فكيف لو تصدقت بزائد على ذلك وأما منع الصدقة فيصير الغني ذليلا وحكي ان رجلا جلس يوما يأكل هو وزوجته وبين يديه ما دجاجة مشوية فوقف سائل ببابه فخرج اليه ونهره فاتفق بعد ذلك أن الرجل افتقر وزالت نعمته وطلق زوجته وتزوجت بعده برجل فجلس يأكل في بعض الايام هو وزوجته وبين يديه ما دجاجة واذا بسائل يطرق الباب فقال لزوجته ادفعي له هذه الدجاجة فخرجت بها اليه فاذا هو زوجها الاول فدفعت اليه الدجاجة ورجعت وهي باكية فسألها زوجها عن بكائها فاخبرته أن السائل كان زوجها وذكرت له قصته فسمع السائل الذي انتهره زوجها فقال لها زوجها أنا ذلك السائل (كما يطفئ الماء النار) اذ ألقي عليها وانما استعار لفظ الاطفاء لمقابلته بقوله كما يطفئ الخ لان الخطيئة يترتب عليها العقاب الذي هو أثر الغضب المستعمل فيه الاطفاء وفيه استعارة تبعية لانه شبه اذهاب الصدقة للخطيئة بالاطفاء واستعاره له ثم اشتق منه الفعل أو تخييلية لانه شبه الخطيئة بالنار وأثبت له ما هو من لوازمها من الاطفاء وخصت الصدقة بذلك لتعدي نفعها الى الخلق عيال الله وهي احسان اليهم والعادة ان الاحسان الى عيال الشخص يطفي غضبه وبتباعد اطفاء الماء النار بينهما غاية التضاد اذ هي حارة يابسة والماء بارد رطب فقد ضادها بكيفيتيه والضد يدفع الضد وبعده وانما قال الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة ولم يقل الصوم والصدقة والصلاة في جوف الليل يدرن

العبد منه حيث أنزله من نفسه وبروى أن في الجنة ملائكة يغرسون الاشجار للذاكرين فاذا فتر الذاكر فتر الملك ويقول فتر صاحبي قال سفيان بن عيينة اذا اجتمع قوم يذكرون الله عز وجل اعترك الشيطان والدنيا فيقول الشيطان للدنيا الا ترين ما يصنعون فتقول الدنيا دعهم فلو تفرقوا لاخذت باعناقهم وفي الخبر المجالس الصالح يكفر عن المؤمن ألف ألف مجلس من مجالس السوء وقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ان الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة فاذا سمع العالم خاف واسترجع عن ذنوبه فانصرف الى منزله وليس عليه ذنب وبروى ان الله تعالى يطلع الى مجالس الذكر فيقول ملائكتي وسكان سمائي انظروا الى عبادي قد اجتمعوا الى عبد من عبادي يتلو عليهم من آياتي ويذكرهم آلائي اشهدكم اني قد غفرت لهم اللهم اغفر لنا أجمعين آمين والحمد لله رب العالمين

* (المجلس السابع والثلاثون في الحديث السابع والثلاثين) * الحمد لله الذي فطر الارض والسموات الكريم الذي يقبل التوبة من عباده ويعفو

ورسوله صاحب الآيات الباهرات صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وذريته وأزواجه الطاهرات (عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال ان الله تعالى كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وان هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة وان هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وان هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما) اعلموا اخواني وفقني الله وإياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم يدل على فضائل الله تعالى على خلقه ورأفته بهم فهو رب كريم وفضله عظيم يضاعف الحسنات دون السيئات وقال بعضهم هو من الاحاديث الالهية نحو أنا عند ظن عبدي بي المروي عن فضل الرب سبحانه وتعالى (قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى كتب الحسنات والسيئات) اي قدر مقادير تضعيفها في اللوح المحفوظ أي في علمه تعالى واطلاع

ما ذكر للاشارة الى اختلاف أنواع الخير فان قلت ما اعراب ما ذكر فالجواب ان قوله الصوم مبتدأ محذوف تقديره منها الصوم وقوله جنة خبر لمبتدأ محذوف أي وهو جنة وكذا قوله والخطيئة وقد سئل ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أي الصدقة أفضل قال الماء ألم تر الى أهل حين استغاثوا باهل الجنة ان أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله وروي ان سعدا أتى الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أي الصدقة أعجب اليك قال الماء فحفر بئرا وقال هذه لام سعد وفي رواية اخرى أنه قال يا رسول الله ان أم سعد كانت تحب الصدقة أفينفعها أن أتصدق عنها قال نعم وعليك بالماء وروى البخاري عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فنزل بئرا فشرب ثم خرج فاذا كلب يأكل الثرى من العطش فقال لقد بلغ هذا الكلب مثل الذي بلغ مني فملأ خفه ثم أمسكه بفيه ثم رقي فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له قالوا يا رسول الله وان لنا في البهائم أجرا فقال في كل كبد رطبة أجر وفي رواية في كل ذات كبد حراء أجر ووردان امرأة كانت بغية فرأت كلبا على رأس بئر يلهث كاد يقتله العطش فنزعت خفها فاستقت له به فسقته فغفر الله لها وعن عائشة رضي الله تعالى عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من سقى مسلما شربة من ماء حيث يوجد الماء فكأنما أعتق رقبة ومن سقى مسلما شربة من ماء حيث لا يوجد الماء فكأنما أحياها واخفاء الصدقة أولى لقوله تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم الآية ولما روى أنس انه عليه الصلاة والسلام قال ان صدقة السر تطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء ولذا كان علي بن الحسين يحمل الخبز على ظهره بالليل ويتبع به المساكين ويقول ان الصدقة في سواد الليل تطفئ غضب الرب وللمساء وجد في ظهره أثر سواد فقال الغاسل ما هذا فقيل انه كان يحمل جراب الدقيق على ظهره ويوزعه لفقراء أهل المدينة وكان اذا أتاه سائل رحب به وقال مرحبا بمن يحمل زادنا الى الآخرة (فائدة) أخرج الشيخان من جملة حديث طويل وانك ان تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله الا أجرت عليها حتى ما تجعل في امرأتك وأخرج احمد باسناد جيد ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة اي ان كان مما لا بد منه لقصد التقوى على الطاعة كما هو معلوم من القواعد الشرعية وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة وما أطعمت زوجك فهو لك صدقة وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة وأخرج الطبراني باسناد حسن من أنفق على نفسه نفقة يستعف بها فهي صدقة ومن أنفق على امرأته وولده وأهل بيته فهي صدقة وهذا معمر لما أنفقه وأخرج الدارقطني والحاكم وصحح اسناده كل معروف صدقة وما أنفق الرجل على أهل بيته كتب له صدقة وما وقى به المرء عرضه كتب له به صدقة وما أنفق المؤمن من نفقة فان خلفها على الله والله ضامن الا ما كان في بنيان أو معصية وفسرت رواية العرض بما يعطى للشاعر وذي اللسان اتقى وأخرج الطبراني في الاوسط أول ما يوضع في ميزان العبد نفقته على أهله وأخرج الطبراني باسناد صحيح كل ما صنعت الى أهلك فهو صدقة عليهم (وصلاة الرجل) خص بالذكر لان السائل رجل لان الخير غالب في الرجال اذ أكثر أهل النار النساء للاحتراز عن المرأة لا بهاء له في ذلك (بحوف الليل) أي في وبها عبر في بعض النسخ وجوف الحر تثاوب أو لابتداء الغاية فيكون مبدأ الصلاة جوفه او للتبعيض اي صلاة به وجوف الليل اذهى فيه معا قالا فضل منها في النهار لان الخشوع والتفرغ فيه اسهل وأكمل وللامام احمد وقيام الرجل في جوف الليل يكفر الخطيئة قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم رجل ينام الليل كله فقال ذاك رجل بال الشيطان في اذنه واوحى الله الى داود يا داود كذب في محبتي من اذا جن ليله نام عني ولما قال الخليل لابنه يا بني اني أرى في المنام اني اذبحك قال له يا أبت هذا جزاء من نام عن حديثه لولم تهم ما أمرت بالذبح وقيل للحسن البصري ما بال

المتهجدين من أحسن الناس وجوها فقال لانهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره وعن أبي مالك الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام ويحصل فضل قيامه بصلاة ركعتين لخبر من قام من الليل ولو قدر حلب شاة كتب من قوام الليل ولخبر من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين جميعا كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات واختلف في فضل أجزائه والصحيح الذي دلت عليه الاحاديث انه ان جزأه نصفين فالنصف الثاني أفضل أو ثلاثا فالثالث أفضل أو اسداسا فالسدس الرابع والخامس أفضل وهذا هو الاكمل على الاطلاق لانه الذي واظب عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال فيه أفضل الصلاة صلاة أخي داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وروي الجنيد بدمونه فقيل ما فعل الله بك فقال طاحت تلك الاشارات وغابت تلك العبارات وفنيت العلوم وفقدت الرسوم وما نفعنا الا ركيعات كنا نركعها عند السحر وكان أبو حنيفة يحيي نصف الليل فأشار اليه انسان وهو يمشي وقال لغيره هذا يحيي الليل كله فلم يزل بعد ذلك يحيي الليل كله وقال اني استحييت من الله ان أوصف بما ليس في من عبادته ولبعضهم

تصيرنا عنوة بضجعة غيرنا * وأظهرتم الهجران ما هكذا كنا
وأقسمتم أن لا تحولوا عن الهوى * فحالتم عن العهد القديم وما حلنا
ليالي كنا نشتفي بوصالكم * وقلبي الى تلك الليالي قد حنا

وقد اجتهد السلف الصالح من الصحابة والتابعين فمن بعدهم في قيام الليل كعثمان بن عفان رضي الله عنه فانه كان يصوم النهار ويقوم الليل الا ضجعة أوله وكان يجمع القرآن في ركعة وعبد الله بن عمرو بن العاص وكان زوجه أبوه امرأة من قريش ثم جاء اليها فقال كيف وجدت بعلك قالت خير الرجال لم يلبس لنا كساء ولم يعرف لنا فراشا وعبد الله بن حنظلة قال مولى له يقال له سعد لم يكن لعبد الله فراش ينام عليه انما كان يأتي نفسه هكذا اذا أعيا من الصلاة توسد ذراعه وذراعه ثم يهجع قليلا وصفوان بن سليم كان أعطى الله عهدا انه لا يضع جنبه على الارض فلما نزل به الموت قيل له رحمك الله ألا تضطجع قال ما وفيت بالعهد اذا فاستند ومازال كذلك حتى خرجت نفسه قال أهل المدينة وتثقبت جبهته من كثرة السجود وعروة بن الزبير كان يقرأ القرآن كل يوم نظرا في المصحف ويقوم به الليل فما تراه ترك الا ليلة قطعت رجله ثم عاوده من الليلة المقبلة وسفيان الثوري كان يقول اذا جاء الليل هذه ليلتي التي أموت فيها فما ينام حتى يصبح واذا أصبح قال كذلك ويلبس الثياب الرقاق في البرد حتى يمنعه البرد من النوم وعامر بن عبد قيس كان اذا جاء الليل قال أذهب عني النوم حر النار فما ينام حتى يصبح وصهيب حكى الامام مالك عنه انه كان بمكة فقالت له امرأته أفسدت نفسك نهارك نائم وليلك قائم فقال يا مولاتي اذا ذكرت النار طار نومي واذا ذكرت الجنة استقر خوفي والسري السقطي كان ورده في الليل والنهار خمسمائة ركعة والامام أبو الحسن الاشعري أقام نيفا وعشرين سنة يصلي الصبح بوضوء عشاء الآخرة وعبد العزيز بن أبي رواد كان باني فراشه فيمر يده عليه ويقول والله انك لين وفراش الجنة أين منك فيدرجه ويصلي الليل كله وكان سيدي عبد الوهاب الشعراني قبل بلوغه ربما ختم القرآن في ركعة واحدة وكان أبو بكر كتيرا ما ينشد ويقول

الشوق والوجد في مكاني * قد منعاني من القرار
في هما لا يفارقاني * فذا شعاري وذا ديثاري

وكان سري السقطي ينشد ويقول

في قوله ان الله كتب الحسنات والسيئات رحمة لهذه الامة لما قصرت أعمارها بتضعيف أجور أعمالهم بقوله (فمن هم بحسنة) أي أرادها وصمم على فعلها (فلم يعملها كتبها الله) أي قدرها أو أمر الملائكة الحفظة بكتابتها (عنده) والعندية هنا للشرف (قوله حسنة كاملة) أي لا نقص فيها (قوله وان هم بها فعملها كتبها الله عنده) اعتناء بصاحبها وتشريفا له (عشر حسنات) ومصداق هذا قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وهذا أقل درجات التضعيف وقوله الى سبعمائة ضعف بكسر الضاد (الى أضعاف كثيرة) بحسب النية والاخلاص وكثرة النفع ونحو ذلك ومصداق ذلك قوله تعالى مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء أي بعد السبعمائة وقوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة وقد جاء في رواية الترمذي من حديث أبي هريرة الى سبعمائة ضعف الى ما شاء الله وفي حديث أبي ذر يقول الله تعالى من عمل حسنة فله عشر أمثالها وأزيد على

لا فى النهار ولا فى الليل لى فرج * فلا أبالى أطال الليل أم قصرا
لا نى طول ليلى هائم دنف * و بالنهار أقاسى الهم والكدرا

وعن على بن بكار قال لى بندار بعين سنة ما أحرنى الاطلوع الفجر وعن سيدى أحمد الرفاعى يقول

اذا جن ليلى هام قلبى بذكركم * أنوح كما ناح الحمام المطوق
وفوقى سحاب تمطر الهم والاسى * وتحتى بحار بالاسى تتدفق
فلا هو مقتول فنى القتل راحة * ولا هو ممنون عليه فيعتق

وقوله وصلاة الرجل قال البيضاوى هو مبتدأ خبره محذوف أى كذلك يتفق الحطيئة أو هى من أبواب الخبر والاول أظهر لاستشهاده صلى الله عليه وسلم بالآية وهى متضمنة للصلاة والانفاق تغليبا الطيبى ثم قال والاظهر ان يقدر الخبر شعار الصالحين كما فى جامع الاصول ويفيد فائدة مطلوبة زائدة على القرينتين وهى انهما كما أفادتا المباعدة عن النار فتفيده هذه الاخبار فى الجنة وبتم الاستشهاد بالآية لان قرة العين كناية عن السرور والفوز التام وهو مباعدة النار ودخول الجنة كما قال تعالى فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز (ثم تلا) لفظ ابن ماجه ثم قرأ يعنى احتجاجا على فضل صلاة الليل ومدحا لفاعل ذلك قوله (تتجافى) أى تتنحى وترتفع وتنبو (جنوبهم) جمع جنب وهو ما تحت ابطه الى كشحه (عن المضاجع) أى مواضع الاضطجاع للنوم وهو الفرش لانه جمع مضجع بفتح الجيم وهو موضع الاضطجاع للنوم (حتى بلغ يعملون) وفى رواية الترمذى وابن ماجه حتى بلغ جزاء بما كانوا يعملون وذلك لما فيها من الثناء عليهم بهجر النوم وارتكاب مشقة السهر وظهور الخوف والاحتياج اليه تعالى والانفاق مما رزقهم المرتب عليه ما أخفى لهم من قرة أعين وجهور المفسرين على ان ما فى الآية كناية عن كثرة النفل بالليل فانهم أخفوا من أعمالهم بقدر ما أخفى لهم من قرة أعين وانما يتم اخفاؤه بالصلاة فى جوف الليل فما قيل انه كناية عن الصلاة بين العشاءين يرده ظاهر سياق هذا الحديث وقد جاء ان الله تعالى يباهى بقوام الليل فى الظلام الملائكة يقول أنظروا الى عبادى قد قاموا فى ظلم الليل حيث لا يرانى أحد غيرى أشهدكم انى قد غفرت لهم ذاكرا منى وجاء اذا جمع الله الاولين والآخرين نادى منادى بصوت يسمع الخلائق سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم ينادى منادى ليقم الذين كانت لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فيقومون وهم قليل ثم ينادى منادى ليقم الذين كانوا يحمدون الله تعالى فى السراء والضراء فيقومون وهم قليل ثم يحاسب سائر الناس وفى مسلم افضل الصلاة بعد المكتوبة صلاة الليل وفى بهجة ابن أبى الدنيا ان يحيى عليه الصلاة والسلام شبع ليلة دام عن حزبه حتى أصبح فاوحى الله تعالى اليه يا يحيى هل وجدت دارا خيرا من دارى أو جوارا خيرا من جوارى وعزتى يا يحيى لو اطلعت على الفردوس اطلاعة لذاب جسمك وذهبت نفسك اشتياقا الى ولو اطلعت على جهنم اطلاعة لبكيت الصديد بعد الدموع وللبست الجلود مع المسوح * (وحكى) * الحافظ ابن رجب فى اطائفه عن بعض العلماء انه نام عن تهجد ليالى فرأى فى منامه رجلين وقفا عليه فقال أحدهما لاخر هذا كان من المستغفرين فترك (ثم قال صلى الله عليه وسلم ألا أخبرك برأس الامر) أى الدين أو العبادة أو الامر الذى سألت عنه (وعموده) أى الذى يعتمد عليه كعمود الخيمة (وذروة) بثليث الذال المعجمة والكسر أفصح (سنامه) بفتح السين أعلاه لان سنام البعير ما ارتفع فى ظهره (الجهاد) لما فيه من مقاساة الاهوال وترك الاختلاط بالاهل والعيال وسقط منه هنا شطر ثابت فى أصل الترمذى لا يتم الكلام بدونه وكأنه انتقل نظره من سنامه الى سنامه اذ لفظ الترمذى بعد سنامه المذكور (قلت بلى يا رسول الله قال

عليه أما العزم وهو قوة القصد والجزم به فيؤاخذ به وان لم يتكلم لقوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم ولما تقدم في الحديث السابق

(رأس الامر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد) فيحتمل ان السقط من الاصل الذي نقل منه المصنف ويحتمل أنه من بعض النساخ وفي قوله رأس الامر الاسلام الخ استعارة بالكناية تبعها استعارة ترشيحية لانه شبه الامر المذكور بفحل الابل وبالبيت القائم على عمد وأحضر هذا التشبيه في النفس ثم ذكر ما يلائم المشبه به وهو الرأس والسنام والعمود والمراد بالاسلام النطق بالشهادتين كما جاء مفسرا بهما في رواية أحمد وانما كان هو الرأس لانه لا حياة لشيء من الاعمال بدونه كما ان الحيوان لا حياة له بدون رأسه والصلاة العمود لانه الذي يقيم البيت ويهيئه للانتفاع به والصلاة هي التي تقيم الدين والجهاد هو ذروة السنام لان ذروة الشيء أعلاه والجهاد أعلى أنواع الطاعة من حيث ان به يظهر الاسلام ويعلو على سائر الاديان (واعلم) انه اختلف في أفضل أعمال البر بعد الفرائض فقال مالك وأبو حنيفة العلم ثم الجهاد لقوله صلى الله عليه وسلم ما جميع أعمال البر في الجهاد كنقطة في بحر وما جميع أعمال البر والجهاد في طلب العلم الا كنقطة في بحر وقال الشافعي أفضلها الصلاة فرضا ونفلا وقال أحمد أفضلها الجهاد وقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم سئل أي الاعمال أفضل فقال تارة الصلاة لاول وقتها وتارة الجهاد وتارة بر الوالدين وحمل على اختلاف أحوال السائلين لانه صلى الله عليه وسلم كان طبيبا الخ فرب شخص كان الغالب عليه ترك المحافظة على الصلاة فقال له الصلاة في أول وقتها وربما شخص كان الغالب عليه ترك الجهاد فقال له الجهاد وربما شخص كان الغالب عليه ترك بر الوالدين فقال له بر الوالدين واختلاف الازمان فرب عبادة في زمن أفضل من غيرها أوان من مقدورة أي من أفضل الاعمال وعن أبي أمامة الباهلي انه قال خر جنا مع النبي صلى الله عليه وسلم غزوة من غزواته فمر رجل بغار فيه شيء من ماء وحوله شيء من البقل فحدث نفسه بان يقيم في ذلك الغار فيشرب مما فيه من الماء ويصيب مما حوله من البقل ويتخلى عن الدنيا قال لو أني أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فان أذن لي فعلت والا لم أفعل فاتاه فقال يا نبي الله اني مررت بغار فيه ما يقوتني من الماء والبقل فحدثتني نفسي بان أقيم فيه وأتخلى عن الدنيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لم ابعث باليهودية ولا بالنصرانية ولكني بعثت بالحنيفية السمحة والذي نفس محمد بيده لغدوة او روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ولمقام احدكم في الصف خير من صلاته ستين سنة وروى الحاكم ان عثمان بن مظعون جاء الى المصطفى صلى الله عليه وسلم فقال حدثتني نفسي بان أختصي فقال خصاء امتي الصوم فقال حدثتني نفسي بأن أترهب في رؤس الجبال فقال ترهب امتي الجلوس في المساجد وانتظار الصلاة فقال أريد أن أسيح في الارض فقال سياحة امتي الغزو في سبيل الله تعالى فقال حدثتني نفسي بأن أطلق امرأتي فقال المهاجر من أمتي من هجر ما حرم الله فقال حدثتني نفسي أن لا آكل اللحم فقال أنا أحبه وآكله وقد قال بعضهم

الجود بالمال جود فيه مكرمة * والجود بالنفس أقصى غاية الجود

قال الطيبي وانما خص هذه المرتبة بالباء والاولى بعلى لان هذه المرتبة أجمع وأشمل لان المعنى بامر الدين وهو مشتمل على أبواب الخير وعلى ما قبله من نحو تعبد الله الخ ولهذا اتى بالباء في المرتبة الثالثة الآتية وأكدها بكله لكونها أجمع منها وهذا الترقي ينبهك على جواز الزيادة في الجواب والسؤال ضربان حالي وتعليمي وحق الاول مطابقة الجواب من غير زيادة ولا نقص وحق الثاني أن يتحرى المجيب الاصوب كالطبيب الرفيق يتوخى ما فيه شفاء العليل طلبه أم لا ولما تكلم على جهاد الكفر أخذ يتكلم على جهاد النفس وقدمها عن الكلام فيما يؤذيها ويؤذي بها بقوله (ثم قال) صلى الله عليه وسلم (ألا أخبرك بملاك ذلك) الامر (كله) أي مما يملكه ويضبطه او يقصوده وجماعه او مما يقوم به بمعنى اذا وجدت كانت تلك الاعمال كلها على غاية من الكمال ونهاية من صفاء الاحوال لان الجهاد وغيره من أعمال

وما تقدم في الحديث السابق

(فصل في قوله تعالى عن اليمين وعن الشمال قعيد وما يتعلق بذلك)

قال ابن العماد في كشف الاسرار قيل أراد عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد حذف الاول لدلالة الثاني كقولهم قطع الله يد ورجل من قالها وقعيد بمعنى قاعد ثم قال واختلف في عدد الملائكة التي على كل انسان فقيل عشرون ملكا قاله الفاكهاني في شرح الرسالة عن المهدوي

*وروى أن عثمان بن عفان رضي الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم كم من ملك على الانسان فذكر عشرين ملكا قال ملك عن يمينك على حسناتك وهو أمين على الذي على يسارك فاذا عملت حسنة كتبت عشرا واذا عملت سيئة قال الذي على الشمال للذي على اليمين أكتب فيقول لا لعله يستغفر أو يتوب فاذا لم يتب قال نعم أكتب اراحنا الله منه فبئس القرين ما أقل مراقبته لله واقل استحيائه لقول الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وملكان بين يديك ومن خلفك لقول الله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه

قصمك الله وملكان على شقيك ليس يحفظان عليك الا الصلاة على النبي أشرف الانام صلى الله عليه وسلم وملك على فيك لا يدع الحية ان تدخل فيك وملكان على عينيك فهؤلاء عشرة أملاك على كل آدمي فتنزل ملائكة الليل على ملائكة النهار فهؤلاء وهؤلاء عشرون ملكا على كل آدمي وابليس بالنهار وولده بالليل قال القاضي فان قلت ان الملائكة التي ترفع عمل العبد في اليوم هم الذين باتون غدا أم غيرهم قلت الظاهر انهم هم وان ملكي الانسان لا يتغيران عليه مادام حيا ويوضحه قول الملكين في الحديث المذكور أراحنا الله منه فبئس القرين والقرين المصاحب كما قاله ابن السكيت وهذا الدعاء انما يكون عند طول الصحبة والا فصحبة اليوم والساعة لا يسئل الراحة منها انتهى وقوله تعالى يحفظونه من أمر الله فيه أوجه حسنة أحدها ان من بمعنى الباء على معنى يحفظونه بأمر الله والثاني أن المراد يحفظونه من أمر الله بأمر الله على معنى يحفظونه من قضاء الله بقضاء الله وهو أمرهما بالحفظ وهذا كما قال عمر

الطاعات غنيمة وكف اللسان عن المحارم سلامة ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم من صمت نجا والسلامة في نظر العقلاء مقدمة عن الغنيمة (قلت بلى يا رسول الله فأخذ بلسانه) البارز اثنتين وكرمه والضمير راجع الى النبي صلى الله عليه وسلم أي أمسك النبي صلى الله عليه وسلم لسان نفسه بيده (ثم قال كف) من كفه منعه وفي رواية كف وفي رواية امسك عليك أو عنك أو ضمن كف معنى احبس والمعنى احبس عليك لسانك لا يؤذيك بالكلام (هذا) أي عن الشر فانا فقه عظيمة ولذا قال الغزالي لما من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه القويمة فانه صغير جرمه وعظيم طاعته وجرمه اذ لا يتبين الكفر والايمان الا به وكما يناوله القلم يعرب عنه اللسان اما بحق أو باطل وهذه خاصية لا توجد في الاعضاء فان كل عضو يقتصر على منفعته فمن أطلق عنانه اللسان ملكه الشيطان ولا ينجو من شره أن يلجمه بلجام الشرع فلا يطلقه الا فيما ينفع في الدنيا والآخرة ويكفه عن كل شئ تخشى عاقبته وأعصى الاعضاء من الانسان اللسان فانه لا تعب في تحريكه ولا مؤنة في اطلاقه وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن اقامته وغوائله والحذر من مصائده وحبائله اه وفي الحكمة لسانك أسدك اذا أطلقته فرسك وان أمسكته حرسك وكان أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يمسك لسانه ويقول هذا الذي أوردني الموارد فلما مات رؤي في المنام فقيل له ما الذي أورد لسانك قال لا اله الا الله فاورد في الجنة وفي الحديث طوبى لمن ملك لسانه ووسعه بيته وبكى على خطيئته وقال بعض الحكماء لا شئ أحوج بالسجن من اللسان وقد جعله خلف الشفتين والاسنان ومع ذلك يكسر القفل ويفتح الابواب وقال بعضهم في الصمت سبعة آلاف خير وقد اجتمع ذلك كله في سبع كلمات في كل كلمة منها ألف أولها ان الصمت عبادة من غير عناء والثانية زينة من غير حلي والثالثة هيبة من غير سلطان والرابعة حفظ من غير حافظ والخامسة استغناء عن الاعتذار الى الناس والسادسة اراحة الكرام الكاتبين والسابعة ستر العيوب لان الصمت كما قيل زين للعالم وستر للجاهل وقيل ثلاثة أشياء تعمي القلب الضحك من غير عجب والاكل من غير جوع والكلام من غير حاجة وذكر عن الاوزاعي أنه قال المؤمن يقل الكلام ويكثر العمل والمنافق يكثر الكلام ويقل العمل وقد قال أبو بكر بن خلف الاحمي

يموت الفتى من عثرة من لسانه * وليس يموت المرء من عثرة الرجل
فعثرته من فيه ترمي برأسه * وعثرته بالرجل تبرا على مهل

وعثر المتوكل بالبساط فجلس وتمثل بهذين البيتين وقوله كف يحتمل عمومه وأخص منه الكلام بخبر الحديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت ويحتمل أنه من باب المطلق استعمل في الكف عن الشر فلا يبقى له دلالة على غير ذلك ومنشأ الاحتمالين أن الفعل يدل على المصدر هل يقدر المصدر معرفا فيعم أو منكرا فلا يعم كما كفف كفا أو على أن المصدر جنس فيعم أولا فلا (قلت يا رسول الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم به) اللام لتأكيد وهذا استفهام استثبات وتعجب واستغراب فدل على أن معاذا لم يكن يعلم ذلك ولا ينافي خفاء هذا عليه قوله صلى الله عليه وسلم في حقه أعلمكم بالحلال والحرام معاذا ما يحمل ذلك على المعاملات الظاهرة بين الناس والمؤاخذة المذكورة في معاملة العبد مع ربه أو انه انما صار أعلمهم بذلك بعد هذا السؤال وأمثاله من طريق التعلم (فقال ثكلتك) بمثلثة وكاف مكسورة ولام مفتوحة أي فقدتك (أمك) زاد ابن ماجه يا معاذ والثكل بسكون الكاف وفتحها فقد المرأة ولدها وليس المراد حقيقته من الدعاء بالموت بل هو من الالفاظ التي تجري عليها الالسن الجارية لتأديب والتنبيه من الغفلة كتربت يداك أو ان الموت لما كان بيد كل أحد كان الدعاء كالدعاء أو ان المراد ان قلت هذا كان الموت خيرا لك من الحياة (وهل) حرف استفهام انكاري بمعنى النفي

النفي ومنه هل جزاء الاحسان الا الاحسان (يكب) بضم الكاف أي يلقى قال الطيبي مضارع كبه بمعنى صرعه على وجهه فانكب سقط على وجهه وهذا من النوادر فان ثلاثيه متعد ولازمه تقول كببت الشيء فأكب (الناس) أي أكثرهم (في النار) أي نار جهنم ثم (على وجوههم أو قال) شك من الراوي (على مناخرهم) جمع منخر بفتح الميم وكسر الخاء المعجمة وفتحها ثقبة الانف وليس في رواية البزار الا المتأخر بلا شك (الا حصائد) جمع حصيدة بمعنى محصودة من حصد الزرع اذا قطعه (ألسنتهم) أي ما تكلمت به من الاثم كالكفر والقذف والسب والنميمة وغير ذلك واضافة حصائد الى الالسنة من اضافة اسم المفعول الى فاعله أي محصودات الالسنة شبه ما تكتسبه الالسنة من الكلام الحرام بحصائد الزرع بجامع الكسب والجمع وشبه اللسان في تكلمه بذلك بحد المنجل الذي يحصد به الناس الزرع ففيه استعارة بالكناية من حيث تشبيه ذلك الكلام بالزرع المحصود واللسان بالمنجل ويتبعها استعارة ترشيحية لان الحصاد يلائم المشبه به دون المشبه والحضر في ذلك اضافي اذ من الناس من يكبه في النار عمله لا كلامه لكن خرج ذلك مخرج المبالغة في تعظيم جرائم اللسان كالحج عرفة أي معظمه ذلك كما ان معظم أسباب النار الكلام ولان الاعمال يقارنها الكلام غالبا فاخصه من ترتب الجزاء عليه عقابا وثوابا وفي المعجم الكبير للطبراني والبيهقي في الشعب من حديث أبي وائل عن ابن مسعود قال ارتقى ابن مسعود الصفا فاخذ بلسانه فقال بالسان قل خيرا تغنم واسكت عن شر تسلم من قبل أن تندم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أكثر خطايا ابن آدم من لسانه وللشافعي رضي الله تعالى عنه

احفظ لسانك أيها الانسان * لا يلدغنك انه ثعبان

كم في المقابر من قتيل لسانه * كانت تهاب لقاءه الشجعان

(رواه الترمذي) في جامعه (وقال حسن صحيح) لكن في الجامع زيادة على ما ذكره المصنف هنا ولفظه عن معاذ قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فاصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير فقلت يا رسول الله اخبرني بعمل يدخلني الجنة فذكره

(الحديث الثلاثون)

(عن أبي ثعلبة) بفتح المثلثة (الخشني) بضم المعجمة الاولى وفتح الثانية وكسر النون نسبة الى خشينة مصغر بطن من قضاعة بن مالك بن حمير (جرثوم) بفتح الجيم والمثلثة بينهما راء مهملة وقيل جرثومة وقيل جرثم وقيل غير ذلك قال ابن دريد والاكثر على ان اسمه جرهم بضم الجيم والهاء (ابن ناشم) بالنون والشين المعجمة ثم راء مهملة وقيل ناشب بباء موحدة في آخره وقيل لاسق بالقاف وقيل لاسر وقيل لاش والاكثر على ان اسمه ناشم بالنون ومعجمة مكسورة وميم ويقال جرثم بن الاشتر بن النضر ونسبه بعضهم الى الحارث بن قضاعة بن مالك بن حمير وهو مشهور بكنيته كان ممن بايع تحت الشجرة وضرب له صلى الله عليه وسلم بسهمه يوم خيبر وأرسله الى قومه فأسلموا ونزل الشام ومات أول امرة معاوية وقيل في امرة يزيد وقيل في امرة عبد الملك سنة خمس وتسعين والاول أكثر وكان يقول اني أرجو ان لا يخفى الله كما أراكم تختفون عند الموت فبينما هو يصلي قبض وهو ساجد (رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى فرض) واقترض بمعنى (فرائض) أي أوجبها وألزم العمل بها والفرض لغة القطع والتقدير واصطلاحا ما يثاب على فعله ويعاقب على تركه ويراد فيه الواجب الا في الحج فان الفرض ما لا ينجبر بالدم والواجب ما ينجبر به وفرق الحنفية بينهما بان الفرض ما ثبت بدليل قطعي كالصلاة والزكاة والواجب ما ثبت بدليل ظني كالثابت بالقياس وخبر الواحد كصدقة الفطر وعند الشافعي الفرض والواجب مترادفان فالفرائض اما فرائض أعيان كالصلوات الخمس والزكاة

ذلك الحفظ من أمر الله أي من قضائه قال الشاعر

أمام وخلف المرء من لطف ربه
كوالئ تنمي عنه ما هو يحذر

الكوالئ الحوافظ قال الله تعالى قل من يكلؤكم وقول الملك أراحنا الله منه هو دعاء لا نفسهما بالتحول عن مشاهدة المعصية لانهم يتأذون بذلك ويحتمل أن يكون هذا في حق الكافر الذي لا يتوب ولا يستغفر فان المؤمن من عادته وغالب أمره الاستغفار لا سيما عند وقوع المعصية ويحتمل تعميم ذلك في سائر العصاة من الموحدين والكافرين ويكون دعاء عليهم بالموت وهو جائز قال الكرابيسي صاحب الشافعي في كتابه أدب القضاء ولو دعا على غيره بالموت لم يعزر لانه دعاه بالخلاص من غم الدنيا قال وقد قال أبو الدرداء وقد قيل له ما تحب لمن تحب قال أحب أن يموت قيل وان لم يمت قال يقل ماله وولده ونقل الواحدي عن ابن مسعود انه قال والله ما من أحد الا والموت

خير له لانه ان كان مؤمنا فان الله تعالى قال وما عند الله خير للابرار وان كان كافرا فان الله تعالى قال انما نملي لهم ليزدادوا اثما

عن الحسن البصري وكان يعجبه أن يتظاهر بمنفعته وروى أبو نعيم في تاريخ أصبهان أنه صلى الله عليه وسلم قال نقوا أفواهكم بالخلال فانها مجلس الملكين الكريمين الحافظين وان مدادهما الريق وقلمهما اللسان وليس عليهما شيء أضر من بقايا الطعام بين الاسنان قال أبو طالب المكي في تفسيره يروى ان الملك على باب الانسان الذي يأكل به وقلم الملك لسان الانسان ومداده ريق الانسان قال وهذا تمثيل في القرب والله أعلم بكيفية ذلك وأما الذي تكتبت فيه الحفظة فقد اوين من رق كما قال تعالى وكتاب مسطور في رق منشور على أحد الاقوال فيه وقال تعالى ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا قال البغوي وفي الآثار ان الله تعالى يأمر الملك بطي الصحيفة اذا تم عمر المرء فلا تنشر الى يوم القيامة والظاهر ان هذه الكتابة التي تكتبها الملائكة ليست بهذه الاحرف ويدل عليه ان الغزالي ذكر عن اللوح المحفوظ ان المكتوب فيه ليس بحروف قال وانما تثبت المعلومات فيه كثبوتها في العقل والله أعلم واختلفوا فيما يكتبه الملائكة

والصوم أو كفاية كصلاة الجنازة ورد السلام والامر بالمعروف والنهي عن المنكر (فلا تضيعوها) بالترك أو التهاون فيها حتى يخرج وقتها بل قوموا بها كما يرض عليكم وقد صح انه عليه الصلاة والسلام رأى ليلة الاسراء قوما ترضخ رؤسهم كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك فقال من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين تثاقل رؤسهم عن الصلاة المكتوبة وما نالهم الله شيئا (وحد حدودا) جمع حد وهو لغة الحاجز بين الشيئين الذي يمنع اختلاط أحدهما بالآخر وشرعا عقوبة مقدرة من الشارع تزجر عن المعصية وسميت العقوبة حدا لكونها تحجز الفاعل عن المعاودة أي جعل لكم حواجز وزواجر مقدرة تحجزكم عما لا يرضاه وقد ورد حديث قام في الارض خير من مطر أربعين صباحا وتعلق الحدود على الوقوف على الاوامر كالمواريث المقدرة وتزوج الاربع والنواهي فلا تقربوا الفواحش والمراد الاول اذ لو حمل على الثاني لتكرر مع ما قبله وتكرر معه ما بعده ويصح ارادة الثاني ويكون ذكره مع ما قبله وما بعده من ذكر العام بعد الخاص وعكسه (فلا تعتدوها) أي لا تجاوزوها وقفوا عندها ومن تجاوز فقد ظلم نفسه وأوردها موارد الهلاك وجلد عمر رضي الله عنه في الخمر ثمانين ليس فيه زيادة محظورة وان اقتصر صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فيه على أربعين لان الناس لما أكثروا من الشرب زمنه فلم يكثروه قبله استحقوا أن يزيد في جلدهم تنكيلا وزجرا فكانت الزيادة اجتهادا منه لمعنى صحيح مسوغ لها ومن ثم قال علي كرم الله وجهه ورضي عنه ان كلا من الزيادة وعدمها سنة أي لان النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالاقتداء بعمر خصوصا بقوله اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر وما بعوله عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين في الحديث السابق (وحرم أشياء) كالميتة والدم وأكل مال اليتيم والربا (فلا تنتهكوها) أي لا تتناولوها ولا تقربوها قال الجوهري انتهاك الحرمة تناولها بما لا يحل لان انتهاك الشيء تناوله وحكي عن بعض السلف انه قال رأيت المعاصي تزري قبر كنهار وأه فصارت ديانة وعن العوام بن حوشب انه قال نزلت حرة حياوالى جانب ذلك الحي مقبرة فلما كان بعد العصر انشق منها قبر فخرج منه رجل رأسه رأس حمار وجسده جسد انسان فنهق ثلاث نهقات ثم انطبق عليه القبر فاذا العجوز تغزل شعرا أو صوفا فقالت امرأة تري تلك العجوز قلت ما لها قالت تلك أم هذا قلت وما كانت قصتها قالت كان يشرب الخمر فاذا أراح قالت له أمه اتق الله الى متى تشرب الخمر فيقول لها ما انت تنهقين كما ينهق الحمار قالت فمات بعد العصر قالت فهو ينشق بعد العصر كل يوم ينهق ثلاث نهقات ثم ينطبق عليه القبر وعن بعضهم قال يارب أذنبت ولا أعاقبني فاوحى الله الى نبي وقته قل لصاحب هذا الكلام عاقبتك ولم تشعر أعقوبة أشد من أن خليت بينك وبين مخافتي وعن ابن شبرمة انه قال العجب ممن يحتمي من الحلال مخافة الداء ولا يحتمي من الحرام مخافة النار (وسكت عن) ذكر حكم (أشياء) فلم ينص على وجوبها ولا حلها ولا تحريمها الا انه تعالى سكت عنها حقيقة لان الكلام من صفاته القديمة المستمرة فلا ينقطع كلامه ولا يتناهى لان الانقطاع والتناهي من صفات المحدثات والله تعالى منزه عن ذلك (رحمة لكم) منصوبا لاجله أي لاجل رحمته ورأفته بكم وتخفيفه عنكم حال كون ذلك (غير نسيان) لاحكامه الا يضل ربي ولا ينسى وما كان ربك نسيا والنسيان ترك الفعل بلا قصد بعد حصول العلم (فلا تبحثوا عنها) لان السؤال عما سكت الله عنه يفضي الى التكاليف الشاقة لان البحث عنها ان كان في زمن المصطفى صلى الله عليه وسلم ربما أفضى الى تشديد بايجاب وتحريم وقد قال صلى الله عليه وسلم ان أعظم المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم لاجل مسألته وان كان في غيره فهو من التعمق والتنطع والبحث عما لا ينبغي وقد قال عليه الصلاة والسلام من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه والبحث لغة التشقيق ويفهم من سكوته رحمة لنا منع النهي عن البحث عنها انه لا حكم قبل

ورود الشرع وهو الاصح عند المحققين لان الحكم عند أهل السنة لا يكون الا بالشرع وقال أبو الزناد الاصل فى الاشياء على الاباحة لان الله تعالى خلق لنا ما فى الارض جميعا فكل ما لم يحرمه فهو مباح وقال الابهرى على الحظر وحكمت المعتزلة العقل فان لم يقض أى كالفاكهة فالتوقف عن الحظر والاباحة (حديث حسن) بل صححه ابن الصلاح وقول أبى حاتم وأبى زرعة وابن مكحول لم يسمع من أبى ثعلبة معارض بقول ابن معين سمع والمثبت مقدم على النافى (رواه) الامام الحافظ على بن عمر (الدارقطنى) نسبة الى دارقطن محلة ببغداد

(الحديث الحادى والثلاثون)

(عن أبى العباس) وقيل أبى يحيى (سهل) وقيل سعد وما قاله المصنف أصح له ولابيه صحبة ولد سنة تسع ومائتين ومات سنة ثلاث وسبعين ومائتين (ابن سعد) بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج (الساعدى) بكسر الهمزة نسبة الى جده ساعدة بن كعب بن الخزرج كان اسمه حزنا فسماه النبى صلى الله عليه وسلم سهلا وكان يوم مات النبى صلى الله عليه وسلم ابن خمس عشرة سنة ومات سنة ثمان وثمانين وله مائة سنة وقيل احدى وتسعين بالمدينة وهو آخر من مات بها من الصحابة على قول وقيل جابر كما مر وأخصن سبعين امرأة وشهد قضاء النبى صلى الله عليه وسلم بين المتلاعنين (رضى الله عنه) يذكر عنهما لان والد سعد بن مالك صحابى أيضا وروى له مائة حديث وثمانية وثلاثون اتفقا منها على ثمانية وعشرين وانفرد البخارى باحد عشر (قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله دلنى) بضم الدال وفتح اللام مشددة (على عمل) هو فعل من الانسان مع قصد واختيار كما مر والمراد هنا عمل صالح (اذا عملته أحبنى الله) محبة الله للعبد رضاه عنه واحسانه اليه لان المحبة ميل طبيعى وهو فى حقه محال فالمراد غايتها (وأحبنى الناس) لان محبتهم تابعة لمحبة الله فاذا أحبه ألقى محبته فى قلوب خلقه لقوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله اذا أحب عبدا دعا جبريل فقال انى أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادى فى السماء فيقول ان الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فى الارض (فقال ازهد) من الزهد بضم أوله وقد يفتح وهو لغة الاعراض عن الشئ احتقارا له وشرعا أخذ قدر الضرورة من المال المتيقن الحل فهو أخص من الورع اذ هو ترك المشتبه وقيل ترك الدنيا عن قدرة ولذا قال الطيبى لا يتصور الزهد ممن ليس له مال ولا جاه وقيل لابن المبارك يا زاهد قال الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها أما أنا فغير زهدت وقيل تفريق الجموع وترك طلب المفقود والايثار عند الفوت قال أبو يزيد ما غلبنى أحد ما غلبنى شاب من أهل بلخ رأيناه حاجا فقال يا أبا يزيد ما حد الزهد عندكم فقلنا اذا وجدنا أكلنا واذا فقدنا صبرنا فقال هكذا كلاب بلخ عندنا فقلت وما حد الزهد عندكم فقال اذا فقدنا شكرنا واذا وجدنا آثرنا وقد تقدم هذا وقيل النظر الى الدنيا مع الاحتقار فتصغر فى عينك يسهل عليك الاعراض عنها وقيل سلوا القلب عن الاسباب ونقض اليد من الاملاك وقيل قصر الامل واليأس مما فى أيدى الناس ومن ثم قال الضحاك انه قيل يا رسول الله من أزهد الناس قال من لم ينس المقابر والبلى وترك فضول زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من أيامه وعد نفسه من الموتى وقيل أن لا تأسى على ما فات من الدنيا ولا تفرح بما أتاك منها وقيل خلو اليد من الملك والقلب من الشبع وأحسن حدوده كما قال ابن القيم انه فراغ القلب من الدنيا لا فراغ اليد وهذا زهد العارفين وأعلى منه زهد المقربين وهو الزهد فيما سوى الله من دنيا وجنة وغيرهما اذ ليس لصاحب هذا الزهد مقصد الا الوصول اليه تعالى والقرب منه وقال ابراهيم بن أدهم الزهد ثلاثة أصناف

هذا القول بقوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت قيل فى التفسير ان الملائكة اذا صعدت بعمل العبد محا الله عنه المباحات وأثبت فيه الحسنات والسيئات لما روت أم حبيبة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال كل كلام ابن آدم عليه لا له الا أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو ذكر الله قاله أبو طالب وابن عطية وغيرهم يروى ان رجلا قال لبعيره حل فقال صاحب الحسنات ماهى بحسنة فاكتبها وقال صاحب السيئات ماهى بسيئة فاكتبها فاوحى الله تعالى الى صاحب الشمال فاتركه صاحب اليمين فاكتبه قال البغوى وقال عكرمة لا يكتبان الا ما يؤجر عليه ويوزر *روى البغوى بسنده الى أبى أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه

يستريح ساعات لعله يسبح أو يستغفر قال أبو طالب وروى أنه اذا كان الليل قال صاحب اليمين لصاحب الشمال تعالى الآن فليلك وأطرح

زهد فرض وزهد سلامة وزهد فضل فالزهد الفرض الزهد في الحرام وزهد السلامة الزهد في المشتبهات والزهد الفضل الزهد في الحلال وعلى هذا فالزاهد في الحرام ليس زاهدا وقيل لا يسمى الا اذا انضم لذلك الزهد بنوعيه الاخيرين من ترك الشبهات رأسا وفضول الحلال ومن ثم قال بعضهم لا زهد اليوم لفقد الحلال المحقق وقال الامام أحمد هو على ثلاثة أوجه ترك الحرام وهو زهد العوام وترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص وترك ما يشغل عن الله وهو زهد العارفين وحكي عن جماعة من الصوفية انهم كانوا في موضع على التوكل فضيق عليهم مدة ولم يفتح عليهم بشيء فاتفق أن أحدهم خرج الى الوضوء فخطر ببال أحدهم ان في زاويته ذلك الفقير شيأ من الدنيا فتهجم ففتشه فوجد فيها نصف درهم أسود فقال أصحابه كيف يفتح علينا ومع صاحبنا شيء مذموم قد كتمه فاشار واعليه بسببه كما كان ثم دخل الرجل من الباب وجمع حواجه لينصرف فقيل له لم تنصرف فقال لانكم أفسدتم حتى قالوا وكيف قال لاني ادخرت ذلك النصف درهم لسبب وذلك ان الله اذا أخطر لخلقه الحساب أتيت بذلك النصف درهم الاسود أضعه بين يديه وأقول هذا ما فتحت به على من الدنيا واذا كنتي الحساب فانا لم يفتح على من الدنيا بغيره فتعجبت الجماعة من ذلك وطابت قلوبهم (في الدنيا) باستصغار جانبها والاحتقار لجميع شأنها التصغير الله تعالى لها وتحقيره اياها وتحذيره من غرورها في غير ما آية من كتابه نحو قوله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقوله انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء الى صراط مستقيم وقوله قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى قال بعضهم وصفها بالمتاع لقلة يركنوا اليها وبالقلة ليهون عليهم تركها والدنيا عبارة عما حواه الليل والنهار وأظلته السماء وأقلته الارض واختلف في المزهود منها فقيل الدينار والدرهم وقيل المطعم والمشرب والملبس والمسكن وقيل الحياة والاولى أن دنيا كل انسان بحسب حاله حتى ان كلام الفقيه بين طلبته وكلام الشيخ بين تلامذته وكلام الامير بين أجناده وما أشبه ذلك دنيا بالنسبة لهم الآن يقصد بذلك وجه الله والدار الآخرة وهذا لا يكاد يصح الا من موفق ثم الحامل على الزهد أشياء منها استحضار الآخرة ووقوفه بين يدي مولاه وشاهد ذلك ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يمشي في طريقه اذ لقيه حارثة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أصبحت يا حارثة قال أصبحت والله مؤمنا حقا فقال عليه الصلاة والسلام انظر ما تقول فان لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك قال عزفت نفسي على الدنيا فاستوى عندي حجرها ومدرها وسهرت ليلي وأظمأت نهاري وكاني أنظر الى عرش ربي بارزا وكاني أنظر الى أهل الجنة في الجنة ينعمون والى أهل النار في النار يعذبون قال يا حارثة عرفت فالزم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن ينظر الى رجل نور قلبه بالايمان فلينظر الى هذا ومثل هذا تكون الدنيا سجنه كما قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقيل لبعض النساك ما بال أكثر النساك محتاجون لما في يد غيرهم فقال لان الدنيا سجن المؤمن وهل يأكل المسجون الا من يد المطلق ومنها استحضار أن اذاتها شاغلة للقلوب عن الله تعالى وموجبة لطول الحبس والوقوف في ذلك الموقف العظيم للحساب والسؤال عن شكر نعيمها ومنها كثرة الذل والتعب في تحصيلها وكثرة غبونها وسرعة تقلبها وفنائها ومزاحمة الاراذل في تحصيلها وطلبها ومنها احتقارها عند الله تعالى ومن ثم قال الفضيل لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت على حلالا لا أحاسب بها لتقذرتها كتقذر الجيفة ومنها استحضار آفاتها وما فيها ملعون كما في الحديث الحسن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالم ومتعلم وفي رواية الا ما ابتغي به وجه الله تعالى ومنها ان تركها موجب لرفعة الدرجات وحلول الرضوان الاكبر منه تعالى في دار الكرامات وفي الاثر اذا كان يوم القيامة جمع الله الذهب والفضة كالجبلين العظيمين ثم يقول هذا

آحاده أعشاره فالاحاد الآحاد والاعشار السيآت والاعشار الحسنات والمعنى ان من عمل حسنة واحدة وعشر سيآت لم تغلب آحاده أعشاره لان الحسنة الواحدة تكفر عنه عشر سيآت ومن عمل حسنة واحدة واحدى عشرة سيئة فقد غلبت آحاده أعشاره فالويل له ان لم يعف الله تعالى عنه قال الواحدي في تفسيره روى أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى وكل بعبده ملكين يكتبان عليه فاذا مات قالا يا رب قد قبض عبدك فلان أين نذهب قال سمائي مملوءة من ملائكتي يعبدوني وأرضي مملوءة من ملائكتي يطيعوني اذهبا الى قبر عبدي فسبحاني وكبراني وهللاني واكتبا ذلك في صحيفة عبدي ذلك الى يوم القيامة فهذا يدل على أن الحفظة اثنان وقوله تعالى ان قرآن الفجر كان مشهودا يدل على ان الحفظة أربعة اثنان بالليل واثنان بالنهار على ما ذكره المفسرون حيث قالوا سمي الله صلاة الصبح مشهودة لانها تشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم ان فيكم ملائكة يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار وهم أربعة اذا صعد

في الحديث الثامن والثلاثين)*

الحمد لله الذي خص أولياءه بالكرامة وجعلهم خلفاء لنبيه المبعوث بالرحمة والاستقامة وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تنجي قائلها يوم الحسرة والندامة وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الشفيع المشفع في عرصات القيامة صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين فازوا بالسلامة (عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب الي عبدي بشئ أحب الي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وان سألني أعطيته وان استعاذني لاعيذنه رواه البخاري) اعلموا اخواني وفقني الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم وهو أصل في السلوك والتقرب الى المولى تبارك وتعالى والوصول الى معرفته وهو من الاحاديث الالهية لانه من كلام الله تعالى رواه النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام

ما الناصار الينا سعد به قوم وشقي به آخرون ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم (يحببك) بفتح الباء المشددة والاصل يحببك بكسر الاولى وسكون الثانية مجزوم في جواب الامر الذي هو ازهد فاسكنت الباء الاولى عند ارادة الادغام بنقل حركتها الى الساكن قبلها وهو الحاء فاجتمع ساكنان فحرك الاخير لالتقائهما بالفتح تخفيفا (الله) لانه تعالى يحب من أطاعه ومر سليمان عليه الصلاة والسلام على بلبل بشجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال أتدرون ما يقول قالوا الله ونبيه أعلم قال يقول أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وفي الحديث ابن آدم اذا أصبحت معافى في جسدك آمنا في سربك عندك قوت يومك فعلى الدنيا العفاء وسربك بكسر فسكون نفسك أو بفتح فسكون مذهبك وسلكك أو بفتحتين بيتك والعفاء الهلاك والدروس وذهاب الاثر وقد صح خبر ما شبع آل محمد من طعام ثلاثة أيام تباعا حتى قبض وخبر كان النبي صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة وأهله طاويا لا يجدون عشاء وانما كان خبزهم الشعير وخبر النعمان بن بشير لقد رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم يظل اليوم يلتوي ما يجد من الدقل بالتحريك أردأ التمر ما يملأ بطنه وخبر انه كان يمضي الشهران ولا توقد في أبياته صلى الله عليه وسلم نار وانما طعامهم التمر والماء وخبر أنه صلى الله عليه وسلم مات ودرعه مرهونة عند يهودي على ثلاثين صاعا من شعير أخذه قوتا لاهله ودخل عمر بن الخطاب يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على حصير وقد أثر في جنبيه فبكى عمر رضي الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك فقال ذكرت كسرى وقيصر وعدو الله في الخز والقز والحرير والديباج وأنت رسول الله وخيرته من خلقه على هذا فقال له أفي شك أنت يا ابن الخطاب أما ترضى ان تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة قال بلى قال فهو كذلك وقام الحسن على قبر فقال ان أمر اهذا آخره لحقيق ان يزهد في أوله وان أمر اهذا أوله لحقيق أن يخاف آخره وقال الحسن بن محمد الحريري أسرع المطايا الى الجنة الزهد في الدنيا وأسرع المطايا الى النار حب الشهوات وقال الجنيد ما أخذنا التصوف عن القيل والقال ولكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات وقال أبو بكر الكناني قال لي علي بن سعيد رأيت في النوم امرأة لا أشبه نساء الدنيا فقلت من أنت فقالت حوراء فقلت زوجيني نفسك قالت أخطبني الى سيدي قلت فما مهرك قالت حبس نفسك عن مألوفاتها وقال يحيى بن معاذ الرازي ترك الدنيا شديد وترك الجنة أشد منه وان مهر الجنة ترك الدنيا وقد قال صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تساوي وفي رواية تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وقال سفيان بن عيينة الزهد ثلاثة أحرف زاي وهاء ودال فالزاي ترك الزينة والهاء ترك الهوى والدال ترك الدنيا بجملتها وأنشد بعضهم

فلو كانت الدنيا جزاء لمحسن * اذا لم يكن فيها معاش لظالم
لقد جاع فيها الانبياء كرامة * وقد شبعت فيها بطون البهائم

وسئل معروف الكرخي عن الطائفين بم قدروا على الطاعة قال باخراج الدنيا من قلوبهم قال الفضيل ابن عياض جعل الله الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد وقد اتفق أن ابراهيم بن أدهم قال بت ليلة تحت الصخرة ببيت المقدس فلما كان الليل نزل ملكان فقال أحدهما للآخر من هذا فقال له الآخر ابراهيم بن أدهم فقال له الذي خفضت درجة من درجاته فقال له لم فقال انه اشترى بالبصرة تمرا فوقعت تمرة من تمر البقال على تمره فرجع الى البصرة واشترى تمرا من الرجل ثم انه قلب تمره على التمر ورجع وبات في بيت المقدس تحت الصخرة فلما كان في بعض الليل نزل ملكان من السماء فقال أحدهما لصاحبه من ههنا فقال له ابراهيم بن أدهم فقال له ذاك الذي رد التمر مكانه ورفعت درجته (وازهد فيما عند الناس) باعراضك عما في أيديهم

منها (يحبك) بفتح الموحدة المشددة كما سبق (الناس) لتركك لهم ما أحبوه إذ قلوب أكثرهم مجبولة مطبوعة على حب الدنيا ومن نازع انسانا فيما يحبه كرهه وقلاه ومن لم يعارضه فيه أحبه واصطفاه والناس شامل للانس والجن فيستفاد منه أن الزاهد يحبه الانس والجن قال الحسن لا يزال الرجل كريما على الناس حتى يطمع في دينارهم فإذا فعل ذلك استخفوا به وكرهوا حديثه وأبغضوه وقال اعرابي لاحد البصرة من سيدكم قالوا الحسن قال بم سادكم قالوا احتاج الناس الى علمه واستغنى هو عن دينارهم فقال ما أحسن هذا وسأل كعب الاحبار وهو تابعي عبد الله بن سلام بحضرة عمر بن الخطاب ما بدء العلم من قلوب العلماء بعد ما حفظوه وعقلوه فقال يذهبه الطمع وشره النفس وملاقاة الحاجات الى الناس فقال صدقت وقال ابن عطاء الله الزهد فيما في أيدي الناس سبب لمحبة الخلق والزهد فيما سوى الله سبب لمحبة الخالق فمن أحب العطاء من الخلق دل على بعده من الله فالعطاء منهم حرمان والمنع منهم احسان وذكر الغزالي أن عيسى عليه السلام مر قبيل الصبح برجل نائم ملتف بعباءة فقال يا نائم قم فاذكر الله فقال ما تريد مني يا روح الله وقد تركت الدنيا لاهلها قال فم اذن حبيبي وقال أبو الحسن الشاذلي دخل علي بالمغرب بعض الكبراء فقال ما أرى لك كبير عمل فبم فقت الناس وعظموك فقلت لخصلة واحدة تمسكت بالاعراض عنهم وعن دينارهم وذكر المناوي في شرح الجامع الصغير في تفسير قوله صلى الله عليه وسلم اتخذوا الغنم فانها بركة انه ورد في بعض الآثار أن الخليل عليه الصلاة والسلام كان له أربعة آلاف كلب في عنق كل كلب طوق من الذهب الاحمر زنته ألف مثقال فقيل له في ذلك فقال انما فعلت ذلك لان الدنيا جيفة وطالبها كلب فدفعتها لطالبها انتهى وذكر الشيخ زروق أن شعيبا كان في غنمه اثنا عشر ألف كلب قال صاحب الحقائق ان ابليس لما أخذت منه الدنيا اغتم لها وقار وان لما أعطيها فرح بها فالذي اغتم لما صار ملعونا والذي فرح بها صار تحت الارض مسجونا وتبينا صلى الله عليه وسلم لما عرضت عليه لم يأخذها ولما رادها لم يغتم لما فصارا الى ما صارا وأنشد الشافعي

ومن يذق الدنيا فاني طعمتها * وسيق الينا عذبها وعذابها
فما هي الا جيفة مستحيلة * عليها كلاب همهن اجتذابها
فان تجتنبها كنت سلما لاهلها * وان تجتذبها نازعتك كلابها

(وفي كشف الاسرار)

كن زاهدا فيما حوته يد الورى * تضحى الى كل الانام حبيبا
أوما ترى الخطاف حرم زاده م * فغدا رئيسا في الجمهور قريبا
غيره تورع عن سؤال الخلق طرا * وسل ربا كريما ذا هبات
ودع زاهرات دنيا الاوانى * تراها لا محالة ذاهبات

(ولابي عبيدة)

الرزق باق وان لم يسع صاحبه * حتما ولكن شقاء المرء مكتوب
وفي القناعة كنز لا نفاد له * وكل ما يملك الانسان مسلوب

وسئل عبد الله بن المبارك عن بدء زهده فقال كنت يوما مع اخواني في بستان لنا وذلك حين حملت الاشجار بالثمار من ألوان الفاكهة فاكلنا وشربنا حتى الليل فنمنا وكنت صوامعا بضرب العود والطنبور فقمت في بعض الليل فضربت بصوت رخيم وطائر يصيح فوق رأسي على شجرة العود بيدي ولا يجيبني الى ما أريده فاذا به ينطق كما ينطق الانسان بعني الذي بيده وهو يقول ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق قلت بلى وكسرت العود وصرفت من كان عندي فقد كان هذا

بالمد وفتح الذال المعجمة بعدها نون (بالحرب) أي أعلمته بأني محارب له عنه بمعنى الى مهلكه والولي فيه وجهان أحدهما انه فعيل بمعنى مفعول كقتيل وجريح بمعنى مقتول ومجروح فعلى هذا هو من يتولى الله ورعايته وحفظه فلا يكله الى نفسه لحظة كما قال تعالى وهو يتولى الصالحين والوجه الثاني انه فعيل مبالغة من فاعل كرحيم وعليم بمعنى راحم وعالم فعلى هذا هو من يتولى عبادة الله تعالى وطاعته فيأتي بها على التوالي من غير أن يتخللها عصيان أو فتور وكلا المعنيين شرط في الولاية فمن شرط الولي أن يكون محفوظا كما من شرط النبي أن يكون معصوما وما لكل من كان للشرع عليه اعتراض فليس بولي بل هو مغرور مخادع كذا ذكره الامام أبو القاسم القشيري رضي الله تعالى عنه وغيره من أئمة الطريق رحمهم الله تعالى *(تنبيه)* قال الفاكهاني رحمه الله من حاربه الله أهلكه وقال غيره ايذاء أولياء الله علامة على سوء الخاتمة كما أن كل الرباعافانا

أول زهدي وتشميري وقد قيل من سمي باسم الزاهد فقد سمي بأ لف اسم ممدوح هذا مع ما للزاهدين من راحة القلب والبدن في الدنيا والآخرة والزهاد هم الملوك في الحقيقة كما قال بعضهم

أرى الزهاد في روح وراحة * قلوبهم عن الدنيا مزاحه
اذا أبصرتهم أبصرت قوما * ملوك الارض سيمتهم سماحه

وقال الحسن والله ما أعز الدراهم أحدا لا أذله الله قيل أول ما ضربت الدراهم والدنانير رفعهما ابليس الى جبهته وقبلهما وقال من أحبكما فهو عبدي حقا ومن ثم قال بعضهم انهما لازمة المنافقين يقادون بهما الى النار (حديث حسن) بل صححه الحاكم في المستدرك (رواه) الحافظ الكبير أبو عبد الله ابن يزيد ابن ماجه) القزويني صاحب السنن ولد سنة تسع ومائتين ومات يوم الاثنين لثمان بقين من رمضان سنة ثلاث وتسعين ومائتين (وغيره) كالعقيلي وابن عدي والطبراني والحاكم والبيهقي (باسانيد حسنة) وهو أحد الاحاديث الاربعة التي عليها مدار الاسلام كما مر

(الحديث الثاني والثلاثون)

(عن أبي سعيد سعد) وقيل سنان والمشهور الاول (ابن مالك بن سنان) بن عبيد وقيل عبد بن ثعلبة ابن عبيد بن الابجر وهو خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج الانصاري وزعم بعضهم انه مالزمة المنافقين يقادون بهما الى النار (الخدري) بضم الخاء المعجمة وسكون الدال المهملة ووهم من أعجم الدال نسبة الى جده خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج وقيل نسبة الى حي من اليمن أسلم أبو سعيد وبايع المصطفى صلى الله عليه وسلم على أن لا تأخذه في الله لومة لائم واستصغر يوم أحد فرد فخرج فيمن يتلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رجع من أحد فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال سعد بن مالك فقال نعم بابي أنت وأمي يا رسول فدنا منه وقبل ركبته فقال أحرك الله في أبيك لانه قتل يوم مؤتة شهيدا غازيا أبو سعيد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنتي عشرة غزوة أولها الخندق وكان من الرماة المشهورين وهو معدود من أهل الصفة روى عنه انه قال أصبحت وليس عندنا طعام وقد ربطت حجرا من الجوع فقالت امرأتي ائت النبي صلى الله عليه وسلم فاسأله فقد أتاه فلان فاعطاه وفلان فاعطاه فقلت لا حتى لا أجد شيئا فطلبت فلم أجد شيئا فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فادركت من قوله من يستغن يغنه الله ومن يستعف يعفه الله قال فاسألت أحدا بعده ومازال الله يرزقنا حتى ما أعلم اهل بيت من الانصار أكثر أموالا منا روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف ومائة وسبعون حديثا اتفقا منها على ستة وأربعين وانفرد البخاري بستة عشر ومسلم باثنين وخمسين توفي بالمدينة سنة أربع وسبعين وقيل ثلاث وسبعين وقيل ثلاث وستين والمشهور الاول وله أربع وتسعون سنة ودفن بالبقيع (رضي الله عنه) ينبغي عنهما لان أباه كان صحابيا أيضا (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ضرر) خبر لا محذوف أي في ديننا والخبر بمعنى النهي أي لا يضر أحد غيره (ولا ضرار) فعال بكسر أوله لا يجاز به على اضراره بل يعفو ويصفح أي لا يضر من لا يضره ولا يضر من يضره فالضرر ابتداء الفعل والضرار الجزاء عليه وقيل الضرر ما يضر به الانسان غيره وينفع هو به والضرار ان يضره من غير ان ينتفع وقيل بالعكس وقيل الاول نهي للشخص عن تعاطي ما يضر نفسه والثاني نهي له عن فعل ما يضر غيره وقيل الاول عبارة عن منع ما ينفع الغير والثاني عبارة عن فعل ما يضر به وقيل معنى الاول لا يضر الشخص أخاه فينتقص شيأ من حقه ومعنى الثاني لا يضار الرجل جاره بادخال الضرر عليه وقيل معنى الاول لا يلزمه الصبر على الضرر ومعنى الثاني لا يجوز له اضرار غيره وحينئذ فالجمع بينهما بالتأسيس وقيل انهما بمعنى واحد جمع بينهما للتأكيد فكأنه قال لا تضر لا تضر

روى عن حاتم الاصم عن جماعة من أصحاب العلوم والهمم ان جرجيس نبي الله نبي من أنبياء بني اسرائيل كان في زمانه ملك كثير الفساد مصر على مظالم العباد فمنع الله تعالى غيثه المطر حتى أشرف هو ومن معه على الهلاك والضرر فركب هذا الملك الكافر الظالم القادر في عساكره حتى أتى الى جرجيس فوجده في صومعته وهو يكثر التسبيح والتقديس فقال له يا جرجيس أني أحملك رسالة الى ربك فقال له جرجيس وما ذلك قال تقول لربك يأتينا بالمطر والا آذيته أذية تسمعها سائر البشر فامتنعنا المطر غيره قال فدخل جرجيس الى محرابه وقد خرس من خوف الله تعالى عن جوابه فجاءه جبريل بامر الملك الجليل فقال له هات الرسالة التي معك على الوجه الذي قال لك فقال جرجيس اني أخاف من الله ذي الجلال عند مقال ذلك القول على ما قال فقال جبريل يا جرجيس قل كما قال هكذا أمر العزيز المتعال فقال جرجيس قال ان لم يأتنا بالمطر والا آذيته أذية تسمعها سائر البشر فقال جبريل يا جرجيس ربك يقول لك قل له ماذا تؤذيه

والاول أولى لانه اذا دار الامر بين المجمل على التأسيس والتأكيد فحمله على التأسيس أولى لا سيما في كلام الشارع عليه السلام وقوله ولا ضرار وفي بعض الروايات اضرار ما لهم قال ابن الصلاح ولا يصح لها وبقية الحديث من ضار ضاره الله به ومن شاق شق الله عليه وظاهر الحديث تحريم سائر انواع الضرر قل منه وما كثر الا لدليل لان النكرة في سياق النفي تعم فيحرم على الشخص فتح كوة في جداره يطلع منها على عورات جاره أو احداث فرن أو حمام أو رحى أو معصرة لوجود الضرر بالدخان وصوت الرحى وما أشبه ذلك ولا يحرم عليه تعلية بنائه على جدار جاره وان ظلم عليه أبواب غرفه ومنع الشمس أن تقع في حجرته واذا انهارت بئر جاره وكان له فضل ماء فانه يجب عليه ارسال فضل ماءه الى زرع جاره بشرط ثلاثة احدها أن يكون قد زرع على أصل ماء الثاني ان يشتغل باصلاح بئره الثالث ان يخشى على زرعه الهلاك (حديث حسن) لذاته وله طرق متعددة يرتقي بمجموعها الى درجة الصحة (رواه ابن ماجه والدارقطني وغيرهما) كالحاكم في مستدركه والبيهقي في شعبه وظاهره ان الكل رووه من حديث أبي سعيد والامر بخلافه بل ابن ماجه رواه من حديث ابن عباس وعبادة (مسندا) وهو المتصل الذي لم يحذف من اسناده أحد (ورواه) امام الائمة وناصر السنة أبو عبد الله (مالك) بن أنس بن مالك ابن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان بن خثين بن عمرو بن الحارث وهو ذو صبح وغيمان بالغين المعجمة مفتوحة والياء باثنتين من أسفله ساكنة ذكره غير واحد وخثين بالخاء المعجمة مضمومة وثاء مثلثة مفتوحة وياء باثنتين من أسفله ساكنة وقال أبو الحسن الدارقطني جثيل بالجيم وحكاه عن الزبير وأما من قال عثمان بن خيثلا وابن حنبل فقد صحفوا وأبو عبد الله جد أبي مالك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد المغازي كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا بدرا وابنه مالك جد مالك كنيته أبو أنس من كبار التابعين وهو أحد الاربعة الذين حملوا عثمان ليلا الى قبره وغسلوه ودفنوه وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوشك ان يضرب الناس اكباد الابل في طلب العلم وفي رواية يلتمسون العلم فلا يجدون عالما أعلم وفي رواية أتقى من عالم المدينة وفي رواية من عالم المدينة وفي بعضها آباط الابل مكان اكباد الابل وقد ذكر السائق ان المراد بها مالك لان طلبة العلم لم يضربوا اكباد الابل من مشرق الارض ومغربها الى عالم ولا رحلوا اليه من الآفاق رحلتهم الى مالك وقال الشافعي مالك استاذي وعنه أخذنا العلم وما أحد امن على من على مالك وحجتي مالك كما حجتي بيني وبين الله تعالى واذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب ولم يبلغ أحد مبلغ مالك في العلم يحفظه واتقانه وصيانته وقال العلم يدور على ثلاثة مالك والليث وسفيان بن عيينة وحكي عن الاوزاعي انه كان اذا ذكره قال عالم العلماء وعالم أهل المدينة ومفتي الحرمين وقال ابن معين مالك حجة الله على خلقه امام من أئمة المسلمين مجمع على فضله واختلف في جعل أم الامام به فقال ابن تابع الصائغ والواقدي ومعن ومحمد بن الضحاك حملت به أمه ثلاث سنين وقاله بكار بن عبد الله الزبيري وقال فضجته والله الرحم قال ابن منذر وهو المعروف وروى عن الواقدي انها حملت به سنتين والاشهر انه ولد سنة ثلاث وتسعين من الهجرة وقيل سنة اربع وتسعين في ربيع الاول في خلافة الوليد وقيل سنة تسعين وقيل سنة ست وقيل سنة سبع وكان طويلا جسيما عظيم الهامة شديد البياض الى الصفرة حسن الصورة عظيم اللحية تام الها تبلغ صدره ذات سعة وطول وكان ياخذ أطراف شاربه ولا يحلقه ولا يحفيه ويرى حلقه من المثلة وكان يترك له سبالين طويلين ويحتج بفعل عمر رضي الله عنه اذا أهمه أمر وقال بعضهم كان زبعة والاول أشهر وقاله رجل عن مسألة شبادره ابن القاسم فاقتاده فاقبل عليه مالك كالمغضب وقال جسرت على ان تفتي يا عبد الرحمن بكر رها عليه ما أفتيت حتى يشك أن ما تعتقد

الموحد لا تعذبه أبدا أشهد أن لا اله الا الله ولا معبود بحق سواه اخرجوا من قلبه هذا الحديث الالهي

موضع قلم يمكن قيل له من سألت قال الزهري وربيعة الراوي وذكر الدميري في شرح المنهاج ان امرأة غسلت ميتة فالتصقت يد الغاسلة بفرج الميتة فتحير الناس في أمرها هل تقطع يد الغاسلة أو فرج الميتة فاستفتي مالك فقال سلوها ما قالت لما وضعت يدها عليها فسألوها فقالت قلت طالما عصى هذا الفرج ربه فقال مالك هذا قذف اجلدوها ثمانين تخلص يدها فجلدوها ثمانين فخلصت يدها فمن ثم نودي لا يفتي ومالك بالمدينة وكان اذا جلس جلسة لم يتحرك عنها حتى يقوم قال عبد الله بن المبارك كنت عند مالك وهو يحدثنا فلدغته عقرب ستة عشر مرة ومالك يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من المجلس وتفرق الناس قلت له يا أبا عبد الله لقد رأيت اليوم منك عجبا فقال انما صبرت اجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الهيثم بن جميل شهدت مالكا سئل عن ثمان وأربعين مسئلة فقال في اثنتين وثلاثين منها لا أدري وكان يقول ينبغي أن يورث العالم جلساءه قول لا أدري حتى يكون ذلك اصلا في أيديهم يفزعون اليه فاذا سئل أحدهم عما لا يدري قال لا أدري وقال أحمد بن حنبل كان مالك مهابا في مجلسه لا يرد عليه اعظاما له وكان الثوري في مجلسه فلما رأى اجلال الناس له واجلاله للعلم أنشد

يأبى الجواب فلا يراجع هيبة * فالجاهلون لنوا كس الاذقان
أدب الوقار وعز سلطان التقى * فهو المهيب وليس ذا سلطان

قال بشر الحافي من زينة الدنيا أن يقول الرجل حدثنا مالك وكان كثيرا ما يمثل الامام كما سلف بهذا البيت

وخير أمور الدين ما كان سنة * وشر لامور المحدثات البدائع

ولما قدم المدينة المهدي جاءه الناس مسلمين عليه فلما أخذوا مجالسهم استأذن فقال الناس اليوم يجلس مالك آخر الناس فلما دنا ورأى ازدحام الناس قال يا أمير المؤمنين أين يجلس شيخك مالك فناداه عندي يا أبا عبد الله فتخطى الناس حتى وصل اليه فرفع المهدي ركبته اليمنى وأجلسه ثم أتى المهدي بالطشت والابريق فغسل يده ثم قال للغلام قدموه الى أبي عبد الله فقال مالك يا أمير المؤمنين ليس هذا من الامر المعمول به ارفع يا غلام فاكل مالك غير متوضئ وقال القاضي عياض قال الشافعي قال لي محمد ابن الحسن رضي الله عنهما أيهما أعلم صاحبنا ام صاحبكم يعني أبا حنيفة ومالكا فقال قلت على الانصاف قال نعم قال فقلت فانشدك من أعلم بالقرآن صاحبنا أم صاحبكم فقال اللهم صاحبكم قال قلت أنشدك الله من أعلم بالسنة صاحبنا أم صاحبكم قال اللهم صاحبكم قال فقلت أنشدك الله من أعلم باقاويل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحبنا أم صاحبكم قال اللهم صاحبكم قال الشافعي قلت فلم يبق الا القياس فقلي أي شيء نقيس قال في مختصر الدر الثمالت لي عمتي ونحن بمكة رأيت في هذه الليلة عجبا قلت وما هو قالت كأن قائلا يقول مات الليلة أعلم اهل الارض فحسبنا تلك الليلة فاذا هي الليلة التي مات فيها مالك ورأى عمر بن يحيى بن سعد الانصاري في الليلة التي مات فيها مالك قائلا يقول

لقد أصبح الاسلام زعزع ركنه * غداة ثوى الهادي الى ملحد القبر
امام هدى ما زال للعلم صائنا * عليه سلام الله في آخر الدهر

قال فانتبهت فكتبت البيتين على السراج واذا الصارخة على مالك رضي الله تعالى عنه واختلف في تاريخ وفاته انها كانت في ربيع الاول لتمام اثنين وعشرين يوما من مرضه في ربيع الاول سنة تسع وسبعين ومائة وقيل لعشر مضت منه وقيل لاربع عشرة ولثلاث عشرة ولاحدى عشرة وقيل لاثنى عشرة من رجب وغسله ابن كنانة وابن الزبير وابن يحيى وكاتبه حبيب يصب عليه الماء ونزل في قبره جماعة وأوصى أن يكفن في ثياب بيض ويصلى عليه في موضع الجنائز وبلغ كفنه خمسة دنانير قال ابن

إن التقرب الى الله تعالى اما بالفرائض واما بالنوافل وأحب القسمين الى الله تعالى الفرائض فلذلك قال (وما يتقرب الى عبدي) الاضافة للتشريف (بشيء أحب الي مما افترضت عليه) عينا أو كفاية كاداء الحقوق والامر بالمعروف وغير ذلك وانما كان الفرض احب الى الله تعالى من النفل لامور منها انه أكمل من حيث أن الامر به جازم متضمن للثواب على فعله والعقاب على تركه ومنها أن الفرض كالاصل والاساس والنفل كالفرع والبناء ومنها ان في الاتيان بالفرائض على الوجه المأمور به امتثال الامر واحترام الآمر به وتعظيمه بالانقياد اليه واظهار عظمة الربوبية وذل العبودية فكان التقرب بذلك أعظم العمل (قوله وما يزال عبدي) في رواية وما زال (يتقرب الي بالنوافل) من الصلاة وغيرها (حتى احبه) بضم الهمزة وفتح الباء والمراد يفعل بعد أداء الفرائض ما يحصل به التقرب عادة من فعل الاحسان ونحوه اذ الله

تعالى منزه عن الوصف بالقرب والبعد ومن ثم قال الاستاذ ابو القاسم القشيري رحمه الله قرب العبد من ربه يكون بالايمان ثم بالاحسان

ولا يتم قرب العبد من الحق الا ببعده عن الخلق قال وقرب الرب بالعلم والقدرة عام للناس وبالعطف والنصرة خاص بالخواص وبالتانيس خاص بالاولياء قال الفاكهاني رحمه الله معنى الحديث أنه اذا أدى الفرائض وداوم على اتيان النوافل من صلاة وصيام وغيرهما أفضى به ذلك الى محبة الله تعالى (قوله فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها) قالوا المعنى كنت أسرع الى قضاء حوائجه من سمعه في الاستماع وبصره في النظر ويده في البطش ورجله في المشي وقال بعضهم ويجوز أن يكون المعنى كنت معينا له في الحواس المذكورة وقيل غير ذلك من الاقوال التي لا حاجة لنا بالاطالة بنقلها (قوله وان سألني أعطيته) اى ما سال (قوله وان استعاذني) بالباء والنون اى طلب مني أن أعيذه مما يخاف لاعيذنه والمراد انه تعالى يتولى وليه في جميع احواله بحسن تدبيره ويكلؤه بحسن رعايته كالوالد الوليد * (فائدة) * قال بعضهم اذا أراد الله تعالى أن يوالي عبده

القاسم مات مالك عن مائة عملة فضلا عن سواها (في) كتابه (الموطا) وأشد بعضهم

أقول لمن يروي الحديث ويكتب * ويسلك سبل الفقه فيه ويطلب
اذا شئت أن تدعى لدى الخلق عالما * فلا تعدما تحوي من العلم بثرب
أتترك دارا كان بين بيوتها * يروح ويغدو جبرئيل المقرب
ومات رسول الله فيها وبعده * بسنته أصحابه قد تأدبوا
وفرق شمل العلم في تابعيهم * فكل امرئ منهم له فيه مذهب
فخالصه بالسبك للناس مالك * ومنقحه صحيح في الجس وأجرب
فبادر موطا مالك قبل فوته * فما بعده ان فات للخلق مطلب
ودع للموطا كل علم تريده * فان الموطا الشمس والغير كوكب
ومن لم يجز كتب الموطا بيته * فذاك من التوفيق بيت مخيب
جزى الله عنا في الموطا مالكا * بافضل ما يجزى اللبيب المهذب
لقد فاق أهل العلم حيا وميتا * فصارت به الامثال للناس تضرب
فلا زال يسقى قبره كل عارض * بمندفق ظلت غواليه تسكب

(مرسلا) وهو عند المحدثين ما حذف من اسناده الصحابي (عن عمرو بن يحيى) المازني (عن أبيه) يحيى بن عمارة (عن النبي صلى الله عليه وسلم فاسقط) من السند (أبا سعيد) الخدري (وله طرق) ضعيفة لكن (يقوى بعضها بعضا) لان الاسانيد الواهية اذا اجتمعت قوى بعضها بعضا وفي المثل

ان القداح اذا اجتمعن فرامها * بالكسر ذو حنق وبطش زائد
عزت فلم تكسر وان هي بددت * فالكسر والتوهين للمتبدد

(وقال آخر) لا تخاصم بواحد أهل بيت * فهم عيقان يغلبان قويا

* (الحديث الثالث والثلاثون) *

(عن) حبر الامة مفسر التنزيل ومبين التأويل أبي العباس عبد الله (ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو) حرف امتناع لامتناع أي امتناع الشئ لامتناع غيره أي تقتضي امتناع الجواب لامتناع الشرط كما عليه جمهور النحاة أولما كان سيقع لوقوع غيره كما عليه امامهم سيبويه وعليه فلا اشكال لان دعوى رجال أموال قوم كان سيقع لوقوع اعطاء الناس بدعاويهم وكذا الاشكال على الاول أيضا وان وقع دعوى بعض الناس مال بعض سواء أعطوا بدعاويهم أم لا لان المراد بدعوى الرجال أموال قوم اعطاؤهم اياها ودفعها اليهم أي لو يعطى الناس بدعواهم لاخذ رجال أموال قوم وسفكوا دماءهم فوضع الدعوى موضع الاخذ لانها سببه ولا شك ان أخذ مال المدعى عليه ممتنع لامتناع اعطاء المدعي بمجرد دعواه وكذلك أخذ ما سيقع لوقوع اعطاء المدعي بدعواه ولا يقع بدون ذلك فصح معنا لو هنا على القولين قاله الشارح الهيتمي (يعطى الناس) المفعول الثاني محذوف أي الاموال والدماء (بدعواهم) أي لو كان كل من ادعى شيأ عند الحاكم يعطاه بمجرد دعواه بلا بينة (لادعى) جواب لو وفي رواية ابن ماجه ادعى بحذف اللام (رجال) جمع رجل وهو الذكر البالغ من بني آدم وذكرهم للاخراج النساء بل لان الدعوى غالبا انما تصدر منهم أو من باب الاكتفاء باحد القبيلين كسر بيل تقيكم الحر ويؤيده رواية لادعى ناس وأتى بصيغة الجمع للاشارة الى اقدام غير واحد على ذلك والدعوى كما قال ابن عرفة قول بحيث لو سلم أوجب لقائله حقا (أموال قوم) اسم جمع وشذ من جمعه على أقوام قيل يختص الرجال لقوله تعالى لا يسخر قوم من

قوم عنى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء فذكرهن دليل ظاهر على ان القوم لم يشملن وبه صرح زهير في قوله وما أدري ولست أخال أدري * أقوم آل حصن أم نساء

وسمي الرجال قواما لقيامهم بالمهمات وعظائم الامور وقيل يعم الفريقين اذهم المراد في نحو كذبت قوم نوح ليس بارض قومي وردبان دخولهن هنا ليس لغة بل لقرينة نحو التكليف في الآية وحكمة التعبير برجال ثم قوم على الاول تفننا ودفعا لكراهة تكرار أحدهما وعلى الثاني ان الغالب في المدعى ان يكون رجلا اذ الامر أة لا يليق بها حضور مجالس الحكام والمدعى عليه يكون رجلا أو امرأة (ودماءهم) قدم الاموال على الدماء هنا مع ان الدماء أهم وأعظم خطرا ولذا ورد بها أول ما يقضى فيه بين الناس لان المخصومات في الاموال أكثر وأغلب اذ أخذها أيسر وامتداد الايدي اليها أسهل ومن ثم ترى العصاة بالتعدي عليها أضعاف العصاة بالقتل على ان العطف بالواو لا يفيد ترتيبا وفي رواية الصحيحين لادعى ناس دماء رجال وأموالهم فقدم الدماء عليها الشرفها وعظم خطرها على ان العطف بالواو لا يقتضي الترتيب (لكن) هي هنا للاستدراك وان لم تأت لفظا على قانونها من وقوعها بين نفي واثبات نحو ما قام زيد لكن عمرو وهي ههنا بعد اثبات ولا نفي قبلها لكن يصح معنى الاستدراك الذي هو مؤادها لكنها جارية عليه تقديرا اذ المعطى لا يعطى الناس بدعواهم المجردة لكن بالبينة وهي على المدعي (البينة) فعيلة من البينات (على المدعى) لان جانب المدعي ضعيف لدعواه خلاف الاصل ولو كان فاضلا شريفا أو محقا والمدعى كما قال ابن عرفة من غريت دعواه من مرجح غير شهادة والمدعى عليه من اقترنت دعواه به والمرجح اما معهود كدعوى شخص على آخر وديعة أو عارية فيدعي ردها فمدعي الرد هو المدعى عليه لما عهد في الشرع اذ الراد لا يحتاج لاقامة بينة واما أصل كمدعي رق شخص فيجب الآخر بالحرية فمدعي الحرية هو المدعى عليه لانها الاصل في الناس وانما عرض لهم الرق بسبب السبي بشرط الكفر ومعنى كون البينة على المدعي أنه يستحق بها لانها واجبة عليه ثم ان الدعوى الصحيحة المسموعة هي أن يكون المدعي به معلوما محققا فلو قال لي عليه شيء لم تسمع دعواه وكذا لو قال أظن أن لي عليه كذا (واليمين على من) غيرها دون الاول مع انه كان يمكن ان يؤتى باسم الفاعل فيهما أو بمن فيهما لان المدعي يذكر أمرا خفيا لعروض دعواه عن المرجح والمدعى عليه يذكر أمرا ظاهرا لاقتران دعواه به ولا شك أن الموصول لاشتراط كون صلته معهودة أظهر من المعرف فاعطى الخفي للخفي والظاهر للظاهر ويحتمل ان يقال ان في المدعي ضربا من التعريف المعنوي لظهوره واقدامه على الدعوى فاتى فيه بلام التعريف المناسب له والمنكر فيه ضرب من الابهام والتنكير لاستخفائه وتأخيره وكونه اذا سكت لا يترك فاتى فيه بمن اذ فيها ابهام شبيه بحاله وزعم أن ذلك سؤال دوري غير صحيح (أنكر) لان جانب المنكر قوي لموافقته للاصل في البراءة والبينة حجة قوية لبعدها عن التهمة واليمين حجة ضعيفة لقربها منها فجعل القوي في جانب الضعيف والضعيف في جانب القوي وهو جانب المنكر تعديلا وهو توجيه حسن زاد الدارقطني الا في القسامة أي لان اليمين فيها على المدعي وكذا اليمين مع الشاهد الواحد في جانب المدعي وكذا يمين المدعي اذا ردها عليه المنكر وكذا يخص بمسئلة الحيازة فان البينة لا تسمع من المدعي ولا تتوجه اليمين على من أنكر لحديث ابن المسيب وزيد بن أسلم من حاز شيأ عشر سنين فهو له وكذا بالطلاق والنكاح والقذف فان اليمين لا تتوجه فيها على المنكر بمجرد الدعوى لورود المخصصات بها وقوله واليمين على من أنكر شمل ما كان المدعي بينه وبين المدعى عليه اختلاط أم لا فان لم يحلف لم يقض للطالب حتى يحلف اذا كانت الدعوى دعوى تحقيق وان كانت دعوى اتهام غرم المطلوب بمجرد نكوله فان قلت ما الحكمة في أن البينة على من ادعى واليمين على من أنكر فالجواب ان جانب المدعي ضعيف

ثم رفع عنه الحجب وأدخله دار القرب وكشف له الجلال والعظمة فاذا وقع بصره على الجلال والعظمة خرج من حسه ودعاوى نفسه ويحصل حينئذ في مقام العلم بالله فلا يتعلم بالخلق بل بتعليم الله وتجليه لقلبه فيسمع ما لم يسمع ويفهم ما لم يفهم

* (خاتمة المجلس) * قال بعض العارفين علامة محبة الله تعالى بغض المرء نفسه لانها مانعة له من المحبوب فاذا وافقته نفسه في المحبة أحبها لا لانها نفسه بل لانها تحب محبوبه اللهم توفنا في جميع أمورنا آمين آمين والحمد لله رب العالمين

* (المجلس التاسع والثلاثون في الحديث التاسع والثلاثين) *

الحمد لله الذي اختص من مخلوقاته الانسان ورفع عنه بكرمه الخطأ والنسيان وأشهد أن لا اله الا الله القديم المحمود بكل لسان وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله المؤيد بمعجزات القرآن صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وذريته ذوي الولاية والاحسان

(عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا

عليه رواه ابن ماجه والبيهقي وغيرهما) اعلموا اخواني وفقني الله وإياكم لطاعته أن هذا الحديث حديث عظيم

لعرو وقوله عن المرجحات وجانب المنكر قوى لموافقته الاصل فى براءة ذمته اذ هو المعهود والبينة حجة قوية لبعدها عن التهمة واليمين حجة ضعيفة لقربها منها فجعلت الحجة القوية وهى البينة فى الجانب الضعيف وهو جانب المدعى والحجة الضعيفة فى الجانب القوى وهو جانب المنكر تعديلا * (فائدة) * قال بعض العلماء ان فصل الخطاب فى قوله تعالى وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب هو البينة على من ادعى واليمين على من أنكر * (نكتة) * فى الحلية فى ترجمة عكرمة قال كانت القضاة فى زمن بنى اسرائيل ثلاثة فمات أحدهم فولى مكانه غيره ثم قضوا ما شاء الله أن يقضوا ثم بعث الله تعالى فيهم ملكا يمتحنهم فوجد رجلا يستى بقرة على ماء وخلفها عجلة فدعاها الملك وهو راكب فرسا فتبعتها العجلة فتخاصما فقال ابنها القاضى بقا آلى القاضى الاول فدفع اليه الملك درة كانت معه وقال له احكم بان العجلة لى وقال بماذا أحكم قال أرسل الفرس والبقرة والعجلة فان تبعت الفرس فهى لى فارسلها فتبعت الفرس فحكم له بها وأتى الى القاضى الثانى فحكم له كذلك وأخذ درته وأما القاضى الثالث فدفع له الملك درة وقال له احكم لى بها فقال انى حائض فقال الملك سبحان الله أحيض الذكر فقال له القاضى سبحان الله أتلد الفرس بقرة وحكم بها لصاحبها (حديث حسن) وصحيح أيضا كما ذكره المؤلف فى موضع آخر وذكره غيره (رواه) الامام أبو بكر أحمد بن الحسين (البيهقى) بفتح الباء والهاء نسبة الى بيهق قرى مجتمعة بناحية نيسابور بلغت تصانيفه نحو الالف قال السبكى ولم يتفق ذلك لاحد واعتنى بجمع نصوص الشافعى وتخريج أحاديثها حتى قال امام الحرمين ما من شافعى الا وللشافعى عليه منة الا البيهقى فان له على الشافعى المنة ولد سنة أربع وثمانين وثلثمائة ومات بنيسابور سنة ثمان وخمسين واربعمائة (وغيره هكذا) أى بهذا اللفظ المذكور (وبعضه فى الصحيحين) اذ لفظهما كما فى الجمع بينهما للجندى عن ابن عباس لو يعطى الناس بدعواهم لادعى ناس دماء رجال وأموالهم ولكن اليمين على المدعى عليه * (الحديث الرابع والثلاثون) *

(عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رأى) أى علم سواء أبصر أم لا لان الرؤية بالبصر لا تشترط فهى قلبية ويصح كونها بصرية ويقاس غير المبصر على حكم المبصر والاول أشبه وهذا الحديث قاله أبو سعيد الخدرى لما قام مروان خطب العيد وقال له رجل الصلاة قبلها فقال هل ترك ما هنالك فقال أبو سعيد أما هذا فقد قضى ما عليه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث وهو أدل دليل على أن أول من فعل هذا مروان لا عثمان ولا عمر اذ لم يصح ذلك لكن فى الصحيحين عن أبى سعيد انه هو الذى حدث به مروان حين رآه يصعد المنبر فرد عليه مروان بمثل ما رد على الرجل فيجوز أن تكون قصة أخرى (منكم) أى معشر المكافين القادرين فخرج نحو صبى ومجنون وعاجز والخطاب لجميع الامة لا الحاضر فقط (منكرا) أى شيأ قبيحا قبحه الشرع قولا أو فعلا ولو صغيرة (فليغيره) أى بزيله وجوبا عينيا ان انفرد بعلمه وكفائيا ان شاركه غيره والوجوب بالشرع لا بالعقل خلافا للمعتزلة وله شروط الاول أن يكون عالما بذلك اذ لا يعكس الثانى أن لا يؤدى تغييره الى مفسدة أعظم كنهيه عن زنا فيؤدى لقتل الثالث أن يكون مجمعا على تحريمه أو يكون مدرك القائل بحله ضعيفا كشرب النبيذ ونكاح المتعة الرابع أن يكون ظاهرا فى الوجود فلا يتجسس على الناس ولا يقتحم الدور ولا يبحث عما خفى فى كم ونحوه الخامس أن يعلم أو يظن أنه يفيد وبانتفاء الشرط الاول ينتفى الجواز وبانتفاء الاخير ينتفى الوجوب ويبقى الجواز والندب ثم انه لا يشترط فى النهى عن المنكر أن يكون المتلبس به عاصيا كقاتل الباغى المتأول وضرب الصبيان على فعل الفواحش وقتل الصائل من صبى أو مجنون اذا لم يمكن دفعهما الا به وعلم مما سبق ان التجسس غير مطلوب بل هو مذموم

عام النفع ومحل الاطالة فى الامور التى تضمنها كتب الفقه لكن نذكر شرحه مختصرا على وجه لطيف فنقول (قوله ان الله تعالى تجاوز) معناه عفا (قوله لى عن أمتى) أى لاجلى (قوله الخطأ) هو نقيض الصواب قال الآمدى الخطئ من أراد الصواب فصار الى غيره والخاطئ من فعل مالا ينبغى مصيدا قاله تحديث لا يتذكر الخاطئ (قوله والنسيان) هو عدم الذكر للشئ لذهول أو غفلة (قوله وما استكرهوا عليه) أى قهروا عليه فهذه الثلاثة مرفوعة عن هذه الامة كرامة لمحمد صلى الله عليه وسلم اذ تقع فى العبادات وغيرها كالطهارة والصلاة والصوم والحج والنكاح والطلاق والعتق وشرط الاكراه مذكور فى كتب الفقه * (تنبيه) * قال الكابى رحمه الله تعالى كانت بنو اسرائيل اذا تناولوا شيأ مما أمروا به أو أخطؤا عجلت لهم العقوبة به فحرم عليهم شئ من مطعم أو مشرب بحسب ذلك الذنب فامر الله تعالى المؤمنين أن يسألوه ترك مؤاخذتهم بذلك بقوله تعالى ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا وقد سهل الله

منهى عنه لقوله تعالى ولا تجسسوا واستثنى الماوردى من ذلك ما اذا أخبره من يثق بقوله ان رجلا خلا برجل ليقتله أو امرأة ليزنى بها فانه يجوز له فى مثل هذه الحالة أن يتجسس ويقدم على الكشف والبحث حذرا من فوات ما لا يستدرك وأما العدالة واذن الامام فالمشهور عدم اشتراطها الا ان يخاف من المفسدة فلا بد من اذن الامام وروى عن عمر رضى الله عنه انه أحس من رجل بالحنا فشهر عليه فرآه على منكر فصاح عليه فقال الرجل يا أمير المؤمنين أنا عصيت الله فى واحدة وقد عصيته أنت فى ثلاث قال وما هن قال تجسست وقد قال الله تعالى ولا تجسسوا فقد نهى وأتيت البيوت من ظهورها وقد أمر الله باتيانها من أبوابها ودخلت غير بيتك من غير أن تستأذن وتسلم وقد أمر الله بذلك فقال له عمر ضدقت واستغفر لنا فقال غفر الله لنا ولك يا أمير المؤمنين وذكر بعضهم أنه مشى عمر رضى الله عنه بالليل فرأى نارا فى بيت فأتى اليها فاذا قوم يشربون وشيخ بينهم فاقتحم عليهم وقال يا أعداء الله أمكن الله منكم فقال الشيخ ما نحن بأعظم منك ذنبا يا أمير المؤمنين ان عصينا الله فى واحدة فقد عصيته أنت فى ثلاث فقال له عمر وما هن فقال تجسست وقد قال الله تعالى ولا تجسسوا وأتيت البيوت من ظهورها وقد أمر الله باتيانها من أبوابها ودخلت بيتا غير بيتك من غير استئذان ولا تسليم وقد أمر الله تعالى بذلك فاحتشم عمر وقال صدقت استغفر لى فقال الشيخ غفر الله لنا ولك وقد كان الحسن البصرى يقول اياكم والتجسس فوالله لقد أدركت ناسا لا عيوب لهم فتجسسوا على عيوب الناس فاحدث الله لهم عيوبا (بيده) لانها أبلغ فى تغييره كاراقة الخمر وتفكيك آلة اللهو والحيلولة بين الضارب والمضروب ورد المغصوب الى مالكه ونزع الحرير من لابسه فاذا احتاج الى اظهار سلاح أو حرب رفع الى السلطان وقد حكى أن شجرة كان يعبدها الناس فقصد رجل قطعها فلما شرع فى القطع جاء الشيطان وأراد منعه فلم يقدر الشيطان عليه فقال له أترك القطع وأعطيك كل يوم كذا وكذا من الدراهم تجده فى فراشك فامتنع من القطع ورجع فوجد الدراهم يومين أو ثلاثة ثم فقدها فى اليوم الرابع فغضب وأخذ الفاس وتوجه الى الشجرة فلقيه الشيطان فى الطريق فتصارع معه فغلبه الشيطان لان فى المرة الاولى كان قصده مخلصا لله تعالى وفى المرة الثانية الما غضب لاجل الدنيا (فان لم يستطع) الانكار بيده (فبلسانه) بأن ينهاه بالقول وتلاوة ما أنزل الله من الوعيد والقول كصياح واستغاثة وتوبيخ وتذكير بالله وأليم عقابه مغلظين واغلاظ بحسب ما يقتضيه الحال وقد يبلغ بالرفق والسياسة ما لا يبلغ بالسيف والرآسة ولذا قال بعض العلماء من رأى عورة أحد فى الحمام ينبغى أن يكون انكاره عليه بهذه الصيغة وهى أن تقول له استر عورتك لله وقد روى أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر شرب الخمر بالشام فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب له حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا اله الا هو اليه المصير فترك الرجل الخمر وتاب منها وحكى التاج السبكى عن أبيه انه كان يجتمع بعض الامراء وكان الامير يلازم الحرير فقال يا أمير بكم الذراع من هذا فقال بدينار فقال فى الصوف ما يساوى كل ذراع منه دانيرو مماليكك وخدمك بشار كونك فى لبس الحرير ولا يليق بشهامتك أن يساووك فاعدل الى الصوف فانه أعلى وأغلى مع ما فيه من السلامة من العقاب الاخروى فاستحسن كلامه ولو قال له ابتداء هذا حرام لم يفد قال العارف ابن العربى لو كشف لولى أن فلانا يزنى بفلانة أو يشرب الخمر لزمه النهى ولم يسقط عنه لان نور الكشف لا يطفئ نور الشرع فشاهدته من طريق الكشف لا تسقط النهى عنه لانه تعالى تعبدنا بازالة المنكر وان شهدنا بكشفنا أنه محتم الوقوع وظاهر الحديث أنه يلزمه الامر والنهى وان كان هو لم يمتثل ذلك وبه صرح فى رواية الطبرانى من حديث أنس قلت يا رسول الله لا أمر بالمعروف حتى نفعله ولا أنهى عن المنكر حتى نجتنبه فقال مروا

كذا فى (الفوائد والقلائد) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله كتب كتابا قبل ان يخلق السموات والارض بألفى عام فانزل منه

(فوائد) الاولى لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به الى سدرة المنتهى ثم الى حيث شاء الله تعالى الاعلى وأعطى الصلوات الخمس وأعطى خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيأ المقحمات كبائر الذنوب (الفائدة الثانية) قال النبى صلى الله عليه وسلم الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما فى ليلة

الله تعالى أمته بكرامات لاجله عليه أفضل الصلاة والسلام

*(ولنختم هذا المجلس اللطيف) *بنكتة تشتمل على شئ من فضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال وهب بن منبه لما قرأ موسى عليه السلام الالواح وجد فيها فضيلة أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال يارب ما هذه الامة المرحومة التي أجدها في الالواح قال هم أمة محمد يرضون مني باليسير أعطيهم اياه وأرضى منهم باليسير من العمل أدخل أحدهم الجنة بشهادة أن لا اله الا الله قال فاني أجد في الالواح أمة يحشرون يوم القيامة على صورة القمر ليلة البدر فاجعلهم أمتي قال هم أمة محمد أحشرهم يوم القيامة غرا محجلين قال يارب اني أجد في الالواح أمة أرديتهم على ظهورهم وسيوفهم على عواتقهم أصحاب رؤس الصوامع يطلبون الجهاد بكل أفق حتى يقاتلون الدجال فاجعلهم أمتي قال هم أمة محمد قال يارب اني أجد في الالواح أمة يصلون في اليوم والليلة خمس صلوات في بيعة أوفاس تفتح لهم أبواب السماء وتنزل عليهم الرحمة فاجعلهم أمتي قال هم أمة محمد قال يارب

بالمعروف وان لم تفعلوه وانهوا عن المنكر وان لم تجتنبوه كله لانه يجب ترك المنكر وانكاره فلا يسقط أحدهما بترك الآخر ولهذا قيل للحسن فلان لا يعظ ويقول أنا أخاف أن أقول مالا أفعل وأينا يفعل ما يقول ودا الشيطان لو ظفر بهذا فلم يأمر أحد بمعروف ولم ينه عن منكر ولو توقف الامر والنهي على الاجتناب لرفع الامر بالمعروف وتعطل النهي عن المنكر وانسد باب النصيحة التي حث الشارع عليها سيما في هذا الزمان الذي صار التلبس فيه بالمعاصي شعار الانام ودثار الخاص والعام ولا يعارض هذا ما صح أنه صلى الله عليه وسلم رأى في النار قوما يدورون كما تدور الرحى فسأل جبريل عنهم فقال كانوا يأمرون بالمعروف ولا يفعلونه وينهون عن المنكر ويفعلونه لان تعذيبهم انما هو على فعل المنكر لا على تركه ولا ينافي ما تقرر من الواجب قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم لانها محمولة على ما اذا عجز المنكر عن ازالة المنكر ولا شك في سقوط الوجوب حينئذ على ان معناها عند المحققين انكم اذا فعلتم ما كلفتم به لا يضركم تقصير غيركم نحو ولا تزر وازرة وزر أخرى وعما كلفتم به الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فاذا لم يمتثلوه الخاطب فلا عتب حينئذ لان الواجب الامر بالمعروف لا القبول (فان لم يستطع) الانكار بلسانه لوجود مانع كخوف فتنة أو على نفس أو عضو أو مال محترم (فبقلبه) أي فينكر بقلبه اذ لا تغيير بالقلب ويشبه هذا التركيب قوله صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب فان لم تستطع فمستلقيا لا يكلف الله نفسا الا وسعها أي وعلى حد علفتها تبنا وماء باردا لكن فيه انه من خصائص الواو ألا ترى قول ابن مالك وهي انفردت * كلف عامل مزال قد بقي * معموله ومعنى الانكار بالقلب كراهة الفاعل للمنكر وظهور ذلك على جوارحه ان لم يخف على نفسه والعزم على انه لو قدر غيره بقول أو فعل وهذا واجب عينا على كل أحد بخلاف الذين قبله فانهم ما قد يكونان فرض كفاية كما سلف وذكر الشيخ الشعراني في المنن عن سيدي ابراهيم المتبولي ان تغييره باليد يكون للولاة الذين يضربون ولا يضربون وتغييره باللسان للعلماء العاملين فيؤثر زجرهم باللسان في قلب ذلك المنكر عليه فيرجع عن ذلك المنكر وتغييره بالقلب على العارفين الذين غلب عليهم شهود احتقارهم نفوسهم ان يكونوا ناهين لغيرهم فيتوجه أحدهم بقلبه الى الله عز وجل في تغيير ذلك المنكر فيكف الظالم عن ظلمه وشارب الخمر عن شربه نهذا هو التغيير حقيقة وأما قول الانسان اللهم ان هذا منكر لا أرضاه فليس فيه تغيير قلب اه والحق ان المراتب الثلاث تكون على واحد من الثلاثة فاول المراتب المقاتلة والجهاد فان عجز عن الجهاد أنكر باللفظ ليقبح ذلك المنكر عند فاعله وعند من يراه وان عجز بان خاف ضررا من قتل أو جرح أو اخراج من وطن فليقل اللهم ان هذا منكر لا أرضاه والله أعلم (وذلك) أي الانكار بالقلب (أضعف الايمان) أي الاعمال فلا يرد أن المنكر بالقلب قد يكون أقوى الناس ايمانا والايمان قد يطلق على الاعمال كما أطلق على الصلاة في قوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم أي صلاتكم لبيت المقدس أو المراد به الاسلام وهو على حذف مضاف أي أضعف خصال الاسلام أو باق على حقيقته والمراد أقل آثار الايمان وثمراته في النفع واطلاق الايمان على المعنيين الاولين مجاز مرسل على طريق اطلاق اسم السبب على المسبب فان الايمان سبب للامتثال بالشرائع المأمور بها وانما كان الانكار بالقلب أضعف الايمان لان مجرد كراهته بقلبه لا يحصل به زوال مفسدة المنكر المطلوب زواله فهو قاصر بخلافه باليد واللسان فانه متعد فانه كراهة وازالة وقد قيل التغيير باليد للامراء وباللسان للعلماء وبالقلب للعامة قال ابن الفاكهاني وأعجب ما في زماننا ان الذين يظن بهم العلم والدين كمن يتعين عليهم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر متلبسون بمناكر

يجب انكارها عليهم شرعا ولقد أحسن من قال

بالملح يصلح ما يخشى تغيره * فكيف بالملح ان حلت به الغير

وقال آخر هذا الزمان الذى كنا نحاذره * فى قول كعب وفى قول ابن مسعود

دهر به الحق مردود باجمعه * والجور فيه أذاه غير مردود

ان دام هذا ولم يحدث له غير * لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

(رواه مسلم) والنسائى * (الحديث الخامس والثلاثون) *

(عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحاسدوا) خطاب الكل من يتأتى توجيه الخطاب اليه وأصله بتاءين حذفت احداهما تخفيفا وكذا فيما بعده أى لا يحسد بعضكم بعضا وهو لغة وشرعا تمنى زوال نعمة الغير سواء تمنى انتقالها اليه أم لا وهو قبيح بالاجماع الا أن الثانى أقبح وأشد حرمة من الاول و بعضهم خصه بان يتمنى ذلك لنفسه والحق انه أعم وهو مذموم وصاحبه مغموم وكفاه ذما انه يفسد الطاعات و يبعث على الخطيئات وهو الداء العضال الذى ابتلى به كثيرا من العلماء فضلا عن العامة حتى أهلكهم وقال النبى صلى الله عليه وسلم اياكم والحسد فان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أو قال الحشيش ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم الحسد يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وحسبك أن الله تعالى أمر بالاستعاذة من شر الحاسد كما أمر بها من شر الشيطان و يكفيك فى قبحه انه أول ذنب عصى الله به لان ابليس لم يحمله على ترك السجود الا الحسد كما أن قابيل لم يحمله على قتل هابيل الا الحسد وجاء أن سبب حسده له أنه تزوج أخت هابيل التى تسمى لبودا وكانت ليست كجمال أخته أقليميا التى تزوجها هابيل فكان من شريعة آدم ان اختلاف بطون حواء بمنزلة اختلاف الانساب فكان يزوج ذكور كل بطن لاناث الاخرى و بالعكس وهذا لا يخالف ما فى الآية الشريفة لانه جاء فى القصة أن آدم عليه السلام لما أمر قابيل أن يزوج اخته لهابيل فامتنع أمرهما أن يقربا قربانا الى الله تعالى وكانت العلامة على قبوله اذ ذاك نزول نار من السماء تأكله فقرب كل منهما قربانه فتقبل قربان هابيل فزاد حسده وعلى هذا فيكون حسده بشيئين أخروى وهو ما فى الآية ودنيوى وهو جمال أخته التى تزوجها وجاء فى عدة أخبار وآثار أنه يأكل الحسنات أى يحرقها و يذهب أثرها كما تأكل النار الحطب أى اليابس وقال عبد الله بن عبد الله بن مسعود لا تعادوا نعم الله قيل له ومن يعادى نعم الله قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ومن الحكمة ان الحسود لا يسود وقد روى ان ابليس أتى باب فرعون فقرع الباب فقال فرعون من هذا فقال ابليس لو كنت الها ما جهلت فلما دخل قال لفرعون أتعرف من فى الارض شرا منك ومنى قال من هو قال الحاسد و بالحسد وقعت فى هذه المحنة وأما حديث لا حسد الا فى اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الخير ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها و يعلمها الناس فالمراد به الغبطة مجازا وهى ان يتمنى ان يكون له مثل ما للغير من غير ان يريد زواله عنه وقد قيل ان موسى عليه الصلاة والسلام رأى رجلا عند العرش فغبطه وقال ان هذا الكريم على ربه فسأل ربه أن يخبره باسمه فلم يخبره وقال أحدث من عمله بثلاث كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه وكان لا يمشى بالنميمة والغبطة مباحة فى الدنيوى ومندوبة فى الاخروى وقال بعضهم

اصبر على حسد الحسو * د فان صبرك قاتله

النار تأكل بعضها * ان لم تجد ما تأكله

وقال بعضهم الحاسد جاحد لانه لا يرضى بقضاء الواحد وفى معناه قال منصور الفقيه

الا قل لمن ظل لى حاسدا * أتدرى على من أسأت الادب

انى أجد فى الالواح أمة يصومون للشهر رمضان فتغفر لهم ما كان قبل ذلك فاجعلهم أمتى قال هم أمة محمد قال يارب انى أجد فى الالواح أمة يحجون لك البيت الحرام لا يقضون منه وطرا يعجون لك بالبكاء عجيجا ويضجون لك بالتلبية ضجيجا فاجعلهم أمتى قال هم أمة محمد قال فما تعطيهم على ذلك قال أعطيهم المغفرة وأشفعهم فيمن وراءهم قال يارب انى أجد فى الالواح أمة سقاؤهم قليلة أحلامهم يغلفون البهائم و يستغفرون من الذنوب يرفع أحدهم اللقمة الى فيه فلا تستقر فى جوفه حتى يغفر له فتحوا باسمك وختمها بحمدك فاجعلهم أمتى قال هم أمة محمد قال يارب فانى أجد فى الالواح أمة أناجيلهم فى صدورهم يقرؤنها فاجعلهم أمتى قال هم أمة محمد قال يارب انى أجد فى الالواح أمة اذا هم أحدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة وان عملها كتبت له عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف فاجعلهم أمتى قال هم أمة محمد قال يارب انى أجد فى الالواح أمة

فاجعلهم أمتي قال هم أمة محمد قال يارب اني أجد في الالواح أمة يحشرون يوم القيامة على ثلاث ثلل ثلة يدخلون الجنة بغير حساب وثلة يحاسبون حسابا يسيرا وثلة يحصون ثم يدخلون الجنة فاجعلهم أمتي قال هم أمة محمد قال موسى يارب بسطت هذا الخير لاحمد وأمته فاجعلني من أمته قال الله تعالى لموسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين فقال الحمد والمنة على نعم أولاها ونسأله الموت على الاسلام في عافية بكل خير آمين يارب العالمين

* (المجلس الاربعون في الحديث الاربعين) *

الحمد لله اللطيف الخبير مجيب دعوة المضطرين وراحم الضعفاء والمساكين فسبحان وتعالى الحكيم القدير وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له في ملكه ولا نظير وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله وصفيه وخليله البشير النذير صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته مادام فريق في الجنة وفريق في السعير (عن ابن عمر رضي الله عنهما قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي فقال كن

أساءت على الله في حكمه * اذا أنت لم ترض لي ما وهبت
ولابي الطيب وأظلم أهل الارض من كان حاسدا * لمن بات في نعمائه يتقلب
ولبعضهم دع الحسود وما يلقاه من كمده * يكفيك منه لهيب النار في كبده
ان لمت ذا حسد فرجت كربته * وان سكت فقد عذبته بيده

وقال عمر بن عبد العزيز ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من الحاسد غم دائم ونفس متتابع وفيه قال بعضهم
قل للحسود اذا تنفس طبعه * ياظالما وكانه مظلوم
وقال بعضهم ان الغراب كان يمشي مشية * فيما مضى من سائر الاحوال
حسد القطاة فرام يمشي مشيها * فاصابه ضرب من المعقال

وروى انه صلى الله عليه وسلم أخبر عن رجل من الانصار أنه من اهل الجنة فبات عنده عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لينظر عمله فلم ير له كبير عمل فقال له ما الذي بلغ بك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما هو الا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لاحد من المسلمين غشا ولا أحسد أحدا على خير أعطاه الله اياه فقال عبد الله هذه التي بلغت بك وهي التي لا نطيق وحكي أن بعض الصلحاء كان يجلس بحضرة ملك ينصحه ويقول له احسن الى المحسن باحسانه كفى المسيء فعله فحسده بعض الجهلة على قربه من الملك وعمل الحيلة على قتله فسعى به للملك وقال انه يزعم أنك أبخر وأمارة ذلك أنك اذا قربت منه يضع يده على أنفه لئلا يشم رائحة البخر فقال له انصرف حتى أنظر فخرج فدعا الرجل لمنزله وأطعمه ثوما فخرج الرجل من عنده وجاء وقال للملك مثل قوله السابق أحسن الى المحسن باحسانه كفى المسيء فعله كعادته فقال الملك ادن مني فدنا منه ووضع يده على فيه مخافة أن يشم منه رائحة الثوم فقال الملك في نفسه ما أرى فلانا الا قد صدق وكان الملك لا يكتب بخطه الا جائزة فكتب له بخطه لبعض عماله اذا أتاك صاحب كتابي هذا فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به الى فأخذ الكتاب وخرج فلقيه الذي سعى به فقال ما هذا الكتاب قال خط الملك لي بصلة فقال هبه مني فقال هو لك فأخذه ومضى به الى العامل فقال له العامل في كتابك أني أذبحك وأسلخك فقال ان الكتاب ليس هو لي والله الله في أمري حتى أراجع الملك فقال ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشى جلده تبنا وبعث به ثم عاد الرجل للملك كعادته وقال مثل قوله فعجب الملك وقال ما فعلت بالكتاب قال لقيني فلان فاستوهبه مني قد فعلته له فقال الملك انه ذكر لي أنك تزعم اني أبخر قال ما قلت ذلك قال فلم وضعت يدك على أنفك وفيك قال أطعمني ثوما فخشيت ان تشمه قال صدقت ارجع الى مكانك فقد كفى المسيء اساءته كذا ذكره بعض الشراح وذكر في المستطرف أنه حكي ان رجلا من العرب دخل على المعتضم فقربه وأدناه وجعله نديمه وصار يدخل عليه من غير استئذان وكان له وزير حاسد فغار من البدوي فحسده وقال في نفسه ان لم أقتل هذا البدوي أخذ بقلب أمير المؤمنين ويبعدني عنه فصار ذلك الوزير يتلطف بالبدوي حتى انتهى به الى منزله فطبخ طعاما وأكثر فيه من الثوم فلما أكل البدوي منه قال أحذر أن تقرب من أمير المؤمنين ثم منك رائحة الثوم فيتأذى بذلك فانه يكره رائحته ثم ذهب الوزير الى أمير المؤمنين فخلا به وقال يا أمير المؤمنين ان البدوي يقول للناس ان أمير المؤمنين أبخر وهلكت من رائحة فيه فلما دخل البدوي على أمير المؤمنين جعل كمه على فيه مخافة ان يشم منه رائحة الثوم فلما رآه أمير المؤمنين وهو يستره بكمه قال ان الذي قاله الوزير عن هذا البدوي صحيح فكتب أمير المؤمنين كتابا الى بعض عماله يقول فيه اذا وصل اليك كتابي هذا فاضرب رقبة حامله ثم دعا البدوي ودفع له ما رسم به أمير المؤمنين وخرج به من عنده فبينما هو بالباب فقال الوزير أين تريد فقال أتوجه بكتاب أمير المؤمنين الى عامله فلان فقال

فقال الوزير ان هذا البدوى يحصل له مال جزيل فقال يا بدوى ما تقول فيمن يربح من هذا التعب الذى يلحقك فى سفرك ويعطيك ألفى دينار فقال البدوى انت الكبير وأنت الحاكم ومهما رأيته من الرأى افعل فقال أعطنى الكتاب فدفعه اليه فاعطاه الوزير ألفى دينار ورد الوزير وسار بالكتاب الى المكان الذى هو قاصده وسلم الكتاب للعامل فلما قرأ العامل الكتاب أمر بضرب رقبة الوزير فبعد أيام تفكر الخليفة فى أمر البدوى وسأل عن الوزير فاخبر بأن له أيا ما رؤى وان البدوى مقيم بالمدينة فتعجب من ذلك وأمر باحضار البدوى فسأل عن حاله فاخبر بالقصة التى اتفقت له مع الوزير من أولها الى آخرها فقال له الخليفة أنت قلت انى أبخر فقال معاذ الله يا أمير المؤمنين أن أحدث بشئ ليس لى به علم وانما كان مكر امنه وحسدا وأعلمه كيف دخل به فى بيته وأطعمه الثوم وما جرى له منه فقال له أمير المؤمنين قاتل الله الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله ثم خلع على البدوى واتخذه وزيرا وراح الوزير بحسده فتأملوا رحمكم الله شؤم الحسد وما أجرى اليه وتعلموا من قوله صلى الله عليه وسلم لا تظاهر الشماتة لاخيك فيعافيه الله ويبتليك (ولا تناجشوا) بجيم وشين معجمتين من النجش وهو لغة الاغراء والاثارة يقال نجشت الصيد اثرته لانه يثير الرغبات فى المبيع ويغرى عليها واصطلاحا الزيادة فى المبيع لاجل غرور الغير وانما ذكره بصيغة التفاعل لان التجار يتغارضون فى ذلك فيفعل هذا الصاحبه على أن يكافئه بمثله وهذا النهى لا يقتضى الفساد لانه خارج عنه غير لازم وتفسير النجش بما ذكر هو ما عليه الاكثر وقيل المراد فى الحديث النهى عن اغراء بعضهم بعضا على الشر والخصومة حكاه القاضى وغيره وقال الافليسى لا تناجشوا معناه لا يكن بينكم تنافر ولا تباعدوا الاصل فى النجش تنفير الوحوش من مكان الى مكان فكانه ينهى عن أن يسعى الانسان فى تغيير قلبه بالقطيعة للناس حتى يقع بينهم استيحاش ولا تطمئن قلوبهم بالاستئناس الذى جعله الله سبب التحابب بين الناس (ولا تباغضوا) أى لا يبغض بعضكم بعضا أى لا تتعاطوا أسباب البغض لانه قهرى كالحب لا قدرة للانسان على اكتسابه ولا يملك التصرف فيه وهو النفرة من الشئ لمعنى مستقبح فيه ويرادفه الكراهة كقوله عليه الصلاة والسلام هذا قسمى فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك ثم هو بين اثنين اما من جانبهما او من جانب احدهما وعلى كل فهو لغير الله حرام وهو محمل الحديث وله واجب ومندوب كما قال تعالى لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء وقال صلى الله عليه وسلم من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان وقيل معناه لا توقعوا العداوة والبغضاء بين المسلمين (ولا تدابروا) أى لا تتكاموا فى أدبار اخوانكم بالغيبة والبهتان ويحتمل معناه لا تولوا أدباركم استقالا بل ابسطوا وجوهكم وقيل من الادبار وهو الاعراض المؤدى الى التقاطع والمعاداة لان كل واحد يولى صاحبه دبره أى لا يعرض بعضكم عن بعض كراهية فيه ونفرة منه لانه يؤدى الى تضييع ما يجب من حقوق الاسلام من الاعانة والنصرة ونحوهما وقيل معناه لا تقاطعه للابد من قولهم قطع الله دابره أى من بقى بعده وفى الحديث لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام وفى رواية لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام وأخذ منه العلماء ان السلام يرفع اثم الهجر وانشد بعضهم

هجرك لى يا سيدى مظالمه * فاستفت فيه ابن أبى خيثمه
فانه يرويه عن جده * وجده يرويه عن عكرمه
عن ابن عباس عن المصطفى * نبينا المبعوث بالمرحمه
ان صدود الخل عن خله * فوق ثلاث دينا حرمه
وأنت منذ شهر لنا هاجر * فخل عنك الله فينا فمه

شهرا أرى حاطب الدنيا وان مال عمره * ونال من الدنيا يسيرا وراعها كبان بنى بنيانه فاقامه * فلما استوى ما قد بناه تهدما

وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك رواه البخارى) اعلموا اخوانى وفقنى الله وايا كم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم جامع لانواع الخير وفيه الابتداء بالنصيحة والارشاد لمن لم يطلب ذلك وتحريضه صلى الله عليه وسلم على ايصال الخير لامته فان هذا الكلام لا يخص ابن عمر وحده (قوله قال) أى ابن عمر (أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبى) بفتح الميم وسكون النون والباء وهو مجمع العضد والكتف (فقال) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم (كن فى الدنيا كانك غريب) أى لا تركن اليها ولا تطمئن فيها لانك على جناح السفر منها الى وطن اقامتك وهو الآخرة كالغريب لا يستقر فى دار الغربة ولا يسكن اليها بل لا يزال مشتاقا الى وطنه عازما على السفر اليه (قوله أو عابر سبيل) أى جائز طريق فالمسافر يمر فى الطريق صارفا كل عزمه وقصده الى بلوغ مقصده غير ملتفت الى جزئيات الطريق ولا معرج عليها ولذلك قال بعضهم فى المعنى

وقد جاء في رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لابن عمر رضي الله عنهما كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل

وأخرج مسلم وغيره تعرض الاعمال في كل اثنين وخميس فيغفر الله عز وجل في ذلك اليوم لكل امرئ لا يشرك بالله شيأ الا امرأ كانت بينه وبين أخيه شحناء يقول اتركوا هذين حتى يصطلحا وفي رواية تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين والخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيأ الا رجلا كان بينه وبين أخيه شحناء فيقول انظروا هذين حتى يصطلحا انظروا هذين حتى يصطلحا انظروا هذين حتى يصطلحا وأخرج الطبراني وابن حبان في صحيحه والبيهقي يطلع الله تعالى الى جميع خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه الا لمشرك أو مشاحن ووجه مغايرته لما قبله ان الشخص قد يبغض صاحبه عادة وتوفيه حقوقه وقد يتعرض عنه لنحو تهمة أو تأديب وهو يحبه ومن هذا القبيل قول بعضهم لا يكتم الحب الا خشية التهم ولذا ورد ان عمر بن الخطاب قال لرجل لا أحبك فقال له يا أمير المؤمنين يحملك ذلك على أن تمنعني حقا هو لي قال لا قال فلا أبالي اذن فان الحب من شان النساء (ولا يبع) بالجزم على النهي (بعضكم) أي معشر المكلفين من المسلمين والذميين والتقييد بالمسلم في الاخبار للغالب خلافا لمن أخذ منه وممن (على بيع بعض) لما فيه من تغيير القلوب بان يقول لمشتري سلعة في زمن الخيار رد هذا البيع وأنا أبيعك مثلها بانقص من ثمنها أو اجود منها بمثل ثمنها ومثله الشراء بان يقول آخر للبائع في مدة الخيار افسخ وانا أشتريه منك بازيد (وكونوا عباد الله) منادى مضاف أي يا عباد الله فحذف حرف النداء (اخوانا) خبر كان زاد مسلم كما أمركم الله ونسبها الى الله لان الرسول مبلغ عن الله تعالى وهذه الجملة كالتعليل لما قبلها كانه قال اذا تركتم التحاسد وما بعده كنتم اخوانا والا كنتم اعداء ومعنى كونوا اخوانا تعاطوا أسباب المودة واكتسبوا ما تصيرون به اخوانا من الامور المقتضية لذلك كابتداء السلام ورده وتشميت العاطس وعيادة المرضى وتشييع الجنائز واجابة الدعوى والمعاونة على البر والتقوى وملاقاة الوجه والمصافحة والنصح وقد قيل لخالد بن صفوان أي الاخوان أحب اليك قال الذي يغفر زللي ويسد خللي ويقبل عللي وقال القرطبي كونوا كاخوان النسب في الشفقة والرحمة والمحبة والمواساة والمعاونة والنصيحة ولبعضهم

من لي بانسان اذا أغضبته * وجهلت كان الحلم رد جوابه
واذا صبوت الى المدام شربت من * أخلاقه وسكرت من آدابه
وتراه يصغي للحديث بطرفه * وبقلبه ولعله أدرى به

وروى الترمذي تهادوا فان الهدية تذهب وحر الصدور والوحر بفتح الحاء المهملة الغش والدغل وقيل الحقد والغيظ وقيل العداوة وقيل أشد البغض (المسلم أخو المسلم) لانه يجمعهما دين واحد ومن ثم قال الله تعالى انما المؤمنون اخوة فهم كالاخوة الحقيقية وهو أن يجمع الشخصين ولادة واحدة من صلب أو رحم أو منهما والاخوة الدينية أعظم من الاخوة الحقيقية لان ثمرتها أخروية وثمرة تلك دنيوية (لا يظلمه) أي لا ينقصه حقه ومنعه اياه لان الظلم حرام ومذهب البركة فقد أخرج ابن مردويه الاصبهاني في الترغيب والبيهقي عن مجاهد عن ابن عباس ان ملكا من الملوك خرج يسير في مملكته وهو مستخف من الناس حتى نزل على رجل له بقرة فراحت عليه تلك البقرة فحلبت فاذا حلابها مقدار حلاب ثلاثين بقرة فحدث الملك نفسه باخذها فلما كان الغد غدت البقرة الى مرعاها ثم راحت فحلبت فنقص لبنها على النصف وجاء مقدار خمس عشرة بقرة فدعا الملك صاحبها فقال أخبرني عن بقرتك أرعت اليوم في غير مرعاها بالامس وشربت من غير مشربها بالامس فقال ما رعت في غير مرعاها بالامس ولا شربت من غير مشربها بالامس فقال ما بال حلابها على النصف فقال أرى الملك هم باخذها فنقص لبنها فان الملك اذا ظلم أو هم بالظلم ذهبت البركة قال وأنت من أين تعرف الملك قال هو كما قلت لك فعاهد الملك ربه أن لا يظلم

واعدد نفسك في الموتى واذا أصبحت فلا تحدثها بالمساء واذا أمسيت فلا تحدثها بالصباح وخذ من صحتك لسقمك ومن شبابك لهرمك ومن فراغك لشغلك ومن غناك لفقرك ومن حياتك لوفاتك فانك لا تدري ما اسمك غدا قيل أوحى الله تعالى الى نبي من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ان أردت لقائي غدا في حظيرة القدس فكن في الدنيا غريبا محزونا مستوحشا كالطير الوحداني الذي في الارض والقفار ويأكل من رؤس الاشجار فاذا كان الليل أوى الى وكره فلا يغتر احد بالبقاء في دار الدنيا فان الحياة فيها في الحقيقة كزيارة ضيف أو سحابة صيف وكان ابن عمر رضي الله عنه يقول اذا أمسيت فلا تنتظر الصباح واذا أصبحت فلا تنتظر المساء والمعنى أن الشخص يجعل الموت بين عينيه فيسارع الى الطاعات ويغتنم الاوقات ويبادر الى استغراقها بالتقوى والعمل الصالح ويقصر الامل ويترك الميل الى غرور الدنيا فانه لا يدري متى يأتيه الموت فيرتحل الى الآخرة كالغريب أو عابر السبيل لا يدري متى يصل الى وطنه

ولا يأخذ البقرة فعدت فرعت ثم راحت فحلبت فإذا لبنها قد عاد على مقدار ثلاثين بقرة فاعتبر الملك وقال بيني وبين نفسه أرى الملك إذا ظلم أو هم بالظلم ذهبت البركة لا جرم لا عدلن ولا كونن على أفضل العدل

ولبعضهم لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرا * فالظلم آخره يأتيك بالندم
نامت عيونك والمظلوم منتبه * يدعو عليك وعين الله لم تنم
(ولبعضهم) اصبر على الظلم ولا تنتصر * فالظلم مردود على الظالم
وكن الى الله مظلوما فما * ربي على الظالم بالنائم

(ولا يخذله) أي لا يتركه لمن يظلمه ولا ينصره وقد قال صلى الله عليه وسلم أنصر أخاك ظالما أو مظلوما قيل له كيف ينصره ظالما قال يمنعه من الظلم قال العراقي بضم الذال المعجمة والخذلان ترك الاعانة والنصرة ذكره الطيبي والخذلان حرام سواء كان متعلقا بدنيوي مثل ان يقدر على دفع عدو يريد أن يبطش به فلا يدفعه أو بدنيا مثل أن يقدر على نصحه فيتركه (ولا يكذبه) بفتح باء المضارعة وتخفيف الذال المكسورة وبضم فسكون والاول أشهر وأكثر بل اقتصر عليه الحافظ العراقي في شرح الترمذي لكن اقتصر المؤلف على الثاني أي لا يخبره بأمر على خلاف ما هو عليه لانه غش وخيانة وفي الحديث إذا كذب العبد تباعد الملك عنه ميلا من نتن ما جاء به رواه الترمذي وحسنه وينبغي لمن اضطر الى الكذب أن يعرض الى المعاريض ما أمكن حتى لا يعود نفسه الكذب وفي الخبر ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب وعن أبي بكر انه كان خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجر معه فتلقاه العرب وهم يعرفونه ولا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم فيقولون من هذا فيقول يهديني السبيل فيظنون انه يعني هداية الطريق وهو يريد سبيل الخير وكان ابراهيم بن أدهم اذا طلب في البيت يقول لخادمه قل له أنظره في المسجد وقد ورد أن اعرابيا بايع النبي صلى الله عليه وسلم على ترك خصلة من الخصال المحرمة كالزنا والسرقة والكذب فقال النبي صلى الله عليه وسلم دع الكذب فصار كلما هم بزنا أو سرقة أو غيرهما قال كيف أصنع ان سألني النبي صلى الله عليه وسلم فان صدقته حدني وان كذبته فقد عاهدني على ترك الكذب فكان ترك سبب الترك الفواحش كلها قال التادلي والكذب خمسة أقسام واجب لانقاذ مال مسلم أو نفسه وحرام وهو الكذب لغير منفعة شرعية ومندوب وهو الكذب للكفار أن المسلمين أخذوا في أهبة الحرب اذا قصد بذلك ارهابهم ومكروه وهو الكذب لزوجة تطييبا لنفسها ومباح وهو الكذب للاصلاح بين الناس وتعقب ابن ناجي القسم الرابع بان السنة جوزت الكذب فيه اه وقال قوم الكذب كله قبيح فقد سئل مالك رضي الله تعالى عنه عن الرجل يكذب لزوجته وابنه تطييبا لنفسها فقال لا خير في الكذب ولقد أحسن القائل

الصدق في أقوالنا أقوى لنا * والكذب في أفعالنا أفشى لنا
فهم يقولون هم أشياخنا * فالهم قد يفعلوا أشياخنا

(ولا يحقره) بياء مفتوحة وحاء مهملة وقاف مكسورة أي لا يستصغر شأنه ويضع من قدره بالترفع عليه ولا ينظره بعين القلة والاستصغار ومن ذلك أن لا يسلم عليه اذا مر به ولا يرد عليه السلام اذا بدأ هو به وهذا انما يصدر في الغالب ممن غلب عليه الكبر والجهل ولا ينتقصه بالوقيعة فيه بالاستهزاء والسخرية به وذكر معايبه اذا رآه رث الحال أو ذا عاهة في بدنه أو غير لابق في محادثته لاحتمال أن يكون أفضل وأقرب عند الله منه وفي الحديث زب أشعث أغبر ذي طمرين أي ثوبين خلقين لا يعبأ به لو أقسم على الله لأبره وفي الحديث لا يحل لمسلم أن يشير أو ينظر الى أخيه بنظر يؤذيه رواه ابن المبارك في كتاب الزهد ومر بعض أولاد المهلب بمالك بن دينار فقال له مالك لو تركت الخيلاء لكان أجمل لك فقال اما

وفي رواية لسقمك ومعناه اغتنم العمل الصالح في أيام صحتك فان المرض قد يطرأ عليك فيمنعك منه فتقدم المعاد بغير زاد وقيل تأهب للذي لا بد منه فان الموت ميقات العباد أترضى أن تكون رفيق قوم

لهم زاد وأنت بغير زاد
* فان قلت ورد أن العبد اذا مرض أو سافر كتب له ما كان يعمل صحيحا مقيما قلنا انه ورد في حق من يعمل والتحذير الذي في هذا الخبر في حق من لم يعمل شيا فانه اذا مرض ندم على ترك العمل وعجز لمرضه عنه فلا يفيده الندم (قوله وخذ من حياتك لموتك) أي اغتنم أيام حياتك لاتمرر عنك في سهو وغفلة فتندم بعد موتك حيث لا ينفعك الندم وقد ذم الله تعالى طول الامل فينبغي للعاقل اذا أمسى لا ينتظر الصباح واذا أصبح لا ينتظر المساء بل يظن ان أجله يدركه قبل ذلك وليكثر من ذكر الموت فان ذكره عون على الزهد في الدنيا والرغبة فيما عند الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفى بالموت واعظا وقال صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكر هاذم اللذات وقال أكثروا من ذكر الموت فانه يمحص

استعدادا أولئك هم الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة وقال الحسن فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي لب فرحا وكان عمر بن عبد العزيز لا يذكر في مجلسه الا الموت والآخرة والنار وقال سفيان الثوري رأيت في مسجد الكوفة شيخا يقول أنا منذ ثلاثين سنة في هذا المسجد أنتظر الموت أن ينزل بي فلو أتاني ما أمرت بشيء ولا نهيت عن شيء ومرض اعرابي فقيل له انك تموت قال أين يذهب بي قالوا الى الله قال فكيف أكره أن أذهب الى من لا أرى الخير الا منه هذا حال من كان متهيأ للموت ولا يشتغل بالدنيا فاما من كان غافلا عن الآخرة حتى يأتيه الموت على غرة فانما يجد لقدومه غما وحسرة (قال وهب) بن منبه ركب ملك من الملوك يوما فأعجبه ما هو فيه من زينة الدنيا وكثرة الغلمان والاعوان والملابس الحسان فامتلأ قبحا وكبرا فبينما هو كذلك اذ جاءه شخص رث الهيئة فسلم عليه فلم يرد عليه السلام فأخذ بلجام فرسه فقال له ارسل اللجام فلقد

أتعرفني فقال والله أعرفك معرفة جيدة أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت مع ذلك بين العذرة فارخى الفتى رأسه وكف عما كان عليه وقال أفلاطون لرجل جاهل معجب مختال في نفسه وددت أني مثلك في ظنك وان أعدائي مثلك في الحقيقة وقال في الام عجبت لمن جرى مجرى البول مرتين كيف يتكبر وروى أن رجلا قال لغلامه اسقني فقال نعم قال انما يقول نعم من يقدر أن يقول لا اصفعه فصفعه ثم دعا بماء فتمضمض استقذارا لمخاطبته وقد حرم الله الجنة على المتكبرين فقال تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا فقرن الكبر بالفساد وأما حديث ليس منا من لم يتعاظم بالعلم فمعناه ليس منا من لم يعتقد أن الله جعله عظيما لكونه جعله محلا للعلم وموصوفا به يستذله بحيث حظره عليه ومنعه منه كما ورد في الحديث اذا استرذل الله عبدا حظر عليه العلم والأدب أو ما هذا معناه وليس المراد تعاظمه احتقار غيره ومن جملة احتقار المسلم اغتيابه وهو ذكرك اياه بما يكره وهي أي الغيبة محرمة بالاجماع الا ما استثناه العلماء وقد جمع ذلك بعضهم في بيت فقال

تظلم واستغث واستفت حذر * وعرف بدعة فسق المجاهر

فذكر ستة ترخص الغيبة فيهم الاول التظلم لمن يظن ان له قدرة على ازالة ظلامه أو تخفيفه الثاني الاستعانة على تغيير المنكر بذكر ملن يظن قدرته على ازالته بنحو فلان يعمل كذا فازجره عنه الثالث الاستفتاء بان يقول للمفتي ظلمني فلان بكذا فهل يجوز له وما طريقي في خلاصي منه أو تحصيل حقي وقد روي عن هند أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ان أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني وبني أفآخذ من غير علمه فقال خذي ما يكفيك وبنيك بالمعروف فذكرت الشح ولم يزجرها النبي صلى الله عليه وسلم اذ كان قصدها الاستفتاء الرابع تحذير المسلمين من الشر مثل أن يشتري مملوكا وعرف المملوك بالسرقة أو بالفسق أو بعيب آخر فلك أن تذكر ذلك فان في سكوتك ضررا على المشتري وكذلك المشاور في تزويج أو ايداع له أن يذكر له ما يعرفه على قصد النصح للمتزوج لا على قصد الوضيعة وان علم أنه يترك التزويج مثلا بمجرد قوله لا نصلح لك فهذا الواجب فان علم انه لا يتركه الا بالتصريح بالعيب فله أن يصرح به الخامس أن يكون الانسان معروفا بما فيه نقص كالاعرج والاعمش والاعور والاصم والاقرع وقد فعل العلماء ذلك لضرورة التعريف فان أمكن تعريفه بعبارة أخرى فهي أولى بذلك قيل للاعمى البصير عدولا عن النقص السادس أن يكون مبتدعا الرابع أن يكون متجاهرا بالفسق كالمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس وأخذ المكس وجباية الاموال ظلما فاذا ذكر منه ما يتظاهر منه فلا اثم لما ورد بسند ضعيف من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة فيه وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليس لفاسق حرمة والمراد به المجاهر بفسقه دون المستتر اذ المستتر لا بد من مراعاة حرمته وظاهره أنه يجوز غيبته بما يتظاهر به وان كان لا يرضى ذلك وقد قال بعضهم لا يكمل ورع المؤمن من منك الاثلاث خصال ان لم تنفعه فلا تضره وان لم تسره فلا تغمه وان لم تمدحه فلا تذمه وقوله ولا يحقره وفي رواية ولا يحتقره وهي بمعناها وفي رواية بياء مضمومة وخاء معجمة ساكنة وقاف مكسورة بمعنى لا يغدره ولا ينتقض عهده قال أنس قل ما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قال لا ايمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له لكن قال والصواب المعروف هو الاول وهو الموجود في غير كتاب وتخصيص ذلك بالمسلم لمزيد حرمته لا للاختصاص به من كل وجه لان الذمي يشاركه في حرمة ظلامه وخذلانه بنحو ترك دفع عدو عنه والكذب عليه وأما احتقاره من حيث الكفر القائم به فجائز قال تعالى ومن يهن الله فما له من مكرم (التقوى ههنا) اي محل شبهها الذي هو الخوف الحامل عليها القلب الذي في الصدر لا حقيقتها الذي هو الاتقاء من العذاب بفعل المأمور واجتناب المحظور وفي الحديث ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم

بها وليت أبراعظيما فقال ان لي اليك حاجة أسرها اليك فادنى اليه فرأى سيفا وقال أنا

والكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم ومعنى نظر الله مجازا نظره ويصح أن يراد بالتقوى هنا الاخلاص نحو قوله تعالى فانها من تقوى القلوب أي من اخلاص القلوب وقد تقدم في حديث اتق الله حيث ما كنت أنها تزد لعدة معان (وبشير) رسول الله صلى الله عليه وسلم (فعل ثلث (ثلاث مرات) من كلام الراوي (بحسب) باسكان السين ويستوي فيه الواحد والمثنى والجمع والمؤنث والمذكر قال النحاة اذا كان ما بعده معرفة رفعه على الخبرية فالاضافة لفظية بدليل الابتداء وان كان ما بعده نكرة فرفعه محل الابتداء فقط فالاضافة معنوية ولما كان هنا مظنة سؤال وهو أن بقاء حكم التحقير لما ذا أحرام لا فقال (امرئ من الشر) أي كافيه منه (أن يحقر أخاه المسلم) بالنصب صفة لاخاه وكره تحريمة المسلم ففيه تحذير شديد من احتقاره قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم الى قوله الظالمون أي لا تحتقر غيرك عسى أن يكون عند الله خيرا منك ويحتمل ان المراد بنفسي يصير أي لا تحتقر غيرك فانه ربما صار عزيزا وصرت ذليلا فيتقدم منك ولذا قال بعضهم

لا تهين الفقير علك أن * تركع يوما والدهر قد رفعه

ولا تنابزوا أنفسكم أي لا يعب بعضكم على بعض واللمز بالقول وغيره والهمز بالقول فقط وروى عن ابن جريج ان الهمز بالعين والشدق واليد واللمز باللسان قال البيهقي وبلغني عن الليث انه قال اللمزة الذي يعيبك في وجهك والهمزة الذي يعيبك في الغيب ولا تنابزوا بالالقاب أي لا تنادوهم بما يكرهون من الالقاب من النبز وهو الطرح ونبه تعالى بقوله أنفسكم على دقيقة ينبغي التفطن لها وهي ان المؤمنين كلهم بمنزلة البدن الواحد اذا اشتكى بعضه اشتكى كله فمن عاب غيره ففي الحقيقة انما عاب نفسه ومعنى بئس الاسم الفسوق الخ أي من فعل واحدا من الثلاثة استحق اسم الفسوق وهو غاية النقص بعد أن كان كاملا (كل المسلم) مبتدأ واضافة كل هنا الى المعرفة دليل على جوازه خلافا لمن زعم انها لا تضاف الا الى نكرة (على المسلم حرام) يقال حرم الرجل اذا اعتصم بحرمة تمنع عنه أي ان المسلم معتصم بحرمة الاسلام ممتنع به ممن أراده وقوله حرام خبر المبتدا (دمه) بدل بعض من كل (وماله) الذي خصه الله به وجعله ملكا له فلا يحل أخذه الا بحقه وقد أخرج ابن حبان في صحيحه عن ابن حميد الساعدي لا يحل لمسلم أن يأخذ عصا أخيه بغير طيب نفس منه (وعرضه) وقوله دمه الخ هذا هو المقصود من الحديث وما سبق كالتمهيد له وقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم لما أسري به مر بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقال من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم وقال بعضهم ادركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكن في الكف عن أعراض الناس وجعل هذه الثلاثة كل المسلم لشدة احتياجه اليها واقتصر عليها لان ما سواها فرع عنها وراجع اليها ولما كانت حرمتها هي الاصل والغالب لم يحتج الى تقييدها بما اذا لم يعرض ما يبيحها شرعا كالقتل قودا وأخذ مال المرتد فيأ وتوبيخ المسلم تعزيرا ونحو ذلك (رواه مسلم) وهو حديث كثير الفوائد

* (الحديث السادس والثلاثون) *

(عن أبي هريرة) رضي الله عنه (عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من نفس) أي زال وكشف وفرج من تنفيس الخناق أي ارخائه حتى يأخذه نفسا (عن مؤمن) بنفسه أو ماله أو وجاهه أو ذعائه له بظهر الغيب وآثر ذكر المؤمن لشرفه وفزيد حرمته والا فالذمي كذلك وعبر هنا بمؤمن على ما في أكثر النسخ وفيما يأتي بمسلم اما للتفنن أو لان الكربة تتعلق بالباطن فناسب الايمان المتعلق به أيضا (كربة) أي شدة عظيمة لانها ناهم النفس وغم القلب من كرب التي للمفاجأة لان الكربة تقارب أن

من مال اشتفلتني من عبادة ربي فانطق الله المال وقال لم تبني وقد كنت تدخل على الملوك في وتردد المتقين وقد كنت تنفقني في سبيل الشر فلا امتنع منك ولو انفقتني في سبيل الخير لنفعتك ثم قبض ملك الموت روحه وانصرف فنسأل الله تعالى أن يلهمنا رشدنا بمنه وفضله ويوفقنا لما يحب ويرضى ويعصمنا عن الشرك به آمين والحمد لله رب العالمين

* (المجلس الحادي والاربعون في الحديث الحادي والاربعين) *

الحمد لله الذي شرفنا بخاتم النبيين اذ كنا خير أمة أخرجت للعالمين وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين وأشهد ان سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله الصادق الوعد الامين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته الى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا آمين (عن أبي محمد عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به حديث حسن صحيح رويناه في كتاب الحجة باسناد صحيح) اعلموا اخواني وفقني الله

تزهق الروح فكانها ذبحها عطلت مجاري النفس به وبه يعلم حكمة ايثار نفس على وثيقه من ازال وكشف وفرج واخرج الطبراني من فرج عن مسلم كربة جعل الله تعالى له يوم القيامة ثمانين نورا على الصراط ليستضيء بضوئها ما طالع لا يحصيهم الا رب العزة وروى ابن بشكوال عن عبد الله ابن المبارك انه قال خرجت الى الجهاد ومعي فرس فبينا أنا في الطريق اذ صرع الفرس فربي رجل حسن الوجه طيب الرائحة فقال نحب أن تركب فرسك قلت نعم فوضع يده على جبهة الفرس حتى انتهى الى مؤخره وقال أقسمت عليك بهذه العلامة بعزة الله وبعظم عظمة الله وبجلال جلال الله وبقدرة قدرة الله وبسلطان سلطان الله وبلا اله الا الله وبما جرى به القلم من عند الله وبلا حول ولا قوة الا بالله الا انصرفت قال فانتفض الفرس وأخذ الرجل بركابي وقال اركب فركبت ولحقت باصحابي فلما كان غداة غد ظهر العدو واذا هو بين أيدينا فقلت له ألست صاحبي بالامس فقال بلى فقلت سألتك بالله من أنت فوثب قائما فاهتزت الارض تحته خضراء فاذا هو الخضر عليه السلام قال ابن المبارك فما قلت هذه الكلمات على عليل الا شفي باذن الله تعالى وذكر بعضهم أنه يقول لا اله الا الله العظيم الكريم لا اله الا الله العلي العظيم لا اله الا الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم لا اله الا الله وحده لا شريك له يا من لا يغفر الذنوب الا هو يا من لا يعرف كيف هو الا هو يا من لا يعرف قدره الا هو فرج كربتي وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وأكمل أدعية الكرب لا اله الا الله العظيم الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله رب السموات ورب الارض ورب العرش الكريم لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله وتبارك الله رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني الى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله لا اله الا أنت الله ربي لا أشرك به شيئا لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين توكلت على الحي الذي لا يموت والحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا ويقرأ آية الكرسي وخواتيم البقرة وقال بعض الفضلاء من توسل بهذه السادة في قضاء حاجة أو دفع كربة استجيب له وقد جرب ذلك وهم سعيد بن المسيب وأبو سليمان الداراني وأبو حازم وسليمان التيمي ومالك بن دينار وبشر الحافي وحبيب العجمي ويحيى البكاء وكهمس ورابعة العدوية قال الثعالبي في شرح الحلاب ومن خطه نقلت ورأيت في بعض الجاميع عن ابن عبد البر من كتب هذه الاسماء وجعلها في قبر ميت حاجت عنه الملكين وهي أويس القرني معروف الكرخي أبو مسلم الخولاني عامر بن عبد قيس مسروق ابن الاجدع هرم بن حيان الاسود بن يزيد الربيع بن خيثم الحسن بن أبي الحسن البصري وقد نظم بعضهم أسماءهم هؤلاء لقضاء الحوائج فقال

توسل الى الرحمن في كل حاجة * تروم قضاها بالكرام ذوي الرشد
أويس ومعروف الربيع وهارم * يلي الحسن البصري عامر ذو الرفد
أبو مسلم الخولان مسروق أسود * تمام السعاة الزاهدين ذوي المجد

(من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة) مجازاة ومكافأة له على فعله بجنسه فان قيل قال الله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وهذا الحديث يدل على ان الحسنة بمثلها الا بسبعمائة وبالف مضاعفة كربة واحدة ولم تقابل بعشر كرب يوم القيامة فالجواب من وجهين أحدهما ان مفهوم عدد وهو لا يفيد حصرا بمعنى انه يمنع النقص ولا يمنع الزيادة الثاني ان كل كربة من كرب يوم القيامة تشتمل على أهوال كثيرة وأحوال صعبة ومخاوف جمة وتلك الاحوال اما عشرة أو تزيد عليها وفي الحديث سر آخر مكتوم يظهر بطريق فهم اللازم للازم وذلك ان فيه وعدا بطريق اخبار العابد ان

ان من نفس الكربة على المؤمن يختم له بالخير ويموت مسلما لان الكافر لا يرحم في الدار الآخرة ولا ينفس عنه من كربها وخص الجزاء هنا بكرب يوم القيامة وعم في الستر الآتي لان الدنيا لما كانت محل العورات والمعاصي احتيج الى الستر فيها وأما الكرب فهي وان كانت الدنيا محلا لها أيضا لكن لا نسبة لكرب بها الى كرب الآخرة حتى تذكر معها (ومن يسر) بابراء أو بهبة او صدقة أو نظرة الى ميسرة أو نحو ذلك بان يكون واسطة في ذلك (على معسر) وهو من عليه دين وتعسر عليه أداؤه من العسر وهو الضيق والشدة (يسر الله عليه) أموره ومطالبه (في الدنيا والآخرة) مجازاة له عليه بجنسه لانه احسان الى عيال الله تعالى وأحب خلقه اليه أنفعهم لعياله وفي الحديث من انظر معسرا أو وضع عنه أظله الله في ظله يوم لا ظل الا ظله وفي رواية وقاه الله من فيح جهنم وفي حديث حسن من نفس عن غريمه أو محاعنه كان في ظل العرش يوم القيامة وصح من أنظر معسرا فله كل يوم مثله صدقة قبل ان يحل اجل الدين فاذا حل الدين فانظره بعد ذلك فله كل يوم مثلاه صدقة وروى الشيخان ان رجلا كان يداين الناس وكان يقول لفتاه اذا أتيت معسرا فتجاز زعنه لعل الله أن يتجاوز عنا فلقي الله عز وجل فتجاوز عنه وفي أخرى للنسائي فاذا ابعثه يتقاضى قلت له خذ ما تيسر واترك ما تعسر وتجاو زلعل الله ان يتجاوز عنا قال الله تعالى قد تجاوزت عنك أخرج ابن أبي الدنيا انه عليه الصلاة والسلام قال من أراد ان تستجاب دعوته وتكشف كربته فليفرج عن المعسر * (تنبيه) * ورد في الحديث سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمساجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال اني اخاف الله ورجل تصدق بصدقة أخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه بالدموع ونظمها بعضهم فقال

امام محب ناشئ متصدق * مصل وبالك خائف سطوة الباس
يظلهم الله العظيم بظله * اذا كان يوم الحشر لا ظل للناس

وجاءت اخبار بالزيادة على ذلك كمن أنظر معسرا أو وضع عنه ومن أوفى دين الغارم ومن أعان مكاتبا ومن قتله اهل الكتاب على الاسلام ومن أعاد صلاته في جماعة ومن مات غريقا في البحر ومن طلب علما فادركه الموت دونه ومسبغ الوضوء في وقت البرد ومن اشترى أمة فادبها وأحسن تاديبها ثم أعتقها وتزوج بها ومن انفرد في عصره بحفظ السنة ولامام المؤذن احتسابا ومن أخفى عمله الخير واذا ظهر عليه فرح واستبشر بتوفيق الله له ومن جامع يوم الجمعة من محل جماعه واغتسل وراح للصلاة ومن ذهب ماشيا الى صلاة الجمعة ومن عاد عليه سلاحه في الجهاد فقتله ومن أعجله فعل الخير عن لبس نعليه والماشي ليشيع الجنازة ومن شيع جنازة لاستحيائه من أهلها والمجاهد لاعلاء كلمة الله ومستمع قراءة القرآن والقارئ في المصحف ومن قرأ القرآن فاغربه اي تفهمه وتدبره والعبد المؤدي حق الله وحق مواليه ومن جدد الوضوء على الوضوء من غير نقض للاول وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم والمتصدقة على زوجها مال الجلال ومن صدق في تجارته ومن حسن خلقه ورجل تعلم القرآن في صغره ويتلوه في كبره ورجل يرامي الشمس لمواقيت الصلاة ورجل ان تكلم تكلم بعلم وان سكت سكت عن علم وغير ذلك مما استوفاه الحافظ السخاوي في كتابه المسمى بالخصال الموجبة للظلال حيث نقل فيه عن شيخه الحافظ ابن حجر ثلاث سبعات زيادة على السبعة المذكورة وأكملها هو اثنين وتسعين بتقديم التاء على السين ولا يبعد ان يدخل في قوله من يسر الخ التيسير بالعلم مثل ان يقع في مسئلة يحسن التخلص منها شرعا يبين له حكمها او يهديه الى الصواب فيها فينشرح صدره لذلك بتخليصه منها

ايمانه (قوله حتى يكون هواه) بالقصر يعني ما يحبه ويميل اليه (قوله تبعا لما جئت به) أي من هذه الشريعة المطهرة الكاملة فلا يؤمن حتى يميل طبعه وقلبه الى ذلك كما يكون في محبوباته الدنيوية التي جبلت النفوس على الميل اليها من غير مجاهدة واحتمال مشقة فيهوى بقلبه ويميل بطبعه الى ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من الدين المشتمل على الايمان والاحسان والنصح لله تعالى ولرسوله ولكتابه وهي أمور جامعة لم يبق بعدها الا تفاصيلها التي في ضمنها فمن كان هواه تابعا لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم فهو مؤمن (تنبيه) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بعض خطبه ومواعظه أيها الناس لا تشغلنكم دنياكم عن آخرتكم ولا تؤثروا أهواءكم على طاعة ربكم ولا تجعلوا أيمانكم ذريعة الى معاصيكم وحاسبوا أنفسكم قبل ان تحاسبوا وهدوا لها قبل أن تعذبوا وتزودوا

إن الهوى لهو الهوان بعينه
فاذا هويت فقد لقيت هوانا

وقال آخر

نون الهوان من الهوى معمرة
فاذا هويت فقد لقيت هوانا

(نكتة) في مخالطة الهوى قال الله تعالى وهو أصدق القائلين وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وقد ذكر السري السقطي رضي الله عنه في قول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اصبروا أي على لذتها ورجاء السلامة وصابروا على القتل في سبيل الله بالثبات والاستقامة ورابطوا الهوى النفس اللوامة واتقوا ما يعقب لكم من الندامة لعلكم تفلحون غدا على بساط الكرامة ووفى كتاب الفرج بعد الشدة أن راهبا اشتهر ببلاد مصر بالمكاشفة فقال عالم المسلمين لابد من قتله حتوفا على المسلمين أن يفتنهم فقصده بسكين مسمومة فلما طرق بابه قال اطرح السكين يا عالم المسلمين فطرحها فدخل فقال له من أين للكفر والمكاشفة قال بمخالفة النفس فقال هل لك في الاسلام قال نعم أشهد أن

(ومن ستر مسلما) أي ستر عورته الحسية بان يرى عورة شخص بادية لعدم ما يستر بها فيعطيه ما يستر بها والمعنوية باعانته على ستر دينه كان يكون محتاجا للنكاح فيتوسل له في التزويج أو الكسب أو يتوسل له في اضاعة يتجر فيها أو نحو ذلك وقوله ومن ستر مسلما أي ستر بدنه بالالباس أو عيوبه بعدم الغيبة والذب عن مغايبه قال ابن فرج الاردلسي والمراد الستر على ذوي الهيئات ونحوهم ممن ليس مشتهرا بالاذى والفساد وأما المعروف بذلك فيستحب ان لا يستر عليه بل ترفع قضيته الى ولي الامر ان لم يخف من ذلك مفسدة لان الستر على هذا يطمعه في الايذاء والفساد وانتهاك الحرمات أو جسارة غيره على مثل فعله هذا كله في ستر معصية وقعت وانقضت اما معصية تراآه عليها وهو يعد متلبس بها فتجب المبادرة بانكاره عليه ومنعه منها على من قدر على ذلك ولا يحل الستر عليهم اذا رأى منهم ما يقدح في أهليتهم وليس هذا من الغيبة المحرمة بل من النصيحة الواجبة وهذا يجمع عليه (ستره الله في الدنيا والآخرة) بان لا يعاقبه على ما فرط منه وقال عليه الصلاة والسلام من رأى عورة فسترها فكأنما أحيا موؤدة رواه النسائي وأبو داود من حديث عقبة بن عامر زاد الحاكم من قبرها وقال صحيح الاسناد وقال عليه الصلاة والسلام لا يرى امرؤ من أخيه عورة فيسترها عليه الا دخل الجنة رواه الطبراني (والله في عون العبد) الواو للاستئناف وما بعدها هذه والاخيرة للعطف وهو تذييل لما قبله لشموله لدفع الحضر وهو ما في الاولين وجلب النفع وهو ما في الثالث ولهذا عدل به عن سياق ما قبله من الشرطية الى الجملة الاسمية ليقوى حكمها بابتناء الخبر فيها على المبتدا (ما كان العبد) أي مدة دوام كونه (في عون أخيه) بقلبه أو بدنه أو بهما او مال او غيرهما كجاهه كما اذا كان محتاجا الى النكاح فيزوجه أو الى مال فيشتري له ضاعة يكتسب فيها الان المجازاة من جنس العمل وتأمل قصة موسى لما خرج لحاجة أهله كلمه الله في عين حاجته وهي النار وسببه ان موسى عليه الصلاة والسلام لما قضى الاجل الذي بينه وبين شعيب استأذنه في الرجوع لي مصر لزيارته ووالدته وأخيه هرون فخرج باهله واخذ على غير الطريق مخافة ملوك الشام فولدت امرأته في ليلة شاتية وكانت ليلة جمعة فالجأه السير الى جانب الطور الغربي الايمن فقدح زنده فلم يوره فبينما هو من ايله اذ أبصر نارا من بعد عن يسار الطريق من جانب الطور وقال لاهله ظن انها نار من نيران الرعاة فاتاها فاذا هي شجرة خضراء النار من أعلاها الى أسفلها تتقد بيضاء كاضوأ ما يكون فدنا منها فسمع تسبيح الملائكة ورأى نورا عظيما فظن انه نار فاخذ من الحشيش اليابس ليقتبس من لهبها فمالت اليه كانها تريده فتأخر عنها وهابها ثم لم يكن باسرع من خمودها كانها لم تكن فرفع رأسه الى فروعها فاذا الخضرة ساطعة من السماء وكذلك الخضرة حوله أمير الجيش الذي كان فيه برتاد له ماء وكانوا قد فقدوا الماء فوقع بعين الحياة فشرب منها وعاش الى الآن وهو لا يعرف ما خص الله به شارب ذلك الماء من الحياة وعن مجاهد ان مريم مرت في طلبها لعيسى بحاكة فطلبت الطريق فارشدوها غير الطريق فقالت اللهم انزع من كسبهم البركة وأمتهم فقراء وحقرهم في أعين الناس فاستجيب دعاؤها وقد ورد في الحديث من سعى في حاجة أخيه المسلم قضيت له أو لم تقض غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكتب له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق وبعث الحسن البصري جماعة من أصحابه في حاجة لرجل وقال لهم مروا ثابت البناني فخذوه معكم فاتوا ثابتا فقال أنا معتكف فرجعوا الى الحسن فاخبروه فقال قولوا له يا أعمش أما تعلم ان مشيك في حاجة أخيك المسلم خير لك من حجة بعد حجة فرجعوا الى ثابت فاخبروه فترك اعتكافه وذهب معهم (ومن سلك) اي دخل (طريقا) فعيلا من الطرق لان الارجل

ونحرها

ونحوها طرقه والطريق يذكر ويؤنث والجمع أطرق وطرق اه لكن جمعه على اطرق مخصوص بحالة التأنيث كما أن جمعه على أفعلة مخصوص بحالة التذكير وأما جمعه على فعل فهو في الحالتين والتنوين فيه للشيوع اذ النكرة في الاثبات تفيد العموم كقوله تعالى علمت نفس ما احضرت (يلتمس) أي يطلب (فيه) أي في غايته أو بسببه أو فيه حقيقة لكنه نادر جدا فلا يحمل الحديث عليه (علما) شرعيا بأي سبب كان من التعلم والتعليم والتصنيف وقوله علما حصل أو لم يحصل لان الاعمال بالنيات وذكره ليتناول أنواع العلوم الدينية ويندرج فيه القليل والكثير (سهل الله به) أي بذلك السلوك على حذاء لواو أو أقرب للتقوى أي العدل (طريقا الى الجنة) يحتمل في الدنيا بان يوفق للاعمال الصالحة ويحتمل في الآخرة بان يجازى على طلب العلم وتحصيله بتسهيل دخول الجنة بحيث لا يرى من مشاق المواقف الشاقة من العقبات والجواز على الصراط ما يراه غيره وذلك بان يسهل عليه الموقف في المحشر والجواز على الصراط وهذا أقرب لظاهر الحديث وقد روى أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من أحب ان ينظر الى عتقاء الله من النار فلينظر الى المتعلمين فوالذي نفس محمد بيده ما من متعلم يختلف الى باب عالم الا كتب الله له بكل قدم عبادة سنة وبنى له بكل قدم مدينة في الجنة ويمشي على الارض والارض تستغفر له ويمسي ويصبح مغفورا له (وما اجتمع قوم) هم الرجال فقط أو مع النساء على ما مر فيه من الخلاف ويذكر ويؤنث مثل رهط ونفر قال الله تعالى وكذب به قومك وقال كذبت قوم نوح واستفيد من تنكيره ان كل قوم اجتمعوا والمذكر حصل لهم الاجر من غير اشتراط وصف خاص فيهم من علم أو صلاح أو زهد وكره الامام مالك الاجتماع على القراءة والذكر الا أن يكون كل واحد يقرأ لنفسه على انفراده أو يذكر وعليه حمل الحديث وما أشبهه من الاحاديث الدالة على الاجتماع على التلاوة والذكر (في بيت من بيوت الله مما) بنى لنيل ثوابه ورضاه من نحو مسجد ورباط ومدرسة وقوله من بيوت الله ليس قيدا اذ غيرها كهي لكنه خرج مخرج الغالب اظهار الشرفها اذ العبادة فيها أفضل من غيرها (يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم) يحتمل أن يكون ذلك جملة واحدة كما هو الواقع في غالب البلاد ويحتمل ان يقرأ كل واحد منفردا شيأ منه وعلى هذا حمل امامنا مالك الحديث لكراهة الاجتماع على القراءة جملة واحدة وأصل الدراسة التعهد للشيء تدارسوا القرآن أي اقرؤوه وتعهدوه وقوله يتلون الخ حال من قوم لتخصيصه (الا نزلت عليهم السكينة) فعيلة من السكون والمراد بها هنا الوقار والطمأنينة وكل ما يطمئن القلب به ويسكن وأيضا اسم ملك ينزل لتسكين الرعب والخوف اذ بذكره تعالى تطمئن القلوب لاضداد الحركة وقيل هي الرحمة واختاره القاضي عياض وفيه نظر لعطف الرحمة عليه المقتضي للمغايرة وأما السكينة في قوله تعالى فيه سكينة من ربكم وبقية فقال ابن عطية قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه انها ريح هفافة لها وجه كوجه الانسان وروى انه قال ريح خجوج سريعة المرور والخجوج كما قال الجوهري هي التي تلتوي في صوبها وقال مجاهد السكينة شيء يشبه الهرة لها رأس كرأس الهرة وجناحان وذنب وقيل لها عينان لهما شعاع وجناحان من زمرد وزبرجد وقال وهب بن منبه عن بعض علماء بني اسرائيل انها رأس هرة ميتة كانت اذا هرت في التابوت بصراخ الهر أيقنوا بالنصر وقيل صورة هرة مع بني اسرائيل اذا ظهرت انهزمت اعداؤهم وقال ابن عباس والسدي انها طشت من ذهب من الجنة كان يغسل فيه قلوب الانبياء وقيل انها روح من الله تتكلم اذا اختلفوا في شيء أخبرتهم ببيان ما يريدون وقال عطاء بن أبي رباح هي ما يعرفون من الآيات فيسكنون اليها وقال النووي هي شيء من خلق الله تعالى فيه طمأنينة ورحمة وقال السيوطي انها اسم ملك مخصوص وقيل هي شيء كان يلقى موسى فيه الالواح

عابدا من عباد بني اسرائيل راودته امرأة عن نفسه فطلب منها ماء ليتطهر به ثم صعد الى موضع عال في القصر ورمى نفسه الى الارض فقيل لابليس هلا أغويته فقال ليس لي سلطان على من خالف هواه وقال المرعشي رحمه الله كنت في حرك فكسرنا فوقعت أنا وامرأة على لوح فعطشت المرأة فسألت الله ان يسقيها فنزلت علينا سلة فيها كوز ماء فنظرت الى رجل في الهواء فقلت له كيف جلست في الهواء قال تركت اهوائي لهواه فجلسني في الهواء وقال الشبلي رحمه الله لما قالت له الشجرة يا شبلي كن مثلي يرموني بالاحجار وأرميهم بالثمار فقال لها كيف مصيرك الى النار قالت بميلي مع الهوا هكذا وهكذا وقد جاء في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قدر على امرأة أو جارية حراما فتركها مخافة الله أمنه الله تعالى يوم الفزع الاكبر وحرم عليه النار وأدخله الجنة (نكتة) قال أبو زرعة رأيت امرأة في الطريق

فقالت هل لك في الاجر والثواب فقلت بلى فقالت نعم فالتي ادخلي داري فدخلتها فاغلقت الابواب فعلمت مقصودها فقلت اللهم

والعصا وقيل غير ذلك (وغشيتهم الرحمة) أى علتهم وسترتهم وشملتهم وغطتهم من كل جهة (وحفظتهم الملائكة) أى احدقت وطافت بهم وفرقت عليهم واحاطت بهم ملائكة الرحمة المترلة لاستماع الذكر تعظيما له واكراما للذاكرين على غاية من القرب والملاصقة بهم بحيث لم يدعوا للشيطان فرجة يتوصل منها لهم ومنعه حافة الطريق أى جانبه وقوله تعالى حافين من حول العرش أى محدقين به وأما قوله كان بى حفيا أى لطيفا وقيل بارا (وذكرهم الله) أى اثنى عليهم أو أثنتهم كما يقول الانسان لاخيه اذكرنى فى كتابك أو أثابهم كما قيل به فى تفسير قوله تعالى فاذكرونى اذكركم أى اذكرونى بالطاعة اذكركم بالجزاء عليها والمتبادر الى الذهن الاول (فيمن عنده) من الانبياء والملائكة المكرمين والروحانيين مباهاة بهم لقوله تعالى فى الحديث القدسى من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ومن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه فالعندية هنا عندية شرف ومكانة لا عندية مكان لاستحالتها عليه تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقد اجتمع مالك بن دينار بالبهلول فقال أخبرنى عن الاولياء فقال له البهلول هم الذين لا يلفظون بغير ذكر الله لفظة ولا ينظرون لغيره نظرة (ومن ابطأ) من البطء نقيض السرعة أى من قصر (به عمله) يعنى من أخره عمله السيئ أو تقريطه فى العمل الصالح (لم يسرع به نسبه) أى لم ينفعه شرف نسبه ولم ينجبر نقصه به فلا يلحقه برتب أصحاب الاعمال الكاملة لان المسارعة الى السعادة انما هى بالاعمال لا بالانساب لقوله عز وجل ان أكرمكم عند الله اتقاكم فاخبر تعالى ان الفضل عنده بالتقى دون النسب وقوله صلى الله عليه وسلم انتونى باعمالكم لا بانسابكم وأنشد الحريرى

وما الفخر بالعظم الرميم وانما * فخار الذى يبغى الفخار بنفسه

فان قيل قوله تعالى والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شئ يدل على ان شرف النسب ينفع فان المفسرين فسروه ان ذريات المؤمنين صغارا كانوا أو كبارا يلحقون بآبائهم فى المراتب من غير ان ينقص من مراتبهم شئ وفى الحديث ان الله يرفع ذرية المؤمنين فى درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه اهـ ويؤخذ منه ان الاب اذا كان دون ولده فى الدرجة انه يرفع فى درجة ولده لعلة المذكور فما وجه التوفيق بين هذا ومافى الحديث هنا فالجواب ان المذكور فى الآية الشريفة يكون فى الجنة والحديث محمول على الصراط وفى لفظ الابطاء والاسراع اشارة اليه ويؤيده ما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يكون رجل هو آخر من يجوز على الصراط فيلتفت فلا يرى وراءه احدا يقول يارب ابطأت بى فيناديه يا عبدى عملك أوأن ما فى الحديث هنا محمول على شرف النسب من جهة الدنيا (رواه مسلم) بهذا اللفظ وهو حديث جليل جامع لكثير من الفوائد

(الحديث السابع والثلاثون)

(عن ابن عباس) رضى الله عنهما (عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه) ظاهره انه من الاحاديث القدسية المنسوبة الى كلام الله عز وجل نحو أنا عند ظن عبدى بى ويحتمل ان المراد فيما يحكيه عن فضل ربه أو حكمه أو نحو ذلك (تبارك) تفاعل فعل ماض لا يتصرف ولا يجئ منه مضارع ولا اسم فاعل ولا مصدر ومعناه تعاظم وتقدس وهو جامع لانواع الخير ومخصوص بالبارى سبحانه (وتعالى) أى تنزه عما لا يليق بعلى كماله الاقدس (قال الله تعالى) (كتب) من الكتابة وهى تنقيش ما فى الذهن من العلوم بالخط بواسطة تركيب الحروف (الحسنات) أى ما يتعلق به الثواب (والسيئات) أى ما يستحق فاعله العقاب والمراد أمر الحفظة بكتابتهما أو قدرهما فى علمه على وفق الواقع ثم بين ذلك الكتب والضمير فى قوله بين راجع الى الله تعالى ان قلنا انه من الاحاديث القدسية أى بين مقدارهما للكرام الكاتبين من التضعيف فى الحسنات من عشرة أو سبعين أو سبعمائة أو غير ذلك

والتخفيف

الله تعالى * وقيل ان موسى عليه السلام قال يارب خلقت الخلق وربيتهم بنعمتك ثم جعلتهم يوم القيامة فى النار فقال يا موسى ازرع زرعا فزرعه وحصده ودرسه فاوحى الله تعالى اليه ما فعلت فى زرعك قال رفعته قال هل تركت منه شيأ قال تركت مالا خير فيه قال يا موسى كذلك أدخل النار من لا خير فيه نسأل الله العفو والعافية بمنه وكرمه آمين * (خاتمة المجلس) حكى أن بعض الصالحين كان يعمل الاطباق فخرج يوما يبيعها فرأته امرأة فقالت ادخل منزلى حتى اشترى منك فدخل فغلقت الابواب وطلبت منه الفاحشة فقال أريد ماء أتطهر به فطلع الى سطح الدار ورمى نفسه فأمر الله ملكا فحمله على جناحه الى الارض سالما فرجع الى زوجته فاخبرها بامره وكانا صائمين فقالت نطوى هذه الليلة ونحييها بالصلاة شكرا لله تعالى على السلامة من المعصية ولكن قد اعتاد الجيران أن يأخذوا نارا من التنور فان لم يروا نارا ظنوا أنا فى ضيق فاوقدت التنور فدخلت عجوز لتأخذ نارا فقالت يا فلانة أدركى الخبز الذى فى

والتخفيف في السيئات أولنا في التنزيل أوالى النبي صلى الله عليه وسلم على الاحتمال الثاني أي فصل ذلك الذي أجمله في قوله كتب الحسنات والسيئات بقوله (فمن هم بحسنة) أي قصد فعلها الان الهم قصد الفعل والقاء تفصيلية لان ماذكره مجمل لا يفهم منه كيفية الكتابة (فلم يعملها) بجوارحه وهو بفتح الميم (كتبها الله عنده) هذه عندية تشرف ومكانة لتنزهه تعالى عن عندية المكان وفي هذا رد لمقالة من زعم ان الحفظة انما تكتب ماظهر من أعمال العباد وسمع من أقوالهم واحتجوا بما روى عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم انها قالت لان أذكر الله في قلبي مرة أحب الي من ان أذكره بلساني سبعين مرة وذلك لان ملكا لا يكتبها وبشر لا يسمعها واطلاع الملكين الموكلين بالعبد على الهم انما يكشف عن القلب وما يحدث فيه كما يقع لبعض الاولياء وانما باعلام الله اياهما بذلك ويؤيده ماوقع في حديث ابن عمر فينادي الملك أكتب لفلان كذا وكذا فيقول يارب انه لم يعمل فيقول انه نواه وانما يرجع تظهرهما من القلب فريح الحسنة طيبة وريح السيئة خبيثة تمتاز بها (حسنة) لان الهم بالحسنة سبب الى عملها وهي خير وسبب الخير خير فالهم بها خير (كاملة) مفعول ثان باعتبار تضمين الكتابة معنى التصيير أو حال موطئة أي لا نقص فيها وليس المراد بكمالها مضاعفاتها لان التضعيف مختص بالعمل ولو مر عليه أزمنة متعددة وهو يحدث نفسه بعمل تلك الحسنة فان الله تعالى يكتب له حسنات بعدد تلك الازمنة (وان هم بها فعملها) بكسر الميم (كتبها الله عنده عشر حسنات) لانه أخرجها من الهم الى ديوان العمل فكتب له بها حسنة ثم ضوعفت فصارت عشرا قال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وهذا أقل ماوعد به من التضعيف وقد تضاعف مضاعفة أخرى (الى سبعمائة ضعف) بكسر الضاد أي مثل وقيل مثلين على حسب مايكون فيها من خلوص النية وايقاعها في مواضعها التي هي أولى بها (الى أضعاف كثيرة) بحسب الزيادة في الاخلاص وصدق العزم وحضور القلب وتعدي النفع كالصدقة الجارية والعلم النافع والسنة الحسنة ونحو ذلك وذكر بعضهم ان اختلاف المضاعفة باختلاف الاعمال فنوع يضاعف بعشرة أمثاله كسبحان الله كما يأتي بيانه ونوع بخمسة عشر كصوم يومين من الشهر لقوله عليه الصلاة والسلام لعبد الله بن عمرو بن العاصي صم يومين وذلك ما بقي من الشهر ونوع بعشرين ونوع بثلاثين لقوله عليه الصلاة والسلام من قال سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لا اله الا الله فله عشرون حسنة ومن قال الحمد لله كتب له ثلاثون حسنة ونوع بخمسين لخبر من قرأ القرآن باعرابه فله بكل حرف خمسون حسنة لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف قال الغزالي وأنظر ما المراد باعرابه هل المراد به عدم الخطأ في الاعراب والاتيان به مجردا أو الاول فقط وعد الحافظ السيوطي فيمن يؤتى أجره مرتين من قرأ القرآن باعرابه قال والمراد باعرابه مفرقة معاني ألفاظه وليس المراد به المصطلح عليه في النحو وهو مايقابل اللحن لان القراءة مع فقده ليست بقراءة ولا يثاب عليها اه وذكر الثعالبي رحمه الله تعالى تفسير الاعراب في حديث من قرأ القرآن باعرابه فله بكل حرف الخ نحو ماتقدم عن السيوطي ومن هذا النوع حديث من قرأ القرآن بوضوء فله بكل حرف خمسون حسنة ونوع بخمسمائة لحديث صلاة الرجل في بيته بصلاة وصلاته في المسجد الذي يجمع فيه بخمسمائة صلاة ونوع بسبعمائة وهو نفقة الاموال في سبيل الله قال الله تعالى مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم وفي صحيح مسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال جاء رجل بناقة مخطومة فقال يارسول الله هذه في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة ونوع بسبعمائة ألف لما رواه ابن ماجه أنه عليه الصلاة والسلام قال من أرسل بنفقة في سبيل الله وأقام في

رزقا من غير عمل فسقطت عليهما جوهرة من سقف البيت فغرحا بذلك فلما نام رأت المرأة في منامها الجنة ومنابر أهل الطاعة على أحسن حال ورأت منبر زوجها قد سقط منه جوهرة فلما استيقظت أخبرته وقالت ادع الله أن يرد الجوهرة مكانها فطارت في الحال وفي رواية أنه قال اللهم ارزقني رزقا يغنيني عن بيع الاطباق فنزل جراد من ذهب فقال اللهم ان كان من الدنيا فبارك لي فيه وان كان نصيبي من الآخرة فلا حاجة لي به فارتفع الجراد باذن الله تعالى اللهم وفقنا لما يرضيك عنا يارب العالمين (المجلس الثاني والاربعون في الحديث الثاني والاربعين)*

الحمد لله الذي انفرد باسمائه العظمى المختص بالرحمة والجبروت والملك الاعز الاحمى المتفضل بالعفو والمغفرة على عباده المذنبين فلم يؤاخذهم بتخيل ولاوهما وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك القدوس الذي وسع كل شئ رحمة وعلما وأشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله المرسل الى الناس كافة بشيرا ونذيرا صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين فازوا بقربه في الفردوس الاسمى (عن أنس رضي الله عنه

ما كان منك ولا أبالي
يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك
عنان السماء ثم استغفرتني
غفرت لك يا ابن آدم انك
لو أتيتني بقراب الارض
خطايا ثم أتيتني لا تشرك
بي شيأ لأتيتك بقرابها
مغفرة رواه الترمذي
وقال حديث حسن) ثم
اعلم وا أخواني وفقني الله
وايا كم لطاعته أن هذا
الحديث حديث عظيم
وهو من الاحاديث
القدسية وليس له حكم
القرآن لعدم تواتره كما
في نظائره السابقة (قوله
يا ابن آدم) نداء لم يرد به
واحد بعينه عدل اليه
ليعم كل من يتأتى نداؤه
وآدم عربي مشتق من
الادمة وهي جرة تميل
الى السواد أو من أديم
الارض كما قال النبي
صلى الله عليه وسلم خلق
آدم من أديم الارض كلها
فخرجت ذريته على نحو
ذلك منهم الابيض
والاسود والسهل والحزن
والطيب والخبيث وقيل
أعجمي لا اشتقاق له
(قوله انك ما دعوتني
ورجوتني) أي انك مدة
دعائك اياي بما ينفعك
ومدة تاميلك اياي خير
ما عندي (غفرت لك)
أي سترت ذنوبك فلا

يبته فله بكل درهم بمثلها ثم ومن غزا بنفسه في سبيل الله وانفق في وجهه فله بكل درهم سبعمائة
ألف درهم وذكر الخطاب في حاشية الرسالة القيروانية أن الصلاة في جماعة باثنين وخمسين فان كانت
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فبمائتي ألف وخمسين ألفا والله يضاعف لمن يشاء ويزيد بألف ألف
لقوله عليه الصلاة والسلام من دخل السوق فقال بصوت مرتفع لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك
وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف
سيئة ورفع له ألف ألف درجة رواه الترمذي من حديث ابن عمر وقد قيل لابي هريرة أسمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى ليجزي على الحسنة الواحدة ألف ألف حسنة فقال سمعته يقول
ان الله ليجزي على الحسنة الواحدة ألفي ألف حسنة وقد روي عن ابن عباس أن التضعيف بيد الله ان
شاء الله الى ألفي ألف قال ابن عطية وليس هذا ثابت الاسناد عنه وقال الشارح الهيتمي ومن الفضل
أيضا أن الله تعالى اذا حاسب من له حسنات متفاوتة المقادير جازاه باجر أرفعها كلا اله الا الله وحده
لا شريك له الخ اذا قيلت في سوق مع رفع الصوت فان فيها ألفي ألف حسنة ومحو ألفي ألف سيئة مع
مناصب في الجنة لقائلها كما ورد فاذا كانت في حسنات عبد جوزي على سائر حسناته باجرها كما قال تعالى
ولنجزينهم أجرهم باحسن ما كانوا يعملون وهذا بحسب مقداره مغرقتنا والا ففضله تعالى لا يمكن أحد
ان يحصره انتهى (وان هم بسيئة فلم يعملها) أي تركها امتثالا مع القدرة على فعلها (كتبها الله عنده
حسنة كاملة) لانه انما تركها بعد ان هم بها خوفا من الله عز وجل ولذا جاء في بعض طرق الحديث انما
تركها من جراي أي من أجلي وأما لو حال بينه وبينها حائل كان يذهب الى امرأة ليزني بها فيجدها البيت
مغلقا ويتعسر عليه فتحه فلا يكتب له حسنة ومثله من تمكن من الزنا فلم يباشر أو طرقه من يخاف أداءه
وحينئذ فان ترك السيئة امتثالا كتب له حسنة والا فلا (وان هم بها وفعلها كتبها الله له سيئة واحدة)
قال الله تعالى ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون وظاهر قوله واحدة أنه لا يكتب عليه
الهم معها لكن مفهوم الحديث الذي رواه الشيخان خلافه وهو قوله صلى الله عليه وسلم ان الله تجاوز
لامتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل به فقضية ذلك أنه اذا تكلم بما هم به كالغيبة أو عمله
كشرب المسكر انضم الى المؤاخذة بذلك المؤاخذة بالهم واعتمده التقي ابن رزين وتناقض فيه كلام
السبكي ورجح ولده ما يوافق كلام ابن رزين نعم ان جعل قوله في حديث النفس ما لم تتكلم أو تعمل به
ليس له مفهوم فلا يقال انها اذا تكلمت أو عملت يكتب عليها حديث النفس لانه اذا كان الهم لا يكتب
فحديث النفس أولى وافق الحديث الذي هنا الا أن فيه بعدا واستثنى بعضهم الحرم المكي فقال ان
السيئة فيه تضاعف وفيه ما فيه واعلم أن ما يقع في النفس من قصد المعصية له خمس مراتب الاولى
الهاجس وهو ما يلقى فيها ولا يؤاخذ به اجماعا لانه ليس من فعل العبد وانما هو وارد لا يستطيع دفعه
الثانية الخاطر وهو جريانه فيها وهو مرفوع أيضا الثالثة حديث النفس وهو ما يقع فيها من التردد
هل يفعل أم لا وهو مرفوع أيضا لقوله عليه الصلاة والسلام ان الله تجاوز لامتي عما حدثت به
أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل به الرابعة الهم وهو قصد الفعل وهو مرفوع أيضا وفي هذه المرتبة
تفترق الحسنة والسيئة فان الحسنة تكتب له والسيئة لا تكتب عليه بخلاف الثلاث الاول فانه
لا يترتب عليها ثواب ولا عقاب الخامسة العزم وهو قوة القصد والعزم به قال بعضهم وهو كالاقسام
السابقة والمحكي عن المحققين المؤاخذة به وهو الصحيح وممن قال بذلك القاضي أبو بكر قال القاضي
عياض في الاكمال عامة السلف وأهل العلم من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين على ما ذهب
اليه القاضي أبو بكر اه ويدل للمؤاخذة به حديث اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل
والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه

أظهر هل العقاب عليها (قوله ما كان منك) أي من الذنوب على تكرار معصيتك الموجبة للايمان ثم

ثم ان العزم على الكبيرة وان كان سيئة فهو دون فعل الكبيرة المعزوم عليها وتردد في ذلك القاضي أبو بكر (رواه البخاري ومسلم بهذه الحروف) وهو حديث عظيم (فانظر) من النظر وهو كما قال الجوهري تأمل الشئ (يا أخي) نداء استعطاف وشفقة ليكون أدعى الى الامتثال والقبول (وفقنا الله) دعاء بالتوفيق لعزته اذلم يذكر في القرآن الا مرة واحدة في قوله تعالى وما توفيقي الا بالله وأما قوله ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فهو من الموافقة وقوله وفقنا يحتمل أن يريد بالضمير نفسه فقط أو هو وغيره وعلى الاول أتى بنون العظمة لانه يجوز للانسان تعظيم نفسه اذا بلغ درجة التأليف كما نص عليه شراح الرسالة القيروانية وفي الحديث ليس منا من لم يتعاظم بالعلم والعالم أشبه الناس بالجماعة وتقدم المراد به عند قوله ولا يحقره (واياك) بدأ بنفسه لانه يندب للانسان أن يقدم نفسه في الامور الدينية ومن هذا يعلم أن قول بعض الناس وبدأ بكم بعد قول من قال تقبل الله منكم ونحوه مخالفة للسنة قال أبو الحسن الشاذلي بعد أن ذكر انه يبدأ بنفسه في الدعاء ندبا ما نصه هذا في الدعاء في الكتاب وأما ان كتب كتابا لغيره وأراد أن يدعو فانه يبدأ بالمكتوب اليه وقيل يبدأ بنفسه وقيل يخير وجاء عن مالك رضي الله عنه انه قال ان كان المكتوب اليه أكبر من الكاتب بدأ به وان كان الكاتب أكبر بدأ بنفسه وهي فائدة حسنة اه وقوله هذا في الدعاء في الكتاب أي في الكتاب الذي يؤلفه وكذا اذا لفظ بالدعاء بغير كتاب كرب اغفر لي ولوالدي كما في الآية الشريفة فان قلت يرد على هذا قول من سمع العاطس يرحمك الله فانه لا يبدأ بنفسه فالجواب عن ذلك من وجهين الاول انه لما كان وسيلة الى دعاء الآخر له اغتفر ذلك الثاني أن الاول يحمل على من دعا لنفسه ولغيره والثاني على من دعا لغيره وانظر ما المراد بكونه أكبر هل في السن أو في النسب أو في العلم والظاهر أن المراد في واحد منها وربما يشعر به قوله صلى الله عليه وسلم لاتوسع المجالس الا لثلاث لذي علم أو سن أو ذي نسب والظاهر أنه اذا كان مساويا له يخير وذكر في العقيدة البرهانية أنه يقدم الدعاء للاخوان ايثارا لهم لما ورد في الحديث أن العبد اذا دعا لاخيه المسلم قال الله تعالى عبدي وبك أبدأ فأي فضيلة يلتمس وراء هذه وهي كونه مبدوءا به في الاجابة وقد يجمع بان ذلك بحسب المقام ولكل امرئ ما نوى (الى عظيم لطف الله) قال أهل اللغة اللطف بضم اللام واسكان الطاء واللطف بفتحهما لغتان فيه كما صرح به النووي وهو لغة الرفق وصنوف البر لما في النهاية يقال لطف به وله اذا رفق واليه أشار من قال هو اجتماع الرفق في الفعل والعلم بدقائق المصالح وايصالها لمن قدرت له ويطلق على الاقدار على الطاعة وهو بهذا المعنى مرادف للتوفيق مفهوما وماصدقا ويطلق اصطلاحا على ما يقع به صلاح العبد آخرة بان تقع منه الطاعة دون المعصية أي بدل المعصية وعليه فهو مرادف له ماصدقا لا مفهوما وقوله آخرة على وزن درجة ومعناه انه اذا هم بالمعصية يحصل له اللطف فيوقع بدلها طاعة ولطف بضم الطاء بمعنى صغر ودقق (وتأمل هذه الالفاظ) النبوية (وقوله عنده اشارة الى الاعتناء بها) وشرف فاعلها (وقوله كاملة للتوكيد) أي صفة مؤكدة (وشدة الاعتناء بها وقال في السيئة التي هم بها ثم تركها انما كتبها الله حسنة كاملة فاكدها بكاملة وان عملها كتبها سيئة واحدة فاكد تقليلها بواحدة) لان مفهوم الواحدة مشعر بالقلة (ولم يؤكدها بكاملة لله) دون غيره (المجد) على هذا الفضل العظيم (والمنة) أي النعمة المتقبلة من المن وهو الانعام مطلقا أو على ما يطلب ويطلق على تعداد النعم استكثارا لها وهو غير محمود الا من الله قال الله تعالى قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان لانه يمنه يذكر العبد فيه عثه على الشكر ومن الخلق قبيح مطلقا ولذا قيل المنة تهدم الصدقة كما قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وقال بعضهم

ان الله يحب الملحين في الدعاء والرجاء يتضمن حسن الظن بالله تعالى وهو يقول أنا عند ظن عبدي بي وعند ذلك تتوجه رحمة الله تعالى على العبد واذا توجهت لا يتعاظمها شئ لانها وسعت كل شئ كما قال تعالى ورحمتي وسعت كل شئ (قوله يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء) بفتح العين المهملة قيل هو السحاب وقيل عنان السماء صفائحها وما اعترض من أقطارها وقيل هو ما عن لك منها أي ظهر اذا رفعت رأسك والمعنى لو قدرت ذنوبك أشخاصا فملأت الارض والفضاء حتى وصلت السماء ثم استغفرتني غفرت لك اياها وذلك لان الله تعالى كريم والاستغفار استقالة والكريم يقبل العثرات ويغفر الزلات وهذا مثال للتناهي في الكثرة وكرم الله تعالى لا يتناهى وحقيقة الاستغفار اللهم اغفر لي وبقوم مقامه أستغفر الله لانه خبر بمعنى الطلب (قوله يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الارض خطايا) بضم القاف وكسرها لغتان والضم أشهر ومعناه ما يقارب ملأها وقيل علوها (قوله ثم أتيتني لا تشرك بي شيئا) أي مت معتقدا توحيدي أي مصدقا بما جاءت به رسلي

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم سبب نزولها ان قوما قالوا يا رسول الله هل يغفر لنا اذا أسلمنا على ما كان منا من الكفر وقتل وغيره فنزلت قل يا عبادي قال ثوبان لما نزلت قال النبي صلى الله عليه وسلم ما أحب أن تكون لي الدنيا وما فيها بهذه الآية قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه هي أرجى آية في القرآن وقيل غير ذلك وقدم الله تعالى من انقطع رجاؤه من فضل الله فقال تعالى انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون والرجاء حسن الظن بالله تعالى في قبول طاعة وفقت لها أو مغفرة سيئة قبحت منها وأما الطمأنينة مع ترك الطاعات والاصرار على المخالفات فمن وغرور وقد نهى الله تعالى عنه بقوله ولا يغرنكم بالله الغرور يعني الشيطان وجنوده فانه يحسن لك المعاصي وربما يجرك الى ذلك برجاء عفو الله وكرمه * وقد جاء في سعة رحمة الله تعالى أخبار كثيرة قال صلى الله عليه وسلم لو أخطأتم حتى تبلغ

وان امرأة أهدى الى ضيعة * وذكرتها انه لبخيل

وما أحسن قول الزمخشري طعم لا لاء أحلى من المن وهو أمر من الألاء عند المن وأراد بالألاء الأولى النعم وبالثانية الشجر المر وبالمن الاول ما ذكر في قوله تعالى المن والسلوى وبالثاني تعديد النعم وروى عن علي كرم الله وجهه انه سئل عن الجنان فقال الجنان هو الذي يقبل على من أعرض عنه والمنان هو الذي يبدأ بالنوال قبل السؤال (سبحانه) وتعالى وهو مفعول مطلق أي أنزهه عن النقائص وهو علم للتسبيح لا يستعمل غالبا الا مضافا (لا نحصي) معشر الخلق (ثناء عليه) موفيا بحق نعمه من نعمه والثناء بتقديم المثلثة والمد والمشهور في اللغة قصر استعماله في الخير وفي الشر مجازا وأما بتقديم النون فلا يستعمل الا في الشر وذكر صاحب المصباح انه يستعمل فيهما وهو الصحيح (وبالله التوفيق الى مرضاته)

(الحديث الثامن والثلاثون)

(عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال) علم هذا الحديث من الاحاديث القدسية ووقع في حديث أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم حدث به عن جبريل عن الله عز وجل (من عادى) من المعاداة ضد الموالاة والمصادقة والعدو ضد الولي والمثنى عدوة وهو من النوادر لان فعولا اذا كان بمعنى فاعل لا تلحقه التاء لاستواء المذكر والمؤنث فيه كصبور وجمعه عداة بضم أوله وكسره وعداء بالضم لا غير وفي رواية من أهان وفي رواية أحد من آذى أي وأغضب بالقول والفعل (لي) متعلق بقوله (وليا) أي من أجل كونه وليا لله فانه جرى بين الصديق والفاروق خصومة والعباس وعلي وكثير من الصحابة ما جرى ولذا قال الكرماني قوله لي هو في الاصل صفة لقوله وليا فلما تقدم صار حالا والولي مأخوذ من الولي بسكون اللام وهو القرب والدنو ومنه كل ما يليك وهو فعيل بمعنى فاعل لانه والى الله بالطاعة والتقوى من غير تخلل عصيان أو بمعنى مفعول لان الله والاه بالعصمة ومزيد الامداد ولم يكله الى نفسه لحظة وضابط الولي انه المواظب على فعل الطاعات واجتناب المنهيات المعرض عن الانهماك في اللذات فان قلت المعاداة لا تكون الا من جانبين ومن شأن الولي الحلم والصفح عمن يجهل عليه وأجيب بان المعاداة لا تنحصر في الخصومة والمعاملة الدنيوية بل قد تقع من بغض ينشأ عن التعصب كالرافضي في بغضه لابي بكر والمبتدع في بغضه السني فتقع المعاداة من الجانبين اما من جانب الولي فلله وفي الله واما من جانب الآخر فلما تقدم وكذا الفاسق المتجاهر ببغضه الولي لله وببغضه الآخر لانكاره عليه وملازمته لنهيه عن شهواته وأيضا المقاتلة قد تأتي للواحد كما وقعت للصحابة وعافاه الله قال علي بن أبي طالب أولياء الله قوم صفر الوجوه من السهر عمش العيون من الغبرة خمص البطون من الجوع يبس الشفاه من الذوى وعن عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله عبادا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله تعالى قيل يا رسول الله أخبرنا من هم وما أعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله أرحام بينهم ولا أموال يتعاطون بها فوالله ان وجوههم لنور وانهم على منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم تلا الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وبيانه ان ذلك في الولي الكامل وأما أصل الولاية فتحصل بالشهادتين ولذا قال بعض العارفين ابالك ومعاداة أهل لا اله الا الله فان لهم من الله الولاية العامة وهم أولياء الله وان أخطؤوا وجاؤا بقراب الارض خطايا لا يشركون بالله شيئا فان الله تعالى يتلقاهم بمثلها مغفرة * (تنبيه) * ولي ورد في القرآن لمعان الاول الولد كقوله تعالى في سورة مريم فهب لي من لدنك وليا يعني ولدا الثاني الصاحب من غير

قرابة كقوله تعالى في بني اسرائيل ولم يكن له ولي من الذل الثالث القريب كقوله تعالى يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا أي لا ينفع الكافر القريب قريبه الكافر الرابع العصبة كما في قوله في سورة مريم واني خفت الموالي من ورائي يعني العصبة الخامس الولاية في الدين كقوله تعالى في المائدة لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض السادس الولي الذي يعتقه كقوله تعالى في آل عمران لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين (فقد آذنته) بالمد وفتح المعجمة بعدها نون أي أعلمته والايذان الاعلام ونظيره قالوا آذنا لك اي اعلمناك واذ تأذن ربك أي أعلم فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله (بالحرب) أي أعلمته باني محارب له واللام في قوله بالحرب للجنس فينصرف الى أكمله فان قلت المحاربة مفاعلة وهي لا تكون الا من الجانبين مع ان الخلوق في أسر الخالق فالجواب ان هذا من باب المخاطبة بما يفهم فان الحرب ينشأ عن العداوة والعداوة تنشأ عن المخالفة وغاية الحرب الهلاك والله تعالى لا يغلبه فالمعنى فقد تعرض لاهلاكي اياه فاطلاق الحرب وأراديه لازمه أو اعمل به معاملة المحارب من التجلي عليه بمظاهر القهر والجلال والعدل والانتقام واذا ثبت هذا في جانب المعاداة ثبت ضده في جانب الموالاة فمن والى أولياء الله أكرمه الله وفي الحديث القدسي أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظل يوم لا ظل الا ظلي وقوله من عادى لي وليا أي من أجل ولايته وقربه من الله تعالى لا مطلقا فلا تدخل منازعة في محاكمة أو خصومة راجعة الى استخراج حق أو كشف غامض بجريان نوع ما من الخصومة بين أبي بكر وعمر وبين علي والعباس وبين كثير من الصحابة رضي الله تعالى عنهم مع ان الكل أولياء الله (وما تقرب الي) بتشديد الياء (عبدي) بالاضافة للتشريف من التقرب وهو طلب القرب من غير تخلل معصية قال أبو القاسم القشيري رحمه الله تعالى قرب العبد من ربه يقع أولا بايمانه ثم باحسانه وقرب الرب من عبده مخصه في الدنيا من معرفانه وفي الآخرة من رضوانه وفيما بين ذلك من وجود لطفه وامتنانه ولا يتم قرب العبد من الحق الا ببعده عن الخلق وقرب الرب بالعلم والقدرة عام للناس وباللطف والنصرة خاص بالخواص وبالتأنيس خاص بالاولياء ووقع في حديث أبي أمامة تحبب بدل تقرب (بشيء) اي عمل (أحب) يجوز فيه الرفع والنصب فالنصب على انه صفة لشيء المجرور ونابت فيه الفتحة عن الكسرة لانه لا ينصرف للعلمية ووزن الفعل والرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف أي هو أحب (الي مما) موصولة أو موصوفة والعائد محذوف وفيه حذف مضاف أي من أداء ما (افترضته عليه) عينا كان أو كفاية كالطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج وأداء الحقوق الى أربابها وبر الوالدين والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والحرف المهنة لان الامر بها جازم فيتضمن أمرين الثواب على فعلها والعقاب على تركها بخلاف النوافل لان الامر بها غير جازم فيثاب على فعلها ولا يعاقب على تركها ولذلك كانت الفرائض أكمل وأحب الى الله وأشد تقربا وروي ان ثواب الفرض يعدل ثواب النفل بسبعين درجة وبالجملة فالفرض كالاس والنفل كالبناء على ذلك الاس (وما يزال) بلفظ المضارع وفي رواية بلفظ الماضي (عبدي يتقرب الي) أي يداوم على التقرب الي زيادة على ما افترضته عليه (بالنوافل) الزائدة على الفرائض أي تطوعات من سائر أصناف العبادات من صلاة في الليل أو في النهار ولا سيما المؤكدات وصدقة أو حج تطوع أو اصلاح بين الناس أو جبر خاطر بينهم أو اعانة مسلم أو تيسير على معسر أو نحو ذلك ولفظ الطبراني ولا يزال عبدي يتحبب الي وفي رواية له لا يزال عبدي يتنفل الى (حتى أحبه) بضم الهمزة وفتح الباء الموحدة ويجوز في حتى وجهان أحدهما ان تكون بمعنى الى والثاني ان تكون بمعنى كي التي للتعليل (فاذا أحببته) بتقربه الى باداء الفرائض وكثرة النوافل حتى امتلأ قلبه من معرفتي وأشرقت عليه

يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى كتب كتابا قبل أن يخلق الخلق بالفي عام في ورقة من ورق الجنة ثم وضعه على العرش ثم نادى يا أمة محمد ان رحمتي سبقت غضبي أعطيتكم قبل أن تسألوني وغفرت لكم قبل أن تستغفروني من لقيني منكم يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبدي ورسولي أدخلته الجنة * وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فوجده يبكي فقال ما يبكيك يا رسول الله قال جاءني جبريل عليه السلام وقال ان الله تعالى يستحي أن يعذب أحدا قد شاب في الاسلام فكيف لا يستحي من شاب في الاسلام أن يعصي الله تعالى * وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبي فاذا امرأة من السبي تسعى اذ وجدت صبيا في السبي فاخذته فالصقته ببطنها فارضعته فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار قلنا لا والله وهي تقدر على أن لا تطرحه

الله صلى الله عليه وسلم قال قال رجل لم يعمل خيرا قط لأهله اذا أنا مت فحرقوني ثم ذروا نصفي في البر ونصفي في البحر فوالله لئن قدر الله علي أي ضيق ليعذبني عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين فلما مات الرجل فعلوا ما أمرهم فأمر الله تعالى البر فجمع ما فيه وأمر البحر فجمع ما فيه ثم قال لم فعلت هذا قال من خشيتك يا رب وأنت تعلم فغفر له * وعن أبي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة دفع الله الى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول هذا فداؤك من النار وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام أحبني وأحب من يحبني وحببني الى جميع خلقي قال يا رب كيف أحببك الى خلقك قال اذكرني بالحسن الجميل واذكر آلائي وأحساني وذكرهم ذلك فانهم لا يعرفون مني الا الجميل وكان أبو عثمان يتكلم في الرجاء كثيرا فرؤي في المنام بعد موته فقيل له كيف كان قدومك على الله فقال أوقفني بين يديه فقال ما حملك على ما فعلت فقلت أردت أن أحببك الى خلقك فقال قد غفرت لك * وروي أن

أنوار ولايتي (كنت سمعه) السمع قوة مرتبة في العصب المفروش على سمخ باطن الصماخ يدرك بها صورة ما يأتي اليه بتموج الهواء (الذي يسمع به وبصره) البصر هو قوة مرتبة العصبتين المجوفتين اللتين تتلاقيان متغرقتين الى العينين يدرك صورة ما ينطبع في الرطوبة الجليدية من أشباح الاجسام المتكونة (الذي يبصر) بضم أوله (به ويده التي يبطش) بفتح أوله وكسر ثالثه أو ضمه والكسر أشهر (بها ورجله التي يمشي بها) زاد عبد الواحد عن عمرو عن عائشة أحمد والبيهقي في الزهد وفؤاده الذي يعقل به ولسانه الذي يتكلم به فان قلت كيف يكون الباري وغلاما سمع العبد وبصره الخ فالجواب من أوجه أحدها على حذف مضاف أي كنت حافظ يسمع به فلا يسمع الا ما يحل سماعه وحافظ بصره فلا ينظر الا ما يحل ابصاره وحافظ يده فلا يبطش فيما لا يحل وحافظ رجله فلا يمشي بها الا فيما يحل المشي اليه اما ايجابا أو ندبا أو اباحة وهذا هو الثاني مما قال الفا كهاني يحتمل معنى آخر أدق من الذي قبله وهو أن يكون معنى سمعه سمعه وبصره بصره لان المصدر قد جاء بمعنى المفعول مثل انت رجائي بمعنى مرجوي وفلان أملي بمعنى مأمولي والمعنى لا يسمع ذكري ولا يتلذذ الا بتلاوة كتابي ولا يأنس الا بمناجاتي ولا ينظر الا في عجائب ملكوتي ولا يمد يده الا فيما فيه رضائي ومحبتي ولا يمشي برجله الا لذلك تألفها كنت له في النصرة كسمعه وبصره ورجله ويده في المعاونة رابعها قال أبو عثمان الحيري أحد أئمة الطريق معناه كنت أسرع الى قضاء حوائجه من سمعه في الاسماع وعينه في النظر ويده في اللمس ورجله في المشي خامسها انه ورد على سبيل التمثيل وكنت كسمعه وبصره في اشاره أمري فهو يحب طاعتي ويؤثر خدمتي كما يحب هذه الجوارح ما يسمها ان المعنى أجعل له مقاصده كأنه بالغا بسمعه وبصره الى آخرها سابعها قد يكون عبر بذلك عن سرعة اجابة الدعاء والنجح في الطلب وذلك ان مسائل الانسان كلها انما تكون بهذه الجوارح المذكورة وحمله بعض متأخري الصوفية على ما يذكرونه من مقام الفناء وهو وانه الغاية التي لا شيء وراءها وهو ان يكون قائما بالله تعالى له محبا لمحبته له ناظرا بنظره له من غير أن يبقى معه بقية تناط باسم أو تقف على رسم أو تتعلق بأمر أو توصف بوصف والتحقيق انه مجاز وكناية عن نصرة الله لعبده المتقرب اليه بما ذكر وتأييده واعانته وتوليته في جميع أموره حتى كأنه تعالى نزل نفسه من عبده منزلة الآلات والجوارح التي يستعين بها ولهذا جاء في رواية أخرى فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي أي أنا الذي اقدره على هذه الافعال وخلقتها فيه فانا الفاعل لذلك لا انه يخلق أفعال نفسه خلافا للمعتزلة وزعم الاتحادية والحلولية ان الحديث على حقيقته وان الحق عين العبد أو حاله فيه وضلا وكفرا جهارا وردا لهم قوله في بقية الحديث ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه (ولئن) بلام القسم (سألني) شيئا من أمور الدنيا والآخرة فحذف المفعول للتعميم وكذا فيما بعده (لأعطينه) ما سأل وقد كان العلاء بن الحضرمي في سرية فعطشوا فصلى وقال اللهم يا عليم يا حليم يا علي يا عظيم يا حبيبك وفي سبيلك نقاتل عدوك فاسقنا غيثا نشرب منه ونتوضأ ولا تجعل لأحد فيه نصيبا غيرنا فسار واقليلا فوجدوا نهرا من ماء السماء يتدفق فشربوا وملؤا أوعيتهم ثم ساروا فرجع بعض أصحابه الى موضع النهر فلم يرشيئا وكأنه لم يكن في موضعه ماء قط وخرج قوم غزاة في سبيل الله تعالى وكان لبعضهم حمارات الحمار وارتحل الناس فقام صاحبه وتوضأ وصلى وقال اللهم اني خرجت مجاهدا سبيلك وابتغاء مرضاتك وأشهد أنك تحيي وتميت وتبعث من في القبور فاحي لي حماري فقام الحمار وضرب به فقام الحمار ينفض أذنيه فركبه ولحق أصحابه ثم باع الحمار بعد ذلك بالكوفة فان قلت جماعة من العباد والصلحاء دعوا بالغوا فلم يجابوا فالجواب ان الاجابة تتنوع فتارة

بعينه على الفور وتارة يتأخر لحكمة فيه وتارة تقع الاجابة بغير المطلوب حيث لا يكون في المطلوب مصلحة ناجزة وفي الواقع مصلحة ناجزة أو أصلح منها (ولئن استعاذني) بالنون بعد الذال المعجمة وفي رواية بالباء الموحدة والاول أشهر واستعاذ بمعنى اعتصم واستجار (لاعيذنه) مما يخاف واللام موطئة للقسم ودخل قوم على الحسن البصري فشكوا الشيطان فقال خرج من عندي الساعة وشكا منكم وقال لم يتركوا لي دنيا أتركها لهم دينهم وقد ورد أن الشيطان يغوص في باطن الانسان ويضع رأسه على حبة قلبه ويلقي اليه الوسوسة ويدل لذلك ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا عليه مجاريه بالجوع وقال عليه الصلاة والسلام لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السموات والارض واختلف العلماء في الجن هل لهم اطلاع على بواطن البشر ونفوذ فيها فالمشهور أن لهم ذلك وأنكر أكثر المعتزلة ذلك قال شرف الدين المرسي رحمه الله اعلم ان الذي يستعيذ العبد لاجله يجري مجرى ما لا نهاية له أو لها الجهل وثانيها الفسق وثالثها المخالفات والآفات والمكروهات وفي الحديث ما منكم أحد الا وله شيطان قيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا ان الله تعالى أعانني عليه فأسلم بفتح الميم وفي رواية بضمها فالاول من الاسلام والثاني من السلامة أي اسلم من كيده وعن معقل بن يسار عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي وان مات في ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة وروت خولة بنت حكيم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من نزل منزلا فقال أعوذ بكلمات الله التامات لم يضره شيء حتى يرتحل من ذلك المنزل وقد ذكر القرطبي في تفسير قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الآية انه حكي عن بعض السلف انه قال لتلميذه ما تصنع بالشيطان اذا سول لك الخطأ ما قال أجاهده قال فان عاد قال أجاهده قال هذا يطول ولكن أرأيت لو مررت بغنم فنبحك كلبها ومنعك من العبور ما تصنع قال أكابده واردعه عليه جهدي قال هذا يطول عليك ولكن استغث بصاحب الغنم يكفه عنك والمستعاذ منه الشيطان واعوانه والنفس والهوى والدنيا واقتصر في الاستعاذة على الشيطان لان هذه الاشياء كلها من جنوده وأشياعه وأتباعه يصرفها في اغوائه ووسوسته ومما قيل في الاولياء

لي سادة من عزهم * أقدامهم فوق الجباه ان لم أكن منهم فلي * في ذكرهم عز وجاه

(رواه الامام البخاري) وهو أصل في السلوك الى الله تعالى والوصول الى معرفته ومحبته وطريقته

(الحديث التاسع والثلاثون)

(عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تجاوز) أي عفا وسامح وصفح وفي رواية عفا لامتي عن الخطأ هنا عن بمعنى فعل (لي) أي لاجلي (عن أمتي) أي أمة الاجابة (الخطأ) هذا يرجع الى قوله تعالى وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به والخطأ بفتحتين مهموز مقصورا والمراد به ضد العمد وهو ان يقصد شيأ فيخالف غير ما قصد لا ضد الصواب خلافا لزاعمه لان تعمد الاثم يسمى خطأ بالمعنى الثاني ولا تعمد في ارادته وقد يذم وقرئ بهما قوله تعالى وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ ويطلق على الذنب أيضا قال أبو عبيدة خطئ من باب علم وأخطأ بمعنى واحد لمن يذنب على غير عمد وقال غيره خطئ في الدين واخطأ في كل شيء عامدا أو غير عامد وقال الاموي الخاطئ من فعل ما لا ينبغي والمخطئ من أراد الصواب فصار الى غيره وفي الحديث لا يحتكر الا خاطئ وفي رواية ان الله تجاوز لامتي عن الخطأ وهي أظهر ووجه الاولى أن تجاوز ضمن معنى ترك أي ترك لي عن

بالسان والاقلاع بالابدان واضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيئ الخلان وقيل غير ذلك والاخبار والآثار في التوبة كثيرة *عن

تقنط عبادي منها وقال ابراهيم بن أدهم خلالي المطاف ليلة فكنت أطوف بالبيت وأقول اللهم اعصمني فهتف بي هاتف فقال يا ابراهيم كلكم تسألون الله العصمة فاذا عصمكم فعلى من يتكرم *وقال مالك بن دينار رحمه الله رأيت مسلم بن يسار بعد موته في المنام فقلت له ما لقيت بعد الموت فقال لقيت والله أهوالا وزلازل عظاما شدادا قال فما كان بعد ذلك قال ومن أتاه يكون من الكريم الا الكرم قبل منا الحسنات وعفا لنا عن السيآت وضمن عنا التبعات قال ثم شهق شهقة ومات فشيعنا عليه ثم مات بعد أيام فكانوا يرون ان قلبه قد انصدع *(خاتمة المجلس في التوبة) *قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا الآية قال أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهم التوبة النصوح أن يتوب ثم لا يعود الى الذنب كما لا يعود اللبن الى الضرع وقال القرطبي يجمعها أربعة أشياء الاستغفار

من الذنب الندم والاستغفار وعن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه أنه قال خرجت يوما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياعلي كل هم ينقطع الا هم أهل النار فانه لا ينقطع وكل سرور ونعمة تزول الا سرور أهل الجنة ونعيمهم فانه لا يزول ياعلي اذا أذنبت ذنبا فلا تؤخر التوبة الى الغد فان الى الغد ساقة بعيدة وهي مضي يوم وليلة وعسى أن لا تدرك الغد فتتوب وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان جبريل عليه السلام أتاه عند وفاته وقال ياأحمد الرب يقرئك السلام ويقول لك من تاب قبل موته بسنة قبلت توبته فقال ياجبريل السنة لامتي كثيرة فذهب جبريل عليه السلام ثم رجع فقال ياأحمد الرب يقرئك السلام ويقول لك من تاب قبل موته بشهر قبلت توبته فقال ياجبريل الشهر لامتي كثير فذهب ثم رجع فقال ياأحمد الرب يقرئك السلام ويقول لك من تاب قبل موته بجمعة قبلت توبته فقال ياجبريل الجمعة لامتي كثيرة فذهب ثم رجع فقال ان الله تعالى يقرئك السلام

أمتي الخطأ وقوله تجاوز لامتي الخ أي عن لاثم فقط في الخطأ والخطايا ويقصر وقرئ بهما في قوله تعالى ومن قتل مؤمنا خطأ لان حكمه من الضمان لا يرتفع اذا الخطأ والعمد في أموال الناس سواء وأما عن النسيان والاكراه فتارة عن الاثم فقط لان من حانث لا لفعل كذا فعله ناسيا يحنث وكذا لو أكره على فعله حيث كانت الصيغة صيغة حنث وتارة عن الاثم والحكم معا كمن أكره على الطلاق والعتق لقوله عليه الصلاة والسلام لا طلاق في اغلاق أي اكراه وكذا على فعل المحلوف عليه حيث كانت الصيغة صيغة بر (والنسيان) بكسر النون وهو ترك التفكر بلا قصد بعد حصول العلم فان قلت اذا كان الخطأ والنسيان تجاوز عنهما فلم هذه الامة فزعت الى الحكمة في الامر بالدعاء في قوله تعالى ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا فالجواب الامر للاستدامة وقد يطلق على الترك ومنه قوله تعالى نسوا الله فنسيهم ولا تنسوا الفضل بينكم ويطلق على التأخير كقوله تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها أي نؤخرها واختلف في الخطأ والنسيان المذكورين في قوله تعالى ان نسينا أو أخطأنا فقيل النسيان بمعنى الترك أي تركنا شيأ من طاعتك وقيل الذهول والخطأ عن المتعمد وقال ابن زيد المعنى ان نسينا الموءود أو أخطأنا في النهي وقال عطاء بجهلنا وعمدنا والمراد هنا الاول قال في المصباح ونسيت الشيء أنساه نسيانا مشترك بين معنيين أحدهما ترك الشيء على ذهول وغفلة بذلك خلاف الذكر والثاني الترك على تعمد وعليه ولا تنسوا الفضل بينكم أي لا تقصدوا الترك والاهمال ويتعدى الى ثان بالهمز والتضعيف ونسيت ركعة أهملتها ذهولا ورجل نسيان وزان سكران والفرق بين النسيان والسهو أن النسيان زوال عن الحافظة والمدركة لا لجهل بعد العلم والسهو زوال عن الحافظة فقط والفرق بين السهو والخطأ ان السهو ما ينتبه صاحبه بادنى تنبيه والخطأ ما لا ينتبه به ويقال المأتي به ان كان على جهة ما ينبغي فهو الصواب وان كان لا على ما ينبغي نظر فان كان مع قصد من الآتي به سمي الغلط وان كان من غير قصد منه فان كان ينتبه بادنى تنبيه فهو السهو والا فهو الخطأ والنسيان حالة تعتري الانسان من غير اختياره توجب غفلته عن الحفظ والغفلة ترك الالتفات بسبب أمر عارض وقيل الغفلة تكون عما لا يكون والسهو يكون عما يكون تقول غفلت عن هذا الشيء حتى كان ولا تقول سهوت عنه حتى كان وفرق آخر هو أن الغفلة تكون عن فعل الغير تقول كنت غافلا عما كان من فلان ولا يجوز أن تسهى عن فعل الغير (وما استكرهوا عليه) أي من صدر منه الاكراه فلا يقع من أكره على الردة ولا يصح اعتاقه ولا طلاقه ولا شيء من تصرفاته وهو مذهب مالك والشافعي وأحمد خلافا لابي حنيفة في الطلاق والحديث مخصوص بما اذا لم يكن بمحرم فان أكره بالقتل يجب القصاص على المكره بالكسر والمكره بالفتح أو بالزنا ونحو ذلك وتجب العقوبة من أكرهه على كذا اذا حلته عليه قهرا والكره بالضم المشقة يقال فعلت على كره بالضم أي على مشقة وبالفتح الاكراه يقال أكرهني فلان على كره بالفتح اذا أكرهك عليه وقال الكسائي هما لغتان ومفهوم هذا الخبر ان الخطأ والنسيان والاكراه كان يؤاخذ بها أولا فلا تمنع المؤاخذة بها عقلا فان الذنوب كالسموم فكما ان تناولها يؤدي الى الهلاك وان كان خطأ فتناول الذنوب لا بد أن يفضي الى العقاب وان لم تكن عزيمة لكنه تعالى وعدنا التجاوز عنه رحمة وفضلا ومن ثم أمر الانسان بالدعاء باستدامة واعتداد ابالنعمة (حديث حسن رواه محمد بن ماجه و) أبو بكر (البيهقي وغيرهما) * (فائدة) * لما نزل قوله تعالى وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله شق ذلك على الصحابة رضي الله عنهم فأتوا جماعة منهم للنبي صلى الله عليه وسلم وقالوا كلفنا من العمل ما لا نطيق ان أحدنا ليحدث نفسه بما لا يحب أن يثبت في قلبه وان له الدنيا فقال لهم صلى الله عليه وسلم فلعلكم تقولون كما قالت بنو اسرائيل سمعنا وعصينا قولوا سمعنا وأطعنا فقالوا

ويقول لك من تاب من أمتك قبل موته بيوم قبلت توبته فقال يا جبريل اليوم لامتي كثير فذهب ثم رجع فقال ان الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك ان كانت هذه كثيرة فلو بلغت روحه الحلقوم ولم يمكنه الاعتذار بلسانه واستحى مني وندم بقلبه غفرت له ولا أبالي * وروى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعا وتسعين نفسا فسأل عن أعبد أهل الارض فدل على راهب فأتاه فقال انه قتل تسعا وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمل به المائة ثم سأل عن أعلم أهل الارض فدل على رجل عالم فأتاه فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة قال نعم ومن يحول بينك وبين التوبة انطلق الى أرض كذا وكذا فان بها أناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ولا ترجع الى أرضك فانها أرض سوء فانطلق حتى أتى نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة انه قد جاء تائبا ومقبلا بقلبه الى هذه الارض وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فأتاهم ملك الموت في صورة آدمي فجعلوه بينهم حكما فقال قيسوا بين الارضين فالى أيهما كان أقرب فهو له

فلما زلقت بهم ألسنتهم واطمأنت اليها نفوسهم أنزل الله تعالى آمن الرسول الى قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فتعلق بالكسب دون العزم كذا في أكثر التفاسير وفي بعضها أنها نسخت بهذه وأكثر المحققين من أهل الاصول على أن النسخ يكون في الاحكام دون الاخبار وهذا خبر

* (الحديث الاربعون) *

(عن ابن عمر) رضي الله عنه (قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي) بفتح الميم وكسر الكاف مجمع العضد والكتف يروى بالتثنية والافراد وفيه مس المعلم بعض أعضاء المتعلم عند التعليم أو الموعوظ عند الوعظ لي ما يقال له فيكون أبعد لنسيانه وهذا كقول عبد الله بن مسعود علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم التشهد كفي بين كفيه وقد يضمه اليه كما فعل جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم حين قال له اقرأ وذلك لاحضار القلب والتنبيه والتذكير اذ المحال عادة أن ينسى من فعل معه ذلك ويقال له معه وهذا لا يفعل في الغالب الا مع من يميل اليه الفاعل ففيه دليل على محبته عليه السلام لهما (فقال كن في) مدة اقامتك في (الدنيا كأنك غريب) في محل نصب خبر كن أي كن في الدنيا مشبها بالغريب الذي قاسى الذل والمسكنة في غربته وعلق قلبه بالرجوع الى وطنه أي لا تركن اليها ولا تتخذها وطنا ولا تتعلق بها الا بما يتعلق الغريب في غير وطنه (أو عابر سبيل) أي طريق معطوف على غريب عطف خاص على عام وأو فيه بمعنى بل كما ذكره الجوهري وفيها معنى الترقي والمعنى كن في الدنيا كغريب بل عابر سبيل أي لا تركن الى الدنيا ولا تتخذها وطنا ولا تحدث نفسك البقاء فيها ولا تتعلق منها الا بما يتعلق به الغريب في غير وطنه فهو حث على احتقار الدنيا والفراغ عنها والزهد فيها ولا يأخذ منها الا مقدار الضرورة المعينة على الآخرة فان الغريب مستوحش متوحش لا يجد من يعرفه فينبسط اليه ويأنس به ولا مقصد له الا الخروج من غربته الى وطنه وموضع اقامته لا يبالي أن يرى على خلاف عادته في ملبوسه ونحو ذلك ولا يحسد ولا يعادي ولا يحقد ولا ينافس أحدا في مجلس ولا غيره لقلة اقامته وكذا عابر السبيل أي المار في الطريق وهو المسافر اذ ليس له أرب الا فيما يعينه على سفره وقفوله الى بلده واجتماعه بأهله فلا يتخذ في بعض المراحل دارا ولا مسكنا ولا بستانا ولا حماما ونحو ذلك لعلمه بقلة اقامته في سفره وانه لو أمكنه الطيران لطار فيه ولا يعرج على غير ما يكون سببا لرحيله ومعينا على سفره ووصوله الى وطنه وأيضا فالانسان انما وجد ليمتحن بالطاعة والمعصية ليكون مثابا أو معاقبا بدليل انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا قال ابن بطال ولما كان الغريب قليل الانبساط الى الناس بل هو متوحش منهم اذ لا يكاد يعرف بمن يعرفه ويستأنس به فهو ذليل في نفسه خائف وكذلك عابر السبيل لا ينفذ في سفره الا بقوته عليه وتخفيفه من الاثقال غير متشبث بما يمنعه من سفره معه زاده وراحلته يبلغانه الى بغيته من قصده شبه بهما وفي ذلك اشارة الى ايثار الزهد في الدنيا وأخذ البلغة منها والكفاف وكما لا يحتاج المسافر الى أكثر مما يبلغه الى غاية سفره فكذلك لا يحتاج المؤمن في الدنيا الى أكثر مما يبلغه الى المحل اه وحينئذ فهو كعبد أرسله سيده في حاجة الى غير بلده فشأنه أن يبادر بفعل ما أرسله سيده فيه ثم يعود الى وطنه ولا يتعلق بشيء غير ما هو فيه ودخل رجل على أبي ذر رضي الله تعالى عنه فقال يا أبا ذر أين متاعكم فقال ان لنا بيتا نوجه اليه متاعنا فقال لا بد لك من متاع ما دمت ههنا قال تعلم ان صاحب المنزل لا يدعنا فيه وقال الحسن رضي الله عنه المؤمن في الدنيا كالغريب لا يجزع من ذلها ولا ينافس في غيرها ولهذا أوصى صلى الله عليه وسلم جماعة من أصحابه أن يكون بلاغهم من الدنيا كزاد الراكب وقيل لمحمد بن واسع كيف أصبحت قال ما ظنك برجل يرتحل الى الآخرة كل يوم مرحلة وقال داود الطائي انما الليل والنهار مراحل ينزلها الناس مرحلة مرحلة

يعني حتى ينتهي ذلك بهم الى آخر سفرهم فان استطعت ان تقدم كل يوم زاد المسافرين يديك فافعل واقض ما أنت قاض من أمر دينك فكأنك بالرحيل وقد نقلك فكيف يركن الى الدنيا من يومه يهدم شهره وشهره يهدم سنته وسنته تهدم عمره كما قيل

وما هذه الايام الا مراحل * عمر تطوى والمقر قاعد

وقيل تسير الى الآجال في كل لحظة * وأيامنا تطوى وهن مراحل

ولم أر مثل الموت حقا كأنه * اذا ما خطته الامانى باطل

وقال الشبلي من ركن الى الدنيا أحرقته بنارها فصار رمادا تذروه الرياح ومن ركن الى الآخرة حرقته بنورها فصار ذهبا أحمر ينتفع به ومن ركن الى الله أحرقه بنور التوحيد فصار جوهرا لا قيمة له وروى ابن أبي الدنيا والبيهقي من حديث عائشة انه عليه الصلاة والسلام قال الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وقال عليه الصلاة والسلام مثل هذه الدنيا كمثل ثوب شق من أوله الى آخره فبقي معلقا بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع رواه أبو نعيم والبيهقي من حديث أنس رضي الله عنه وأنشد بعضهم

أيا من له في باطن الارض حفرة * أتأنس بالدنيا وأنت غريب

وما الدهر الا يوم وليلة * وما الموت الا نازل وقريب

وأنشد آخر الموت في كل حين ينشر الكفنا * ونحن في غفلة عما يراد بنا

لا تطمئن الى الدنيا وزينتها * ولو توشحت من أثوابها الحسنا

أين الاحبة والجيران ما فعلوا * أين الذين هم كانوا لنا سكنا

سقاهم الموت كاسا غير صافية * فصيرتهم لاطباق الثرى رهنا

وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه من جمع ستة خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا يعني لم يترك الجهد في طلب الجنة والهرب من النار عرف الله فاطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الآخرة فطلبها وقال أيضا ارتحلت الدنيا مدبرة وارتحلت الآخرة مقبلة ولكل منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فان اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل وعن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا ائتوني بالدنيا يوم القيامة على صورة عجوز شمطاء زرقاء أنيابها بادية مشوهة خلقها الابراها أحد الا كرهها فتشرف على الخلائق فيقال لهم أتعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من معرفتها فيقال هذه الدنيا التي تفاخرتم بها وتقاتلتم عليها وروى في خبر انه يؤمر بها فتلقى في النار فتقول يا رب أين أتباعي وأصحابي فيلحقون بها (وكان) عبد الله (ابن عمر يقول) في بعض وصاياه (اذا أمسيت) أي دخلت في وقت المساء (فلا تنتظر) بعمل من أعمال البر (الصباح) وهو أول ما يبدو من النهار (واذا أصبحت) دخلت في وقت الصباح (فلا تنتظر) بعمل من أعمال البر (المساء) لانه ربما يكون تأخرها سببا لفواتها وعدم استدراكها وقدم المساء على الصباح لان في المساء النوم الذي هو أحد الوفاتين لقوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل فالتراخي فيه أكثر والمراد اذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالبقاء الى الصباح واذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالبقاء الى المساء وانتظر الموت في كل وقت واجعله نصب عينيك وعقب به المصنف ما قبله لان ذلك الحث على ترك الدنيا وهذا الحث على تقصير الامل وذاك موقف على هذا لانه للصلح العمل والمنجي من أوقات التراخي والكسل وقد قيل لبعضهم ما قدر أملك في الدنيا فقال هل لمن نفسه في يديه أمل وكان محمد بن واسع اذا أراد النوم قال لاهله أستودعكم الله فلعلي لا أقوم من

ما من ليلة الا وتشرف البحار على الخلائق فتنادي يا رب الذين انا فنغرق الخاطئين فيقول الله عز وجل ان كان العبيد عبيدكم فافعلوا بهم ما شئتم وان كانوا عبيدي فدعوهم فاذا مل عبدي من المعصية وأتى ما بي قبلته وان أتاني في جوف الليل قبلته أو في النهار قبلته فليس علي بابي حاجب ولا بواب مني قال رب أسأت أقول عبدي غفرت * حكي انه كان في بني اسرائيل شاب عبد الله تعالى عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ثم انه نظر في المرآة فرأى الشيب في لحيته فساءه ذلك فقال الهي أطعتك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة فان رجعت اليك قبلتني فسمع قائلا يقول ولا نرى شخصه أجبناه فاجبناك وتركناك فقركناك وعصيتنا فامهلناك وان رجعت الينا قبلناك اللهم ارزقنا التوبة النصوح يا رب العالمين * وهذا آخر المجالس السنية في الاربعين النووية ونختمها بمجلس الختام فنقول بفضل الملك العلام * (خاتمة الكتاب في مجلس الختام) * الحمد لله المبدئ المعيد الفعال لما يريد الذي

نومتي ولهذا جاء في الحديث لا يبيت احدكم الا ووصيته عند رأسه فلعله ان يبيت من أهل الدنيا ويصبح في أهل الآخرة فكم من مستقبل يوما أو عملا لا يستكمله قال أبو نصر بن دحمان قصر الامل أصل كل خير كما ان تطويله أصل كل شر فان من لا يقدر في نفسه انه لا يعيش غدا لا يسعى لكفاية غد ولا يهتم لما فيصير حرا من رق الحرص والطمع والذل وخدمة أبناء الدنيا ويكفيه كل شئ ومن قدر انه يعيش عشرين سنة مثلا فانه يصير عبدا لهذه الاوصاف الذميمة ولا يكفيه شئ من الدنيا ولا يملأ بطنه وعينه الا التراب ولبعضهم

تبغي من الدنيا الكثير وانما ... يكفيك منها مثل زاد الراكب

لا تعجبن بما ترى فكأنه ... قد زال عنك زوال أمس الذاهب

ولبعضهم تقنع بما يكفيك واستعمل الرضا ... فانك لا تدري أتصبح أم تمسي

فليس الغنى عن كثرة المال انما ... يكون الغنى والفقر من قبل النفس

والحق انه سبب الزهد في الدنيا وقول بعض الشراح انه نفس الزهد فيها أراد به أن بينهما تلازما صيرهما كالشئ الواحد فمن قصر أمله زهد ومن طال أمله طمع ورغب في الدنيا وترك الطاعة وسوف بالتوبة ونسي الآخرة ومقدماتها من الموت وما بعده من الاهوال فيقسو قلبه ضرورة لان رقة القلب وصفاءه انما يكون بذكر ذلك قال تعالى فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وقال تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون وقال ابن الجوزي اذا رأيت قرافة همه قبرك وعد باقي الحياة رمادا عن أبي زكريا التيمي قال بينما سليمان بن عبد الملك في المسجد الحرام اذ أتي بحجر منقور فطلب من يقرأه فاتى برهيب بن منبه فقرأه فاذا فيه ابن آدم انك لو رأيت ما بقي من أجلك لزهدت في طويل أملك ولرغبت في الزيادة من عملك ولقصرت من حرصك وحيلك فانما يلقاك ندمك اذا زلت بك قدمك وأسلمك أهلك وحشمك فبان منك الولد القريب ورفضك الوالد والنسيب فلا انت الى دنياك عائد ولا في حسناتك زائد فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة ولبعضهم

اذا هبت رياحك فاغتنمها ... فان لكل خافقة سكون

ولا تغفل عن الاحسان فيها ... فما تدري السكون متى يكون

اذا ظفرت يداك فلا تقصر ... فان الدهر عادته يخون

(وخذ من) العمل من (صحتك) قبل أن يحال بينك وبينها (لمرضك) أي اغتنم العمل حال الصحة فانه ربما عرض للمريض وسقم مانع منه فاذا كنت تعمل في حال الصحة جرى لك ثوابه في حال المرض لخبر ابن عساكر عن مكحول اذا مرض العبد أي الانسان المسلم يقال لصاحب الشمال ارفع عنه القلم أي عن الضعيف ويقال لصاحب اليمين اكتب له أحسن ما كان يعمل فاني أعلم به لانه لم يحصل منه تقصير (و) خذ (من) العمل زمن (حياتك لموتك) أي اغتنم ما تلقى نفعه بعد موتك مادمت حيا فان من مات انقطع عمله قال الله عز وجل فاستبقوا الخيرات وقال تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين مستنزع عما ورد أنه عليه الصلاة والسلام قال لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك (رواه البخاري) وخرجه ابن ماجه ولم يذكر قول ابن عمر

(الحديث الحادي والاربعون)

(عن) أبي محمد ويقال أبو نصر ويقال أبو عبد الرحمن (عبد الله بن عمرو بن العاص) باثبات الياء وأكثر المحدثين يحذفونها وأقلهم يثبتها قال النووي والصواب جواز الوجهين قال بعضهم واثباتها يدل على

الله تعالى في سورة السجدة في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون أي في الدنيا وكما قال تعالى في سورة سأل في يوم كان مقداره خمسين

في الدنيا وقيل يوم القيامة فيه خمسون موطنا كل موطن ألف سنة نسأل الله أن يخففه علينا بمنه وفضله وليوم القيامة أسماء كثيرة تعدت أسماؤه لكثرة معانيه فمن أسمائه الساعة لوقوعها بغتة في ساعة لسرعة حسابها قال الله تعالى وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب ومن أسمائه القيامة لقيام الخلق كلهم من قبورهم اليها أو لقيام الناس لرب العالمين كما روى مسلم عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم القيامة يقوم أحدهم في رشحه الى نصف أذنيه قال ابن عمر يقومون مائة سنة ويروى عن كعب يقومون ثلثمائة سنة أو سبعين بذلك القيام الروح والملائكة صفا وسن أسمائه القارعة لانها تقرع القلوب بأهوالها والحاقة لانها كائنة من غير شك والغاشية لانها تغشى أبصار الخلائق بأهوالها حتى انهم لا يرون من عن يمينهم ولا من عن شمائلهم بدليل لكل امرئ الآية ويقال هو دخان يخرج من النار يغشى وجوه الخلائق والآزفة اي القريبة والواقعة لوقوع الامر في ذلك اليوم والخافضة لانها الى

انه من العصيان ويدل له أن عمر بن الخطاب كان يناديه بقوله يا عاصي يا ابن العاصي وحذفها يدل على انه من العدوص وهو فحر يك النبي ابن وائل بن هاشم بن سعيد بن سعد بن سهل بن عمرو بن حيص بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي السهمي واسم أمه وبطة بنت منبه بن الحجاج بن عامر بن سعد بن سهل ولم يسلم عمرو الا بعد الحديبية لانه جاء في الحجر مع خالد بن الوليد وعثمان الحجبي وهو الآمر أمر محمد الا في ازدياد وأمر قريش في انتقاص ثم اتفقوا على الاسلام وقيل انه أسلم على يد النجاشي ويلقز بها فيقال صحابي أسلم على يد نابغي وما ان احتضر عمر وقال لولده عبد الله الى قبل الاسلام لا رفع طرفي الى نبي صلى الله عليه وسلم كراهية ولوددت على ذلك اني دخلت النار وبعد الاسلام كنت لا أرفع طرفي اليه حياء منه صلى الله عليه وسلم (رضي الله عنهما) أسلم قبل أبيه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يفضله على أبيه وكان أبوه أكبر منه باثنتي عشرة سنة وقيل باحدى عشرة سنة وقيل بثلاثة عشر وهو من أجل العبادلة وكان عزيز العلم مجتهدا في العبادة وكان من زهاد الصحابة وكان يقول لا تدمع عيني دمعة من خشية الله عز وجل أحب الي من أن أتصدق بالف دينار وكان يقول لو تعلمون حق العلم لسجدتم حتى تقصفت ظهوركم ولصرختم حتى تنقطع أصواتكم فابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وكان واسع الرواية قال أبو هريرة رضي الله عنه ما أحد أكثر حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مني الا عبد الله بن عمرو بن العاص فانه كان يكتب ولا أكتب وروى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعمائة حديث اتفقا على سبعة عشر حديثا وانفرد البخاري بثمانية ومسلم بعشرين وروايته أكثر من ذلك وانما توعرت الطرق في الرواية عنه فكان ذلك سببا في قلة ما تداولا وكان عبد الله بن عمرو هذا قد استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الكتابة عنه في حالة الرضا فاذن له حتى كان يسمى صحيفته الصادقة ويقال انه حفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم ألف مثل وكان قد قرأ الكتب وكان يصوم النهار ويقوم الليل ويرغب عن غشيان النساء وجاءه أبوه من قريش ثم دخل عليها أبوه فقال لها كيف وجدت بعلك فقالت خير الرجال أو خير البعولة من رجل لم يطأ لنا كفاء ولم يدرك لنا فراشا فاقبل عليه والده يعظه وقال له زوجتك امرأة من قريش فعضلتها ثم الى النبي صلى الله عليه وسلم فشكا له فارسل اليه النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه فقال له ألست تصوم النهار قال نعم قال وتقوم الليل قال نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لكني أصوم وأفطر وأصلي وأنام فمن رغب عن سنتي فليس مني وكان مع أبيه الى أن توفي أبوه بمصر ثم انتقل الى الشام الى أن توفي يزيد ثم انتقل الى مكة ومات بها وقيل مات بالشام وقيل مات بالطائف وقيل مات بمصر وهو ابن اثنتين وسبعين أو ثلاث وسبعين سنة وكان قد عمي في آخر عمره ولما حضرته الوفاة قال انه كان خطبني ابنتي رجل من قريش وقد كان مني اليه شبيه بالوعد فوالله لا ألقى الله بثلث النفاق أشهدوا اني قد زوجته (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم ايمانا كاملا (حتى يكون هواه) بالقصر وهو مصدر هوى أي أحبه وشرعا ميل النفس الى خلاف ما يقتضيه الشرع الى ما تحبه نفسه وتميل اليه وتدعو اليه شهوتها ويجمع على أهواء وأما الهوى ما بين السماء والارض فجمعه أهوية وجمعهما قول بعضهم

سكن الفؤاد مع الهوى في أضلعي * فاستجمعت وسط الحشا نيران
فقصرت بالممدود عن وصل الظبا * ودرجت بالمقصور في أكفاني

(تبعا لما) أي لجميع ما (جئت به) من الاوامر والنواهي والغالب ان الهوى لا يطلق الا على الميل الى خلاف الحق كما قال تعالى ونهى النفس عن الهوى وقد يطلق على مطلق الميل فيدخل فيه الميل

تخفض أقواما بدخولهم النار بأعمالهم السيئة والرافعة لأنها ترفع أقواما بدخولهم الجنة بأعمالهم الحسنة والطامة أي القيامة لكل شئ وسميت بذلك لكثرة الاهوال والصاخة أي الصخة التي تصخ الاذن فتورث الصمم ويوم الصيحة لصيحة اسرافيل في الصور ونفخه فيه ويوم الزلزلة لتزلزل القلوب والاقدام ويوم الفرقة قال الله تعالى يومئذ يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير ومن أسمائه اليوم الموعود لانه ميعاد الخلق ومرصادهم وعد الله فيه قوما بالنجاة وقوما بالهلاك وقوما بالثواب وقوما بالعذاب ومن أسمائه يوم العرض قال الله تعالى يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية والاعمال تعرض فيه على الله عز وجل ومن أسمائه يوم الحشر للخلق بان يحييهم الله بعد فنائهم ويجمعهم للعرض والحساب ومن أسمائه يوم المفر قال الله تعالى يقول الانسان يومئذ أين المفر ومن أسمائه اليوم المعلوم قال الله تعالى قل ان الاولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم ٢٧٣ قيل ان الاولين من قبل آدم والآخرين من بعده وقيل ان الاولين من قبل محمد والآخرين من بعده الى يوم القيامة ومن أسمائه اليوم العسير لشدة الحساب فيه والمرور على الصراط ووزن الاعمال ورجة بعضهم بعضا حتى يكونوا مثل السهام في الجعبة وعلى كل قدم ألف قدم وقيل سبعون ألف قدم وتدنو الشمس من رؤس الخلائق حتى تكون منهم كمقدار ميل وهو المرود الذي يكتحل به في العين ويزاد في حرها بضعة وستون ضعفا وحرارة الانفاس وحرارة النار المحدقة بارض المحشر وعرق الناس حتى يغوص عرقهم في الارض مقدار سبعين باعا أو ذراعا على اختلاف الروايات ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم حتى ان

الى الحق وغيره ولا يحصل الرجوع عن هوى النفس ومحبوباتها الشهوانية المطبوعة عليها الا بمجاهدة وتصبر واحتمال مشقة حتى تطمئن النفس فاذا اطمأنت أحبت ما يحبه الله حينئذ فقوله حتى يكون هواه تبعا لما جئت به أي بان يميل قلبه وطبعه اليه كميله لمحبوباته الدنيوية التي جبلت النفس على الميل اليها من غير مجاهدة وتصبر واحتمال مشقة أو بعض كراهة مما بل تهواها كما تهوى المحبوبات والمشتهيات فان من أحب شيأ اتبعه هواه ومال عن غيره اليه والا وهو لذلك لم يقل صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى يأتمر بما أمرته أو حتى يأتي بكل ما جئت به أو حتى يتبع ما جئت به ونحو ذلك لان المأمور بالشئ الملزم به أو المتبع له قد يفعله اضطرارا واعلم ان الهوى يميل الانسان بطبعه الى مقتضاه ولا يقدر على جعله تابعا لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم الا كل ضارمه وزول اذ الهوى لغلبة الشهوة الطبيعية يملك الانسان لقوله صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار والدرهم تعس عبد الخميصة وقد يتغالى الشخص في اتباعه حتى يجعل إلهه قال تعالى أفرأيت من اتخذ إلهه هواه أي معبوده هواه قال أبو الدرداء اذا أصبح الرجل اجتمع هواه وعمله فان كان عمله تبعا لهواه فيومه يوم سوء وان كان هواه تبعا لعمله فيومه يوم صالح وفي الحديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني وفي رواية والفاجر بدل العاجز وعن سليمان بن داود ان الغالب لهواه أشد من الذي يفتح المدينة وحده وعن حذيفة بن قتادة قال كنت في مركب فكسرت بنا فوقعت أنا وامرأة على لوح فمكثنا سبعة أيام فقالت المرأة أنا عطشانة فسألت الله تعالى أن يسقيها فنزلت عليها من السماء سلة فيها كوز معلق فيه ماء فشربت فرفعت رأسي أنظر الى السلة فرأيت رجلا جالسا في الهواء متربعا فقلت من أنت قال من الانس قلت فما الذي بلغك هذه المنزلة قال آثرت مراد الله على هواي فاجلسني كما ترى وعن وهب ابن منبه قال كان في بني اسرائيل رجلان بلغت بهما عبادتهما الى أن مشيا على الماء فبينما هما يمشيان على البحر اذ هما برجل يمشي في الهواء فقالا يا عبد الله بأي شئ أدركت هذه المنزلة قال بيسير من الدنيا قطعت نفسي عن الشهوات وكفت لساني عما لا يعنيني ورغبت فيما دعاني اليه ولزمت الصمت فان أقسمت على الله بر قسمي وان سألته أعطاني وعن عبد الواحد بن محمد الفارسي قال سمعت بعض أصحابنا يقول رأيت غرقة في الهواء وفيها رجل قلت له عن حالته التي بلغته الى تلك المنزلة فقال تركت الهوى فادخلت في الهواء وقال رجل للحسن يا أبا سعيد أي

السفن لو أجريت في عرقهم لجرت ويقول الرجل يا رب أرحني ولو الى النار فهذا هو اليوم العسير (ونذكر بعض أهواله وأحواله كما ذكرنا بعض أسمائه) فنقول قال الله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون واذا قام الناس من قبورهم لفصل القضاء وحشروا على أحوال فمنهم من يكسى ومنهم من يحشر عريانا ومنهم راكب وماش ومسحوب على وجهه ومنهم من يذهب الى الموقف راغبا ومنهم من يذهب خائفا ومنهم قوم تسوقهم النار سوقا وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات سكران فانه يعاين ملك الموت سكران ويعاين منكرا ونكيرا سكران ويبعث يوم القيامة سكران الى خندق في وسط جهنم يسمى السكران فيه عين يجري ماؤها دما لا يكون له طعام ولا شراب الا منه وجاء ان المؤذنين والملبين يخرجون يوم القيامة من قبورهم يؤذن المؤذن ويلبي الملبي وقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم ليس على أهل لا اله الا الله وحشة عند الموت ولا في قبورهم ولا في نشورهم وكأني باهل لا اله الا الله ينفضون التراب عن رؤسهم وهم يقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن وجاء ان النائحة تخرج من قبرها يوم القيامة شعثاء غبراء عليها جلباب من لعنة ودرع من نار يريدها على رأسها وهي تنادي واويلاه والذين يأكلون الربا يبعثون كالمجانين عقوبة لهم قال تعالى الذين يأكلون الربا الآية ويحشر مع كل واحد شيطان يخنقه ومن مات على مرتبة من المراتب بعث عليها يوم القيامة فاذا جمع الله الخلائق أجمعين في صعيد واحد تكلموا لا يتكلمون حفاة عراة غرلا مؤمنهم وكافرهم وحرهم وعبدهم وصغيرهم وكبيرهم وانسهم بجنهم وملكهم ووحشهم وطيرهم حتى الذر والنمل قال الله تعالى وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا فتأثرت النجوم من فوقهم وطمس ضوء الشمس والقمر فتشتد الظلمة ويعظم الامر ثم تنشق السماء على غلظها وصلابتها فتسمع الخلائق لانشقاقها صوتا عظيما منكرا فظيعا تدهش لهوله الالباب وتخضع لشدته الرقاب ثم ينظرون الملائكة هابطين الى الارض فتنزل ملائكة سماء الدنيا فتحيط بالخلائق ثم ملائكة السماء الثانية خلفهم دائرة ثانية كذلك حتى يكونوا سبع دوائر في كل دائرة ملائكة سماء ثم تسيل السماء فتكون كالمهل وهو النحاس المذاب فيطوي الله بعضها على بعض ثم تنهار وتذوب وتذهب حيث شاء الله وتدنو الشمس من رؤس الخلائق حتى تكون قدر ميل فيشتد الكرب من الزحام ويكثر العرق كما قال عليه السلام ان العرق يوم القيامة ليذهب في الارض سبعين ذراعا وانه ليبلغ الى أفواه الناس وآذانهم وجاء في حديث آخر ان الرجل ليغرق في عرقه الى شحمتي أذنيه ولو شرب من ذلك العرق سبعون بعيرا ما نقص منه شيء قالوا فما النجاة من ذلك يا رسول الله قال الجلوس بين يدي العلماء ويكون الناس في العرق يوما مختلفين فمنهم من يبلغ ركبتيه ومنهم من يبلغ حقويه أو أذنيه ولا ظل يومئذ الا ظل الله تعالى وهو ظل يخلقه الله تعالى في المحشر لا يكون فيه الا من أراد الله اكرامه فيقفون كذلك شاخصين الى نحو السماء قدر أربعين سنة وقيل سبعين سنة من سني الدنيا لا ينطقون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه وقال صلى الله عليه وسلم من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله في ظله وقال صلى الله عليه وسلم من أشبع جائعا أو كساه عريانا أو آوى مسافرا أعاذه الله من أهوال يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من لقم أخاه لقمة حلوى صرف الله عنه مرارة الموقف يوم القيامة وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال

الجهاد أفضل قال جهاد هوالك وقال الاصمعي مررت باعرابي به رمد شديد ودموعه تسيل فقلت ألا تداوي عينيك فقال زجر في الطبيب ولا خير فيمن اذا زجر لا يزجر واذا أمر لا يأمر فقلت أما تشتهي أشتهي والكن أحتمي لان أهل النار غلبت شهواتهم فلم يحتموا فهلكوا وقيل ليحيى بن معاذ من أمع الناس عز ما فقال الغالب لهواه ودخل خلف بن خليفة على سليمان بن حبيب وعنده جارية يقال البدر من أحسن الجواري وجها وأكملها فقال سليمان لخلف كيف ترى هذه الجارية فقال أصلح الله الامير ما رأت عيناي قط أحسن منها فقال خذها على عجرها وبجرها فقال خذ بيدها فقال خلف ما كنت لافعل ولا أسلم اللام سيرا وقد عرفت عجبه بها فقال خذها على عجبي بها اليعلم هواي اني غالب له فاخذ بيدها وخرج وهو يقول

لقد حباني وأعطاني وفضلني * من غير مسئلة مني سليمان * أعطاني البدر جودا في محاسنها
والبدر لم يعطه انس ولا جان * ولست حقا بناسي عرفه أبدا * حتى يغيبني لحد وأكفان

ودخل الوليد بن يزيد بعض كنائس الشام فكتب في حيطانها ما أرى العيش غير أن أتبع النفس هواها فخطأ أو مصيبا فرأى ذلك عبد الله بن علي فكتب تحته

ان كنت تعلم حين تصبح آمنا * ان المنايا ان أقمت تقيم
فالزم هوالك لما رضيت فانه * لا مثل ذلك في النعيم نعيم

ولبعضهم

رب مستور سبته صورة * فتعرى ستره فانهتكا
صاحب الشهوة عبد فاذا * غلب الشهوة صار ملكا

وكان عبد الله بن حسن يطوف بالبيت فنظر الى امرأة جميلة فمشى الى جانبها ثم قال

أهوى هوى الدين والذات تعجبني * فكيف لي بهوى الذات والدين

فقالت له دع أحدهما تنل الآخر وقيل ان سبب ذلك ان عبد الله بن حسن لقي امرأة جميلة في الطواف فلما نظرت اليه والى جماله مالت نحوه وطمعت فيه فاقبل عليها وانشد البيت المذكور وفتركته وانصرفت وقال الجنيد اذا خالفت النفس هواها * صار داؤها دواها

وقال بعض الحكماء يا بني اعص هوالك والنساء وأطع من شئت وبروى واصنع ما شئت وقال ابن زيد

وآفة العقل الهوى من علا * على هواه عقله فقد نجا

ويقال ان هشام بن عبد الملك لم يقل في عمره الا بيتا واحدا

اذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى * الى بعض ما فيه عليك مقال

لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الصلاة ولا الصيام ولا الحج ولا العمرة قيل وما يكفرها يا رسول الله قال الهموم في طلب المعيشة صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا طال انتظار أهل الموقف طلبوا من يشفع لهم ليستريحوا من الموقف والانتظار والكرب وقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع اليه الذراع فكان تعجبه فنهش منها نهشة فقال أنا سيد الناس يوم القيامة هل تدرون بم ذلك يجمع الله الاولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الهم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول بعض الناس لبعض ألا ترون ما أنتم فيه ألا ترون ما بلغكم ألا ترون من يشفع لكم الى ربكم فيقول بعض الناس لبعض ائتوا آدم فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا الى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا

وقال غيره ان الهوان هو الهوى قصر اسمه * فاذا هويت فقد لقيت هوانا
وقال آخر نون الهوان من الهوى مسروقة * وصريع كل هوى صريع هوان

ثم اعلم ان من كان هواه تابعا لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم كان مؤمنا كاملا وضده الكافر وهو من اعرض عن جميع ما جاء به ومنه الايمان واما من تبع البعض فان كان ما تبعه أصل الدين وهو الايمان دون ما سواه فهو الفاسق وعكسه المنافق (حديث صحيح رويناه) حالة كونه (في كتاب الحجة) في اتباع المحجة تأليف الفقيه الزاهد أبي القاسم اسمعيل بن محمد بن الفضل الاصفهاني نزل دمشق ومصنف هذا الكتاب في عقيدة أهل السنة (باسناد صحيح) وخرجه الطبراني عن عقبة بن أوس عن عبد الله بن عمرو لكن زاد بعد ما جئت به لا يزيغ عنه قال ابن عبد البر وعقبة بن أوس مجهول

(الحديث الثاني والاربعون)

(عن أنس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى يا ابن آدم) أصله أأدم بهمزتين على وزن افعل لكنهم سهلوا الثانية بقلبها ألفا تخفيفا لاستثقال اجتماع الهمزتين وهو غير منصرف للعلمية ووزن الفعل مشتق من الادمة بالسكون او الفتح وهو حمرة تميل الى سواد او من اديم الارض وهو ظاهر وجهها كما صح عن ابن عباس رضي الله عنهما وورد عن علي وابن مسعود رضي الله تعالى عنهما ولا ينافي هذا ما ورد من براعة جماله وان يوسف عليه الصلاة والسلام كان على الثلث من جماله لان الاجمال لا ينافي السمرة اذ سمرته بين البياض والحمرة واختلف في لفظه هل هو أعجمي أولا فذهب أبو البقاء وغيره الى أنه ليس أعجميا وان منع صرفه للعلمية ووزن الفعل واشتقاقه مما ذكر يرد القول بانه عربي وبه صرح الجواليقي وغيره وذهب الثعالبي الى أنه أعجمي وان منع صرفه للعلمية العجمة وصح انه كان يتكلم بكل لسان ولكن الغالب انه كان يتكلم بالسرياني وفي الحديث خلق الله آدم من أديم الارض كلها فخرجت ذريته على نحو ذلك منهم الابيض والاسود والاحمر والسهل والحزن والطيب والخبيث وقال وهب خلق الله رأس آدم من الارض الاولى وعنقه من الثانية وصدره من الثالثة ويديه من الرابعة وبطنه من الخامسة وعجزه ومذاكيره وفخذيه من الارض السادسة وساقاه وقدميه من السابعة ونقل أبو الحسن في شرحه لعقيدة الرسالة القيروانية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال رفعت تربة آدم من ستة أرضين وأكثرها من السادسة ولم يكن فيها من الارض السابعة شيء لان فيها نار جهنم اهـ وروى عنه أيضا انه قال خلقه الله تعالى من أفاليم

فيقول آدم ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وانه نهاني عن أكل الشجرة فعصيت نفسي نفسي اذهبوا الى نوح عليه السلام فيأتون نوحا فيقولون له يا نوح أنت أول الرسل الى الارض وسماك الله عبدا شكورا اشفع لنا الى ربنا ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم نوح ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله أبدا وانه كان لي دعوة دعوت بها على قومي نفسي نفسي اذهبوا الى ابراهيم عليه السلام فيأتون ابراهيم فيقولون يا ابراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الارض

اشفع لنا الى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم ابراهيم ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ويذكر كذباته نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى موسى عليه السلام فيأتون موسى فيقولون يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالته وتكليمه على الناس اشفع لنا الى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم موسى ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله واني قتلت نفسا لم أومر بقتلها نفسي نفسي اذهبوا الى عيسى عليه السلام فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه وكلمت الناس اشفع لنا الى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم عيسى عليه السلام ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر له ذنبا نفسي نفسي اذهبوا الى محمد صلى الله عليه وسلم فيأتونه فيقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم الانبياء وغفر الله

الدنيا فرأسه من تربة الكعبة وصدره من تربة الدهنا وظهره وبطنه من تربة الهند ويداه من تربة المشرق ورجلاه من تربة المغرب وقال غيره خلق الله آدم من ستين نوعا من أنواع الارض وطبائعها لخلقت أولاده مختلفي الالوان والطبائع قيل ولهذا المعنى أوجب الله في الكفارة اطعام ستين مسكينا بعدد أنواع بني آدم ليعم الجميع بالصدقة وكان طوله ستين ذراعا والذراع ثمانية أشبار بهذا التسعير هكذا ذكروا فجملة الاشبار أربعمائة وثمانون شبرا وعاش آدم ألف سنة (انك ما دعوتني) ليلا أو نهارا سرا أو علانية وما مصدرية ظرفية أي مدة دوام دعائك اياي كما تقول لاحسنن اليك ما خدمتني أي مدة دوام خدمتك اياي وغلط من جعلها شرطية والدعاء رفع الحاجات الى رفيع الدرجات ويقال هو اظهار العجز والمسكنة بلسان التضرع وهو بلا واسطة من خصوصيات هذه الامة وأما الامم الماضية فكانت تفرق حوائجهم الى الانبياء تسأل لهم الله تعالى وقد روى معمر عن قتادة انه قال أعطيت هذه الامة ثلاثا لم يعطها الا نبي كان يقال للنبي اذهب فملس عليك حرج وقال لهذه الامة ما جعل عليكم في الدين من حرج وكان يقال للنبي أنت شهيد على قومك وقال لهذه الامة لتكونوا شهداء على الناس وكان يقال للنبي سل تعط وقال لهذه الامة ادعوني أستجب لكم واعلم ان المذهب المختار الذي عليه الفقهاء والمحدثون وجماهير العلماء من الطوائف كلها من السلف والخلف ان الدعاء مستجاب قال الله تعالى ادعوني أستجب لكم وقال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية والآيات في هذا كثيرة وأما الاحاديث الصحيحة فهي أشهر من أن تذكر وقد سئل الشيخ عز الدين بن عبد السلام في الفتاوى الموصلية هل يعصي من يقول لا حاجة بنا الى الدعاء لانه لا يرد ما قدر وقضى فاجاب من زعم انه لا يحتاج الى الدعاء فقد كذب وعصى ويلزمه ان يقول لا حاجة بنا الى الطاعة والايمان لان ما قضاه الله من الثواب والعقاب لا بد منه وما يدري هذا الاحمق ان الله تعالى قد رتب مصالح الدنيا على الاسباب ومن ترك الاسباب وبنى على ان ما سبق به القضاء لا بد منه لزمه أن لا يأكل اذا جاع ولا يشرب اذا عطش ولا يلبس اذا برد ولا يتداوى اذا مرض وان يلقى الكفار بلا سلاح ويقول في ذلك كله ما قضاه الله لا يرد وهذا لا يقوله مسلم ولا عاقل وقوله ما دعوتني أي ما دمت تعبدني أو تسألني لان الدعاء قد فسر في القرآن بالعبادة والسؤال وقيل ما دعوتني (ورجوتني) لاجابة دعائك لانه تعالى يقول أنا عند ظن عبدي بي وعند ذلك تتوجه رحمة الله الى العبد واذا توجهت لا يعاظمها شئ لانها وسعت كل شئ

فيقول لها جهنم أجيبي خالقك ومليكك فتثور وتفور وتشهق فتسمع الخلائق لها صوتا عظيما تتقلق القلوب منه فزعا ورعبا ثم تزفر ثانية فيزداد الرعب والخوف ثم تزفر ثالثة فتخر الخلائق على وجوههم وتبلغ القلوب الحناجر وينظر المجرمون من طرف خفي ولا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جثا على ركبتيه كما قال الله تعالى وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون ويتعلق الخليل بساق العرش ويقول يارب لا أسألك اسماعيل ولدي بل أسألك نفسي ويتعلق موسى بساق العرش ويقول يارب لا أسألك هرون أخي بل أسألك نفسي ويتعلق عيسى بساق العرش ويقول يارب لا أسألك مريم أمي ولكن أسألك نفسي والرجاء ثم يتقدم النبي صلى الله عليه وسلم فيأخذ بحظامها فيقول لها ارجعي وراءك مدحورة فتقول يا محمد أيس لي عليك من سبيل دعني أنتقم من أعدائي ومن دخل فيأتي النداء من العلي من قبل الله سبحانه وتعالى أطيعي محمدا فترجع وراءها مسيرة خمسمائة عام ثم يخرج منها الثلاثة أعناق الاول منها يقول أين من قال أنا الله فتلتقطهم من المحشر كما يلتقط الطير الحب ثم تدخلهم في جوفها ثم يخرج العنق الثاني فيقول أين من قال ولد الله فتلتقطهم كما يلتقط الطير الحب ثم يخرج العنق الثالث فيقول أين من أكل رزق الله وعبد غيره فتلتقطهم كما يلتقط الطير الحب وعن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تبارك وتعالى ينادي يوم القيامة بصوت رفيع غير وضيع يا عبادي أنا الله لا اله الا أنا أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين وأسرع الحاسبين

يا عبادي لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون احضروا حجتكم وبشروا حجابكم فانتم مسؤلون محاسبون يا ملائكتي أقيموا عبادي صفوفا
على أطراف أنامل أقدامهم وقد قيل في المعنى مثل وقوفك يوم العرض عريانا * مستوحشا قلق الاحشاء حيرانا
والنار تلهب من غيظ ومن حنق * على العصاة ورب العرش غضبانا اقرأ كتابك يا عبدي على مهل * فان ترى فيه حرفا
غير ما كانا لما قرأت ولم تنكر قراءته * اقرار من عرف الاشياء عرفانا نادى الجليل خذوه يا ملائكتي * وامضوا به عبدا
عصى فانار شيطانا المشركون غدوا في النار يلتهبوا * والمؤمنون بدار الخلد سكانا فاول من يدعى للحساب الملائكة والرسل
انهار العدل واقامة للحجة على من كذب وزيادة تخويف للجاحدين فكيف تكون عقول الخلائق اذا عاينوا الملائكة والرسل
تدعاهم الله للحساب والسؤال ثم تقبل الملائكة على الخلائق وتنادي كل ٢٧٧ انسان باسمه من غير كنية يا فلان هلم

والرجاء بالمدلغة الامل واصطلاحا تعلق القلب بمرغوب في حصوله في المستقبل مع الاخذ في أسباب
الحصول فان لم يأخذ في الاسباب فهو طمع ولذا قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى ان مثل الراجي مع
الاصرار على المعصية كمثل من رجا حصادا أو ولدا ومازرع ومانكح قال عبد الله بن المبارك

مابال دينك ترضى أن تدنسه * وثوبك الدهر مغسول من الدنس
ترجو النجاة ولم تسلك طريقتها * ان السفينة لا تجري على اليبس

ويطلق الرجاء على الخوف ومنه قوله تعالى وارجوا اليوم الآخر أي خافوه لكم لا ترجون لله وقارا أي لا
تخافون عظمة الله وقال في عم يتساءلون انهم كانوا لا يرجون حسابا أي لا يخافونه ويصح ارادته أيضا
وقد يستعمل الطمع بمعنى الرجاء كما في قوله تعالى والذي أطمع أن يغفر لي وأما الرجا بالقصر فهو الناحية
ومنه رجا البئر أي ناحيته وهل الافضل للشخص تغليب الرجاء له لئلا يغلب عليه داء اليأس من رحمة الله
عز وجل أو الخوف له لئلا يغلب عليه داء الامن من مكر الله تعالى أو ان كان عاصيا فالخوف أفضل وان
كان مطيعا فالرجاء أفضل أو ان كان قبل الذنب فالخوف أفضل وان كان بعده فالرجاء أفضل أو ان
كان صحيحا فالخوف أفضل وهو المختار عندنا ولكن الراجح عند الشافعية انه يكون رجاؤه وخوفه
مستويين وان كان مريضا فالرجاء لقوله صلى الله عليه وسلم لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله
ومن مقتطعات شعر عبد القاهر بن طاهر

يا فاتحا لي كل باب مرتجى * اني لعفوك منك عني مرتجى
فامنن علي بما ينيل سعادتي * فسعادتي فلوعاصي تأرجي

قال الدميري وفي مروج الذهب عن فقير بن مسكين قال دخلت على الشافعي أعوده في مرض موته فقلت
له كيف أصبحت يا أبا عبد الله قال أصبحت من الدنيا راحلا ولاخواني مفارقا ولكأس المنية شاربا
ولا أدري الى الجنة تصير روحي فاهنيها أم الى النار فاعزيها ثم قال

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي * جعلت الرجا مني لعفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته * بعفوك ربي كان عفوك أعظما

(غفرت لك ذنوبك) أي سترتها عليك بعدم العقاب عليها في الآخرة ويراد به العفو ومقتضى كلام ابن
عطية ان بينهما فرقا وهو أن الغفران لما لم يطلع عليه أحد والعفو لما اطلع عليه فانه قال في تفسير قوله
تعالى واعف عنا أي فيما واقعناه وانكشف واغفر لنا استر علينا ما علمت منا قال بعضهم وهو التحكم

الخلائق ويكلمه الله ويقرره بذنوبه ويقول سترت عليك في الدنيا وأنا اغفر لك اليوم ومن عصاة المسلمين من يشدد عليه الحساب
حتى يستوجب العذاب فيشفع فيه من أذن الله له من الانبياء والاولياء قال صلى الله عليه وسلم لاشفعن يوم القيامة لاكثر مما في
الارض من حجر وشجر * وروي ان من المؤمنين من يشفع في رجل واحد ومنهم من يشفع في رجلين ومنهم من يشفع في قبيلة على قدر
درجاتهم ومن العصاة من لا يشفع فيه أحد فيأمر به الى النار وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن
أربع عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وعن علمه ماذا عمل فيه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ثم ان الله تعالى مع
علمه باعمال العباد يظهر العدل ويقيم الحجة فينصب الموازين لوزن الاعمال كما قال تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة الآية
ويؤتى بالصحف التي كتبتها الملائكة على العباد فيخلق الله تعالى فيها ثقلا وخفة على قدر الاعمال ويؤتى بكل انسان فتوضع صحيفة

يا ملائكتي أقيموا عبادي صفوفا على أطراف أنامل أقدامهم وقد قيل في المعنى

مثل وقوفك يوم العرض عريانا * مستوحشا قلق الاحشاء حيرانا

والنار تلهب من غيظ ومن حنق * على العصاة ورب العرش غضبانا

اقرأ كتابك يا عبدي على مهل * فان ترى فيه حرفا غير ما كانا

لما قرأت ولم تنكر قراءته * اقرار من عرف الاشياء عرفانا

نادى الجليل خذوه يا ملائكتي * وامضوا به عبدا عصى فانار شيطانا

المشركون غدوا في النار يلتهبوا * والمؤمنون بدار الخلد سكانا

فاول من يدعى للحساب الملائكة والرسل انهار العدل واقامة للحجة على من كذب وزيادة تخويف للجاحدين فكيف تكون عقول الخلائق اذا عاينوا الملائكة والرسل تدعاهم الله للحساب والسؤال ثم تقبل الملائكة على الخلائق وتنادي كل ٢٧٧ انسان باسمه من غير كنية يا فلان هلم الينا الى موقف العرض فمن المؤمنين من لا يحاسب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة من هذه الامة سبعون ألفا بغير حساب وفي رواية مع كل واحد منهم سبعون ألفا وعن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت سبعين ألفا من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب وجوههم كالقمر ليلة البدر وقلوبهم على قلب رجل واحد فاستزدت ربي عز وجل فزادني مع كل واحد سبعين ألفا قال أبو بكر فرأيت ان ذلك يأتي على أهل القرى ويصيب من حافات البوادي ومنهم من يحاسب حسابا يسيرا يستره الله عن جميع

لسانه في كفة وصحيفة سيآته في كفة حتى يثبتن له ولغيره رجحانها ونقصانها وانتظار الصحف فيعطى كل عبد كتابه فيه جميع أعماله يقروه من كان يكتب ومن كان لا يكتب وقد قيل في معنى ذلك تفكر يوم تأتي الله فردا * وقد نصبت موازين القضاء وهتكت الستور عن المعاصي * وجاء الذنب مكشوف الغطاء ثم يتعلق المظلومون بالظالمين هذا يقول قتلني وهذا يقول ضربني وهذا يقول شتمني وسبني أو اغتابني أو استهزأ بي وهذا يقول أخذ مالي وغشني في معاملة أو بخسني في وزن أو كيل أو شهد على بزور أو نظر إلي نظر كبر أو احتقار فتفرق حسنات الظالم على المظلومين فإذا لم يبق له حسنة جعل على الظالم من سيآت المظلوم حتى يؤدي كل ذي حق حقه فإن الرجل ليأتي بحسنات كثيرة فتأخذ خصومه وتطرح عليه سيآت ما كان عملها فيقول ما هذا فيقول سيآت من ظلمته وعن أبي ٢٧٨ هريرة رضي الله عنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم جالس أقرابه

ضحك حتى بدت ثناياه فقيل له مم نضحك يا رسول الله قال رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة رجل فقال أحدهما يا رب خذ لي مظلمتي من أخي فقال الله تعالى أعط أخاك مظلمته فقال يا رب ما بقي من حسناتي شيء فقال يا رب فليحمل من أوزاري وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال إن ذلك اليوم ليوم عظيم يحتاج فيه الناس أن يحمل عنهم من أوزارهم ثم قال الله تعالى للطالب ارفع بصرك فانظر إلى الجنان فرفع بصره فرأى ما أعجبه من الخير والنعمة فقال لمن هذا يا رب فقال لمن أعطاني ثمنه قال ومن يملك ثمن ذلك قال أنت قال بماذا

أشبه اه وقال بعضهم إن بين مفهوميهما بحسب الوضع عموما وخصوصا من وجه فإن المغفرة الغفر وهو الستر والعفو بمعنى المحو ولا يلزم من الستر المحو ولا عكسه بأن يحاسبه بذنب على رؤس الأشهاد ثم يعفو عنه أو يستره ويجازيه عليه أما بالنظر لكرم الله تعالى فهو إذا ستر عفا فيهما وخصوص مطلق وكذا يقال في مقام الملاطفة الا كثر عفا الله عنه (عما كان منك) من المعاصي وتكرورت (ولا أبالي) أي لا أكترث بذنوبك ولو كثرت لأنه تعالى لا حجر عليه فيما يفعل ولا لحكمه ولا مانع لعطائه ومعنى لا أبالي لا يشتغل بالي به فإن إخرام العباد في جنب رحمته كذرة حقيرة بل أقل منها إن قلت ثبت أنه جف القلم بما هو كائن فالدعاء لا يزيد ولا ينقص شيأ وأيضا المطلوب إن كان من مصالح العبد فالجواد المطلق لا يبخل به وإن لم يكن منها لم يجز طلبه والإقرار بالقضاء بالله الأعظم والاشتغال بالدعاء ينافيه فالجواب الدعاء من شعار المرسلين ودثار الصالحين وأدب الصديقين (يا ابن آدم) إنك (لو بلغت) أي وصلت (ذنوبك) أي فرضتها جرما (عنان السماء) بأن ملأت ما بين السماء والأرض والعنان بفتح العين المهملة وتخفيف النون السحاب الواحدة عنانة وهيل هو اسم للسحاب مطلقا أو يقيد كونه متمثلا بالماء قولان وقيل العنان اسم لما عن لك من السماء أي ظهر لك إذا رفعت رأسك إليها وروي أعنان السماء أي نواحيها وما اعترض من أقطارها كأنه جمع عنن وأما العنان بكسر العين فهو اسم لما تقاد به الدابة الأسفل للأسفل والأعلى للأعلى كالملك بكسر اللام وبفتحها والجبار بكسر الجيم اسم للسرير الذي يحمل عليه الميت وبفتحها اسم للميت المحمول (تنبيه) نقل عن بعضهم أن سماء الدنيا أفضل مما سواها لقوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح قال الجلال السيوطي قلت قد ورد الأثر بخلافه أخرج عثمان بن سعد الدارمي في كتاب الرد على الجهمية عن ابن عباس قال سيد السموات السماء التي فيها العرش وسيد الأرضين التي نحن عليها اه وهذا فوائد الأولى أهل السنة والأشاعرة كما دلت عليه الأحاديث أن السحاب من شجرة مسخرة في الجنة والمطر بحر تحت العرش خلافا للحكماء والمعتزلة في أن منشأ المطر البحر وأن السحاب أجسام ذوات نتوء تأخذ الماء من البحر الملح وتقصره الريح فيعذب * الثانية قال الحكماء الأرض طبق واحد ومذهب الأشاعرة أن الأرض طبقات متفاصلة بالذات بين كل أرض مسيرة خمسمائة عام كما ورد به الأخبار وعليه لما جمعت السماء وأفردت الأرض في بعض الآيات لأن السموات مختلفة الاجناس بخلاف الأرضين لاتحاد جنسها وهو التراب وذكر بعضهم أن الحكمة في أفراد الأرض ثقل جمعها لفظا وهو أرضون

قال يغفرك عن أخيك هذا قال يا رب فإني قد عفوت عنه قال خذ بيد أخيك فأدخله الجنة

الثالثة

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله يصلح بين المؤمنين يوم القيامة والصحيح أن الميزان واحد يوزن به الجميع وإنما جمع لكثرة ما يوزن فيه من الأعمال وصفته في العظم مثل طباق السموات والأرض توزن فيه الأعمال بقدرة الله سبحانه وتعالى والصنج يوم مثاقيل الذر والخردل تحقيقا لتمام العدل وتطرح صحائف الحسنات في صورة حسنة في كفة النور فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها عند الله سبحانه وتعالى بفضل الله تعالى وتطرح صحائف السيآت في صورة قبيحة في كفة الظلمة فتخف بها الميزان كما يريد الله تعالى بعدله وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه قال يوضع الميزان يوم القيامة فلو وضعت فيه السموات والأرض لوسعها فتقول الملائكة يحذر ربنا ما هذا فيقول الله سبحانه وتعالى هذا أزن به من شئت من خلقي

الكتب من اليمين والشمال ووضع الصراط على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعر ويؤمر الناس بالجواز عليه فأول من يجوز عليه أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيمر عليه أولهم كالبرق الخاطف ثم كالريح ثم كالطير ثم كالخيل ثم عدو ائم مشيا ومن الناس من يزحف زحفا ومن الناس من يسحب سحبا فمنهم من يسلم ومنهم من يزل فيقع في جهنم ومنهم من تخطفه كلاليب فتلقيه في النار ويسمع للواقعين في النار جلبة عظيمة وصياح شديد يدهش العقول والملائكة والانبياء كلهم يقولون اللهم سلم ولا ينطق حينئذ إلا الرسل وقد قيل في المعنى

اذا مد الصراط على جحيم ✻ تصول على العصاة وتستطيل فقوم في الجحيم لهم شهور ✻ وقوم في الجنان لهم مقيل
وبان الحق وانكشف الغطا ✻ وطال الويل واتصل العويل فاذا وقع الدين وجب عليهم العذاب بالنار وجاز الفائزون الناجون كلهم ٢٨٠ وردوا حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم على نهاية ما هم فيه من العطش

وما عانوه من الاهوال ثم يذهب المؤمنون على الجنة فأول من يدخلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الانبياء عليهم الصلاة والسلام ثم يدخل الذين لا حساب عليهم من هذه الامة من الباب الايمن قال بعض الحكماء اذا سيق أهل الجنة الى الجنة قال الله تعالى يا رضوان لا تنزلهم أنت في الجنان ولا تدعهم ينزلون بانفسهم فانهم لو نزلوا بانفسهم نزلوا كما تنزل الغرباء واذا أنزلتهم أنت نزلوا كما تنزل العبيد فلا تدعهم ينزلون نزلة الغرباء ولا تنزلهم أنت منزلة العبيد بل دعهم لا تنزلهم أنا في مكان أقدرهم كما تنزل الارباب ليعلموا كرامتهم على فاذا أتوا باب الجنة تسلم عليهم الملائكة كما قال الله تعالى سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وجاء أن أهل الجنة على

خلاف

قامة آدم عليه السلام ستين ذراعا على سن عيسى بن مريم عليه السلام ثلاث وثلاثين سنة على حسن يوسف عليه السلام على نغمة داود عليه السلام على خلق محمد عليه الصلاة والسلام وعليهم أجمعين ✻ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سكن أهل الجنة في الجنة بعث الله الروح الامين يقول يا أهل الجنة ان ربكم يقرئكم السلام ويأمركم أن تزوروا ربكم على فناء الجنة التي تراها المسك وحصباؤها الياقوت والدر وشجرها الذهب وورقها الزمرد فيخرجون ثم يأمر الله تعالى داود عليه السلام فيرفع صوته بذكر الزبور ثم توضع مائدة الخلد أوسع ما بين المشرق والمغرب فيقول الله تعالى أطعموا أولياءي ويلقى عليهم شهوة سبعين طعاما فيأكلون ثم يقول الله تعالى فكهوهم فيتفكهون بما لم يخطر على بالهم ثم يقول اسقوا أولياءي فيؤتون بالرحيق المختوم فيشربون ثم يقول اكسوهم فتقع تلك الحلل فيكسى كل واحد منهم سبعين حلة لا يشبه بعضها بعضا ثم ينادي يا أولياء الله هل بقي مما وعدكم ربكم شيء

على العود بعد مدة فهو مصر أيضا وكذا من عزم على ترك العود مطلقا لكن أمسك ما غصبه مثلا ولم يؤد فهو قد أصر على ما فعل وزاد بعضهم في الشروط وقوع التوبة في وقتها وهو قبل الغرغرة فلما رواه الترمذي وحسنه عنه صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر أي يبلغ روحه وهي حالة النزع لان الغرغرة أن يجعل المشروب في فم المريض فيردده في الحلق ولا يصل البه ولا على بلعه هذا عند الاشاعرة وأما عند الماتريدية فانما يشترط عدم الغرغرة في الكافر دون العاصي عملا بالاستصحاب في المرضين وقبل طلوع الآيات كطلوع الشمس من مغربها ولا يشترط التلفظ بالاستغفار لما رواه الحاكم وصححه لكن فيه ساقطا ما علم الله تعالى من عبد ندامة على ذنب الا غفر له قبل أن يستغفر منه خلافا للبلقيني العائل بانه لابد أن يقول أستغفر الله من ذنبي ونحو ذلك ولا يشترط مفارقة مكان المعصية خلافا للزمخشري ولا تجديد التوبة كما ذكر المعصية خلافا للقاضي أبي بكر الباقلاني وأما التوبة النصوح فانها أخص من ذلك لانها تكفر السيئات وتبدلها حسنات واختلف فيها فقال بعضهم التوبة النصوح يجمعها أربعة أشياء الاستغفار باللسان والاقلاع بالابدان واضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيئ الخلان وهو قريب من قول بعضهم هي تقدم أربعة الندم بالقلب والاستغفار باللسان واضمار أن لا يعود ومجانبة خلطاء السوء وقال أبو بكر الوراق هو تضيق عليك الارض بما رحبت وتضيق عليك نفسك كالثلاثة الذي خلفوا وقال بعضهم أن يكون لصاحبها دمع مسفوح وقلب عن المعاصي جموح وقال ذو النون علامتها ثلاثة قلة الطعام وقلة المنام وقلة الكلام وقال فتح الموصلي علامتها ثلاثة مخالفة الهوى وكثرة البكاء ومكابدة الجوع والظمأ وقال عمر وأبي ومعاذ التوبة النصوح أن يتوب ثم لا يعود الى الذنب كما لا يعود اللبن الى الضرع وقال الكلبي ان يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن (غفرت لك) وان تكرر الذنب والتوبة منك في اليوم لواحد لان معاودة الذنب لا تبطل التوبة ومن ثم قال عليه أفضل الصلاة والسلام ما أصر استغفر أي تاب ولو عاد في اليوم سبعين مرة وأخرج الاصبهاني انه صلى الله عليه وسلم قال اذا من ذنوبه أنسى الله حفظته ذنوبه وأنسى ذلك جوارحه ومحاله من الارض حتى يلقى الله يوم وليس عليه شاهد من الله بذنب وتصح التوبة من الذنب ولو كان مصرا على الآخر وخالفت المبتدعة فيهما ثم ان توبة الكافر من كفره مقطوع بقبولها وما سواها من أنواع التوبة هل قبوله قطعي أو

فيقولون لا الا النظر الى وجه الله تعالى فيتجلى لهم الرب سبحانه وتعالى فيخرون لله سجدا فيقول الله تعالى ارفعوا رؤسكم فانها ليست بدار العمل انما هي دار الثواب فينظرون الى الله تعالى ويقولون سبحانك ما عبدناك حق عبادتك فيقول الله تعالى أسكنكم داري وملكتكم من وجهي فيأذن الله للجنة أن تكلمي فتقول طوبى لمن سكنني وطوبى لمن خلد في ذلك قوله تعالى طوبى لهم وحسن مآب ثم يقال لهم تمنوا فيقولون نتمنى رضاك وقال أبو محمد الدهروي اذا كان يوم القيامة ودخل أهل الجنة الجنة فيوم السبت الاولاذ يزورون الآباء ويوم الاحد الآباء يزورون الاولاد ويوم الاثنين تزور الملائكة العلماء ويوم الثلاثاء تزور العلماء التلامذة ويوم الاربعاء تزور الامم الانبياء ويوم الخميس تزور الانبياء الامم ويوم الجمعة تزور الخلائق الرب جل جلاله سبحانه وتعالى فذلك قوله تعالى ولدينا مزيد فاذا استقر أهل الجنة في الجنة بقيت آثامهم متعلقة بفجاة العصاة من المسلمين الذين دخلوا النار فيطلب الصالحون الشفاعة لهم من الرسل وقد وردت الاخبار المسندة الصحيحة أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم يستأذن ويسجد

٢٨١

خلافا بين أهل السنة والاصح كما اختاره امام الحرمين انه ظني وكان سبب توبة الفضيل بن عياض انه عشق جارية فواعدته ليلة فبينما هو يترقى الجدران اليها اذ سمع قارئا يقرأ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله فرجع القهقرى وهو يقول بلى والله قد آن فأواه الليل الى خربة وفيها جماعة من السائلة وبعضهم يقول لبعض ان فلانا يقطع الطريق فقال الفضيل أراني بالليل أسعى في معصية الله وقوما من المسلمين يخافوني اللهم اني قد تبت اليك وجعلت توبتي اليك جوار بيتك الحرام وانما جعل الاستغفار على التوبة لان الاستغفار المطلوب هو الذي يحل عقد الاصرار ويثبت معناه في الجنان لا مجرد التلفظ باللسان من غير أن يكون للقلب فيه شركة ولذا روي عن الحسن البصري انه قال استغفارنا يحتاج الى استغفار لكن قال الغزالي لا نظن انه يذم حركة اللسان من حيث انها ذكر بل يذم غفلة القلب فهو يحتاج الى الاستغفار من غفلته لا من حركة لسانه وفي الحديث من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة وفيه أيضا من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وروى الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من قال أستغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم غفر له وان كان قد فر من الزحف (يا ابن آدم انك لو أتيتني بقراب الارض) بضم القاف وكسرها والضم أشهر أي بقرب ملئها أو ملئها وهذا بالغ مما قبله (خطايا ثم لقيتني) اي حال كونك (لا تشرك بي شيأ) أي بذاتي وصفاتي وأفعالي أي مستمرا على الايمان لاعتقادك توحيدي والتصديق برسلي وبما جاؤا به (لاتيتك بقرابها) عبر به للمشاكلة والا فغفرة الله أعظم وأوسع من ذلك (مغفرة) وفي خبر مسند أن رجلا يؤمر به الى النار فاذا بلغ ثلث الطريق التفت فاذا بلغ نصف الطريق التفت فاذا بلغ ثلثي الطريق التفت فيقول الله تعالى ردوه ثم يسأله فيقول لم التفت فيقول لما بلغت ثلث الطريق تذكرت قولك وربك الغفور ذو الرحمة فقلت لك تغفر لي فلما بلغت نصف الطريق تذكرت قولك ومن يغفر الذنوب الا الله فقلت لعلك تغفر لي فلما بلغت ثلثي الطريق تذكرت قولك قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا فازددت طمعا فيقول الله عز وجل اذهب فقد غفرت لك (رواه الترمذي) في الدعوات وخرجها الطبراني من حديث ابن عباس والترمذي بتثليث الفوقية

بين يدي الله عز وجل فيقول الله تعالى ارفع رأسك وسل تعط وقل يسمع لك واشفع تشفع فيقوم فيشفع ويقول يارب ائذن لي في كل من قال لا اله الا الله فيقول الله تعالى وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لاخرجن منها من قال لا اله الا الله وقد ورد في الصحيحين البخاري ومسلم ان العصاة من المسلمين يموتون في النار ويحمل على أنهم يعذبون بقدر ذنوبهم فيكون غاية عذابهم فاذا وقعت الشفاعة أحياهم الله تعالى وقد جاء في آخر من يخرج من النار أخبار كثيرة تعتضر منها على رواية ابن عباس رضي الله عنهما انه قال آخر من

يخرج من النار من هذه الامة من يبقى سبعة آلاف سنة في النار فيصيح أربعة آلاف سنة وفي يا الله يا الله ثم يصيح ألف سنة يا حنان يا منان ثم يصيح ألف سنة يا حي يا قيوم فيقول الله تعالى يا مالك ان عبدا من عبادي يدعوني في قعر جهنم فهل تعرف مكانه فيقول يارب أنت أعرف بمكانه مني فيقول الله تعالى انه في وادي في جهنم في قعر بئر وفي البئر صندوق وهو فيه فيصيح مالك على النار فيموج بعضها في بعض من هيبة مالك فيخرجه من النار فيقول يا شقي ان الله يدعوك فيقول لمالك أي العذاب أشد في جهنم فيقول له السعير وسقر فيقول يا مالك اجعلني نصفين فالق نصفي في السعير ونصفي في سقر ولا تقدمني بين يدي الله تعالى فيقول لابد من ذلك وهو بين يديه كالسمكة في الشبكة فيقف بين يدي الله تعالى فيقول الله تعالى يا عبدي ألم أخلق لك سمعا وبصرا ألم أفعل بك كذا وكذا ألم أملك هذا وأشباهه فيعرق حياء من الله تعالى ويقول يارب النار أحب الي من هذا فيقول الله تعالى اذهبوا به الى النار فيلتفت ويقول يارب ما كان ظني فيك هكذا فيقول الله عز وجل ما كان ظنك بي فيقول ظني بك اذا أجرتني

من النار لا تعد فى اليها ثانيا فيقول الله تعالى صدق عبدى هل تدرى لم أخرجتك من النار فيقول لا يا رب فيقول الله تعالى اذكر قلت فى يوم كذا فى ليلة كذا مرة واحدة لا اله الا الله محمد رسول الله فاليوم أخرجتك من النار لاجل ذلك ثم يقول الله تعالى ادخلوه الجنة فيقول يا رب ان الجنة قسمتها لانبيائك ولاوليائك ولا أجد لى فيها مكانا فيقول الله تعالى ان لك فى الجنة مثل ما طلعت عليه الشمس وغربت سبع مرات قال فيغتسل فى نهر يقال له الحيوان فيخرج منه وجهه كالقمر ليلة البدر فيتمنى أهل النار أن يكونوا مثله من عمر واحدة لا اله الا الله محمد رسول الله حتى ينجون من العذاب كما قال الله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين (خاتمة الختم) عطاء بن واسع قسا قاض على مرة فاردت تهذيبه فتفكرت فى ملكوت السموات والارض وفى الموت وما فيه وما بعده من أهوال ونشور وصراط وميزان وحساب ٢٨٢ وأهوال يوم القيامة فكبر على الامر وعظم واشتد جزعى وخوفى وبكائى ونحيبى

وعرضت على نفسى فلم أجد لى عملا يصلح للخلاص من شئ من ذلك فبكيت وازددت خوفا وتحيبا وجزعا فقال فاصطنع له قبرا فى بيته وحفره وصار كلما غفل عن العبادة ومجاهدة نفسه لحظة نزل فى القبر وعفر وجهه فى التراب واضطجع وجعل يبكى على نفسه ويذكر وحدة القبر وغربته وضيقه ويذكر مع ذلك قلة عمله وعجزه وتقصيره ويذكر مع ذلك أنه سيعرض ويحاسب وتوزن أعماله فيتلو ونضع الموازين القسط ليوم القيامة الآية ثم يقول رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت ويرددها على نفسه مرات ثم يبكى ثم يرددها على نفسه فيقول قد

وكسر المسيم أوضمها واعجام الذال (وقال حديث حسن صحيح) وأخرجه أبو عوانة فى مسنده ا حديث أبى ذر قال بعض الشراح ويظهر أن معانى هذه الاحاديث كلها وان كثر تعدادها وجـ مقدارها وعظم محلها واشتمل على كل الشريعة المحمدية شملها ترجع الى تقوى الله تعالى فى السر والعلانية مع قصر الامل والزهد فى الدنيا وترك مالا يعنى من قضولها والشغل بذكر الله تعالى و التخلق مع الخلق بما يقتضيه الشرع الشريف والانقباض عنهم فيما لا يعنى وارادة الخير لهم باطنا ومساعدتهم بالظاهر فيما أمكن من ذلك وهذا آخر ما سهل الله تحصيله على حسب الا الكريم المنان الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله والصلاة والسلام على النبى محمد وآله و ومن والاه وانى أستغفر الله مما يعلمه منى من الجراءة على شرح قول من لا ينطق عن الهوى مع قصورى فى هذه المادة وقلة سلوكى فى هذه الجادة ونسأل الله تعالى أن يمن علينا بتوبة نمحو بها كل جريمة وأن يختم لنا بالحسنى ويمن علينا بالمطلوب الاسنى وان يشمل فى ذلك جميع أهلنا ومشايخنا وأحبابنا ومن أمن على هذا الدعاء ممن سمعه ومن دعا لنا بمثله وكل المسلمين وقد قيل

يا من غدا ناظرا فيما جمعت وقد * أضحى يردد فى أفنائه النظرا
سألتك الله ان عاينت من خطأ * فاستر على خبير الناس من سترا

وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

(يقول راجى عفو القريب المجيب خادم التصحيح ابراهيم الطاهرى الحنفى)

الحمد لله الذى فطر الارض والسموات الكريم الذى يقبل التوبة من عباده ويعفو عن السيئات والصلاة السلام على سيدنا محمد صاحب القول الفصيح وعلى آله وأصحابه وكل من روى عنه حديثا حسن أو صحيح (وبعد) فقد تم بعونه تعالى طبع هذا الكتاب المستطاب بالمطبعة الازهرية المصرية الكائن محلها بجوار الرياض الازهرية ادارة راجى عفو ربه العلى القادر (حضرة مصطفى بك شاكر وأخيه) فى آخر شهر شوال سنة ١٣٢٩ هجريه على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية آمين

(يتلوه مسلم)

وحقك فاعمل فاشتد به الجزع هذا الامر دأبه دائما ثم خرج يوما الى المقابر فرأى مكتوبا على قبر هذه الابيات يا أيها الناس كان لى أمل * قصر بى عن بلوغه الاجل فليتق الله ربه رجل * وأمكنه فى حياته العمل ها أنا وحدى نقلت حيث ترى * كل الى مثله سينتقل فبكى وتواجد وعاهد الله أن لا يعود الى بيته وخرج هاربا حتى مات رحمه الله تعالى * وقال بعضهم بينما أنا سائر فى سياحتى واذا أنا بصوت أسمعه وما أرى شخصه يقول يا عباد الله ان الجنة رخيصة فاشتروا وان الرب كريم فاقبلوا عليه فالتفت يمينا وشمالا فلم أر أحدا وانا به يقول عجبت من عاقل لبيب * يذهب بالفانيات عمره ويبذل المال فى متاع * يفنى ويبقى عليه حصره بين يديه الغداة نار * ما يتقيها بشق تمره فيا اخوانى أقبلوا بالقلوب اليه وقفوا بالخضوع والخشوع لديه فانه كريم ومدوا أنامل الرجاء الى بابه فانه رحيم وقولوا سبحان الله العظيم وبحمده سبحان الله العظيم (تم كتاب المجالس السنية فى الاربعين النووية) بحمد الله تعالى وعونه فى سادس عشر شهر الله المحرم الحرام افتتاح سنة ثمانية وسبعين وتسعمائة على يد مؤلفه الفقير أحمد الفشنى الشافعى رحمه الله تعالى وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

صحيفة		صحيفة	
١	خطبة الكتاب	١٩١	الحديث الثانى والعشرون
٤	الحديث الاول	١٩٤	الحديث الثالث والعشرون
١٠	الحديث الثانى	٢٠٢	الحديث الرابع والعشرون
٨٦	الحديث الثالث	٢١١	الحديث الخامس والعشرون
٨٩	الحديث الرابع	٢١٥	الحديث السادس والعشرون
١٠٠	الحديث الخامس	٢١٩	الحديث السابع والعشرون
١٠٧	الحديث السادس	٢٢٣	الحديث الثامن والعشرون
١١٤	الحديث السابع	٢٢٧	الحديث التاسع والعشرون
١٢١	الحديث الثامن	٢٣٥	الحديث الثلاثون
١٢٧	الحديث التاسع	٢٣٧	الحديث الحادى والثلاثون
١٣٥	الحديث العاشر	٢٤١	الحديث الثانى والثلاثون
١٣٩	الحديث الحادى عشر	٢٤٤	الحديث الثالث والثلاثون
١٤٣	الحديث الثانى عشر	٢٤٦	الحديث الرابع والثلاثون
١٤٦	الحديث الثالث عشر	٢٤٩	الحديث الخامس والثلاثون
١٤٩	الحديث الرابع عشر	٢٥٥	الحديث السادس والثلاثون
١٥٩	الحديث الخامس عشر	٢٦٠	الحديث السابع والثلاثون
١٦٧	الحديث السادس عشر	٢٦٤	الحديث الثامن والثلاثون
١٦٤	الحديث السابع عشر	٢٦٧	الحديث التاسع والثلاثون
١٧٤	الحديث الثامن عشر	٢٦٩	الحديث الاربعون
١٨٦	الحديث التاسع عشر	٢٧١	الحديث الحادى والاربعون
١٨٩	الحديث العشرون	٢٧٥	الحديث الثانى والاربعون

(فهرس)

صحيفة	
٣	المجلس الاول في الحديث الاول
١٣	الثاني في الحديث الثاني
٢٤	الثالث في الحديث الثالث
٣٤	الرابع في الحديث الرابع
٤١	الخامس في الحديث الخامس
٤٥	السادس في الحديث السادس
٥١	السابع في الحديث السابع
٥٥	الثامن في الحديث الثامن
٥٧	فصل في الكلام على لا اله الا الله وبعض فضائلها
٦١	التاسع في الحديث التاسع
٦٦	العاشر في الحديث العاشر
٧١	الحادي عشر في الحديث الحادي عشر
٧٢	الثاني عشر في الحديث الثاني عشر
٧٦	الثالث عشر في الحديث الثالث عشر
٨١	الرابع عشر في الحديث الخامس عشر
٨٥	الخامس عشر في الحديث الخامس عشر
٩١	السادس عشر في الحديث السادس عشر
٩٦	السابع عشر في الحديث السابع عشر
٩٩	الثامن عشر في الحديث الثامن عشر
١٠٦	التاسع عشر في الحديث التاسع عشر
١١٢	العشرون في الحديث العشرين
١١٧	الحادي والعشرون في الحديث الحادي والعشرين
١٢٢	الثاني والعشرون في الحديث الثاني والعشرين
١٢٨	الثالث والعشرون في الحديث الثالث والعشرين
١٤٣	الرابع والعشرون في الحديث الرابع والعشرين
١٥٣	الخامس والعشرون في الحديث الخامس والعشرين
١٦٠	السادس والعشرون في الحديث السادس والعشرين
١٦٦	السابع والعشرون في الحديث السابع والعشرين
١٧٣	الثامن والعشرون في الحديث الثامن والعشرين
١٧٩	التاسع والعشرون في الحديث التاسع والعشرين
١٨٧	الثلاثون في الحديث الثلاثين
١٩١	الحادي والثلاثون في الحديث الحادي والثلاثين
١٩٩	الثاني والثلاثون في الحديث الثاني والثلاثين
٢٠٢	الثالث والثلاثون في الحديث الثالث والثلاثين
٢٠٥	الرابع والثلاثون في الحديث الرابع والثلاثين
٢٠٩	الخامس والثلاثون في الحديث الخامس والثلاثين
٢١٨	السادس والثلاثون في الحديث السادس والثلاثين
٢٢٩	السابع والثلاثون في الحديث السابع والثلاثين
٢٣٦	الثامن والثلاثون في الحديث الثامن والثلاثين
٢٤٥	التاسع والثلاثون في الحديث التاسع والثلاثين
٢٥٠	الاربعون في الحديث الاربعين
٢٥٦	الحادي والاربعون في الحديث الحادي والاربعين
٢٧٠	الثاني والاربعون في الحديث الثاني والاربعين